

أعيان العصر وأعيان النضر^{بإيج}

لصالح الدين خليل بن أبيك الصفدي

توفي ٧٦٤ هـ

حقَّقَه

الدكتور علي أبو زيد

الدكتور محمود سالم محمد

الدكتور محمد موعد

الدكتور نبيل أبو عشة

قدم له

مازن عبد القادر المبارك

الجزء الثاني

الرقم الاصطلاحي: ١١٥٠, ٠١١-٢

الرقم الدولي للسلسلة: ISBN: 1-57547-494-8

الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-496-4

الرقم الموضوعي: ٩١٠

الموضوع: التراجم والسير والأنساب

العنوان: أعيان العصر وأعيان النضر

التأليف: صلاح الدين خليل بن أبيك الصّفيدي

التحقيق: د. علي أبو زيد، د. نبيل أبو عمّشة،

د. محمد الموعد، د. محمود سالم محمد

قدم له: مازن عبد القادر المبارك

الصف التصويري: دار الفكر - دمشق

التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق

عدد الصفحات: ٧٣٦ ص

قياس الصفحة: ٢٥×١٧ سم

عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع

والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي

والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن

خطي من

دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد

ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية

برقياً: فكر

فاكس ٢٢٣٩٧١٦

هاتف ٢٢١١١٦٦، ٢٢٣٩٧١٧

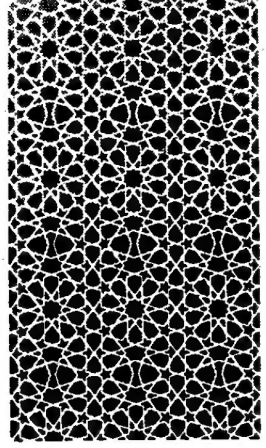
<http://www.fikr.com/>

E-mail: info @fikr.com



الطبعة الأولى

1418 هـ = 1998 م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أعيان العصر وأعوان النصر



٤٣١ - أبو بكر بن محمد بن سلمان*

ابن حمائل : القاضي الفاضل الكاتب بهاء الدين بن القاضي شمس الدين بن غانم أحد الإخوة ، تقدّم ذكر أخيه شهاب الدين أحمد في الأحمدين ، وسيأتي ذكر أخيه القاضي علاء الدين بن غانم في مكانه من حرف العين .

كان كاتباً بليغاً ، لا يبيت من العي لديفاً ، إلا أن حظّه لم يكن قوياً ، ولا هو في طريق المنسوب يرى سويّاً . وكان له ميل إلى الصور الجميلة ، والجفون الكحيلة ، والوجنات الأسيلة ، إذا رآها هام فيها صباه ، وذهبت نفسه إلا صباه ، على ما عنده من العفة ، وثقل المسكّة التي لا توازنها الشهوة بالخفّة ، وعليه روح في السماع ، وحرركات لا يخرج بها عن الضرب والإيقاع . يدور ودموعه سائله^(١) ، ونفسه من الوجد زائلة ، فيجد الناس^(٢) به أنسا ، ويرون منه ما يسمعون عن كآبة الحنّسا .

كان كاتب إنشاء بطرابلس في أيام الأمير سيف الدين أسندمر ، ثم إنه حضر إلى دمشق وكتب الإنشاء عند صاحب شمس الدين بدمشق ، ثم لما جرى للقاضي^(٣) زين الدين عمر بن خلاوات ماجرى على - ماسيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمة عمر - جهّز القاضي بهاء الدين بن غانم عوضه إلى صفد موقّعا ، فأقام بها^(٤) بين يدي نائبها الحاج أرقطاي تقدير تسع سنين .

* الوافي : ٢٥٣/١٠ ، والدرر : ٤٥٨/١ .

(١) في الأصل : « سائلة » ، وأثبتنا ما في : (ق) .

(٢) (ق) : « عليه » .

(٣) في الأصل : « القاضي » ، وأثبتنا ما في : (ق) .

(٤) في الأصل : « بها إلى » ، وأثبتنا ما في (ق) .

ولما توفي زين الدين بن حلوات موقَّع طرابلس نقل إليها القاضي بهاء الدين بن غانم ، فتوجَّه إليها وأقام بها إلى سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، ففَضَى بها نَحْبَهُ ، وفارق مَنْ أَلْفَهُ وأَحَبَهُ في ليلة الجمعة ثامن عَشْرِي صفر من السنة ، وكان قد حفظ (التنبيه) ، ومن مسموعاته (مسند) الإمام أحمد على ابن علان .

وكان في صَفْدٍ قد حَصَلَ له مِيلٌ إلى مَغْنٍ يدعى طُقْصُبا ، وصار يعمل به السَّماع في كل ليلة ، وقرر ذلك كل ليلة عند واحد من أكابر الناس . وأنشدني من لفظه لنفسه :

لَا تُرَجِّى مـــــــودَةً من مَغْنٍ فَمَعْنَى الفَوادِ مَنْ يَرْتَجِيهـــــــا
أَبْداً لَا تَنالُ مِنْهـــــــ وَدَاداً وَلَكَ السَّاعَةُ الَّتِي أَنْتَ فِيهـــــــا
وأنشدني أيضاً من لفظه لنفسه :

كِدْتُ أَبْلَى بَيْلِيـــــــهِ مِنْ جُفُونِ بَابِلِيـــــــهِ
فَتَكْتُ فِي الْقَلْبِ لَكِنْ كَانَتْ التَّقْوَى تَقِيـــــــهِ
وأنشدني من لفظه لنفسه :

يَا مَنْ غدا مُشْتَغِلاً عَمَّنْ بِهِ يَشْتَغِلُ
يَيْتُكَ قَلْبِي وَهُوَ مِنْ هَجْرِكَ لِي يَشْتَعِلُ

وأنشدني من لفظه لنفسه في بدر الدين بن الحُشَّاب مُشَدَّ صَفْدٍ وشرف الدين بن كُسيرات الناظر وكانت له عَذْبَةٌ :

يَا مَا عَرَا صَفْداً مُذْ حَلَّ مَنْصِبَهَا وَحَلَّ بِالشَّدِّ عَقْداً مِنْ مَآثِرِهَا
دَقَّتْ بِدَرَّةٍ نَحْسٍ لَا خِلَاقَ لَهُ أَمَا تَرَاهَا عَلَتْ أَكْتَافَ نَاطِرِهَا
وأنشدني من لفظه لنفسه :

يَا سَيِّداً حَسَنْتُ مَنَاقِبَ فَضْلِهِ فَعَلَّيْتُ بِمَا فَعَلْتَ عَلَى الْآفَاقِ

حاشاك تكسر قلب عبْدٍ لم يزلْ تُوليه حُسْنَ صنائع الإشفاقِ
هَبْ أَنه أخطأ وأذنب مرَّةً مولاي أين مكارم الأخلاقِ

كتب هو إليّ من طرابلس وأنا مقيم بدمشق ، وقد تأخّرت مكاتباتي عنه ، ثلاثة
أوصال ورق أبيض وفي ذيلها مكتوبٌ ، ولم يك فيها غير ذلك :

سبحان مَنْ غيرَ أخلاق مَنْ أحسنَ في حُسْن الوفا مذهباً
كان خليلاً فغداً بعدَ ذا لما اتقضى ما بيننا طقُصاً

أشار بذلك إلى أمر طقُصا المذكور ، وكان له عم أسود زوج أمه يدعى خليلاً ،
وكان ينغص^(١) علينا الاجتماع بحضوره ، ولما كتب هذه كان طقُصا المذكور رحمه الله
تعالى قد توفي بصفد من مدّة ، فحسّن لذلك إبراز هذين البيتين في هذه الصورة ،
فكتبت أنا الجواب :

يا باعث العُتْبِ إلى عبْدِهِ وما كفاه العُتْبِ أو ندباً
ومذكري عهداً لبسنا له ثوبَ سرورٍ بالبها مذهباً^(٢)
مرّ فلم يحلّ لنا بعدةً عيشٌ ولم نلقِ الهوى طيباً
ماكلٌ ذي ودٍّ خليلٌ ولا كلُّ مليحٍ في الورى طُقُصاً
فحبّذا تلك الليالي التي كم يسّر الله بها مطلباً
ما أحدٌ في مثلها طامعٌ هيهات فاتت في المنى أشعباً

ويُنهي بعد دعاءٍ يرفعه في كل بُكرة وأصيل ، وولاءٍ حصل منه على النعيم المقيم ،
ولا يقول : وقع في العريض الطويل ، وثناءً إذا مرّ في الرياض النافحة صحَّ أن نسيم
السحر عليل ، وحفاظ ودٍّ يتنّى كلُّ مَنْ جالسه لو أنَّ له مثل المملوك خليل ، ورود^(٣)

(١) في الأصل : « ييغص » ، وأثبتنا ما في (ق) ، وهي أقرب .

(٢) (ق) والوافي : « به » .

(٣) بالنصب على أنه مفعول (ينهي) ، وفي الوافي : « وورد » .

المثال الكريم ، فقابل منه اليد البيضاء بل الديمة الوطفاء^(١) ، بل الكاعب الحسناء ، وتلقى منه طرة صبح ليس للدجا عليها أذيال ، وغرة نوح ما كدر صفها خيبة الآمال ، فلو كان كلُّ واردٍ مثله لفضل المشيب على الشباب ، ونزع المتصابي عن التستر بالحضاب^(٢) ، ورُفض السواد ولو كان خالاً على الوجنه ، وغد المسك إذا دُرَّ على الكافور هجته ، وأين سواد الدجا إذا سَجى من بياض النهار إذا انهار ، وأين وجنات الكواعب النقية من الأصداغ المسودة بدخان العذار ، وأين نور الحق من ظلمة الباطل ، وأين العقد الذي كلُّه دُرٌّ من العقد الذي فيه السبج^(٣) فواصل ، ياله من وارد تنزه عن وطء الأقلام المسودة ، وعلا قدره عن السطور التي لا تزال وجوها بالمداد مربّده^(٤) حتى جاء يتلاً ضياء^(٥) ويتقد ، وأنى يتهادى في النور بالذي تعتقد فيه الجوسية ما تعتقد ، ولكن توهم المملوك أن تكون صُحف الود أمست مثله عفاءً ، وظن بأبيات العهد السالفة أن تكون كهذه المراسلة من الرقوم خلاء :

لو أنها يوم المعاد صحيقتي ماسر قلبي كونها بيضاء

فلقد سوّدتُ حال المملوك ببياضها ، وعُدم من عَدَم الفوائد البهائية ما كان يغالزه من صحاحات الجفون ومراضها ، وما أحقَّ تلك الأوصال الوافدة بلا إفاده^(٦) ، الجائدة بزيارتها^(٧) التي خلت من الجود بالسلام وإن لم تخل زورتها من الإجاده ، أن ينشدها المملوك قول البحري . أبي عبادة^(٨) :

(١) السحابة الوطفاء : المسترخية لكثرة ماثها ، أو الدائمة السح .

(٢) في الوافي : « بالخطاب » .

(٣) السبج : خرز أسود .

(٤) في الأصل (و) (ق) : « مزبدة » ، ولا وجه لها . والربدة : لون يميل إلى الغبرة .

(٥) في الوافي : « يضاء » .

(٦) في الوافي : « بلا فائدة » .

(٧) في الأصل : « بريادتها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .

(٨) كذا في (ق) ، والوافي وفي الأصل : « أبو عبادة » . والبيتان في ديوانه : ٢١/١ - ٢٢ .

أَحْجَلْتَنِي بِنْدَى يَدَيْكَ فَسَوَّدَتْ مَا بَيْنَنَا تِلْكَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ^(١)
وَقَطَعْتَنِي بِالْوَصْلِ حَتَّى إِنِّي مُتَخَوِّفٌ أَنْ لَا يَكُونَ لِقَاءُ^(٢)

يا عجباً كيف اتَّخذ مولانا هذا الصَّامتَ رَسُولاً بعد هذه الفتره ، وكيف ركن إليه في إبلاغ ما في ضميره ولم يَحْمَلْهُ من در الكلام ذَرَّةً ، وكيف أهدي عروسَ تَحِيَّتِهِ ولم يقلدها من كلامه بشذره ، ما نطق هذا الوارد إلا بالعتاب مع ما نَدَّرَ^(٣) وندب ، ولا أبدى غَيْرَ ما قرَّر من الإهمال وقرب .

و^(٤) :

على كلِّ حالٍ أُمُّ عمرو جميلةٌ وإن لبست خُلُقَانَهَا وجديدها
وبالجملة فقد مر ذكر المملوك بالخاطر الكريم ، وطاف مِنْ حُنُوهِ طَائِفٌ على المودَّة
التي أصبحت كالصَّريم ، وإذا كان الشاعر قد قال :

وَيُـــــــدُلُّ هَجْرَكَ عَلَى أَنِّي خَطَرْتُ بَيْنَ الْكَمِّ

فكيف بمن دخل ذِكْرُهُ الضمير وَخَرَجَ ، وَذَكَرَ على ما فيه مِنْ عَوَجٍ ، وما استخفَّ بي مِنْ أَمْرِي وَمِنْ ذِكْرِي مَا حَقَّرَنِي ، والله تعالى يُدِيمُ حياته التي هي الأمان والأمانى ، وَيُمَتِّعُ بِالْفَاظَةِ الفريدة التي هي أطربُ مِنَ المثلث والمثاني بِنَهْ وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

فكتب هو إِلَى الجواب عن ذلك :

يَا هَاجِراً مَنْ لَمْ يَزَلْ قَلْبُهُ إِلَيْهِ مِنْ دُونِ الْوَرَى قَدْ صَبَا

(١) في الديوان : « أحشمتني » .

(٢) في الديوان : « بالجوْد حتى ... ألا .. » .

(٣) في الديوان : « نذر » .

(٤) ليست في (ق) ، والوافي .

أرسلت من بعد الجفا أسطراً أرقص منها السمع ماً طرباً
 شفت فؤاداً شفه وجده من بعد ما قد كاد أن يذهباً
 قال لها العبد وقد أقبلت أهلاً وسهلاً بك يا مَرَحِباً
 أحلها قلباً صحيح الولا ما كان في صحبته قلباً
 ولا نسي عهد خليل له قديم عهد كان مع طقُصاً

وقبل مواقع تلك الأنامل التي يحق لها التقبيل ، وقابل بالإقبال تلك الفضائل
 المخصوصة بالتفضيل ، وقابلها بالثناء الذي إذا مرّ بالمندل الرطب جرّ عليه من كأم
 اللطف وكمه ^(١) فضل المنديل ، وتأملها بطرفٍ ما خلا من تصوّر محاسن صديق ولا أخلّ
 بما يجب من التلفت إلى خليل ^(٢) ، وشاهد منه الروضة الغناء ، بل الدوحة الفيحاء ،
 بل الطلعة الغراء ، فوجدها قد تسرّبت من المحاسن البديعة بأحسن سريال ، وتخلّت
 من المعاني البديهة بما هو أحلى في عين الحبّ المهجور وقلبه من طيف الخيال . لكن
 مولانا غاب عن مملوكه غيبةً ما كانت في الحساب ، وهجره وهو من خاطره بالحلّ الذي
 يظنه ^(٣) إذا ناداه بالأشواق أجاب ، واتخذ بدعة الإعراض عن القائم بفرض الولاء سنّه ،
 واشتغل عن له عين رضى عن نسيان ماضى ^(٤) من كيلة ودمنه ، فخشي المملوك من
 تطاول المدّة ، وخامر قلبه تقلبات الأيام ، فخاف أن تبقى أسباب المقاطعة ممتدّة ،
 ووثق بما يتيقن من حسن الموافاة ويعتقد ، فاقضى حكم التذكار لطف الاختصار ^(٥) ،
 توصلاً إلى تفقّد التودد ، ومن عادات السادات أن تفتقد بذكر أيام خلت ^(٦) مسرةً
 وهناء ، وليالٍ أحلى من سواد الشباب ، أولت بوصال الأحباب اليد البيضاء .

(١) في الوافي : « كأم كمه » .

(٢) في الوافي : « مودة خليل » .

(٣) في الوافي : « يظنه أنه » .

(٤) ليست في الوافي .

(٥) (ق) ، والوافي : « الاختصار » .

(٦) في الوافي : « تذكر أيام حلت » .

لو أن ليلات الوصال يَعُدْنَ لي كانت لها روح الحب فداءً

فيالها من مليحة أقبلت بعد إعراضها ، ولطيفة رَمَقَتْ بإيماء جفن مواصلتها
وإيماضها ، وبديعة استخرج غَوَّاصٌ معانيها من بحار معانيها^(١) كلُّ دره^(٢) ، وصنيعة^(٣)
أبدى نظام لآليها من غُرر أيادها أجل غره ، ورفيعة جددت السرور وشرحت الصدور
فَعَلَتْ بما فعلت إكليل المجرة ، ومتطولة رَغَبْتُ المقصر فيما يختصر وَحَبَّيْتُ ، ومتفضلة
قَضَتْ بحق تفضيلها على ماسبق وأوجبت :

مودتها في مهجتي لا يزِيلها بعاد ولا يُبلي الزمانُ جديدها

والله يشكر ما خوله^(٤) من فضل هذه المعالي والمعاني ، ويمتّع بفضائله التي تغني
أغانيها عن الثالث والثاني .

وبيني وبينه مكاتبات ومراجعات غير هذه ، وقد أوردت شيئاً من ذلك في كتابي
(ألحان السواجع) .

وأخبرني يوماً أنه زار قبر طقصبا المذكور فوجد قبره قد نبت به أنواع من الزهر ،
وطلب مني نظم شيء في ذلك فأنشدته أنا لنفسي :

بنفسي حبيب قبره راح روضة خائلها مسروقة من مخايله
دَرَى أَنَّهُ لا صَبْرَ للناس بَعْدَهُ فأهدى لهم أنفاسه في شاميله

وأنشدته أيضاً لنفسي :

لا تنكروا زهراً من حَوْلِ تربته أضحى نسيم الصبا من نشرها عطرا
هذه محاسن ذاك الوجه غيرها بطن الثرى فاستحالت فوقه زهرا

(١) في الوافي : « معاليها » .

(٢) في الوافي : « ذرة » .

(٣) في الأصل : « وصيفة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .

(٤) في الوافي : « حواه » .

وأنشدته أيضاً لنفسه :

أفدي حبيباً غدا في الترب مضجعة وفيه لذّ لجفني الدمع والسهر
تحكي نجوم السما أزهار تربته لأنّ طلعتْهُ تحت الثرى قمر
وأنشدني هو لنفسه في ذلك ..

٤٣٢ - أبو بكر بن محمد بن محمود*

ابن سلمان بن فهد ، القاضي الكاتب الرئيس البليغ شرف الدين بن القاضي شمس الدين بن القاضي شهاب الدين ، كاتب السرب بالشام ومصر وابن كاتب السرب بالشام وابن كاتب السرب بالشام ، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر والده وجدّه في مكانيهما من حرف الميم .

كتب الخطّ الذي فاق ، وسارت بأبناء محاسنه الرفاق ، وتسرع ليتعلم لطفه النسيم الخفاق ، وأبرزه مثل النجوم الزهر ، فما تطلع منه كوكب إلا فاق في الآفاق ، اتقن الرّقاع ومزجه بالنسخ فجاء بديع المنظر ، رائق المرأى قد سمج ورد الخد الأحمر لما تسيج بأس العذار الأخضر ، وجود النسخ والثلث فما داناه فيها كاتب في زمانه ، وأبرزها من القوة والصفاء في قالب يودّ لو تقطه الطرف بإنسانه ، لو عاصره ابن البواب لكان مثل أبيه^(١) على بابه ، أو ابن مقلّة لعلم أنه ما يرضى به أن يكون من أضرابه ، أو ابن العديم لعدم رقة حاشيته ، وتطفل مع الوزارة لأن يكون من^(٢) جملة حاشيته ، هذا إلى نظم يترقق زلاله ، ونثر يفيء على نهر الطروس ظلّاله ، قد درّب كتابة المطالعة ومهر ، وزاد على إتقان أبيه وجدّه فيها وظهر ، هذا إلى شكل قل أن ترى مثله العيون ، أو تقتضى من غير محاسنه ديون ، وكرم نفس يخجل الغمام ، ولطف شمائل تفرد بالثناء عليها خطباء الحمام ، وحفاظ ودّ ، ووثوق عهد وسلامة باطن ، وبراءة من الخبث الذي تراه وهو في كثير من الناس مباطن .

* الوافي : ٢٥٩/١٠ ، والدرر : ٤٦٤/١ ، وذيل العبر : ٢٢٨ .

(١) (خ) : « ابنه » ، تصحيف .

(٢) (خ) : « في » .

ولّى كتابة السرّ بدمشق بعد القاضي محيي الدين بن فضل الله ، لأن القاضي علاء الدين بن الأثير لما انقطع بالفالج في سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، طلب السلطان القاضي محيي الدين وولده القاضي شهاب الدين والقاضي شرف الدين وولاه كتابة السر بدمشق ، وأجلسه قدامه بدار العدل بقلعة الجبل ، وقرأ قدامة القصص ووَقَّعَ عليها في الدست ، ورسم له أن يحضر دار العدل في دمشق ، وأن يوقَّع على القصص بين يدي الأمير سيف الدين تنكز ، فهو أول كاتب سرّ جلس في دار العدل ، ولم يكن كتاب السرّ يجلسون قبل ذلك في الخدمة ، فباشَرَ ذلك .

وكان إذا توجه مع نائب الشام إلى مصر يُخَضِّرُهُ السلطان قدامه ويخلع عليه وينعم عليه ، وكان يعجبه شكله كثيراً ويقول لألجاي^(١) الدوادار : يا ألجاي ، هذا شرف الدين كأنه وَلِدٌ مَوْقَعًا . ويروق له شكله وسمته ، ويُعجبه لباسه .

فلما توجه مع الأمير سيف الدين تنكز سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ولّاه السلطان كتابة سرّ مصر ، وجهز القاضي محيي الدين وأولاده إلى دمشق ، وتوجّه القاضي شرف الدين مع السلطان إلى الحجاز ، ووَقَّعَ بينه وبين الأمير صلاح الدين الدوادار^(٢) ، وطال النزاع بينهما وكثرت المخاضات ، ودخل الأمير سيف الدين بكثر الساقى رحمه الله تعالى بينهما وغيره ، فما أفاد ، فقلق القاضي شرف الدين وطلب العود إلى دمشق ولم يقرّ له قرار ، فأعاده السلطان إلى دمشق ، وطلب القاضي محيي الدين وأولاده إلى مصر وأقرهم على ما كانوا عليه . وكانت ولايته كتابة السر بمصر تقدير ثمانية أشهر ، ولما عاد فرح به تنكز وقام له وعانقه وقال له : مرحباً بمن نجّبه ويحبّنا ، [وأقام]^(٣) تقدير سنة ونصف ، ووقع بينه وبين حمزة التركاني الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الحاء مكانه ، فأوحى إلى تنكز ما أوحاه من المكر الخديعة والافتراء ،

(١) في الوافي : « لطاجار » .

(٢) يوسف بن أسعد ، وستأتي ترجمته .

(٣) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .

فكتب تنكز إلى السلطان ، فعزله بالقاضي جمال الدين عبد الله بن كمال الدين بن الأثير^(١) ، وبقي في بيته بَطْلاً مُدَّةً ، فكتب السلطان إلى تنكز يقول له : إِمَّا أَنْ تَدْعَهُ يَوْعَ قَدَّامِكَ وَإِمَّا أَنْ تَجْهَزهَ إِلَيْنَا ، وَإِمَّا أَنْ تَرْتَبَ لَهُ مَا يَكْفِيهِ ، فَرتَّبَ لَهُ ثَلَاثَ مِئَةِ دَرَاهِمٍ وَثَلَاثَ غُرَائِرَ ، وَلَمَّا أُمْسِكَ تَنَكَّزَ رَسَمَ السُّلْطَانُ أَنْ يَكُونَ مَوْعَعًا فِي الدَّسْتِ بِدَمَشَقَ وَوَلَدَهُ شَهَابُ الدِّينِ الْمَقْدَمُ ذَكَرَهُ كَاتِبُ دُرُجٍ ، فَاسْتَرَّ^(٢) عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَوَلَّى الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلَ ، فَوَلَّاهُ وَكَالَةَ بَيْتِ الْمَالِ بِالشَّامِ مَضَافًا إِلَى مَا يَدُّهُ ، فَأَقَامَ فِي الْوَكَالَةِ سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا ، ثُمَّ إِنَّهُ تَوَجَّهَ إِلَى الْقُدْسِ لِلْوُقُوفِ عَلَى قَرْيَةٍ يَشْتَرِيهَا الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ الْمَلِكُ لِيَوْقِفَهَا عَلَى جَامِعِهِ بِالْقَاهِرَةِ ، فَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَجَاءَ ، لِأَنَّهُ دَخَلَ إِلَى بَيْتِ الْخِلَا ، فَمَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا إِلَى سَرِيرِ الْبَلَى .

ووفاته رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وتسعين وست مئة .

وكان رحمه الله تعالى عنده تَجَمُّلٌ كَثِيرٌ زَائِدٌ فِي أَكْلِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَرْكُوبِهِ ، وَكَرَمُ نَفْسٍ^(٣) ، وَفِيهِ تَصَمِيمٌ وَبَسْطٌ^(٤) إِذَا خَلَا بَنَ يَثْقُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ فِيهِ خَوَاصٌ ، مِنْهَا أَنَّهُ يَحْلِقُ رَأْسَهُ بِالْمَوْسَى بِيَدِهِ ، وَيَلْفُ شَاشَةً عَلَى طَاقِيَّةٍ مِنْ غَيْرِ قُبْعٍ فَرَدَّ مَرَّةً وَيَصْلَحُهَا بِيَدِهِ^(٥) ، وَهِيَ عَلَى رَأْسِهِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَهِيَ مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ ، وَكَانَ شَدِيدَ الْقَوَى ذَاهِمَةً وَبَطْشَ .

أَنشَدَنِي^(٦) مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ :

(١) (ت ٧٧٨ هـ) ، الشذرات : ٢٥٧/٦ .

(٢) (ق) ، (خ) : « فاسترا » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « نَفِيس » ، وَثَبَّتْنَا مَا فِي (ق) ، (خ) ، وَالْوَاقِي .

(٤) فِي الْوَاقِي : « وَبَسْطَةٌ » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « يَد » ، وَثَبَّتْنَا مَا فِي (ق) ، (خ) .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « أَنشَد » ، وَثَبَّتْنَا مَا فِي (ق) ، (خ) .

وضاقَ عَمَّا أَرْجَى مِنْكُمْ أُمْلَى
نَارٍ تَوْجِجُ فِي الْأَحْشَاءِ ذِي شَعْلٍ
وَأَنْتُمْ عَنْهُ فِي لَهْوٍ وَفِي شَغْلٍ
إِنْ لَمْ يَكُنْ صَدَمٌ عَنِّي إِلَى أَجَلٍ

وَاللَّهُ قَدْ حَزَّتْ فِي حَالِي وَفِي عَمَلِي
أَبَيْتَ وَالشَّوْقُ يُذَكِّي فِي الْفُؤَادِ لَظِي
وَيَصْبَحُ الْقَلْبُ لَا يَلْهُوُ بِغَيْرِكُمْ
اللَّهُ فِي مَهْجَةٍ قَدْ حَثَّهَا أَجَلٌ

وَأُنْشِدُنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ :

عَلَيْهِ بِهِ لِلْحُسْنِ مَعْنَى وَرَوْنَقُ
يَجُولُ بِهِ مَاءُ الْحَيَاةِ الْمَرْوَقُ
إِلَى أَنْ تَبْدَى مِنْهُ خَصَرٌ مَمْنُطَقُ^(١)
تُعَلِّمُ سَالِيَهُ الْغَرَامَ فَيَعِشَقُ

عَلَى خَدِّهِ الْوَرْدِيُّ خَالٌ مَمْنَقُ
وَفِي ثَغْرِهِ الْبَدْرُ النِّظِيمُ مَنُضَّدُ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ حُبِّهِ مَا الْهُوَى
عَلَيْهِ مِنَ الْحُسْنِ الْبَدِيعِ دَلَائِلُ

و^(٢) أُنْشِدُنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ :

يَفُوقُ عَلَى الْبَدْرِ الْمَنِيرِ بِهِ حُسْنًا
مِعَاطِفَةُ النَّشْوَى وَالْحَاضَةِ الْوَسْنَى
فَمَا أَرْخَصَ الْجَرْحَى وَمَا أَكْثَرَ الطَّعْنََا^(٣)
وَلَيْسَ بِهِ لَكِنَّهُ قَارِبَ الْمَعْنَى

رَأَتْ مُقْلَتِي مِنْ وَجْهِهِ مَنْظَرًا أَسْنَى
غَزَالٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ أَصْلٌ بَلِيقِي
رَنَّا نَحُونَا عَجَبًا وَمَاسَ تَدْلَلًا
لَهُ مَبْسَمٌ كَالدَّرِ وَالشَّهْدُ رَيْقُهُ

وَأُنْشِدُنِي يَوْمًا مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ مَلْغَزًا فِي « لَيْل » :

وَإِذَا فَكَّرْتُ لِي ثَلَاثَاهُ^(٤)
لَكَ مِنْهُ مُصَحَّفًا طَرْفَاهُ

أَيُّهَا اسْمُ يَغْنَى الْأَنْثَامِ جَمِيعَا
أَنْ تُزِلَ فِي هَجَائِهِ مِنْهُ حَرْفَا

(١) (ق) ، (خ) : « قَبْلَ حُبِّهِ » ، وَهِيَ أَشْبَهُ .

(٢) بَيَاضٌ فِي (خ) يَنْتَهِي بِنَهَايَةِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ .

(٣) فِي الْوَاقِفِ : « الطَّعْنَى » ، وَهِيَ ضَعِيفَةٌ .

(٤) (خ) : « وَإِذَا مَا » .

فأنشدته أنا لنفسي ملغزاً في « فيل » :

أَيُّهَا اسم تَرْكِيئُهُ من ثَلَاثَ
حَيَوَانٍ وَالْقَلْبُ مِنْهُ نَبَاتٌ
فَكَيْفَ تَصْحِيفُهُ وَلَكِنْ إِذَا مَا
وَأَنْشَدَنِي يَوْمًا لِنَفْسِهِ :

بَعَثْتُ رَسُولًا لِلْحَبِيبِ لَعْلَهُ
فَلَمَّا رَأَاهُ حَارَ مِنْ فَرْطِ حُسْنِهِ
فَأَنْشَدْتَهُ أَنَا لِنَفْسِي :

بِي غَزَالٍ لَمَّا أَطَعْتُ هَوَاهُ
أَخْذَ الْقَلْبِ وَالتَّصَبُّرِ غَضْبًا
مَا أَفَاقَ الْعَذُولُ مِنْ سَكْرَةِ الْعَذِّ
لِ عَلَيْهِ حَقٌّ غَدَا فِيهِ صَبًّا
وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ يَطْلُبُ مِنِّي الْحُضُورُ إِلَى دِمَشْقَ لِيَجْهَظَنِي إِلَى الرَّجَبَةِ
مَوْقِعًا :

يَا فَاضِلًّا فخر الوري بجلاله^(١)
فَقَلُّوبُنَا مِنْ شَوْقِهَا جَمْرَاتُهَا
فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ تَبَرِّ فَضْلِكَ فَضْلَةً
وَعَلَا عَلَى أَفْقِ الْعُلَا بِجَلَالِهِ
لَمْ يُطِفْهَا بِالدمع فيض سجاله
يَغْنَى بِهَا الْمَضْرُورُ عِنْدَ سَوَالِهِ
فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ :

شَرَّفَ دِمَشْقَ أَنْ ارْتَضَيْتَ بِزُورَةٍ
فَلَقَدْ مَلَأَتْ دِيَارَ مِصْرَ فُضَائِلًا
إِنْ الْكَرِيمُ هُوَ الْجِسَادُ عَلَى الَّذِي
وَاشْفِ الْجَوَى مِنْ كُلِّ قَلْبٍ وَآلِهِ
كَمْ فَاضٍ مِنْهَا النِّيلُ عِنْدَ نَوَالِهِ
قَدْ رَاحَ يَسْأَلُ مَالَهُ فِي مَالِهِ

(١) في الأصل : « بجلاله » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

قَمِ فِي الدَّجَى حَتَّى الصَّبَاحِ وَوَالِهِ
وَأَمِلْ بِمَا تُمْلِيهِ أَعْطَافَ الْوَرَى
وَأَسْجَعْ فَإِنَّكَ مَا بَرَحْتَ مَطْوَقاً
مَوْلَى غَفَلْتَ وَنُمْتَ عَنْ لَيْلِ الْمُنَى
وَاسْتَاقَهَا غُرّاً إِلَيْكَ وَأَنْتَ لَمْ
وَالْبَرَّ أَفْضَلَ مَا أَتَى عَفْواً وَلَمْ
هَذَا هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي فَضَحَ الْحَيَا
تَلْهُو بَنُو الْأَمَالِ عَنْ مَطْلُوبِهَا
كَرِّمْ يَفِيضُ عَلَى الْعَفَاةِ سَحَابَةً
لِلَّهِ سَعْيُكَ فِي الْمَعَالِي إِنَّهُ
وَعَدَا يَجْرَى عَلَى الْحِجْرَةِ سَاحِباً
وَسَعَى فَأَدْرَكَ غَايَةً مِنْ أُمِّهَا
مَا عَاقَ نَائِلُهُ عَنِ الْعَافِي مَدَى
يَا آلَ مُحَمَّدٍ لِيَهْنَأَ مَجْدُكُمْ
أَقْسَمْتُ مَا لَشَبَا السُّيُوفِ إِذَا مَضَتْ
كَلّاً وَلَمْ يَرْقُطْ بَجْراً مَدّاً مِنْ
خَطِّ أَظُنُّ الرُّوْضَ جُودَ عِنْدَمَا
وَتَلَفَّظَ إِنَّ قُلْتَ سَحَرٌ لَمْ يَسْعَ
وَخَلَائِقُ كَالرُّوْضِ أَهْدَى نَشْرَهُ
وَسِيَاسَةً طَاشَ الْعَدُوُّ لَهَا وَقَدْ
فَاللَّهُ يَحْرُسُ لِلزَّمَانِ بَقَاءَهُ

بِدُّعَا يَقُوهُ بِيَعُضَ حَقِّ نَوَالِهِ
وَاحْمَدُ أَبَا بَكْرٍ عَلَى أَفْضَالِهِ
إِمَّا بَضَافِي جَاهِهِ أَوْ مَالِهِ
فَأَبَى وَصِيَّهَا شَوَاغِلَ بَالِهِ
تَحْتَجُّ إِلَى تَحْرِيكِهِ بِسْؤَالِهِ^(١)
تَقْبُضُ يَدُ الرَّاجِي حِبَالَ نَوَالِهِ^(٢)
وَسَمَا بِجَدْوَاهِ عَلَى هُطَّالِهِ
عِلْماً بِأَنْ لَهُمْ كَرِيمَ خِلَالِهِ
وَيَسْحُ وَأَبْلُهُ عَلَى اسْتِرْسَالِهِ
جَعَلَ الثَّرِيَّاءَ فِي عِدَادِ نِعَالِهِ
يَوْمَ الْفَخَارِ الْفَضْلَ مِنْ أَذْيَالِهِ
قَامَتْ ذُرَارِيهَا مَقَامَ دُبَالِهِ
وَعُدِيَ وَلَا شَانَ الْعَطَا بِمَطَالِهِ^(٣)
شَرَفَ أَنْفَ عَلَى الْوَرَى بِجَلَالِهِ
فِي يَوْمِ مَعْرَكَةِ جِلَادُ جِدَالِهِ
أَمْوَاهِهِ مَا بَثَّ مِنْ أَمْوَالِهِ
شَقَّتْ كَامَ الزَّهْرِ تَحْتَ مِثَالِهِ
خِي أَنْ يَكُونَ حَرَامٌ ذَا كَحَلَالِهِ
مَرَّ النَّسِيمِ عَلَى ذَوَائِبِ ضَالِهِ
سَكَنَ الْوَلِيِّ وَقَرَّ مِنْ زَلْزَالِهِ
وَيَمْتَعُ الدُّنْيَا بِفَضْلِ كَالِهِ

(١) فِي الْأَصْلُ : « وَأَسَاقَهَا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (خ) .

(٢) (ق) ، (خ) : « مَنَالَهُ » .

(٣) فِي الْأَصْلُ : « الْعَامِي » ، تَصْحِيفٌ .

وكتب هو إليّ ونحن على الأهرام صَحْبَةَ الرُكَّابِ الشَّرِيفِ مَلْفِزاً فِي « الْقِرْطِ » :

حُلَّتْهُ مُقَوِّفُهُ	مَا اسْمُ ثَلَاثِي تَرَى
فِيهِ وَصَحْفٌ أَحْرَفُهُ	أَعْمَدُ إِلَى تَرْكِيبِهِ
عَوْدُ بِهِ مَنْ قَطَفَهُ ^(١)	تَجَدُّ جَنَى يَبْطِئُ فِيهِ
مِنْ بَعْدِ أَنْ تُحَرِّفُهُ	وَأَعْكُسُهُ إِنْ تَرَكْتُهُ
بَيْنَ الْوَرَى مُخْتَلِفُهُ	تَجَدُّ ^(٢) بِهِ ذَا طَرُقِ
يُعْجِزُ مَنْ قَدْ وَصَفُهُ	أُبْنَةُ يَامِنْ فَضْلُهُ

فَكَتَبْتُ أَنَا إِلَيْهِ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ :

رَبُّ الْعَلَا وَشَرْفُهُ	يَاسِيداً قَدْ زَانَهُ
أَقْلَامُهُ الْحَرْفُهُ	وَقَدَّرَ الصَّوَابَ فِي
يَطْلُبُهُ وَعَرَفُهُ	وَأَوْضَحَ الْفَضْلَ لِمَنْ
صِفَاتُهُ مَسْتَظَرَفُهُ ^(٣)	أُبْدَعَتْ لَغْزاً حَسْناً
رَبَّعَ رَبٌّ مَعْرِفُهُ	مَثَلَتْ الْحُرُوفُ كَمْ
بِهَيْئَةٍ مُشَرَّفُهُ	خُضِرَتْهُ يَآنِعُهُ
وَوَجَنَةً مُزْخَرَفُهُ	كَمْ زَانَ أَرْضاً أَقْفَرَتْ
آيَاتُهَا مَشْرَفُهُ	فَالثَلَاثُ مِنْهُ سُورَةُ
أَرْضُ وَذَلِكَ مَغْرَفُهُ	بَلْ جَبَلٌ أَحَاطَ بِالْ
كِلَيْهِمَا فِي طَرَفِهِ	وَانْظُرْ لثَلَاثِيهِ تَجَدُّ
مِنْ فِي الرِّيَاضِ مَطْرَفُهُ	بَقِيَتْ مَا جَرَّ النِّسِي
مِنْ النِّعَمِ عُرْفُهُ ^(٤)	فِي ظِلِّ سَعْدٍ يَرْتَقِي

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَقْطَعُهُ » ، تَحْرِيفٌ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (خ) .

(٢) (ق) ، (خ) ، وَالْوَاقِي : « تَرَى » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : مَسْتَظَرَفُهُ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي : (ق) ، (خ) ، وَالْوَاقِي .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « عَرَفَهُ » ، تَصْحِيفٌ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (خ) وَالْوَاقِي .

وكتب هو إلى أيضاً ملغزاً في « حلفا » :

يا ماجداً نَجْهَدُ في وصفه
مَا اسْمٌ إِذَا مَا رَمَتْ إِيْضَاحَةً
وهو رِبَاعِيٌّ وفي لَفْظِهِ
صَحْفَهُ وَاحِدٌ رُبْعُهُ تُلْفِيهِ
وهذه البلدة تصحيفها
وإن تصحّف بعضها فهُيَ مَا
وذلك الاسم على حاله
لم ير ذا حربٍ وكم شبّ من
وإن تشأ صحفه وانظر تجد
أبْنُهُ يَسَامِنْ فِكْرُهُ لم يزل
لأزلت تُبْدي للورى كلّ ما

وَفَضَّلَهُ مِنْ بَعْدِ ذَا أَوْفَى
عَزٌّ وَعَنْ فِكْرِكَ لَا يَخْفَى
تراه حقاً ناقصاً حَرْفاً
مَدِينَةً كَمْ قَدْ حَوَتْ لُطْفًا
خلق يفوت الحدّ والوصفا
زالت تُرَى في أذنٍ شَنْفًا
حَرْفَهُ يَرْجِعُ لِلصَّبِيِّ جَلْفًا^(١)
نَارٍ لغير الزرع مَا تُطْفَأُ
خلقا سويا قطُ مَا أَغْفَى^(٢)
يرفع عن بكر النهى سَجْفًا
يستوقف الأسماع والطرفا

فكتبت أنا إليه الجواب [عن ذلك]^(٣) :

يَا سَيِّدَا أَلَسُنْ أَقْلَامِيهِ
وَمُخْسِنَا مَا زَالَ طَيْبُ الثَّنَا
أَلْغَزْتَ شَيْئاً لَمْ يَلِنْ مَسَّهُ
وَمَقَرَّدٍ إِنْ أَلْفَ عَوَّضَتْ
ونصفه حَلٌّ وَإِنْ تَحْذِفُ الـ
وَلَيْسَ بِالْبَدْرِ عَلَى أَنَّهُ

كَمْ صَرَفْتُ عَنْ عَبْدِهِ صَرْفًا
عَلَيْهِ حَتَّى زَيْنَ الصَّحْفَا
فَرَّاحَ إِنْ صَحَّفْتَهُ جَلْفَا
أَوْلَاهُ يَرْجِعُ بَعْدَ ذَا أَلْفَا
أَوَّلَ مَنْ أَحْرَفَهُ لَفًّا
بِالْإِلِّ كَمْ قَدْ نَزَلَ الطَّرْفَا

(١) في الوافي : « حلفا » ، تصحيف .

(٢) (خ) : « ما يخفى » .

(٣) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .

أَمَانَنَا فِي بَرِّ مِصْرَ وَإِنْ
 كُشَّاجَا فِي الْحَالِ وَالرَّفَا
 مَا نَظَمَ الشَّاعِرُ أَوْ قَفَا
 وَرَاحَ بِالإِقْبَالِ قَدْ حَقَّا^(١)
 وَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ مَلْفَزًا فِي « الْهَوَاءِ » :

أَيَا مَا جَدَا مَا وَهَى فَضْلُهُ
 أَبْنُ أَيْمًا اسْمُ خَفَى مَنْظَرًا
 وَلَا وَزْنَ فِيهِ وَفِي وَزْنِهِ
 فَكُتِبْتُ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ عَن ذَلِكَ :

أَيَا مَنْ تُقَصِّرُ أَمْدَاحَنَا
 كَأَنَّكَ الْغَزْتَ لِي فِي الَّذِي
 إِذَا مَرَّ فِي الرُّوْضِ خَرَّتْ لَهُ
 يَمَدُّ وَيَقْصُرُ فِي لَفْظِهِ
 وَأَوْصَافُنَا فِيهِ عَمَّا حَوَى
 غَدَا وَلَهُ النُّشْرُ فِيمَا انْطَوَى
 غُصُونُ الْأَرَاكِ وَبَانَ اللَّوَى
 فَلِلْجَوِّ هَذَا وَذَا لِلْجَوَى

وَكُتِبْتُ أَنَا إِلَيْهِ وَهُوَ بِدِمَشْقَ ، وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ بِصُفْدٍ وَقَدْ جَهَّزْتُ إِلَيَّ نَقْدَةً ذَهَبَ :

يَا نَسْمَةً لِأَحَادِيثِ الْحُمَى تَقَلْتُ
 خَطَرْتُ مَا بَيْنَهَا فَاعْتَادَهَا طَرَبُ
 فَإِنْ تَكُنْ فَهَمْتُ مَعْنَى ظَفَرْتُ بِهِ
 قَدْ كَانَ لِلْمَسْكَ أَنْفَاسٌ تَضُوعُ شَدَا
 بِاللَّهِ كَيْفَ أَحْبَائِي الَّذِينَ نَأَتْ
 أُمَلْتُ قَضْبَ اللَّوَى مِنْ بَعْدِ مَا اعْتَدَلْتُ
 فَرَنْجَتْ عِطْفَهَا بِالسَّكْرِ وَانْفَتَلْتُ^(٢)
 فَعَذَرُهَا وَاضِحٌ فِي كُلِّ مَا فَعَلْتُ
 فَمَذَاتِيَّتِ بِأَخْبَارِ الْحُمَى خَمَلْتُ
 بِي الْمَسَاكِلُ عَنْ أَقْرَابِهِمْ وَخَمَلْتُ

(١) في الأصل : « جفا » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٢) في الأصل : « ويلقى » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٣) (خ) : « واعتدلت » .

قد كنت أبديت أعذاراً لقلبي فال
وهل عفا الله عنهم حال عهدهم
أهاً من البُعْد أهاً إن لي كبداً
وأذمعاً إن جرى ذكر الوصال جرت
ومهجة سئلت لو كان ينفعها
وعزمة عاقها حظ به ابتليت
أشكو الليالي ومالي في الوري حكّم
يادهر هل نهض منك الجبال بما
يادهر إن عادت الأيام تجمعنا
وإن ظفرت بلثم التراب بين يدي
ذاك الذي إن علت زهر الكواكب في
ذاك الذي لا أرى إلا سجيته
ذاك الذي خلقت للجود راحته
أقول إذ عمني بالتبر نائله
مكارم فهمت ما أشتكي فهمت
كم نلت خمس ميء من بعد خمس ميء
ماذا ترى في أياد ما أقابلها
لولا علا شرف الدين التي بهرت
أقلامه الحمر من صون الممالك لو
تهتز في كفه من فوق مهرقها
وكان فيما مضى للسحر ترجمة

بقاء من بعدهم بالله هل قبلت
فهبتي من انشنت عنهم ولا انتقلت
تضرمت بلغي الأشواق واشتعلت
شؤونها فتخال السحب قد هطلت
بأي ذنب على التحقيق قد قيلت^(١)
لولاه كانت على المطلوب قد حصلت
يكف عني عواذها التي اتصلت
نهضت فيك من البلوى أو احتملت
غفرت ما علمت مني وما جهلت
من أرتجي زالت البأساء وارتحلت
محلها تلقها عن ترابه نزلت
على الهدى والتقى والبر قد جبلت
ففاقت الغيث إذا يهمل وما احتفلت
هذا إلى السحب إن جادت وإن بخلت^(٢)
وهمة فعلت ما لم يطق فعلت
كذا أعدّها يوماً وما انفصلت
بالشكر إلا أراها وهي قد فضلت
كانت شمس الندى والفضل قد أفلت
تكون سطوتها للبيض ما نكلت
لأنها من معاني لفظه ثملت
حتى تكلم أضحت وهي قد بطلت

(١) (ق) : « سالت لو » ولا وجه لها ، وفي الأصل : « قبلت » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ،

(خ) .

(٢) (خ) : « جارت » ، تحريف .

عبارة هي أندى من نسيم صبا
وأسطر إن أقل مثل العقود فما
واوحتنا لحيّاه الذي نقصت
فلست أحسد إلا من تكون له
هل الليالي تريني نور طلعتة
ييال محمود لاثلت عروشم
ولا تنزل منكم الأعناق حاليّة

فكتب هو إليّ الجواب عن ذلك :

يافاضلاً منه أقمار العلا كملت
ومن محاسنه للناس قد بهرت
لله درّ قوافٍ قد بعثت بها
لقد أطاعتك أنواع البلاغة في
وما أظنك إلا قد بعثت لنا
فالله يشكر إحساناً جَبُوتَ به
ما إن وَعَت أذنٌ معنَى بلاغتها
فالزهر قد أطلعتُ والدرّ قد نظمت
شوقي إليك صلاح الدين ما علمتُ
وهل يحسّ جادّ بالذي فعلت
وما أظنّ النوى أمست تزيد على
كأنني بك قد أقبلت مُنتصراً

مرّت على زاهرات الروض وانصقلت^(١)
أرى العقود إلى تلك العلا وصلت
لحسنه طلعة الأقدار إذ كملت^(٢)
عين بمرآه دوني في السورى كحلت
فربما غلظت وربما عدلت
ولا ذوت زهرة منكم ولا ذبلت^(٣)
فإنها إن خلت من فضلكم عطّلت

وعنه آثار أرباب النهى اتّصلت
ومن مكارمه كلّ السورى شملت
طالت وعنها نجوم الأفق قد نزلت
ما قد أشرت من الترتيب وامثلت
خميلةً عندها زهر الدجى خملت
فإن أياديك أنواء الحيا خجلت
إلا وأمست بها الأعطاف قد ثملت
والزهر قد فتحت والسحر عنك تلت
بشّرحه ألسن الأعلام بل جهلت
بي النبوى وعليه أضلعي اشتلت
هذا وقد فعلت فينا الذي فعلت
يوماً على فئة بالحق قد خذلتُ

(١) (ق) ، (خ) : « زهرات » .

(٢) في الأصل : « التي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « غروشم » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

عصابة الجور عما فيك وانخزلت
وما التجلد إلا رتبة نبلت
ما حرك الغصن أعطافاً قد انفتلت

وقد تراجع فيك الدهر واتقطعت
فاصبر فما الصبر إلا شمة كزمت
والله يُقيـِّمُكَ في خَيْرٍ وفي دَعَاةٍ
وكتبت إليه :

فلو رأتها بُدور التّم لا فتضحت
تقلدت بالنجوم الزهر وأتشت
أعطافها وهي سكرى بالشباب صحت
ما ضرّ تلك الصفاح البيض لوصفت^(١)
عني وأعطفها بالعُتب إن جمحت
وقال كيف حلّت في غادة ملحت^(٢)
تجارة الحب في روعي وما ربح
أهلاً بها وبما منّت وما منحت
روضٍ على مثل عطفيها ولا صدحت
رأيتها فوق حُسن الغصن قد رجحت
لكنها وردة بالطلّ قد رشحت
فيها ولو جنحت نحو الوفا نجحت
أزاهر قد طفت في لجة طفحت
كأنه شفة للكاس قد فتحت
وجمرة البرق في فحم الدجى قدّحت^(٣)
فكلما لفحت ريح الصبا نفحت^(٤)

وفى لها الحسن طوعاً بالذي اقترحت
كأنما البدر في ليل الذوائب قد
صحت على سقم أجفانها وكذا
تفري حشاي وتغنيها لوحظها
مهاة حسن أداريها إذا نفرت
قد حار في وصف أغزالي العذول بها
بذلت في وصلها روعي فقد خسرت
زارت ل تمنحني من وصلها منناً
أقسمت ما سجت ورق الحمام في
وكلاً اعتدلت بالليل قامتها
وما اكتسى خدّها من لؤلؤ عرقاً
ولي أمانئ نفس طالما كذبت
وربّ ليل خفيف الغيم أنجمه
يتلو الهلال الثريا في مطالعها
وللنسيم رسالات مُردّدة
والزهر قد أوقدت منه مجامرة

(١) في الأصل : « تغري » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « أغزالي » « عادة » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « وحررة » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٤) في الأصل : « ألفت » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

تحكي نذاك الشذا الفياح طيب ثناً
سهلُ الخلائق لا والله ما اغتبت
مُسَدَّدُ الرأي لم تقصر إصابته
رقى إلى غاية مآناها أحد
بهمة لجميع الناس عالية
يدبر الملك من مصر إلى حلب
يستعمل الحزم في كل الأمور فكم
خصته عاطفة السلطان فهو بها
حتى لقد نسخت آيات سؤدده
يهذي عداه وليس البدر ينكر مع
أضحت على الجود تبني راحتاه وما
كانت معاني الهدى والجود قد خفيت
وكان للجود أخبار فذ رُويت
لولا الولوع بأن تلقى له شبها
دعني من الوزراء الذاهين فسا
هذا الذي إن تكن آراؤهم فسدت
لا زال يرقى ويلقى السَّعدَ مقبلاً
وماتألق برقٍ ليس يشبهه
فكتب هو الجواب إليّ :

على علا شرف الدين التي مُدحت
بثلها عصبه سكرى ولا اصطحبت
عن الهدى إن دنت قُصواه أو نزحت
ولا سمت نحوها عين ولا طمحت
ونيةً لملك العصر قد نصحت
بعزم كاف به الأيام قد فرحت
قد جدّ لما رأى بيض الطبّا مزحت
يأسو جوانح دهر طالما جُرحت
آيات من قد مضى من قبله ومحت
محله في كلاب الأرض إن نبحت^(١)
زالت كذاك وما انفكت وما برحت
عنا وعن مجده الوضاح قد شرحت
أنباؤه نسيت هاتيك واطّرح^(٢)
لما رنت مقلة للشمس إذ وضحت^(٣)
رأت لواحظهم هذا ولا لحت
فإنها منه بالتأييد قد صلّحت
ما نهلت السحب بالأنواء وانسفت
إلا دماء أعادييه التي ذبحت

حمام الأيك في الأفنان قد صدحت أم نسمة الزهر في الإصباح قد نفحت^(٤)

(١) في الأصل : « يهدي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « فقد رؤيت » ، ولا وجه لها ، وكذلك : « أو طرحت » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « تلقى لها ... أو وضحت » . وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٤) (خ) : « في أفنائها .. قد صدحت » .

أم روضةً دبَّجتها كفُّ ذي أدبٍ غَضُّ لغير صلاح الدين ما صلحت
يا فاضلاً فاق في الآفاق كلَّ سناً بنور طلعتَه الغراء مذلحت
أوحشتنا شهد الله العظيمُ فكم جوارحُ بسيوف السَّقمِ قد جُرحت
فلارعى الله أياماً حوادثها على تَفَرَّقنا قدماً قد اصطلحت^(١)
أهلاً بغادتك الحسناء إن لها محاسناً في بدور التَّم قد قدحت^(٢)
أقسمتُ ما ظفرتُ يوماً بمشبهها قريحَةً من أخي نظم ولا قرحت^(٣)
خريدةٌ ولَدتها فكرةٌ قذفت بالدر من لُجَّةٍ بالفضل قد طفحت
فلا يَرِخْتُ تُرينا كلَّ أونةٍ قصيدةً لو رأتها الشمسُ لا فتضحت

وبيني وبينه مراجعات ومكاتبات غير هذه ، وقد ذكرت ذلك في كتابي (الحان السواجع) .

٤٣٣ - [أبو بكر المُدَّعي]*

في يوم الجمعة سلخ جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ظهر بقرية حطين - وهي من عمل صفد ، بها قبرٌ يُنسَب لشعيب عليه السلام - شخصٌ ادَّعى أنه السلطان أبو بكر المنصور بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ومعه جماعةٌ تقدير عشرة أنفار فلاحين ، فبلغ ذلك الأمير علاء الدين أَلطُنْبغا برناق نائب صفد ، فجَهَّز إليه دوا داره شهاب الدين أحمد وناصر الدين بن البتخاسي^(٤) فأحضره ، فجَمَعَ

(١) (ق) ، (خ) : « قهراً قد » . وهي أشبه .

(٢) في الأصل : « بغادتك » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « قرحت » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

* زيادة من (خ) ، وفي (ق) : « أبو بكر » .

وكان الأولى بالمنصف أن يلحق ماساقه ههنا بترجمة أبي بكر المنصور بن محمد بن قلاوون ، كما فعل غيره من أصحاب التراجم . انظر : الدرر : ٤٦٣/١ .

(٤) (ق) ، (خ) : « بن البتخاسي الجاجب » ، واسمه محمد بن عمر ، وستأتي ترجمته .

له النائب المذكور الناسَ والحاكم ، فادّعى أنه كان في قوص وأن (مؤمن) لم يقتله ، وأنه أطلقه فركب البحر ووصل إلى قُطيا ، وبقي مختفياً في بلاد غزّة إلى الآن ، وأن له دادةً مقيمة في غزّة عندها النجا والقبة والطير . فقال النائب : وأنا كنت في تلك الأيام جاشنكيراً أولاً^(١) ، وكنت أمدّ السماط بكرةً وعشياً وما أعرفك ؟!

فأقام مُصِراً على حاله ، وانفسدت له عقول من جماعة وماشكوا في ذلك ، فطالع النائب بأمره^(٢) السلطان ، فعاد الجواب^(٣) بتجهيزه مُحْتَرِزاً عليه في عشرة نفر إلى غزّة ، فخشبه نائب صفد وجّهزه ، وحَضَرَ مَنْ تَسَلَّمَهُ إلى مُصِر ، ثم حضر بعد ذلك كتاب السلطان يتضمن أن المذكور ظهر كذبه ووُجِدَ مقتولاً بالمقارع ، وأنه سُرَّ وقُطِعَ لسانه ، وكان في هذه الحالة إذا شرب الماء يقول وهو على الخشب : أشرب شَشي ، وإذا رأى أميراً يقول : هذا مملوكي ومملوك أبي ، ويقول : لي أسوة^(٤) بأخي الناصر أحمد وأخي الكامل وأخي المظفر الكلّ قتلتموهم .

وظهر أخيراً^(٥) أنه أبو بكر بن الرماح ، وأنه كان يعمل وكيلاً في بلاد صفد ، وأن شُحْنَةَ^(٦) بعض القرى قَتَلَهُ يوماً فالله الضرب فادّعى ما ادّعى .

قلت : هذا الذي اتفق جرى مثله في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، وتسع وثلاثين وسبع مئة ، وتسع وثلاثين^(٧) وما بعدها ، وهو ظهورُ الذي ادّعى أنه دمرتاش بن جوبان ، وجاء إلى أولاد دمرتاش ونسائه وأهله ووافقوه على ذلك ، والتفّ عليه

(١) ليست في (ق) ، (خ) .

(٢) (خ) : « به » .

(٣) في الأصل و (ق) : « السلطان » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) في الأصل و (ق) : « إخوة » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) في الأصل : « خبرا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٦) لقب يطلق على صاحب الشرطة والموكل بالأمن في بلد من البلاد .

(٧) قوله : « وسبعمئة .. وثلاثين » ليس في (خ) .

جماعة^(١) ، وصارت له شوكة ، وخيفَ على الشام ومصر منه إلى أن كفى الله أمره وقتل :

وكان ظهوره بعد موت دمرتاش بتسع سنين أو ما حولها ، والتبس الحال في أمره حتى على السلطان الملك الناصر حتى إنه نبش قبره وأخرجت عظامه من مكانها براً باب القرافة بقلعة الجبل .

وكان المذكور قد خُنِقَ وقُطِعَ رأسه وجُهِزَ إلى القنان بوسعيد ، وكان يدّعي أنه حصل الاتفاق في أمره وهربَ من الاعتقال من سجن القلعة ، ووصل إلى البحر وركب فيه مركباً وتغيّب إلى أن ظهر ، وأنّ الذي قُتل كان غيّره^(٢) . وليس لذلك صحة أصلاً ، بل الذي قتل وقطع رأسه بمحضور أمراء السلطان ومماليكه الأمراء^(٣) الخوادم الذين لا يتجاسرون مع مهابة أستاذهم على وقوع شيء من ذلك ، وهذا أمر اتفق وقوعه إلى حين تعليق هذه الأوراق ، وهو شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسين وسبع مئة [مرتين]^(٤) ، الأولى هذه والثانية واقعة أبي بكر بن الرّمّاح المذكور آنفاً ، فلا ينكر على^(٥) عاقل وقوع مثل هذه الأمور . وقد قال الإمام أبو محمد بن حزم رحمه الله تعالى [في كتابه]^(٦) (نقت العروس)^(٧) : « أخلّوكة لم يسمع بمثلها ، [أتى رجل]^(٨) يقال له خلف الحضري بعد اثنين وعشرين سنة من موت المؤيد بالله هشام بن الحكم ، ادّعى أنه هشام ، فبويع وخطب له على المنابر بالأندلس ، وسُفكت الدماء ، وتصادمت الجيوش

(١) عبارة (خ) : « ووافق جماعه » .

(٢) ستأتي هذا الخبر في ترجمة دمرتاش ، وانظر الوافي : ٤٠٠/١٠ .

(٣) ليست في (خ) ، وفي (ق) : « الأمراء » .

(٤) زيادة من (خ) يقتضيها السياق .

(٥) ليست في (ق) ، (خ) .

(٦) زيادة من (ق) ، (خ) يقتضيها السياق .

(٧) كشف الظنون : ١٩٧٥/٢ .

(٨) زيادة من (خ) يقتضيها السياق .

وأقام نيّقاً وعشرين سنة . وقال أيضاً : فضيحةٌ لم يقع في العالم مثلها : أربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام في مثلها تسمى كلّ منهم بأمر المؤمنين ، وهم خلف الحضري بإشيبيّة على أنه هشام بن الحكم ، ومحمد بن القاسم بن حمّود بالجريرة ، ومحمد بن إدريس بن حمّود بمالقة ، وإدريس بن علي بن حمّود .

وقال أيضاً في كتاب (المِللُ والنحلُ) : أنذرنا الجفلى لحضور دفن المؤيّد هشام بن الحكم المستنصر ، فرأيت أنا وغيري نعشاً وفيه شخص مكفّن ، وقد شاهد غسّله رجلان شيخان حكّمان من حكام المسلمين من عدول القضاة في بيت ، وخارج البيت أبي رحمه الله تعالى وجماعة عظماء البلد ، ثمّ صلّينا عليه في ألوف من الناس ، ثمّ لم نلبث إلا شهوراً نحو التسعة حتى ظهر حيّاً وبويع بالخلافة ، ودخلتُ إليه أنا وغيري^(١) وجلست بين يديه ، وبقي كذلك ثلاثة أعوام غير شهرين وأيام ، حتى لقد أدّى ذلك إلى توسوس جماعة لهم عقول في ظاهر الأمر ، إلى أن ادّعوا حياته حتى الآن ، وزاد الأمر حتى أظْهَرُوا بعد ثلاث وعشرين سنة من موته على الحقيقة إنساناً قالوا هو هذا ، وسفكت بذلك الدماء وهتكت الأستار وأخلت الديار وأثيرت الفتن .

انتهى كلام ابن حزم رحمه الله تعالى .

وقلت أنا في ذلك :

قد قُتِلَ المنصورُ في قوص واقتَصَّ من القاتل في القاهرة
وبعد اثني عشر عاماً مضت من صفد في عصبة فاجره^(٢)
يطلب ملكاً في يدي غيره وهذه أعجوبة ظاهره

(١) قوله : « وغيري » ليس في (خ) .

(٢) في الأصل و. (ق) : « وجاء بعد » ، وأثبتنا ما في (خ) . وفي (خ) : « أتى من صفد » .

٤٣٤ - أبو بكر ابن القاضي بهاء الدين بن سكره *

ناظر النظار بدمشق . كان رجلاً طَوَّالاً^(١) إلى الغايه ، دقيقاً لا إلى النهايه ، كاتباً متصرفاً ، مائلاً إلى الخير متعرفاً ، متطلعاً في الغدوات والروحَات ، إلى تحصيل الحِسان من الزوجات ، قد جعل ذلك ذابَه ، ولو قَدِر ماترك على ظهرها من دابَّه . أول ما علمته من حاله أنه كان مباشراً في القلاع الحلبية وبعض الثغور ، ثم إنه حضر مع المباشرين في نوبة لولو غلام قندس سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وسلمهم الملك الناصر محمد^(٢) إليه ، فتولَّى عقابهم وصَبَّ على هذا بهاء الدين سَوْط عذاب ، اغلَّ به جسده^(٣) وأذاب ، ثم أخذهم وتوجَّه بهم إلى حلب ، ثم إنني بعد ذلك رأيته في حماة وهو بها ناظر ، وكنا قد توجهنا لتلقي الأمير سيف الدين طقزتمر من حلب لما رَسَم له بنيابة دمشق ، فبالغ في إحسانه ، وتفضل من يده ولسانه . ثم إنه صُرف منها وتوجَّه إلى مصر .

ورسم له بنظر النظار بدمشق ، فحضر إليها^(٤) في أوائل شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وسبع مئة عوضاً عن القاضي مكين الدين بن قروينة ، ولم يستقم له بدمشق حال مع النائب الأمير سيف الدين طقزتمر بواسطة أستاذ داره .

ثم إنه توفي في عاشر شعبان سنة ست وأربعين وسبع مئة - رحمه الله تعالى - ودفن بمقابر الشيخ أرسلان .

وكان قد اعتكف في شهر رمضان بالجامع الأموي ، فأنشدني من لفظه لنفسه القاضي شهاب الدين بن فضل الله :

- * وفيات ابن رافع : ٢٢٥/١ ، والدرر : ٤٦٧/١ ، والذيل التام : ٨٢ ، وفيها : « أبو بكر بن موسى » .
- (١) (خ) : « طوالاً من الناس » .
- (٢) ليست في (خ) .
- (٣) (خ) : « جسمه » .
- (٤) ليست في (خ) .

بدمشق عَجَائِب في الأحاديث مُنْكَرُهُ
العَلِيمُ الَّذِي رَوَى واعتكاف ابن سكره

٤٣٥ - أبو بكر بن محمد بن علي*

الشيخ الفاضل تقي الدين البانياسي الكاتب المجود .

كان كاتباً جيداً فاضلاً ، له نظم ونثر . انتفع الناس به وكتبوا عليه ، وله أخلاق حسنة ، وكان مقيماً بالمدرسة الجاروخية .

توفي رحمه الله تعالى في ثامن ذي الحجة سنة ست وثلاثين وسبع مئة .
ومولده تقريباً سنة ستين وست مئة .

٤٣٦ - أبو بكر بن بلبان**

الأمير صلاح الدين ابن الأمير سيف الدين البدري .

كان أمير عشرة بدمشق ، وهو أحد الإخوة .

توفي رحمه الله تعالى في ثالث شهر رجب الفرد سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

٤٣٧ - أبو بكر بن محمد بن عمر***

ابن أبي بكر بن قوام بن علي بن قوام بن منصور بن معلّى البالسي : الشيخ الإمام العالم الزاهد العابد الورع نجم الدين بن قوام الشافعي .

كان من بيت علم وصلاح ، وخير وزهد وفلاح ، صاحب زاوية^(١) وحال ،

* الدرر : ٤٦٠/١ .

** الدرر : ٤٤٢/١ .

*** الوافي : ٢٤٦/١٠ ، ووفيات ابن رافع : ٢٢٥/١ ، والدرر : ٤٦٠/١ ، والبداية والنهاية : ٢١٨/١٤ ، والدارس : ٨٩/١ ، والشذرات : ١٤٨/٦ .

(١) هي الزاوية القوامية البالسية . النارس : ١٦٢/٢ .

وكرامات وكرم ونوال ، يتلقى الواردين بإحسانه ، ويؤليهم الجود من يده ولسانه ، يقرئهم ويقرئهم ، ويميرهم على مابده ويميرهم ، يعتقد الناس بركاته ، ويتوسمون الخير في سكناته وحركاته .

اجتمعت به غير مرّة ، ورصّع في جيدي من فضله كلّ دَرّه .

ولم يزل على حاله إلى أن استسقى وما به ظما ، وخرّ النجم إلى الأرض من السما .
وتوفي رحمه الله تعالى بهذه العلّة في أوائل شهر رجب الفرد سنة ست وأربعين وسبع مئة ، وكانت جنازته حفلة ، وصلى نائب الشام عليه وجماعة من الأمراء .
وحدّث عن ابن القوّاس وغيره ^(١) .

وكنْتُ قد كتبت له توقيعا في أيام الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى بنظر الشبليّة ، ونسخته : رُسم بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري ، لا زال نجم الدين به بازغا ، ومنهل جوده لواردية عذبا سائغا ، وثمر كرمه لجناة رفده حلوا بالغا ، أن يُرتّب المجلس السامي الشيخي النجمي أبو بكر في كذا ، ثقة بورعه الذي اشتهر ، وفضله الذي بهر ، وأصله الذي طاب فرعه فالتقوى له ثمر ، والعلم زهر ، فما خطب مباشرة هذه الوظيفة إلا وثوقا بصفاته الحميدة ، وتمسكا بما عرف من طريقته السديده ، واتكالا على ما حازه من صفات جواهرها على جيد الأيام نضيده ، وركونا إلى بيته الذي له من سلفه أركان مشيده ، ورغبة في شمول هذه المدرسة ببركته التي هي بيت القصيدة . فليباشر ما فوض إليه مباشرة سداها في كفالة كفايته مضمون ، ويعتبط بما يفوز به من هذا البر فإن له فيه أجرا غير ممنون ^(٢) ، مجتهدا في تنية ريع هذا الوقف المبرور ، مقتصداد في تثمير ما يجره إليه من المنافع حتى يدل على ^(٣) أن فعله تعلّق من

(١) قوله : « وحدّث ... غيره » ليس في (خ) .

(٢) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ ، القلم : ٣٦٨ .

(٣) ليست في (خ) .

بركته بجار ومجور ، معتمداً في إحياء ميته على من هو عدلٌ في حكمه لا يحيف ، مستنداً في استخراج حقوقه إلى الجلد حتى لا يقال إن أبا بكر رجل أسيف ، مساوقاً مباشرته في جليله وحقيقه ، وقليله وكثيره ، وغائبه وحاضره ، ومعروفه ونادره ، فلا يدع مستحقّيه من صرف مالهم في أوار ولا أوام^(١) ، ولا يكتنّ أحداً منهم يسلك طريقاً معوجة فإنه ابن قوام ، فلو لم يكن الظنّ به جيلاً ما^(٢) عذق به هذا الأمر دون البريّة ، ولو لم يكن أسداً في الحق ما أسند إليه نظر الشليلّ^(٣) ، وليتبع شروط الواقف حيث سارت مقاصده لأنه ناظر ، وليصرف ما أمر به على ما أَرَادَهُ فإنه إن كان غائباً فله إله حاضر ، والوصايا كثيرة ومنه تؤخذ فوائدها ، وعلى جيد الزمن تنضد منه فرائدها ، وهو بحمد الله تعالى ابن بجدتها^(٤) علماً ومعرفه ، وأدري الناس بما يتحرك فيها من لسان أو شفه ، ولكن التقوى زمام كل أمر ، وعمدة الدين وعماده من زيد وعمر ، فلا ينزع منها حلّة ارتداها ، ولا يترك طريقاً سلكها عمّره واقتفاها ، والله تعالى يعينه في سكونه وحركته ، وينفع الناس بعلمه وبركته . والخطّ الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجة في ثبوت العمل بما اقتضاه ، والله الموفق بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

أبو بكر بن محمد بن قاسم*

الشيخ الإمام العلامة ذو الفنون شيخ الإقراء والعربية بالشام ، مجد الدين المرسي ثم التونسي الشافعي .

(١) الأوار: حر النار ، والعطش . والأوام : العطش ، أوجره .

(٢) (خ) : « بَلَا » .

(٣) هي مدرسة للحنفية بدمشق بسفح جبل قاسيون ، بناها شبل الدولة كافور الجسامي سنة (٦٢٣ هـ) .
الدارس : ٤٠٧/١ .

(٤) في الأصل : « نَجَدَتَهَا » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) .

* الدرر : ٤٦١/١ ، وغاية النهاية : ١٨٣/١ ، والدارس : ٢٤٤/١ ، والشذرات : ٤٧/٦ .

قدم القاهرة مع أبيه ، وأخذ النحو والقراءات عن الشيخ حسن الراشدي ^(١) ، وحضر حلقة الشيخ بهاء الدين بن النحاس ، وسمع من الفخر علي ^(٢) والشهاب بن مزهر ^(٣) .

كان الشيخ مجد الدين آية في ذكائه ، غاية في إكبابه على العلوم واعتنائه ، تفرد في وقته بمعرفة العربية وغوامضها الأدبية ، فلو رآه ابن السراج لما راج ^(٤) ، والزجاجي لسود مصنفاته بالعفص والزاج ، أو السيرافي لقال لصاحبيه سيرا في المهامه ، أو قفا بنا نسعُ بعضاً أو كلاً من كلامه ، أو الفارسي لترجل ^(٥) قدامه ، وحمل لواء الفخر له ومعه قدامه .

وفيه قلت أنا :

تملك النحو حتى مالذي أدب في الناس نون و واو بعدها حاء
هذا ملك لهذا العلم فاصغ لما أقول له لا كسائي وقرء

وكان مجيداً في غير ذلك من الفنون ، مُعيداً مبدياً لما في سواه من النكت والعيون ، تخرج به الأئمة ، ومَلَكهم ما أرادوا من المقادات والأزمنة ، ونالته محنة من كراي نائب الشام ، وانتجع لها بارق الصبر وشام ، وعلى يده ظهر غش الباجريقي ^(٦) ، وبهرجة نقده ، ولولاه لدام مدة وبقي .

ولم يزل على حاله أن أصبح مظهره في القبر ضميراً ، وسكن المجد في الأرض حفيراً .

(١) (ت ٦٨٥ هـ) ، غاية النهاية : ٢١٨/١ ، العبر : ٣٥٢/٥ ، الشذرات : ٣١٠/٥ .

(٢) علي بن أحمد ، المعروف بابن البخاري (ت ٦٩٠ هـ) ، وقد سلفت ترجمته .

(٣) محمد بن عبد الخالق بن مزهر الأنصاري (ت ٦٩٠ هـ) ، الشذرات : ٤١٧/٥ .

(٤) في الأصل : « راج » ، تصحيف .

(٥) في الأصل : « الترحل » .

(٦) محمد بن عبد الرحيم الباجريقي ، تنسب إليه الفرقة الباجريقية (ت ٧٢٤ هـ) ، وستأتي ترجمته .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم السبت سادس عشري ذي القعدة سنة ثمانى عشرة وسبع مئة .
ومولده تقريباً سنة ست وخمسين وست مئة بتونس .

أقام بالقاهرة مدةً ودخل دمشق في ولاية قاضي القضاة عز الدين في الولاية الثانية ، وحضر عند زين الدين الزواوي ^(١) ، ورَّتَبَ صوفياً بالخانقاه الشهابية ^(٢) ، وجلس للإقراء ^(٣) ، ثم سكن العقبة ، وناب في الإمامة بجامعها ثم اشتهر أمره وشاعت فضائله ، وحضر الدروس ، وولي مشيخة الإقراء بالترتبة الصالحة والترتبة الأشرفية ، وولي تدريس النحو بالناصرية ودرّس بالأصبهانية ، وصار شيخ البلد في الإقراء والعربية ، مع المشاركة في الفقه والأصول وغير ذلك .

حدثني غير واحد ممن أثق به أن الناس سألو الشيخ شمس الدين الأيكي عن الشيخ كال الدين بن الزملكاني وعن الشيخ صدر الدين بن الوكيل أيهما أذكى ؟ فقال : ابن الزملكاني ، ولكن هنا شاب مغربي هو أذكى منها يعني به الشيخ مجد الدين . وامتنح على يد الأمير سيف الدين كراي فضربه بباب القصر ضرباً كثيراً لما ألقى المصحف - على ماسيأتي في ترجمة كراي - ولما سبَّ الأمير الخطيب جلال الدين ، قال له الشيخ مجد الدين : اسكت اسكت ، وقوى نفسه ونَفَسَه عليه فرماه وقتله ، وكان في وقت قد انفعل للشهاب الباجرقي ودخل عليه أمره ، ثم إنه أناب وأفاق وجاء إلى القاضي المالكي واعترف وجَدَّدَ إسلامه - على ماسيأتي في ترجمة الباجرقي .

وكانت طريقته مرضية ، وعنده دين وصلاح ، وفيه مودة ومحبة للخلوة والاتقطاع ، وتلا عليه شيخنا الذهبي بالسبع ، وانتقى له جزءاً من (مشيخة ابن البخاري) وحدث به . ومن الناس من يقول فيه : محمد بن قاسم ، وشيخانا البرزالي والذهبي قالاه فيه : أبو بكر بن محمد ، والله أعلم .

(١) هو عبد السلام بن علي بن عمر (ت ٦٨١ هـ) ، المعبر : ٣٣٥/٥ .

(٢) داخل باب الفرج ، واقفها علاء الدين الشهابي ، الدارس : ١٢٦/٢ .

(٣) (ق) : « بالجامع للإقراء » .

٤٣٩ - أبو بكر بن إبراهيم بن حيدرة*

ابن علي بن عقيل : الإمام العالم الفاضل جمال الدين القرشي المعروف بابن القمّاح .

اشتغل بالفقه على الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وعرض (التنبيه) عليه ، ثم اشتغل على السديد الترمذني وغيره ، وقرأ الفرائض . وجاور بمكة سنة ، وولي عدة ولايات من جهة الكتابة بالقاهرة وأعمالها ، وقدم في الحرم دمشق متوجهاً إلى حلب متولياً وكالة بيت المال .

وقرأ عليه الشيخ علم الدين البرزالي (الأربعين الصغرى) للبيهقي بسماعه من الشيخ شمس الدين أبي الفضل المرسى عن أبي روح ، وهو عم القاضي شمس الدين محمد بن أحمد بن القمّاح نائب الحكم بالقاهرة ، ثم إنه عاد إلى القاهرة ، وتوفي بها إلى رحمة الله تعالى في ذي الحجة سنة ثمانى عشرة وسبع مئة ، ودفن بالقرافة الصغرى .

ومولده في شهر ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وست مئة .

٤٤٠ - أبو بكر بن عبد الله**

ابن عبد الله : الشيخ الإمام الفاضل سيف الدين الحريري الشافعي .

توفي رحمه الله تعالى في أواخر شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

وتولّى تدريس الظاهرية الجوانية الشيخ جمال الدين محمود بن جملة^(١) .

* الدرر : ٤٣٦/١ .

** الدرر : ٤٤٥/١ ، والشذرات : ١٥١/٦ .

(١) (ت ٧٦٤ هـ) ، والبداية والنهاية : ٣٠٢/١٤ .

٤٤١ - أبو بكر*

الأمير سيف الدين الباييري ، بالباء الموحدة وبعدها ألف وبعدها ياء أخرى وياء آخر الحروف ساكنة وراء .

كان كردي الأصل ، شيخاً قديم الهجرة تنقل في الولايات والمباشرات بحلب وطرابلس ودمشق ، وكان قد طلبه السلطان الملك الناصر محمد إلى مصر ، وولاه كاشفاً بالشرقية ، فلم تطب له الديار المصرية ، فتشفع بالأمير سيف الدين تنكز ، فطلبه إلى دمشق وولاه الصفة القبليّة ، وأمسك تنكز وهو بها .

ثم إنه انتقل إلى حلب ثم إلى دمشق ، وولي شدة الدواوين بدمشق مرات ، وولي نيابة جعبر مرات ، وآخر إمرة وليها لما كان الأمير سيف الدين شيخو والأمير سيف الدين طاز . بحلب في واقعة بيبغاروس ، فتوجه إليها في شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن جاء الخبر في شوال سنة ست وخمسين وسبع مئة بوفاة رحمه الله تعالى .

وكان خبيراً درباً مثقفاً فيه ودّ وأنس ، وعلى ذهنه تواريخ ووقائع وشعر وكان قد عدّى السبعين .

٤٤٢ - أبو بكر بن عباس**

القاضي جمال الدين الخابوري ، كان قاضي بعلبك .
توفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

٤٤٣ - أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عنتر السلمي***

أجازه سبط السلفي ، وأجاز لي بخطه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة بدمشق .

* الدرر : ٤٧٠/١ .

** البداية والنهاية : ١٠٧/١٤ .

*** الوافي : ٢٦٥/١٠ ، والدرر : ٤٥٦/١ ، والشذرات : ١١٧/٦ .

٤٤٤ - أبو بكر بن محمد بن عبد الغني *

الشيخ نجم الدين . أجاز لي بالقاهرة سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم عيد الفطر سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

٤٤٥ - أبو بكر بن علي بن محمد الكلوتاني **

سمع من ابن النحاس والنجيب ، وأجاز لي بمصر بخطه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

٤٤٦ - أبو بكر بن نصر ***

القاضي زين الدين الإسعدي المحتسب بالديار المصرية ، ووكيل بيت المال .

توفي رحمه الله في سادس عشر شهر رمضان سنة عشرين وسبع مئة ، ودُفن بالقرافة ، وصلى عليه قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة .

وولي مكانه في الحسبة قريبه القاضي نجم الدين محمد بن حسين بن علي الإسعدي^(١) كاتب الحكم بالقاهرة ، وفي الوكالة القاضي قطب الدين محمد بن عبد الصمد السنباطي^(٢) .

٤٤٧ - أبو بكر بن يوسف بن شاذي ****

يأتي تمام ترجمة نسبه في ترجمة والده في حرف الياء إن شاء الله تعالى .

* الوافي : ٢٦٥/١٠ ، والدرر : ٤٥٩/١ .

** الوافي : ٢٣٩/١٠ ، والدرر : ٤٥٠/١ .

*** الدرر : ٤٦٨/١ .

(١) لم هف على ترجمته .

(٢) (ت ٧٢٢ هـ) ، وستأتي ترجمته .

**** الوافي : ٢٦٨/١٠ ، والدرر : ٤٦٩/١ .

الأمير أسد الدين ابن الأمير صلاح الدين ابن الملك الأوحـد : أحد أمراء الطبلخاناه بصـفـد المضافين إلى دِمَشق .

كان شاباً حسناً عاقلاً ساكناً ، فيه حشمةً وأدب . توجّه أمير الـركب سنة خمس وخمسين ، وسبع مئة فلفظ الله به وبالركب ، وكنتُ أنا معهم في تلك السنة ، فـأرأينا إلا الخير في الذهاب والإياب . لم نجد في الطريق ولا في المدينة ، ولا في مكة ، مَنْ شَوَّشَ على الـركب بشيءٍ ممَّا يحكيه الحُجَّاج من المُتحرمة والنَّهابة .

ولم يزل الأمير أسد الدين بدمشق إلى أن وُردَ المرسوم بتوجهه كلَّ مَنْ له إقطاع في صفد إلى صفد والإقامة بها ، فتوجّه إليها مع مَنْ توجّه ، وأقام بها مُدَّة فـضـاق عَطْنُه وشاقه ^(١) وَطْنُه ، فَضَعَفَ هناك ووُردَ إلى دمشق فأقام يومين أو ثلاثة .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشر شهر رمضان المعظم سنة سبع وخمسين وسبعمئة .

وسياقي ذكر أخيه أمير علي وذكر والدهما في مكانيهما رحمهم الله أجمعين .

٤٤٨ - أبو بكر بن سليمان بن أحمد*

أمير المؤمنين المعتضد ابن أمير المؤمنين المستكفي ابن أمير المؤمنين الحاكم العباسي ، أبو الفتح .

كان شَكِلاً مليحاً تاماً ، أسمر ذا لحية سوداء ، صبيح الوجه ، عليه خفر ومهابة ، تقدم نسبه كاملاً في ترجمة أخيه أمير المؤمنين الحاكم بالله بن سليمان في الأحمدين .

قَدِمَ إلى دمشق في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة صحبة الملك الصالح صالح في

(١) في الأصل : « وضاق به » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، (خ) .

* ترجم له في الوافي ، ولم يذكر سنة وفاته ، والدرر : ٤٤٣/١ ، والشذرات : ١٩٧/٦ .

واقعة بيبغاروس ، ثم إنه قَدِمَهَا ثانياً في واقعة الأمير سيف الدين يَتَدَمَّر صُحْبَةُ الْمَلِك المنصور صلاح الدين مُحَمَّد بن حَاجِي ^(١) ، وعَادَ إِلَى مِصْرَ صَحْبَةُ السُّلْطَان .

ولم يزل عَلَى حاله إِلَى أَن تَوَفَّى فِي غَالِب الظَّنِّ فِي جُمَادَى الْأُولَى أَوْ الْآخَرَى سَنَةِ ثَلَاث وَسْتِينَ وَسَبْع مِئَةٍ .

وتَوَلَّى الْأَمْرَ بَعْدَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّد بنِ الْمُتَوَكِّل عَلَى اللَّهِ .

اللقب وَالنَّسَب

الأبوبكري : الأمير سيف الدين بكتر .

ابنه الأمير علاء الدين علي .

أخوه الأمير شهاب الدين أحمد .

☆ البكري : نور الدين علي بن يعقوب .

٤٤٩ - بَكْلَمِش *

بفتح الباءِ الموحدة وسكون الكاف وفتح اللام وكسر الميم وبعدها شين معجمة : الأمير سيف الدين أمير شكار الناصري .

كان الملك الناصر حسن قد جعله أمير شكار ^(٢) ، ولما كان في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة أخرجه من مصر إلى طرابلس نائباً عوضاً عن الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير ، ووصل بكلمش إلى دمشق في يوم الجمعة ثالث عشرين ^(٣) شهر رمضان المعظم ،

(١) تولى السلطنة سنة (٧٦٢ هـ) وهو مراهق ، وخلع بعد ثلاث سنين وثلاثة أشهر وستة أيام . الذيل التام : ١٨٠ ، ١٩٦ ، والشذرات : ١٩٦/٦ ، ٢٠٠ ، ولم تذكر سنة وفاته .

* الدرر : ٤٩٠/١ ، والذيل التام : ١٣٢ ، والمنهل : ٤١٣/٣ .

(٢) عبارة المنهل : « كان الملك الناصر حسن أمره ، ثم جعله أمير شكاراً » .

(٣) (خ) : « عشرين » .

وتوجه إلى طرابلس ، ولم ير أهل طرابلس منه شيئاً من الخير ، سوى أنه كان يجيد اللعب بالطير .

وكان حسن الشباب ، وضيء الإهاب ، بسط جُورَه على أهل طرابلس وظلَّمَه ، وأعاد أيامهم كأنها ليالي ظلَّمَه ، وربما تعرض إلى الحریم ، ونزل بروضه فأصبحت كالصَّريم ، ورحل منها جماعة لم يصبروا على هذا المَضَضُ ، ولا صَبَرُوا على هذا المَرَضُ ، ولم يزل بها وهو يطلب حَرِيه من القاهرة فما يَجَاب ، ولا يَرُدُّ جوابه [على يد]^(١) بريدي ولا نجاب .

وتوجَّه إلى صفد في واقعة أحمد الساقى وحَصَرَه^(٢) في القلعة - على ماتقدم في ترجمة أحمد - وعاد إلى طرابلس ، ولم يزل بها إلى أن خرج مع يبيغاروس وأحمد ، ووصلوا إلى دمشق في نهار الأربعاء خامس عشري شهر رجب الفرد سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وأقاموا بها أربعة وعشرين يوماً على ماتقدم في ترجمة أحمد ، وعاث^(٣) الأمير سيف الدين بكلمش في مَرَجِ دمشق وأفسد ، ولما هرب يبيغاروس ، وعاد إلى حلب عاد بكلمش معه ودخلوا الأبلستين^(٤) إلى عند ابن دُلْغادر ، وأقاموا عنده ، ثم إن أحمد وبكلمش حضرا^(٥) إلى نواحي مرعش وناوشها أهل القلاع القتال ، ثم لحق بها ابن دُلْغادر ، ولم يزالا عنده إلى أن أمسكها ابن دُلْغادر وجَهَّزها إلى حلب ، فاعتقلها نائبها الأمير سيف الدين أرغون الكاملي وطالع السلطان الملك الصالح صالحاً بأمرها ، فعاد الجواب على يد الأمير سيف الدين طَيِّدَمَر أخى الأمير سيف الدين طاز بأن يجهز رأسهما إلى مِصْرَ فَحَزَّ رأسهما ، وَجَهَّزَا مع المذكور في العشر الأوسط من المحرم سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، فسُبْحان الدائم الباقي .

(١) زيادة من : (ق) ، (خ) .

(٢) (خ) : « وحضره » ، تصحيف .

(٣) في الأصل و (خ) : « وغاب » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) الأبلستين : مدينة مشهورة ببلاد الروم .

(٥) في الأصل : « وحضر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

٤٥٠ - بلاط*

الأمير سيف الدين ، كان معروفاً بالدين ، موصوفاً بالعقل المتين ، حسن الود لأصحابه ، أفاق الدهر من سكرته وصحابه ، كان مقدماً عند المظفر ، ذا جانب على التقديم مؤفر ، إلا أنه لحسن نيته ، وسلامة طويته ، سلمه الله من الناصر فما آذاه ، ولاحظه السعد وحاذاه .

ولم يزل إلى أن جعل اسمه فوقه ، ونزل به من الموت ما أعجز صبره وطوقه .
وتوفي رحمه الله تعالى بطرابلس في شعبان سنة ثمان عشرة وسبع مئة ، وكان قد أخرج من مصر إلى دمشق فأقام بها قليلاً ، ثم نقل إلى طرابلس وبها مات رحمه الله تعالى .

٤٥١ - بلاط قبجق**

الأمير سيف الدين أحد أمراء الطبلخانات .
حضر إلى دمشق في أوائل سنة خمسين وسبع مئة ، وأقام بها أميراً إلى أن توفي رحمه الله تعالى في العشر الأوسط^(١) من ذي الحجة سنة ست وخمسين وسبع مئة .

٤٥٢ - بلاط قي***

بكسر القاف ، وبعدها ياء وآخر الحروف ، وألف مقصورة : الأمير سيف الدين .
توجه من القاهرة إلى نيابة بهسنى ، وأقام بها مدة ، ثم حضر إلى دمشق وأقام بها أميراً ، إلى أن توفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء سابع عشر ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وسبع مئة ، كان يلعب الشطرنج بعد العشاء الآخرة وأصبح ميتاً من غير علة .

* الدرر : ٤٩١/١ .

** الدرر : ٤٩١/١ .

(١) ليست في (خ) .

*** الدرر : ٤٩١/١ .

٤٥٣ - بلال الطواشي*

الأمير حسام الدين أبو المناقب المغيبي الحبشي الجمدار الصالحي .

كان لالا^(١) الملك الصالح [علي بن المنصور قلاوون ، ثم إن العادل كتبغا جعله يتحدث في أمر السلطان]^(٢) الملك الناصر محمد ، وهو كبير الخدّام المقيمين بالحرم النبوي .

حدّث بمصر ودمشق ، وقرأ عليه الشيخ شمس الدين عدّة أجزاء يرويها عن ابن رواج .

كان خالك السّواد ، تام الشكل ، يهيم من المعروف في كلّ واد ، له برّ وصدقات ، وبذل في الخير ونفقات ، وله أموال عظيمة ، وغلماً على أوامره ونواهيه مقيمه ، ولّه في الدّول الحرّمة الوافرة والوجاهة السّافرة .

خَصَرَ المَصَافَ^(٣) ورّد ، فأدركه أجله في سنة تسع^(٤) وتسعين وست مئة فحمل إلى قطيا .

٤٥٤ - بلبان**

الأمير سيف الدين المنصوري ، ملك الأمراء الطّبّاخي ، نائب حلب .

كان أميراً جليلاً ، وللشّجاعة خليلاً ، أبلى في نوبة غازان بلاءً حسناً ورّوع

* الوافي : ٢٨٠/١٠ ، الشذرات : ٤٤٦/٥ ، وعقد الجمان : ١٢٦/٤ ، وفيات سنة (٦٩٩ هـ) .
(١) أي كان مريباً .

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من : (ق) ، والوافي .

(٣) المصاف : جمع مصف ، موضع الحرب .

(٤) في الأصل : « ست » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، والوافي ، والشذرات .

** الوافي : ٢٨٢/١٠ ، والتالي : ٥٦ ، والشذرات : ٤٥٧/٥ ، وللنهل الصافي : ٤٢٢/٣ ، وعقد الجمان : ١٥٦/٤ ، وفيات سنة (٧٠٠ هـ) .

التتار ، ورقص الخطيئة من غناء سيوفه ، ومن روس^(١) المغل النثار ، لأنه كان ذا بأسٍ ونجده ، وشهامةٍ للقاء الأبطال مُستعدّه ، خيوله مسومة ، وسهامه إلى غور الأعداء مقومة ، ولولا وجوده ذهب عسكر الإسلام في تلك المرة المرّة ، وجرى الأمر على خلاف القاعدة المُستمرّة ، لكنّه التقى ذلك البحر الزخار بصدره ، وخاض في ذلك العسكر الجرار بنحره ، فصرع الفرسان ، وجدّ لهم فجدهم ، وبسط لهم بساط الحنف وبدلهم ، وكان كثير الحشم ، وافر المالك والخدم ، تولّى نيابة طرابلس ، وحصن الأكراد وحلب ، وأقدم الخيبرات بعده إليها وجلب .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل به الأمر الذي لا يدفع ، والحنف الذي لا يرفع .
وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشر شهر ربيع الأول بالساحل سنة سبع مئة^(٢) .

وغالب ممالكه تأمروا في أيام الملك الناصر محمد ، وكانوا كبار الدولة ، منهم الأمير علاء الدين أيدغمش أمير آخور المقدم ذكره نائب الشام وحلب ، والأمير سيف الدين طرغاي الجاشنكير نائب حلب وطرابلس ، والأمير سيف الدين منكوتر الطباخي ، وغيرهم .

٤٥٥ - بَلْبَان *

الأمير سيف الدين الجوكندار .

كان نائب القلعة بصفد في نوبة غازان ، فلما كسر المسلمون ، وهرب الأمراء جاء الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أو الأمير^(٣) سيف الدين سلاّر على وادي التيم^(٤) ،

(١) (ق) : « رؤوس » .

(٢) في الوافي : « سنة [ست و] سبعة » ، ولم يذكر مصدر هذه الزيادة .

* الوافي : ٢٨٣/١٠ ، والدرر : ٤٩٣/١ ، والمنهل الصافي : ٤٢٠/٣ ، وعقد الجمان : ٤٤٥/٤ ، وفيات سنة ٧٠٦ هـ) .

(٣) في الوافي والمنهل : « والأمير » .

(٤) وادي التيم : أحد وديان بلاد الشام ، عليه بعلبك .

وحضروا إلى صَفَدَ ، وطلبوا منه مَرْكُوباً ليحملهم عليه ، فلم يُعْطِهِمْ شَيْئاً ، فلما وصلوا إلى مصر عَزَلُوهُ مِنْ نِيَابَةِ قَلْعَةِ صَفَدَ ، وجَهَّزوه أميراً إلى دمشق .

وكان ابنة الأمير علاء الدين قُطْلَيْجَا شاباً جميلاً حَسَنَ الوجه ، قَوْلَاهُ الأفرم الحجوِيَّةُ بالشام ، ثم إنه في شهر ربيع الآخر سنة سبع مئة ولآه الأفرم شدَّ الدواوين بدمشق ، وفَوَّضَ الأمر إليه ، واشتغل^(١) بالشدِّ ، وانفرد الأفرم بقُطْلَيْجَا المذكور ، لأنه كان طَبْجِيّاً ، وأقام على ذلك مُدَّة .

ولما توفي الأمير علم الدين أَرْجَوَاش^(٢) نائب قلعة دمشق تولى هو نيابة القلعة في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبع مئة ، ثم إنه في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبع مئة توجَّه لنيابة حِمص ، وأعيد السنجري^(٣) إلى قلعة دمشق ، تولى نيابة حمص فورَدَ إليها .

ولم يزل بها مقيماً إلى أن فاءت إليه الوفاة ، وفَغَرَ الموت لَهُ فَكَّةً وَفَاه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة ست وسبع مئة ، وكان مُبْجَلًا ، ولصاحبه مُبْجَلًا ، أحسنَ في شدِّ دمشق إلى من عرفه ، وما جاءه أحدٌ من صفد إلا وصَرَفَه في أشغال الديوان ، وما صرفه ، وله بصفد حَمَامٌ مليح بعين الزيتون ، كنتُ أعْهده نادراً في تلك البقعة ، وهو كان في تلك الأيام طَرَارَ هَاتِيكَ الرُقْعَةِ .

٤٥٦ - بَلْبَان*

الأمير سيف الدين طُرُنَا^(٤) ، بضم الطاءِ المُهْمَلَةِ وسكون الراءِ وبعدها نون وألف .

(١) (ق) : واشتغل هو .

(٢) ابن عبد الله المنصوري (ت ٧٠١ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٠/١٤ ، والدرر : ٣٤٩/٢ .

(٣) سيف الدين بهادر ، وستأني ترجمته .

* الوافي : ٢٨٣/١٠ ، والدرر : ٤٩٤/١ ، والمنهل الصافي : ٤٢١/٣ ، والبداية والنهاية : ١٦٨/١٤ ، وفيه « طرُفا » تحريف .

(٤) في المنهل : « يعني كركي » .

كان أمير جاندار بالديار المصريّة ، فجّهزه السلطان إلى صفد نائباً بعد الأمير سيف الدين بهادر أص ، فحضر إليها ووقع بينه وبين الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام ، فعزّله السلطان ، ورسم له بأن يتوجّه إلى دمشق أميراً ، فتوجّه إليها بطلبه ، فدخل إليه ليقبل يده ويسلم عليه ، فأمسكه في حادي عشري القعدة سنة أربع عشرة وسبع مئة ، وبقي في الاعتقال عشر سنين فما حولها ، ثم إنّه شفع فيه فأخرج من الاعتقال وأعطى إقطاع الأمير شرف الدين حسين ، وجعل أمير مئة مقدّم ألف ، ثم إن تنكز أقبل عليه واختصّ به ، وكان يشرب معه القمّر^(١) .

ولم يزل على حاله إلى أن قالت عقبان المنية قد طرّنا إلى طرّنا ، وحمّنا عليه وحمّونا ودّرنا .

وتوفي رحمه الله تعالى حادي عشري ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودُفن في تربته جوار داره دار الأمير علاء الدين أيدغدي شقير تحت مئذنة فيروز .

وكان رحمه الله تعالى ضخماً أبيض ، جسيماً كأنّ وجهه جمر أومض ، ولما كان يدور مع الزّفة حول الدهليز يوقع بالعصا ، ويضرب ذلك الرمل والحصى ، وإذا خرج أولئك الرهجية وعدّلوا عن النغمة الجهريّة التفت إليهم ، ووقع بالعصا على الأرض ، ومشى أمامهم ذات الطول والعرض ، ولذلك كانت عليه في السماع طلاوة ، ولضخامته إذا دار حلاوة .

٤٥٧ - بَلْبَان*

الأمير سيف الدين السنّاني .

أحد أمراء الدّولة النّاصرية ، له دار في رأس الصّليّبة تحت قلعة الجبل عند جامع

(١) القمّرة : كتلة من التمر ، فلعلّه يريد : شرباً صنع منه .

* الوافي : ٢٨٤/١٠ ، والدرر : ٤٩٣/١ ، وبدائع الزهور : ٥٨٥/١/١ .

الأمير سيف الدين شيخو ، وأخرجه الملك الصالح إسماعيل إلى نيابة ثغر ألبيرة^(١) في سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، فحضر إليها ، ولم يزل بها إلى أن أمسك الملك الناصر حسن الوزير منجك^(٢) ، فطلب السنائي إلى القاهرة ، فتوجه إليها وجعله أستاذ دار ، وأقام على ذلك إلى أن توجه إلى منفلوط^(٣) لقبض مغلها ، فتوفي هناك في شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

وأخبرني الشيخ بهاء الدين السبكي أن المذكور توفي سنة اثنتين وستين وأواخر سنة إحدى وستين وسبع مئة^(٤) بمنفلوط ، كذا جاء الخبر بذلك إلى دمشق ثم ظهر بعد ذلك أنه لم يمِت ، وإنما أخذت التقدمة والإقطاع منه للأمير عز الدين طقطاي الدوادار وأعطى السنائي^(٥) طبليخاناه ضعيفة ، وأقام بالديار المصرية .

٤٥٨ - بَلْبَان*

الأمير سيف الدين الغلمشي ، بضم الغين المعجمة وسكون اللام وبعد الميم شين معجمة .

حَدَّثَ بدمشق عن ابن خليل وعن المرسي وغيرهما ، وكان قد سمع في صغره من جماعة مع القاضي عز الدين بن الصائغ لأنه كان مملوكه ، وانتقل عنه ، وانتقل إلى أن صار أميراً بالقاهرة ، وتولى الشرقية مرةً وكان شهماً كافياً ، فيه سياسة .

توفي في جمادى الآخرة سنة تسع وسبع مئة .

(١) من نواحي حلب .

(٢) هو منجك اليوسفي (ت ٧٧٦ هـ) ، الدرر : ٣٦٠/٤ .

(٣) في الأصل : « سفوط » ، تحريف .

(٤) ما بين : « سبعة » و « سبعة » ، سقط من (خ) .

(٥) (ق) ، (خ) : « السنائي المذكور » .

* الدرر : ٤٩١/١ .

٤٥٩ - بَلْبَان*

الأمير سيف الدين البُدْرِي أحد مَقَدَّمِي الأُلُوف بدمشق .

كان شيخاً عاقلاً مهيباً ، قد وَفَّرَ اللهُ له من سلامة الباطن نصيباً ، خَلَفَ ذهباً جَمّاً ، أَكَلَهُ وَرَأَتْهُ أَكْلًا لَمّاً ، قيل : إن العين من الذهب وحده ثلاثون ألف دينار ، خارجاً عن البركِ والعُدَّة والحيل ومَما مع ذلك من عقار ، وخَلَفَ أولاداً أُنْجِبَ منهم اثنان ، وكانَ لهما في المباشرات شان زانها وماشان .

ولم يزل إلى أن حَلَّتْ به المثلثات ، ونَحَتُ الموتُ منه الأَثَلاتُ .

وتُوفِي رحمه الله تعالى ليلة الخميس يوم عيد الفطر سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

وكان قد توجه أمير الركب الشامي في سنة سبع وسبع مئة ، وقد تولى نيابة قلعة دمشق عوضاً عن بهادر السنجري في شهر رمضان سنة إحدى عشرة ، وعزل منها وتوجّه إلى نيابة صفد عن الأمير سيف الدين بَلْبَان طَرُنَا في ذي القعدة سنة أربع عشرة وسبع مئة ، وتوجّه إلى حمص نائباً عوضاً عن القرماني في شهر صفر سنة تسع عشرة وسبع مئة ، ولما توفى في حمص نُقِلَ إلى دَمَشْقَ وصَلِّيَ عليه بسوق الخيل ، ودُفِنَ في جَبَل قاسيون .

٤٦٠ - بَلْبَان**

الأمير سيف الدين التتري .

كان رَجُلًا سَلِيماً ، مَأْمُونًا حَلِيماً ، لا يعرف ما النَّاسُ فيه ، وَيَظُنُّ أن الناس ليس فيهم سَفِيه ، وله أموالٌ غزيرةٌ وحواصلٌ كثيرةٌ ، وأولاده الذكور والإناث نهاية في الجمالِ وغاية في الحُسْنِ والكمال .

* الدرر : ٤٩٢/١ .

** الدرر : ٤٩٣/١ ، وفيه « التستري » .

ولم يزل إلى أن جاءه الأمر الذي لا يُخَدَع ، ولا يَرَدُّ بحيلة ولا يُرَدَّع .
وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسبع مئة .
وكان توجه أمير الركب في سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ، وهو من كبار
المنصورية .

٤٦١ - بليان *

الأمير سيف الدين القشْتمري .
أحد الأمراء بدمشق كان يسكن بدرب الرُّيحان بدمشق .
توفي رحمه الله تعالى في المحرم سنة تسع وتسعين وست مئة .

٤٦٢ - بليان الجمقدار **

الأمير سيف الدين المعروف بالكركند^(١) .
كان من كبار الأمراء . أقام بدمشق مدةً بدار فلوس^(٢) ، ثم نُقل إلى الديار
المصريّة ، ثم أعيد إلى دمشق ، فأقام بها في دار بحلةٍ مسجد القُصب^(٣) ظاهر دمشق .
وفي سابع شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وسبع مئة توفي إلى رحمة الله تعالى ودُفن
بتربته بجبل قاسيون ، وكان يوماً مطيراً .
وأظنه كان أولاً بصدد أمير عشرة في أيام الأمير سيف الدين بتُخاص ، والله أعلم .

* لم نقف على ترجمته .

** الدرر : ٤٩٤/١ .

(١) في الدرر : « الكوكندي » .

(٢) بالقرب من البزوريين والجوزية ، اشتراها سيف الدين تنكر ، وعمرها ، وجعلها لحواصله وأمواله وملكا
للعلماء ، وسماها دار الذهب . الدارس : ٩١/١ .

(٣) الدارس : ٢٦٥/٢ .

٤٦٣ - بَلْبَان*

الأمير سيف الدين المَهْمَنْدَار الدَوَاداري عتيق ، الأمير جمال الدين موسى بن الأمير علم الدين الدَوَاداري ^(١) . كان أمير عشرة .

وتوفي رحمه الله تعالى في نصف جمادى الأولى سنة ثلاثين وسبع مئة ، ودفن بتربة أستاذه بسَفْح قاسيون .

٤٦٤ - بَلْبَان**

الأمير سيف الدين الصَّرْخُدي ^(٢) الطاهري .

أحدُ أمراء الطبلخاناه بالقاهرة ، كان قد تجاوز الثمانين وكان فيه خيرٌ ، مواظبٌ على الصَّلوات .

توفي رحمه الله تعالى في عشري جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبع مئة .

٤٦٥ - بلبان***

الأمير سيف الدين العَنْقاوي ، بعد العَيْن المَهْمَلَة نونٌ وقاف وألف بعدها واوٌ ، الزَّرَّاق المنصوري .

كان في الحبس وأُفرج عنه ، وكان قد جاوز السبعين سنة ، وكان من أمراء الطبلخاناه .

* الدرر : ٤٩٥/١ .

(١) واسمه سنجر ، وستأتي ترجمته ، ولم نقف على ترجمة ابنه موسى .

** الدرر : ٤٩٤/١ .

(٢) في الأصل : « السرخدي » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، والدرر .

*** الدرر : ٤٩٤/١ .

تُوفي فجأة بعدما توضأ وتهيأً للتوجه لصلاة الجمعة في سابع عشر شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئلاً ودُفن بجبل قاسيون .

٤٦٦ - بلبان*

الأمير سيف الدين المُحسني .

أُظنه كان أولاً من جملة البريدية بمصر ، ثم إن السلطان جهّزه لإحضار مُباشري قَطِيًا في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ثم إنه ولّاه القاهرة بعد علاء الدين أيدُكين ، فيما أظن ، فأقام فيها إلى أن ولّاه علاء الدين بن المرواني ، وجَهّز الأمير سيف الدين بلبان لنيابة دِمياط ، فأقام بها قليلاً ، وانفصل في شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وتُوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، أظنه توفي معتقلاً .

وكان رجلاً جيداً خيراً مشكوراً .

٤٦٧ - بلبان**

الأمير سيف الدين الإبراهيمي .

كان أحدُ أمراء الطبلخاناه بحمّة .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبع مئة ، وكتب بإقطاعه لأسنبغا مملوك الأمير سيف الدين أسندمر العُمري نائب حمّاه .

* الدرر : ٤٩٤/١ .

** الدرر : ٤٩٢/١ .

٤٦٨ - بُلرغي *

ببء موحدة ولام وراء وغين مُعجمة بعدها ياء آخر الحروف ، ومنهم من يقدم
الراء والغين على اللام : الأمير سيف الدين الأشرفي .

كان أميراً وجيهاً ، لا يجد له في المضاهاة شبيهاً ، مشهوراً بالتعظيم ، والْحَقْدَةُ التي
هي كحَبَات العِقْد في التنظيم ، وثق إليه الْمُظْفَرُ فَجَهَّزَهُ إلى النَّاصِر ليكون يَزَكَا ، ولم
يدر أنه زرع الغدر فأثمر معه وَزَكَا ، وخامر عليه من الرمل وجع به من الملك الشمل ،
ووصل إليه إلى غَزِه ، فوجد بقربه مَا كان يَجِدُهُ كَثِيرٌ من قرب غَزِه ، إلا أنه لما دخل
إلى مصر أَمْسَكَهُ ، وأماته في السجن جوعاً وأهلكه .

ووفاته بقلعة الجبل سنة عَشْرٍ وَسَبْعِ مِئَةٍ ، ودفن بالحُسَيْنِيَّة .

٤٦٩ - بُلغاق **

الأمير سيف الدين : كان ناظر الحرمين : القدس وبلد سيدنا الخليل عليه السلام ،
وهو بُلغاق ابن الحاج جَفَّابن يارتمش الخوارزمي .

روى الحديث عن ابن عبد الدائم بالقدس ودمشق ، وولي الحرمين آخر عُمُرِهِ ،
ورأيتُه بصفد مرتين أيام الجوكندار الكبير ، وكان شيخاً قد أنقى ، وعَمِل على ما هو في
الآخرة خَيْرٌ وَأَبْقَى ، مع سيرة مشكوره ، ومعاملة مع الفقراء مَآهِي مِنْ مِثْلِهِ
مَنكوره ، معروفاً بالخير والبركة ، موصوفاً بالصَّلاح في سَكُونِهِ والحركة ، كثير
الأتِّضاع ، غزير الجودة على ما ألفه من الرضاع .

ولم يزل على نظر الحرمين إلى أن أَمْسَى ولم يحفظه من الموت حَرَم وراح إلى الله بعد
ما كاد يصل إلى الهرم .

* الوافي : ٢٨٧/١٠ .

** الدرر : ٤٩٥/١ .

وتُوفي بقرية الغازیة من بلد صیدا أو بلد بیروت في جمادى الأولى سنة تسع وسبع مئة ، وتُقل إلى دمشق ودُفن بسفح قاسيون .
ومؤلده بالقاهرة في شهر رمضان سنة ست وثلاثين وست مئة ، وكان حَكَم البُنْدُق بالشام .

☆ البلفيائي : القاضي زين الدين محمد بن عمر .
وشمس الدين محمد بن يعقوب .

٤٧٠ - بُلْك *

الأمير سيف الدين المجدار الناصري .

حضر مع الأمير سيف الدين بُشتاك إلى دمشق في ^(١) واقعة تنكز مع جُملة أمراء الطبُلخانات الذّين حضروا في ذلك المهم ، وتوجه معه إلى مصر ، وأقام بها إلى أن رُسم للأمير سيف الدين طَقْتَر الأحدي بنيابة حماة ، وكان في صفد نائباً ، فحينئذ رُسم للأمير سيف الدين بُلْك هذا بنيابة صفد ، وذلك في أيام الملك ^(٢) الصّالح إسماعيل ، فحضر إليها ، وأقام بها مُدّة الأيام الصّالحية ، ولما توفي الصّالح رحمه الله تعالى وولي الكامل شعبان أخرج الأمير سيف المُلك إلى صفد نائباً عوضاً عن بُلْك ، وعاد بُلْك إلى مصر وأقام بها أميراً على مئة في تقدمة ألف ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبع مئة .

ولم يزل بها مقيماً إلى أن فرّق الموتُ بين بُلْك وماملِك ، ولم يدر دُؤُوه أيّة سَلَك .

تُوفي رحمه الله بعد عيد رمضان في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

* الوافي : ٢٨٨/١٠ ، والدرر : ٤٩٥/١ .

(١) ليست في (خ) .

(٢) ليست في : (ق) ، (خ) .

٤٧١ - بُلُكْ *

الأمير سيف الدين أمير علم .

أحد أمراء الطبلخانات بدمشق ، لما عُزل الأمير ناصر الدين محمد بن بهادر آص^(١) من نيابة حمص في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وسبع مئة رُسم للأمير سيف الدين بُلُكْ بنيابة حمص ، فتوجّه إليها بمرسوم السلطان^(٢) الملك الصالح صالح ، فأقام بها نائباً إلى أن ورد عليه^(٣) الأمر الذي لا يُردّ إذا دَعَا ، ولا يُصدّ منه مانع إذا مانعى .

ووفاته في ثالث عشري شوال سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

☆ البندنيجي : المسند علي بن محمد بن ممدود .

٤٧٢ - بَهَادِرُ الشَّمْسِي **

الأمير سيف الدين .

كان من أهل الصلاح والسلاح ، ومَن يَتَّبِع الصلاة بالصَّلَات والسَّاح ، ترك الإمرة مرّة ، ونزلَ عَمَّا فيها من الدُّرّة إلى الدرّة ، ولبس زيّ الفقراء ورَفَض رِيش الأمراء ، ثم إنه أُعيد ، ورُغِب بالوعدِ وهُدِّد بالوعيد ، ورُسم له بإعادته إلى الإمرة ، فعاد إليها ولم تَعْلَم عَوَانُهُ الحَثَرَة^(٤) ، وولي نيابة قلعة دمشق في جمادى الأولى سنة ثمانى عشرة وسبع مئة عوضاً عن القَرَمَاتِي .

* الدرر : ٤٩٥/١ .

(١) أشار إليه الصفدي في ترجمة والده ، انظر : الوافي : ١٩١/١٠ .

(٢) (خ) : « من السلطان » .

(٣) ليست في (خ) .

** الدرر : ٤٩٨/١ .

(٤) مثل يضرب للمجرب العارف ، انظر : مجمع الأمثال : ١٩١/١ .

ولم يزل على حاله بقلعة دمشق إلى أن أنزلهُ الموتُ منها على حُكمه ، ودخل به في عداد هُمّه وبُكُمه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة ثمان عشرة وسبع مئة ، وكانت نيابته ما يقارب السبعة أشهر ، وكان موته فجأة .

وولي النيابة بَعْدَهُ ^(١) الأمير علم الدين سنجر الدميثري ^(٢) .

٤٧٣ - بهادر الجوكندار *

الأمير سيف الدين .

كان أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق وسَكَنَهُ جُؤًا باب الصغير ، وكان يركب وينزل ، ويرى أنه عن الدولة بمعزل ، لكنه أميرُ خمسين فارسا ، وعِلْمُهُ لا يُرى يوم الحاجة ناكسا .

ولم يزل على حاله إلى أن مرَّ الأمير ومآعاد ، وبدّل بالتعس ^(٣) على النعش بعد الإِسعاد .

وتوفي رحمه الله تعالى في صفر سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

وهو زوج بنت الأمير سيف الدين الجوكندار ^(٤) .

٤٧٤ - بهادر **

الأمير سيف الدين المنصوري المعروف بالحاج بهادر .

(١) في الأصل : « بعد » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، وهو الصحيح .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

* الدرر : ٤٩٨/١ .

(٣) في الأصل : « بالنفس » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (ق) .

(٤) قد سلفت ترجمته .

** الوافي : ٢٩٥/١٠ ، والدرر : ٥٠٠/١ ، والمنهل الصافي : ٤٣٦/٣ .

كان من أكبر الأمراء بالديار المصرية متعيناً فيهم ، فأخرج إلى حلب على إمرة ، ثم نقل إلى دمشق ، ثم أعطى بها مقدمة ألف ، وأقام بها مدة ، وداخل الأفرم ، وصار من أخصائه ، وكان معروفاً بالتجري ، وعدم التحرز والتحري ، محباً للفتن ، يصدح فيها على فن ، لا يحظى بالسرور إلا إذا أجرى قناة الشرور ، وكان يؤلب على الجراكسة ، ويعدُّ المهانة لهم من الماكسة ، لا يكاد يصبر عن تعاطي السلاف ، ولا يرى الدهر يده فارغة من كاس ، كأنها تلافيه من التلاف ، قيل : إنه كان ير بين القصرين ، وهو يتناول الخمر ، ويقدح في أقداحه الجمر ، وربما فعل ذلك بدمشق إذا دخل من الصيد ، ولا يبالي بما يقوله عمرو وزيد .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، قال : أخبرني والدي أنه كان أشبه الناس بالملك الظاهر بيبرس . وأقام في طرابلس نائباً بعد أسندمر إلى أن هجم عليه هادم اللذات ، وفرق بينه وبين الأتراب واللذات ^(١) .

وتوفي رحمه الله في شهر ربيع الآخر سنة وسبع مئة .

ولما ولي الملك بيبرس الجاشنكير وفرح به الأفرم تغير الحاج بهادر على الأفرم بعد مداخلته مجالس أنسه ، ومواطن إطرابه ولذاته ، وأخذ ^(٢) في تغيير الأمراء عليه ، ويقول لمن يخلو به : هؤلاء الجراكسة متى تمكنا منا أهلكونا وراحت أزواحنا معهم ، فقوموا بنا نعمل شيئاً قبل أن يعملوا بنا ، وتحالف هو وقطلوبك الكبير على الفتك بالأفرم إن قدرا عليه ، فأحس الأفرم بذلك ، فلم يزل بالحاج بهادر إلى أن استصلحه على ظنه ، وقال : بعد أن سلمت من هذه الحية ^(٣) ما بقيت أفكر في تلك العقرب ، يعني بالحية الحاج بهادر ، وبالعقرب قطلوبك .

(١) في الأصل : « اللذات » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في : (ق) .

(٢) في الأصل : « أخذ » ، وأثبتنا ما في : (ق) .

(٣) عبارة الوافي : « من لسع هذه الحية » .

ولما تحرك الملك الناصر من الكرك أرسل الأفرم الحاج بہادر وقطلوبك الكبير يَزَكًا قدامه ، فنزلا على القوار^(۱) ، وأظهرا النصيح للأفرم ، وأبطناله الغدر ، ثم إنها راسلا السلطان الملك الناصر في الباطن وخلفا له ، ثم سارا إلى لقائه ، ودخلا معه إلى دمشق ، وكان الحاج بہادر حامل الجتر^(۲) على رأس السلطان يوم وصوله^(۳) دمشق ، ولما جلس على كرسي الملك بقلعة الجبل ولَّى الحاج بہادر نيابة طرابلس ، فتوجه إليها وأقام بها إلى أن مات رحمه الله تعالى .

٤٧٥ - بہادر آص *

الأمير سيف الدين المنصوري .

كان شكلاً طوالاً من الرجال ، يباهي الغمام في فيض السجال ، له صدقاتٌ ومعروفٌ ، وبشرته للعفاة معروف ، ذا رخت^(۴) كثير ، وتجمل في الإمرة غزير ، وعنده خدامٌ ومماليك ، ودسته ترى الملوك فيه صعاليك ، جهز السلطان الملك الناصر بعد موته ، أخذ جماعة من مماليكه ، عملهم سلاح داريّة لأشكالهم الهائله ، ومحاسنهم الطائله .

ولم يزل على إمرته في مقدمة الألف إلى أن برق ناظره ، وهياً له القبر حافرهُ .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الثلاثاء تاسع عشر صفر سنة ثلاثين وسبع مئة .

وكان هو القائم بأمر الملك الناصر لما كان بالكرك تجيء رُسله إليه في الباطن ،

(۱) في المنهل : « على القور » .

(۲) هي مظلة من الحرير المزركش بالذهب ، تُحمل على رأس السلطان .

(۳) (ق) : « دخوله » .

* الوافي : ۲۹۷/۱۰ ، والبداية والنهاية : ۱۵۰/۱۴ ، والدرر : ۴۹۷/۱ ، والشذرات : ۹۳/۶ ، والمنهل الصافي : ۴۲۸/۳ .

(۴) الرخت : كلمة فارسية معناها : المتاع .

وتنزل عنده ، وهو الذي يفرّق الكتّاب ويأخذ أجوبتها ، ويحلّف الناس في الباطن إلى أن استتبّ له الأمر ، وكان آخر من يَبُوس الأرض بين يدي السلطان في الشام ، وجّهزه السلطان إلى صفد نائباً بعد الأمير سيف الدين قتلوبك الكبير في شهر جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، فأقام بها مدة تُقارب سنة ونصفاً ، ثم أعيد إلى حاله بدمشق ، فوصل إليها ثامن عشر جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ولما كان مع الأمير سيف الدين تنكز في واقعة ملطية أشار بشيء فيه خلافه ، فقال بهاذراع : « كما نحن في الصبيّنة » فلم يحملها منه ، وحقدها عليه ، فكتب إلى السلطان فقبض عليه وأقام في الاعتقال مدة سنة ونصف أو أكثر ، ثم أفرج عنه وأعيد إلى مكانه وإقطاعه .

ولما توفي رحمه الله تعالى دفن في تربته برباب الجابية ، وخلف خمسة أولاد ذكور : الأمير ناصر الدين محمد ، والأمير علي ، والأمير عمر ، والأمير أبو بكر ، والأمير أحمد . فلحقه الأمير عمر ، وكان أحسنهم وجهاً وقامةً ، ثم أمير أحمد ، ثم أمير علي .

وكان أمير عشرة ، وكان أولاً وكيل السلطان ويده إقطاع هائل إلى الغاية ، وقفت أنا على ورقة فيها أسماء أماكن إقطاعه قبل الروك وهي :

من دمشق : نهر قلوّط .

من حصص : النهر بكماه ، وأرض المرزات ^(١) .

من الجولان : قرية سمكين ^(٢) ، وقرية جلين بكماها .

من البقاع : ثلث كفر رند ، ثلث عين ، دير الغزال بكماها ، رُبُع الرمادة ، محسة

بكماها ، رُبُع الدلّهمية ، قرقا بكماها ، تعنايل بكماها ، حقل حمزة بكماها ، ربع

(١) في الوافي : « المزرات » .

(٢) في الوافي : « سملين » .

علين ، مزرعة الساروقية بكالها ، سدس عين حليا^(١) ، القناطر بكالها ، علاق بكالها ، ربيع يونين^(٢) .

من بيروت : سبل بكالها .

من أذرعات : سدس كفرتا ، نصف بيت الراس ، ربيع كفر الماء ، ربيع حديجة ، ربيع شطنا ، ربيع مهربا^(٣) ، ربيع كفر عصم ، نصف عوننا من بصرى .

من صرخد : المحوسة^(٤) ، ربيع نجيح ، قيا بكالها ، نصف السعف ، ربيع قارا من زرع .

من جبل عوف : الغرية^(٥) بكالها ، صوفة بكالها ، حنيك بكالها ، أم الخشب بكالها ، نصف دلاعا .

من البلقا : نصف ماجد ، بيرين بكالها ، ثلاث مزارع بكالها ، ربيع بقعة .

من نابلس : الكفر بكاله ، صانور بكالها ، كفر كوس بكالها .

من لد : خرنوبة بكالها^(٦) ، أخصاص العوجاء بكالها .

من عكا : عشرة أرماع بكالها .

من صفد : المنيسة بكالها ، المناوات بكالها ، المعشوقة بكالها ، كفر كنة ، وعوض

عن ذلك جميعه بعد الروك^(٧) : غرين : من غور زغر بكالها ، الكفرين بكالها ، مردا . من نابلس ثلثا رويسون دير بجالا بكالها .

(١) في الأصل : « عين حليا بكالها » ، وأثبتنا ما في : (ق) ، والوافي .

(٢) في الوافي : « يونين » ، تصحيف .

(٣) في الوافي : « مهربنا » .

(٤) في الوافي : « المحروسة » .

(٥) في الوافي : « العربية » .

(٦) زاد في (ق) : « خلدا بكالها » .

(٧) في الأصل : « الزوال » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (ق) ، والوافي .

۴۷۶ - بہادر بن عبد اللہ المنصوری*

المعروف بالعجمي .

كان من جملة أمراء دمشق ، وسكنه بالدياس ، وكان في سنة خمس وتسعين وست مئة قد حج بالناس ، وحمدت في المسير سيرته ، وشكرت في الطريق طريقته . وكان شاباً حسن الطلعه ، جميل الذهاب والرجعه ، له دين متين ، ومحبة لأهل العلم العاملين .

ولم يزل إلى أن ذوى غصنة الرطب ، وفرغ عمره ما عنده في الوطب .
وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وست مئة ، ودفن بجبل قاسيون .

۴۷۷ - بہادر**

الأمير سيف الدين المعزي .

كان أميراً كبيراً ، قبض عليه السلطان الملك الناصر ، وبقي في الاعتقال مدة زمانية ، ثم إنه أخرجه في سنة ثلاثين وسبع مئة ، فيما أظن ، وأقبل عليه إقبالا زائداً ، وجعله أمير مئة مقدم ألف ، وكان يجلس في دار العدل مع الأمراء المشايخ ، وكان يسميه : الحاج ، وينعم عليه كثيراً .

وكان خيراً ساكناً وادعاً ، إلى المهادنة راکنا ، يفتنه الناظر الفاتر ، ويخلب لبّه الجفن الساحر ، يبالغ في إكرام مماليكه ويبرهم^(۱) ، ويسرهم بما فيه إطابة سرهم ، لا يزال يغدق عليهم إنعامه ويفيء عليهم جوده وإكرامه ، واقتنى منهم جملة جميله ، وأخل بهم زهرات الخيلة .

* ذكره العيني في عقد الجمان : ۲۲۲/۳ .

** الوافي : ۲۹۸/۱۰ ، والدرر : ۴۹۶/۱ ، والمنهل الصافي : ۴۳۰/۳ .

(۱) (ق) : « وبرهم » .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح المُعَزِّي مُعَزَّى فِيهِ ، وعَجَزَ الطَّبِيبُ فِي تَلَاْفِهِ عَنْ تَلَاْفِيهِ .

وَتُوْفِي رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَوَائِلِ سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِئَةٍ ، أَوْ أَوَاخِرِ ^(١) سَنَةِ تِسْعِ وَثَلَاثِينَ .

وَكَانَ قَدْ أَمْسَكَ هُوَ وَبِكْتَمَرِ الْحَاجِبِ ، وَأَيْدُغْدِي شَقِيرِ وَالْحَازِنِ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةِ وَسَبْعِ مِئَةٍ .

٤٧٨ - بَهاذِرِ سَمَنِ*

بِالسَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَالْمِيمِ الْمَكْسُورَةِ وَبَعْدَهَا زَايَ ، الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ النَّصُورِيِّ .

كَانَ مِنْ أَمْراءِ دِمَشْقَ ، مَعْرُوفاً بِالْإِقْدَامِ ، مَشْهُوراً فِي الْحُرُوبِ بِثُبُوتِ الْأَقْدَامِ ، لَا يَرْدُ وَجْهَهُ عَنْ قِلَّةٍ وَلَا كَثَرَةٍ ، وَلَا يَخْشَى مِنْ حُسَامِهِ وَجَوَادِهِ نَبْوَةً وَلَا عَثْرَهُ .

كَانَ مَعَ الْأَقْرَمِ وَهُمْ يَتَصَيَّدُونَ بِمَرْجِ دِمَشْقَ عَلَى قَرْيَةٍ بُضِيعِ ^(٢) ، فَدَهَمَهُمْ فِي اللَّيْلِ طَائِفَةٌ مِنْ عَرَبِ غَزِيَّةَ ، فَقَاتَلُوهُمْ وَقَتْلَ مِنْ الْعَرَبِ نَحْوَ نِصْفِهِمْ ، وَدَخَلَ هَذَا الْأَمِيرُ فِيهِمْ وَلَمْ يَرْجِعْ عَنْهُمْ ، وَأَطَالَ الْغَزْوَ فِيهِمْ وَالْمُجَاهَدَةَ لَهُمْ احْتِقَاراً بِهِمْ ، فَطَعَنَهُ مِنَ الْعَرَبِ فَارِسٌ بِرِمَحٍ فِي صُدْغِهِ فَصْرَعَهُ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ صِرْفَ الْمَنِيَّةِ فَكْرَعَهُ ، وَذَلِكَ فِي ثَالِثِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ أَرْبَعِ وَسَبْعِ مِئَةٍ ، وَدُفِنَ ^(٣) بِقَبْرِ السَّتِّ ظَاهِرِ دِمَشْقَ ، وَسَمَّرَ مِنَ الْعَرَبِ وَاحِداً وَطِيفَ بِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَوَائِلَ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي : (ق) ، وَالْوَاقِي .

* الدَّرَرُ : ٤٩٧/١ ، وَالْمَنْهَلُ : ٤٣٣/٣ ، وَعَقْدُ الْجَمَانِ : ٣٧٥/٤ ، وَفِيَاتُ شَيْخَةِ (٧٠٤ هـ) لَوَالِدِهَا وَبِالْبَدَايَةِ وَالنَّهْيَةِ : ٣٤/١٤ ، وَفِيهِ : « بَهاذِرِ تَمَر » تَحْرِيفٌ . وَفِي الْمَنْهَلِ : « سَمَنِ يَعْنِي : سَمِينٌ » .

(٢) مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ : ٤٤٣/١ .

(٣) (ق) : « وَحُمِلَ وَدُفِنَ » .

۴۷۹ - بہادر بن عبد اللہ*

الأمیر سیف الدین السنجری .

كان رجلاً سعيداً ، ولم يكن من الخير بعيداً ، تنقل في النيابات بالحصون وغيرها ، وبأشهرها فغاضت بشرّها ، وفاضت بخيرها .

ولم يزل إلى أن دعاه ربّه فأجابه ، وأعظم الناس مَصَابِه .

وتوفي رحمه الله تعالى في العُشر الأوسط من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وهو بمحصر نائب .

ولما كان في نيابة قلعة دمشق جاءه المرسوم^(١) بأن يكون نائب الغيبة بدمشق ، خلّوها من نائب ، وذلك في المحرم سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، فحضر^(٢) الموقعون والوزير ، ونفذ وحكم ، وولّى عدة ولايات منها نظر البيمارستان لشرف الدين بن صصرى^(٣) عوضاً عن بدر الدين بن الحدّاد^(٤) ، ولم تتم الولاية ، وولّى نظر الأسرى لعِماد الدين بن الشيرازي^(٥) ، وولّى نظر البيوت لشمس الدين بن الخطيري^(٦) ، وولّى صحابة الديوان بالجامع الأموي لمحيي الدين بن القلانسي^(٧) .

وطُلبَ في شهر رمضان سنة إحدى عشرة وسبع مئة على البريد إلى مصر فتوجّه إليها ، ودخل عوضه الأمير سيف الدين بلبان البدری ، وعاد السنجری بعد فراغ

* التحفة : ۲۲۲/۲ ، والدرر : ۴۹۸/۱ .

(۱) (ق) : « اللهم » .

(۲) (ق) : « فحضره » .

(۳) محمد بن عبد الرحمن ، وستأني ترجمته .

(۴) محمد بن عثمان ، وستأني ترجمته .

(۵) محمد بن أحمد ، وستأني ترجمته .

(۶) عبد القادر بن يوسف ، وستأني ترجمته .

(۷) محمود بن محمد ، ستأني ترجمته .

رمضان متوجّهاً لنيابة ثغر البيرة ، وتوجّه إلى غزة نائباً عوضاً عن الأمير علاء الدين طيبنغا قوين باشي^(١) بحكم وفاته في شهر رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبع مئة^(٢) .

٤٨٠ - بهادر *

الأمير سيف الدين الناصري الدمرتاشي^(٣) .

كان قد وُرد إلى البلاد صَحبة تمرتاش ، فرآه السلطان فأحبّه ، ولما قُتل تمرتاش أخذهُ السُلطان وقَرَّبَهُ وبالغ في تقدّمه ، فلامه الأمير سيف الدين بكثر الساقى ، وقال : ياخوند ، كل واحد من ممالكك يقعدُ في خدمتك ما شاء الله حتى تُقدّمه لإمرة عشرة ، ثم تنقله لإمرة أربعين ، وبعد مدة حتى يكون أمير مئة ، فخالفه وأعطاه إمرة مئة ، وقَدّمه على ألف ، وزوَّجه إحدى بناته ، وصار أحد الأربعة الذين يبيتون ليلة بعد ليلة عند السُلطان ، وهم : قُوصون وبُشتاك وطغاي ترو و بهادر الناصري ، ولم يزل عنده إلى أن مرض ، وطالت به غلته وابتلي برمد أزمّن ، وقرحة طوّلت ، ولأزمه إنسانٌ مغربي غريبُ البلاد^(٤) ، وعالجه بأشياء لم يوافقهُ الأطباء عليها ، فلزم بيته وامتنع من الطلوع إلى القلعة إلّا في الأحيان .

وكان شكلاً ظريفاً ، محبوباً إلى القلوب طريفاً ، ولم تكن عيناه متّركه ، ولا أفعالها للقلوب محرّكه ، وله قامّة مديده ، ومحاسنٌ هيفها عديده ، إلّا أن رمد عينيه أصدأ سيوف جُفونها ، وغير فتكات ظبّاه التي أغمدتها في جُفونها ، وكوّاه المغربي على جنبه فأنكاه ، وكان سنّة يضحكُ في السعادة فأبكاه ، ولم يزل على ذلك إلى أن تولّى السلطان الملك الصّالح إسماعيل فاستحوذ على الملك لكونه زوج أخت السلطان ،

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) هنا ينتهي الجزء الثاني من (ق) ، وبقية أجزائها مفقودة حتى حرف الميم ، إذا تبدأ ب محمود بن علي .

* الوافي : ٢٩٩/١٠ ، والدرر : ٤٩٨/١ ، والمنهل الصافي : ٤٣١/٣ .

(٣) في الوافي والمنهل : « التمرتاشي » .

(٤) في الوافي والمنهل : « من البلاد » .

وسكن في الأشرفية دارقوصون ، وصار الأمر والنهي والحل والعقد له ، وأخرج الأمير علاء الدين الطنبغا للمارداني إلى نيابة حماة .

ولما نقل الأمير سيف الدين طقزتمر من نيابة حلب إلى نيابة دمشق نقل الأمير علاء الدين الطنبغا إلى نيابة حلب ، وأخرج الأمير سيف الدين يلغا الحيوي إلى نيابة حماة .

ولم يزل على حاله إلى أن أخذ في ليله ، وعَدِمَ حَوْلَهُ وَحْيَلَهُ ، فبات وما أصبح ، وخَسِرَ ما كان ظَنَّهُ يربح ، وذلك في أوائل شَوال سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، رحمه الله تعالى .

٤٨١ - بہادر *

الأمير سيف الدين بن الكركري .

كان مُشَدِّ الدواوين بحمص أيام تنكز ، فأقام بها مُدَّة ، ثم إنه نقله إلى شَدِّ الدواوين بصفد ، وولاية الولاية بها على إمرة طبلخاناه .

لم يكن عنده رَقَّة ، ولا يرضى في الحقِّ لصاحبِ حَقِّه ، بطشه أسرع من رَدِّ طَرَفه ، وهيجَ عِضُّه أشدَّ من خطب الزمان وصرفه ، لا يقوم لغضبه الجبل الراسي ، ولا يُداني الحديد البارد قلبه القاسي ، ومات في عقوبته جماعه ، ولم يخن سوء الذكر ولا سماعه ، إلا أنه كان فيه مع ذلك خِدْمَةٌ وزياسه ، ومُخادعةً لأرباب الجاه وسياسه . يقال إنه قتل وَلَدَهُ بالمقارع وألقاه على القوارع لشراب أخذ منه نَشْوَتَه ، وكشف بها السِّرَّ حَشْوَتَه .

ولما جاء الأمير سيف الدين طشتمر^(١) إلى صفد نائباً وقع بينه وبينه ، وصار

* الوافي : ٣٠٠/١٠ ، والدرر : ٤٩٧/١ .

(١) المعروف بـ حصّ أخضر ، كما في الوافي ، وستأتي ترجمته .

لا يسمع منه ولا يخضع له ويترفع عليه ، وإذا شفع في أحدٍ عنده لا يقبلُ منه ، وإذا علم أن الفلاح من جهته أو من جهة مماليكه قتله بالمقارع إلى أن يموت ، فضاقت عطن طشتمر منه وكظم غيظه ، وصبر له إلى أن أمسك الأمير سيف الدين تنكز ، فما ظن أن ابن الكركري ولا غيره إلا أنه يشنقه في أول وهلة ، فلم يظهر له منه بعد تنكر تنكز ، وتوجه طشتمر عقيب ذلك إلى باب السلطان ، فأعطاه نيابة حلب ، فباس الأرض ، وطلب ابن الكركري من السلطان ليكون عنده في حلب مُشدًا ، فوافقه السلطان على ذلك ، لأنه كان يتحقق منه الأمانة والعفة عن مال الزعايا ، ولم يزل يجلب إلى أن هرب طشتمر منها ، على ماسيأتي في ترجمته ، فما وَفَى له ابن الكركري ومال عليه ، ولما عاد طشتمر من البلاد الرومية اعتقله ، وتوجه إلى دمشق وتوجه منها إلى مصر ، وجرى ما جرى من قتلة طشتمر ، ثم إن ابن الكركري خلص بعد موت طشتمر من الاعتقال وبقي بطلاً ، فحضر إلى دمشق في أيام الأمير سيف الدين طقزمر ، ورتب له راتباً على الأموال الديوانية . ثم إنه رتب في شدّ الدواوين بدمشق وهو بلا إمرة ، فأقام على ذلك قليلاً ، وجّهز إلى حمص مُشدًا ، ثم إلى صِدف مراراً كثيرة .

وباشر ولاية مدينة دمشق مدة بعد إقطاع^(١) ، ثم طلبه الأمير شهاب الدين أحمد نائب صدف لشدّ صدف ، فجهّز إليها فأقام قليلاً ، وكان ذلك في سنة تسع وأربعين في الطاعون ، فتوهم الناس أنه يموت بها ، فطلبه الأمير بدر الدين مسعود من السلطان أن يكون مُشدًا عنده بطرابلس على عشرة قد انحلت عنده^(٢) ، فرسم له بالتوجه إليها ، فأقام بها قريباً من شهر ، وجاءه القضاء الذي لا تحمى منه الحصون ولا يرى درّحي دونه وهو مصون .

ووفاته رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين وسبع مئة في جمادى الآخرة .

(١) الذي في الوافي : « ثم حضر إلى دمشق في أيام الأمير سيف الدين أرغون شاه ، فجعله شاداً على الخاص بدارياً ودومة » .

(٢) أي : إمرة عشرة ، ليس لها أمير .

٤٨٢ - بهادر*

الأمير سيف الدين الأوشاقي^(١) الناصري المعروف بحلاوة .

كان إذا ساق في البريد وجاء إلى مركز قال للسّواق أو لأحدٍ من غلمان البريد :
تأكل حلاوة ؟ فإذا قال : نعم ضربه بالسوط الذي معه^(٢) ، فسمّوه بهادر حلاوة .

وكان أشقر ، أزرق العين بنظرٍ أخفّ على القلوب منه رؤية الحين ، الظلم ملء إهابه ، والقسوة لا تخرج عما تحت ثيابه . ساق في البريد زماناً وهو بالكوفية البيضاء ، وشوته المهامة وما سوته بالرمضاء . وكان السلطان يندبه في مهمّاته ، ويأمنه على أسراره في ملّاته .

وكان الأمير سيف الدين تنكز يدعوه « ابني » تارة بالعربي ، وتارة بالتركي ، وكلّما جاء في البريد أعطاه قرّوة^(٣) قرظيّة بغشا كمخا^(٤) على الدوام ، ولما طال ترداده ، وقضى الأشغال ألّبه السلطان الكلّوة ، ولما أراد السلطان أمساك تنكز جهّز بهادر حلاوة في البريد إلى طشتر بصفد ، وحضر معه إلى دمشق ، ولما أحاطوا بباب النصر ، وجرى ماجرى ، وخرج إليهم تنكز ومشى ومشوا جميعاً ، ولم يجسر أحدٌ على كلامه ، فقال بهادر هذا بالتركي : يا أمراء عجلّوا بالمشي ، فقال له تنكز : أنت الآخر ياروسي^(٥) ، وضربه بالمقرعة على أكتافه . ولما قبض عليه وقيد أخذ سيفه وتوجّه به إلى السلطان ، فوعده بطبلخاناه .

* الوافي : ٣٠٢/١٠ ، والدرر : ٤٩٧/١ ، والمنهل الصافي : ٤٣٤/٣ .

(١) الأوشاقي هو الذي يتولّى ركوب الخيل للتسيير والرياضة . وفي المنهل : « أوجاقي » .

(٢) في الوافي ، والمنهل : « ضربة بالمقرعة » .

(٣) في الأصل : « مرّة » ، ولا وجه لها ، وعبارة الوافي : « فروقرظ » ، والقرظ : الجلد المدبوغ .

(٤) عبارة الوافي والمنهل : « مغشّى بكخا » ، والكخا : نوع من القماش يلبس في الشتاء .

(٥) في الوافي : « ياروسي » ، وفي حاشيته من نسخة للأعيان : « يارومي » .

ولما حضر الأمير علاء الدين الطنبغا إلى دمشق تأمر بهادر حلاوة طبلخانه ، ورسم له السلطان أن يكون مُقَدَّم البريدية بالشام ، فأقام على ذلك مُدَّة ، ثم إنَّ الطنبغا ولَّاه بَرَّ دمشق ، فأقام به مُدَّة ، وخَدَم الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري أتمَّ خِدْمَةَ لما كان على خان لاجين ، ولم يزل على ذلك إلى أن توجَّه النَّاصر أحمد إلى القاهرة ، فقطع خبزه ثم أعيد إليه .

ولما حضر الأمير علاء الدين أيدغمش إلى دمشق نائباً خرج إقطاع بهادر حلاوة لأحد أولاد أيدغمش ، ثم أعيد له إقطاع آخر بالإمرة ، وأقام على ولاية البرِّ إلى أن حضر الأمير سيف الدين طقزتمر إلى دمشق نائباً ، فورد الرسوم من مِصْر^(١) بنقلة حلاوة إلى أمراء حلب ، فتوجَّه إليها وأقام بها مُدَّة تُقارب الأربعة أشهر أو أكثر ، إلى أن ذاق حلاوة عِلَاقِ الموت ، وحَصَلَ لوجوه العدم والفوت ، وذلك في ثلاث عشر صفر سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

قِيلَ بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَبَيْنَ الْمَسْمَى نَسَبَةٌ تَكْتَسِي بِذَلِكَ طَلَاوَهُ
قُلْتُ هَذَا مَا صَحَّ عِنْدِي لِأَنَّا كَمْ رَأَيْنَا مَرَارَةً مِنْ حَلَاوِهِ

٤٨٣ - بهادر*

الأمير سيف الدين بهادر الدواداري .

أول ما عرفت من أمره أنه كان في ولاية صيدا وكان يخدمُ الناس كلَّهم ، ويحسن إليهم ، خصوصاً العسكر الصَّفدي الذي يحضر لليزك بصيدا في كل شهر ، ولما مات تنكز غَزَلَ من صيدا بعد ما أقام بها مُدَّة زَمَانِيَّة ، وتولَّى نابلس وهو على ذلك المِنوال ، ثم

(١) في الوافي : « فورد مرسوم السلطان الملك الصالح » .

* الوافي : ٣٠١/١٠ ، والدرر : ٤٩٨/١ .

تولى كَرْكَ نوح بالبِقاع^(١) ، ثم عَزَلَ وَوَلَّى أستاذَ دَارِيَةِ السَّلْطَنَةِ بدمشق ، وهو بطال بلا إقطاع ، ثم أُنْعِمَ عليه بعشرة أرماح^(٢) في أيام أرغون شاه .

ولم يزل عليها في الوظيفة المذكورة إلى أن دار الموت بالدَوَاداري ، وأصبح زَنْدُ المنية فيه وهو واري ، وذلك في يوم عرفة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

وكان شيخاً طويلاً تام الخلق حسن الشكل والخلق ، كُنَّ الْوَرْدَ في وجهه تَفْتَحُ والياسمين من شيبته بعارضيه مُجَنِّح .

٤٨٤ - بهادر *

الأمير سيف الدين التقوي الساكن بدرب السُوسي .

كانَ أحدُ أمراءِ الطَبْلَخَانَةِ بدمشق ، وأُظِنَّه كانَ أَوَّلًا بالقاهرة ، وله دار على بركة الفيل في أول الجبَّانية ، وكان قد جَرَّدَ من دمشق إلى الرحبة ، فأحسن إلى العسكر الذي كان معه ، وأثنوا عليه ثناءً كثيراً .

توفي رحمه الله تعالى وهو عائد من الرحبة بالقريتين في نصف شعبان سنة ثلاثين وسبع مئة ، وحُمِلَ إلى دمشق في محفة ، ودُفِنَ بالقُبُيَّاتِ^(٣) .

٤٨٥ - بهادر بن أولياء بن قرمان **

الأمير سيف الدين ، أحدُ أمراءِ الطَبْلَخَانَةِ بدمشق ، سكَّنه بالقُبُيَّاتِ بدمشق .

توفي رحمه الله تعالى في أوائل صفر سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

(١) في الوافي : « كرك نوح والبقاعين » .

(٢) عبارة الوافي : « ثم أعطى إمرة عشرة » .

* الدرر : ٤٩٨/١ .

(٣) هو اليوم حيّ الميدان الفوقاني .

** الدرر : ٤٩٥/١ .

وأُعطي إقطاعه للأمير زين الدين زُبالة الفارقاني نائب قلعة دمشق ، وأعطيت العشرة التي كانت معه لغرس الدين خليل بن قرمان .

٤٨٦ - بوسعيد *

ملك التتار ، القان بن القان محمد بن خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو المغلي ، صاحب العراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان والروم ، والناس يقولون فيه أبو سعيد ، على أنه كنية^(١) ، والصحيح أنه عَلَم^(٢) ، هكذا رأيت كُتِبَ التي كانت تَرَدُّ^(٣) على السلطان الملك الناصر محمد ، يكتبُ على ألقابه الذهبية « بوسعيد » باللازورد الفائق ، وَيَزَمُّكَ بالذهب .

لما وقعت المهادنة والصلح بينه وبين صاحب مصر أراد السلطان أن يبتدئه بالمكاتبة ، فبقي السلطان يطلب كاتب السّر القاضي علاء الدين بن الأثير بالمكاتبة ، وهو يقول له : يا خوند إن كُتِبنا له « المملوك » قد لا يكتب « المملوك » وإن كُتِبنا له والده أو أخوه فهو قبيح . ثم قال له بعد شهر : يا خوند رأيت أنا^(٤) نكتب موضع الاسم ألقاب مولانا الشيخ السلطان بالطومار ذهباً ، ونكتب على الكل « محمد » بالذهب أيضاً نسبة طُغْرَة المناشير^(٥) ، فقال : هذا جيد ، وجَهَز الكتاب على هذا الحكم ، وعاد الجواب كذلك خلا « بوسعيد » ، فإنها كانت باللازورد المليح المعدني ، فقال السلطان : ونحن نكتب كذلك ، فقال القاضي علاء الدين بن الأثير : يا خوند

* الوافي : ٣٢/١٠ ، والبداية والنهاية : ١٧٤/١٤ ، والدرر : ٥٠١/١ ، والشذرات : ١١٣/٦ ، والنهل : ٤٤٢/٣ ، وفيه « وقيل بوسعيد بالصاد المهملة » .

(١) في الوافي : « كنيته » .

(٢) عبارة الوافي : « عَلَمٌ ، بلا ألف » .

(٣) في الوافي : « ترد منه » .

(٤) في الوافي : « أن » .

(٥) الطغرة : وصل كان يوضع بين الطرة والبسمة ، وترد فيه ألقاب السلطان فإذا كتب الكاتب منشوراً أخذ من تلك الطغراوات واحدة ، وألصقها فيما كتب به ، وهي كلمة أعجمية .

لأنّا نكون قد قلدناهم ، فاستمرت المكتبة بينهما كذلك إلى أن توفي بوسعيد رحمه الله تعالى .

وكان شاباً مليحاً ، لا يرى في المكارم طليحاً ، مُسلياً ، إلى الخير مُسلياً ، مُعلماً بالجلود وللسكون مُعلماً ، كتب الخطّ المنسوب ، ودخل في ذلك العدد المحسوب ، ورأيت خطّه على (ديوان أبي الطيّب) كأنه باكورة زهر غبّ القطر الطيّب ، وأجاد الضرب بالعود ولعب به ، فكانت يمينه سحابة تُقهِقُ منها الرّعود ، وصنّف مذاهب في النغم ونُقِلَتْ عنه ، وزوّاهها أولو النغم وتداولوها ، وأصلها منه ، وأبطل كثيراً من المُكوس^(١) وأطلق جماعة من الحبوس ، وأراق الخُمور ، وصمّم في مَنْ شربها على أمور ، وهَدَمَ ما في بغداد من الكنائس ، وتتبع مَنْ له في دين الإسلام دَسائس ، وخلع على مَنْ أسلم من^(٢) الذّمه ، وجعل الترغيب في الدخول للإسلام مِنَ الأمور المُهمّة ، وأسقط ما في ممالكه من مُكوس الثّار ، ولم يدع فيها أحداً يتعرّض لهذا السبب إلى أخذِ دَرهم ولا دينار ، ووَرِثَ ذوي الأرحام ، ولم يأخذ منهم لبيت المال نصيباً ، وأصبح في هذه المسألة لأبي حنيفة رضي الله عنه نسيباً ، إلّا أنه كانت به غَنّة ، لا يجد له منها سوى بغداد جَنّة^(٣) ، وهو كان آخر بيت هولاكو وباقرضه اقترضوا ، ونكشوا حبل الملك ونَقَضُوا .

لم يزل في سعة مُلكه والفرح بما في فُلكه إلى أن زعزع الموت أركانه ، وحرك كلّ قلب لما رأت العينُ إسمكانه .

وكانت وفاته رحمه الله تعالى في الأردو بأذربيجان في ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، وقد أناف على الثلاثين سنة .

وكانت دولته عشرين سنة ، ولم تقم بعده للملوك المُغلّ قائمة .

(١) في الوافي : « أبطل بوساطة وزيره محمد بن الرشيد مكوساً كثيرة » .

(٢) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في : الوافي ، وهي أشبه .

(٣) بغداد هي زوجته ، بنت النوين جوبان ، والجنة الستر والغطاء .

وكان جلوسه على التخت في مستهل جمادى الأولى سنة سبع عشرة وسبع مئة بمدينة السلطانية^(١) ، وكان عمره يومئذ إحدى عشرة سنة والله أعلم .

وكان قبل موته بسنة قد حجَّ الركب العراقي ، وكان المُقدم عليه ، بطلاً شجاعاً ، ولم يكن أحداً من العربان يأخذون من الركب شيئاً ، فلما كانت السنة الآتية خرجت العربان على الركب ونهبوه ، وأخذوا منه شيئاً كثيراً ، فلما عادوا شكوا إليه ، فقال : هؤلاء في مملكتنا أو في مملكة الناصر ؟ فقالوا : لا في مملكة الناصر ولا في مملكتك^(٢) إنما هؤلاء في البرية ، لا يحكم عليهم أحدٌ ، يعيشون بقائم سيفهم ممن يمرُّ عليهم ، فقال : هؤلاء فقراء ، كم مقدار ما يأخذون من الركب نحن نكون نحمله إليهم من بيت المال من عندنا كلَّ سنة ، ولا ندعهم يأخذون من الرعايا شيئاً ، فقالوا له : يأخذون منهم ثلاثين ألف دينار ، ليراها كبيرة^(٣) فيبطلها ، فقال : هذا القدر ما يكفُّهم ولا يكفيهم ، اجعلوها كلَّ سنة ستين ألف دينار ، وتكون تحمّل صُحبة مسقر^(٤) من بيت المال من عندنا مع الركب ، فات من سنته ، رحمه الله تعالى ، وجرت بعده أمور يطول شرحها ، ولما بلغت وفاته السلطان الملك الناصر قال : رحمه الله تعالى ، والله ما بقي يجينا مثل يوسعيد .

٤٨٧ - بولاي النوين التتري*

أحد مُقدّهي التتار الذين حضروا مع غازان ، اسمه على الصحيح « مولاي » وإنما الناس يُحرّفونه تهكاً به وبأمثاله كما يقولون في خدای بندا : خَرِبندا^(٥) .

(١) في الأصل : « السلطنة » ، ولا وجه لها ، وما أثبتناه موافق لما في الوافي والمنهل .

(٢) قوله : « فقالوا » ، حتى ههنا سقط من الوافي .

(٣) في الوافي : « كثيرة » . وفي المنهل : « كثيراً » .

(٤) في الوافي : « متسفر » .

* انظر : بعض أخباره في عقد الجمان : ٤٤/٤ ، ٤٥ ، ٥٩ ، ٢٣٥ - ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٨٢ - ٢٨٤ ،

وتذكرة النبیه : ٢٤٥/١ ، حوادث سنة (٧٠٢ هـ) .

(٥) هو خر بندا بن أرغون (ت ٧١٦) ، الشذرات : ٤٠/٦ .

لما أراد غازان العوذة من دمشق بعد ما ملكها إلى بلاده ، ورتب الأمير سيف الدين قَبْجَق نائب دمشق وجعل الأمير سيف الدين بكتر السلاح دار نائب حلب والأمير فارس الدين البكي نائب السواحل كلها وزكريا بن الجلال وزيراً يستخرج الأموال من دمشق ، وحلب وطرابلس ، جعل بُولاي هذا مقيماً بجباعة من عسكر التتار رذءاً لهؤلاء النواب إلى أن يستخدموا لهم جنداً ، فنبت ببولاي الدار ، وضاق عطنه من اللقّام بأرض الشام ، وتذكر هو وقومه بلادهم وجنى له من دمشق جناية لما قدم من الغور في العشر الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة .

الألقاب والأنساب

☆ البياباني : أحمد بن محمد .

☆ ابن البياعة : شمس الدين محمد بن عثمان .

☆ وجلال الدين محمد بن سليمان .

٤٨٨ - بيبرس*

الملك الْمُظَفَّر ركن الدين البرجِيّ الجاشنكير المنصوري ، وكان يعرف بالعُثماني .

كان أبيض أشقر مُستدير اللحية أزهر ، فيه عقلٌ مَوْفَّر الأقسام ، ودينٌ لا يدعُة يقع في محظورٍ ولا حرام . يتجنب الفواحش ويحاذيها ، ويقول :

إِنَّ السَّلامَةَ مِنْ لَيْلِي وَجَارَتِهَا أَنْ لَا تَمَرَّ بَوَادٍ مِنْ بَوَادِيهَا

شاع عنه ترك المُحَرَّمات وذاع ، وملاً الأقطار والأسماع ، خلا أنه لم يُرزق في ملكه سعداً ولا أنجز الله له من طول المدة وعدداً ، وخانه سُفْرأوه وخبث عليه أمراؤه

* الوافي : ٣٤٨/١٠ ، وتالي وفيات الأعيان : ٥٧ ، والدرر : ٥٠٢/١ ، وبدائع الزهور : ٤٣٤/١/١ ، والمنهل الصافي : ٤٦٧/٣ .

وَأَسْلَمُوهُ وَقَفَزُوا ، وَتَرَكَوهُ فَرْدًا وَتَمَيَّزُوا ، فَوَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يَعْقَبْ ، وَخَرَجَ مِنْ مِصْرَ
نَحْوَ الصَّعِيدِ خَائِفًا وَهُوَ مَتَرَقِّبٌ ، إِلَى أَنْ ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ^(١) ، وَاصْفَرَّتْ
شَمْسُ سَعُودِهِ وَشَحِبَتْ ، فَعَادَ وَقَدْ اسْتَسْلَمَ لِلطَّاعَةِ ، وَبَذَلَ فِي رِضَى اللَّهِ جُهِدًا
الْإِسْطَاعَةَ ، وَكَانَتْ أَمْوَالُهُ لَا تُحْصَى ، وَأَوَامِرُهُ لَا تُعْصَى ، وَلَهُ قَبْلَ السُّلْطَانَةِ إِقْطَاعُ
كَبِيرَةٍ فِيهِ عِدَّةُ طَبَلْخَانَاتٍ .

وَكَانَ أَسَازُ الدَّارِ لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاقُونَ ، وَكَانَ سَلَّارُ النَّائِبِ ، فَحَكَمَا فِي
الْبِلَادِ وَتَصَرَّفَا فِي الْعِبَادِ ، وَالسُّلْطَانُ لَهُ الْإِسْمُ لِأَخِيرٍ ، وَكَانُوا نَوَّابَ الشَّامِ
خَوْشِدَاشِيَتِهِ ^(٢) ، وَحِزْبُهُ مِنَ الْبُرْجِيَّةِ .

وَلَمَّا تَوَجَّهَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدٌ إِلَى الْحِجَازِ وَرَدَّ مِنَ الطَّرِيقِ إِلَى الْكَرْكِ وَأَقَامَ
بِهَا وَأَظْهَرَ لَهُمْ أَنَّهُ تَرَكَ الْمَلِكَ ، لَعِبَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ سَلَّارُ بْنُ الْجَاشَنْكِيرِ وَسُلْطَانَهُ ^(٣) ،
وَتَسَمَّى بِالْمُظْفَرِ وَفَوَّضَ الْخَلِيفَةُ إِلَيْهِ ذَلِكَ ، وَأَفْتَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ بِذَلِكَ مِنْهُمْ الشَّيْخُ
صَدْرُ الدِّينِ بْنُ الْوَكِيلِ ، وَالشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ عَدْلَانَ ، حَتَّى قِيلَ فِي ذَلِكَ :
وَمَنْ يَكُنْ ابْنُ عَدْلَانَ مُدْبِرَهُ وَابْنُ الْمَرْحَلِ قُلُوبَ لِي كَيْفَ يَنْتَصِرُ

وَكُتِبَ عَهْدُهُ عَنِ الْخَلِيفَةِ ، وَرَكِبَ بِخَلْعَةِ الْخِلَافَةِ السُّودَاءِ وَالْعِمَامَةِ لِلدَّوْرَةِ ،
وَالْتَقْلِيدُ عَلَى رَأْسِ الْوَزِيرِ ضِيَاءِ الدِّينِ النَّشَائِي ^(٤) ، وَنَّابَ لَهُ سَلَّارُ ، وَاسْتَوْسَقَ لَهُ
الْأَمْرُ ، وَأَطَاعَهُ أَهْلُ الشَّامِ وَمِصْرَ ، وَحَلَفُوا لَهُ فِي شَوَالِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ ، وَلَمْ يَزَلْ إِلَى
وَسَطِ سَنَةِ تِسْعٍ ، حَصَلَ لِلْأَمِيرِ سَيْفُ الدِّينِ نُغَايَ ^(٥) وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْخَوَاصِّ نَحْوَ ^(٦) الْمِائَةِ ،

(١) اقْتِبَاسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ [التَّوْبَةِ : ٢٥/٩] .

(٢) فِي الْمَنْهَلِ : « حِجْدَاشِيَّة » .

(٣) فِي الْمَنْهَلِ : « وَحَسَنَ لَهُ السُّلْطَانَةُ حَتَّى تَسْلُطَنَ » .

(٤) هُوَ أَبُو بَكْرٍ ، وَقَدْ تَرَجَّمَ لَهُ الْمُصَنِّفُ فِي حَرْفِ الْبَاءِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « نَغَايَ » ، تَصْغِيرُ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي الْوَاقِفِ ، وَنَغَايَ : هُوَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ الْحَمْدَارُ ،
سَتَأْتِي تَرْجُمَتُهُ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « وَغَوْ » ، وَلَا تَسْتَقِيمُ الْعِبَارَةُ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي الْوَاقِفِ .

وَحَامَرُوا عَلَيْهِ إِلَى الْكَرْك ، فَخَرَجَ النَّاصِرُ مِنَ الْكَرْكِ وَحَضَرَ إِلَى دِمَشْقَ وَسَارَ فِي عَسْكَرِ الشَّامِ إِلَى غَزَاةٍ فَجَهَّزَ الْمُظْفَرُ يَزَكَاً قَدَّمَ عَلَيْهِمُ الْأَمِيرُ سَيْفَ الدِّينِ بُلْرَغِي^(١) فَخَامَرَ إِلَى النَّاصِرِ ، فَذَلَّ الْمُظْفَرُ ، وَهَرَبَ فِي مَمَالِيكِهِ نَحْوَ الْغَرْبِ ، ثُمَّ إِنَّهُ رَجَعَ بَعْدَ مَا اسْتَقَرَّ الْمَلِكُ النَّاصِرُ فِي قَلْعَةِ الْجَبَلِ ، فَذَكَرَ أَنَّ قَرَأْسَقَرَ ضَرَبَ حَلَقَةً بِالْقَرَبِ مِنْ غَزَاةٍ لَمَّا خَرَجَ مِنْ مِصْرَ نَائِباً فِي دِمَشْقَ ، فَوَقَعَ فِي الْحَلَقَةِ الْجَاشَنْكِيرُ الْمَذْكُورَ وَمَعَهُ نَحْوَ ثَلَاثِ مِئَةِ فَارَسٍ ، فَتَفَرَّقَ الْجَمَاعَةُ عَنْهُ فِي ثَامِنِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِ مِئَةٍ ، رَجَعَ بِنَفْسِهِ مَعَهُ عَلَى الْمُجَنِّ إِلَى مِصْرَ وَالْأَمِيرُ بَهَادِرْ أَرَصَ ، فَوَصَلَ بِهِ إِلَى الْخَطَّارَةِ ، وَتَسَلَّمَ مِنْهَا الْأَمِيرُ سَيْفَ الدِّينِ أَسْنَدَمَرَ ، وَرَدَّهَا لِأَنَّ السُّلْطَانَ كَانَ قَدْ جَهَّزَ يَقُولُ لِلْجَاشَنْكِيرِ : تَرَوْحُ إِلَى (صَهِيونَ) فَهِيَ لَكَ ، فَتَوَجَّهَ فِي الْبَرِّيَّةِ ، فَوَقَعَ بِهِ قَرَأْسَقَرَ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ فَيَا بُلْغِي مِمَّنْ لَهُ أَطْلَاعُ : الَّذِي أَعْرَفَكَ بِهِ أَنِّي قَدْ رَجَعْتُ إِلَيْكَ لِأَقْلِدَكَ بِغِيكِ ، فَإِنْ حَبَسْتَنِي عَدَدْتُ ذَلِكَ خَلْوَةً ، وَإِنْ نَفَيْتَنِي^(٢) عَدَدْتُ ذَلِكَ سِيَاحَةً ، وَإِنْ قَتَلَنِي كَانَ ذَلِكَ شَهَادَةً^(٣) .

فَعَيَّنَ لَهُ صَهِيونَ فَسَارَ إِلَيْهَا مَرَحَلَتَيْنِ ، ثُمَّ إِنَّهُ رَدَّهُ ، وَأَحْضَرَهُ قُدَّامَهُ وَسَبَّهَ وَعَنْفَهُ ، وَعَدَّدَ عَلَيْهِ ذُنُوباً ، ثُمَّ إِنَّهُ خَنَقَهُ قُدَّامَهُ بَوْتَرٍ إِلَى أَنْ كَادَ يَفَارِقُ^(٤) ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ مِنَ الْخِنَاقِ حَتَّى أَفَاقَ وَعَنْفَهُ وَزَادَ فِي سَبِّهِ ثُمَّ خَنَقَهُ .

وَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَنَةَ تِسْعٍ وَسَبْعِ مِئَةٍ ، وَقِيلَ : سَقَاهُ سُمًّا فَهَلَكَ مِنْ وَقْتِهِ .

وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَمَا جَاشَتْ نَفْسُ الْجَاشَنْكِيرِ وَلَا جَشَّاتْ وَلَا عَبَّاتْ بَوَارِدِ الْمَوْتِ وَلَا خَسَّاتْ^(٥) .

(١) فِي الْوَاقِي : « بُلْغِي » ، وَقَدْ سَلَفَتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٢) فِي الْوَاقِي : « هَجَّجْتَنِي » .

(٣) فِي الْوَاقِي وَالْمَنْهَلِ : « لِي شَهَادَةٌ » .

(٤) فِي الْوَاقِي وَالْمَنْهَلِ : « يَتَلَف » .

(٥) أَي : بَعُدَتْ ، وَفِي قَوْلِهِ السَّابِقِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ عَمْرُو بْنِ الْإِطْنَابَةِ :

أَبَتْ لِي هَمِّي وَأَبَى بِلَايِي وَكَسَى الْحَمْدَ بِالْفَنِّ الرِّيحَ

وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَّاتْ وَجَاشَتْ مَكَانَكَ تَحْمِيدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي

عمر الجامع الحاكمي^(١) بعد الزلزلة ، ووقف عليه الأوقاف والكتب النفسية الكبيرة ، وكتب له ابن الوحيد^(٢) ختة في سبع أجزاء بقلم الأشعار ذهباً ، أخذ لها ليقة ألف وست مئة دينار ، وزمكها وزهّبها صندل المشهور ، وغرم عليها جملة من الأجر ، وما أظن أنه بقي يتهيأ لأحد أن ينشئ مثلها ، ولا من تسمو همته إلى أن يغرم عليها مثل ذلك .

وكانت سلطنته عصر يوم السبت ثالث عشري شوال سنة ثمان وسبع مئة بالقاهرة ، وجعل الأمير سيف الدين بلرغي مكان الجاشنكير ومكان بلرغي الأمير سيف الدين بتخاص ، ومكان بتخاص الأمير جمال الدين بن آقوش نائب الكرك . وعمر الخانقاه الركنية التي في رحيّة العيد مجاورة لخانقاه سعيد السعداء^(٣) ، ورّتب لها فيما قيل أربع مئة صوفي ، وصنع داخلها للفقراء بيارستانا . ولما حضر السلطان الملك الناصر من الكرك لم يستمر لها إلا بمئة صوفي لا غير ، وكان في كل قليل يؤخذ من حاصلها السبعون ألفاً والخمسون ألفاً والأقل والأكثر .

وكنّت قد قلت فيه رحمه الله تعالى :

تَشَى عَطْفٌ مِصْرٍ مِنْ قَدُومِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ النَّدْبِ الْحَبِيرِ^(٥)

(١) ويقال : جامع الأنوار ، موقعه بين باب النصر وباب الفتوح ، بناه الخليفة الفاطمي العزيز بالله (ت ٣٨٠) ، وأتمه الحاكم بأمر الله سنة (٤٠٣ هـ) . خطط المقرئزي : ٢٧٧/٢ ، والنجوم : ١٤٠/٨

(٢) شرف الدين محمد بن شريف ، ستأقي ترجمته .

(٣) وتعرف أيضاً بالخانقاه البيبرسيّة ، قرب باب النصر . خطط المقرئزي : ٢٧٦/٤ ، وحسن المحاضرة : ٢٦٥/٢ .

(٤) كانت داراً تعرف بدار سعيد السعداء قنبر عتيق الخليفة للمستنصر الفاطمي (ت ٥٤٤ هـ) ، ثم جعلها صلاح الدين الأيوبي وقفاً على الصوفية سنة (٥٦٩ هـ) ، وهي أول خانقاه علمت بمصر . خطط المقرئزي : ٢٧٣/٤ ، وحسن المحاضرة : ٢٦٠/٢ .

(٥) وقع في حاشية الوافي نقلاً عن بعض الأصول الخطية للأعيان لفظ البيت هكذا :

تَشَى عَطْفٌ مِصْرٍ حِينَ وَافَى قَدُومِ النَّاصِرِ الْمَلِكِ الْحَبِيرِ
وهي رواية المنهل الصافي .

فذلّ الجاشنكير بلا لقاءٍ وأمسى وهو ذو جاشٍ نكيرٍ
إذا لم تغضد الأقدار شخصاً فأول ما يُراع من النصير

٤٩٠ - بيبرس*

الشيخ المسند الكبير الجليل علاء الدين أبو سعيد بن عبد الله التركي العددي مولى
الصاحب مجد الدين بن العديم^(١) .

ارتحل مع أستاذه ، وسمع ببغداد (جزء البانياسي) من الكاشغري^(٢) ، و (جزء
القيسوي)^(٣) من ابن الخازن^(٤) و (أسباب النزول) من ابن أبي السهل^(٥) . وتفرد
بأشياء ، وسمع من ابن قميّره^(٦) .

وحَدَّث بدمشق وحلب . وسمع منه علم الدين البرزالي ، وابن حبيب ،
وأولاده^(٧) ، والواني^(٨) ، وابن خلف ، وابن خليل المكي ، وغده .

وكان مليح الشكل أمياً ، غير فصيح ، أعجمياً ، لم يزل يُسمع إلى أن عدم العدديّ
وفقد ، وزَيَّف الموتُ صرفه وما اتَّقد .

ووفاته بحلب سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده في حدود العشرين وست مئة .

(١) محمد بن عبد الرحمن ، وقد سلفت ترجمته .

(٢) البانياسي هو مالك بن أحمد بن علي بن إبراهيم البانياسي البغدادي (ت ٤٨٥ هـ) . السير : ٥٢٦/١٨ .

والكاشغري إبراهيم بن عثمان بن يوسف (ت ٦٤٥ هـ) .

(٣) علي بن عبد الله بن إبراهيم الهاشمي (ت ٤١٥ هـ) . السير : ٣٢١/١٧ .

(٤) محمد بن سعيد بن أبي البقاء النيسابوري (ت ٦٤٣ هـ) . السير : ١٢٤/٢٣ .

(٥) في المنهل : « أبي سهل » .

(٦) في المنهل : « ابن أبي قميّرة » .

(٧) ابن حبيب : هو عمر بن حسن بن عمر (ت ٧٢٦ هـ) ، وستأتي ترجمته ، ومن أولاده : الحسن ، وهو

الأديب المؤرخ المشهور (ت ٧٧٩ هـ) . الدرر : ٢٩/٢ ، والشذرات : ٢٦٢/٦ .

(٨) محمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي الحنفي (ت ٧٣٥ هـ) .

٤٩١ - بيبرس *

الأمير ركن الدين الشرفي المنصوري المعروف بالجنون .

توجّه بالناس إلى الحج في سنة ست وسبع مئة ، ولما أمسك الأمير سيف الدين كراي المنصوري نائب دمشق توجّه بالأمير ركن الدين والأمير سيف الدين أغرلو العادلي إلى الكرك في شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني عشري شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وسبع مئة .
وكان سكنه بالزلاقة داخل الباب الصغير ، وكانت وفاته بمحص .

٤٩٢ - بيبرس **

الأمير ركن الدين التلاوي ، بكسر التاء ثلاثة الحروف وبعدها لام ألف وواو بعدها ياء النسب .

كان أميراً ذا مهابة ، وشدة بأس^(١) تروّع أعداءه وتروّق صحابه ، ولي شدّد دمشق بصرامة وحرمة أوقدت ضرامه ، فخافه المباشرون وغيرهم ، وطار من خوفه طيرهم .
ولم يزل على حاله إلى أن بردت أنفاسه ، ونفّضت من الحياة أحلاسّه .
وتوفي رحمه الله تعالى في تاسع شهر رجب الفرد سنة ثلاث وسبع مئة .

وكان فيه ظلم وعسف ، وفَرِحَ الناسُ بموته ، وياشر الشدّة بَعْدَهُ الأمير شرف الدين قيران^(٢) عقيب وُصُوله من طرابلس .

* الدرر : ٥٠٩/١ .

** الدرر : ٥٠٨/١ ، وعقد الجمان : ٣٤٠/٤ ، وفيات (٧٠٣ هـ) ، والنجوم الزاهرة : ٢١٢/٨ .

(١) في الأصل : « وشدة وبأس » ، ولاوجه للواو ههنا .

(٢) في الأصل : « قيدان » ، تحريف ، وستأتي ترجمته .

٤٩٣ - بيبرس *

الأمير ركن الدين الموفقى المنصورى ، كان من عتقاء الملك الأشرف .
 كان قد ولي النيابة بغيره ، وجعل لها بإمرته فيها طرباً في عطفها وهزّه ، وكان
 كبير القدر معظماً ، ومعالیه تُرى على جيد الزمان عقداً منطماً ، ثم عُزل من غرة وأقام
 بدمشق إلى أن بانّت حياته ، وقطف ثمر عمره جُناته .
 وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة أربع وسبع مئة ، وحضر الأمراء
 جنازته وتولّى غزّة بعده أقجبا المنصورى .

٤٩٤ - بيبرس **

الأمير ركن الدين العلاني .
 كان من جملة أمراء دمشق ، توجه منها يوم السبت سابع عشرين شوال إلى غزّة
 نائباً عوضاً عن الأمير سيف الدين أقجبا المنصورى ، وذلك في سنة سبع وسبع مئة ،
 فأقام بها إلى أن عُزل منها في صفر سنة تسع وسبع مئة بالأمير سيف الدين بلبان
 البدرى ، فأقام بدمشق على إمرته مدّة ، ثم وصل إليه تقليدُه بنياية حمص في سادس
 شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، فتوجه إليها وأقام بها إلى أن قبض
 السلطان عليه بمحمص في بكرة الأحد تاسع شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبع
 مئة .

وورد إلى دمشق فأمسكه الأمير سيف الدين قجلىس^(١) ، وأمسك الأمير بدر
 الدين القرماني^(٢) والأمير سيف الدين طوغان والأمير ركن الدين بيبرس المجنون ،
 * الدرر : ٥١٠/١ ، وعقد الجمان : ٢٧٥/٤ ، وفيات (٧٠٤ هـ) ، والسلوك : ١٣/٢ ، والمنهل الصافي :

٢٨١/٣ .

** الدرر : ٥٠٩/١ .

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) هو بدر الدين بكتوت ، وقد سلفت ترجمته .

والأمير علم الدين سنجر البرواني^(١) والأمير ركن الدين بيبرس التاجي^(٢) والأمير سيف الدين كَشلي ، وتوجَّهوا بهم إلى الكرك^(٣) ، وكان قد باشر الحجويَّة في سنة أربع وسبع مئة .

٤٩٥ - بيبرس *

الأمير ركن الدين الجالِق الصالحى المعروف بالعجمي .
كان أميراً كبيراً من الحمدارية في أيام الصَّالح ، وأمره الظاهر ، وكان كثير الأموال ، ودُفن بظاهر القُدس .
وكان قد تُوِّفي رحمه الله تعالى بظاهر الرملة في نصف جُمادى الأولى سنة سبع وسبع مئة .

٤٩٦ - بيبرس **

الأمير ركن الدين الحاجب .

كان أولاً أمير آخور ، فلما حضر السلطان من الكرك عزله بالأمير أيْدَغْمَشُ المذكور في حرف الهمة ، ثم إنَّه ولَّاه الحُجبة ، فكان حاجباً إلى أن جَرَّد إلى الين هو وجماعة من العسكر المصري ، فغاب مُدَّة بالين ، ولما حضر تقم السلطان عليه أموراً نُقلت عنه^(٤) ، فاعتقله في حادي عشر ذي القعدة^(٥) سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) والي القاهرة في الأيام الناصرية ، وتولَّى دمشق إلى أن قبض عليه . الدرر : ٥٠٧/١ .

(٣) البداية والنهاية : ٦٥/١٤ .

* الوافي : ٣٤٨/١٠ ، وعقد الجمان : ٤٨٠/٤ ، وفيات (٧٠٧) ، والدرر : ٥٠٨/١ ، والمنهل الصافي :

٤٧٤/٣ . وفيه : « والجالق : صفة للفرس إذا كان قوي النفس كثير اللعب » .

** الوافي : ٣٥١/١٠ ، والتحفة : ٢٤٤/٢ ، والدرر : ٥٠٨/١ ، والنجوم الزاهرة : ١٠٠/١٠ .

(٤) الوافي : « إليه » . وفي المنهل : « إليه عنه » .

(٥) في الأصل : « عشري القعدة » ، وأثبتنا ما وقع في حاشية الوافي تقيلاً عن بعض الأصول الخطية

للأعيان .

وكان قبل تجر يده إلى الين قد حضر إلى دمشق نائباً مدة غيبة الأمير سيف الدين تنكز بالحجاز ، ولما حضر الأمير سيف الدين تنكز عاد إلى مصر قبل وُروده بيوم أو يومين ولم يعلم أحدٌ بخروجه ، ثم إن السلطان أفرج عنه . وكان الإفراج عنه في شهر رجب سنة خمس وثلاثين وسبع مئة من الإسكندرية ، وجّهه إلى حلب أميراً ، فبقي هناك مدة .

ولما توجه الأمير سيف الدين تنكز إلى مصر سنة تسع وثلاثين وسبع مئة طلبه من السلطان ، فرسم له بالحضور إلى دمشق ، فحضر إليها ونزل بدار أيدغدي شقير ومملكها ، ولم يزل بدمشق مقيماً إلى أن توجه الفخري^(١) هو وطشتر إلى مصر ، فأقره على نيابة الغيبة بدمشق هو والأمير سيف الدين اللّمش الحاجب ، وكان الملك الناصر أحمد يكتب إليه وكان قد أسنّ ، وحصل له في وجهه ماشرى^(٢) ، فما علم بعدها ما باع من الحياة ولا ماشرى .

وتوفي بعدها بجمعة في شهر رجب الفرد سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

وله دار مليحة بالقاهرة داخل باب الزّهومة في رأس حارة زويلة مشهورة ، وهو والد الأمير علاء الدين أمير علي الحاجب الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .

٤٩٧ - بيبرس *

الأمير ركن الدين الدوادر المنصوري الخطائي^(٣) .

كان رأس الميسرة ، وكبير الدولة . عمل نيابة السلطنة ، ثم إنه سجن مدةً ، وأفرج عنه وأعيد إلى منزلته .

(١) هو قطلوبغا ، كما في الوافي .

(٢) يقال : شرى الله فلاناً : أصابه بعلّة الشرى لبثور صغار حُمُر حكاكة .

* الوافي : ٣٥٢/١٠ ، والدرر : ٥٠٧/١ ، والشذرات : ٦٦/٦ ، وللنهل الصافي : ٤٧٧/٣ .

(٣) في الوافي : « الخطاي » .

وكان فاضلاً في أبناء جنسه ، عاقلاً لا يستشير في أمره غير نفسه^(١) ، وافر الهيبة ، واضح الشبهة له منزلته مكنية عند السلطان ، ومحلّة لا يشركه فيها غيره في النّزوح والاستيطان ، يقوم له إذا أقبل ، ويقول له : اجلس فإنك أكبر من هؤلاء وأنبل . ولم يزل على حاله إلى أن أمسكه الحين فما أفلته ، وسلّ عليه حسامه وأصلته .

ومات وهو في عشر الثمانين بمصر سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

وعمل تاريخاً كبيراً^(٢) بإعانة كاتبه ابن كبر النصراني وغيره ، خمسة وعشرين مجلداً .

وتولّى نيابة مصر في شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة بعد بكثر الجوكندار ، ودفن بمدرسته التي أنشأها تحت قلعة الجبل ، وحضر جنازته نائب السلطان والأمراء ، وأعتق مماليكه وجواريه ، وفرّق خيله .

وكان يجلس رأس الميسرة وكان قد أمسك هو والأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك ، والأمير سيف الدين سنقر الكمالي ، وحبسوا في برج بالقلعة ومعهم خمسة أمراء غيرهم .

٤٩٨ - بيبرس *

الأمير ركن الدين حاجب صفد ، كان منسوباً إلى سلار .

أخرجه السلطان الملك الناصر محمد إلى صفد بعد سنة سبع وعشرين وسبع مئة ،

(١) يشير إلى قول سعيد بن ناشب :

ولم يستشر في رأيه غير نفسه ولم يرض إلا قاعم السيف صاحباً

(٢) سماء : « زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة » انتهى فيه إلى سنة (٧٢٤ هـ) . الكشف : ٩٥٢ ، والمنهل :

٤٧٧/٤ ، وهو مخطوط كما في الأعلام : ٨٠/٢ .

* الوافي : ٣٥٢/١٠ ، والدرر : ٥٠٨/١ ، والمنهل الصافي : ٤٧٨/٣ .

فأقام بها أميراً إلى أن توفي حاجبها الأمير علاء الدين أقطوان الكمالي ، فرسم له بالحجبة مكانة .

ولما رسم السلطان الملك الناصر للأمير بهاء الدين أصلم بناية صفد رسم لبيبرس أن يكون في دمشق أميراً حتى لا يجتمعاً ، لأن أصلم كان سلاطياً .

ثم إنه بعد موت الناصر محمد طلب العود إلى صفد ، وعاد إليها حاجباً ، وكان عاقلاً خبيراً ، يصلح أن يكون مدبراً ومشيراً ، عديم الشر وادعاً ، قائلاً بالحق صادعاً ، له نعمة وسعاده ، وفيه الحسنى وزياده .

ولم يزل بصفد إلى أن هيل عليه ترابه ، وفقده ذؤوه وأصحابه .

وتوفي رحمه الله تعالى في أول شهر رجب الفرد سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

٤٩٩ - بيبس *

الأمير ركن الدين الأحمد أمير جاندار .

كان من أعيان الدولة في أيام السلطان الملك الناصر ، وهو أمير جاندار مقدم ألف ، وكان أحد الأبطال ، يعجز من مقاومته أبو محمد البطال^(١) عنده قوة نفس وعزم ، وسوء ظن بالدهر وحزم ، قد حلب الدهر أسطره^(٢) ، وقرأ من ريبه أسطره ، مع ما فيه من محبة الفقراء ، وإيثار الصلحاء .

وعنده من ممالিকে رجال يملأ بهم في الحروب سجال ، ويقدمون على الأسود في غابها ويحبلون بين نفوس الأعداء وبين رغابها^(٣) ، قد كثر منهم العدد ، وقواهم بالخيال

* الوافي : ٣٥٣/١٠ ، والدرر : ٥٠٢/١ ، والنجوم الزاهرة : ١٤٣/١٠ ، والمنهل الصافي : ٤٧٩/٣ .

(١) عبد الله بن عمرو بن علقمة البطال ، كان على طلائع مسلمة بن عبد الملك في غزواته ، (ت ١٢٢ هـ)

من الشجعان ، دخل الخيال الشعبي ، وأضحى مثلاً في القوة . النجوم : ٢٧٢/١ .

(٢) مثل يضرب فين جرب الدهر . جمع الأمثال : ٩٥/١ .

(٣) جمع رغب ، وهو الحرص على الدنيا .

والسّلاح والعدد ، فإذا ركبوا زلزلوا الأرض ، وجابوا طول البسيطة والعرض ، لو صدم بهم جبلاً صدّعه أو رد بهم على سيل حافر كفّه عن شأوه وردعه ، لا جرم أنه بهم نجا ، ووجد له من ضيق الناصر أحمد مخرجا .

وهو أحد من يشار إليه في الحلّ والعقد ، بعد الملك الناصر محمد ، وهو الذي قوى عزم قوصون على إقامة المنصور أبي بكر ، وخالف بشتاك ، وقال ^(١) : هذا الذي ولّاه أستاذكم وهو أبوه ، وما اختار الذي تختاره أنت ، وأبوها أخبر بها .

ولما نُسِبَ إلى المنصور ما نُسب من اللّهو واللّعب ، واستعمال الشراب حضر إلى باب القصر ويده دمرتاش ، وقال : أيش هذا اللّعب ؟ فانقل الجماعة الذين كانوا عند السلطان أبي بكر .

ولما توفي الناصر محمد فرغ عن الوظيفة وولّى مكانه أروم بغا ، ثم إن الناصر أحمد لما جلس على كرسيّ الملك ولّاه نيابة صفد ، فخرج إليها وأقام بها مُدَيّدة ، ولما انهزم الفخري من رمل مصر ، ووصل إلى جينين ^(٢) قاصداً الأحدي هذا ، وأشار مماليكه عليه بذلك ، ونزل هو من صفد ، ولو اجتمع ما نال أحدُ منهما غرضاً ، ثم إن الفخري قال : لا ، هذا أيدغمش على عين جالوت هنا وهو أقرب ، فجاء إليه فأمسكه ، على ماسيأتي إن شاء الله تعالى في ترجمة الفخري ، ثم إن الناصر أحمد حقد على الأحدي ذلك وهم يأمساكه ، فأحسن بذلك ، فخرج من صفد هو ومماليكه مُلبّسين عُدة السّلاح ، واتبعهم عسكر صفد فخرج ^(٣) منهم واحد وقتل ركن الدين عمر البتخاخي الحاجب الصغير .

ثم إن الأحدي قصد دمشق وليس لها يومئذ نائب ، فخرج الأمراء ليلاً لإمساكه فقال : أنا قد جئتُ إليكم غير مُحارب ، فإن جاء أمر السلطان بإمساكي أمسكوني وأنا

(١) في الوافي : « وقال له » .

(٢) معجم البلدان : ٢٠٢/٢ .

(٣) في الأصل : « فخرج » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

ضيفاً عندهم ، فأخرجوا له الإقامة ، تلك الليلة^(١) ، وأصبح والأمراء معه ، وجاء البريد من الكرك يماسكه فكتب الأمراء إلى السلطان يسألونه فيه وأن هذا مملوكك ومملوك والدك ، وهو ركن من أركان الدولة ، وماله ذنب ، واليوم يعيش وغداً يموت ، ونسأل صدقات السلطان العفو عنه ، وأن يكون أميراً بدمشق . فردّ الجواب يماسكه ، فردّوا الجواب بالسؤال فيه ، فأبى ذلك وقال : أمسكوه وانهبوه ، وخذوا أمواله لكم وابعثوا إليّ برأسه ، فأبوا ذلك ، وخلعوا طاعته وشقّوا العصا عليه .

وبعد أيام قليلة ورد الأمير سيف الدين طقتمر الصلاحي من مصر مخبراً بأن المصريين خلعوا أحمد^(٢) وولّوا الملك الصالح إسماعيل .

وبقي الأحدي مقيماً بقصر تنكرز بالمرّة إلى أن ورد المرسوم له بنبابة طرابلس ، فتوجّه إليها ، وأقام بها قريباً من شهرين ، ثم طلب إلى مصر ، فتوجّه إليها وحضر عوضه الأمير سيف الدين أروم بغاً نائباً ، ثم إن الأحدي جهّز إلى الكرك يحاصر الناصر أحمد فحصره مدة ، وبالف ، فلم ينل منه غرضاً ، وتوجّه إلى مصر ، وأقام بها إلى أن أتاه الأمر الذي لا يردّه بواب ، ولا يحول دونه حجاب .

وتوفّي رحمه الله تعالى في أوائل سنة ست وأربعين وسبع مئة ، ومات وهو في عشر الثمانين .

ولما كان في تلك المدة مقيماً بدمشق جاء حريم طشتمر من الكرك بعد ما نهبن بالكرك وسلّبن موجودهنّ ، فدفع الأحدي إليهن مبلغ خمسة آلاف درهم .

٥٠٠ - بيبرس *

الأمير الصالح الخير ركن الدين أبو أحمد بن عبد الله التركي القيري ثم الظاهري السّلاح دار .

(١) عبارة الوافي : « وبات تلك الليلة » .

(٢) في الأصل : « أحمد » .

* الدرر : ٥٠٦/١ .

روى عن ابن المقير، والمكرم بن عثمان، وغيرهما. ولما كان بمصر لازم الشيخ شرف الدين الدمياطي، واستنسخ بعض مصنفاته وسمع (الغيلانيات) على غازي الحلوي، وحصل بها نسخة. وكان يحفظ كثيراً من الأحاديث والآثار والأدعية الماثورة.

وحدث بالقاهرة وبدمشق والحجاز.

قرأ عليه الشيخ علم الدين البرزالي بعرفة «الأربعين» لابن المقير، ثم إنه ورد دمشق، ثم إنه حبس وقطع خبره، ثم أفرج عنه واقطع في بيته، وأقبل على شانه، وعمل على ما يرجح كفة ميزانه، وأقام على ذلك مدة سنين لا يجتمع بالدولة، ولا بأحد من أرباب الصولة، ولا يتردد إلى أحد من نواب السلطنة، ولا يدانيه ولا يتوجه إليه ولا يراه ولا يرائيه، إلى أن أتاه الأمر الذي يرد فلا يرد، ويصد فلا يصد.

وكانت وفاته رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة أربع وسبع مئة.

٥٠١ - بيبرس*

الأمير ركن الدين الفارقاني نائب قلعة دمشق.

كان شيخاً طويلاً، قديم الهجرة جليلاً، فيه خير وديانه، وبر وصيانه، أحسن نيابة القلعة، وخبر ما وجد فيها من سلعه^(١)، ولم يزل بها على حاله إلى أن أنزله الموت من حصنه، وما أمكنه الفرار ولو علا على ظهور حصنه.

ووفاته في العشر الأوسط من جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وسبع مئة.

ولما كان بالديار المصرية جهّزه السلطان إلى القاضي كريم الدين الكبير، فتولى

* الدرر: ٥٠٩/١.

(١) أصل معناها التشقق.

ما أمره به ، وكان يُحكي عنه ما عامله به من المكارم وكيف تلقى ذلك برضى وتسليم لأمر الله تعالى .

٥٠٢ - بِييغا*

الأمير سيف الدين الأشرفي .

كان في وقت نائب الكرك فيما بعد العشرين وسبع مئة فيما أظن ، ثم إنّه عزل منها ، وحضر إلى دمشق وجّهز إلى قلعة صُرّخد ، فيما أظن أيضاً ، وكان قد أضّر بأخرة فَعَدِمَ قَمَرِيّه المنيرين ، وفقد تَقْدِيه البصيرين ^(١) .

ولم يزل على حاله إلى أن دعاه باريه فلّباه ، وقال نادبه : وارّباه .
ووفاته رحمه الله تعالى في ^(٢) ...

٥٠٣ - بِييغا**

الأمير سيف الدين مملوك الملك المؤيد صاحب حماه رحمه الله تعالى .

كان من جملة أمراء الطبلخاناه بحماة .

ولم يزل بها على إمرته ، وصُحْبَةِ من ارتضاه وعشرته ، إلى أن فقده ودودُه وعاث في لحمه حشرات الأرض ودودُه .

ووفاته رحمه الله تعالى سنة ست وأربعين وسبع مئة .

* الوافي : ٣٥٥/١٠ ، والدرر : ٥١٢/١ ، والمنهل الصافي : ٤٨٦/٣ . وقال في المنهل : ٤٨٥/٣ : « وبِييغا صوابه : باي بغا ، ومعناه : نور سعيد ، فإن باي بالتفخيم : سعيد بالتركي ، وبغا : هو الثور الهائل » .
(١) في اللسان : « ما زال فلان ينقذ بصره إلى الشيء إذ لم يزل ينظر إليه » .
(٢) كذا من دون تاريخ في الأصول . وفي الدرر وفاته بعد (٧٣٠ هـ) .
** الوافي : ٣٥٥/١٠ ، والدرر : ٥١٣/١ ، والمنهل الصافي : ٤٨٥/٣ .

٥٠٤ - بيغاروس*

الأمير سيف الدين نائب السلطنة بالديار المصرية .

أول ما ظهر وشاع ذكره في الأيام الصالحة لإسماعيل ، وهو الذي جاء في أول دولة الكامل يطلب طقزتمر نائب الشام إلى مصر ، ثم لما قُتل المظفر حاجي ظهر واشتهر ، وياشر النياابة بمصر على أحسن ما يكون وأجل ما باشره غيره لأنه أحسن إلى الناس وبسط لهم الإيناس ، ولم يظلم أحداً ولم يتخذ على من تهتك رصداً ، وكان إذا مات أحد أعطى ولده إقطاعه ، وكل من طلب منه شيئاً قال : سمعاً وطاعة ، فأحببه الناس ودعوا ، وحفظوا عهده ورعوا ، ومشوا في ركابه وسعوا ، وتباركوا بطبعته ، وتقرب كل أحد إليه بنفاق سلعته ، وكان الطاعون في أيامه ، وذلك الوباء داخلاً في أقسامه ، فيقال : إنه كفن مئة ألف أو يزيدون ، وأعطى الإقطاعات للأولاد ، أراد الأمراء ذلك أولاً يريدون .

قيل : إنه جاءت إليه امرأة وقالت : مات زوجي وليس له إلا إقطاعه وترك لي هاتين الابنتين ، فرق لها ، فقال لناظر الجيش : اكشف عبرته^(١) . فقال : خمسة عشر ألف ، فقال : من يعطي في هذا عشرين ألف درهم^(٢) فقال واحد : أنا أعطي اثني عشر ألف درهم فقال : هاتها ، فوزنها ، فقال للمرأة : خذي هذه الدراهم وجهزي بنتيك^(٣) ، وأعطى الإقطاع لذلك الذي سلم الدراهم .

وكان في النياابة فيه خير كثير ، وإحسان إلى الناس غزير إلا أنه كان يعكف على حسو السلافة ، ويرى أنه بتعاطي كؤوسها قد نال الخلافه ، ماله رغبة في غير اجتلاء

* الوافي : ٣٥٦/١٠ ، والدرر : ٥١١/١ ، والنجوم : ٢٧٦/١٠ ، والذيل التام : ١٣١ .

(١) يقال : عبر للمتاع والدراهم : نظركم وزنها ، وماهي .

(٢) عبارة الوافي : « عشرين ألف درهم ويأخذه » .

(٣) في الأصل : « بنيك » ، وأثبتنا ما في الوافي .

شموسها وتناول كؤوسها ، واجتلاء أنوارها من يدي سقائها الأبقار وتذهيب أشعتها لما عليهم من الأطمار ، لا يقابل من قابله بها برده ، فهي تغرب في فيه وتطلع في خده ، ومع ذلك فما يخل بالجلوس في الخدمة أوقات الخدم ، وثبات مالها في الدول المعروفة من قدم القدم .

وكان قد ولى أخاه الأمير سيف الدين منجك الوزارة ، فاختلف في أمره فيما بين الخاصكية ، فأرضاهم بعزله أياماً قلائل ، ثم إنه أخرج أمير أحد الساقى إلى صفد نائباً ، ثم أخرج بعده الأمير سيف الدين الجبيغا إلى دمشق ، ثم أخرج حسام الدين لاجين العلائي زوج أم المظفر إلى حماه ، وأقام على حاله إلى أن عزم على الحج ، فقال له أخوه منجك : لا تحج ، والله يتم لنا ماتم للفخري وطشمر ، فلم يسمع منه ، وتوجه إلى الحجاز في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، ومعه فاضل ومأمور ، وحج معه الأمير سيف الدين طاز ، والأمير سيف الدين بزلار وغيرهم من الأمراء ، فأمسك بعد توجهه الأمير سيف الدين منجك بأيام قلائل ، وقبض عليه الأمير سيف الدين طاز في الينبع^(١) في سادس عشري القعدة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة . فقال ليطاز : أنا ميت لا محالة ، فبالله دعني أحج ، فقيده وأخذه معه وحج وطاف وسعى ، وهو مقيد على إكديش ، ولم يسمع بمثل ذلك ، ولما عاد من الحجاز تلقاه الأمير سيف الدين طينال الجاشنكير ، وأخذه وحضر به إلى الكرك ، وسلمه إلى نائبها ، وتوجهوا بأخيه فاضل إلى القاهرة مقيداً ، فدخلها ، أعني النائب ببيغا إلى الكرك في سابع المحرم سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة . وقلت أنا فيه رحمة له :

ولا عجب فالشمس في الأفق تكشف
ولم يك في بذل الندى يتوقف
له عن رضى السلطان في ذاك مصرف^(٢)

تعجب لصرف الدهر في أمر بيغا
لقد ساس أمر الملك خير سياسة
وأُمسك في درب الحجاز ولم يكن

(١) في الدرر : « البقيع » .

(٢) في الوافي : « فلم يكن » .

وسَلَّمْ لِلأَقْدَارِ طَوْعاً وَمَاعِثَا
وسار إلى البيت العتيق مقيّداً
فيا عجباً ما كان في الدهر مثله
وعاجوا به من بَعْدُ للكرك التي
وأودِعَ في حُصْنٍ بها شامخ الذرى
سيئوويه من آوى المسيح ابن مريم
ولو شاء خَلَى السيف بالدم يعرف^(١)
ورَّيح الصبا تعتلّ والورق تهتف
يَطُوفُ ويسعى وهو في القيد يرسف
على ملكها نفس الملوك تأسف
تراه بأقراطِ النجوم يشنف^(٢)
وينجو كما نُجِّي من الجب يوسف^(٣)

ولم يزل في الكرك مُعتقلاً إلى أن ولي الملك السلطان الملك الصالح صالح ، فأفرج عنه وعن الأمير سيف الدين شيخو وبقية الأمراء المعتقلين بالإسكندرية ، ووصل إلى القاهرة ، فوصله وأنعم عليه وخلع عليه ، ورسم له بناية حلب عوضاً عن الأمير سيف الدين أرغون الكاملي .

فوصل إلى دمشق نهار السبت ثالث عشري شعبان سنة اثنين وخمسين وسبع مئة ومعه الأمير عز الدين طقطاي يُقرّره في النيابة ويعود ، ولما وصل إلى غزة عمل له الأمير سيف الدين ببيغاتتر^(٤) النائب بغزة سماًطاً فأكله ، ولما فرغ منه أمسكه وجّهزه مقيّداً إلى الكرك ، وتوجّه هو إلى حلب وياشر النيابة ، ومن حين دخلها تغيّرت نيّته وفسدت على الأمير طاز وعلى الدولة ، ووسوس له الشيطان ، نعوذ بالله منه ، وحسّن له كلّ قبيح ، وسوّل له كلّ فساد بعد ذلك الخير والصّلاح ، واتفق مع أحمد الساقى نائب حماة ، ومع بكلمش نائب طرابلس على الرّكوب والحضور إلى دمشق ، فإن وافقهم^(٥) أرغون الكاملي نائبها على ما يريدون وإلاّ ضربوا معه مضافاً ، وأخذوا عسكر الشام وتوجّهوا به إلى مصر ، واتفق معه الأمير زين الدين قراجا بن دلفادار نائب الإبلستين

(١) في الوافي : « وماعثاً » ، تصحيف .

(٢) في الوافي : « بأقراط » .

(٣) في الوافي : « نُجِّي » ، ولا وجد لها .

(٤) هو صاحب الترجمة القادمة .

(٥) في الأصل : « رافقهم » . ولا وجه لها .

على ذلك . وتردّدت الرّسل بينهم ، وجعلوا يقدّمون رجلاً ويؤخرون أخرى ، إلى أن بلغ الأمير سيف الدين أرغون الكاملي قوّة عزيمهم على الحضور إلى دمشق ، فخلف عسكر الشّام للسلطان الملك الصّالح ، وتوجّه بالعسكر إلى لدّ ، وأقام عليها ، ودخل بيغاروس وأحمد وبكلمش بعساكر حلب وحماة وطرابلس وتركان بن دلغادر إلى دمشق نهار الاثنين ثالث عشري شهر رجب الفرد سنة ثلاث وخسين وسبع مئة مطلّبين ، ولاقام الأمير علاء الدين الطّنبغا برناق نائب صفد ، على ما تقدم في ترجمته ، ونزل بيغا على قبة يلبغا ظاهر دمشق ، وأقام عنده أحمد يومين ثلاثة ، ثمّ إنّه توجّه بألف فارس وأقام على المزيريب ، وتسيّب تركان بن دلغادر وغيرهم من المفسدين على بلاد حوران وبلاد البقاع وبعلبك والرج والغوطة يعثثون ويفسدون وينهبون الأموال والغلال والدواب ويستحلّون الفروج ، ويرتكبون المحارم مدّة أربعة وعشرين يوماً ، إلى أن بلغهم وصول الأمير سيف الدين طاز إلى لدّ في خمسة آلاف فارس من العسكر المصري ، وتحقّقوا أنّ السلطان الملك الصّالح عقيب ذلك يصل ، فتقلّلت العزائم وهرب دلغادر ، وتوجّه إلى بلاده على وادي التيم ، فقدم بيغاروس إلى المزيريب ، واجتمع بأحمد السّاقى وبنات عنده ليلة ، ثمّ إنّه انهزموا إلى بلاد حلب ، وأرادوا الدخول إلى حلب فنبّغوا ، وأمسك أهل حلب منهم جماعة ، على ما تقدّم في ترجمة الطّنبغا برناق ، وقتل حينئذ الأمير فاضل أخو بيغاروس ، وكان من الفرسان ، ووصل الأمير سيف الدين أرغون الكاملي ، والأمير سيف الدين شيخو والأمير سيف الدين طاز بعساكرهم إلى دمشق في خامس عشري شعبان ، ووصل السلطان يوم الخميس مستهل شهر رمضان ، وجّهز الأمير أرغون الكاملي والأمير شيخو والأمير طاز وعساكر الشّام إلى حلب خلف بيّغا ، فوصلوا إلى حلب ، وأقاموا بها وبيغا وجماعته مفرّقون في بلاد مرعش وما حولها ، وأقام بيّغا في الأبّستين ، وضرب أحمد وبكلمش مع عساكر الحصون رأساً ، ووقعت الأمطار والثلوج وعاد الأمير شيخو والأمير طاز وعسكر الشّام بعدما تقرر الأمير سيف الدين الكاملي بحلب نائباً على عاداته ، فوصلوا إلى دمشق في تاسع عشري شهر رمضان .

ثم إن السلطان الملك الصالح توجّه بالعساكر المصرية بعد ماصلى الجمعة في الجامع الأموي ، وخرج منها سائراً إلى مصر في سابع شوال سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، ولما طال الأمر على ابن دُلغادر أمسك أحد وبكلمش وقيدَهما وجَهّزهما إلى حلب فاعتقلا بالقلعة ، وكان من أمرهما ما ذكرته في ترجمة أحمد الساقى ، ثم إن الأمير عز الدين طقطاي قعد في حلب ينتظر رسل بيغاروس ، وكان ابن دُلغادر قد جهّز إمساكه في الأبلستين ، فوصل بيغما مقيداً إلى حلب ثالث عشر شهر الله المحرم سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، وخرج طقطاي الدوادار وجماعة من العسكر وتلقّوه ، فلما رأى الأمير عز الدين طقطاي بكى وقال : والله أنا أعرف دَنبى ، والذي أشار علي بذلك فقد لقاه الله فعُله ، والله ما كان ذلك برضاي ، وأنا فقد وقعت في فعلي . وسيّر إلى الأمير سيف الدين أرغون الكاملي يطلب منه لحم ثم ^(١) مشوياً ومأمونية ، فجهز ذلك إليه وأطلعوه بالقلعة ، ثم إنهم حَزَوْا راسه ، بعدما قطع الوتر أمراسه ، وتوجه الأمير عز الدين طقطاي الدوادار برأسه إلى الديار المصرية . فلاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن الشيطان الرجيم .

وقلتُ أنا في ذلك :

لا تعجبوا من حلب إنْ غَدَا أرغون فيها جَبَلًا راسي
من أجل هذا لم تطر فرحة وبيغاروس بلا راس

وكتب إلى المولى القاضي شرف الدين حسين بن ريان كتاباً نظماً ونثراً ، فأما نظمه فأذكره ، وهو :

بنيل الأماني هل شهر المحرم وحلت به البلوى على كل مجرم
أتوا فيه بالأعداء أسرى أدلة إلى حلب الشهباء يا خير مقدم
فبكلمش واقوابه وبأحمد ومن بيغما قد أدركوا كل مغنم

(١) كذا ، ولم يتضح مراده .

(١) ولو نال أسباب السماء بِسَلَمٍ
 إلى حيث أَلَقْتَ رَحْلَهَا أَمْ قَشْعَمِ (٢)
 وآخره في عَشْرِ شهرِ الْمُحَرَّمِ
 حراماً أتى من بعد شهرِ مُحَرَّمِ
 لِيَالِيهِ عَنْ شَهْرِ شَرِيفٍ مَعْظَمِ
 أتت فيه أَخْبَارُ الْبَخَارِيِّ وَمُسْلِمِ
 سَعَى بِيغَا فِيهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمِ
 عَقُودُ نَجُومِ كَالْجَمَانِ الْمُنَظَّمِ
 تَعَيَّنَ أَنْ يَبْقَى كَأَعْظَمِ مَوْسِمِ
 إِلَى اللَّهِ—و فِي شَهْرِ الْحَرَمِ تَسْلِمِ
 مَلَكَتْ عَلَى صَرْفِ الْمَدَامَةِ تَغَمِ
 بِكَاسَاتِهَا شَمْسًا تَحْفُ بِأَنْجَمِ
 يُرِيكَ عَقُودَ الدَّرْعِ عِنْدَ التَّبَسُّمِ
 عَلَى قَامَةٍ مِثْلِ الْقَضِيبِ الْمَنْعَمِ
 وَيُخْفِيهِ فِي دَاجٍ مِنَ الشَّعْرِ مُظْلِمِ
 فَيُعْجِزُ فِكْرِي حُلًّا ذَاكَ الْمُتَرْجَمِ
 وَيُرْشِقُهُمْ مِنْ نَاطِرِيهِ بِأَسْهُمِ
 عَلَى قُبْلَةٍ وَالْفَضْلَ لِلْمَتَقِّدِمِ
 قَصَدْتُ مِنَ التَّقْيِيلِ فِي ذَلِكَ الْفَمِ
 وَوَسَّدْتُهُ فِي اللَّيْلِ زَنْدِي وَمِعْصَمِي
 إِلَيَّ جَوَابٌ عَنْ كِتَابِي الْمَقْدَمِ

وَمِنْ رَامَ ظَلَمَ النَّاسَ يَقْتُلُ بِسَيْفِهِ
 مَضَوْا وَقَضَوْا لَا خُفَّ اللَّهُ عَنْهُمْ
 فِي رَمَضَانَ كَانَ يَوْمُ انْكِسَارِهِمْ
 فَأَكْرَمَ بِهِ شَهْرًا كَرِيمًا مَبَارَكًا
 بَدَأْنَا بِهِ الْعَامَ الْجَدِيدَ فَأَسْفَرَتْ
 بِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمَ مَبَارَكِ
 تَعَيَّنَ شُكْرُ اللَّهِ فِيهِ عَلَى الَّذِي
 أَرَانَا هَلَالًا كَالسَّوَارِ وَحَوْلَهُ
 وَحَيْثُ وَجَدْنَا النِّصْرَ فِيهِ عَلَى الْعِدَى
 فَصْنُهُ عَنِ الْآثَامِ فِيهِ وَلَا تَمِلُ
 وَفِي صَفَرٍ فَاصْرِفْ مِنَ الصَّفَرِ كُلَّمَا
 مُدَامَ إِذَا لَاحَ الْحَبَابُ حَسْبَتْهَا
 بَدُورٌ بِهَا سَاقٍ مِنَ التُّرْكِ أَهْيَفُ
 لَهُ طَلْعَةٌ كَالْبَدْرِ يُشْرِقُ نُورَهَا
 وَيُبْدِي هَلَالًا مِنْ ضِيَاءِ جَبِينِهِ
 تَتَرَجَّمُ عَيْنَاهُ عَنِ السَّحْرِ فِي الْهَوَى
 يَسْلُ عَلَى عَشَّاقِهِ سَيْفٌ لَحْظِهِ
 تَقَدَّمَتْ إِذْ أَقْدَمْتَ لَيْلَةَ وَصْلِهِ
 فَا رَدَّنِي عَمَّا أَرَدْتُ وَنَلْتُ مَا
 وَعَانَقْتُ مِنْهُ غُصْنَ بَانٍ عَلَى تَقَا
 وَزَادَ سُورِي بَعْدَ ذَلِكَ إِذْ أَتَى

(١) هذا العجز لزهير من معلقته ، وقد ضمنها الناظم أبياته غير مرة .

(٢) أم قشعم : الحرب .

فضائل شتّى أمرها غير مبهم
معانيه في ثوبٍ من الفخر معلّم
تحول بأفواه العدى طعم علّم
إمامي وشيخي في العلوم معلّمي
ولو زارني ما سال دمعي عن دمي
وطرف زماني عن بلوغ المنى عم
وإن لم يجد «يُسْتَعْن عنه ويذم»^(١)
قديماً إلى عليائه الفضل ينتمي
لقلت صلاح الدين أهل التكرم
بكيت على بعدي وزاد تندمي
وغيري له في يومه ألف درهم
على مقتضى التقسيم لا بالتقدم
وساعد على نقلي إلى الشام واسلم

وهيهات بل عقيد بدر منظم
والأ كوجه بالجمال ملثم
على ألف فيه كغصن مقوم
وكم فيه من ميم كدائرة الفم
وتقطتها خال يلوح لمغرم
«أنيقاً لعين الناظر المتوسم»
عذاب وداء في القلوب خيم
مواطرن من غير السحاب يظلم

بعثت به مني إلى صاحب له
فأهدى جواباً عن كتاب رفّلت في
بسه أتحدى حليّة وحلاوة
خليلي صديقي صاحبي ثقّي أخي
تسيل دموعي عندما لبُعاده
أودّ مقامي في دمشق لأجله
فإن جاد لي دهري بقصدي حمّده
أينكر قصدي قرب خلّ صحبته
فلوقيل لي أهل التكرم من هم
إذا جال في فكري تذكّر أنسه
أعيش ومالي في دمشق كفايتي
هو الحظّ والرزق الذي شبل الوري
أرجي اجتماع الشمل بالشام فاجتهد
فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

بعثت بشعير مثـل برّد مسهم
والأ كأفق بالنجوم موشع
فكم هزة فيه كمثل حامة
وكم فيه من عين كعين كحيلية
وكم فيه من جيم كخال مدبج
أشاهد منه زهر روض ومنظراً
فنفس كزباً كم تنفس عن لظى
وأجرى دموعي من جفوني ومن يرد

(١) صَمْن بعض بيت زهير في معلقته .

لَأَنْسَى لِيَسْـَـلِي عَصْرِهِ الْمُتَصَرِّمَ
 بِثُوبٍ بِفَضْلِ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ مُعْلَمَ
 وَأَحْسَنُ وَجْهِهِ فِي الْوَرَى وَجْهٌ مُنْعَمَ
 وَلَا كُلَّ فَقَّالٍ لَهُ بِمَتَمِّ
 وَلَكِنْ إِذَا كَاتَبْتُهُ كَانَ مُفْحَمِي
 أَسْوَاقٍ إِلَيْهِ الْحَمْدُ غَيْرُ مُذَمِّ
 « وَمَا هُوَ عَنْهُ بِالْحَدِيثِ الْمَرْجَمِ »^(١)
 سِيَّاقٌ بَلِيغٌ لَمْ يَكُنْ بِمَجْمُومِ
 « وَلَوْ نَالَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بَسْلَمَ »
 وَلَكِنَّهُ « عَنْ عِلْمٍ مَا فِي غَدِّ عَمِي »^(٢)
 لِيَخْفَى « وَمَهْمَا يُكْتَمُ اللَّهُ يَعْلَمُ »
 وَلَمْ يُطْفِئْهَا غَيْرُ الْخَمِيسِ الْعَرْمَمِ
 ضَعِيفِ الْمَسَاعِي أَوْ قَلِيلِ التَّكْرَمِ
 إِلَيْهِ وَمَنْ يَفْعَلْ كَذَلِكَ يَنْدَمِ
 وَصَدَّقَ مَا يَعْتَاذُهُ مِنْ تَوْهَمِ
 وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلَمِ
 « تَفَانَا وَدَقُّوا يَنْتَهُمُ عِطْرَ مَنْشَمِ »^(٣)
 وَآخِرُهُ يُفْضِي لِنَارِ جَهَنَّمَ

وَأَذْكُرَنِي عَهْدَ الشَّبَابِ وَلَمْ أَكُنْ
 نِظَامَ فِتْيٍ عَارٍ مِنَ الْغَارِ يَرْتَدِي
 مُنَايَ مِنَ الْأَيَّامِ رُؤْيَا وَجْهَهُ
 وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ
 غَدَا شَرَفِي مِنْهُ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ
 إِذَا سَاقَ نَحْوِي الْعُرْفُ غَيْرُ مَكْدَرٍ
 أَيَا شَرَفِ الدِّينِ الَّذِي سَارَ ذِكْرُهُ
 لَقَدْ سَقَتْ أَخْبَارَ الْبُعَاةِ وَيَبْغَا
 وَمَا كَانَ هَذَا يَبْغَا قَدَرًا مَا ابْتَغَى
 لَقَدْ كَانَ فِي أَمْنٍ وَعِزٍّ وَنِعْمَةٍ
 فَأَضْمِرْ عُذْوَانَا وَبَغْيَا وَلَمْ يَكُنْ
 وَبَاتَ وَنَارُ الْحَقْدِ تُضْرِمُ صَدْرَهُ
 وَرَاحَ يُنَاجِي مِنْ وَسَاوِسِ قَلْبِهِ
 وَمَا ظَنَّ خَيْرًا بِالَّذِي كَانَ مُحْسِنًا
 إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
 وَعَادَى مُحِبِّهِ لِقَوْلِ عُدَاتِهِ
 وَجَاءَ دِمَشْقًا فِي عَسَاكِرِ كُلِّهِمْ
 إِلَّا إِنْ هَذَا الْأَمْرُ عُقِبَى الَّذِي جَرَى

وَقَدَّمَ هُوَ قَبْلَ قَصِيدَتِهِ تَثْرًا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ بِيغَا وَجَمَاعَتِهِ ، وَأَرْدَفْتُ أَنَا قَصِيدَتِي بِنَثْرِ
 أَيْضًا يَتَعَلَّقُ بِالْمَذْكُورِينَ وَكَلَاهَا أَثْبَتُهُ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ (التَذَكُّرَةِ) الَّتِي
 لِي ، وَنَظَّمْتُ أَنَا عِدَّةَ مَقَاطِيعَ لَمَّا خَرَجَا مِنْ دِمَشْقَ فَارَّيْنِ مِنْ بِيغَا .

(١) شبيهة عند زهير في معلقته .

(٢) هذا من عجز بيت في معلقة زهير . ومثله البيت الذي يليه .

(٣) في الأصل : « ودقوا عطر كل منسم » ، وهي مضطربة ، وأثبتنا المشهور في رواية المعلقة .

فمن ذلك ، وقد خرجنا مع الأمير سيف الدين أرغون الكاملى على أنه متوجه إلى
خان لاجين فأخذ العساكر من تحت قلعة دمشق وتوجه بها إلى لد ، فقلت أنا في
ذلك ^(١) :

خَرَجْنَا عَلَى أَنَا نَلَاقِي عَسْكَرًا أَتَى بِيُعَا فِيهَا عَلَى خَانَ لَاجِينَ
فَلَمْ نَدْرِ مِنْ تَغْيِيرِنَا وَقُطُوعِنَا بَأَنفُسِنَا إِلَّا بِأَرْضِ فَلَسْطِينَ
وَقُلْتُ أَيْضًا :

أَيَا وَلَدِي وَافَانِي الْبَيْنَ فَجَاءَ ^(٢) وَبَادَ شَمْلًا قَدْ تَنَظَّمَ كَالْعُقْدِ
فَسَرْتُ وَمَا أَعْدَدْتُ عَنْكَ تَجَلْدًا لِقَلْبِي وَلَا حَدَّثْتُ نَفْسِي بِالْبَعْدِ
وَقُلْتُ ، وَقَدْ كَثُرَتِ الْأَرَاخِيفُ :

أَخْرَجَنِي الْمَقْدُورُ مِنْ جَلْقٍ عَنْ طَيْبِ جَنَاتِ جَنِيَّاتِ
فَإِنْ أَعْبُدْ يَوْمًا لَهَا سَالِمًا فَهُوَ بِنِيَّاتِ بِنِيَّاتِي
وَقُلْتُ ، وَقَدْ جَاءَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ تَقَدَّمُوا الْكِتْبَةَ :

قَدْ ضَجَرْنَا مِنَ الْمَقَامِ بَلَدٍ بَلَدٍ مَا طِبَاعُهُ ، مَثَلُ طَبْعِي
كَلَّمَا قِيلَ لِي كَتِيبَةٌ جَيْشٍ قَدْ أَتَتْ لِلْكَتِيبَةِ اصْطُكٌ سَمْعِي
فَتَرَانِي مُغَيَّرًا مِنْ نَحْوِي وَسَقَامِي ، وَفِي اللَّزِيرِيبِ دَمْعِي
وَقُلْتُ ، وَقَدْ زَادَ الذُّبَابُ بِالْمَنْزِلَةِ :

لَقَدْ أَتَانَا ذُبَابٌ لَدَّ بِكُلِّ حَتَفٍ وَكُلِّ حَيْفٍ
وَقِيلَ هَذَا ذُبَابٌ صَيْفٍ فَقُلْتُ لَا بِلِ ذُبَابِ سَيْفٍ

(١) جل ما أورده المصنف من مقطوعات سلف له أن أوردها في ترجمة أرغون الكاملى .

(٢) سلف بلفظ : « بقتة » .

وقلتُ أيضاً :

إن الذباب بلد لشرّ خضمّ ألدّ
بليت منه بعكسي وما ييالي بطرد

وقلتُ ، لما كثرت الأراجيف بأن بييغا رحل من دمشق وانهزم :

قد كثّر الإرجاف عن ييُيغا وأنه قد سار عن بقعته
إذا أتانا خبر سَرنا ما تغرب الشمس على صحته

٥٠٥ - بييغا*

الأمير سيف الدين تتر المعروف بحارس الطير .

تولّى نيابة غزة بعد وفاة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم إنه عُزل وأقام بمصر إلى أن أمسك الأمير سيف الدين منجك الوزير وأمسك أخوه بييغاروس في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، فولاه السلطان الملك الناصر حسن نيابة مصر عوضاً عن بييغاروس ، فأقام على ذلك إلى أن خلع الملك الناصر حسن ، وتولّى الملك الصالح صالح .

ولما خرج^(١) الأمير علاء الدين مغلطاي والأمير سيف الدين منكلي بغا الفخري على الملك الصالح وأخذ مغلطاي هرب^(٢) منكلي بغا الفخري ، ودخل على الأمير سيف الدين بييغا الفخري في بيته مستجيراً به فأجاره ، وأخذ سيفه وسلّمه إليهم ، فعزله السلطان بعد ذلك وولى النيابة الأمير سيف الدين قبلاي^(٣) ، وجهز الأمير سيف الدين بييغاتتر إلى نيابة غزة ، فأقام بها شهراً أو أكثر ، إلى أن ورد بييغاروس إلى

* الوافي : ٣٥٨/١٠ ، والدرر : ٥١١/١ .

(١) في الأصل : « أخرج » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهي أشبه .

(٢) في الأصل : « وهرب » ، ولاوجه لها ، لأنها جواب لما ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) الناصري ، وستأتي ترجمته .

غَزَّةَ مُتَوَجِّهًا لِنِيَابَةِ حَلَب ، فَمَدَّ لَهُ سِمَاطًا ، فَأَكَلَ مِنْهُ وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَقَيْدَهُ وَجَهَّزَهُ إِلَى الإسكندريَّة ، وَذَلِكَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ ^(١) ، ثُمَّ إِنَّهُ أَفْرَجَ عَنْهُ وَحَضَرَ إِلَى الْقُدْسِ وَأَقَامَ بِهِ بَطَّالًا مُدَّةً ، ثُمَّ طُلِبَ إِلَى مِصْرَ وَأَقَامَ هُنَاكَ بَطَّالًا ، ثُمَّ أُعْطِيَ طَبْلَخَانَاهُ فِي مِصْرَ .

وَلَمَّا تَوَفَّى الْأَمِيرُ علاء الدين الطنبغا الشريفي نَائِبَ غَزَّةَ رُسِمَ لَهُ بِنِيَابَةِ غَزَّةَ ، فَوَصَلَ إِلَيْهَا فِي سَابِعِ عَشْرِ شَعْبَانَ سَنَةِ سِتِّ وَخَمْسِينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا نَائِبًا إِلَى أَنْ عُزِلَ بِالْأَمِيرِ سيف الدين سُودُونَ ^(٢) فِي أَوَائِلِ سَنَةِ تِسْعِ وَخَمْسِينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ .

وَلَمَّا عُزِلَ الْأَمِيرُ سيف الدين تَمَرُ الْمَهْمَنْدَارِ ^(٣) مِنْ نِيَابَةِ غَزَّةَ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ رَسَمَ السُّلْطَانُ لِلنَّصُورِ صَلَاحُ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُظْفَرِ حَاجِيًّا لِلْأَمِيرِ سيف الدين بِيغَاتَرِ بِنِيَابَةِ غَزَّةَ ، وَهَذِهِ النِّيَابَةُ بِغَزَّةَ رَابِعَ مَرَّةٍ ، وَجَرَى مَا جَرَى مِنَ الْأَمِيرِ بِيغَاتَرِ نَائِبِ الشَّامِ ، وَحَضَرَ السُّلْطَانُ لِلْمَلِكِ النَّصُورِ إِلَى دِمَشْقَ فِي وَاقِعَةٍ بِيغَاتَرِ ، وَلَمَّا عَادَ السُّلْطَانُ إِلَى مِصْرَ كَانَتْهُ رُمِي الْأَمِيرُ سيف الدين بِيغَاتَرِ بِشَيْءٍ مِنْ مَوَافَقَةٍ بِيغَاتَرِ ، فَلَمَّا كَانَ السُّلْطَانُ عَلَى غَزَّةَ رَسَمَ بِتَسْمِيرِ وَلَدِهِ ، فَسَمَّرَ تَسْمِيرَ سَلَامَةً ، وَطِيفَ بِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ رَسَمَ لِلْأَمِيرِ سيف الدين بِيغَاتَرِ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى طَرَابُلُسَ صُحْبَةَ الْأَمِيرِ علاء الدين علي بن طَشْتَرِ الْبَرْيَدِيِّ الْمِصْرِيِّ ، وَجَهَّزَ وَلَدَهُ مُوسَى إِلَى مِصْيَافٍ ، وَوَلَدَهُ الْآخَرَ إِلَى الدَّرِّ بَسَاكٍ ^(٤) صُحْبَةَ تَقْيِييْنِ ، ثُمَّ إِنَّهُ طُلِبَ إِلَى مِصْرَ عَلَى لِسَانِ مَمْلُوكِهِ الطَّنْبِغَا ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ ، وَوَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ فِي مِخْفَةٍ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ تَاسِعِ عَشْرِ شَعْبَانَ سَنَةِ ثَلَاثِ وَسِتِّينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ .

(١) أَهْنَى الْمُؤَلَّفُ فِي الْوَاقِعِ تَرْجَمَتَهُ هَهُنَا .

(٢) لَمْ تَقِفْ عَلَى تَرْجَمَةِ لَهُ .

(٣) سَتَأْتِي تَرْجَمَتُهُ .

(٤) هُوَ دِيرٌ بِسَاكٍ ، قَالَ يَاقُوتُ : هُوَ حِصْنٌ ، وَلَيْسَ بِدِيرٍ ، تَسْكُنُهُ النَّصَارَى قَرِبَ أَنْطَاكِيَّةَ ، وَهُوَ مِنْ أَعْمَالِ حَلَبَ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ : ٥٠٠/٢ .

٥٠٦ - بَيْدَرَا*

بفتح الباءِ الموحدة ، وسكون الياءِ آخر الحروف ودال مهملة وبعدها راء وألف مقصورة : الأمير سيف الدين العادلي .

كان من أمراء الأربعين بدمشق ، وتزوج ابنة أستاذه الملك العادل كَتَبغا ، وكان يسكن بدارطوغان . [توفي ^(١)] رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة أربع عشرة وسبع مئة .

بَيْدَمَر**

بعد الياءِ الموحدة ياء آخر الحروف ودال مهملة وميمٌ بعدها راء : الأمير سيف الدين الناصري .

أخرجه الملك الناصر محمد إلى صفد ، فأقام بها ، وكان نائبها الأمير سيف الدين أرقطاي يعظمه ويلزمه ويسمّر عنده وهو بلا إمرة ، ثم نُقل إلى دمشق على إمرة عشرة في أيام تنكز ، ولما حضر الفخري ، وجرى له ماجرى ، جهّز هذا بيدمر المذكور إلى البلاد الرومية لإحضار طشتر نائب حلب ، ثم إنَّ الناصر أحمد أعطاه طبلخاناه .

ولم يزل بدمشق على حاله إلى أن جاءه أمرٌ لامرّد لحكمه ، ولادفاع لخصمه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وأربعين وسبع مئة ^(٢) .

وكان ذا محيّا جميل ، ورونق لا يستحيل ، مليح العين ، لا يملّ الناظر إليها مطالبتها بما لَه عندها من الدّين ، وتوفي كهلا ، وكان للخير والسكون أهلا .

* الدرر : ٥١٣/١ .

(١) زيادة يقتضيها السياق ، إن لم يكن ثمة سقط آخر .

** الوافي : ٣٦٢/١٠ ، والمنهل الصافي : ٤٩٨/٣ .

(٢) زاد في الوافي : « ودفن بمقابر الصوفية » .

٥٠٧ - بيدمر*

الأمير سيف الدين البدري .

كان بالقاهرة أميراً ، وله بالقاهرة تربة حسنة عمرها ، وأقام بدمشق مدة إلى أن طلبه الملك الكامل شعبان إلى القاهرة وولاه نيابة طرابلس ، فحضر إليها وأقام بها قليلاً بعد نيابة الأمير شمس الدين آقسنقر الناصري ، ولما خرج الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي بدمشق على الكامل كان الأمير سيف الدين بيدمر ممن حضر إليه من نواب الشام ، وأقام بدمشق معه إلى أن خلع الكامل وتولى المظفر حاجي ، فطلب البدري إلى مصر وولاه المظفر نيابة حلب ، فتوجه إليها ، وأقام بها إلى أن طلبه المظفر حاجي إلى القاهرة ، وتولى مكانه الأمير سيف الدين أرغون شاه .

وكان البدري قد تولى نيابة حلب بعد الأمير سيف الدين طقتمر الأحدي ، وأقام البدري بالقاهرة قريباً من شهرين ، ثم إنه أخرج هو والأمير نجم الدين محمود بن شروين الوزير والأمير سيف الدين طغاي تمر الدودار إلى الشام على الهجن ، فلما وصلوا إلى غزة لحقهم الأمير سيف الدين منجك ، وقضى الله فيهم أمره ، وأصبح طرف من ولأهم وهو بالبكاء أمره^(١) .

وكان خنقهم في العشر الأواخر من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وكان هذا البدري كثير الرحمة ، على فكره للمبررات زحمه ، له ورثة من الليل يقومه متنفلاً ، ويجلس على موائد التعبد ، وهو ملك ، متطفلاً ، وكان يكتب الربعات بخط يده ، ويبالغ في تذهيبها وتجليدها ، ولاتقبل من صاحب فنده ، ولقد حاول أخذ ختمه مني وهو بدمشق ، وبذل الرغائب لي فأبيت ، وزخرفت الأعذار في عدم الخروج عنها ورأيت ورايت .

* الوافي : ٣٦٣/١٠ ، والدرر : ٥١٣/١ ، والمنهل الصافي : ٤٩٧/٣ ، والنجوم الزاهرة : ١٨٠/١٠ .
(١) المره : تفرح العين من البكاء .

وأخبرني كاتبه القاضي زين الدين بن الفرفور أنه كان يخرج من كل سنة أول كل شهر مبلغ خمسة آلاف درهم للصدقة ، ويعتقد أن ذلك خير ماله من النفقة ، ولم يبد منه في حلب مدة نيابته غير واقعة المرأة التي قطع شعرها وأذنيها وجعلها بذلك تحكي النعمة لمن نظر إليها ، وما أقام بعدها في حلب إلا قليلاً ، ومضى إلى ^(١) حلب يجر من الشقاء ذيولاً .

٥٠٨ - بيسري *

الأمير الكبير بدر الدين الشمسي الصالحي .

كان من أعيان الدولة ، وممن له في الحروب ثبات وحولة ، وبين الأكابر صون وصوله ، وإذا قالوا لم يسمع ، وإذا قال سمعوا قوله ، وكان ممن ذكر للملك ، وانخرط في ذلك السلوك ، وحرت له فصول ، وردت جملة من النصوص الواضحة وعارضها بالنص ، وقبض المنصور قلاوون عليه وأهدى الإهانة إليه ، وبقي في السجن سنين ، عدد الرهط الذين يفسدون في الأرض ^(٢) ، وخالف في أمره السنة والفرض .

ثم إن الأشرف خليل أخرجه من سجنه وأبدله الفرج من حزنه ، وأعاد إليه رتبته ، وأجلسه إلى ركبته .

ثم إن المنصور لاجين قبض عليه ثانياً . وكان الأجل في هذه المرة له مدانيا ، فتوفي في الحب ، ولم تفد المطهات القب ، وعمل عزاءه تحت قبة النسر بالجامع الأموي

(١) الأشبه : « من حلب » .

* الوافي : ٣٦٤/١٠ ، والنهاية : ٥/١٤ ، والمنهل الصافي : ٥٠٠/٣ .

« ويسري : اسم مركب من لفظة تركية ولفظة أعجمية ، وصوابه : باي سري ، فباي ، باللغة التركية ، بالتضخيم : هو السعيد ... وسري ، بالعجمية : الرأس ، فعناه : رأس سعيد ، أو سعيد الرأس » . (المنهل) .

(٢) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ﴾ ، التل : ٤٨/٢٧ ، وعبرة الوافي : « وبقي في السجن تسع سنين » .

بدمشق ، وحضره القضاة وملك الأمراء والدولة ، وذلك في سنة ثمان وتسعين وست مئة في أيام الملك الناصر محمد .

وذآره بين القصرين معروفة ، وانتقلت إلى أحد الأميرين إما قوصون أو بشتاك ، وكان الناس أولاً قد خرج لهم قماشٌ ثمين وسمّوه شقف^(١) البيسرى لما تأنق فيه الصناع وزخرفوه .

الألقاب والأنساب

☆ البيسري : الجندي الشاعر اسمه آقوش .

٥٠٩ - بيغرا*

بالياء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها غين معجمة وراء وألف : الأمير سيف الدين الناصري .

كان بعد السلطان الملك الناصر محمد من أكابر المُقَدِّمين ، وحضر إلى دمشق لتحليف العسكر للملك الأشرف كجك ، وحضر أيضاً لتحليف الأمراء للملك الكامل ، والله أعلم ، وكان أخيراً أمير جاندار وحاجبا^(٢) .

ولم يزل مُعَظِّماً ، ولدُرَّ السيادة منظماً ، ينفع من يخدمه ويؤهله لعلو المنزلة ويقدمه ، ولم يزل إلى أن تولّى الملك الصالح صالح ، فأخرجه إلى حلب أميراً ، فوصل إليها في شهر رجب الفرد سنة اثنين وخمسين وسبع مئة .

وبقي فيها على حاله إلى أن حان حينه ، وحلّ عليه من الأجل دئنه ، في شهر شوال سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

(١) في الأصل : « شقف » ، ولا وجه لها .

* الوافي : ٣٦٤/١٠ ، والدرر : ٥١٤/١ ، والذيل التام : ١٣٦ ، والنجوم : ٢٩٤/١٠ .

(٢) في الوافي : « أمير حاجب أو أمير جاندار » .

٥١٠ - بينجار*

الأمير سيف الدين الحموي ، أحد الأمراء بدمشق .

كان بدمشق حاجباً صغيراً إلى أن توجّه الأمير سيف الدين طيدمر الإسماعيلي^(١) أمير حاجب بدمشق إلى نيابة قلعة الروم ، فوصل المرسوم بعد ذلك بأن يكون الأمير سيف الدين بينجار الحموي عوضه أمير حاجب بدمشق في المحرم سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، فلم يزل على هذه الوظيفة إلى أن توجّه مع الأمير سيف الدين أرغون الكاملي والعسكر الشامي إلى الرملة في واقعة بيبغاروس .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة بالمعسكر على لد .

وكان جيداً خيراً ديناً ، عنده كتب يطالع فيها ، ويحب أهل العلم ويعظمهم ويحترمهم .

* الدرر : ٥١٥/١ .

(١) ترجم له في الدرر : ٢٣٢/٢ ، ولم يذكر سنة وفاته .

حرف التاء

٥١١ - التاج أحمد سعيد الدولة*

كان ذا مكانة مكيّنة ومنزلة عظيمة عند الملك المظفر الجاشنكير ، ولما وُلّي الملك أمر له بالوزارة فامتنع من ذلك ، فَرَّتَبَ الصَّاحِبُ ضياء الدين بن النشائي^(١) وزيراً ، وجعل ابن سعيد الدولة مشيراً ، فكانت قُوطُ العلام^(٢) تحمل إليه ويعتبرها علامة علامة ، فالذي يراه ويرتضيه كتب على يمين بيت العلامة عرضاً : تحتاج إلى الخطّ الشريف ، فإذا رأى السُّلطانُ ذلك علّم ، وإلا فلا ، وكانت كُتُبُ البريد وغيرها كذلك ، إلى أن تعب الأفرم من دمشق ، وتهدّده بقطع رأسه حتى امتنع من ذلك .

وكان مشهوراً بالأمانة والعفة ، ولم يحصل منه تفريط ، وضبط الدّواوين والأموال ، وكان إذا كان في ديوانه قضى الأشغال ونفّذ الأمور ، وأمّا إذا اعترضه أحد في الطريق وسأله حاجة أمر بقتله بالمقارع ، فهابة الناس .

وكانت له حُرمة وافرة ومهابة شديدة ، وكان لا يجتمع بغريب ، ولا يخالط أحداً ولا يقبل هديّة ، ولما طُلب للوزارة التجأ إلى زاوية الشيخ نصر ، فلذلك كانت حُرمة أوفر من حُرمة الوزير وأعظم .

وتوفي في أوائل شهر رجب الفرد سنة تسع وسبع مئة ، وولي مكانه ابن أخته كريم الدين^(٣) .

* الدرر : ٥١٥/١ ، والنهاية : ٥٧/١٤ .

(١) أبو بكر بن عبد الله ، سلفت ترجمته .

(٢) في الأصل : « العلام ، تحريف .

(٣) عبد الكريم بن هبة الله ، ستأتي ترجمته .

أخبرني حفيده الصّاحب تاج الدين موسى بن علم الدين أبي بكر أنّ اسم جدّه كان أحمد ، فهو تاج الدين أحمد بن سعيد الدولة .

☆ ابن تاج : الخطباء : جلال الدين محمد بن محمد .

☆ التاج بن المناديلي : عبد الرحمن بن موسى .

☆ والتاج المغسل : اسمه عبد الرحمن بن أيوب .

☆ التادفي : المقرئ ، محمد بن أيوب .

٥١٢ - التاج الطويل *

القاضي تاج الدين ناظر الدولة بالديار المصرية .

كان كاتباً كافياً ، قائماً بصناعة الكتابة وإفياً ، فيه مروة ومكارم ، ولطف عشرة ، ولو كان بين القنا والصوارم . تكرر منه مباشرة هذه الوظيفة مرّات ، ونال فيها سعادات زائدة ومسرات ، وكان رئيس طائفته ، وزعيم هذه العصاة الذين هم تحت طواعيته .

ولم يزل على حاله إلى أن قصرت مدة الطويل وقطعت ، وأخرجت روحه من جسده ، ونزعت .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة السبت ثاني عشري القعدة سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

وأشدني القاضي زين الدين الخضر بن تاج الدين بن الزين خضر كاتب الإنشاء^(١) له في دواة أبياتاً ، وأنا في ريبة من نسبتها إليه لأنها في الذروة وهي :

* الدرر : ٥١٦/١ .

(١) ستأتي ترجمته .

دَوَاتِنَا سَعِيدَةٌ لَيْسَ لَهَا مِنْ مَتْرَبَةٍ
عُرُوسٌ حُسْنٍ جَلِيَّتْ مَنْقُوشَةٌ مَكْتَبَةٍ
قَدْ أَنْطَلَتْ جَلِيَّتُهَا عَلَى الْكَرَامِ الْكَتَبَةِ

وفي التاج الطويل يقول ابن دانيال :

أَصْبَحْتَ فِي الْكَاتِبِينَ قَرْدًا وَأَنْتَ كُنْزٌ لِكُلِّ رَاجٍ
لَا كَشَفَ اللَّهُ مِنْكَ رَاسِي وَدُمْتَ عِزِّي وَدُمْتَ تَاجِي
مَوْلَايَ قَدْ سَاءَ فِي افْتِقَارِي وَسَرَّ حُسَادِي احْتِيَاجِي
فَاصْلِحْ بِحَقِّ الْوَفَاءِ شَانِي فَغَيِّرْ عَلَيَّكَ لَا أَنْجَايِي
فَالزَيْتُ قَدْ قَلَّ مِنْ فَتِيلِي وَكَادَ أَنْ يَنْطَفِيَ سَرَايِي
وَبَاتَ فَوْقَ التُّرَابِ أَهْلِي تَلْتَقِطُ الْحُبَّ كَالِدَجَايِي
عَسَاكَ بِاللَّهِ يَا هَلَالِي تَكْتُبُ رِزْقِي عَلَى الْخِرَايِي

☆ التبريزي : القاضي جمال الدين عبد القادر بن محمد . والشيخ تاج الدين علي بن عبد الله .

☆ ابن تبع : محمد بن أحمد .

٥١٣ - ترمشين*

بالتاء ثالثة الحروف ، وراء بعدها ميم ، وشين معجمة ، وياء آخر الحروف ، ونون : ابن دَوَا الْمُغَلِّي ، صاحب بلخ وسمرقند وبخارى ومرو .

كان ذا إسلام ، ومن يَعْدِي فِي أُولَى الْأَحْلَامِ ، أَكْرَمَ الْأُمَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَقَرَّبَهُمْ ، وَسَرَّحَهُمْ فِي صَحَارِي الْإِحْسَانِ ، وَسَرَّ بِهِمْ لَمَّا سَرَّ بِهِمْ ، وَحَقَّ الْكُفْرَةَ وَأَبْعَدَهُمْ ، وَهَدَّاهُمْ وَتَوَعَّدَهُمْ ، وَلَا زَمَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْجَمَاعَةِ ، وَأَصْنَعِي إِلَى الْخَيْرِ وَأَحْبَبَ سَمَاعِهِ ، وَتَرَكَ

* الوافي : ٣٨٢/١٠ ، والدرر : ٥١٦/١ .

السياسات^(١) ، وقال : هي من أرذل السياسات ، وأمرَ بأحكام الشريعة ، وسدّدَ ما دونها الذريعة ، وأبطل من مملكته المكوس وجبايتها ، وأمر بالمعدلة وتلايتها ، وألزم جنده بالكف عن الأذى ، ودفعَ عَنْ عيون رعاياه القذى ، وألزم التتار بالزرع ، وقالوا : لا طاقة لنا ، فقال : هذا هو الشرع . واستعمل أخاه على مدينة فقتل رجلاً ظالماً ، فجاء أهله إلى ترمشين وشكوا ، فبذل لهم أموالاً لِيَعْفُوا ، فأبوا وقالوا : نريد حُكْمَ الله ، فسَلَّمَهُ إليهم فقتلوه ، ودعا الناسُ له .

ثم إنه زاد في التآله والتدينَ فَعَزَمَ على ترك الملك والتبتّل برأس جبل ، وسافر معرضاً عن السلطنة ، فظفر به أميرٌ كان يُبَغِضُهُ ، فأسره ، وكاتب بُزَانَ الذي ملك بعده ، فقتله صبرا ، وهَبَرَهُ بالسيف هبرا ، وذلك في سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، قدّس الله سره .

٥١٤ - تُلْكُ *

الأمير سيف الدين الحَسَنِي^(٢) .

وَرَدَ إلى دمشق أميراً في [تاسع عشر شعبان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة]^(٣) وبقي فيها مدة ، ثم إنه لما تقل الأمير سيف الدين باينجار من الحجويّة الصغرى ؛ إلى أن يكون بدمشق أمير حاجب عوضاً عن الأمير سيف الدين طيُدمر الإسماعيلي لمّا توجه لنيابة قلعة الروم رَسِمَ للأمير سيف الدين تُلْكُ أن يكون حاجباً عوضاً عن باينجار ، وذلك في الحرم سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، فأقام كذلك مُدَّةً ، ثم إنه

(١) في الأصل : « الباسات » ، وفي مطبوعة الوافي : « السياسات » ، وكلاهما تحريف ، والياسات : شرائع المغل ، وقد سلف الحديث عنها .

* الوافي : ٤٨٧/١٠ ، والدرر : ٥١٧/١ .

(٢) الأرغوني كما في الوافي .

(٣) زيادة من الوافي .

تحدّث للأمير سيف الدين شيخو رأس نوبة في ديوانه^(١) ، فاجتهد فيه وتُمر ، فطلبه إلى مصر ، فتوجه في شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وورد مكانه في الحجوية الأمير علاء الدين علي بن بيبرس الحاجب من حلب .

وما أقام الأمير سيف الدين تلك الحَسَنِي في القاهرة^(٢) ، حتى توفي رحمه الله في غزّة سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، لأنه كان قد توجّه صحبة ثقل السلطان وطُلبه لما حضر الصالح في واقعة يَبُيُغا .

اللقب والنسب

☆ التعجيزي : الفقيه شهاب الدين أحمد بن محمد .

٥١٥ - تُلُك *

الأمير سيف الدين الشحنة .

كان أَحَدَ مقدّمي الألوّف بالشام . حضر إلى دمشق على إقطاع الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير في سنة خمس وسبع مئة ، وكان في دمشق أكبر مقدّمِيها ، يُحَضّر إليه قباء الشتاء من مصر من باب السلطان . وتوجّه في واقعة سنجار^(٣) .

ولم يزل في دمشق مقيماً إلى أن ورد المرسوم من مصر يطلبه صحبة منكلي بغا

(١) أي : عمل ناظراً لديوانه .

(٢) « فأقام بمصر حاجباً صغيراً إلى أن أخرج الأمير سيف قردم إلى الشام ، فجعل الأمير سيف الدين تلك أمير آخور مكانه على إقطاع الإمرة » قاله في الوافي .

* الوافي : ٢٨٧/١٠ ، والدرر : ٥١٧/١ .

(٣) في الوافي : « وتوجّه إلى سنجار » . وفي البدائع ، ٥٣٥/١/١ : « في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة هجم التتار على مدينة سنجار وملكوها ، فأرسل لهم السلطان تجريدة حاصرتها ، فطلب التتار الأمان وخرجوا منها » .

السلحدار ، وحضر الأمير سيف الدين قردم على إقطاعه^(١) في سادس عشري شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخميس وسبع مئة .

ولم يزل في مصر مقيماً إلى أن ورد الخبر بوفاته في أوائل صفر سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

اللقب والنسب

☆ ابن تمام : الشيخ تقي الدين عبد الله بن أحمد ، وأخوه الشيخ محمد بن أحمد .

تمر

٥١٦ - تمر الساقى *

الأمير سيف الدين :

ولاه السلطان الملك الناصر محمد حمص بعد موت بلبان الجوكندار في ذي الحجة سنة ست وسبع مئة^(٢) ، ثم ولاه نيابة طرابلس ، بعد ما قفر الأفرم منها^(٣) وتوجه مع قراسنقر ، وذلك لما قدم مع العسكر من مصر في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، ولم يزل بها مقيماً على حاله ، إلى أن حضر الأمير سيف الدين قجليس الناصري إلى دمشق ؛ وتوجه منها إلى طرابلس ؛ فعاد منها ومعه الأمير سيف الدين تمر الساقى نائبها ، وجاء عوضه لنيابة طرابلس الأمير سيف الدين كستاي الناصري^(٤) في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبع مئة .

(١) عبارة الوافي : « سيف الدين قردم أمير آخور على إقطاعه » ، وستأتي ترجمته .

* الدرر : ٥١٧/١ .

(٢) في الدرر أنه تولّى نيابة حمص في ذي الحجة سنة ست وتسعين .

(٣) عبارة الدرر : « ثم ولي نيابة طرابلس بعد تسحب الأفرم إلى بلاد التتار ، وذلك في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة » .

(٤) ستأتي ترجمته .

ولما وصل به إلى دمشق أمسكه ، وأمسك الأمير سيف الدين بهادر آص وقيدَهما ، وتوجّه بهما من دمشق وجهزَ بهادر آص إلى الكرك ، وتوجه تمر الساقى إلى مصر^(١) ، فأقام في الاعتقال بالإسكندرية أكثر من عشرين سنة ، وأفرج عنه في شهر رجب سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

وحضر إلى دمشق وأقام بطّالاً ، ثم أعطي طبلخاناه ، وكان السلطان الملك الناصر قد أفرج عنه وعن جماعة من الأمراء الذين كانوا بالإسكندرية ، وهم : تمر الساقى ، ويبرس الحاجب ، وبلرغى الصغير ، وطغلق وأمير غانم بن أطلس خان ، ولاجين العمري الحاجب ، وبلاط الجوكندار ، وأيدمر اليونسي ، وطشتمر أخو بتخاص المنصوري ، وقطلوبك الأوشاقى ، ويبرس العلمي وكشلي ، والشيخ علي مملوك سلار .

وتوجه الأمير سيف الدين كستاي الناصري عوض تمر الساقى إلى طرابلس نائباً ، ولما دخل الأمير سيف الدين تنكز من القصر إلى دار السعادة يوم أمسك وأراد العصيان دخل الأمير سيف الدين تمر الساقى إليه ، وقال له : المصلحة أنك تروح لأستاذك ، وأنا قعدت في الحبس أكثر من عشرين سنة ، وهأنا واقف قدامك ، فانفعل له وخرج إليهم ، فأمسكوه ، على ماسياتي في ترجمته إن شاء الله تعالى .

وتوفي بمصر ، والله أعلم سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

٥١٧ - تمر الموسوي*

الأمير سيف الدين الناصري .

كان خِفّة إذا تحرّك ، وعليه خَفَر إذا تشنّى على جواده أو تورّك ، وكان إذا رأى وجهاً حسناً هام ، وقطع علائق الأوهام . وكان في نفس السلطان منه لذلك ، إلا أن

(١) انظر أحداث سنة خمس عشرة وسبع مئة في البداية والنهاية : ٧٣/١٤ .

* الدرر : ٥١٩/١ .

الأمير سيف الدين بكثر الساقى كان يصدّه عن أذاه ، ولا يصوّب فيه رأياً يراه ، فلما مات بكثر الساقى أخرجه إلى دمشق فأقام فيها إلى أن تحرك طشتمر نائب حلب في واقعة الناصر ، وكاد يمشي في الباطن ويخلف الأمراء له ، فأمسك وأودع في قلعة دمشق سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة في أيام الطنبغا ، ثم أفرج عنه لما صار الأمر للناصر أحمد ^(١) .

٥١٨ - تَمَر *

الأمير سيف الدين المهمندار ^(٢) بالشام .

كان من ممالك الأمير سيف الدين بكثر الحاجب المقدّم ذكره . وقيل إنه كان من ممالك الطباخي ^(٣) نائب حلب .

وكان تمر المذكور مع أستاذه بكثر الحاجب لما كان بصفد نائباً ، وهو من أوّل حاله لم يزل بخير ، له ثروة ، ومعه مال له صورة .

ولما كان بدمشق ولّاه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله شدّ الزكاة في يوم الإثنين خامس جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وسبع مئة عن الأمير نجم الدين داود ^(٤) الزبيق ، فأقام على ذلك مدّة ، ثم إنه أضاف إليه المهمندارية ، وجعله بطبلخاناه . ولما حضر الأمير سيف الدين بشتاك إلى دمشق في واقعة تنكز عزّله من المهمندارية وجعله والياً على مدينة دمشق ، فأقام بها تقدير جمعة ، وعاد إلى المهمندارية .

(١) ولم يذكر سنة وفاته في الدرر .

* الدرر : ٥١٩/١ ، والذيل التام : ١٨٥ .

(٢) لقب يطلق على من يقوم بلقاء الرسل الواردين على السلطان ، ويتزلم دار الضيافة ، ويقوم بأمرهم ، وهي كلمة فارسية .

(٣) سيف الدين بلبان ، سلفت ترجمته .

(٤) في الأصل : « بن داود » ، ولا وجه لها ، والصحيح أنه : نجم الدين داود بن أبي بكر بن محمد بن الزبيق (ت ٧٤٨ هـ) ، وستأتي ترجمته .

وكان ساكناً وادعاً عاقلاً قليل الكلام جداً ، وكنت يوماً عند صاحب أمين الدين أمين الملك ، فجرى ذكره ، فأثنت عليه ، وقلت : ما يكون مثله في سكونه وعَدَم شره ، فقال : إلا أنني مع هذا كله ما أقدرُ أعمل إلا ما يريد ، ولم يزل على ذلك ، في أتم حال ، ثابت القدم مع تقلب الملوك والنواب ، لا يختل عليه نظام ، إلى أن كانت واقعة الأمير علاء الدين أمير علي نائب دمشق ، في سنة ستين وسبع مئة^(١) ، وتوجهه إلى باب السلطان وتجهيزه من الطريق إلى نيابة صفد ، وكان القائم بذلك الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي أمير حاجب ، فنقل الأمير سيف الدين تمر المهندار ، وجعل أمير مئة مقدم ألف ، ولم يؤثر ذلك .

ولم يزل على حاله إلى أن رسم له بنيابة غزة فتوجه إليها ، وأقام بها نائباً قريباً من نصف سنة ، ثم رسم له بنيابة بامرة الحجة فحضر إليها^(٢) ، ولبس تشريفه في يوم الاثنين خامس عشري شهر رجب سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، وخدم ، وسلّمت العصا إليه .

ولم يزل كذلك حتى أخرجه الأمير بيدمر نائب الشام إلى غزة صحبة من خرج من عسكر دمشق في واقعة بيدمر وخروجه ، فتوجه وهرب الأمير منجك ، وجرى ماجرى^(٣) وحضر السلطان الملك المنصور محمد بن حاجي ، فأنكر على المهندار موافقته لبیدمر على ذلك وطواعيته له ، وأمسك من أمسك من الأمراء ، وقطع خبز المهندار ، وخرجت وظيفته للأمير سيف الدين قماري الحموي .

وكان المهندار ضعيفاً فاستمر مريضاً ، إلى أن توفي يوم السبت ثامن عشر شوال سنة اثنتين وستين وسبع مئة ولعلّه قارب الثمانين رحمه الله تعالى ، وبالجمل ما رأى خيراً منه^(٤) مذ فارق المهندار .

(١) البداية والنهاية : ٢٦٥/١٤ .

(٢) يعني : إلى دمشق ، انظر : البداية والنهاية : ٢٨٠/١٤ .

(٣) البداية والنهاية : ٢٨٦/١٤ وما بعدها .

(٤) كذا ، ولعلّ الهاء راجعة إلى السلطان .

٥١٩ - تَمْرُبُغَا الْعَقِيلِي *

الأمير سيف الدين نائب السلطنة بالكرك ، أحد مماليك الملك الناصر محمد .
كان خَيْراً كُلَّهُ ، وَبَشْراً لَا يَعْدِلُ عَنْهُ الصَّلاح ولا يَمَلُّهُ . عاش به أهل الكرك وَنَجَوْا
بِنِيَابَتِهِ من النوائب والدرك .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : أخبرني بعض مماليكه قال : هذا
أستاذي ، عمره ما نكح ، وعنده الزوجة المليحة والجواري الملاح .

قُلْتُ : لَعَلَّهُ كان عَيْنِيّاً ، وإلّا فليس في تَرْك النكاح المشروع معنى يقصد به وجه
الله طلب الثواب أو الهرب من العقاب .

ولم يزل على حاله بالكرك إلى أن اجتحفه سيل الحيف حَتْفًا ، ودعا به داعي
المنون هَتْفًا .

ووفاته رحمه الله في جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

٥٢٠ - تَمْرُبُغَا **

الأمير سيف الدين الحَسَنِي .

كان أحد أمراء الطبلخاناه بطرابلس .

ولم يزل بها إلى أن توفي في شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبع مئة .

٥٢١ - تَمِرْتَاش ***

بتاءٍ ثالثة الحروف ، وميم بعدها راء ، وتاء ثالثة الحروف أيضاً وبعدها ألف وشين

معجمة : ابن النَوِين جوبان .

* الوافي : ٤٠٠/١٠ ، والدرر : ٥١٨/١ ، والذيل التام : ١٠٦ .

** الدرر : ٥١٨/١ .

*** الوافي : ٤٠٠/١٠ ، والدرر : ٥١٨/١ ، والمنهل الصافي : ١٣٩/٤ .

كان معدوداً من الفرسان والأبطال الذين ليسوا من نوع الإنسان . إذا التقى الصفان وسَلَّ السيفان نزل عن ظهر جواده وجلس على بساط ، واستعمل ما يبعث النفس على الانبساط ، وتناول سَقَرَقاً^(١) صرفاً ، وركب للحملة على عدوّه طِرْفاً^(٢) .

وكان قد قرّر في عسكره أنه من مات في المُعْتَرَك ، فإقطاعه لولده من غير مُشْتَرَك ، ومن هرب فأنا وراءه بالرَّهَب ، وإذا وقع في يدي فالسيف ، وما أرى في ذلك سلوك جنفٍ ولا حيف .

فلهذا ما ثبت له أحدٌ ، ولا وُجد من دونه مُلتحد . وهزم جيوشاً عديدة ، وفتح بلاداً مساحتها مديده .

وكان قد خطر له أنه هو المَهْدِيّ الذي يجيء آخر الزمان ويمهد الأرض ، ولما بلغ أباه ذلك ركب وجاء إليه وردّه عن العقيدة ، واستصحبه معه إلى الأردو إلى خدمة القان بوسعيد . ولما حضر معه رأى الناس في الأردو ينزلون قريباً^(٣) من خام الملك ، فقطع الأطناب بالسيف ، ووقف على باب خان القان ورمى بالطومار ، وقال : أينما وقع ينزل الناس على دائرته . فأعجب ذلك بوسعيد . وعاد إلى بلاد الروم حاكماً .

وكان واسع الكرم ، تحسده الغنائم فتتوقد من البوارق بالضم ، لا يبالي بما أنفق ، ولا ينام وجفنه على فائتٍ مُؤرَق . وكان كرمه وجوده المفرط من أسباب هلاكه وإيقاعه في حبائل الموت وأشراكه ، لأنه لمّا وصل إلى القاهرة لحقه من أمواله بالروم مئة ألف راس غنم فيما أظن ، أو ثمانون ألف رأس ، فلما وصلت إلى قطيا أطلق منها لباكتر الساقى عشرين ألف رأس ، ولقوصون كذا ، ولفلان كذا ولفلان كذا ، ففرّق الجميع ، فلم يهن هذا الأمر على الملك الناصر محمد . ودخل يوماً حمّام قتال السبع التي في

(١) في الأصل : « سقرفاً » ، تصحيف ، والسقرق : نوع من النبيذ الحبشي .

(٢) الطرف : الكريم من الخيل .

(٣) في الأصل : « قرشا » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .

الشارع تحت القلعة^(١) ، ولما خرج أعطى الحمامي ألف درهم والحارس ثلاث مئة درهم ، فزاد ذلك في حق السلطان عليه .

وكان حسناً شكله ، كأن قوامه غصن بان وشعره ظلُّه ، إذا خطا تحطَّر ، وظنَّ بقوامه أنه رُمحٌ يتأطر ، تعطفه نشوة الشباب ويظنُّ من تننيه أنه ارتشف بنت الحباب ، شكا السلطان منه ذلك إلى بعض خواصه وقال : رأيت هذا تمرتاش كيف يعيش قدامي ، هذا إنما هو إعجاب منه بشكله وقده ، واستخفافا . فقال : والله ياخوند هكذا يدخل إلى الطهارة ، وهذه عادته أبداً .

وكان السبب في دخوله إلى هذه البلاد أنه لما مات أخوه دمشق خواجه^(٢) ، وهرب أبوه جوبان ، اجتمع هو بالأمر سيف الدين أيتش ، وطلب الحضور إلى مصر ، وحلف له أيتش أيماناً معظمة عن السلطان ، فحضر في جمع كبير ، وخرج الأمير سيف الدين تنكز نائب دمشق ، وتلقاه في يوم الأحد خامس عشرين صفر سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، وتوجه إلى^(٣) السلطان ، وظنَّ أن السلطان يخرج له ، فلم يخرج لتلقيه وأمر برَدَّ من حضر معه إلا القليل ، وأعطى لكل واحد مبلغ خمس مئة درهم وخِلعة ، فعاد الجميع إلا اليسير ، وأراد السلطان أن يقطع شياً من أخباز الأمراء ، فقال له الأمير سيف الدين بكمتر الحاجب : ياخوند ، أيش يقال عنك ؟ أنه وفد عليك وافد من الروم ما كان في بلادك ما تعطيه إقطاعاً^(٤) حتى تأخذ من إقطاع أمرائك ، فرسم له كل يوم من دخل قطيا بألف درهم^(٥) ، إلى أن ينحل له إقطاع يناسبه^(٦) ، ورسم له

(١) عبارة الوافي : « ونزل إلى الحمام التي عند حوض ابن هئس » . وكذا في المنهل .

(٢) في المنهل : « دمشق خجا » .

(٣) في الأصل : « مع » ، ولا وجه لها .

(٤) في الوافي : « ما تقطعه » .

(٥) عبارة الوافي : « فرسم له تعطيا ، ثم أمر له كل يوم بألف درهم » .

(٦) في الأصل : « ويناسبه » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .

السلطان على لسان الأمير سيف الدين قجليس أن يُطْلَق من الخزانة ومن الإصطبل ما يريده ، وأن يأخذ منها ما يختاره ، فما فعل شيئاً من ذلك .

وكان الناس في كلِّ يومٍ موكبٍ يوقدون الشموع بين القصرين ، ويجلس النساء والرجال على الطرق والأسطحة ينتظرون أن تمرتاش يلبس للإمرة ، ثم إنه عبرت عينه أيضاً على ممالك السلطان الأمراء الخاصكية ، ويقول^(١) : هذا كان كذا ، وهذا كان في البلاد كذا ، وهذا أُلّاس^(٢) كان جمّالاً ، فما حمل السلطان هذا منه .

وألبس يوماً قباء من أقبية الشتاء على يد بعض الحجاب ، فرماه عن كتفه ، وقال : ما ألبسه إلّا من يد أُلّاس أمير حاجب^(٣) . ولما وصل القاهرة أقاموا الأمير شرف الدين أمير حسين بن جندر من المينة ، ونقلوه إلى الميسرة ، وأجلسوه مكانه .

ولم يَزَل على حاله بالقاهرة ، إلى أن قُتل جوبان أبوه في تلك البلاد ، فأمسك السلطان تمرتاش ، واعتقله فوجد لذلك أُلّماً عظيماً . وقعد أياماً لا يأكل فيها شيئاً ، إنّما يشرب ماءً ويأكل بطيخاً ، لما يحده في باطنه من النار ، وكان قجليس يدخل إليه ويخرج ويطيّب خاطره ، ويقول له : إنّما فعل السلطان هذا لأن رسل القان بوسعيد على وصول ، وما يهون على بوسعيد أن يبلغه عن السلطان أنه أكرمك . وقد حلف كل منها للآخر ، فقال له يوماً : أنا ضامن عندكم انكسر لكم عليّ مال ، حبستموني حتى أقوم به ؟ ، إن كان شيء فالسيف ، وإلا فما في حبسي فائدة ، والله ما جزائي إلّا أن أسمر على جمل ، ويطاف في بلادكم ، هذا جزاء^(٤) وأقل جزاء من يأمن إلى الملوك ، ويسمع من كلامهم وأيمانهم .

(١) عبارة الوافي : « وكان يقول » ، وهي أشبه .

(٢) أُلّاس بن عبد الله الناصري . توفي (٧٣٤ هـ) . للنهل .

(٣) عبارة الوافي والنهل : « أُلّاس الحاجب الكبير » .

(٤) عبارة الوافي : « ويطاف بي في بلادكم ، ويقال هذا جزاء » ، وهي أقرب .

ثم إن الرسل حضروا يطلبون تمرتاش من السلطان ، فقال : ما أسيرَه حيًّا ، ولكن خذوا رأسه ، فقالوا : مامعنا أمر أن نأخذه إلّا حيا ، وأما غير ذلك فلا ، فقال : فقفوا على قتله . وأخرج المسكين من سجنه ومعه قجليس الحاج وأيتمش وغيرهما .

فخُنق جُؤا باب القرافة بقلعة الجبل ، وكان يستغيث ، ويقول : أين أيتمش ؟ يعني الذي خَلَف لي ، وأيتمش يختبئ بين الناس حتى لا يراه ، وقال : مامعكم سيف ، لأي شيء هذا الخنق ؟

وكان ذلك في شهر رمضان المعظم سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، ثم حَزَّ رأسه بحضرة الرسل ، وجهز في البريد قبل توجه الرسل ، وكتب السلطان إلى بوسعيد يقول له : قد جهّزت إليك رأس غريمك ، فجهز لي رأس غريمي ، يعني قراسنقر ، فما وصل الرأس إلى بورسعيد حتى مات قراسنقر حتف أنفه ، فقبل لبوسعيد . ألا تجهز رأس قراسنقر إليه ، فقال : لا إنّ الله أماته بأجله ولم أقتله أنا .

ودفنت جثة تمرتاش برّا باب القرافة عند تربة الفارس أقطاي . واستشار السلطان تنكز في قتله ، فما أشار بها ، وقال : المصلحة استبقاؤه ، وكان استشاره أولاً في إمساكه ، فما أشار به .

وخلف تمرتاش من الأولاد : الشيخ حسن ومصر ملك ، وجمد غان ، وبير حسن ، وتودان ، رشيدون ، وملك أشرف ، والأشتر ، ثم إنه ظهر بعد مدّة من ادّعى أنه تمرتاش وصدّقه أولاده ونسأؤه . وقد ذكرت ذلك في ترجمة (أبو بكر الدعي) ، وكنت قد قلت :

احذر من الدنيا وإقبالها فربّحها يُفْضي لحُسران
رُبَّ غفٍّ فيها انتهى للعنا مثل تمرتاش بن جوبان

٥٢٢ - تَنْكُزْ *

الأمير الكبير المهيب العادل الفريد سيف الدين أبو سعيد الأشرفي الناصري ،
نائب السلطنة بدمشق .

جَلِبَ إلى مِصْرَ وهو حَدَثٌ فَنَشَأَ بها . وكان أبيضَ إلى السُّمَرِ ، كَأَنَّ وَجْهَهُ عليه
حُسْنُ القمرِ وسَعْدُ الزُّهَرِ ، رَشِيقُ القامِ ، متوسطُ الهامِ ، مَلِيحُ الشَّعْرِ ، لا يُحْسِنُ
وَصْفَهُ مَنْ شَعَرَ ، خَفِيفُ اللَّحْيَةِ وَالشَّارِبِ ، يَهْتَزُّ إِذَا خَطَا مِنْ وَسْطِهِ إِلَى السَّامِ
وَالْغَارِبِ ، قَلِيلُ الشَّيْبِ ، بَعِيدُ مِنَ الْخَنَا وَالْفَاحِشَةِ وَالرَّيْبِ ، يُمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْحَارِمِ ،
وَيَعِدُّ مَغَانِمَ الْفَاحِشَةِ مِنَ الْمَغَارِمِ ، يَذُوبُ وَجْداً فِي هَوَاهُ وَيَفْنَى غَرَامَا ، ولا يَرْتَكِبُ
- مع الْقُدْرَةِ - حَرَامَا . يَعْظُمُ الشَّرْعُ الشَّرِيفَ ولا يُخْرِجُ عَنْ حُكْمِهِ ، وَيُوقِرُ مَنْ يَرَاهُ مِنْ
الْفَضْلَاءِ لِعِلْمِهِ ، مَالَهُ لَذَّةٌ فِي غَيْرِ أَمْنٍ رَعَايَاهُ ، وَمَنْ انْضَوَى إِلَى ظِلِّهِ أَوْ انْزَوَى إِلَى
زَوَايَاهُ ، وَكَانَتْ بِذَلِكَ أَيَّامُهُ أَعْيَادَا ، وَلِيَالِيهِ أَعْرَاسَا ، وَأَمْوَالُ النَّاسِ مَوْفَرَةٌ عَلَيْهِمْ
لَا تَفَارِقُ مِنْهُمْ أَكْيَاسَا ، كَمْ أَخَذَ النَّاسُ مِنْ إِمْرِهِ ، وَمَا نَالَهُمْ غَرَامَةٌ خِيطٍ فِي إِبْرِهِ . وَكَمْ
بَاشَرُوا وَلَايَاتٍ ، وَكَمْ وَصَلُوا إِلَى عِدَّةِ نِيَابَاتٍ ، وَكَمْ وَصَلَ مِنْ إِقْطَاعٍ ، وَكَمْ حَكَّمَ حَاكِمًا
فَقَضَى وهو بِأَمْرِهِ يُطَاعُ ، وَمَا أَحَدٌ تَنَوَّبهُ غَرَامُهُ ، وَلَا يُعْرِفُ أُسْدُ خَبْتٍ مِنْ غَزَلَانِ
رَامِهِ .

هذا ، مع معرفة ودُّرْبِهِ ، وَأَحْكَامٍ قَدْ سَدَّهَا اللَّهُ ، فَمَا نَفَعَ مِنْهُ فِي مَوَاطِنِ غُرْبِهِ ،
يَقْرَأُ الْمَوْقِعَ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ وَيَسْكُتُ ، وَيُطْرِقُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ يَنْكُتُ ^(١) ، فَيَأْخُذُهَا
وَيُعْطِيهَا لِمَسَدِّ الْأَوْقَافِ إِنْ كَانَتْ تَتَعَلَّقُ بِأَحْكَامِ الْقَضَاءِ ، أَوْ لِلْحَاجِبِ إِنْ كَانَتْ تَتَعَلَّقُ
بِأَمْرِ يَأْبَاهُ وَلَا يَرْضَاهُ ، أَوْ لِلصَّاحِبِ إِنْ كَانَتْ تَتَعَلَّقُ بِجَامِكِيَّةٍ أَوْ مَرْتَبٍ ، أَوْ لِنَاطِرٍ

* الوافي : ٤٢٠/١٠ ، والتخفة : ٢٣١/٢ ، وفوات الوفيات : ٢٥١/١ ، والبداية والنهاية : ٢٥١/١٤ ،
والدرر : ٥٢٠/١ ، والخطط : ٥٤/٢ ، والمنهل الصافي : ١٥٦/٤ .

(١) في الأصل : « يَنْكُت » ، ولا تناسب السجعة .

الجيش إن كانت تتعلق بمحدود أرض ، أو من قد ظلم جنديّه وتغلّب ، أو لوالي المدينة إن كان بعملة سُرقَت ، أو حادثة نزلت بأحد أو طرقت . ومع هذا يقول لكل واحد منهم ما يعتده ، ويكون فيه حُجَّتُهُ ومُسْتَنَدُهُ ، وجميع ذلك مسدّد ، موثّق^(١) بالشرع وبالسّياسة مُشَدَّد .

ولم ير الناس أعفً من يده ولا من قرجه ، ولا شاهدوا شمسَ عَذَلٍ نزلت أحسن من بُرْجه ، وأطار الله طائرَ حرمة ومهابته في سائر البلاد ، وأثار سائر معرفته بين أهل الجدال والجلاد ، ولذلك كانت الأسعار رخيصة ، والضعيف لا ترعد له من القويّ فريضة ، وسائر الأصناف موجوده ، وأثامها واقفة عند حدود محدوده .

ولهذا كتبت أنا من الديار المصرية إلى القاضي شهاب الدين بن القيسراني^(٢) :

ألا هَلْ لَيْلَاتٌ تَقَضَّتْ عَلَى الْحِمَى تَعُودُ بِوَعْدٍ لِلسُّرُورِ مَنْجَزِ^(٣)
لِيَالٍ إِذَا رَامَ الْمُبَالِغُ وَصَفَهَا يَشْبُهَا حُسْنًا بِأَيَّامِ تَنْكَزِ

وكان الأمير سيف تنكز - رحمه الله تعالى - قد جلبه الخواجا علاء الدين السيواسي ، وبعض الناس يقول : إنه مملوك السلطان حسام الدين لاجين ، والصحيح ما أخبرني به القاضي شهاب الدين بن القيسراني قال : قال لي يوماً : أنا والأمير سيف الدين طينال من ممالك الأشراف^(٤) .

سمع (صحيح) البخاري غير مرّة من ابن الشحنة ، وسمع كتاب (الآثار)

(١) في الأصل : « موثقاً » ، ولا وجه لها .

(٢) سنة (٧٤٥ هـ) كما في التحفة .

(٣) في التحفة : « يوصل للسُّرُور » . والبيتان في المنهل .

(٤) وفي المنهل : « جلبه الخواجا علاء الدين السيواسي ، فاشتراه الأمير لاجين » .

للطحاوي^(١) ، و (صحيح) مسلم ، وسمع من عيسى المطعم^(٢) وأبي بكر بن عبد الدائم ، وحدث (بثلاثيات) البخاري ، قرأها عليه المقرئ^(٣) بالمدينة النبوية .

أمره السلطان الملك الناصر محمد إمرة عشرة قبل توجهه إلى الكرك ، وكان معه في الكرك ، وترسل عنه منها للأفرم ، فاتهمه أن معه كتباً إلى أمراء الشام ، ففتشه وعرض عليه العقوبة ، فحصل له منه مخافة شديدة . ولما عاد عرف السلطان ذلك ، فقال له : إن عدت إلى الملك فأنت نائب دمشق . فلما عاد وجرى ماجرى ، وجعل الأمير سيف الدين أرغون نائب مصر قال لتنكز ولسودي^(٤) : لازماً أرغون وأبصرا أحكامه ، فلازمه سنة .

ثم إنه جهّز سودي لنيابة حلب ، وبعد ذلك جهز [تنكز]^(٥) إلى دمشق على البريد ، ومعه الحاج أرقطاي وحسام الدين البشمقدار ، فوصل إلى دمشق يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وباشر النيابة ، وتمكن منها ، وسار بالعساكر إلى ملطية وافتتحها في شهر الله المحرم سنة خمس عشرة وسبع مئة . وعظم شأنه وهابه الأمراء بدمشق ، والنواب بمالك الشام ، وأمن الرعايا في مواطنهم ، وتحفزت السبل ، وترددت القفول من سائر الأقطار ، ولم يكن أحد من الأمراء ولا من أرباب الجاه يظلم أحداً ذمياً أو غيره خوفاً منه لبطشه وشدة إيقاعه .

ولم يزل في غلو وارتقاء منزلة يتضاعف إقطاعه في كل وقت ، وتزيد عوائد أنعامه وخيوله وما يصل إليه من باب السلطان من القماش والجوارح والتشريف .

(١) هو كتاب : معاني الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (ت ٢٢١ هـ) ، جمع فيه الآثار المأثورة عن النبي ﷺ في الأحكام التي يتوهم أهل الإلحاد أنها متناقضة ينسخ بعضها بعضاً . الكشف : ١٧٢٨/٢ .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) محيي الدين عبد القادر بن محمد ، وستأتي ترجمته .

(٤) هو الأمير ناصر الدين الناصري رأس النوبة ، وستأتي ترجمته .

(٥) زيادة يقتضيها السياق .

وكان السلطان لا يفعل شيئاً في مصر في ملكه غالباً حتى يستشير ويكتب إليه فيه ، وقلما كتب هو إلى السلطان وسأله في شيء فردّه في جميع ما يقرّره من عزل وولاية في نيابة أو قضاء قضاة أو غير ذلك من إقطاع الإمرة والحلقة ، ولا يعطي لأحد إمرة صغيرة كانت أو كبيرة أو نيابة أو قضاء قضاة أو منصباً^(١) ، صغيراً كان أو كبيراً فأخذ عليه رُشاً أو طلب عليه مجازاة أو مكافأة ، هذا لم نسمعه عنه في وقت من الأوقات ، بل يُدفع إليه المبلغ الكبير أو المُلْك أو غير ذلك مما هو بمُجمل معدودة فيردّها ، ويعطي ذلك المطلوب لمن يسخره الله له بلا شيء .

ثم إن السلطان أذن له في الحضور إلى القاهرة ، فتوجّه إليها وعاد مكرّماً مُحترماً زائد الإنعام ، وصار بعد ذلك يتوجه في غالب الأوقات في كل سنة ، وفي كل مرة يزيد إكرامه وإنعامه .

أخبرني القاضي شرف الدين النشو ناظر الخاص أنّ الذي خصّ الأمير سيف الدين تنكز من الإنعام في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة بلغ ألف ألف درهم وخسين ألف درهم . خارجاً عما أنعم عليه من الخيل والسروج ، وماله على الشام من العَيْن والغلة والأغنام . ثم إنني رأيت أوراقاً بيده فيها كلفته ، وهي ثلاث وعشرون قائمة ، من جملة ذلك طَبْلاً باز^(٢) ذهباً صرفاً ، زنتها ألف مثقال .

والقباة العفيرة الذي يلبسه آخرأ ، قال لي القاضي شرف الدين : إنه يتقوّم على السلطان بألفي دينار مصرية فيه ألف وخمس مئة دينار حريراً^(٣) ، وأجر خمس مئة دينار . ثم إنه توجّه بعد ذلك فيما أظن أربع مرات ، وكل مرة يُصاعف إنعامه وتمكينه ، وتزيد هيئته ، إلى أن كان أمراء مصر الخاصكية يخافونه .

(١) في الأصل : « منصب » ، ولا وجه لها .

(٢) الطبل باز : مما كان يستخدم في استدراج الطيور ، أو مناداة البوازي ، وآلت إلى آلة يستخدمها المسحرون في رمضان وأتباع رباطات الدراويش .

(٣) في الأصل : « وحرير » ، ولا يستقيم بها العبارة ، كلمة حرير لم ترد في مطبوعة الوافي والتحفة .

أخبرني الأمير سيف الدين قرمشي الحاجب قال : قال لي السلطان : يا قرمشي لي ثلاثين سنة وأنا أحاول من الناس أمراً وما يفهمونه عني ، وناموس الملك يمنعني أن أقوله بلساني ، وهو أني لا أقضي لأحد حاجة إلا على لسانه أو بشفاعته ، ودعا له بطول العمر . قال : فبلغت ذلك للأمير ، فقال : بل أموت أنا في حياة مولانا السلطان . قال : فلما أنهيت ذلك السلطان قال : يا قرمشي ، قل له : لآنت إذا عشت بعدي نفعتني في أولادي وحريري وأهلي ، وأنت إذا مت قبلي إيش أعمل أنا مع أولادك ، أكثر ما يكونون أمراء ، وهامم الآن أمراء في حياتك ، أو كما قال .

وآخر ما كتب له عن السلطان في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة : أعز الله أنصار المقر الكريم العالي الأميري . وفي جملة الألقاب : الأتابكي الزاهدي العابدي . وفي النعوت : معز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين . وهذا لم نعهده يكتب لنائب عن السلطان ولا لغير نائب ، على اختلاف الوظائف والمناصب .

وزادت أملاكه^(١) ، وعمر جامعته المعروف به بحكر السماق بدمشق^(٢) ، وأنشأ إلى جانبه تربة وداراً وحاماً ، شرع في عمارة ذلك في شهر صفر سنة سبع عشرة وسبع مئة وعمر تربة لزوجته أم أمير علي^(٣) ، ومسجداً ومكتب أيتام بجوار الخواصين ، وعمر داراً للقرآن عند داره بجوار القليجية^(٤) ، وأنشأ بصفد بيارستاناً ، وعمر بالقدس رباطاً وحمامين ، وساق الماء إلى الحرم ، وصار يجري على باب المسجد الأقصى ، وعمر بالقدس قيسارية^(٥) مليحة ، وجدد القنوات بدمشق ، فانصلحت مياهها بعد أن كانت فسدت

(١) عبارة الوافي : « أمواله وأملاكه » .

(٢) موضع بدمشق يدعى اليوم : شارع النصر ، قبل ذلك : شارع جمال باشا ، يمتد من رأس باب القلعة الغربي حتى محطة الحجاز . (ولاية دمشق : ١٦٧) . وما زال المسجد معروفاً باسمه ، وهو من أكبر مساجد دمشق اليوم .

(٣) واسمها تربة ستية ، ملاصقة لمدرسة نور الدين الشهيد من الجهة القبليّة . (ولاية دمشق : ١٧٢) .

(٤) هي خلف سوق البزورية لصق حمام نور الدين الشهيد من جهة الشرق ، وهي مشهورة الآن بالمدرسة : الكلمية . (ولاية دمشق : ١٧٢) .

(٥) القيسارية : الخان الكبير الذي يشغله جماعة من التجار .

طعومها ، وتغيرت روائعها ، وجدّد عمائر المدارس والزوايا والرُّبُط والخوانق ، ووسّع الطرقات ، وأصلح الرصافات .

كان يدور بنفسه في الليل محتفياً ويشير بما يراه فما يصبح ذلك المكان إلا وقد هُدم والصناع تعمل فيه .

وله في سائر الشام أملاك وعمائر وأوقاف . وفي الديار المصرية أيضاً داره المعروفة به ، والحمام بالكافوري .

وكان الناس في أيامه آمنين على أنفسهم وحرّيمهم وأولادهم وأموالهم ووظائفهم ، مَنْ في يده وظيفة لا يجسر أحد يطلبها لا من مصر ولا من الشام .

وكان يتوجه في كل سنة إلى الصعيد بمن يختاره من عسكر الشام إلى نواحي الفرات ، وعدى الفرات في بعض سفراته وأقام يتصيد في ذلك البرّ خمسة أيام . وكان أهل تلك البلاد ينحفلون قدامه إلى بلاد توريز وسلطانية ، وكذلك بلاد ماردين وبلاد سيس ، وكان يصل أجرة الدابة خمسة عشر درهما في مسيرة نصف يوم .

ولم يكن له غرض غير الحق والعمل به ونصرة الشرع ، خلا أنه كان به سوداء يتخيل بها الأمر فاسداً^(١) ، ويحتد خُلُقُه ويتغير ويزيد غضبه ، فهلك بذلك أناس ، لا يقدر أحد من مهابته يوضح له الصواب . وكان إذا غضب لاسبيل إلى رضاه ولا أن يحصل منه عفو . وإذا بطّش بطّش الجبارين ، ويكون الذنب عنده صغيراً حقيراً نزرأً يسيراً ، فلا يزال يكبره ويعظّمه ويزيده ويوسعه ، إلى أن يخرج فيه عن الحدّ . ورأيت من سعادته أشياء منها أنه كان إذا غضب على أحد ، في الغالب لا يزال ذلك المغضوب عليه في خُمُولٍ وخمود وتعس ونكس إلى أن يموت .

قال القاضي شرف الدين أبو بكر بن الشهاب محمود كاتب سرّه قال : والله ما زلت في همٍّ وخوفٍ وتوقّعٍ مثل هذا إلى أمسك . وغضب على أحد ورضي عنه .

(١) عبارة الوافي : (... فاسداً وييني عليه) .

أخبرني قوام الدين أحمد بن أبي الفوارس البغدادي^(١) قال : قلت له يوماً : والله يا خوند ، أنا رأيت أكبر منك وأكثر أموالاً منك ، فلما سمع ذلك تنر ، وقال بغيظ : من رأيت أكبر مني ؟ فقلت : خربندا وبوسعيد وجوبان ، فلما سمع ذلك سكن غيظه . ثم قلت له : إلا أنهم لم تكن رعاياهم تحبهم هكذا ، ولا يدعون لهم كما يدعو رعاياك لك ، ولا كانت رعاياهم في هذا الأمن وهذا العدل . فقال لي : يا فلان : أيّ لذة للحاكم إذا لم تكن رعاياه أمنين مطمئنين .

ومن إثارة للعدل أنه كان يوماً يأكل معه بعض خواصّه ، أنسيت اسمه ، فنظر إصبعه مربوطة ، فسأله عن السبب فأنكره ، فلم يزل به حتى قال : يا خوند : واحد قوأس عمل قوأساً ثلاث مرات ، فأعاطني فلكته ، فلما سمع كلامه التفت عن الطعام ، وقال : أقيوه ، ورماء وضربه ، على ما قيل : أربع مئة عصا ، وقطع إقطاعه وبقي غضبان عليه سنين إلى أن شُفع فيه حتى رضي عنه .

وأخبرني ناصر الدين محمد بن كوندك^(٢) دَوَادَرَه بعد موت تنكرز بسنين ، قال : والله ما رأيته في وقت من الأوقات مُدَّة ما كنتُ في خدمته غافلاً عن نفسه ، ولا أراه إلاّ كأنه واقف بين يدي الله تعالى ، وما كان يخلو ليله من قيام . وقال لي أيضاً : لم يُصَلّ الأمير صلاة قط إلا بوضوء جديد .

وقال لي أيضاً : من حشمة الأمير أنه ما أمسك ميزاناً بيده قط منذ كان في الطباق^(٣) إلى آخر وقت . انتهى .

قلت : ولم يكن عنده دهاء ولا له باطن ، ولا عنده خديعة ولا مكر ، ولا يصبر على أذى ، ولا يحتمل ضيماً ، ولا فيه مداراة ولا مدهانة لأحد من الأمراء ، ولا يرفع بهم

(١) لم تقف على ترجمته .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) مفردها طبقة ، أي مراتب الحضور في درس أو غيره ، وهي أيضاً ثكنات المماليك في قلعة الجبل بالقاهرة ، وكانت كل طبقة تضمّ المماليك المجلوبين من بلد واحد .

رأساً . وكان الشيخ حسن بن تمرتاش قد أمَّه أمره وخافه ، فيقال : إنه تمَّ عليه عند السلطان ، وقال له : إنه قد قصد الحضور إلى عندي والخامرة عليك ، فتنكر السلطان له ، وكان السلطان في عزم تجهيز الأمير سيف الدين بُشتاك ويلبغا اليحيوي وعشرين أميراً من الخاصكية ومعهم بنتا السلطان إلى دمشق ليزوجوها بابني الأمير سيف الدين تنكر ، فبعث هو يقول : يا خوند ، أيش الفائدة في حضور هؤلاء الأمراء الكبار إلى دمشق ، والبلاد الساحلية في هذه السنة مُمَحِلَّة وتحتاج العسكر إلى كلفة عظيمة وأنا أحضر بولدي إلى الأبواب الشريفة ويكون الدخول هناك ، فجهز إليه السلطان طاجار الدوادر ، يقول له : السلطان يسلم عليك ويقول لك إنه مابقي يطلبك إلى مصر ، ولا يجهز إليك أميراً كبيراً حتى لا تتوهم . فقال : أنا أتوجه معك بأولادي . فقال له : لو وصلت إلى بليس ردك ، وأنا أكفيك هذا المهم ، وبعد ثمانية أيام أكون معك ^(١) بتقليد جديد وإنعام جديد . فلبَّته بهذا الكلام ، ولو كان توجه إلى السلطان ورأى وجهه لكان خيراً ﴿ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ ^(٢) .

وكان أهل دمشق في تلك المدة قد أرجفوا بأنه قد عزم على التوجه إلى بلاد التتار ، فوقع ذلك الكلام في سمع طاجار الدوادر ، وكان تنكر في هذه المدة ^(٣) قد عامله معاملة لا تليق به ، فتوجه من عنده مغضباً ، وكأنه حرّف بعض الكلام والله أعلم ، فتغير السلطان تغيراً عظيماً ، وجرد خمسة آلاف فارس أو عشرة ومقدمهم بُشتاك ، وحلف عسكر مصر أجمع له ولأولاده ، وجهز على البريد الأمير سيف الدين طشتر النائب بصدد يأمره بالتوجه إلى دمشق والقبض على تنكر ، وكتب إلى الحاجب وإلى قطلوبغا الفخري وإلى الأمراء بدمشق بالقبض عليه ، وقال : إن قدرتم عليه ، وإلا فعوقوه إلى أن يصل العسكر المصري ، فوصل الأمير سيف الدين طشتر الظهر إلى المزة ، وجهز

(١) في الوافي : « عندك » .

(٢) الأنفال : ٤٢/٨ .

(٣) في الأصل : « المرة » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهي أشبه .

إلى الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري ، وكان دوا دار طشتر قد وصل قبله بكرة النهار ، واجتمع بالأمرء ، واتفقوا ، وتوجه الأمير سيف الدين أللمش الحاجب إلى جهة القابون . ووعر الطريق ، ورمى الأخشاب فيها ، وبرك الجمال ، وقال للناس : إن غريم السلطان يعبر الساعة عليكم ، فلا تمكّنوه . وركب الأمرء واجتمعوا على باب النصر .

هذا كله وهو بسلامة الباطن في غفلة عما يُراد به ، ينتظر قدوم طاجار عليه بالتقليد الجديد ، وكان قد خرج في ذلك النهار إلى قصره الذي بناه في القطائع^(١) عند حريه ، فتوجه إيلد قرمشي الحاجب ، وعرفه بوصول طشتر ، فبهت لذلك وسقط في يده ، فقال له : ما العمل فقال : تدخل إلى دار السعادة ، وغلقت أبواب المدينة ، وأراد اللبس والحاربة ، ثم إنه علم أن الناس ينهبون ، ويلعب السيف في دمشق ، فأثر إخماد الفتنة ، وأن لا يشهر سلاح . وأشاروا عليه بالخروج ، فجهز إلى الأمير سيف الدين طشتر وقال له : في أي شيء جئت ؟ قال : أنا جئتك من عند^(٢) أستاذك ، فإن خرجت إليّ قلت لك ما قال لي ، وإن رحت إلى مطلع الشمس تبعتك . ولا أرجع إلا إن مات أحدنا ، والمدينة ما أدخل إليها . فخرج إليهم وقد عاين الهلاك ، فاستسلم وأخذ سيفه ، وقيد خلف مسجد القدم ، وجّهز السيف إلى السلطان ، وجّهز تنكز إلى باب السلطان ، ومعه الأمير ركن الدين بيبرس السلاح دار ، وكان ذلك العصر ثالث عشري ذي الحجة سنة أربعين وسبع مئة .

وتأسف أهل دمشق عليه ويا طول أسفهم وامتداد حزنهم وتلهفهم ، فسبحان مزيل النعم الذي لا يزول ملكه ، ولا يتغير عزّه ، ولا تطرأ عليه الحوادث .

(١) وهو قصر فخم خارج دمشق بالقطائع شرقي قرية القدم ، ولا تزال أطلاله موجودة ، وتعرف تلك الجهة بالقصر (ولاية دمشق : ١٦٧) .

(٢) في الوافي : « رسولا من عند » .

ولقد رأيته بعيني في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، وكنا في ركابه ، وقد خرج السلطان ^(١) في أولاده وأمرائه إلى البئر البيضاء ^(٢) يتلقاه ، فلما قاربه ترجل له ، وقبّل رأسه ، وضّعه إليه ، وبالح في إكرامه ، بعد ما كان يجيء إليه أمير بعد أمير يسلم عليه ويبوس يده وركبته وهو راجل ، والأمير سيف الدين قوصون جاء إليه وتلقاه إلى منزله بالصالحية ^(٣) .

وأما الإنعامات التي كانت يفيضها ^(٤) عليه في تلك السنة من الرمل في كل يوم ، إلى أن خرج في مدة تقارب الخمسين يوماً فشيء خارج على ^(٥) الحد .

ولقد رأيته وهو في الصيد في تلك السنة بالصعيد ، وقد جاء إليه السلطان وقدّامه الخاصكية : الأمير سيف الدين ملكتر الحجازي ، ويلبغا اليحيوي ، وألطنبغا المارداني ، وأقسنقر ، وآخر أنسيته الآن ، وعلى يد كل واحد من هؤلاء الخمسة طير من الجوارح ، وقال له : يا أمير أنا شكارك ، وهؤلاء بازداريتك وهذه طيورك ، فأراد النزول لبؤس الأرض فنعه .

ثم إنني رأيته بعيني يوم أمسك وقيد ، والحداد يقيمه ويقعده أربع مرات ، والعالم واقفون أمامه ، وكان ذلك عندي عبرة عظيمة . واحتيط على حواصله ، وأودع مملوكاه طغاي وجنغاي في القلعة ^(٦) ، وبعد مدة يسيرة وصل الأمير سيف الدين بشتاك وطاجار الدوادار والحاج أرقطاي وتمة عشرة أمراء ، ونزلوا القصر الأبلق ، وحال وصولهم ، حلفوا الأمراء ، وشرعوا في عرض حواصله ، وأخرجوا ذخائره وودائعهم .

(١) في الوافي والتحفة : « وقد خرج له السلطان » .

(٢) في الوافي والتحفة : « إلى بئر البيضاء » .

(٣) في الوافي : « إلى منزلة الصالحية » .

(٤) في الأصل : « يفيضها » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٥) في الوافي : « عن » .

(٦) في الأصل : « وأودع مملوكاً جنغاي في القلعة » ، وهي مضطربة . وعبرة الوافي والتحفة : وأودع طغاي وجنغاي مملوكاه في القلعة .

وتوجه بشتاك إلى مصر ومعه من ماله ما يذكر ، وهو ذهب عين ثلاث مئة ألف وستة وثلاثون ألف دينار ، ودرهم ألف ألف وخمس مئة ألف درهم ، وجواهر بلخش أحجار مئنة ، وقطع غريبة ، ولؤلؤ غريب الحب ، وزركش طرز وكلوتات وحوائص ذهب بجامات^(١) مرصعة ، وأطلس وغيره من القماش ما كان جلته ثمان مئة حمل^(٢) .

وأقام بعده الأمير سيف الدين برسبغا ، وتوجه بعدما استخلص من الناس ومن بقايا أموال تنكر وحوصله وبيوته أربعون ألف دينار وألف ألف درهم ومئة ألف درهم ، وأخذ ممالكه وجواريه وخيله الثينة إلى مصر .

وأما هو رحمه الله تعالى فإنه لما وصل إلى القاهرة أمر السلطان جميع الأمراء والممالك أن يقعدوا له في الطرقات من جؤا باب القلعة ، وأن لا يقوم له أحد تقع عينه عليه ، ولم يستحضره بل كان الأمير سيف الدين قوصون يتردد إليه في الرسلية ، وهو بنفس قوية ونفس عظيم ، لا يخضع ولا يخشع ، وقال له مع قوصون : قال لك السلطان أبصر من تختاره يكون وصيك ، فقال : قل له : والله خدمتك ونصحك ما تركت لي صاحباً أثق به ولا أتحوّل عليه ، فإني أحد أوصي له ، فاستشار الأمراء في أمره ، فقال له الأمير قوصون : يا خوند ، هذا دعه أميراً هنا يركب وينزل في الخدمة . وقال الجاولي : يا خوند ، هذا لا تفرط فيه تندم ، وما يفوتك منه أمر ترومه . فأمر بتجهيزه إلى إسكندرية ومعه للمقدم إبراهيم بن صابر^(٣) ، فأقام بها معتقلاً دون الشهر ، وقضى الله فيه أمره ، وصلى عليه بالإسكندرية . يقال إن ابن صابر توجه إليه إلى الإسكندرية وكان ذلك آخر العهد به ، وأظلم الوجود ، وزال أنسه بسببه .

(١) في الفوات : « بجامات » .

(٢) عبارة التحفة : « حمل حمل » .

(٣) ترجم له المصنف .

وكانه برق تَأَلَّقَ بِالْحِمَى ثم انطوى فكأنه لم يلمع ^(١)

ثم إنه ورد مرسوم السلطان إلى الأمير علاء الدين ألتينغا نائب الشام يقول فيه :
 إِنْ تَنْكِزَ كُنَّا سَأَلْنَاهُ عَنْ مَالِهِ فَأَنْكَرَ وَقَالَ : الَّذِي هُوَ تَحْتَ يَدِ خَزَنَدَارِيَّتِي ، وَهُوَ
 مَضْبُوطٌ عِنْدَ كُتَّابِي ، فَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّا اسْتَخْرَجْنَا وَدَائِعَهُ ، وَحَصَّلْنَا جَمِيعَ مَالِهِ ، حَصَلَ لَهُ
 بِذَلِكَ غِيْظٌ شَدِيدٌ وَغِبْنٌ عَظِيمٌ ، فَحَمَّ لَذَلِكَ حَتَّى مُطْبِقَةِ وَمَاتَ مِنْهَا .

وورد مرسوم السلطان بأن تُقَوِّمَ أَمْلَاكُهُ ، فَعَمِلَ ذَلِكَ بِالْعَدُولِ وَأَرْبَابِ الْخَبْرَةِ ،
 وَشُهُودِ الْقِيَمَةِ وَحَضَرَتْ بِذَلِكَ مُحَاضِرٌ شَرْعِيَّةٌ . إِلَى دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ لِتُجَهَّزَ [إِلَى] ^(٢)
 السُّلْطَانِ ، فَتَقَلَّتْ مِنْهَا مَا صَوَّرَتْهُ :

دار الذهب بمجموعها وإصطبلاتها : ست مئة ألف درهم .

دار الزمرد : مئتا ألف وسبعون ألف درهم .

دار الزرّد كاش وما معها : مئتا ألف وعشرون ألف درهم .

الدار التي بجوار جامعِهِ : مئة ألف درهم .

الحمام التي بجوار جامعِهِ : مئة ألف درهم .

خان العرصة : مئة ألف وخمسون ألف درهم .

إصطبل حكر السباق : عشرون ألف درهم .

الطبقة التي بجوار حمام ابن ^(٣) يَمَن : أربعة آلاف وخمس مئة درهم .

قيسارية المرحلتين ^(٤) : مئتا ألف وخمسون ألف درهم .

(١) هو في الواقي ، والتحفّة ، والفوات ، ووقع في هذا الأخير : « ثم انشأ » .

(٢) زيادة من الواقي يقتضيها السياق .

(٣) في الأصل : « لبن » ، وأثبتنا ما في : الواقي ، والفوات ، والمنهل .

(٤) في ولاية دمشق : « المرجلين » .

- الفرن والحوش^(١) بالقنوات من غير أرض : عشرة آلاف درهم .
 حوانيت التعديل : ثمانية آلاف^(٢) درهم .
 الأهراء من إصطبل بهادر أص : عشرون ألف^(٣) درهم .
 خان البيض وحوانيته : مئة ألف وعشرة آلاف درهم .
 حوانيت باب الفرج : خمسة وأربعون ألف درهم .
 حمام القابون : عشرون ألف درهم .
 حمام القصير العمري : ستة آلاف درهم .
 الدهشة^(٤) والحمام : مئتا ألف وخمسون ألف درهم .
 بستان العادل : مئة ألف وثلاثون^(٥) ألف درهم .
 بستان النجيب والحمام والفرن ، مئة ألف ثلاثون ألف درهم .
 بستان الجبلي^(٦) بحرستا : أربعون ألف درهم .
 بستان الدردور بزبدین : خمسون ألف درهم .
 الحدائق بحرستا : مئة ألف وخمسة وستون^(٧) ألف درهم .

(١) في المنهل : « والحوض » .

(٢) في الأصل : « ألف » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والقنوات .

(٣) في القنوات : « عشرة آلاف » .

(٤) في القنوات : « الدهشة » .

(٥) في القنوات : « وثمانون » .

(٦) في الوافي : « الحلي » ، وفي المنهل وولاية دمشق : « الحلبي » .

(٧) في القنوات : « وأربعون » .

- بستان القوصي بها : ستون ألف درهم .
- الجَنِينَةُ ^(١) المعروفة بالحمام بزبدین : سبعة آلاف درهم .
- بستان الرزاز : خمسة وثلاثون ^(٢) ألف درهم .
- الجينية وبستان غيث بها : ثمانون ^(٣) ألف درهم .
- المزرعة المعروفة بتهامة بها : ستون ألف درهم .
- مزرعة الركن البوقي ^(٤) والعنبري : مئة ألف درهم .
- الحصة بالدفوف القبليّة بكفر بطنا ، ثلاثها : ثلاثون ألف درهم .
- بستان السقلاطوني بالمنيحة : خمسة وسبعون ألف درهم .
- حقل البيطارية بها : خمسة عشر ألف درهم .
- الفاثكيات والرشيدي والكروم من زمّلکا : مئة ألف وثمانون ألف درهم .
- مزرعة المرفع بالقابون : مئة ألف درهم .
- الحصة من غراس غيطة ^(٥) الأعجام : عشرون ألف درهم .
- نصف الغيطة المعروفة برزنية ^(٦) : خمسة آلاف درهم .

(١) في الأصل : « الجينية » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في المصادر الأخرى .

(٢) في المنهل : « وثمانون » .

(٣) في المنهل : « ثمانية آلاف » .

(٤) في الأصل : « النوفي » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في المصادر الأخرى .

(٥) في الوافي ، والمنهل وولاية دمشق : « غيضة » .

(٦) في الوافي : « برزنية » . وفي المنهل : « بزوينة » .

- غراس قائم في جوار دار الجالقي : ألفا درهم .
- النصف من غراس الهامة : ثلاثون ألف درهم .
- الحوانيت التي قبالة جامع : مئة ألف درهم .
- الإصطبلات التي عند الجامع : ثلاثون ألف درهم .
- بيدر زبدين : ثلاثة وأربعون ألف درهم .
- أرض خارج باب الفرج : ستة عشر ألف درهم .
- القصر وما معه خمس مئة ألف وخمسون ألف درهم .
- ربع القصرين ^(١) ضيعة : مئة ألف وعشرون ألف درهم .
- نصف البيطارية : مئة ألف وثمانون ألف درهم .
- حصة من البويضا : مئة ألف وسبعة ^(٢) وثمانون ألف درهم .
- نصف بؤابة ^(٣) : مئة ألف وثمانون ألف درهم .
- العلانية ^(٤) بعيون الفاسرتا ^(٥) ثمانون ألف درهم .
- حصة دير ابن عصرون : خمسة وسبعون ألف درهم .
- حصة دوير اللبن : ألف وخمس مئة درهم .

(١) في الأصل : « القصر من » ، تحريف ، وأثبتنا ما في المصادر الأخرى .

(٢) في الفوات : « وخسة » .

(٣) في الأصل : « توابة » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في المصادر الأخرى .

(٤) في الوافي والمنهل : « العلانية » .

(٥) في الوافي والمنهل : « الفاسريا » ، وفي ولاية دمشق : « فارسيا » .

الدير الأبيض : خمسون ألف درهم .

التنورية : اثنان وعشرون ألف درهم .

العديل^(١) : مئة ألف وثلثون ألف درهم .

حوانيت داخل باب الفرج : أربعون ألف درهم .

الأمالك التي بمدينة حمص

الحمام بمحمص : خمسة وعشرون ألف درهم .

الحوانيت : سبعة آلاف درهم .

الربع : ستون ألف درهم .

الطّاحون الراكبة على العاصي : ثلاثون ألف درهم .

زور^(٢) قبجق : خمسة وعشرون ألف درهم .

الحان : مئة ألف درهم .

الحمام الملاصقة للخان : ستون ألف درهم .

الحوش الملاصق له : ألف وخمس مئة درهم .

المتاخ : ثلاثة آلاف درهم .

الحوش المجاور للخندق : ثلاثة آلاف درهم .

حوانيت العريضة : ثلاثة آلاف درهم .

الأراضي المحتكرة : سبعة آلاف درهم .

(١) في الفوات : « العزيل » .

(٢) في ولاية دمشق : « دور » .

الأملاك التي ببيروت

الحان : مئة وخمسة وثلاثون ألف درهم .

الحوانيت والفرن : مئة وعشرون ألف درهم .

المُصَبَّنة بالآتها : عشرة آلاف درهم .

الحمام : عشرون ألف درهم .

المُسَلَّخ : عشرة آلاف درهم .

الطاحون : خمسة آلاف درهم .

قرية زلآيا : خمسة وأربعون ألف درهم .

القرى التي بالبقاع

مرج الصفا : سبع مئة ألف درهم .

التل الأخضر : مئة ألف وثمانون ألف درهم .

المباركة : خمسة وسبعون ألف درهم .

المسعوديّة : مئة ألف وعشرون ألف درهم .

الضياع الثلاثة المعروفة بالجوهري : مئة^(١) ألف وسبعون ألف درهم .

العادة : أربع مئة ألف درهم .

أبروطيا : ستون ألف درهم .

(١) في المصادر الأخرى : « أربعمئة .. » .

غير ذلك

نصف يثُرود^(١) والصالحية ، والحوانيت : أربع مئة ألف درهم .

المباركة والناصرية : مئة ألف درهم .

رأس الماء بيم^(٢) الروس : سبعة وخمسون ألف وخمسة مئة درهم .

حصّة من خربة روق : اثنان وعشرون ألف درهم .

رأس الماء والدّلي بزارعها : خمس مئة ألف درهم .

حمام صرّخد : خمسون ألف درهم .

طاحون الفوّار^(٣) : ثلاثون ألف درهم .

السالمية : سبعة آلاف وخمسة مئة درهم .

طاحون المغار : عشرة آلاف درهم .

قيسارية أذرعات : اثني عشر ألف درهم .

قيسارية عجلون : مئة ألف وعشرون ألف درهم .

الأملاك بقارا

الحمام : خمسة وعشرون ألف درهم .

الهري : ست مئة [ألف]^(٤) درهم .

(١) في الأصل : « بيروت » ، وأثبتنا ما في المصادر الأخرى ، وفي للنهل : « بيروت » .

(٢) في الوافي والنهل : « المآبم » !

(٣) في ولاية دمشق : « الغور » .

(٤) زيادة من المصادر الأخرى .

الصالحية والطاحون والأراضي : مئة^(١) ألف وخمسة وعشرون ألف درهم .
 راسليتا^(٢) ومزارعها : مئة وخمسة وعشرون ألف درهم .
 القصيبة^(٣) : أربعون ألف درهم .

القريتين المعروفة إحداهما بالمرزعة والأخرى بالبينسية : تسعون ألف درهم .

هذا كله خارج عن الأملاك ووجوه البرّ بصفد وعجلون والقدس ونابلس والرملة وجبلجولية والديار المصرية، لأنّه عمّر بيارستاناً بصفد مليحاً ، وبعض أوقافه بها ، وعمّر بالقدس رباطاً وحمّامين وقيسارية^(٤) ، وله بمجلجولية خان مليح إلى الغاية أظنه سيلاً ، وله بالرملة ، وله بالقاهرة في الكافوري دار عظيمة وإصطبل وحمّام وحوانيت .

وكان رحمه الله قد اعتمد في حياته شيئاً ما سمعنا به عن غيره ، وهو أنه استخدم كاتباً بعلوم يأخذه في كلّ شهر من عَيْنٍ وغلّة ، ليس له شغل ولا عمل غير ما يدخل خزانته من الأموال ويستقر له ، فإذا حال الحول على ذلك الواصل ، عمل أوراقاً بما يجب عليه صرفه من الزكاة ، وتُعْرَضُ الأوراق عليه ، فيأمر بإخراجه وصرفه إلى ذوي الاستحقاق .

وكان إذا جلس في الخدمة يقعد ويرفع يديه ، ويدعو سراً بما يحبّ ، ويمسح وجهه ، ثم بعد ذلك يفتح الدواة ، ويأخذ القلم ، ويضعه على ظفر إبهامه اليسار ، ويفتح شقته ، ويَقْبِلُ على كاتب السرّ ويقرأ القصص عليه ، وإذا أراد فراغ الخدمة طبّق الدواة ، فيقول الحاجب : « بسم الله استريحوا » . وإذا علّم في كل يوم فهو الدستور للناس أجمعين .

(١) في الوافي والمنهل : « مئتا » .

(٢) في ولاية دمشق : راسليها .

(٣) في ولاية دمشق : « القصيبة » .

(٤) في الوافي : « وقياسرة » . وفي المنهل « وقياسر » .

إذا خرج كاتب السر لا يبقى بدار السعادة أحد من أرباب الخدم ، وكان أخيراً لا يدخل عليه العلامة إلا أربعين علامة بالعديد من غير زيادة ، وكان أخيراً إذا توجه إلى الصيد لا يعود يمك قلماً ولا يعلم علامة ، بل قبل السفر يكتب جميع ما يحتاج إليه من الأجوبة ، والكتب المطلقة والتسامير وأوراق الطريق والمطالعات إلى باب السلطان ، ويدخل بها في يومين ثلاثة وهي مسطرات ، يتعلم على الجميع إلى أن يتكامل ما يريده كاتب السر .

وكان يعظم أهل العلم ، وإذا كانوا عنده واجتمع بهم لا يسند ظهره إلى الحائط ، بل ينفتل ويقيم بوجهه ، ويوادم ويؤنسهم ، أعني غير القضاة ، ويقول : حلت علينا البركة . فالله يكرمه في جواره ، ويجيره في يوم الموقف من دار بواره بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

وقلت أرثيه ، رحمه الله تعالى (١) :

وَتَسْعَى تَحْتَ أَذْيَالِ الظُّلَامِ (٢)	كَذَا تَسْرِي الْخُطُوبُ إِلَى الْكِرَامِ
هَزِيرٍ عَنْ قَرِيسْتِهِ مُحَامٍ	وَتَغْتَالِ الْحَوَادِثُ كُلَّ لَيْثٍ
وَجَوْهٌ لَمْ تُعْرَضْ لِلْطَّامِ	وَتُبْذَلُ بَعْدَ عِزٍّ وَامْتِنَاعِ
وَأَلَّ إِلَى انْتِقَالٍ وَانْتِقَامِ	فَكَمْ مَلِكٍ غَدَا فِي الْأَرْضِ دَهْرًا
رَأَيْتَ الصَّقْرَ مِنْ صَيْدِ الْحَمَامِ (٣)	إِذَا مَا أَبْرَمَ الْمَقْدُورُ أَمْرًا
وَلَمْ تُطْبَعِ عَلَى رَغِي الدِّمَامِ	وَهَلْ يُرْجَى مِنَ الدُّنْيَا رَفَاءٌ
تُوسَّعُهُ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ	إِذَا ضَاقَتْ جَوَانِحُنَا بِهِمْ
رَمَانَا الدَّهْرُ فِي شَرِّ الْقَرَامِ	أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَنَا فَإِنَّا
فَقَدْ أَمْسَى الزَّمَانُ بِلَا زَمَامِ	وَرَدَّ اللَّهُ عُقْبَانَا لَخِيرٍ

(١) وقد أثبتتها في الوافي .

(٢) في الأصل : « وهي تحت » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) في الوافي : « المقدار » .

تنكر يوم تنكر كل عرف
ومال إلى المدينة كل مولى
وأذهل يومه الألباب حتى
بكيته دمشق لما غاب عنها
فيا تمزيق شمل العدل فينا
ويا المصيبة بدمشق حلت
فكم من مقلّة للحزن تجري
رعاه الله من راع أمين
وكف حوادث الأيام عنهم
وكيف ينوبهم خطب ملم
حنو زاد في إفراط بر
وتدبير خلا عن حظ نفس
ودست حكمه في دار عدل
وكم جبار قوم ذي عتو
يساوي عنده في العدل بين الـ
وهيبته سرت شرقاً وغرباً
يراع المغل في توريز منه
وكم قطع الفرات وصاد حتى
إذا ما قيل هذا الليث وافي
فرائسه فرائضها تراها
ولم نر قبله ليثاً أتته

وسام الذل فينا كل سام^(١)
وحام على الرزية كل حام
كأننا فيهب صرعى بالمدام
وأوحش أفعها بدر التمام
ويا تفريق ذاك الإنتظام
شدائدّها بأحداث عظام
مدامها بأربعة سجام
أنام بعدله عين الأنام
فلم تطرق حماهم بانتقام
وناب الدهر فيهم غير نام
يسكن برده لهب الضرام
وناب الرعب فيه عن الحسام
تأيد بالملائكة الكرام
تهيب أن يراه في المنام
كرام الغر والسود اللثام^(٢)
وشاعت عنه في مصر وشام
ويطرق أرضهم في كل عام
توغل في فضا تلك المرامي
مضوا هرباً كأمثال النعام
دوامي لاتزال على الدوام
أفاعي القيد تندر بالحمام

(١) في الأصل : « تنكر يوم » تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الأصل : « اللثام » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .

وَقَدْ رَقَتْ لَنَا فِتْنٌ حُزْنًا
أَلَا فَاذْهَبْ سَقَيْتَ أَبَاسَعِيدَ
فَأَنْتَ وَدِيعةُ الرَّحْمَنِ مَنَّا
وَلَيْتَ فَلَمْ تَحْنُ لِلَّهِ عَهْدًا
وَحَاشَى أَنْ يَرَاكَ اللَّهُ يَوْمًا
وَنَلْتَ مِنَ السَّعَادَةِ وَاللِّعَالِي
وَكُنْتَ إِذَا دَجَا لَيْلُ الْقَضَايَا
تَفَرَّجُهَا بِقَوْلٍ مِنْكَ فَضْلُ
وَكُنْتَ تَحِبُّ نُورَ الدِّينِ طَبْعًا
رَعَيْتَ كَمَا رَعَى وَحَمَيْتَ مَا قَدْ
بَقِيَتْ مُمْتَعًا بِالْخُلْدِ حَتَّى
عَلَيْهِ فِي الْقُعُودِ وَفِي الْقِيَامِ^(١)
فَقَدْ رَوَى زَمَانُكَ كُلَّ ظَامٍ
تَحَوَّطُكَ فِي الرَّحِيلِ وَفِي الْمَقَامِ^(٢)
وَلَمْ تَجْذُبْكَ فِيهِ عَرَى الْمَلَامِ
تَعَدَّيْتَ الْحَلَالَ إِلَى الْحَرَامِ
مَنَالًا حَازَ غَايَاتِ الْمَرَامِ
وَكُنْتَ مِنْ مُهَمَّاتِ جِسَامِ
لَأَنَّ (الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامُ)^(٣)
لَا تَكُنَا سَوَاءً فِي التَّزَامِ
حَمَى نَفْدِيكَ مِنْ رَاعٍ وَحَامِ
يَقُومُ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الرَّجَامِ

ولما كان في أوائل شهر رجب الفرد سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، حضر تابوته من الإسكندرية إلى دمشق ، ودفن - يرحمه الله تعالى - في تربته التي تجاور جامعته بدمشق فقلت^(٤) :

إِلَى دِمَشْقَ نَقَلُوا تَنَكُّزًا
فِي جَنَّةِ الدُّنْيَا لَهُ جَنَّةٌ
وَقُلْتُ أَيْضًا^(٥) :

فِيهَا مِنْ آيَةِ ظَاهِرَةٍ
وَنَفْسُهُ فِي جَنَّةِ الْآخِرَةِ

(١) في الوافي : « رقت له » ، وهي أشبه .

(٢) في الوافي : « وفي القيام » .

(٣) ضمن الشعر المشهور :

إِذَا قَالَتْ حَذَامُ فَصَدَّقُوهَا

(٤) هما في الوافي ، والتحفة ، والمنهل .

(٥) هما في الوافي ، والفوات ، والمنهل .

فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامُ

في قل تنكز سِرٌّ أراده الله ربُّهُ
أتى به نحو أَرْضِي يحبُّها وتحبُّه
وقلت أيضاً كَأَنِّي أَخاطبه^(١) :

أعاد الله شَخَصَكَ بَعْدَ دَهْرٍ إلى بَلَدٍ وَلَيْتَ فَلَمْ تَخْنُهَا
أَقَمْتَ بِهَا تُدَبِّرُهَا زَمَانَا وتَأْمُرُ في رعاياها وتنهى
فلا هذا الدخولَ دخلتَ فيها ولا ذاك الخروجَ خَرَجْتَ منها

٥٢٣ - تَنكُزُ بُغَا*

الأمير سيف الدين المارداني ، أمير مجلس الناصري .

كان حَظِيًّا عند الملك الناصر حَسَنَ ، والسعدُ في يده يصرفه بزمَامٍ وَرَسَنٍ . بالغ في تقريبه ، واعتمد على عقله وتجربيه ، فنوله ماشاء من وجاهه ، وخوله فيما أراد من فضل ونباهه . إلا أنه في آخر أيامه اعتلَّ ، ورماه السقم بدائه وانسل^(٢) ، فلم يزل يقوم ويبرك ، ويسكن ويَحْرُكُ ، إلى أن اختطفه كاسر المنيه ، واحتحفه سيل المنيه .

وكانت وفاته رحمه الله تعالى في شوال سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

كان في أيام الملك الناصر حسن الأولى مُشِدَّ الشرايخانا ، ولما أمسك الوزير منجك وجرى ما جرى ، أُعطي إمرة مئة ، وتقدِّمة ألف ، واختصَّ بالملك الناصر ، وصارت له المنزلة العلية عنده ، فخرَجَ الأمير علاء الدين مُغلُطاي ، وطاز على السلطان وَرَكِبَا إلى قبة النصر ، وجهز إليه : أن جهَّزَ إلينا النجا وتنكز بفا ، فجهَّزَ إليهما ما طلباه وخلعاه ، وجرى ما جرى .

(١) هي في الوافي ، والتحفه ، والمنهل .

* الوافي : ٤٣٥/١٠ ، والدرر : ٥٢٠/٨ ، والنجوم الزاهرة : ٣٣١/١٠ ، والبدايع : ٥٦٢/١/١ ، والذيل التام : ١٦٤ .

(٢) يشير إلى اللئل : (رمتني بدائها وانسلت) ، مجمع الأمثال : ٢٨٦/١ .

ثم لما ملك الملك الصالح صالح ، أفرج عنه ، وحضر معه إلى الشام في واقعة بيبغاروس ، ولما عاد إلى مصر رسم له يامرة مئة فارس وتقدمة ألف ، وعظم شأنه ، وارتفع قدره في الدولة الناصرية الثانية ، وعيّن لنيابة الشام مرات ، فما اختار ذلك .
ثم إنه تعلّل وطال مرّضه قريباً من سنة إلى أن ورد الخبر بوفاته رحمه الله تعالى في شوال سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

٥٢٤ - توبة*

ابن علي بن مهاجر بن شجاع بن توبة : صاحب تقيّ الدين أبو البقاء الربيعي التكريتي . المعروف بالبيع^(١) .

كان أولاً تاجراً ، حَضَرَ إلى البلاد وتعرف بالسلطان الملك المنصور وهو أمير قبل المُلْك ، فلما آل الأمر إليه ولّاه وزارة الشام مُدَّة ، ثم إنه عزّله ، ثم تولّى وصودر غير مرة ، ثم يسّلمه الله تعالى .

وعمر لنفسه تربة مليحة^(٢) تصلح للملك ، وكان يظلم الناس ويعسف ، ويهمل كُتُبَ الأموال وينسف ، إلا أنه مع ظلمه فيه مروءة ، وعنده من الإسلام بقايا رحمة مخبوءة ، وتقريباً لأهل الصلاح ، وادّخار من دعاء الفقراء ، فإنّه أوقى جنة وأمضى سلاح .

ولم يكن له باطن ينطوي على غش ، ولا يسكن الخبث معه في عَشٍّ ، وفيه سماح ومزاج غير مُزَاح ، وكرم يباري به الرياح ، وحُسْنُ خُلُقٍ يصفو به كدر الماء ،

* الوافي : ٤٣٨/١٠ ، وتالي الوفيات : ٦٠ ، والوفات : ٢٦١/١ ، والبداية والنهاية : ٥/١٤ ، والنجوم ، ١٨٥/٨ ، والشذرات : ٤٤١/٥ ، والنهال الصافي : ١٧٩/٤ . والعبر : ٣٨٧/٥ ، وعقد الجمان : ٤٧٥/٣ .
(١) في التالي : « المعروف بالبيع ، ضمن البيعة في الدولة الظاهرية ، ووقف عليه من الضمان جملة ، وعوقب بسببه » .

(٢) تعرف بالتربة التكريتية ، الدارس : ١٨٥/٢ .

ويتلعب بالقلوب تلعب الأفعال بالأسماء ، يقتني الخيول المسومة ، والماليك الملاح الذين وجوههم أقمار على رماح مقومه .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءت نوبة توبه ، وسقاه غمام الحمام صوبه .

ووفاته رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده يوم عرفة^(١) سنة عشرين وست مئة ودفن بتربته .

يقال إنه كان عنده مملوك مليح اسمه أقطوان ، فخرج يوماً آخر النهار يسير إلى وادي الربوة ، ومملوكه أقطوان خلفه ، فرّ بمسطول وهو نائم ، فلما أحسّ بركض الخيل فتح عينيه ، وقال : يا الله توبة ! ، فقال : والك يا أبلم^(٢) إيش تعمل بتوبة ؟ ، واحد شيخ نحس^(٣) ، اطلب منه أقطوان أحب إليك .

وأظنه باشر الوزارة بعد عزل الصّاحب فتح الدين بن القيسراني ، فلبس التقى توبة خلعة الوزارة في تاسع القعدة سنة ثمان وسبعين^(٤) وست مئة ، ثم قبض عليه في خامس عشري الحجة من السنة المذكورة ، وأوقعت الحوطة عليه ، وتولى الوزارة مجد الدين إسماعيل بن كسيرات .

ثم أفرج عنه في أول أيام حسام الدين لاجين ، لما كان نائب دمشق ، ثم قبض عليه أيضاً في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وست مئة ، ثم أطلق ، ثم قبض عليه مرة أخرى في شهر واحد وأفرج عنه ، وتولى الوزارة ، ثم قبض عليه في جمادى الأولى سنة ثمانين وست مئة ، وتولى عوضه تاج الدين بن السّنهوري^(٥) . ثم إنه تولى الوزارة ،

(١) في الوافي والقوات : « يوم عرفة بعرفة » .

(٢) في القوات : « يا قواد » ، وفي القاموس : أبلت الناقة : اشتدت الفحل .

(٣) في القوات : « نحس مقلع الأسنان » .

(٤) في التالي : « تسع وسبعين » .

(٥) لم تقف على ترجمته . وجاء في البداية في أحداث (٦٨٠ هـ) مانصّه : (وفي أواخر ربيع الآخر عزل =

ولم يزل بها إلى أن عزل بالصاحب يحيى بن النحاس^(١) في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وست مئة . وتوجه إلى مصر في شهر رجب ، وأوقعت الحوطة على أمواله وأملاكه ، ثم عاد إلى دمشق فتولّى الوزارة في شهر ربيع الآخر سنة خمس وثمانين وست مئة^(٢) .

ثم إنه طلب إلى مصر هو وقاضي القضاة حسام الدين الحنفي وشمس الدين بن غانم سنة سبع وثمانين وست مئة ، وعادوا في جمادى الأولى .

وفي شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وست مئة صادرة الشجاعى^(٣) بدمشق بعد حضور السلطان من فتح طرابلس فأذاه وأخرق^(٤) به . ثم إنه توجه إلى مصر وعاد وزيراً في المحرم سنة تسعين وست مئة^(٥) .

ولما عاد الأشرف من فتوح عكا إلى دمشق قبض عليه وعلى طوغان المَشِدّ ، وجماعة من الكتّاب . وأُفرج عنه في شهر رجب سنة تسعين وست مئة ، وصُرف عن الوزارة بالصاحب شهاب الدين أحمد الحنفي يوم العيد الأضحى سنة خمس وتسعين وست مئة .

وفي شهر ربيع الأول تولى الوزارة التقي توبة عوضاً عن شهاب الدين الحنفي في سنة ست وتسعين وست مئة^(٦) .

= التقي بن توبة التكريتي من الوزارة بدمشق ، وباشرها بعده تاج الدين السهوري (. انظر : ٢٩٤/١٣ .

(١) كذا في الأصل ، وأكبر الظن أن المراد ههنا صاحب يحيى الدين بن النحاس (ت ٦٩٥ هـ) . البداية والنهاية : ٢٤٦/١٣ ، والنجوم : ١١٠/٨ ، والشدرك : ٤٣٢/٥ .

(٢) البداية والنهاية : ٣٠٧/١٣ - ٣٠٨ .

(٣) علم الدين سنجر الشجاعى المنصوري ، ستأتي ترجمته .

(٤) البداية والنهاية : ٣١٤/١٣ .

(٥) البداية : ٣٢٠/١٣ .

(٦) البداية : ٣٤٩/١٣ .

وَتَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الْوَدَاعِيِّ لَهُ :

إِنِّي حَلَفْتُ يَمِينًا لَمْ آتْ فِيهَا بِحَبْوَبِهِ
مِذْ أَقْعَدْتَنِي اللَّيَالِي لَا قُمْتُ إِلَّا بِتَوْبِهِ

وتقلت منه ، وقد وقع من أعلى حصانه :

فَدِينَاكَ لَا تَخْشَ مِنْ وَقْعَةٍ فَإِنْ وَقَعَكَ لِلْأَرْضِ فَخْرُ
سُقُوطِ الْغَمَامِ بِفَصْلِ الرِّيْعِ فِي الْبَرِّ بَرٌّ وَفِي الْبَحْرِ دَرٌّ

وتقلت منه أيضاً :

لَا تَخَفْ أَهْلًا وَلَا صَاحِبًا حِبٌّ مِنْ وَقْعِ الْحِصَانِ
أَنْتَ غَيْثٌ وَوَقْعُ الْوَقْعِ غَيْثٌ مِنْ خِصْبِ الزَّمَانِ

٥٢٦ - تومان تمر*

الأمير سيف الدين الناصري مملوك الملك الناصر حسن .

كَانَ عِنْدَ أَسَاتِذِهِ عَزِيزًا ، وَخِلَاصَةً حُسْنِهِ الْبَسِيطُ لَا يَرَاهُ النَّاسُ وَجِيزًا ، لَهُ مَكَانَةٌ مِنْ قَلْبِهِ قَدْ تَرَفَعَتْ ، وَمَنْزَلَةٌ مِنْ خَاطِرِهِ تَرَدَّتْ بِالْحُبَّةِ وَتَلَفَعَتْ ، عَمِلَ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ صَرِغْتَمِشَ وَأَنْزَلَهُ مِنَ الْقَلْعَةِ ، وَمَنْعَ طَلْعَتِهِ لِأَنْ يَكُونَ لَهَا إِلَى الْقَصْرِ طَلْعُهُ ، فَصَبِرَ لِهَذِهِ النَّازِلَةِ ، وَقَالَ : مَا تَقَابَلُ بِالْجِدَّةِ هَذِهِ الْهَازِلَةُ . وَكَانَ قَدْ بُغِيَ عَلَيْهِ فَاتْتَصَرَ ، وَعَادَ لَمَّا كَانَ عَلَيْهِ بَلْ زَادَ وَمَا اقْتَصَرَ .

وَكَانَ شَابًّا طَوَالًا ، إِذَا خَطَرَ كَانَ غَضْنَا ، وَإِذَا التَفَتَ كَانَ غَزَالًا ، لَهُ دِيَانَةٌ ، وَلِأَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدَهُ مَكَانَةٌ .

* الدرر : ٥٢٨/١ ، وانظر : البداية والنهاية : ٢٨٣/١٤ أحداث (٧٦٢ هـ) .

باشر النيبات ، ودخل في الأحكام فما أظلم عليه منها الغيابات ، بإطراق
وسكون ، وميل إلى التعدد وركون :

لقد غدت الممالك خالياتٍ بعدلك يا أخا الشيم الرضايا
وحسنُ الذكر في الدنيا غراس تنالُ ثمارها الأيدي السخايا

ولم يزل على حاله إلى أن انأطر ، ودَوَّى منه غصنٌ ما كأنه ماس ولا خطر .

وتوفي رحمه الله تعالى في طاعون غزة سنة أربع وستين وسبع مئة ، في أوائل شهر
رمضان المعظم .

كان هذا الأمير سيف الدين من أكبر خاصكية الملك الناصر حسن ، فعمل عليه
الأمير سيف الدين صرغتمش ، ولم يقدر على أكثر من أنه أنزله من القلعة ، وبقي في
القاهرة إلى أن أُمسِكَ صرغتمش ، فعاد إلى ما كان عليه أولاً ، وجهزه الملك الناصر حسن
إلى فياض بن مهنا^(١) ليأخذه ويتوجه به إلى مصر ، فوصل إلى حلب ، وركب منها
المهجن وأخذه ، وراح به إلى السلطان ، ولم يزل عند أستاذه في أعز مكانة وأرفع
منزلة ، إلى أن خلعَ الملك الناصر ، فأخرج إلى طرابلس نائباً عوضاً عن الأمير
زين الدين أغلبك الجاشنكير ، وأقام بطرابلس نائباً إلى أن تحرك الأمير سيف الدين
بيدمر الخوارزمي في دمشق ، فجهز إليه ليحضر إلى دمشق ، فامتنع أولاً ، ثم وافق ، ثم
جاء إليه ونزل بالقصر الأبلق ، وتوجه معه وعاد معه من غباغب^(٢) ، ونزل القصر
الأبلق ، ولم يصح أنه توجه منه ليلاً إلى تلقي السلطان الملك المنصور محمد بن حاجي .

ولما وصل السلطان إلى دمشق وتقرر الأمر ، جهَّز الأمير سيف الدين تومان تمر
إلى حصص نائباً ، فتوجه إليها وأقام بها نائباً إلى أن عُزلَ منها^(٣) . وحضر إلى دمشق

(١) (ت ٧٦١ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٧٠/١٤ .

(٢) غباغب : بليدة جنوب دمشق على طريق أذرعات (درعا) .

(٣) البداية والنهاية : ٢٨٧/١٤ .

وأقام بها أمير مئة مقدّم ألف في المينة ، فأقام أشهراً قليلة ، ورسم له في أوائل شهر رمضان سنة ثلاث وستين وسبع مئة بنياية غزّة . وكان قد عزل من حصص بالأمير سيف الدين يلغا البجاسي في العشر الآخر من جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

وكان قد حضر من حمص إلى دمشق على إقطاعه الذي كان بيده وهو في حمص ، ثم رسم له بإقطاع الأمير سيف الدين سلامش ، وأجلسوه في المينة دون المقدّمين وفوق أمراء الطبلخانات .

ولم يزل بدمشق على حاله إلى أن عزل الأمير سيف الدين كجكن^(١) نائب غزة . وجّه الأمير سيف الدين تومان تمر إلى غزة نائباً في رابع عشر شهر رمضان سنة ثلاث وستين وسبع مئة ، فأقام بغزة إلى أن توفي بها في التاريخ المذكور .

وكان في هذه النيابات الثلاث مشكور السيرة ، محمود الأحكام ، رحمة الله تعالى .

٥٢٧ - توما*

ابن إبراهيم الطبيب الفاضل علم الدين الشوبكي .

كان بالطب عارفاً ، وبالعلاج للأسقام صارفاً ، اشتهر بالإنجاب علاجه ، وصح على تدبيره من كل مرض مزاجه ، وكان يدرّس الطب بجامع ابن طولون^(٢) ، ويرى أنه بذاك في رتبة ما وصل إليها سولون^(٣) .

(١) في الأصل : « كجكي » ، تحريف . انظر ، الدرر : ٥٢٨/٠ .

* الدرر : ٥٢٨/١ .

(٢) أحد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية بمصر (ت ٢٧٠ هـ) بدأ بعمارة مسجده سنة (٢٦٣ هـ) ،

وانتهى منه سنة (٢٦٦ هـ) ، وهو على جبل يشكر في الجهة الجنوبية من القاهرة بقسم السيدة

زينب . البدائع : ١٦٣/١/١ ، والنجوم : ١٠٦/٨ .

(٣) طبيب ومشرّع ، وهو أحد حكماء اليونان السبعة (ت ٥٥٨ ق.م) ، انظر : طبقات الأطباء : ٣٠ .

ولم يزل على حاله إلى أن فسد تركيبه ، وجاءه سهم من الموت يصيبه منه نصيبه .
وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر شهر رجب الفرد سنة أربع وعشرين وسبع
مئة .

وكان من أطباء السلطان وتجاوز السبعين . واختصر (مسائل) حنين^(١) ، وتولى
القاضي جمال الدين بن المغربي مكانه في الجامع ، ودفن بالقرافة .

الألقاب والأنساب

☆ ابن التركاني : الأمير شمس الدين إبراهيم ابن الأمير بدر الدين محمد بن عيسى .
الشيخ تاج الدين : أحمد بن عثمان . ووالدهما عثمان بن إبراهيم . وقاضي حاة الحنفي
علم الدين سليمان .

☆ التونسي : مجد الدين النحوي أبو بكر بن محمد بن قاسم الثوري . عثمان بن
محمد .

☆ التلاوي : الأمير ركن الدين بيبرس .

☆ ابن تيمية : العلامة تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ، وشرف الدين أخوه عبد
الله بن عبد الحليم . وشرف الدين التاجر : عبد الواحد . ومجد الدين عبد اللطيف بن
عبد العزيز . وعلاء ذلدين علي بن عبد الغني .

☆ ابن التيتي : محمد بن إسماعيل .

(١) حنين بن إسحاق ، طبيب مؤرخ مترجم (ت ٢٦٠ هـ) ، انظر : طبقات الأطباء : ٣٤ ، والكشف :
١٦٦٨/٢ ، والأعلام : ٢٨٧/٢ .

حرف الثاء

٥٢٩ - ثامر *

ابن درّاج البدوي ، من عرب خفاجة .

أنشدني من لفظه القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله ، قال : أنشدني من لفظه ^(١) ثامر بن درّاج لنفسه بقلعة الجبل ، سنة خمس وثلاثين وسبع مئة :

رأت البرقَ لامعاً فاستطارتُ وبكتُ بالدموع سَمّاً رذاذا
قلتُ ماذا؟ فقالتِ : البرقُ، قلنا : ألبرقُ على الحمى كلَّ هـ_____ذا

ابن الثَّرْدَة

علي بن إبراهيم .

ابن ثروان

شيخ البيانية عيسى بن ثروان .

ثعلب **

ابن الحسن بن ثعلب ، شرف الدين القاهري العطار .

أنشدني العلامة أثير الدين أبو حيان ، قال أنشدني المذكور لنفسه :

تَمَنَّعتْ بالتوفيق والعزَّ والْبَقَا وحُوشيت من كَشَفِ أَلَمٍ ومن كَشَفِ
ولا زِلْتُ في عَزٍّ ولينٍ ورِفْعَةٍ مقيماً بصدر الآي من سورة الكهف

* الوافي : ٦/١١ ، والدرر : ٥٣٠/١ .

(١) في الوافي : « من لفظه لنفسه » .

** الدرر : ٥٣٠/١ .

حرف الجيم

☆ ابن جابي الأحباس : ركن الدين عمر بن محمد .

٥٣٠ - جاريك *

عبد الله الأمير سيف الدين .

كان أحد أمراء الخمسين بدمشق ، يسكن عند الشامية بظاهر دمشق .

توفي رحمه الله تعالى في عشرين شهر رجب الفرد سنة عشرين وسبع مئة ، ودفن بالقبيبات .

٥٣١ - جاريك تمر **

الأمير سيف الدين المارداني .

كان من ممالك السلطان الملك الناصر محمد . أخذته الأمير سيف الدين تنكز من السلطان في بعض سفراته إلى القاهرة ، وأقام عنده في دار السعادة . ولما كان في آخر سفره ، توجه إلى مصر أخذ له طبلخاناه من السلطان فيما أظن .

ولما أمسك تنكز توجه إلى القاهرة وأقام هناك ، وجاعة تنكز يقولون إنه ممن عمل على إمساك تنكز باتفاق مع طاجار الدوادار ، والله يعلم ما كان من ذلك .

* الدرر : ٥٣٣/١ .

** الوافي : ٣٦/١١ ، والدرر : ٥٣٤/١ ، وانظر أحداث (٧٦٢ هـ) من البداية والنهاية : ٢٧٦/١٤

ثم إن جاريك تمر خرج صحبة الفخري إلى الكرك ، ووصل معه إلى دمشق . وفي أواخر الأمر كان بمصر حاجباً صغيراً . ثم إنه جُهِّز إلى الكرك نائباً ولم يزل بها إلى أن أمسك الوزير منجك في أيام الناصر حسن في المرة الأولى ^(١) ، ورسم له بالتوجه إلى البيرة ^(٢) نائباً ، وحضر إلى الكرك الأمير سيف الدين أراي ^(٣) عوضاً عنه فأقام جاريك تمر بالبيرة نائباً إلى أن خلع الناصر حسن ، وتولى المُلْك الصالح صالح ، فرسم له بالعود إلى القاهرة ، وكان من جملة الحجاب .

ولما عاد الناصر حسن إلى المُلْك ^(٤) جرَّده ، ومعه الأمير سيف الدين علم دار الداودار إلى الحجاز في سنة ستين وسبع مئة .

وأقام بمكة مجرداً سنتين ، فوطنها ووطَّدها ، وساس العرب أحسن سياسة ، إلى أن توجه الأمير ناصر الدين محمد بن قراسنقر من دمشق إلى الحجاز في سنة إحدى وستين وسبع مئة ، ورسم له بالمقام في مكة ، وأن يعود الأمير جاريك تمر إلى دمشق مقدم الركب الحجازي .

ولما وصل إلى دمشق طلع الأمير سيف الدين بيدمر نائب الشام وتلقاه وحضر معه ، ودخلا دار السعادة ، ولما صار فيها قيده وأودعه في المدرسة العذراوية ^(٥) . ثم إنه جهزه صحبة الأمير سيف الدين برناق إلى باب السلطان ، فرسم الناصر حسن باعتقاله في ثغر الإسكندرية .

(١) وذلك سنة (٧٥٢ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٣٧/١٤ .

(٢) البيرة : من نواحي حلب .

(٣) ترجم له المصنف في حرف الألف .

(٤) سنة (٧٥٥ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٣٧/١٤ .

(٥) بجارة الغرباء داخل باب النصر ، وهي وقف على الشافعية والحنفية ، أنشأتها الست عذراء بنت أخي

صلاح الدين سنة (٥٨٠ هـ) ، الدارس : ٥٨٣/١ .

ولم يزل بها إلى أن خلع الناصر حسن ، وأفرج عن الأمراء المعتقلين ، فحضر جاريك تمر إلى دمشق على إقطاع الأمير حسام الدين لاجين العلائي ، ووصل إلى دمشق يوم الأحد حادي عشر شهر رجب سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، وجُهِز الأمير سيف الدين أرغون الأشعري الدوادار ، وخطب ابنته فأجابته وجهازها إليه .

ثم إنه طُلب إلى مصر فتوجه إليها في شعبان سنة ثلاث وستين وسبع مئة فيما أظن وأقام بها إلى أن توفي بالقاهرة في سادس عشري ذي القعدة سنة ثلاث وستين وسبع مئة رحمه الله تعالى .

٥٣٢ - جَرُكْس *

الأمير سيف الدين .

تولّى نيابة قلعة الروم ^(١) ، وأقام بها زماناً ، وأخذ من الدهر في طول المدة أماناً ، فحصل أموالاً ، وكُنز جُمْلَةٌ لا يُبَالِي معها أَعَادَى الأيام أم وإلى ، وثور نعمة طائله وأملاً كاهائله ، وشاع أمرُ سعادته واشتهر ، وبَرَز ذكره إلى الديار المصرية وظَهَرَ ، وتحدث الناسُ بأمره ، وعلموا بمكنون سِرِّه .

ولم يزل على حاله في القلعة المذكورة ، إلى أن حَالَتْ حالة الحالیه ، وقال ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ ﴾ ^(٢) .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

ورسم الملك الصالح إسماعيل أن يتوجه الأمير سيف الدين منجك للحوطة على موجوده ، فساق على البريد من مصر إلى قلعة الروم لأجل ذلك .

* الدرر : ٥٣٤/١ ، وليس ههنا موضع ترجمته ، إلا أن يكون (جاركس) كما في الأسماء للهاثة له في المنهل الصافي مثلاً . وهو الأشبه .

(١) قلعة حصينة غربي الفرات مقابل البيرة . معجم البلدان : ٣٩٠/٤ .

(٢) الحاقه : ٢٨/٦٩ .

٥٣٣ - جاغان *

الأمير سيف الدين الحسامي المنصوري .

كان مملوك السلطان حسام الدين لاجين المنصور .

كان فيه دين ، وعقله في السياسة مكين ، وفضله في التدبير مبين ، وثيله في السياسة متين . أقامه أستاذه في شدّ الدواوين بدمشق لما كان قبجق بها نائباً ، فوقع بينهما ، واستوحش قبجق من السلطان وقفز ودخل بلاد التتار .

ولم يزل إلى أن دُعي إلى اليلي ، وأصبح غيثاً الدمع عليه مُسبلاً .

وتوفي في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .

وكان قد وصل إلى دمشق مُشيداً في شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين وست مئة من قبل أستاذه ، ومعه تقليد صاحب تقي الدين توبة^(١) ، وكان قد ولي الشدّ أولاً عوضاً عن فتح الدين بن صبرة^(٢) ، ولما قتل السلطان لاجين أمسك جاغان بدمشق في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وست مئة ، وأفرج عنه في جمادى الأولى من السنة .

اللقب والنسب

☆ ابن جبارة : شهاب الدين أحمد بن محمد . وتقي الدين عبد الله

ابن عبد الولي .

☆ ابن الجبّاب : محمد بن عبد الوهاب .

☆ ابن الجبّاس : أحمد بن منصور .

* الوافي : ٣٩١/١١ ، والمعبر : ٣٩٦/٥ ، والشذرات : ٤٤٦/٥ ، وعقد الجمان = ١١٧/٤ ، وفيات (٦٩٩ هـ) .

(١) سلفت ترجمته .

(٢) الحسين بن عمر ، ستأتي ترجمته .

☆ الجالقي : الأمير ركن الدين بيبرس .

☆ الجاولي : الأمير علم الدين سنجر .

٥٣٤ - ججکتو *

الأمير سيف الدين التركاني . أحد أمراء الطبلخانات بدمشق . يجمين مكسورتين وكاف ساكنة ، وبعدها تاء ثلاثة الحروف وواو : كان أولاً مقيماً بطرابلس ، ولما جرى لأجيبغا نائبها ماجرى ، ثم جرى لبكلمش نائبها أيضاً ماجرى ، كره الإقامة بدمشق ، فأجيب إلى ما سألته .

ولم يطل مقامه بدمشق حتى توفي رحمه الله تعالى يوم السبت سادس شهر رمضان سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

وكان له أولاد وأقارب ، وهو كبير قومه بطرابلس رحمه الله تعالى .

٥٣٥ - جرکتر **

الأمير سيف الدين الإسعري .

أخرجه الناصر حسن إلى نياية حمّة بعد إمساك الأمير ركن الدين عمر شاه^(١) ، فما أقام بها إلا قليلاً ، دون الشهرين ، وعزله منها بالأمير علاء الدين بن تقي الدين . وحضر الأمير جرکتر إلى حلب أميراً من بعض الأمراء بها ، ثم جهزته إلى بعض قلاع حلب بطالاً ، ثم أمسكه واعتقله بالإسكندرية ، فأقام بها معتقلاً إلى أن خلع الناصر حسن ، وحضر بعد ذلك إلى دمشق أميراً مقدماً على ألف .

* الدرر : ٥٣٤/١ .

** الدرر : ٥٣٥/١ .

(١) (ت ٧٧١ هـ) ، الدرر : ١٩٨/٣ .

وأقام بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في يوم الجمعة خامس شهر الله المحرم سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

وكان رحمه الله تعالى شكلاً تاماً حسن الوجه .

اللقب والنسب

☆ ابن الجرايدي : محمد بن يعقوب .

☆ الجزري : محمد بن يوسف .

☆ الجعبري : الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عمر . [و] تاج^(١) الدين صالح بن ثامر . وتقي الدين محمد بن سليمان .

٥٣٦ - جعفر *

ابن ثعلب بن علي ، الإمام الأديب الفاضل كمال الدين أبو الفضل الأذفوي ، بضم
الهمزة وسكون الدال وضم الفاء وبعدها واو مشددة ، الشافعي .

كان فقيها ذكياً ، فاضلاً زكياً ، يعرف النحو ، وتُشرق شمسُه فيه في يوم صَحْو ،
يغلب على ابن ثعلب الأدب ، ولا يفترّ عما له فيه من الطلب ، وحظّه من التاريخ
مَوْفَر ، وجيشه إذا غزا فيه مظفر ، ضحوك السنّ دائم البشر ، لا يلقاه أحد إلا عاطِر
النشر ، حلوا الملقى^(٢) عند الملقى ، يروق من يحادثه خلّقوا وخلّقوا ، لطيف الذات ،
متوسّع النفس في اللذات .

(١) في الأصل : « الجعبري تاج .. » ، ولا وجه لها . انظر : الوافي : ٨٥/١١ .

* الوافي : ٩٩/١١ ، والدرر : ٥٣٥/١ ، والنجوم : ٢٣٧/١٠ ، وطبقات الشافعية : ٤٠٧/٩ ، والذيل التام :
٩٤ ، والشذرات : ١٥٣/٦ . وأشار إليه المؤلف بلفظ « تغلب » في موضع (الأذفوني) .

(٢) الملقى : الود واللفظ .

لم يزل على حاله إلى أن جاءه ساقى المنايا ، واستخرج الدمع عليه من الحبايا .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وأربعين وسبع مئة .
ومولده في بضع وثمانين وست مئة .

كان عنده خبرة بالموسيقى ، وله نظم ونثر ، ولازم شيخنا العلامة أثير الدين كثيراً . ورأيت مرات بسوق الكتب في القاهرة ، وأنشدني من شعره .
وكان كثيراً ما يقيم ببلده أذفو في بستان له هناك في أيام بطالة الدروس ، وصنف أشياء : (الإمتاع في أحكام السماع) ^(١) وجوده ، و (الطالع السعيد في تاريخ الصعيد) ^(٢) وجوده ، و (البدر السافر في تحفة المسافر) ^(٣) ، تأريخ ، وجوده .
ومن شعره ما نقلته من خطه :

لِرَوْضَةِ مِصْرَ حُسْنٍ لَا يُسَامَى يَطِيبُ لِمَنْ أَقَامَ بِهَا الْمَقَامَ
لَهَا وَجْهَانِ مَمْدُوحَانِ حُسْنًا وَذَوِ الْوَجْهَيْنِ مَذْمُومٌ يَلَامَ

قُلْتُ : هو يُشَبِّه قول نور الدين علي بن عبد الله القصري ^(٤) في (الروضة) :

ذَاتَ وَجْهَيْنِ فِيهِمَا خَيْمَ الْحُسْنِ نَ فَأَضَحَتْ بِهَا الْقُلُوبَ تَهْمِ
ذَا يَلِي مِصْرَ فَهُوَ مِصْرٌ وَهَذَا يَتَوَلَّى وَسِيمٌ فَهُوَ وَسِيمٌ
قَدْ أَعَادَتْ عَصْرَ التَّصَابِي صَبَاها وَأَبَادَتْ فِيهَا الْغُمُومَ الْغُيُومَ

(١) مخطوط ، كا في الأعلام .

(٢) طبع بتحقيق سعد محمد حسن سنة ١٩٦٦ ، في القاهرة . وعنوان (الطالع السعيد الجامع أساء غيباء الصعيد) .

(٣) مخطوط ، كا في الأعلام .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

ومن شعره :

وقد كنتُ في عصر الصبا ذا صباية
زمني صفو كلِّه ومسرة
فلما رأيتُ الشيبَ لاحَ تكدرتُ
إذا أبيضَ مسودَّ الشبابِ فإنه
ومدَّ حلَّ هذا الشيبِ سارتُ مسرتي
فلا تعجبوا ممَّا بدا من كآبتي

وما راق من لهوٍ إليَّ حبيبُ
ولي من وصالِ الغانياتِ نصيبُ
حياتي فحلُّو العيشِ ليس يطيبُ
دليلُ على أنَّ الحصادَ قريبُ
وصارَ عليها للهمومِ رقيبُ
سروري وقد وافي المشيبَ عجبُ

ومن شعر كمال الدين الأذقوي ، رحمه الله تعالى ^(١) :

إنَّ الدروسَ بمصرنا في عصرنا
ومباحثٍ لا تنتهي لنهاية
ومدرِّسٍ يُبدي مباحثَ كلِّها
ومحدثٍ قد صار غايةَ علمه
وفلانة تروي حديثاً عالياً
والفرق بين عزيرهم وعزيرهم
والفاضلُ النحريرُ فيهم دأبه
وعلومُ دين الله نادَت جَهرةً
ولَّى زمني وانتقضت أربابه

طُبعتُ على لَغَطٍ وفَرَطٍ عياطٍ
جَدلاً ونَقْلٍ ظاهِرِ الأغْلاطِ
نشأتُ عن التخليطِ والأخْلاطِ
أجزاءُ يروِيها عن الدِّمياطِ ^(٢)
وفلانٌ يروي ذاك عن أسباط ^(٣)
وأفصحُ عن الحِياطِ والحنْياطِ ^(٤)
قولُ أرسطاطاليس أو بقراط
هذا زمان فيه طيُّ بساطي
وذهابهم من جملة الأشراف ^(٥)

(١) الأبيات في الدرر ، والذيل التام .

(٢) الشرف الدمياطي ، عبد المؤمن بن خلف ، ستأتي ترجمته .

(٣) هو أسباط بن نصر الهمداني (ت ١٧٠ هـ) ، السير : ٣٥٥/٩ .

(٤) في الدرر : « غريهم وغزيرهم » .

(٥) في الدرر والذيل التام : « أوقاته وذهابه » .

ومنه :

أذكرتني الورقاً حديثاً بليلي قد تَقَضَّى فَبْتُ أَجْرِي الدموعا
ووصلتُ السهاد شوقاً إليها وغراماً ، وقد هَجَرْتُ الهجوعا
كيف يَخْلُو قلبي من الحبِّ يوماً وعلى حَبِّها حَنَيْتُ الضلوعا
كلما أُولِعَ العذولُ بعذلي في هواها يَزْدَادُ قلبي ولوعا

ومنه :

وهيفاء غار الغصن من لُئِن قَدَّها بقلبي هوى منها وليس يزولُ
يروم عَذُولِي - صاح - مِنِّي سلَّوها وذلك أَمْرٌ ما إليه سبيلُ
وقد عابها عندي فقال طويلاً أَلَمْ تَرَهَا عند النسيم تَمِيلُ
فَقُلْتُ له : هذي حياتي وإنني لَيُعْجِبُنِي أن الحياةَ تَطُولُ

٥٣٧ - جعفر *

ابن علي بن جعفر بن الرشيد : الشيخ المعمر شرف الدين الموصلي .

ذكر أنه سمع من السَّهْرَوَرْدِي كتاب (العوارف) ^(١) بالموصل ، ومن
ابن الزَّيْدِي ^(٢) بدمشق ، ومن ابن الجَمِيزِي بمصر ، ومن ابن رواج ^(٣) بالشَّعْر .

* الوافي : ١١٧/١١ ، والمنهل الصافي : ٢٦٨/٤ ، وعقد الجمان : ٤٨١/٣ ، وفيات (٦٩٨ هـ) .

(١) هو عوارف للعارف لأبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي (ت ٦٣٢ هـ) ، الكشف : ١١٧٧/٢ .

(٢) الحسين بن المبارك بن محمد بن الزبيدي (ت ٦٣١ هـ) . العبر : ١٢٤/٥ .

(٣) عبد الوهاب بن ظافر بن علي ، ابن رواج . (ت ٦٤٨ هـ) . العبر : ٢٠٠/٥ .

وروى عنه الدميّاطي في (معجمه)^(١) ، وقال فيه : المعروف بالحسن البصري^(٢) .

توفي رحمه الله تعالى بدمشق سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده بالموصل سنة أربع وست مئة .

كان من الأشياء الفضلاء ، والرواة النبلاء ، حَفَظَةً للأخبار ، ثَقَلَةً للأشعار عَمَرَ فَرَوَى ، وطال عَمُرُهُ في الخير وما غَوَى .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح خيراً بعد عَيْن ، وَنَعَبَ بَشْتٍ شَمْلُهُ غَرَابُ الْبَيْتِ .

٥٣٨ - جعفر *

ابن محمد بن عبد الكريم بن أحمد بن حجّون بن محمد بن حمزة : الإمام المفيّ ضياء الدين أبو الفضل الصعيدي الشافعي الحُسَيْنِي .

دَرَسَ بمشهد الحُسَيْن ، وبمدرسة زين التجّار . وسمع وهو شابّ من ابن الجُمَيْزِي وأبي القاسم السَّبْط .

وكان قد بَرَعَ في المذهب ، وأفتى أربعين سنة من عمره ، فأفْتَى مَدَّتْهَا في ذلك وأَذْهَبَ ، وخدم العلم زماناً ، وكان على استخراج معانيه مُعَانَا .

ولم يزل الضياء على حاله إلى أن نحى ، ودَفِعَ إلى حفرتِه ودُحِي .

ووفاته رحمه الله تعالى على سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة ثمان عشرة وست مئة .

(١) عبارة الوافي : « ... في معجمه شعراً » .

(٢) قال في اللّهل : « وصاحب الترجمة يلتبس على من لا يعرف التاريخ بالحسن البصري التابعي المشهور المتوفى سنة عشر ومئة » .

* الوافي : ١٥٠/١١ .

٥٣٩ - جعفر *

ابن محمد بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن عمر بن سليمان بن إدريس المتأبد بن يحيى المعتلي ، ووصل الشيخ أثير الدين نسبته إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنها .

وأنشدني من لفظه شيخنا المذكور ، قال أنشدني المذكور لنفسه ^(١) :

لنسيم هبَّ من ذاك الحَبَا	لا تَلْمُنَا إنْ رَقَصْنَا طرباً
فيه للعشاق سِرٌّ وَنَبَا	طَبَّقَ الأرضَ بنشْرِ عاطرٍ
قد لَقِينَا من هَوَاكُم نَصَبَا	يَا أَهْيَلِ الحَيِّ مِنْ كَاطِمَةِ
ومَلَأْتُم حَيَّكُم بِالرَّقَبَا	قَلْتُم جُزْ لَتَرَانَا بِالْحَمَى
ليس قَتْلِي في هَوَاكُم عَجَبَا	لَسْتُ أَخْشَى المَوْتَ في حَبْكُم
أَنْ يَقُولَ النَّاسُ قَوْلَا كَذِبَا:	إِنَّمَا أَخْشَى عَلَى عِرْضِكُم
فاجْعَلُوا وصلي لقتلي سببَا	استَحْلُوا دَمَهُ في جَبْهَمُ

قلت : شعر غذب متوسط .

توفي المذكور بالقاهرة سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده بها سنة إحدى عشرة وست مئة .

٥٤٠ - جعفر بن محمد بن عدنان **

القاضي الرئيس أمين الدين بن الرئيس الفاضل محي الدين بن أبي الجن الحسني .

* الوافي : ١٥٧/١١ ، والفوات : ٢٩٦/١ .

(١) الأبيات في المصدرين السالفين .

** الوافي : ١٥٢/١١ ، والدرر : ٥٣٧/١ ، والشذرات : ٣٣/٦ .

كان حَسَنَ الهيئه ، لطيفَ الذهاب والفيأه^(١) ، حَسَنَ الخلق ، يقبل على مَنْ أمه بوجهِ الطلق ، لين الكلمة في خطابه ، سَمَحَ الكف يَنْدُل ما في وطابه^(٢) ، عارفا بصناعة الكتابه ، عالماً بالمسأله فيها والإجابه ، تنقل في الولايات الكبار ، وباشر الوظائف التي ما جرحها جبار ، ولي النقابه والنظر على الأشراف ، والنظر على الدواوين بدمشق وما لها من الأطراف ، وغير ذلك .

ولم يَزَلْ على حاله إلى أن غَمَس شخصه في التراب ، وقَمَس^(٣) من ماء الرزيه في سراب .

وكانت وفاته ، رحمه الله تعالى ، في ثالث عشر شهر رجب الفرد سنة أربع عشر وسبع مئة .

ومولده في مستهل شهر رجب الفرد سنة خمس وخمسين وست مئة .

وكان قد لبس لنقابه الأشراف في شعبان سنة أربع عشرة وسبع مئة عوضاً عن والده الشيخ محيي الدين^(٤) ، وقَدَّمَ على غيره مع صِغَر سنّه لفضله وفهمه وعقله . ولبس خلعة نظر الدواوين بدمشق في يوم الأربعاء ، سابع عشر شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

☆ ابن جَعَوَان : شهاب الدين أحمد بن العباس .

٥٤١ - جقطاي*

الأمير سيف الدين .

-
- (١) الفيأه : العودة والرجوع .
 (٢) الوطاب : سقاء اللبن وعاء من جلد .
 (٣) القمس : الغوص .
 (٤) (ت ٧٠٨ هـ) ، الدارس : ٣٧٧/١ .
 * الدرر : ٥٣٧/١ .

كان خفيف الحركة ، سريع الخطره ، لا يبالي بشيء فاته أدركه أم تركه .

وردَ إلى دمشق صحبة الأمير سيف الدين قُطْلُوبغا الفخري ، لما ترك على خان لاجين ، وكان قد تزوج بامرأة الجمالي الوزير ، وهي في الحسن والعظمة ماهي ، ورُمي مِنْ أمرها بدواهي ، وتنقل به الحال إلى أن صار حاجباً صغيراً بدمشق ، ولم يزل بها إلى أن أمسك هو والأمير سيف الدين أقبغا عبد الواحد والأمير سيف الدين بلو قبقق^(١) ، وذلك في شوال سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة لأنهم رموا^(٢) بالمباطنة للناصر أحمد ، وهذا آخر عهدي به .

الألقاب والأنساب

☆ جلال الدين : قاضي القضاة القزويني ، محمد بن عبد الرحمن .

☆ أبو جلنك الشاعر : أحمد بن أبي بكر .

٥٤٢ - جَمَاز بن شَيْعَة*

الأمير عز الدين أبو سند الحُسَيْنِي ، صاحب المدينة النبوية ، على ساكنها أفضلُ الصلاة والسلام .

(١) لم تقف على ترجمة له ، ولكن أشار إليه ابن كثير في البداية والنهاية : ٢٠٧/١٤ ، أحداث سنة (٧٤٣ هـ) بلفظ : سيف الدين بك ، في الواقعة التي ذكرها للمصنف هنا .

(٢) في الأصل : « رموا » . ولا وجه لها .

**

الدرر : ٥٣٨/١ ، وفيه : « جهاز بن شيعة بن هاشم بن قاسم بن مهنا ... » وأنه نسبته إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وكذا في المنهل الصافي : ١٨/٥ . وانظر الشذرات : ١٠/٦ ، وفيه حماد ، تحريف . وعقد الجمان : ٣٧٤/٤ ، وفيات (٧٠٤ هـ) . والنجوم الزاهرة : ٢١٧/٨ . « وجَمَاز : بجم مفتوحة وميم مشددة وألف وزاي . وشيعة : بشين معجمة مكسورة ، وياء آخر الحروف ساكنة ، وحاء مفتوحة وبعدها هاء » . (المنهل) .

كان أميراً في تلك البقعة الشريفة ، وكبيراً في تلك الرقعة المنيفة ، يحكم ولا يُرَدّ ، ويحاول ما يختار فلا يُصدّ .

كبر وطعن في السنّ ، وصار بعد تلك الغضارة في الصّبا وهوشن^(١) ، فأضّر وهو على الإمرة قد أضّر ، وأسّر من أمرها إلى ولده ناصر الدين أبي عامر منصور^(٢) ما أسّر وما أشر .

ولم يزل جمّاز المذكور على حاله إلى أن ابتلعه حُفْرَةُ القبر ، وفقد قَوْمُهُ مَعَهُ الصبر .

وتوفي رحمه الله تعالى ، في شهر ربيع الأول سنة أربع وسبع مئة .

وكان شيخاً كبيراً أضّر في آخر عمره ، وقام عنه بالأمْر في حياته ولده الأمير ناصر الدين أبو عامر أبو منصور .

الألقاب والأنساب

☆ ابن جماعة : قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم . عماد الدين إسماعيل بن إبراهيم ، أخوه .

☆ جمال الكفاة : جمال الدين إبراهيم ناظر الخاص والجيش .

☆ الجناحي : نائب غَزّة ، اسمه أيّدمر .

☆ أولاد ابن أبي الجنّ : جماعة ، منهم : الشريف أمين الدين جعفر بن محمد ، وزين الدين الحسين بن محمد ، ووالدهما محمد بن عدنان ، وعدنان بن جعفر ، وعلاء الدين علي بن الحسين النقيب ، وناصر الدين يونس بن أحمد .

(١) الشنّ : القرية الخلق .

(٢) (ت ٧٢٥ هـ) ، الدرر : ٣٦٢/٤ .

٥٤٣ - جنغاي*

بضم الجيم وسكون النون وبعدها غين معجمة وألفٌ ممدودة^(١) وبعدها ياء آخر الحروف : سيف الدين مملوك الأمير سيف الدين تنكز .

كان رقيقاً أهيفَ ، حُلُوَ الوجْه أوطَفَ ، نخيلاً مُصَفِّراً ، ضئيلاً بالسعادة مظفِّراً ، لا يزال به قَرْحَه ، تُنغَصُّ عليه من العيش كُلَّ فَرْحَه ، وتَبْدَلُ كُلَّ مَسَرَّةٍ بترحه ، لأنه كان ينفث منها الدم والقَيْح ، وَيَجِدُ الأَلَمَ مِمَّا لها من الفِيح ، ولأجل ذلك أفسح له أستاذَه في استعمال القليل من الرَّاح ، والدواوة منها بما يُصْلِحُ مزاجَه لا بما يرتاض به وَيَرْتاح . ولم نره كان عند أستاذَه أعزَّ منه ولا أقرب ، وما كان يدعه في الخُلُوة يقف قدامه .

أخبرني القاضي علم الدين ناظر الجيوش^(٢) ، وكان مستوفي ديوان تنكز أولاً ، قال : كان الأمير قد رَسَمَ لنا بأنه يُطْلَقُ^(٣) من الخزانة العشرة آلاف^(٤) فما دونها ، ويُمضي أمره فيها ولا يشاور عليه . قال : ولم نعلم أنه مضى يوم من الأيام ولم يُنعم عليه بشيء إلا فيما ندر . انتهى .

وكنا نراه في الصَّيْد إذا خرج ، يركب أستاذَه ناحية ، ويركب هو ناحية في

* الوافي : ١٩٦/١١ ، والدرر : ٥٣٩/١ ، والمنهل الصافي : ٢١/٥ ، وفيه : « جنغاي » بفتح الجيم ، ضبط قلم .

(١) في الأصل : « وألف ممدودة وياء ممدودة » ، ولا وجه لها .

(٢) هو محمد بن أحمد بن مفضل (ت ٧٦٠ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٣) عبارة الوافي ، والمنهل : « رسم بأن يطلق » .

(٤) في الوافي ، والمنهل : « آلاف درهم » .

طلب آخر بازدارية^(١) ، وكلازيه^(٢) ، وأناس في خدمته ، ويكون معه في الصيد مئتا عَليقة ، ويكون على السَّيَّال^(٣) خمس ست حوايص ذهباً .

وعلى الجُمْلَة فما نعلم أنَّ أحداً رَزَقَ حظوته عنده ، كان يقال : إنه ذو قرابته ، والظاهر أن هذا هو الصحيح ، لأن هذا جُنغاي ما كان في مقام مَنْ يُعَشَّق ، لأنه لم يكن أمرّد ولا مليح الوجّه . والله أعلم . ولم يكن له عنده وظيفة ليتوسط فيها بينه وبين الناس ، بل أظنه كان ساقياً .

وفي آخر الأمر أُرجِفَ بأنّه هو وطغاي أمير آخور تنكز ، قد حَسَّنَا لأستاذهما التوجّه إلى بلاد التتار ، فطلبها السلطان منه ، فلم يجهّزها ، ولما أُمسِكَ تنكز قُبُضَ عليهما ، وأُودِعَا في قلعة دمشق ، فلما حضر بُشتاك إلى دمشق أحضرهما قدامه ، وسلمهما إلى برسبغا ، فضرّهما بالمقارع ضرباً عظيماً إلى الغاية في الليل والنهار ، واستخرج ودائعهما ، وقرّرهما على مالِ أستاذهما ، ثم بعد جُمْعَة ركب بشتاك ، ووقف في الموكب بسوق الخيل وأحضرهما ، ووسّطهما بحضور أمراء مصر والشام ، وذلك في العشر الأول من شهر الله المحرم سنة إحدى وأربعين وسبع مئة^(٤) ، ووسّط معهما أوزان تنكز^(٥) .

٥٤٤ - جنقار *

الأمير سيف الدين .

أمسك هو والأمير بدر الدين بكتوت الشجاعى في شهر رجب الفرد سنة إحدى

(١) البازدار هو الذي يحمل الطيور الجوارح المعدة للصيد على يده مثل الباز والصقر .

(٢) هم الذين يقودون كلاب الصيد .

(٣) كذا . وفي للنهل : « على السبية خمس أوست ... » .

(٤) البداية والنهاية : ١٨٨/١٤ .

(٥) لم تقف على ترجمته ، وهذه العبارة لم ترد في الوافي ، ولا للنهل .

* الدرر : ٥٣٩/١ .

عشرة وسبع مئة ، واعتقلا في قلعة دمشق في أيام نائب الكرك ، ثم إنه ورد الرسوم في شهر رمضان بنقلها إلى الكرك .

٥٤٥ - جَنكَلِي *

بفتح الجيم ، وسكون النون ، وفتح الكاف ، وبعدها لام وياء آخر الحروف : ابن محمد بن البابا بن جنكلي بن خليل بن عبد الله العجلي ، الأمير الكبير المعظم الرئيس بدر الدين كبير الدولة الناصرية محمد ، ورأس المينة بعد الأمير جمال الدين ^(١) نائب الكرك .

كان شكلاً هائلاً ، ووجهاً يحاكي القمر كاملاً ، يتوقّد وجهه وضاءه ، ويتفقد حلمه الذين أسأوا وإناءه ، يعرف حقّ من قصده ، ويقبل بوجه حنوّه على من رصده ، ويزرع من المعروف ما يسره في غد إذا حصده ، قد صارت المكارم له جبله ، والمواهب تتحدّر من غمام أنامله المستهله ، يحفظ فرجه ، ويسدّ بالعفة ما يفتحه له السلطان من فرجه ، لا يقرب من ممالكه من كان أمرّد ، ولا يجعله على باله أقبال عليه بوجه أم ردّ ، وليس له من الجوّاري حظيه ، ولا امرأة يدنو إليها بحسنة أو خطيئة ، اللهم إلا ما كان من أمّ أولاده التي خضرت معه من البلاد ، ولم تر عليها له طارفاً يستجده على مالها من التلاد ، يصلي العشاء الآخرة ، ويدخل إلى قرشها ، ويخرج لصلاة الصبح وكأنها بلقيس في عرشها .

وكان يحبّ أهل العلم ويجالسهم ، ويطارحهم المسائل ويدارسهم ، ويسيطر لهم الودّ الأكيد ويؤانسهم . وكان يعرف رُبّع العبادات ويحيده ، ويتكلم على الخلاف فيه

* الوافي : ١٩٩/١١ ، والدرر : ٥٣٩/١ ، والذيل التام : ٨٠ ، والمنهل الصافي : ٢٢٢/٥ ، والنجوم :

١٤٢/١٠ ، السلوك : ٨٧١/١ .

(١) أقوش ، كما في الوافي ، والمنهل .

وفيفيده^(١) . وكان يميل إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية ويترشّف كلامه ، وينتشي بذكره ، لو كنت أعلم أنه يتناول المدامّة ، وينفرُ عن ينحرف عنه ويؤليه الملامه ، ويوفّر العطاء لمن قلّده ، ويُسني الهبات لمن قيّد كلامه وجلّده إذا كتبه وجلّده . هذا مع الإحسان المطلق مع الناس أجمع ، والبر الذي إذا فاض أخجل الغيوث الممّع ، تارة مجاهه الذي لا تردّ إشارته الملوك ، وتارة بماله الذي تنخرط جواهره في السلوك .

وكان آخر وقته كبير الدولة في السلم وإثارة غبار السنايك ، وإذا حضر دار عدل قال^(٢) : يا أتابك ، سبحان من أتى بك .

ولم يزل على حاله في سؤده إلى أن غاب بدرة وأقلّ ، ونزل شخصه إلى حضيض القبر واستفل .

وتوفي^(٣) رحمه الله تعالى في سنة ست وأربعين وسبع مئة ، يوم الاثنين العصر سابع عشر ذي الحجة .

وكان ينتسب إلى إبراهيم بن آدم^(٤) رضي الله عنه ، وسيأتي ذكر ولده الأمير ناصر الدين محمد .

خطبه الملك الأشرف خليل وهو في تلك البلاد ، ورغبه في الحضور ، فلم يوافق حتى يرى منشورة بالإقطاع ، فكتب له منشوراً بإقطاع جيّد وجهزه إليه ، فلم يتفق حضوره . ثم إنه وقد على السلطان الملك الناصر محمد ، وذلك في أوائل سنة أربع وسبع

(١) في الوافي : « قال لي ولده الأمير ناصر الدين محمد رحمه الله تعالى : إنّ والدي يعرف رُبّع العبادات من الفقه من أحسن ما يكون في معرفة خلاف الفقهاء والأئمة » .

(٢) كذا ، والأشبه ما وقع في الدرر : « وكان يقال له يوم للوكب : يا أتابك ... » .

(٣) في القاهرة ، كما في الوافي .

(٤) ابن منصور العجلي البلخي ، فقيه زاهد (ت ١٦١ هـ) ، الفوات : ١٣/١ .

مئة . وكان وصوله إلى دمشق يوم الثلاثاء حادي عشر القعدة سنة ثلاث وسبع مئة ، وكان مقامه بالقرب من آمد^(١) ، فأكرمه وعظّمه وأمره ، ولم ينزل عنده معظماً مُبَجَّلًا .

وكان في آخر وقت ، بعد خروج الأمير سيف الدين أرغون من الديار المصرية ، يجهز إليه الذهب مع الأمير سيف الدين بكتر الساقى ومع غيره ، ويقول له : لا تبوس الأرض على هذا ولا تنزله في ديوانك ، كأنه يريد إخفاء ذلك .

وكان يجلس أولاً في المينة ثاني نائب الكرك ، فلما توجه نائب الكرك لنيابة طرابلس ، جلس الأمير بدر الدين رأس المينة . وكان السلطان الملك الناصر محمد قد زوّج ابنه إبراهيم بابنة الأمير بدر الدين ، وما زال معظماً في كل دولة .

وكتب له في ألقابه عن السلطان الملك الصالح إسماعيل : « الأتابكي الوالدي البدرى »^(٢) . وكانت له في الدولة الصالحية وجّاهة زائدة لم تكن لغيره . لأنه هو الذي أخذ السلطان وأجلسه على الكرسي^(٣) ، وحلّف له ، وحلّف الناس له .

وكان ينفع العلماء والصلحاء والفقراء وأهل الخير وغيرهم . وكنت أترددُ إليه وأخذ منه إحساناً كثيراً رحمه الله تعالى .

وقلت محبةً فيه ، ولم أكتب بها إليه :

مُحَيِّياً حَبِيبِي إِذَا مَا بَدَا	يَقُولُ لَهُ الْبَدْرُ يَا مُخْجَلِي
بَلَغْتَ الْكَمَالَ وَلِي مُمَدَّة	أَدُورُ عَلَيْهِ وَمَا تَمَّ لِي
فَبِاللَّهِ قُلْ لِي وَلَا تُخَفِّنِي	سَرَقْتَ الْحَسَنَ مِنْ جَنكَلِي !؟

(١) « تحت حكم المغل ويده رأس عين من قبل غازان إلى أن طلب إلى الديار المصرية » ، الدرر .

(٢) عبارة الدرر : « الوالدي الإمامي » .

(٣) سنة (٧٤٣ هـ) ، انظر : البداية والنهاية : ٢٠٢/١٤ .

وقلت أيضاً ، ولم أكتب بها إليه :

لا تُنْسَ لي يا قاتلي في الهوى حُشَّاشَةً مِنْ حُرْقِي تُنْسَلِي
لا تُرْسَ لي أَلْقَى بِهِ فِي الْهَوَى سِهَامَ عَيْنَيْكَ مَتَى تُرْسَلِ
لا تَخْتَ لي يَشْرَفُ قَدْرِي بِهِ إِلَّا إِذَا مَسَّكَ كَيْفَ تَحْتَلِي
لا جُنْكَ لي تُطْرِبُ أَوْتَارَهُ إِلَّا ثَنَاءً يُمَلِّى عَلَى جُنْكِلِي^(١)

تَقَلْتُ مِنْ خَطِّ عِلَاءِ الدِّينِ بْنِ مَظْفَرِ الْكِنْدِيِّ الْوَادِعِيِّ قَالَ : تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّهُ
قَدْ جُرِّدَ مِنَ الْأَرْدُو مُقَدِّمٌ يُسَمَّى قَبْرَتُو يَكُونُ مَقِيماً بِدِيَارِ بَكْرِ عَوْضِ جُنْكِلِيِّ بْنِ الْبَابَا
الْمُهَاجِرِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا وَصَلَ كَتَبْتُ فِي مَطَالَعَةِ سُلْطَانِيَّةِ :

أَتَى مِنْ بِلَادِ الْمُشْرِكِينَ مُقَدِّمٌ تَفَاءَلْتُ لَمَّا أَنْ دَعَا قَبْرَتُو
وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَجِيءَ عَقِيْبَهَا بِشِيرِي بِأَنِّي لِلْعَيْنِ قَبْرَتُو

الألقاب والأنساب

☆ ابن جهيل : شهاب الدين أحمد بن يحيى . محيي الدين إسماعيل بن يحيى .

☆ ابن جوامرد : علاء الدين علي بن محمود .

٥٤٦ - جَوَاد*

ابن سليمان بن غالب بن مَعْن بن مغيث بن أبي المكارم بن الحسين بن إبراهيم ،
وينتهي نسبه إلى النعمان بن المنذر .

هو عَزَّ الدِّين بن أمير الغرب^(٢) ، رَجُلٌ يَدُهُ صَنَاعٌ وَإِنْ كَانَتْ^(٣) فِي الْجُودِ خَرْقًا ،

(١) الأبيات في المنهل ، والنجوم الزاهرة . وفيها : « تضرب أوتاره » . والجنك : آلة موسيقية .

* الوافي : ٢١٣/١١ ، والدرر : ٥٤٠/١ ، والمنهل الصافي : ٣١/٥ ، والأعلام : ١٤٢/٢ .

(٢) في الزركلي : (من أهل سوق الغرب في لبنان) .

(٣) في الأصل : « كان » ، ولا وجه لها .

أَكْتَبَ مَنْ فِي عَصْرِهِ تَحْتَ أَدِيمِ الزَّرْقَا ، أَتَقَنَّ الْأَقْلَامَ السَّبْعَةَ وَكَانَ فِيهَا وَاحِدًا ، وَاشْتَغَلَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَيَانِ فَلَوْ عَاصَرَهُ الْجَاظُ مَا كَانَ لَهُ جَاحِدًا . وَأَمَّا الصِّيَاغَةُ فَكَانَ فِيهَا مِنْ تَصَاغٍ لَهُ الْعُلْيَا ، وَتَفَرَّدَ بِاتِّقَانٍ مَا يَعْمَلُ مِنْهَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا .

وَأَمَّا النَّشَابُ فَكَانَ سَهْمَهُ فِيهِ وَافِرًا ، وَسَعْدُهُ فِي عَمَلِهِ وَإِفْرَادِهِ مُتَضَافِرًا .

وَأَمَّا الْقَصَّ فَهُوَ فِيهِ غَرِيبُ الْقِصَّةِ ، وَلَمْ يَنْسَ لَهُ فِيهِ حِصَّةٌ ، بِحَيْثُ إِنَّهُ كَانَ فِي هَذَا وَغَيْرِهِ مِنْ اقْتِعَادِ الذُّرُورَةِ ، وَتَسَلُّمِ الصُّهُورَةِ ، وَأَكْلِ الْعَجْوَةِ ، وَرَمَى لِلنَّاسِ الْبُخْوَةِ ، وَجَعَلَ صَحِيحَاتِ الْعْيُونِ إِلَيْهِ حَوْلًا مِنَ السُّهُورَةِ ، لِمَا عِنْدَهُ مِنَ الشُّهُورَةِ .

وَلَمْ يَزَلْ جَوَادُهُ يَجْرِي فِي حَلْبَةِ عَمْرِهِ إِلَى أَنْ كَبَا ، وَاتَّخَذَ النِّعْشَ بَعْدَ الْجِيَادِ مَرْكَبًا .

وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي خَامَسِ عَشْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِ مِئَةٍ ^(١) .

وَمَوْلَدُهُ فِي خَامَسِ الْحَرَمِ سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِ مِئَةٍ .

أَمَّا الْكِتَابَةُ فَكَانَ فِيهَا غَايَةٌ ، يَكْتُبُ مِنَ الطُّومَارِ إِلَى قَلَمِ الْغُبَارِ ، وَيَكْتُبُ الْمَصَاحِفَ وَالْهِيَائِلَ الْمَدَوَّرَةَ ، وَيَأْتِي فِي كُلِّ ذَلِكَ بِالْأَوْضَاعِ الْغَرِيبَةِ مِنَ الْعَقْدِ وَالْإِخْبَاطِ . وَغَيْرَ ذَلِكَ . وَكَانَ يَعْمَلُ النَّشَابَ بِالْكَرْكِ ^(٢) مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ ، وَيَعْمَلُ الْكَسْتَوَانَ وَيَتَقَنُّهُ وَيَزْرِكُشُهُ ، وَيَعْمَلُ النِّجَارَةَ الدَّقَّ وَالتَّطْعِيمَ وَالتَّطْرِيزَ وَالْخِيَاطَةَ وَالْبَيْطَرَةَ وَالْحَدَادَةَ وَنَقَشَ الْفُؤْلَازَ وَالزَّرْكَشَ وَالْخَرْدَقُوشِيَّةَ ^(٣) وَمَدَّ قَوْسًا بَيْنَ يَدَيِ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ تَنْكَزَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِئَةً وَثَلَاثِينَ ^(٤) رِطْلًا بِالْمَدْمَشْقِيِّ ، وَكُتِبَ مَصْحَفًا

(١) فِي الدَّرَرِ أَنَّ وَفَاتَهُ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ (٧٥٦ هـ) وَكَذَا فِي الْمَنْهَلِ .

(٢) فِي الْوَاقِفِ وَالْمَنْهَلِ : « الْكَرْكُ » .

(٣) الْخَرْدَقُوش : تَاجِرُ الْخَرْدَةِ . (دَوْزِي) .

(٤) فِي الْمَنْهَلِ : « مِئَةٌ وَثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ ... » .

منقوطة مضبوطاً يُقْرَأُ في الليل ، وزن وَرَقَه سبعة دراهم وربع ، وجلدُه خمسة دراهم ، وكتب آية الكرسي على أُرْزَة ، وعمل زَرْقَب لابن الأمير سيف الدين تنكز اثنتي عشرة قطعة ، وزنه ^(١) ثلاثة دراهم ، يُفَكُّ وَيُرَكَّبُ بغير مفتاح ، وكتب عليه خَفْراً مُجَرَّئاً بسواد سورة الإخلاص والمعوذتين والفاتحة وآية الكرسي وغير ذلك ، يُقْرَأُ عليه وهو مركَّب ، ومن داخله أسماء الله الحُسنى لا يبين منها حرف واحد إلى حين يُفَكِّ ، وجعل لِمَنْ يَفَكُّه ويركِّبُه مئة درهم فلم يوجد مَنْ يُحْسِنُ ذلك .

وكتب لتتكز قصة قصاً في قص في قص ، وقص (لامية المعجم) .

وأما عَمَلُ الخواتم ^(٢) ونقشها وتحريرها وإجراء المينا عليها فلم أر أحداً اتقن ذلك مثله ولا قاربه ، وما رأيت مثل أعماله في جميع ما يعمل ، ولا مثل إتقانه .

وحفظ القرآن وشداً طرفاً من الفقه والعريية ، ولعب بالرمح ، ورمى النشاب وجوده ، وأراد تنكز أن يتخذه زَرْد كاشا عنده في وقت ، وقربه وأعطاه إقطاعاً . وعلى الجملة فما رأيت مجموعته في أحد غيره .

ولم يزل على حاله إلى أن حصل له وجع المفاصل ، فاستعمل دواء فيه شحم الحنظل فما أجابه ، وبقي بعده أياماً . وتوفي رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور .

وكان مقامه في بلاد بيروت ، وكان قد أهدى إليّ في وقتٍ طُرْفاً من هدايا بيروت ، فكتبت أنا إليه :

يَا سَيِّدَآ جَاءَتْ هَدَايَاهُ لِي عَلَى الْمَنَى مَنِيَّ وَوَفَّقَ الْمَرَادَ ^(٣)
أَنْتَ جَوَادٌ سَابِقٌ بِالنَّدَى مَنْ ذَا الَّذِي يَنْكَرُ سَبْقَ الْجَوَادِ

(١) في الأصل : « وزن » ، وأثبتنا عبارة الوافي ، وللهل .

(٢) في الوافي : « الخواتم » .

(٣) في المنهل : « وفوق المراد » .

فكتب هو الجواب إلي عن ذلك :

وإني مثالك مطوياً على نزه
فالعين ترتع فيما خط كاتبه
يحرار مسمعه فيها وناظره
والسمع ينعم فيما قال شاعره^(١)
وإن وقفت أمام الحي أنشدّه
ودّ الخرائد لو تقي جواهره

٥٤٧ - جوبان*

النوين الكبير ، النوين المعظم ، نائب الممالك القانية .

كان بطلاً شجاعاً ، أميراً مطاعاً ، ذا إقدام وثبات ، وله في الحروب إذا حيت
وثبات ، عظيماً ذامهابه ، كبيراً بين المغول ، تقبّس النار منه شهابه ، شديد الوطأه ،
يخاف كل من في الأردنو خطأه ، عالي الشأن ، كثير الفخار ، بعيد المنال ، رفيع
المنار ، همته عاليه ، وعزمته بالحزم حالية ، صحيح الإسلام ، مليح الاتقياد في الدين
والاستسلام ، حظّه من الصلاة مؤفور الأقسام ، وعقيدته في النصح للإسلام ، تُعرف
من ثغره البسام .

بذل الذهب الكثير حتى أوصل الماء إلى مكة ، وجرى بها ، ولم يبق للماء ثمن يباع
به ، وإنما الثمن لأجرة نقله ، ووصل الماء إلى مكة ، وجرى فيها بالصفاء وبياب إبراهيم
وبالأبطح في أوائل جمادى الأولى سنة ست وعشرين وسبع مئة .

وأنشأ مدرسة مليحة بالمدينة النبوية في جوار الحرم الشريف وتربة ليُدْفَن بها ،
وكان له ميل كثير إلى المسلمين . وهو أحد الأسباب المتوفرة في تقرير الصلح بين
بوسعيد مخدمه وبين السلطان الملك الناصر محمد .

(١) في المنهل : « فالعين ترمق فيها خط كاتبه » .

* الوافي : ٢٣٠/١١ ، والبداية والنهاية : ١٤٠/١٤ ، والدرر : ٥٤١/١ ، والمنهل الصافي : ٢٣/٥ ، وذبول

العبر : ١٥٩ .

أخبرني جماعة من أهل الرحبة^(١) أنه لما نزل خربنداً عليها ، ونصب المجانيق رمى^(٢) منجنيق قراسنقر حجراً تَغْتَعِ القلعة ، وشَقَّ منها بُرْجاً ، ولو رمى غَيْرَه هدمها إلى الأرض .

وكان جوبان يطوف على العساكر ، وَيُرْتَبِ المحاصرين ، فلما رأى ذلك أحضر المنجنيقيّ ، وقال له : أتريدني أقطع يدك الساعة ، وذمّه وسبّه بانزعاج وحنق ، وقال : والك ، في شهر رمضان محاصر المسلمين ونرميهم بحجارة المنجنيق ؟ لو أراد القان^(٣) أن يقول لهؤلاء المغول الذين معه : ارموا على هذه القلعة مخلاة تراب كل واحد كان^(٤) طمّوها ، وإنّا هو يريد أخذها بالأمان مِنْ غَيْرِ سَفْكِ دم ، والله متى عُدَّتْ رَمَيْتْ حجراً آخر سَرَّتْكَ على سهم المنجنيق .

وحكى لي منهم غير واحد أنه كان ينزع النصل من النشاب ويكتب عليه : إياكم أن تدعنوا أو تسلّموا وطوّلوا أرواحكم فهؤلاء ما لهم ما يأكلونه ، وكان يحذّرنا هكذا بعدة سهام يرميها إلى القلعة ، واجتمع بالوزير ، وقال له : هذا القان ما يبالي ولا يقع عليه عتب ، وفي غدٍ وبَعْدَه إذا تحدث الناس أيش يقولون ! نزل خربنداً على الرحبة ، وقاتل أهلها ، وسفك دماءهم ، وهدمها في شهر رمضان . فيقول الناس : أفما كان له نائبٌ مُسْلِمٌ ولا وزير مسلم ، وقرّر معه أن يُحدّثا القان خربنداً في ذلك ، ويحسّنا له الرحيل عن الرحبة . فدخلا إليه ، وقالا : الْمَصْلَحَةُ أن نطلب^(٥) كبار هؤلاء وقاضيه ، ويطلبوا منك الأمان ، ونخلع عليهم ونرحل عنهم بحُرْمَتنا ، فإنّ الطابق قد وقع في خيلنا ، وما للمغل ما تأكل خيولهم ، وإنّا هم يأخذون قُشور الشجر

(١) هي رحبة مالك بن طوق .

(٢) في الوافي : « في » تحريف .

(٣) في الوافي « القائد » تحريف .

(٤) في الوافي : « كانوا » .

(٥) في الوافي « تطلب » .

ينحتونها ويُطعمونها خِيْلَهُمْ ، وهؤلاء مسلمون ، وهذا شهر رمضان ، وأنت مُسلم وتسمع قراءتهم القرآن ، وضجيج الأطفال والنساء في الليل ، فوافقهم على ذلك . فطلبوا القاضي وأربعة من كبار البحرية ، وحضروا قدام خربندًا ، وخلَعُوا عليه ، ولباتوا فما أصبح للمغل أثر ، وتركوا المجانيق وأثقالها رصاصاً ، والطعام والعجين وغيره ، ولم يصبح له أثر .

وهذه الحركة وحدها تكفيه عند الله تعالى ، ويرى الله له أقلّ مِنْ ذلك ، حَقَّن دماء المسلمين ودفع^(١) الأذى عنهم ، لكنه أبَادَ عَدَدًا كثيراً من المغل وجرى له ماتقدم في ترجمة أيرنجي ، وأخذ من الوزير الرشيد ألف ألف دينار .

وقد مرَّ ذِكْرُ ابنه تمرتاش وابنته بغداد ، وكان ابنه دمشق خواجه قائد عشرة آلاف فارس . وزالت فيما بعد سعادتهم ، وتبرَّ لهم بوسعيد ، وتنكَّر ، وقتل دمشق خواجه ولده ، وهرب جوبان إلى والي هَراة لائذاً به فأواه ، وأطلعه إلى القلعة ثم قتله ، ونُقل تابوت جوبان - رحمه الله تعالى - إلى المدينة الشريفة ليُدفن في تربته ، لأن ابنته الخاتون بغداد جهزته مع الركب العراقي ، فما قدر الله له ذلك ، وبلغ السلطان الملك الناصر ذلك فجهَّز الهُجُنَّ إلى المدينة ، وأمرهم أن لا يَمَكَّن من الدفن في تربته فدفن في البقيع .

وكانت قتلته - رحمه الله تعالى - في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، وكان من أبناء الستين لأنه لما قديم دمشق مع غازان كان من أكبر قَوَّاده ، وكان له من الأولاد تمرتاش ودمشق خواجه وضرغان شيرا وبَغْبَصْطِي^(٢) وسلجوك شاه وبغداد .

(١) في الوافي : « رفع » .

(٢) في الوافي : « بغصطي » .

٥٤٨ - جوبان*

الأمير سيف الدين المنصوري .

أحد أمراء الشام وكباره ، وَمَنْ إذا جرى في ميدان الشجاعة لا يَطْمَع مُلَاعِبِ
الأسنة^(١) في شق غباره . قوي النفس لا يصبر على ذلّه ، شديد البطش ، لا يعبأ بما
يترتب على الأهواء المُضِلّة ، وكانت له عَظَمَةٌ في النفوس ، وَجَلَالَةٌ تجعل مَوْضِعَهُ على
الرؤوس ، ولم يزل على ذلك إلى أن جرى يَتْنُهُ وبين تنكز مَقَاوِلِهِ ، كادت تصل إلى
مُصَاوِلِهِ ، فأودعه في القلعة معتقلاً ليلة والثانية^(٢) ، وقال حسّاده : ﴿ يا ليتها كانت
القاضية ﴾^(٣) ثم إنه حُمِلَ إلى مصر ورُسِمَ له بالإقامة هُنَاكَ ، وقال له مُحَبِّهِ : أبشر
ظفرت بالسلامة هُنَاكَ .

وكانت واقعته مع تنكز في جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، وأقام
بمصر على إقطاع ، وفي العشرين من شوال سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة عاد من مصر
أميراً على ما كان عليه ، وتَوَجَّه أمير الركب سنة ست وعشرين وسبع مئة^(٤) ، وأقام
بدمشق على إمرته ، إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في عَشْرِي صفر سنة ثمان وعشرين
وسبع مئة .

وكان من ممالك الأشراف ، أمره الأشراف ، وخلف تركة كبيرة من الذهب والفضة
والآلات^(٥) والأمتعة ، وكان قد جاوز السبعين ، وأُعْطِيَ إقطاعاً للأمير شهاب الدين
قرطاي نائب طرابلس^(٦) .

* الدرر : ٥٤٢/١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٧٤/٩ .

(١) هو عامر بن مالك العامري ، فارس قيس وأحد أبطال العرب في الجاهلية (ت ١٠ هـ) .

(٢) البداية والنهاية : ٩٩/١٤ ، أحداث سنة (٧٢١ هـ) .

(٣) الحاقّة : ٢٧/٦٩ .

(٤) البداية والنهاية : ١٢٤/١٤ ، أحداث سنة (٧٢٦ هـ) .

(٥) كذا ، ولم يَسْتِثْنِ مراده .

(٦) ستأتي ترجمته .

٥٤٩ - جُوبَان*

الأمير سيف الدين ، أحد الأمراء أصحاب الطبلخانة .

كان حَسَنَ الصُّورَةِ ، مديدَ القامة ، فهي على الهَيْفِ مَقْصُورَةٌ ، له طُلْعَةٌ إذا
فاخرها البدرُ في تمامه ، كانت له مَنْصُورَةٌ ، بمعاطفٍ كالغصون لا تزال بيد النسيم
مَهْصُورَةٌ ، وشمائل راقَت لمتأملها فحاسِنُها غير محصوره .

تَضَرَّمَ خَـــــــدَّاهُ حَتَّى عَجِبْتُ لِعَارِضِيهِ كَيْفَ لَا يَضْطَرُّمُ

إِلَّا أَنْ الْأَيَّامَ عَبَثَتْ بِمَحَاسِنِهِ ، وَأَثَارَتْ لَهُ الْبَلَى مِنْ مَكَامِنِهِ ، فَحَوَلَتْ حَالَاتِهِ ،
وَعَادَتُهُ وَعَادَتْ عَنْ مَوَالَاتِهِ ، وَجَعَلَتْ وَجْهَهُ لِلْأَنَامِ عِبْرَةً ، وَأَجَرَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْعْيُونِ كُلَّ
عَبْرَةٍ ، وَلَزِمَ مَنْزِلَهُ لَا يَدْخُلُ وَلَا يَخْرُجُ ، وَلَا يَرِقُّ فِي مَنَازِلِ الْحَرَكَةِ وَلَا يَعْرِجُ ، كَالْبَدْرِ
إِذَا كُسِفَ ، وَالْغَصْنُ إِذَا قُصِفَ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ إِلَى ^(١) أَنْ تَلَاشَى وَاضْتَحَلَ ، وَجَوَّزَ
اللَّحْدَ أَكْلَ لَحْمِهِ وَاسْتَحَلَ .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في يوم السبت رابع عَشْرِي جمادى الآخرة سنة اثنتين
وستين وسبع مئة .

أول ما عَرَفْتُ مِنْ أَمْرِهِ أَنَّهُ حَضَرَ مَعَ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ يَلْبِغَا الْيَحْيَوِي مِنْ حَلَبَ
إِلَى دِمَشْقَ ، وَأَظْنَهُ كَانَ أَمِيرَ عَشْرَةٍ ، وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ مُدَّةَ نِيَابَتِهِ فِي دِمَشْقَ ، إِلَى أَنْ جَرَى لَهُ
مَا جَرَى عَلَى مَاسِيَّاتِي فِي تَرْجَمَةِ يَلْبِغَا ، فَاعْتُقِلَ فِي جَمْلَةٍ مِنْ اعْتُقِلَ مِنْ جَمَاعَتِهِ ^(٢) لِأَنَّهُ
كَانَ مِنَ الْأَزَامَةِ ، عَلَى مَا فِي ظَنِّي ، ثُمَّ إِنَّهُ أَفْرَجَ عَنْهُ ، وَحَصَرَ إِلَى دِمَشْقَ وَكَانَ بِهَا أَمِيرُ
طَبْلَخَانَاهُ ، وَتَحَدَّثَ فِي جَامِعِ يَلْبِغَا ، وَعَمَّرَ إِلَى جَانِبِهِ عِمَّارَةً ، وَنُوزِعَ فِيهَا ، فَأَوْقَفَهَا
عَلَى الْجَامِعِ .

* الدرر : ٥٤٣/١ .

(١) في الأصل : « على » ، ولا وجه لها .

(٢) انظر : البداية والنهاية : ٢٤٥/١٤ .

ثم إن الملك الناصر حسن قَطَعَ إقطاعه ، وبقي في دمشق بَطْلاً إلى أن أحضر الأمير سيف الدين أسندمر أخو يلغا نائب دمشق^(١) فصار عنده من خواصه المقرّبين ، ولازمه ثم إنه جَهَّز إلى حَمَاة أمير عشرة في أيام الأمير سيف الدين أسندمر ، ثم إنه وقعت في وجهه آكلة - نعوذ بالله منها - فحضر إلى دمشق ولازم بيته لا يدخل ولا يخرج منه لأنها شوّهت وجهه ، إلى أن مات في التاريخ المذكور .

☆ الجوهري : القاضي علاء الدين محمد بن نصر الله .

٥٥٠ - جوكو الهندي *

الشيخ عبد الله . كان ساكناً بالتقوية بدمشق^(٢) .

كان كثير الحجّ ، مَلَّازِم الصلاة في الليل إذا دَجّ ، يحافظ على الصف الأول في المقصوره ، ويخاطب الناس بكلمات مَحْصُورَه ، وكان أولاً فقيراً من القَلَنْدَرِيَّة ، وتلك الفرقة المفترية . صحب محمود سابقان^(٣) ، واقتدى به وقتاً من الزمان ، ثم تَرَكَ^(٤) تلك الطريقه ، وأعرض عن الحجاز وسَلَّكَ الحقيقه . ولم يزل على حاله إلى أن مضى لسبيله ، ودَرَج على أثر أهله وقبيله .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سابع عشر ربيع الآخر ، سنة أربع وعشرين وسبع مئة . وكان اشتهر بين الناس بجاكير ، والصحيح الأول بحيم بعدها واو ، وكاف وواو ، مَعْنَى « جوكو » بالهندي : الزاهد العابد .

(١) من الديار المصرية سنة ٧١٠ ، (البداية والنهاية : ٢٦٦/١٤) .

* الدرر : ٥٤٣/١ .

(٢) هي المدرسة التقوية من أجل مدارس دمشق شمالي الجامع الأموي داخل باب الفراديس ، بانيها الملك للظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب سنة ٥٦٤ . (الدارس : ١٦٢/١) .

(٣) هو محمود الشيرازي الفقيه المقيم بدمشق (ت ٦٩٢) ، ودفن بزاوية القلندرية (الوافي : ٧١/١٥) .

(٤) في الأصل : « سلك » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما يتّجه به المعنى .

٥٥١ - جُولِجِين*

بضمّ الجيم وبَعْدَهَا واو ساكنة ، ولام وجيم ثانية وياء آخر الحروف ساكنة ونون .
كان من ممالك السلطان الملك الناصر ، أظنه كان جَمْدَاراً .

لَمَّا قَدِمَ السلطان من الكرك إلى دمشق في سنة تسع وسبع مئة داخله إنسان إلا أنه شيطان يُعْرَفُ بالنجم الحطّيني ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف النون مكانه ، ولعب بعقله وعمل له صُورَةً ملّحمة^(١) وعَتَقَهَا^(٢) ، وكان قد تحمّل حتى اطلع على آثار في جسمه وخيلان ، وذكره في تلك الملحمة ووصفه ، وساق المُلْكَ إليه بعد الناصر محمد ، فدخل هذا في ذهنه وصَدَقَهُ عَقْلُهُ ، وغرّه من ذاك المسطور ثقّله وما خامره في ملكه شك ، ولا احتاج دينار هذا القَوْلَ عِنْدَهُ إلى حَكِّ ، فصار ذلك في خاطره ، ولم يَزَلْ خياله عَنْ ناظِرِهِ ، وأَسَرَ ذلك إلى جماعة من خوشدَاشِيَّتِهِ ومن بَطَنِهِم من حاشيته ، وتوجّهوا إلى مصر وأقاموا زمانا ، ولم يُعْطِهِم الدهر بذلك أمانا ، إلى أن أطلع الله السلطان على هذه الواقعة ، فما كَذَبَ أَنْ أَحْضَرَهُ وجماعة معه وعَرَضَ عليهم العذاب فاعترفوا له بذلك ، فوسّطه لوقته ، ونقّله من مِقْتِهِ إلى مَقْتِهِ .

وطُلب النجم من صفد ، وجرى له ما يجيء ذكره إن شاء الله في ترجمته . وكان ذلك في سنة خمس عشرة وسبع مئة ، ورأيت أنا ابن جُولِجِين هذا في القاهرة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة غير مرّة ، وكان صُورَةً جميلة .

الأنساب والألقاب

☆ الحاجبي : شهاب الدين أحمد بن محمد .

☆ ابن حاتم البعلبي : الشيخ إبراهيم بن أحمد .

* الدرر : ٥٤٣/١ .

(١) المراد بالملحمة هنا سيرة مصنوعة قديماً يشار فيها إلى أحداث تقع فيما يستقبل .

(٢) أي أظهرها على أنها كتبت قديماً .

حرف الحاء

حَاجِي مُحَمَّد بن قلاوون*

السلطان الملك المظفر سيف الدين ، ابن السلطان الملك الناصر ، ابن السلطان الملك المنصور .

وُلِدَ وأبوه^(١) في الحجاز سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة . وكان ذا منظر وشكّاله ، ووجهٍ كأنَّ البدر سألَه الحُسْنَ وشكّالَه . قَدُ غَرَّتْهُ الشَّيْبَةُ ، وَصَرَّتْهُ بِإِقْبَالِهَا الدُّنْيَا الحَبِيبَةُ ، فَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ قَابِلُهُ بِمِرَاءَةِ غُشَّةٍ ، وَسَلَّمْ قِيَادَهُ لِمَنْ شَرَكَهُ فِي غُشَّةٍ ، فَأَفْنَى أَمْرَاءَ الدَّوْلَةِ ، وَاسْتَنْفَذَ حِيلَهُ فِي الْقَبْضِ عَلَيْهِمْ وَحَوَّلَهُ ، وَزَادَ فِي سَفْكِ الدِّمَاءِ ، وَأَثَارَ بِالْفَتَنِ عَجَاجِ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ . لَا جَرَمَ ، إِنَّ الدَّهْرَ قَلَبَ لَهُ ظَهَرَ الْمَجَنِّ فِي الْمَحَنِ ، وَمَلَأَ الْقُلُوبَ عَلَيْهِ بِالْأَحْقَادِ وَالْإِحْنِ ، وَلَمْ تَطُلْ مَعَ ذَلِكَ الْمُدَّةِ ، وَلَمْ يَنْفَعْهُ مَنْ أَدَّخَرَهُ عُدَّةً مِنَ الْغُدَّةِ^(٢) ، حَتَّى رَكِبُوا بِالسَّلَاحِ إِلَى قَبَةِ النَّصْرِ ، وَسَلَبُوا ثِمَارَ أَغْصَانِهِ بِالْهَضَرِ ، وَرَمَوْهُ بِالْحَضَرِ^(٣) وَالْحَضَرُ ، وَتَقَلُّوا أَلْفَ أَلْفِهِ بِالْمُلْكِ مِنَ الْمَدِّ إِلَى الْقَضَرِ ، وَأَنْزَلُوا كَوَكْبَهُ إِلَى حَضِيضِ الْأَرْضِ بَعْدَ أَوْجِ الْقَضَرِ (فَخَرَّ عَلَى الْأَلَاءَةِ لَمْ يُوسَّدْ)^(٤) وَرَاحَ أَقْلًا مِنْ ظُبْيٍ تَحَبَّلَ^(٥) ، وَكَانَ كَأَنَّهُ نَمَرَ تَأَسَّدُ . وَضَرَجُوا خَدَّ الْأَرْضِ بِدَمِهِ ، وَصَبَّغُوا كَافُورَةً بَعْنَدَمِهِ ،

* الوافي : ٢٣٧/١١ ، والدرر : ٢/٢ ، والبداية والنهاية : ٢١٩/١٤ ، والنجوم الزاهرة : ١٤٨/١٠ ، والبدايع : ٥١٣/١/١ ، والشذرات : ١٥٢/٦ ، والنهل الصافي : ٥٠/٥ .

(١) في الوافي : « وُلِدَ أبوه » ، ولا يصح . وفي المنهل « مولده ... وأبوه في الحجاز ، فسمي حاجي » .

(٢) كذا في الأصل ، والغدة طاعون الإبل ، ولعله يريد : أن من اعتمد عليهم لم ينعموه من هلاكه .

(٣) الحصر : ضيق الصدر .

(٤) صدر بيت لبجير بن عنة . عجزه : « كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ » . اللسان (ألا) .

(٥) المحبَّل من الأطباء ما وقع في حبال الصيد .

وَأَبْقَوْهُ رُجْمَةً لِعَدَوِّهِ ، وَأَلْقَوْهُ فِي مَهْدٍ تَعَرَّى مِنْ هُدُوِّهِ ، وَتَرَكَوهُ تَسْفِي الرِّيحَ عَلَيْهِ الرَّمْلَ ، وَتَبْكِي الْغَيْمُ عَلَى مَنْ أَنْصَدَعَ لَهُ مِنَ الشَّمْلِ ؛ وَكَانَ أَخُوهُ الْمَلِكُ الْكَامِلُ قَدْ حَبَسَهُ وَأَرَادَ هَلَاكَهُ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ أَمَرَ أَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ حَائِطَانُ ^(١) .

وَكَانَ الْأُمَرَاءُ قَدْ كَتَبُوا إِلَى يَلْبِغَا الْيَحْيَوِي نَائِبِ دِمَشْقَ بِأَنْ يَبْرَزَ إِلَى ظَاهِرِ دِمَشْقَ ، فَبْرَزَ - عَلَى مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي تَرْجُمَتِهِ - فَاحْتَاجَ الْكَامِلُ إِلَى أَنْ يُجَرِّدَ عَسْكَرَ الشَّامِ ^(٢) ، فَخَرَجُوا إِلَى السَّعِيدِيَّةِ أَوْ الْخُطَّارَةِ ، وَرَجَعُوا إِلَيْهِ ، فَركبَ وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ، فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَجَرَحُوا أَرْغُونَ الْعِلَاقِي ، كَمَا تَقَدَّمَ ، وَخَلَعُوا الْكَامِلَ وَصَعَدُوا إِلَى الْقَلْعَةِ وَأَخْرَجُوا حَاجِي ^(٣) مِنْ سِجْنِهِ وَأَجْلَسُوهُ عَلَى كُرْسِيِّ الْمَلِكِ وَخَلَفُوا لَهُ ؛ وَكَانَ الْقَائِمُ بِذَلِكَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ مَلِكُ تَمَرُ الْحِجَازِيِّ ، وَالْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ أَقْسَنْقَرُ ، وَأَرْغُونَ شَاهُ .

وَكَانَ جُلُوسُهُ عَلَى الْكُرْسِيِّ مُسْتَهْلَ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ^(٤) ، وَخَلَعُوهُ فِي ثَانِي عَشْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ ، وَكَانَ مَلِكُهُ سَنَةً وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَاثْنِي عَشَرَ يَوْمًا .

وَوُرِدَ لَهُ ^(٥) الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ يَبْعَرَا إِلَى دِمَشْقَ ، وَخَلَفَ عَسْكَرَ الشَّامِ ، وَانْتَضَمَتِ الْأُمُورُ ، وَصَفَا لَهُ الْمَلِكُ ، وَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ أُمْسِكَ الْحِجَازِيِّ وَأَقْسَنْقَرُ وَقَرَابِغَا وَأَيْتَمِشَ وَصَمْغَارَ وَبِزْلَارَ وَطَقْبُغَا وَجَمَاعَةَ مِنْ أَوْلَادِ الْأُمَرَاءِ ، فَنفرت القلوب منه

(١) في الوافي : « حائط » .

(٢) عبارة الوافي : « إلى أن يجرد إلى الشام عسكرياً » ، وهي أقرب . وفي المنهل : « إلى أن جرد إلى الشام عسكرياً » .

(٣) في الأصل : « الحاجي » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) البداية والنهاية : ٢١٩/١٤ .

(٥) ليست في الوافي .

واستوحشت ، وتوحش يلبغا نائب الشام ، وجرى له ماجرى ، يأتي ذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى .

وكان الذي فعل ذلك كله ودبره وأشار به وفعله شجاع الدين أغرلو مُشدّ الدواوين ، على ما تقدم في ترجمته ، فأمسكه وقتك به بعد أربعين يوماً بمواطأة مع الأمير سيف الدين الجبيغا الخاصكي المُقَدَّم ذِكْرُه ، ومع غيره . وكان قد فرّق ممالك السلطان وأخرجهم إلى الشام وإلى الوجه البحري والقلي بعدما قُتل بيدمر البدري ، والوزير نجم الدين طُغْاي تمر الدوادار ، قبل الفتك بأغرلو^(١) ، وهؤلاء الأمراء الذين قتلهم كانوا بقية الدولة الناصرية وكبارها ولهم المعروف ، فزاد توحش الناس منه ، وركب الأمير سيف الدين أرقطاي النائب بمصر وغالب الأمراء والخاصكية إلى قبة النصر . فجاءه^(٢) الخبر فركب في من بقي عنده بالقلعة ، وهم معه في الظاهر دون الباطن ، فلما تراءى الجمعان ساق بنفسه إليهم ، فجاء إليه الأمير سيف الدين بيبغاروس أمير مجلس وطعنه فقلبه إلى الأرض ، وضربه الأمير سيف الدين طان يرق بالطبر من خلفه ، فجرح وجهه وأصابه ، وكتفوه وأحضره إلى الأمير سيف الدين أرقطاي ليقتله ، فلما رآه نزل وترجل ورمى عليه قباءه ، وقال : أعوذ بالله ، هذا سلطان^(٣) ، ماأقتله ، فأخذوه ودخلوا به إلى تربة كانت هناك وقضى الله أمره فيه في التاريخ المذكور .

ثم إنَّ الأمراء بالقاهرة اجتمعوا وكتبوا إلى نائب الشام الأمير سيف الدين أرغون شاه يعرفونه القضية ويطلبون منه ومن أمراء الشام مَنْ يَصْلُح للسلطنة ، وجهّزوا الكتاب على يد الأمير سيف الدين أَسْنُبغا الحمودي السلاح دار . وكان ذلك ثاني عشر شهر رمضان بكرة الأحد .

(١) البداية والنهاية : ٢٢٣/١٤ .

(٢) في الأصل : « فجاء » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) عبارة الوافي : « هذا سلطان ابن سلطان » .

ولما كان يوم الثلاثاء رابع عشر الشهر المذكور ، عَقَدُوا أَمْرَهُمْ عَلَى أَنْ يُولَّوْا أَخَاهُ
ناصر الدين حسن ابن الملك الناصر محمد ، فأجلسوه على كُرْسِيِّ الْمُلْكِ وَحَلَفُوا لَهُ ،
وَسَمَّوْهُ بِالْمُلْكِ النَّاصِر ، وَجَهَّزُوا إِلَى الشَّامِ ، وَحَلَفُوا لَهُ الْعَسَاكِرُ : فَسِيحَانِ مِنْ لَا يَحُولُ
وَلَا يَزُولُ .

وقلت أنا في ذلك ، وفيه لزوم الفاء المشددة :

خَانَ الرَّدَى لِلْمُظَفَّرِ فِي الثَّرَى قَدْ تَعَفَّرُ^(١)
كَمْ قَدْ أَبَادَ أَمِيرًا عَلَى الْمَعَالِي تَوَفَّرُ
وَقَاتَلَ النَّفْسَ ظَلَمًا ذُنُوبُهُ مَا تَكْفَرُ

وقيل : إِنَّ أَحَدَ الْأَسْبَابِ فِي قَتْلِهِ أَنْ الْأَمِيرَ سَيْفَ السِّدِّينِ الْجَبِيغَا الْخَاصِكِي ، أَتَى
إِلَيْهِ يَوْمًا ، فَوَجَدَهُ فَوْقَ سَطْحٍ يَلْعَبُ بِالْحَمَامِ ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِ نَزَلَ فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا
لَهُ : الْجَبِيغَا ؛ فَطَلَبَهُ فَصَعِدَ إِلَيْهِ ، وَكَانَتِ الْوَحْشَةُ قَدْ ثَارَتْ^(٢) ، فَقَالَ لَهُ : مَا يَقُولُ
النَّاسُ ؟ قَالَ : خَيْرٌ ، فَالْحَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا خُونِدَ . أَنْتَ تَدْبِرُ الْمُلْكَ بِرَأْيِ الْخُدَّامِ
وَالنِّسَاءِ ، وَتَلْعَبُ بِهَذَا الْحَمَامِ ، فَاغْتَاظَ مِنْهُ وَقَالَ : مَا بَقِيَتْ أَلْعَبُهَا^(٣) ، ثُمَّ إِنَّهُ أَخَذَ^(٤)
مِنْهَا طَائِرَيْنِ ، وَذَبَحَهُمَا ، وَلَمَّا رَأَاهُمَا مَذْبُوحَيْنِ ، طَارَ عَقْلُهُ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا بُدَّ مَا أَحْزَرَ
رَأْسَكَ هَكَذَا ، فَتَرَكَهُ وَمَضَى ، فَنَزَلَ الْمُظَفَّرُ وَقَالَ لَخَوَاصِّهِ : يَا صَبِيَّانِ ، مَتَى دَخَلَ إِلَيَّ
هَذَا بَضْعُوهُ بِالسَّيْفِ ، فَسَمِعَ ذَلِكَ بَعْضُ الْجُمْدَارِيَّةِ ، فَخَرَجَ إِلَى الْجَبِيغَا ، وَقَالَ لَهُ :
لَا تَعُدْ تَدْخُلُ إِلَيْهِ ، وَعَرَّفَهُ الصُّورَةَ ، فَخَرَجَ وَعَمَلَ عَلَى مَقْتَضَى ذَلِكَ ، وَضَاعَ مَلِكُهُ
وَرُوحَهُ مِنْهُ لِأَجْلِ الْحَمَامِ .

(١) فِي الْوَاقِفِ وَالْمَنْهَلِ : « فِي التَّرَابِ تَعَفَّرَ » . فِي الْمَنْهَلِ : « حَانَ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَأَثَّرَتْ » ، تَحْرِيفٌ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي الْوَاقِفِ .

(٣) فِي الْوَاقِفِ وَالْمَنْهَلِ : « أَلْعَبَ بِهَا » .

(٤) أَيْ « الْجَبِيغَا » .

وقلت أنا في ذلك :

أيُّها العاقل اللبيب تفكّر في المليك المظفّر الضّرغام
كَمْ تَمَادَى في الغي والبغي حتّى كان لُعْبُ الحِمَامِ جدّ الحِمَامِ^(١)

اللقب والنسب

☆ الحارثي : شمس الدين عبد الرحمن بن مسعود .

☆ الحافي : الشيخ محمود بن طيّ .

☆ الحاكم : أمير المؤمنين أحمد بن الحسن .

☆ الحاكم بن المستكفي : أمير المؤمنين أحمد بن سليمان .

☆ ابن الحبال : محمد بن أحمد .

☆ ابن الحبوبي : إبراهيم بن علي .

☆ ابن حبّاسة : إبراهيم بن حباسة .

☆ ابن الحافظ : محمد بن داود ، وصلاح الدين يوسف بن محمد .

☆ الحاضري : محمد بن منصور .

٥٥٣ - حبيبة *

بنت عبد الرحمن زين الدين بن الإمام جمال الدين أبي بكر محمّد بن إبراهيم بن أحمد بن عبد^(٢) الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي .

(١) في الأصل : « كما » ، خطأ ، وأثبتنا ما في الوافي ، والنهل .

* الوافي : ٣٠٣/١١ ، والدرر : ٥/٢ .

(٢) في الوافي : « بن إبراهيم بن عبد الرحمن » ، وثمة سقط في نسبه .

الشيخة الصالحة المُسنّدة أم عبد الرحمن ، حَضَرَتْ عَلَى الشَّيْخِ تَقِي الدِّينِ
عبد الرحمن بن أبي الفهم اليَليداني ، وخطيب مَرَدَا ، وَسَمِعْتُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَلِيلٍ ،
وَأَجَازَ لَهَا سَبْطُ السَّلَفِيِّ ، وَمِنْ بَغْدَادِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الزُّعْبِيِّ ^(١) ، وَفَضَلَ اللَّهُ بْنُ
عبد الرزاق ^(٢) وَغَيْرَهُمَا .

توفيت رحمها الله تعالى في خامس شعبان سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

وأجازت لي في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، وكتب عنها بإذنها عبد الله بن
أحمد بن المحب المقدسي ^(٣) .

٥٥٤ - حُجَّاب *

بَضَمَ الْحَاءُ الْمُهْمَلَةَ ، وَتَشَدِيدَ الْجِيمِ وَبَعْدَهَا أَلْفٌ وَبَاءٌ مُوَحَّدَةٌ : الشَّيْخَةُ الصَّالِحَةُ
الزَّاهِدَةُ ، شَيْخَةُ رِبَاطِ الْبَغْدَادِيَّةِ .

كَانَتْ مَشْهُورَةً بِالصَّلاحِ وَالْحَيَّرِ ، وَعِنْدَهَا لِمَنْ يَزُورُهَا مِنَ النِّسَاءِ الْمُرُوءَةِ وَالْمَيَّيرِ ،
مِلَازِمَةُ هَذَا الرِّبَاطِ ، قَانَعَةٌ بِمَا هِيَ فِيهِ دَائِمَةً الْإِغْتِبَاطِ .

لَمْ تَزَلْ عَلَى حَالِهَا إِلَى أَنْ حُلَّ رِبَاطُ أَجْلِهَا فِي الرِّبَاطِ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهَا حَرَكَهٌ ، وَعَدِمَ
مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانُ بِفَقْدِهَا الْأَنْسَ وَالْبَرَكَهَ .

وتوفيت رحمها الله تعالى في المحرم سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

(١) في الوافي : « الرعي » ، تصحيف ، وإبراهيم هذا توفي سنة (٦٥٦ هـ) ، الشذرات : ٢٧٤/٥ .

(٢) الجيلي (ت ٦٧٣ هـ) ، السير : ٢٣/٢٣٠ .

(٣) ستأتي ترجمته .

* الدرر : ٦٢ .

الألقاب والأنساب

☆ الحجار المُسند : أحمد بن نعمة بن حسن .

٥٥ - حِجَازِي بن أحمد بن حِجَازِي*

صَفِيّ الدين الديرقطاني .

قال الفاضل كال الدين جعفر الأذقوي في (تاريخ الصعيد) : كان كريماً كاتباً أديباً ناظماً لطيفاً .

توفي ببلده رحمه الله تعالى سنة إحدى وسبع مئة .

وأورد له :

قل للمطايا قد بلغت النقا فنهها يا صاح بالملتقى
وخلها ترعى عرار الحمى إن عرار الحيّ يجلّو الشقا^(١)
وقد تملّى باللقا عاشقٌ كان لطيف الملتقى شيقاً
وقد محال الوصل حديث الجفا حتى كأنّ الهجر لن يخلق^(٢)

قال^(٣) : وكان يعجبه غناء البصيص^(٤) ، وكانت تغني من شعره ، فحضرت يوماً ، فقال :

* الوافي : ٣١٩/١١ ، والدرر : ٦/٢ ، والطالع السعيد : ١٨٩ .

(١) في الطالع السعيد : « عرار ... إن عرار الحي ... » . وأشار المحقق إلى رواية الأصل هاهنا .

(٢) في الوافي : الحفا ، تصحيف .

(٣) في الأصل : « قلت » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في المصادر السابقة .

(٤) في الدرر : « النصفة » ، وكذا في الطالع السعيد مصححة عن الدرر ، وفي أصله : « البصيص » كما هنا . أشار إلى ذلك محقق الطالع .

ادخلي تُدْخِلِي علينا سروراً أنت والله نزهة العشاق
لا تميلي إلى الخرج سريعاً تُخْرِجِي عن مكارم الأخلاق

قلت : البيتان ، فائقان رائقان ، راقيان في درجة ، إلا أنه يخاطب امرأة بقوله
من أول ما يطرق سمعها : « ادخلي تدخلي » هذا فيه مافيه من العيب .

اللقب والنسب

☆ ابن الحداد : بدر الدين محمد بن عثمان .

☆ الحجازي : الأمير سيف الدين ملكتمر .

☆ ابن حِرز الله : شهاب الدين أحمد بن أبي بكر .

☆ الحرّاني - جماعة - : نفيس الدين إسماعيل بن محمد ، ومجد الدين الحنبلي
إسماعيل بن محمد .

☆ وابن الحرّاني : ناظر الأوقاف محمد بن يحيى .

☆ الحربوني : الطبيب عبد الله بن محمد .

٥٥٦ - حَرْمِي بن قاسم بن يوسف*

العامري الفاقوسي الشافعي . القاضي مجد الدين وكيل بيت المال بالديار
المصرية ، ونائب قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، ونائب قاضي القضاة
جلال الدين القزويني .

أخبرني العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي ، قال : قرأ حَرْمِي على

* الوافي : ٣٤٣/١١ ، والبداية والنهاية : ١٦٩/١٤ ، وذيل العبر : ١٨٣ ، والدرر : ٨/٢ ، والنجوم :
٣٠٥/٩ ، والمنهل الصافي : ٥٨/٥ .

الشيخ علاء الدين الباجي الأصولي (الأصوليين) ، وقرأ على السيف البغدادي^(١) (الموجز)^(٢) و (الإرشاد)^(٣) ، وسمع من قاضي القضاة عبد الرحمن بن بنت الأعز قصيدة من نظمته ، وحدث بها ، وكان يُدرّس بقبة الشافعي . وحفظ (الحاوي الصغير)^(٤) على كبر .

وكان وكيل بيت الظاهر بيبرس ، وبيت أيبك الخزندار ، وبيت بكتر الخزندار ، وكان الناس يقولون : هو آدم أبو البشر^(٥) .

وكان شيخاً طويلاً رقيقاً ، صغير الذقن بالكرّمات خليفاً . ذو مروّة غزيره ، وسجايًا بالمحاسن شهيره ، يمشي مع الناس لقضاء أشغالهم ويشفع بوجاهته لهم عند من فيه بلوغ أمالهم ، حسن التوصل ، لطيف التوسّل ، مع سكون زائد وإطراق إلى الخير قائد .

ولم يزل على حاله إلى أن طرق حرّم حرّمي الموت ، وحرّم الفوز بالعيش من الفوت .

ووفاته رحمه الله تعالى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة في يوم الأربعاء ثاني ذي الحجة .

وكان يُلقّي الدروس من حفظه من (التوسيط)^(٦) على كبر سنّه .

(١) داود ، وستأتي ترجمته .

(٢) من شرح كتاب الوجيز للغزالي ، الكشف : ٢٠٠٢ .

(٣) أغلب الظن أنه كتاب الإرشاد للبغوي (ت ٥١٦ هـ) ، الكشف : ٦١/١ .

(٤) للقرطبي (ت ٦٦٥ هـ) ، الكشف : ٦٢٥/١ .

(٥) الذي في الوافي : « قل أن يموت أحد من الأمراء الكبار إلّا وأُسند وصيته إليه ، فكان الناس يقولون هو آدم أبو البشر » .

(٦) كذا في الأصل .

الألقاب والأنساب

☆ الحرستاني : شرف الدين إسماعيل بن محمد . وبدر الدين عثمان بن عبد الصمد .

☆ ابن حريث : محمد بن محمد بن علي .

☆ الحريري : سيف الدين الفاضل أبو بكر .

والحريري : قاضي القضاة شمس الدين محمد بن عثمان .

☆ وابن الحريري : الشيخ حسن بن علي ، وأخوه علي بن علي ، وابن ابنه أحد الأخوين الحين والبن : علي بن محمد .

☆ وابن الحريري : فخر الدين محمد بن ناصر ، وصفي الدين أحمد بن محمد بن عثمان .

٥٥٧ - حُسَامُ بْنُ عَزَّ بْنِ ضِرْغَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ دِرْعَ*

مكنين الدين القُرشي المصري .

أخبرني من لفظه العلامة أثير الدين ، قال : كان المذكور غزولياً ، جيّد الأدب ، أنشدنا لنفسه من قصيدة :

حَازَ الْجَمَالَ بِصُورَةِ قَمَرِيَّةٍ تَجَلَّوْا عَلَيْكَ مَشَارِقَ الْأَنْوَارِ^(١)
وَحَوَى الْكَمَالَ بِسِيرَةِ عُمَرِيَّةٍ تَتَلَوْا عَلَيْكَ مَنَاقِبَ الْأَبْرَارِ
وَأُنْشَدَنِي ، قال : أَنُشِدَنِي لِنَفْسِهِ^(٢) :

* الوافي : ٣٤٨/١١ .

(١) في الوافي : « حاز الكمال » .

(٢) يهني بالقدم من الحجاز . كنا عبارة الوافي .

مَسَافِرٍ سَافِرٍ عَنْ بَدْرٍ دَاجِيَةٍ تَضِيءُ مِنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ وَالْأَفْقُ^(١)
 قَرِيبُ عَهْدٍ مِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ غَدَتِ تُطَوِّى بِأَيْدِي الْمَطَايَا تَحْتَهُ الطَّرِيقُ
 لِمَاءِ زَمْزَمَ رَشَحَ مِنْ مَعَاطِفِهِ وَطِيبَ طَيِّبَةٍ مِنْ أُرْدَانِهِ عَبَقَ
 قُلْتُ : مَوْلَدُهُ أَظُنُّ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ وَسِتْ مِائَةٍ . وَهُوَ شِعْرٌ جَيِّدٌ^(٢) .

الألقاب والأنساب

☆ ابن الحسام : الشاعر عمر بن آقوس . وجمال الدين إبراهيم بن أبي الغيث .

٥٥٨ - حسب الله *

الشيخ جمال الدين الحنبلي ، مدرّس المنكوتمية .

كان رجلاً فاضلاً صالحاً .

توفي - رحمه الله تعالى - في سادس عشر شهر ربيع الآخر ، سنة عشر وسبع مئة ،
 ودُفِنَ بالقرافة .

٥٥٩ - الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان **

قاضي القضاة حسام الدين أبو الفضائل ابن قاضي القضاة تاج الدين أبي المفاخر
 الرازي ثم الرومي الحنفي .

كان مجموع الفضائل ، عَرِيّاً مِنَ الرِّذَائِلِ ، كَثِيرَ الْمَكَارِمِ ، عَفِيفاً عَنِ الْحَارِمِ ، ظَاهِرَ
 الرِّئَاسَةِ حَرِيّاً بِالسِّيَاسَةِ ، مَلِيّاً بِالنَّفَاسَةِ ، يَتَقَرَّبُ إِلَى النَّاسِ بِالْوَدِّ ، وَيَتَجَنَّبُ الْخُصَمَاءَ

(١) في الوافي : « بدر واحبه » ! وفي الأصل : « من وجهها » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهو أنسب .

(٢) كذا أنهى الترجمة بلا ذكر لسنة وفاته ، وقد فعل مثل هذا في الوافي .

* لم تقف على ترجمة له .

** الوافي : ٣٩٧/١١ ، والبداية والنهاية : ١٠/٢ ، والدرر : ١٠/٢ ، والدارس : ٣٩٤/١ ، والشذرات :

٤٤٦/٥ ، والمنهل الصافي : ٦٣/٥ . والعبر : ٣٩٧/٥ .

اللّدّ ، فيه مروءة وحِشْمه ، وبينه وبين المفاخر قرابة ولُحْمه . وله نظم وعنده أدب ، ورغبة في إذاعة الخير واجتهاداً وطلب .

وُلِدَ بأقصرا^(١) سنة إحدى وثلاثين وست مئة . وولي قضاء مَلْطِيَّة أكثر من عشرين سنة ، ثم نزع إلى الشّام سنة خمس وسبعين وست مئة خوفاً من التتار ، وأقام بدمشق وولي قضاءها سنة سبع (وتسعين) وست مئة بعد القاضي صدر الدين سليمان^(٢) ؛ وامتدت أيتامه إلى أن تسلطن حسام الدين لاجين ، فسارَ إليه سنة ست وتسعين ، فأقبل عليه وولاه القضاء بالديار المصرية^(٣) ، وولى ابنه جلال الدين مكانه بدمشق ؛ وبقي معظماً وإفراً الحُرْمَة إلى أن قُتِلَ لاجين وهو عنده ، فلما ضربوا السلطان بالسيف استغاث ، وقالَ : ما يحلّ . فأشاروا إليه بالسيوف ، فاخْتَبَأَ هناك ، واشتغلوا عنه بالسلطان .

ولما زالت دولة لاجين ، قدم إلى دمشق على مناصبه وقضائِهِ ، وعُزِلَ ولده ، ولم يزل على حاله إلى أن خرج إلى الغَزَاة ، وشهد المصافّة بوادي الخزندار^(٤) في شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة ، وكان ذلك آخر العهد به . فأصابت الرزيّة الرازي وكان في غُنيّة عن مرآة الملاحم والمغازي .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : والأصح أنه لم يُقْتَلْ بالغَزَاة ، وصحّ مروره مع

(١) وكذا في الوافي والمنهل . وفي الدارس عن الصفدي في الوافي : « آق سراي » . ثم نقل صاحب الدارس عن ابن كثير أنه ولد بـ (آفس) وفي مطبوعة البداية : (آقس) .

(٢) صدر الدين سليمان بن أبي العز بن وهيب الأذري (ت ٦٧٦ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٨٠/١٣ ، والشذرات : ٣٥٧/٥ .

(٣) البداية والنهاية : ٣٤٩/١٣ .

(٤) عبارة البداية : ١٣/١٤ : « ثم لما خرج الجيش إلى لقاء قازان بوادي الخزندار عند وادي سلمية خرج معهم » .

المنهزمين بناحية جبل الجرديين^(١) ، وأنه أُسر وبيع للفرنج ، وأُدخل إلى قبرس هو وجمال الدين المطروحي^(٢) .

وقيل : إنه تعاظم الطبّ والعلاج ، وإنه جلس يُطَبِّبُ بقبرس ، وهو في الأسر ، لكن ذلك لم يثبت ، والله أعلم .

قلت : ولما كنتُ بدمشق سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ؛ جاء الخبر إلى ولده القاضي جلال الدين على ماشاع بدمشق أنّ والده القاضي حسام الدين حيّ يُرْزَقُ بقبرس ، وأنه يريد الحضور إلى الشام ، ويطلب ما يُفكّ به من الأسر ، ثم إن القضية سكنت ، وهذا بعيد لأنه يكون عمره إلى ذلك الوقت مئة وأربع^(٣) سنين ؛ وقُلْتُ بناءً على صحّة هذه الدعوى :

إنّ حال الرازي بين الرزايا حالة لم نجدُ عليها مثالا
كان قاضي القضاة مضراً وشاماً ثم في قبرس غدا كحالا
الله أكرم وأرحم من أن يمشي أحدٌ من أهل العلم الشريف إلى ورا ، أو أن يرَدَّ في آخر عمره القهقري .

٥٦٠ - الحسن بن أحمد بن زفر الحكيم*

عز الدين الإربلي . سمع ابن الخلّال^(٤) والموازيني^(٥) وخلقاً .

(١) في الأصل : « الجردنين » ، وأثبتنا ما في مصادر ترجمته .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) في الأصل : « وأربعة » .

* الوافي : ٣٩٧/١١ ، والبداية والنهاية : ١٢٥/١٤ ، والدرر : ١١/٢ ، والدارس : ١١٧/٢ ، والشذرات : ٧٢/٦ ، والمنهل الصافي : ٦٥/٥ .

(٤) في الأصل والوافي : ١٧٥/١٢ وبعض أصول الدرر : ٢١/٢ : « الجلال » ، وهو تصحيف ، وقد ضبطه الصفدي بالخاء للعجمة في أثناء ترجمته ، وستأتي بعد قليل .

(٥) أبو جعفر محمد بن علي بن حسين ، وستأتي ترجمته .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : كان مُظلماً في دينه ونُحْلته ، متفلسفاً ، صادقاً في تقله ، حَصَلَ إثبات سماعته ، وألف كتباً وتواريخ ، منها (السيرة) في مجلدين ، وسَمِعَ مِنَّا كثيراً .

قلت : وخطبه معروف بين الفضلاء ، ومجاميعه غالبها تراجم شعراء وتواريخ ووفيات ؛ ويعرف بالعز الإربلي الطيب ، وعَبَثَ في مجاميعه برئيس الطب أمين الدين سليمان^(١) ؛ كما عبث ركن الدين الوهراني^(٢) بالمهذب النقاش^(٣) في صورة المنام الذي صنعه^(٤) ، ورماه بأشياء من الخسة والبخل ، وبأشياء من الزغل ، وعَمَلَ الكيمياء ، وبأشياء من المطالب ؛ وأنه انتقى^(٥) منها جملة . إلا أن في تعاليقه فوائد أدبية وغيرها وتراجم غريبة وغير ذلك يدل على أنه كان فاضلاً .

ولم يزل على حاله إلى أن بَلَى الإربلي ، وفرغ جراب عمره الممتلي .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وعشرين وسبع مئة .

٥٦١ - الحسن بن أحمد بن المظفر*

الشيخ الفاضل الكبير المُعَمَّر شرف الدين أبو علي بن الشيخ كال الدين بن الخطيري الصوفي ، بخاتناه خاتون ظاهر دمشق^(٦) .

كان شيخاً حَسَناً عنده فضلٌ وله نظر ، وكتب المنسوب ، ونسخ بخطه كتباً ،

(١) سليمان بن داود ، ستأقي ترجمته .

(٢) محمد بن محرز صاحب كتاب اللنانات (ت ٥٧٥ هـ) ، الوافي : ٣٨٦/٤ .

(٣) أبو الحسن علي بن أبي عبد الله (ت ٥٤٤ هـ) ، طبقات الأطباء : ٦٣٥ .

(٤) وذكر الصفدي طرفاً منه في الوافي : ٣٨٧/٤ .

(٥) في الأصل : « التقى » ، ولا وجه لها ، ولعلّ الصواب ما أثبتنا .

* الدرر : ١٢/٢ .

(٦) ظاهر باب كنصر بنتها خاتون بنت معين الدين أنر زوجة نور الدين الشهيد . الدارس : ١١٣/٢ .

وسَمِعَ (صحيح مُسْلَم) من الرضِيِّ بن البَرْهَانَ الواسِطِيِّ ^(١) بدمشق سنة خمس وخمسين وست مئة ، وسمع من ابن عبد الدائم ، و حَدَّثَ وأخذ الطلبة عنه .
وتُوفِّي في سابع عشر شعبان سنة أربع وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة أربعين وست مئة بمدينة كنبات ^(٢) بالهند .

٥٦٢ - حَسَنُ بْنُ أَرْتَنَّا*

الأمير بَدْرُ الدِّينِ الشَّيْخِ حَسَنُ بْنُ النُّوَيْنِ الحَاكِمُ بِالرُّومِ ، تَقَدَّمَ ذِكْرُ وَالِدِهِ فِي مَكَانِهِ .

كان هذا الشَّيْخُ حَسَنُ الْمَذْكُورِ ذَا حُسْنٍ بَاهِرٍ ، وَجَالٍ ظَاهِرٍ ، يَفْتَنُ مَنْ يَرَاهُ ، وَيُسَبِّحُ مَنْ خَلَقَهُ وَبَرَّاهُ ، لِأَنَّهُ كَانَ حُسْنُهُ بَدِيعًا ، وَمَنْ يَشَاهِدُهُ يَعُودُ صَدِيعًا ، بِوَجْهِ كَأَنَّهُ الْقَمَرُ إِذَا بَزَغَ ، وَجَفْنِ بِسَحَرِهِ نَفْثَ الشَّيْطَانِ وَتَزَغَ ، وَشَكْلِهِ تَامُ الْقَامَةِ ، كَامِلُ الْهَامَةِ .

مَرِضَ فِي سَيَّوَاسَ فَاَنْكَسَفَتْ شَمْسُهُ وَأُودِعَ جَوْهَرَ شَخْصِهِ رِمْسُهُ .

سَمِعَ بِهِ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ طَشْتَمُرُ نَائِبُ حَلَبَ ، وَأَنَّهُ وَصَلَ إِلَى بَهْسَنِي ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ أَرْسَلَهُ أَبُوهُ إِلَى الشَّيْخِ حَسَنِ الْكَبِيرِ بِيغْدَادَ ، فَكَتَبَ إِلَى نَائِبِ بَهْسَنِي بِطَلْبِهِ ، فَحَضَرَ إِلَيْهِ إِلَى حَلَبَ ، فَأَعْجَبَهُ شَكْلُهُ وَبُهَتْ لِحْسُنُهُ ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً ، وَأَعَادَهُ إِلَى وَالِدِهِ ؛ وَكَانَ وَالِدُهُ قَدْ خُطِبَ لَهُ ابْنَةُ صَاحِبِ مَارْدِينِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ شَمْسِ الدِّينِ ^(٣) ، فَأَجَابَتْهُ إِلَى ذَلِكَ وَجَهَّزَهَا إِلَيْهِ ، وَمَا أَظْنُهُ دَخَلَ بِهَا ، بَلْ مَرِضَ فِي سَيَّوَاسَ ، وَكَانَ وَالِدُهُ

(١) إبراهيم بن عمر (ت ٦٦٤ هـ) ، العبر : ٢٧٦/٥ .

(٢) في الدرر : « كنبات » .

* الوافي : ٣٩٩/١١ ، والدرر : ١٣/٢ ، والذيل التام : ٩٦ ، والمنهل الصافي : ٦٠٨/٥ ، وفيه : « أرتنا » بالثاء .

(٣) هو صالح بن غازي بن قرا أرسلان التركاني (ت ٧٦٥ هـ) ، وقيل : (٧٦٦ هـ) . الدرر : ٢٠٢/٢ ، والذيل التام : ٢٠٨ .

في قَيْصَرِيَّة ، فتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة ثمان وأربعين وسبع مئة . وكتب أبوه إلى صاحب ماردين ؛ يقول له : إن لي ابناً آخر يصلح لزواجها ، وأعطاهها مدينة خَرْتَبِرْت^(١) .

٥٦٣ - حسن بن أقبغا بن إيلكان*

بعد الهمزة ياء ، آخر الحروف ساكنة ولام وكاف وألف بعدها نون : النون الكبير الشيخ حسن بك الكبير الحاكم ببغداد والعراق ، أُبْعِدَ في أيام بوسعيد ، وكان الناس في داخل خَرَمه ، وهو بالوصيد ، وجَرَتْ له حروب ، وخطبته من الأيام خطوب ، وكَرَبَتْ له منه كروب ، ومَرَّت به من المِحْن أنواع وضروب ، ووجد بعد بوسعيد شدائد ، وتلقَّى ضربات النكبات حداثد ؛ وكافح طغاي بن سوتاي ، وإبراهيم شاه وأولاد تمرتاش وغيرهم ؛ وأقرَّ له النُصْرَة عليهم ، وأطَارَ طَيْرَهُمْ ، وناصح المسلمين وما دَاجَى ، وصرَّح بالمحبَّة وما حَاجَى .

ولم تزل كتب ملوك مصر تفد إليه بالمبَرَّات ، وتَرَدُّ عليه بالمسَرَّات ، وتُجَهَّز له التشاريف ، ويُعَظَّم في العنونات والتعاريف ، ورسله هو ما تنقطع ولا قصَّاده ، وزرَّاع ودهِ المنجب وحصَّاده .

ولم يزل على حاله إلى أن ورد الخبر بوفاته في شعبان سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

وجلس ولدهُ الشيخ سيف الدين أُوَيْس مكانه في الحكم على بَغْدَاد .

وهذا الشيخ حسن الكبير إنما عُرِف بهذا فرقا بينه وبين الشيخ حَسَن بن تمرتاش ، وسيأتي ذكره .

(١) ذكر ياقوت أنها اسم أرمني لحصن زياد في أقصى ديار بكر . معجم البلدان : ٣٥٥/٢ .

* الوافي : ٤٠٥/١١ ، والدرر : ١٤/٢ ، والشذرات : ١٨٢/٦ ، والمنهل الصافي : ٦٩/٥ ، وفيه : « الحسن بن حسين بن أقبغا .. » . وفيه وفاته سنة (٦٥٧) .

وكان الشيخ حسن الكبير أولاً زوج الخاتون بغداد بنت جوبان ، فلم يزل به بوسعيد القان إلى أن أخذها منه بعدما أتت من الشيخ حسن بابنه الأمير إيلكان ، ولم يزل الشيخ حسن مُبْعِداً إلى أن توفي بوسعيد رحمه الله تعالى ، فملك بغداد ونزل بها ، وأقام فيها ، وجرت له مع المذكورين حروب كثيرة ونَصَرَهُ اللهُ عليهم ، ولم يزل مروّعاً من أولاد تمرتاش وهو المنصور ، ثم إنه تزوج الخاتون دُلْشَاد بنت دمشق خواجه بن جوبان الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى في مكانه .

وجرى في أيامه ببغداد الغلاء العظيم ، حتى أُبيع الخبز على ما قيل بصنج^(١) الدراهم ، ونزح الناس عن بغداد ؛ وعُدِمَ منها حتى الورق ، وكان يُجْلَبُ منها إلى الشام ومصر وغيرها ، ولما أظهر العدل وأمن الناس تراجع الناس إليها وذلك سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وفي أوائل سنة تسع وأربعين وسبع مئة توجه إلى شُشْتَر ليأخذ من أهلها قطعة كان قد قررها عليهم ، فلما أخذها وعاد وجدَ نوابه في بغداد قد وجدوا في رواق العزيز ببغداد ثلاث جباب^(٢) نحاساً مثل جباب الهريسة ، طول كل جَبٍّ ما يقارب الذراعين والنصف ، وهي مملوءة ذهباً مصرياً وصُورياً ويوسفياً ، وفي بعضه سِكَّةُ الإمام الناصر ، وكان زنة ذلك أربعة آلاف رطل بالبغدادي ، يكون ذلك مثاقيل خمس مئة ألف مثقال .

٥٦٤ - الحَسَن بن تمرتاش بن جُوبان*

المعروف بالشيخ حَسَن ، تقدم ذِكْرُ والده وجده في مكانها .
كان هذا الشيخ حسن داهيةً ولم يكن ذاهبه ، بَعِيدَ الغُوصِ في الفكر والغور ،

(١) في الوافي : « بشح » ! .

(٢) في الوافي : « أجباب » . وفي النهل : « ثلاثة أجباب » .

* الوافي : ٤١٢/١١ ، والدرر : ١٥/٢ ، والنهل الصافي : ٧٢/٥ ، وفيه وفاته سنة (٧٧٤ هـ) وهو وهم .

مخادعاً ، لا جَرَمَ أن أمست أيامه ذاهبه ، ويشتغل بحيل ما تُحكى عن البطّال ، ويفكر ذب خدع سَحَابَه منه هَطَال ، وكان يَدْخُلُ إلى الحَمَامِ ويخلو بنفسه فيها اليوم واليومين والثلاث ، وهو يفكر فيما يرتبه من المكر والاجتهاد والاكتراث ، وقيل إنه مرة شرب دماً وقاءً ، ليرتّب على ذلك حيلة ، وينال بها مَن يريد مقصوداً وأملاً ، وزاد بطشه ، وصحّ في الحيل تقشّه ، وأفنى جماعة من كبار المغول ، واغتالهم من فتكه غول ، وشوّش على المسلمين ، قتل أهل تلك البلاد ، وأضجر قومه من الإغارات والجلاد .

ولم يزل على حاله إلى أن قيل : « إنه تهّد زوجته مرة فخبأت عندها خمسة من المغل فأصبح مخنوقاً ، وأظهر أنه وجد مشنوقاً ، فوضع في تابوت ودفن بترتبه التي أنشأها بتوريز ، وراح كما راح أمس الدابر^(١) ، ودخل في زُمرَةٍ مَن دَخَلَ في الزمن الغابر ، ولم ينتطح في أمره غُزْران ولا اختلفت فيها مقادير ولا أوزان ، وكفى الله المسلمين مِنْهُ شَرّاً كبيراً ، ﴿ وكان الله على كلِّ شيء قديراً ﴾^(٢) .

وجاء الخبرُ بوفاته في شهر رَجَب سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

وكان يقول أولاً : ما يَمْنَعُنِي مِنْ دُخُولِ الشَّامِ ودُوسِهِ إِلَّا هَذَا تَنَكُّزٌ ، وقد حَصَلَتْ له إحدى عشرة حيلة إن لم يَرُحْ بهذه وإلا راح بهذه ! فما كان إلا أن جاء رسوله القاضي تاج الدين قاضي شيراز ، وتوجّه إلى السلطان الملك الناصر محمد ، وكان ممّا قاله : إن تنكز طلب الحضور إلى عندي ، فاستوحش السلطان من تنكز رحمه الله تعالى وتغيّر عليه ، وكان السبب في ذلك هذا الكلام ، والله أعلم ، ولما أُمْسِكَ تنكز ، قال^(٣) : والله أنا كنت أعتقد أن قلع هذا تنكز صعب ، وقد راح الآن بأهون حيلة ، (وعند الله تجتمع الخصوم) .

(١) في الأصل : « الدابر » ، تصحيف .

(٢) الأحزاب : ٣٧/٣٣ .

(٣) أي الشيخ حسن .

٥٦٥ - الحسن بن رمضان*

الإمام العالم الفاضل القاضي حُسَام الدين القُرْمِي الشَّافِعِي ، أبو محمد قاضي القضاة بصفد وطرابلس ، ابن الشيخ الإمام العالم الخطيب معين الدين أبي الحسن .

كان فاضلاً ذكياً ، واضحَ الحياءِ بهياً ، حَسَنَ الوجْهِ مَدِيدَ القامه ، تَرَفَ الجسم عليه وسَامَه ، بَسَام الثغر ضحوكاً ، جميلَ المنظر كأنما أُلْبِسَ وشياً مَحُوكاً ، جَيِّدَ البحث والنظر ، شديدة الإصابة إذا فَكَّرَ وَاذْكَرَ . يعرف العريّة وغوامضَ مسائلها ، والأصولَ وماخذ وجوهرها وتقربَ وسائلها .

ولم يزل إلى أن حُصِمَ الحُسَام ، ووقعَ في أشراكِ المنية وحبائلها الجِسَام .
وتوفي رحمه الله تعالى في طرابلس في شهر ربيع الأول سنة ست وأربعين وسبع مئة .

وكان قد قَدِمَ إلى صفد على قضاء القضاة بها في أيام الأمير سيف الدين بكتر الجوكندار ، وأقامَ بها مُدَّةً وهو فقير لا يملك شيئاً ، ثم إنه ثَوَّرَ نِعْمَةً موفورة واقتنى أملاكاً ، ونقل إلى قضاء القضاة بطرابلس في ذي القعدة سنة ست عشرة وسبع مئة ، فأقامَ بها مدة ، وبني حَمَاماً عجيباً في طرابلس ، وهو بها مشهور ، وغير ذلك من الأملاك .

وكان قد طُلِبَ إلى مصر على البريد في سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، فأقبل السلطان عليه وزاده وأعاده ، ثم إنه غَزَلَ ووصل إلى دمشق وأقامَ بها وأقبل على شأنه ، وولي تدريس الرباط الناصري^(١) بالجبل ، وعكف على الاشتغال وسماع الحديث وعلومه ، ولم يزل على خير .

* الوافي : ١٨/١٢ ، والدرر : ١٥/٢ ، والدارس : ٨٨/١ .

(١) في دار الحديث الناصرية بسفح قاسيون ، أنشأها الملك الناصر صلاح الدين بن الملك العزيز محمد .

الدارس : ٨٥/١ .

اجتمعتُ به غيرَ مرّةٍ ، وجرت بيني وبينه مباحث في العربية وغيرها^(١) ، وكان ذهنه في غاية الجوّدة والصّحة . ولما كان في صفد وقع بينه وبين شيخنا نجم الدين بن الكمال خطيب صفد^(٢) منازعةً في مسألة إعراب ، وأخذها بها في خطبته ، وأصر الشيخ نجم الدين على مخالفته ، وكتب إليه رسالة نظماً ونثراً افتتحها بقول بعض للمغاربة :

نَحْنَحَ زَيْدٌ وَسَعَلُ لَمَّا رَأَى وَقَعَ الْأَسْلُ

وكان الشيخ نجم الدين يقول في الخطبة الثانية عند الترضي على الخلفاء الراشدين : أَلْمَكْنَى بِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَأَبِي حَفْصٍ وَأَبِي عَمْرٍو ، وَلَا يَنْوَنُ بِكَرّاً وَلَا حَفْصاً وَلَا عَمْرّاً ، وهو وجهٌ في أبي بكرٍ حسنٌ وفيما بعده ضعيف .

٥٦٦ - الحسن بن عبد الرحمن*

القاضي الصدر سعد الدين بن الأقفهسي^(٣) ، بهمزة وقاف ساكنة ، وفاء مفتوحة ، و [هاء]^(٤) بعدها سين مهملة ، والناس يقولون : الأقفاسي .

كان ناظر الخزانة بالديار المصريّة ؛ وله مكانةٌ عند السلطان والدولة ؛ وقدم دمشق ، وسَمِعَ الحديث بقراءة الشيخ علم الدين البرزالي ، وعاد إلى القاهرة .

وتوفي رحمه الله تعالى في آخر ذي الحجة ، سنة خمس عشرة وسبع مئة ، وتولى عوضه صاحب ضياء الدين النشائي .

(١) عبارة الوافي : « وجرت بيني وبينه مباحث غريبة وغير ذلك » وفيها خلل .

(٢) هو الحسن بن محمد (ت ٧٢٣ هـ) ، وستأتي ترجمته .

* الدرر : ١٧/٢ .

(٣) نسبة إلى أقفّس ، اسم بلد بمصر بالصعيد من كورة البهنسا ، والعيامة يلفظونها (الأقفاس) . معجم البلدان : ٢٣٧/١ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

٥٦٧ - الحسن بن شرفشاه*

هو الإمام العلامة السيّد ركن الدين أبو محمد العلوي الحُسَيْنِي الأستراباذي ، عالم الموصل ، ومدرس الشافعية ، وهو من كبار تلاميذ نصير الدين الطوسي^(١) .

وكان السيد ركن الدين معظماً عند التتار ، مبعلاً في تلك الديار ، وافرّ الجلالة ، وافي البسالة ، له على التتار إذرارات ، وفي معاملاتهم وجهاتهم قرارات ، بحيث إنها تبلغ في الشهر ألفاً وخمس مئة درهم ، هذا مع الوجهه ، والتلقّي بالرضا لبالكراهه .

وكان فاضلاً مصنفًا ، كاملاً في علومه للأسماع مشتفاً ، يبحث ويدقق ، ويغوص على المعاني ويحقق ، يواخذ^(٢) الحدود والرسوم ، ويشامخ في الألفاظ وموضوعاتها بين أهل الفهوم ، ويمزج المنقولات بالمعقولات ، ويردّ المُطلقات إلى المعقولات ، فلذلك جاءت تصانيفه فجادت ، وعاجت عن طريق الخمول وحادث ، واشتهرت بين الفضلاء الأكابر ، وشكرتها ألسن الأقلام في أفواه المحابر .

ولم يزل على حاله إلى أن هدم الموت ركنه ، ورماه بعد الفصاحة باللكنه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمس عشرة وسبع مئة ؛ وله سبعون سنة .

وكان يوصف بحلم زائد وتواضع كثير بحيث إنه كان يقوم للستاء إذا دخل داره . وتخرّج به جماعة من الأفاضل ، إلا أنه كان لا يحفظ القرآن على ما قيل ، وصنّف

* الوافي : ٥٤/١٢ ، والدرر : ١٦/٢ ، والنجوم : ٢٣١/٩ ، والبغية : ٥٢٨ ، والشذرات : ٣٥/٦ ، واسمه في البغية النجوم : « الحسن بن محمد بن شرفشاه » .

(١) محمد بن محمد بن الحسن (ت ٦٧٢ هـ) ، الوافي : ١٧٩/١ ، والفوات : ١٤٩/٢ .

(٢) كذا ، والمواخدة سعة الخطو وسرعتها .

(شرح مختصر ابن الحاجب)^(١) ، و (شرح مقدمتي ابن الحاجب)^(٢) ، و شرح (الحاوي) في المذهب شرحين^(٣) .

٥٦٨ - الحسن بن عبد الرحمن بن عمر بن الحسن

ابن علي بن إبراهيم بن محمد بن مرام*

التمي الأرمَنتي الشافعي وأرَمَنت ، بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الميم وسكون النون وبعدها تاء ثالثة الحروف^(٤) .

كان حَسَنَ الأخلاق ، يجود في السَّعْدِ والإملاق ، خَيْرَ كريم ، لا يرحل عن مغنى الجود ولا يريم ، تَوَلَّى قضاء أَرَمَنت ، فما أقى قضيةَ إلاً وقيل له : أحسنت .

ولم يزل على حاله إلى أن تجرع كأسَ فَقْدِهِ ، وانحلَّ نظامُ عَقْدِهِ .

وتوفي رحمه الله تعالى بقوص سنة ست وثلاثين وسبع مئة ؛ وحُمِلَ إلى أَرَمَنت ، ودفن بها .

ومولده سنة سبع وثمانين وست مئة بأَرَمَنت .

قال كمال الدين جعفر الأَدَفَوِي : ولما مررت بأَرَمَنت زرت قبره بظاهرها ، ولم أدخل البلد ، وَقُلْتُ^(٥) :

(١) المسمى : « منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل » ، واسم الشرح : حلّ العقد والعقل في شرح

مختصر السؤل والأمل . الكشف : ١٨٥٥/٢ ، وفي الأعلام : ٢١٥/٢ أنه مخطوط .

(٢) الكافية ، وله عليها ثلاثة شروح ، والشافعية . الكشف : ١٠٢١ ، ١٣٧٠ .

(٣) الكشف : ٦٢٦/١ .

* الوافي : ٦٣/١٢ ، والطالع السعيد : ١٩٢ ، والدرر : ١٧/٢ ، وفي الأصل : (سرام) تحريف .

(٤) وهي كورة بصعيد مصر ، معجم البلدان : ١٥٩/١ .

(٥) في الطالع السعيد : « ونظمت ارتجالاً » .

أتينا إلى أرمنت فانهلّ وابلّ
وجاوزتها كرهاً وأيّ إقامة
فتى كان يلقاها يبشر وراحة
ومن شعر قاضي أرمنت المذكور :

بكفك الثقتان الخبر والخبر
وفيك أثبتت الدعوى بينة
يُمْنُكَ يَمْنٌ فَمَ ذَا قَد حَوْت مَلْحَا
ندىً وليناً وتقبيلاً فواعجبا
بأنك البُعَيْتَانِ السُّوْلُ وَالْوَطْرُ^(٢)
أقامها الشاهدان العين والأثر
يَحَارُ فِي وَصْفِهَا الْأَلْبَابُ وَالْفِكْرُ^(٣)
أَمْزَنَةٌ أَمْ حَرِيرٌ أَمْ هِيَ الْحَجَرُ

قلت : شعر قاضي .

٥٦٩ - أبو الحسن بن عبد الله *

ابن الشيخ غانم بن علي بن إبراهيم النابلسي : الشيخ الفاضل السيّد القدوة .

كان رجلاً صالحاً فاضلاً ، عاملاً بما يعلمه من أمر دينه عاقلاً ، غافلاً عما عند غيره
راحلاً ، راجلاً في أمر آخرته ، فارساً في تحصيل ما ينفعه في ساهرته ، كثير السكون ،
والليل إلى أهل الصلاح والركون ، بادي التقشف ، ظاهر الحال ، زائد التكشف ، حسن
المحاضرة لطيف المذاكرة ، كثير الاتضاع غزير الانطباع ، له شعر لطيف ، وكلام في
الطريقة ظريف ، وفكر لا يحيد به عن الصواب ولا يحيف ، وله تطلع وافر إلى علم
الفروع ومسائل الفقه التي تروق ولا تروع .

(١) في الطالع : « لا ملال ولا من » .

(٢) وكنا في الوافي . وفي الطالع : تكفل الثقتان ، وهي أشبه .

(٣) في الطالع : « تحير » .

* لم تقف على ترجمة له .

ولم يزل على حاله إلى أن انفرد عن ذويه قهرا ، وأودع بالرغم منهم قبرا .
وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأربعاء رابع ذي القعدة سنة سبع وسبع مئة .
ومولده بنابلس سنة أربع وأربعين وست مئة .
ودفن بالصاحبة في التربة المعروفة بالشيخ عبد الله الأرموي ^(١) ، وكان قد سمع من
ابن عبد الدائم وعمر الكرمانى .

٥٧٠ - الحسن بن عبد الكريم بن عبد السلام

ابن فتح الغماري المغربي ثم المصري*

الشيخ الإمام العالم المقرئ الجود الصالح المعمر ، بقيّة المُسنّدين أبو محمد المالكي
الملقّن المؤدّب سبط زيادة بن عمران ^(٢) .
كان تَلّا بالروايات على أصحاب أبي الجود ؛ وسمع من أبي القاسم بن عيسى ^(٣)
جُملةً صالحة ، وكان آخر من حدث عنه .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : بل ما روى لنا عنه سواه . وكان عنده
(التيسير) ^(٤) و (التذكرة) ^(٥) و (العنوان في القراءات) ^(٦) وكتاب (المحدث

(١) تعرف بالزاوية الأرموية ، نسبة إلى عبد الله بن يونس الأرموي (ت ٦٣١ هـ) . الدارس : ١٥٢/٢ .

* الوافي : ٧٣/١٢ ، والدرر : ١٩/٢ ، وغاية النهاية : ٢١٧/١ ، والشذرات : ٢٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٨٤/٥ .

(٢) ابن زيادة أبو النجا المصري ، الضريح المقرئ النحوي (ت ٦٢٩ هـ) .

(٣) هو الإمام أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى الشريشي (ت ٦٢٩ هـ) ، السير ٣١٥/٢٢ .

(٤) لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) ، وهو مشهور .

(٥) تذكرة المنتهى في القراءات للشيخ أبي العز محمد بن حسين القلانسي (ت ٥٢١ هـ) الكشف : ٣٩١/١ .

(٦) لأبي طاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأندلسي (ت ٤٥٥ هـ) ، الكشف : ١١٧٦/٢ .

الفصل (١) للرامهرمزي ، وكتاب (الناسخ والمنسوخ) لأبي داود (٢) ، وعدّه أجزاء وسمع (الشاطبيّين) (٣) من أبي عبد الله القرطبي (٤) تلميذ الشاطبي ، وتفرد بمروياته .
وروى عنه العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، والعلامة أبو حيان ، والحافظ فتح الدين بن سيد الناس والوافي وابن الفخر (٥) .
وكان شيخاً متواضعاً ، مُزجياً لأوقاته مدافعاً ، طيّب الأخلاق ، يرحّ فيما ارتداه من الجديّد والأخلاق .

ولم يزل على حاله إلى أن نقص سبط زياده ، وعدم الناس من الرواية والإفاده .
وتوفي رحمه الله تعالى بمصر سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .
ومولده سنة سبع عشرة وست مئة .

٥٧١ - الحسن بن علي*

الشيخ الإمام الفاضل بدر الدين ، أبو علي بن عَضْد الدولة الحسن أخي المتوكل على الله ملك الأندلس أبي عبد الله محمد ابني يوسف بن هود .
كان الشيخ فاضلاً قد تَفَنَّن ، وزاهداً قد تَسَنَّن ، وعاقلاً استغرق فراح غافلاً

-
- (١) في الأصل : « الفاضل » تصحيف ، واسمه : المحدث الفاضل بين الراوي والداعي للقاضي أبي محمد حسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (ت ٣٦٠ هـ) ، الكشف : ١٦١٢/٢ ، وهو مطبوع .
(٢) سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، الكشف : ١٩٢١/٢ ، والسير : ٢٠٣/١٣ .
(٣) اللامية والرائية . انظر : غاية النهاية : ٢٢/٢ .
(٤) محمد بن عمر المقرئ (ت ٦٣١ هـ) . العبر : ١٢٥/٥ .
(٥) أغلب الظن أنه شمس الدين محمد بن عبد الرحمن عاش خمساً وخمسين سنة (ت ٦٩٩ هـ) ، العبر : ٤٠٣/٥ .
* الوافي : ١٥٦/١٢ ، والفوات : ٣٤٥/١ ، والعبر : ٣٩٧/٥ ، والشذرات : ٤٤٦/٥ ، وعقد الجمان : ١٠٩/٤ ، وفيات (٦٩٩ هـ) ، وتذكرة النبیه : ٢٣١/١ .

تجن ، عنده من علوم الأوائل فنون ، وله طلبية وتلاميذ وأصحاب وزبون ، فيه انجباع عن الناس واتقباض ، وانفراد وإعراض عما في هذه من الأعراض .

وكان لفكرته غائباً عن وجوده ، ذاهلاً عن بخله وجوده ، لا يبالي بما ملك ، ولا يدري أية سلك ، قد اطرح الحشمه ، وذهل عما ينعم جسمه ، ونسي ما كان فيه من النعمة ، يلبس قُبَع لَبَاد ينزل على عينيه ، ويغطي به حاجبيه ، ويواري جسده بما يقيه ، ولا يحذر برداً ولا حرّاً ، ولا يتقيه .

وكان يمشي في الجامع الأموي وسبابته قد رفعها^(١) ، وينظر في وجوه الناس كأنهم ذُرُوءَ ما فَرَعَهَا^(٢) .

ولم يزل على حاله إلى أن بَرَقَ بَصَرُهُ ، وألجمه عِيُهُ وَحَصَرُهُ .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة ، وصلى عليه قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، ودفن بسفح قاسيون .

ومولده بمَرْسِيَةِ سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

وكانت وفاته في شعبان .

أخبرني العلامة أثير الدين أبو حيان ، قال : رأيته بمكة وجالسُهُ ، وكان يَظْهَرُ منه الحضور مع من يكلمه ، ثم تظهر الغيبة منه ، وكان يلبس نوعاً من الثياب ، مما لم يُعْهَدَ لُبْسُ مثله بهذه البلاد ، وكان يَذكرُ أنه يَعْرِفُ شيئاً من علوم الأوائل . وكان له شعرٌ أَنشَدْنَا له أبو الحكم بن هاني صاحبنا ، قال : أَنشَدْنَا أبو علي الحَسَنَ بن عضد الدولة لنفسه :

(١) كَالْمَشْهَد ، كما في الوافي .

(٢) أي ما بلغ أعلاها .

خَضْتُ الدُّجْنَةَ حَتَّى لَاحَ لِي قَبَسٌ وَبَانَ بَانَ الْحِمَى مِنْ ذَلِكَ الْقَبَسِ ^(١)
 فَقُلْتُ لِلْقَوْمِ: هَذَا الرَّبْعُ رَبْعُهُمْ وَقُلْتُ لِلْسَمْعِ: لَا تَخْلَوْ مِنْ الْحَرَسِ
 وَقُلْتُ لِلْعَيْنِ: غَضِي عَنْ مُحَاسِنِهِمْ وَقُلْتُ لِلنَّطْقِ: هَذَا مَوْضِعُ الْحَرَسِ

وقال الشيخ شمس الدين الذهبي : هو الشيخ الزاهد الكبير أبو علي بن هود المرسى أحد الكبار في التصوّف على طريقة الوَحْدَةِ ، وكان أبوه نائب السلطنة بها عن الخليفة الملقب بالمتوكل ؛ حَصَلَ لَهُ زُهْدٌ مُفْرَطٌ وفَرَاغٌ عن الدنيا ، وسَكْرَةٌ عن ذاته وَغَفْلَةٌ عَنْ نفسه ، فَسَافَرَ وَتَرَكَ الحِشْمَةَ ، وصحب ابن سبعين ، واشتغل بالطب والحكمة ، وزهديات الصوّفة ^(٢) ، وخلط هذا [بهذا] ^(٣) وحجَّ ودَخَلَ الين ، وقَدِمَ الشام .

وكان غارقاً في الفكر عديم اللذة ، مواصل ^(٤) الأُحْزَانِ ، فيه انقباض عن الناس ، حُمِلَ مَرَّةً إِلَى والي البلد وهو سَكْرَانٌ ، أخذوه من حارة اليهود فأحسن الوالي به الظنَّ وسَرَّحَهُ ، سقاه اليهود خُبثاً منهم لِيَغْضُؤاً مِنْهُ .

قلت : لأن اليهود نالهم منه أذى ، وأسلم على يده منهم جماعة ، منهم سعيد وبركات . وكان الشيخ يحب الكوارع المغمومة ^(٥) فدعوه إلى بيت واحد منهم وقدموا له ذلك فأكل منه ، ثم غاب ذهولاً ، على عادته ، فأحضروا الخمر فلم ينكر حضورها وأداروها ، ثم ناولوه منها قَدْحاً فاستعمله تَشَبُّهاً ^(٦) بهم ، فلما سكر أخرجوه على تلك الحالة ، وبلغ الخبر إلى الوالي ، فركب وحضر إليه وأردفه خُلْفَه ، وبقي الناس خلفه يتعجبون من أمره ، وهو يقول لهم بعد كل فترة : أي وأيش قد جرى ، ابن هود

(١) في عقد الجمان : « فقلت للقلب » .

(٢) في الوافي : « الصوفية » .

(٣) زيادة من الوافي والفوات ، يقتضيها السياق .

(٤) في الوافي : « متواصل » .

(٥) الغمة : الرأس .

(٦) في الفوات : « تشبيهاً » .

شرب^(١) العَقَار ، يعقد القاف كاملاً في كلامه ، وفي ذاك يقول علاء الدين علي الوادعي وتقلت ذلك من خطه :

قالوا ابنُ هودٍ قد غدا سكرانٌ من خمر المَازِفِ
وأعيَـذُه لَكِنَّـه سكرانٌ من خمر المَعارِفِ

وكان اليهود يشتغلون عليه في كتاب (الدلالة) ، وهو مصنف في أصول دينهم للرئيس موسى^(٢) . قال الشيخ شمس الدين الذهبي ، قال شيخنا عماد الدين الواسطي : أتيتُه وقلت له : أريد أن تُسَلِّكني ، فقال : من أي الطرق : الموسوية^(٣) أو العيسوية أو الحمديدية ؟ وكان إذا طلعت الشمس يستقبلها ويصلِّب على وجهه ، وصحبه الشيخ العفيف عمران الطبيب وسعيد المغربي وغير واحد من هؤلاء .

قلت : الذي بلغني عنه ما أخبرني به شيخنا نجم الدين الخطيب الصفدي . قال : كان بعض الأيام يقول لتلميذه سعيد : يا سعيد أرني فاعلَ النهار ، فيأخذ بيده ويطلع به إلى سطح ، فيقف باهتاً إلى الشمس نصف نهار .

وكان يُوَضِّع في يده الجمر فيقبض عليه ذهولاً عنه فإذا أحرقه رجع إليه حِسُّه ، فألقاه من يده . وكان تحفر له الحفرة في طريقه فيقع فيها ذهولاً عنها وغيبة .

ومن شعره :

فؤادي من محبوب قلبي لا يخلو وسرِّي على فكري محاسنه تجلو
ألا يا حبيب القلب يا مَنْ بذكره على ظاهري من باطني شاهدٌ عدلٌ
تجلَّيت لي منِّي علَيَّ فأصبحتُ صِفاتي تنادي : ما محبوبنا مثلُ

(١) في الوافي : « يشرب » .

(٢) هو موسى بن ميمون ت (٦٠١ هـ) ، واسم كتابه : دلالة الحائرین . (الأعلام : ٣٢٩٧) .

(٣) في الوافي والفوات : « من الموسوية » .

أورِّي بذكر الجزع عنه وبأنه
وأذكر سعدى في حديثي مغالطاً
سوى معشر حلّو النظام وفرّقوا الث
جنانين إلا أن ذلّ جنونهم
ومن شعره أيضاً^(٤) :

سلام عليكم صدّق الخبر الخبر
خذوا خبري عني بقيت مشاهدا
خذوا عن غريب الدار كل غريبة
عليك سلام الله يا خير قادم
عليك السلام إسلم وقيت الردى قدّم
أتيتكم مستقضيّاً دين وعديم
اذكركم عهداً لنا طال عهده
فلا تحسبوا أني نسيت عهدكم
أنسى عهداً بالحمى طاب ذكرها
تحيةك عنا الشمس ما أشرقت ضحا
تحيةك عنا كلّما ذرّ شارق
تحيةك عنا الريح بالروح قد بدت
ألا فاعجبوا من أمرنا إنه امرؤ

فلم يبق قال القس أو حدث الخبر
ذرّوا ما يقول الغرّ أو يفهم الغمر
وحقكم من دونها حجر الحجر
على خير مقدّم عليه لك البشر
على غابر الأيام لا خانك الدهر
فمن قولهم عند القضا يعرف الحر
وقولكم صبراً وقد فني الصبر
فإني وحق الله عبّدتكم الحر
ومثلي وفي لا يليق به العذر^(٥)
يحييك عنا ما تبدى لك البدر
يحييك عنا من غائمه القطر
يحييك عنا من منابته الزهر
ألا فاعجبوا للقل من بعضه الكثير

(١) في الفوات وعقد الجمان : « وبانة » . وفي عقد الجمان : فلا البان .. الويل .

(٢) لم يذكره صاحب عقد الجمان .

(٣) في العقد : « على أبوابهم » .

(٤) في تذكرة كلنبيه أربعة أبيات من هذا النص .

(٥) في تذكرة النبيه : « أنسى » .

ومنه :

عَلِمُ قَوْمِي بِي جَهْلُ إِنَّ شَأْنِي لِأَجَلُ
 أَنَا عَبْدُ أَنَا رَبِّ أَنَا عِزٌّ أَنَا ذُلُّ
 أَنَا دُنْيَا أَنَا أُخْرَى أَنَا بَعْضٌ أَنَا كُلُّ
 أَنَا مَعْشُوقٌ لِدَاقِي لَسْتُ عَنِ الدَّهْرِ أَسْلُو
 فَوْقَ عَشْرِ دُونَ تَسَعٍ بَيْنَ خَمْسٍ لِي مُحَلُّ^(١)

٥٧٢ - حسن بن علي بن محمد*

الأمير عماد الدين بن النشائي ، والي دمشق .

كان ناهضاً كافياً ، خبيراً بأدواء الولايات شافياً ، له معرفةٌ بسياسات البلد ،
 وعنده على مكابدة أهوالها صبرٌ وجلد .

كان أولاً صائغاً ، وتجرع الذل سائغاً ؛ ثم إنه خدم جندياً وتولّى في البر ، وصبر
 على ما في ذلك من الخير والشر ، وتقلب به الدهر ، وقفز إلى البحر من النهر ، ثم
 تولّى بر دمشق مدّة ، وقام لها بما تحتاج إليه من عدّة وعدّة ، ثم تولّى المدينة ، وجعل
 مواعده يوم الزينة ، ثم أعطى طبلخاناه ، وصارت مباعدة السعادة منه مداناه .

ولم يزل على حاله إلى أن غصّ بها الحلقوم ، وفرغ أجل الكتاب المرقوم .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة بالبقاع ، وحمل إلى
 دمشق ، ودفن بتربته بقاسيون^(٢) وكان من أبناء الحمّسين .

(١) في الأصل : « سيع » ، وأثبتنا ما في الوافي والقوات .

* الوافي : ١٥٩/١٢ ، والعبر : ٣٩٧/٥ ، والشذرات : ٤٤٧/٥ ، والمنهل الصافي : ١٠٢/٥ .

(٢) وهي التربة النشائية غربي الروضة بسفح قاسيون . الدارس : ٢٣١/٢ .

وكان قد تولى مدينة دمشق في أول دولة الناصر محمد في صفر سنة ثلاث وتسعين وست مئة عوضاً عن الأمير عز الدين بن أبي الهيجاء .

٥٧٣ - حسن بن علي الصدر*

الرئيس الأصيل عزيز الدين أو محمد بن العدل شرف الدين ابن القاضي عزيز الدين محمد ابن القاضي العلامة عماد الدين محمد بن محمد بن حامد بن محمد بن عبد الله بن علي بن محمود بن هبة الله بن أله القرشي الأصبهاني المعروف جدّ والده بالعباد الكاتب .

أوصى أن يفرّق على الجماعة الذين يحضرون دفنه خلوى صابونية على برزق ، ففعل ذلك ، وأكل منه الأغنياء والفقراء .

وتوفي رحمه الله تعالى في تاسع شوال سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

ومولده في ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

وكان جيداً مشكور السيرة ، عارفاً بصناعة الكتابة مبرزاً فيها ، خدم في عدة جهات منها عمالة الخزانة ، ثم نقل منها إلى استيفاء الخزانة .

وكان يتلو القرآن العظيم دائماً ، وحجّ وجاور سنة ، وسمع من ابن عبد الدائم ، والخطيب عماد الدين بن الحرساني والزين خالد النابلسي الحافظ ، وابن أبي اليسر ، ويوسف بن مكتوم وغيرهم . وشيوخه أكثر من خمسين . وله إجازة من الصدر البكري ، وإبراهيم بن خليل وابن السروري^(١) ، وجماعة .

* الدرر : ٢٦٧٢ .

(١) أبو طالب تمام السروري الدمشقي (ت ٦٥٨ هـ) ، الشذرات : ٢٩٢/٥ .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : خرّجت له جزءاً عوال شيوخه^(١) ، وجزأين آخرين بالسّماع والإجازة .

٥٧٤ - حَسَن بن علي بن عيسى بن الحسن *

الإمام المحدث شرف الدين اللّخمي المِصْري المعروف بابن الصِّيرفي ، شيخ الحديث بالفارقانية^(٢) .

كان فقيهاً معيداً ، محدثاً مفيداً ، خيراً صدوقاً ، مكباً على الرواية صَبوحاً ، وَغَبوقاً ، حَسَن الأخلاق متواضعاً ، ساكناً خالياً من الشرِّ وإِدْعا ، مليح الشَّيْبَةِ ، ظاهرَ الهَيْبَةِ .

سمع من عبد الوهاب بن رواج ، وأبي الحسن بن الجَمَيزي ، ويوسف السّاوي ، وفخر القضاة ابن الحَبَّاب ، والمؤتمن بن قَميرة والزكي عبد العظيم ، والرَّشيد العطار ، وسمع بالإسكندرية من سبط السِّلْفي وجماعة .

قال الشيخ شمس الدين : سمعت منه .

ولم يزل على حاله إلى أن رُئي ابن الصيرفي وقد تَبَهَّرَج ، ودخل في قبره وتُدَحَّرَج .

وتوفي رحمه الله تعالى : سنة تسع وتسعين وست مئة ، وهو من أبناء الثمانين .

(١) كذا في الأصل ، وهي مضطربة . وفي الدرر : « وخرّج له البرزالي مشيخة بالسّماع في جزأين ، وأخرى تشتمل على عواليه » .

* الوافي : ١٦٠/١٢ ، والعبّر : ٣٩٧/٥ ، وحسن المحاضرة : ١٦٢/١ ، والشذرات : ٤٤٧/٥ ، والمنهل الصافي : ١٠٢/٥ .

(٢) أنشأها الأمير آقسنقر الفارقاني السلحدار جوّاً باب سعادة بالقاهرة (ت ٦٧٠ هـ) ، النجوم : ٢٦٢/٧ ، والوافي : ٣١٠/٩ .

٥٧٥ - حسن بن علي بن أبي بكر بن يونس*

بدر الدين أبو علي الأمين الأنصاري الدمشقي القلانسي بن الحلال ، بالحاء المعجمة
وتشديد اللام .

كان أحد المكثرين ، اعتنى بأمره خال أمّه المحدث ابن الجوهري^(١) .

روى شيئاً كثيراً بدمشق وحلب ومصر ، وكان يخرج أميناً على القرى ، وله فهمٌ
وعنده فضل^(٢) ما .

سمع من ابن اللّتي ، وابن المقير ، ومكرم ، وأبي نصر بن الشيرازي^(٣) ، وجعفر
الهمداني ، وكريمة الزبيرية^(٤) ، وسالم بن صصري ، وخلق كثير .

وحضر ابن غسان والإربلي^(٥) . وأجاز له ابن روزبة ، والسهروردي
وأبو الوفاء بن منده . وله إثبات في ستة أجزاء .

وروى عنه المزي وابن تيمية ، وابن البرزالي^(٦) ، وغيرهم .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وسبع مئة^(٧) ، ومولده في
صفر سنة تسع وعشرين وست مئة .

* الوافي : ١٧٥/١٢ ، والدرر : ٢١/٢ ، والشذرات : ٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٩٨/٥ ، وذيول العبر : ٢٢ .

(١) أبو العباس أحمد بن محمود بن الجوهري (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ٢٦٤/٢٣ .

(٢) في الوافي : « فضيلة » .

(٣) في الوافي : « أبي نصر الشيرازي » .

(٤) هي كريمة القرشية ، سلفت ترجمتها .

(٥) هو الفخر الإربلي ، محمد بن إبراهيم ، سلفت ترجمته .

(٦) في للنهل : « سمع منه الحافظ البرزالي وخرّج له مشيخة » .

(٧) في الأصل : « وستمة » ، سهو .

٥٧٦ - الحسن بن علي بن أبي الحسن بن منصور*

الشيخ الصالح الزاهد ، بقیة المشايخ ابن الشيخ علي الحريري .

كان شيخ الطائفة^(١) وزعيمهم وساقهم ونديمهم ، مليح الشببة تقيها ، يعرف الأحوال ورقبها ، حسن الخلق ، محبوباً إلى الخلق ، له مكانة عند الأكابر ، وحرمة عند أولي السيوف والمجاهر ، وربما يأتي بكرامات ، ويظهر بأحوال للعقل فيها غرامات .

قَدِمَ إلى دمشق مرّات ، ورأى فيها أوقات مسرات ، وكان مقامه في قريته بُسر^(٢) ، ويكابد فيها العسر بعد اليسر .

ولم يزل على حاله إلى أن أدرج الحريري في قُطُن أكفانه ، وأصبح والتراب ملء أجفانه .

ووفاته رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة إحدى وعشرين وست مئة .

٥٧٧ - الحسن بن علي**

الشيخ الإمام الفقيه الصالح الناسك الأسواني أخو الشيخ الإمام نجم الدين الحسين^(٣) .

كان يؤم بالمدينة الشريفة ، ويشاهد أنوارها المنيفة ، حجّ قرّضه وجاء إليها ،

* الوافي : ١٦٢/١٢ ، وتالي الوفيات : ٦٥ ، والبداية والنهاية : ٣٥٣/١٢ ، والمنهل الصافي : ١٠٤/٥ .

(١) الحريرية ، كما في الوافي ، والمنهل .

(٢) من أعمال حوران . معجم البلدان ٤٢٠/١ . وتعرف اليوم : (بصر الحرير) .

** الدرر : ٢٩/٢ ، والطالع السعيد : ٢٠٧ ، وفيه وفاته : (ت ٧٢٣ هـ) .

(٣) المعروف بابن سيد الأهل ، ستأتي ترجمته .

وأقبل بجمعه عليها ، فأقام بها ثماني عشرة سنة ملتزماً أن لا يخرج من بابها ولا يشتغل بشيء من أسبابها .

وكان يشغل بالحرم الشريف في الفقه ^(١) ، إلى أن حلت أسوء ^(٢) الموت بالأسواني ، وانتقل إلى السعد الباقي بعد الذل الفاني .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

٥٧٨ - الحسن بن علي بن محمود*

الأمير الكبير بدر الدين أخو الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة .

كان له إقطاع كبير بحماه ، ونعمة جلييلة قد تغشت حماه ، وأموالاً كثرت النجوم ، وكبرت أنواء الغيوم ، مع ما عنده من النظر في العلوم ، والمشاركة في الفضل لذوي ^(٣) الألباب والفهوم ، وهو كان أكبر من أخيه ، وإنما تقدم لأنه خدم الناصر لما كان في الكرك ولم يلو الأمير بدر الدين عليه ^(٤) ، فقدّمه وجعله صاحب حماة .

وصلي عليه غائباً بدمشق ، في ذي الحجة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

٥٧٩ - الحسن بن علي بن محمد بن عدنان بن شجاع**

الشيخ الإمام بدر الدين الحرّاني المعروف بابن المحدث المجدد الكاتب .

(١) عبارة الدرر : « وأم في الحراب الشريف ، وشغل الناس بالفقه » .

(٢) جمع سوء ، وهو العذاب .

* تاريخ أبي الفداء : ٩٥/٤ ، والدرر : ٢٨/٢ ، والمنهل الصافي : ١٠٧/٥ ، والنجوم الزاهرة : ٣٦٧/٩ .

(٣) في الأصل : « بل لذوي » ، ولا وجه لـ (بل) ههنا .

(٤) لوى عليه : عطف .

** الوافي : ١٧٨/١٢ ، والدرر : ٢٥/٢ ، وفوات الوفيات : ٣٤٨/١ .

كان قد كتب على الشيخ نجم الدين بن البصيص^(١) ، فيقال : إنه مظهر من تلاميذه في حُسْن الكتابة مثل بدر الدين المذكور ، ومثل الشيخ كال الدين محمد بن علي بن الزملكاني^(٢) .

كان أديباً فاضلاً في فنه عجيماً ، ينظم وينثر ، ويجري في جَلْبَةِ البلاغة ولا يَعُثِرُ ، كتب عليه من أهل دمشق جماعة كثيرون ، يحركون نوافجَ الثناء عليه ويشيرون ، وكان قد أحمل نفسه بالتعليم ، ورضي من الدهر بالتسليم ، فعزّ بالقناعه ، وشرف نفسه عن التجشم والرقاعه ، ولم يذلّ نفسه على أحد بالترداد ، ولا دخل مع أبناء الدنيا في جملة الأعداد ، على أنه له ملكٌ يدخله منه كفايته ، ويصل إليه من التجويد ما هو نهايته ، وكان إذا كتب كَبْتُ ، وعثرت الرياح من خلفه وكَبْتُ ، وأراك بأقلامه الروض ، إذا نَبَت ، والسيوف إذا كَلَّت عن مضارب مداه ونَبَت .

ولم يزل على حاله إلى أن رُمي ابن المحدث من الحين بمجادثه ، وحُكِمَ في تركته أيدي وارثه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الجمعة رابع ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

كان الملك الأوحَد^(٣) يصحبه ، فتحدث له مع الأفرم أن يَدْخُلَ ديوان الإنشاء فرَسِمَ له بذلك ، فأبى الشيخ بدر الدين ذلك ، فلامَهُ الأوحَد على ترك ذلك . فقال : أنا إذا دخلت بين الموقعين ما يرتب لي أكثر من خمسة دراهم كل يوم ، وما يجلسونني فوق أحد من بني فضل الله ، ولا فوق بني القلانسي ، ولا فوق بني غانم ، فما أكون إلا دون هؤلاء ، ولو تكلمت قالوا : أبصر المصفعة ، واحد كان فقيه كتاب ، قال يريد يقعد فوق السادة الموقعين^(٤) ، وإذا جاء سفر ما يُخْرِجُون غيري ، فإن تكلمتُ قالوا :

(١) موسى بن علي بن محمد ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) هو شادي بن داود ، وستأتي ترجمته .

(٤) في الوافي : « من الموقعين » .

أبصر المصفعة ، يحتشم^(١) عن السفر في خدمة ركاب مولانا أمير الأمراء ، وهذا أنا كل يوم يحصل لي من التكتيب الثلاثون درهماً والأكثر والأقل ، وأنا كبير هذه الصناعة ، وأتحكم في أولاد الرؤساء والأكابر ونظم في ذلك :

لائي في صناعتي مستخفاً	بي إذا كنت للعلی مُستحقاً ^(٢)
مساغزال يقبل الكف مني	بعد بري ولم يضع لي حقاً
مثل تيس أبوس منه يداً قد	صبرت من ندى لأشال رزقاً ^(٣)
فيولي عني ويلوي عن رد	سلامي ويزدريني حقاً ^(٤)
فاقتصد واقتصر عليها فما عند	سد إله السماء خير وأبقى

وقال أيضاً :

غدت بتعليم الصغار مؤمراً	وحولي من الغلمان ذوالأصل والفصل ^(٥)
يقبل كفي منهم كل ساعة	ويعطوني شيئاً أعم به أهلي
وذاك بأن أسعى إلى باب جاهل	أقبل كفي به أحب إلى مثلي
أمير إذا ميّزت لكن بلا حجي	وكم قد رأينا من أمير بلا عقل ^(٦)

قلت : نظم عجيب التركيب ، والأول جيد وفيه لحن ، لكنها خفية .

وأنشدني الشيخ شمس الدين محمد بن بادي الطيبي^(٧) ، قال : أنشدنا من لفظه

لنفسه بدّر الدين بن المحدث :

(١) في الوافي والفوات : « قال يحتشم » .

(٢) في الوافي : « بي إذ » .

(٣) في الأصل : « أبوس يداً منه قد » ، ولا يستقيم ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) في الأصل : « فيولي » ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٥) في الوافي : « مؤجراً » .

(٦) في الأصل : « ولا قد » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٧) ستأتي ترجمته في موضعها .

كن عاذراً شاتم المؤدب إذ
لأنه ناكه على صغر
وكل فليس حواه يأخذه
تيك وأخذ والضرب بعدها
يأخذ من عرضه ويشتمه
ومن ينسبك الصغير يظلمه
وكل وقت بالضرب يؤلمه
والحق أحدى الثلاث يضره

قلت : ما جزم الشرط ، ولا جوابه في الثاني ، ويمكن توجيه إعرابه .

[ومن شعره أيضاً : ^(١)]

بقل هو الله أحد
وناظراً وسنانه
أقول لما زارني
من كاسه وخده
من حمل ثقل ردفه
ولا أثنى من لينه
كالظبي إلا أنسه
في جسد من عنفي
أعبد خداً قد وقى
عليه طرقي مارقاً
أنجز حر ما وعد
تخال ورداً قد ورد
ما قام إلا وقى
إلا وقد قلت أنقذ
يفعل أفعال الأسد
عليه جبل من مسد

ومن شعر :

وقد عنفوني في هواه بقولهم
فقلت لهم : كفوا فإنني واقع
ستطلع منه الذقن فاقصر عن الحزن ^(٢)
وحقكم بالوجد فيه إلى الذقن

ومن شعره فيمن يحبها ، واسمها فرحة ^(٣) :

مما فرحتي إلا إذا واصلت
فرحة بين الكس والكاس

(١) زيادة من الوافي .

(٢) في الأصل : « على الحزن » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهي أشبه .

(٣) هي فرحة بنت المحابلة المغنية ، كما في القوات .

لأن أراها وهي في مجلس ما بين طبّاخي وعَدّاس

وشعره كثير ، سقت منه جانباً جيداً في ترجمته في تاريخي الكبير ، وخمس لامية العجم .

واجتمعت به غير مرة وأخذت من فوائده ، وكان له مكتبٌ برا باب الجاييه ^(١) ، ويكتب أولاد الرؤساء في المدرسة الأمينية بجوار الجامع الأموي ، وكان كتب إلي قصيدة في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة لامية ملزومة وأجبتُه عنها بمثلها ، والتزمت فيها الميم قبل اللام ، وقد ذكرتها في (ألحان السّواجع) .

٥٨٠ - الحسن بن عليّ بن حمد بن حميد بن إبراهيم بن شنار*

بفتح الشين والنون ، وبعد الألف راء. البليغ الناظم الناثر بدر الدين الغزي .

شاعرٌ إذا قلت شاعر ، طاف بكعبة البلاغة وعظم تلك المشاعر ، يغوصُ على المعنى ، ويجزّل الألفاظ ويحكم المبنى ، وينشدك القطعة ، فتحسب أنه صَرَبَ المثلث أوجسّ المثنى ، متين التركيب بليغ المعاني ، فصيح الألفاظ ، إلا أنه يستعمل الغريب فيما يعاني ، فيثقل على السمع بذاك وروده ، وما تروق رياحينه ولا وروده .

وكتب المنسوب مع السّرعه ، وراعى الأصل في وضع الحرف وقّرعَه ، إلا أنه كان ذا خُلُق فيه زَعَارَه ، وبادرة ليس وراءها حقد فهي في السرمعَارَه ، فنفرت منه بعض النفوس ، ولو خلا منها وُضِعَ على الرؤوس .

ودخل ديوان الإنشاء ، فكان فيه بالشام شامه ، وصِدِّقُ هذه الدعوى أنه كان يحكي

(١) من أبواب دمشق المشهورة .

* الوافي : ١٨٤/١٢ ، والدرر : ٢٢/٢ ، والنهل الصافي : ١١٠/٥ ، وفيه : « ابن أحمد بن حميد ... بن شنان » . والنجوم الزاهرة : ٢٨٨/١٠ .

بلونه مِدَادَه وَأَقْلَامُهُ ، ولكن كان حُرَّ النفس أُنْيَاهُ ، سليم الطويّة غبِيَّهَا^(١) ، لا يكذب لِسَانُهُ ، ولا يطوي الغلَّ جَنَانُهُ .

ولم يزل على حاله إلى أن صادته مَخَالِبُ المنيّه ، وَعَدِمُ الناس فواكه نَظْمِهِ الجَنِيّه .
وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الخميس حادي عشر شهر رجب الفرد ، سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة ستّ وسبع مئة .

ودخل الديوان في سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وكان قد وضع رسالة أنشأها نظماً ونثراً وسَمَّهَا بـ (قريض القرين) ، عارض بها ابن شهيد في رسالة (التوابع والزوابع) .

وغالب نظمه أنشدني إياه بصفد ودمشق والقاهرة ، كتب إليّ بالقاهرة :

لَيْلُ التَّجَنُّبِ مِنْ أَجْفَانِنَا شَهْبُهُ	وَمُجْدِبُ الدَّمْعِ مَا كَانَتْ دَمًا سَحْبُهُ ^(٢)
مَالِنُنُوْى أَطْلَعَتْ فِي غَارِبِ قَمَرًا	يَقْلُهُ الْبَانُ يَوْمَ الْبَيْنِ لَا غَرْبُهُ
تَنْظَمْتُ عِبْرَاتِي فِي تَرَائِبِهِ	عَقْدًا كَمَا انْتَثَرَتْ فِي وَجْنَتِي سَحْبُهُ
يَا مَنْ وَفَى الدَّمْعُ إِذْ خَانَ الْوَدَادَ لَهُ	عَدُّ الْحَبِيبِ وَفَاءُ الدَّمْعِ أَوْ سَبَبُهُ
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ صَبْرِي لَا يَذِمُّ وَقَدْ	مَضَى وَفِي ذِمَّةِ الْأَشْوَاقِ أَحْسَبُهُ
يَا نَازِحًا سَكَنَ الْقَلْبَ الْخَفِيقَ وَمِنْ	إِحْدَى الْعَجَائِبِ نَائِي الْوَصْلِ مَقْتَرِبُهُ
مَالَا حَبْرٍ وَلَا نَاحَتْ مَطْوُوقَةٌ	وَلَا تَنَاضَحَ مِنْ بَابِ الْحِمَى عَذْبُهُ ^(٣)
إِلَّا تَسَاعَدَ قَلْبِي وَالدَّمْعُ وَأَخْنَا	ءُ الضَّلُوعِ عَلَى شَوْقٍ عَلَا لَهْبُهُ ^(٤)

(١) من التغبىة ، وهي الستر .

(٢) في الوافي : « ومجدب الربع » ، وهي أشبه .

(٣) في الوافي : « من باب » .

(٤) في الوافي : « ألا تساعد » ، وهي بعيدة .

يَفْتُكَ إِلَّا لَهَيْبُ الْوَجْدِ لَا شَبَّهَ
 قَدْ سَاءَ إِذْ رَامَ تَشْبِيهًا بِهِ أَدْبَهُ
 مِنَ الْقَنَا أَوْ بَمَا أَصَمَّتْ بِهِ هَدْبُهُ ^(١)
 مَا قَوْسُ حَاجِبِهِ أَغْنَتْهُمْ حُجْبُهُ
 وَهُمْ أَسَدُ الشَّرِّ الْمُسْلُوبُ لَا سَلْبَهُ ^(٢)
 كَأَسَا لَمَّا بَاتَ يَحْكِي ثَغْرَهُ حَبَبُهُ
 عَنِ الْكَتَائِبِ أَغْنَتْ فِي الْوَرَى كُتُبُهُ ^(٣)
 آثَارَهُ فَقُلْتُ أَجْبَالَهُمْ كُتُبُهُ ^(٤)
 إِذَا أَتَى غَيْرُهُ بِالشُّوْكِ يَحْتَطِبُهُ
 كُلٌّ يُخَلِّقُ ثَوْبَ الْمَجْدِ مُخْتَضِبُهُ ^(٥)
 إِلَى أَجَلٍ مَعَانِي الْقَوْلِ تَقْتَضِبُهُ
 حُشَاءَ مَنْحَرِفٍ لَامَاتُهُ يَلْبُهُ ^(٦)
 سَبَابَةٌ لَعْدَوْ وَقَدْ وَهَى سَبَبُهُ
 وَارَمَ الْفَجَاجَ لِيَسِرَ نَجْحُهُ طَلْبُهُ ^(٧)
 مَهْرُهُ حِينَ يُتْلَى مَدْحُهُ طَرَبُهُ
 بَيْتًا تَمَدُّ عَلَى هَامِ السَّهَاءِ طُنْبُهُ ^(٨)

حَكِيَتْ يَابَرْقُ قَلْبِي فِي الْخَفُوقِ وَلَمْ
 مِنْ لِي بِأَيْغِيدِ بَذْرِ التَّمِّ حِينَ بَدَا
 مَمْنَعٌ بِالَّذِي ضَمَّتْ غَلَائِلُهُ
 بَيْنَ الْأَسْنَةِ مَحْجُوبٍ وَلَوْ قَدَرُوا
 سَلْبَنِي بِالضَّنَى لَحَمِي لَوَاحِظُهُ
 لَوْ لَمْ يَكُنْ رَيْقُهُ خَمْرًا وَمَرْشَفُهُ
 كَذَا ابْنُ أَيْبِكَ لَوْلَا مَا حَوَاهُ لَمَّا
 ذَاذَ الْأُولَى عَنْ طَرِيقِ الْمَجْدِ ثَمَّ نَحَا
 وَابَّ يَقْطِفُ مِنْ أَغْصَانِهِ ثَمْرًا
 أَقْلَامُهُ فَرَحًا بِالْفَضْلِ أَنْغَلَهَا
 تَكَادَ أَلْسُنُهَا تَمْتَدُّ مِنْ شَغْفٍ
 يِرَاعُهُ رَوَّعَتْ لَامَاتٍ أَحْرَفُهَا
 أَضَحَتْ مُسَبِّبَةُ الْأَرْزَاقِ حِينَ حَكَتْ
 يَا مَنْ يُجِيلُ قِدَاحَ الْمَيْسِرِ إِرْمَ بِهَا
 وَاقْصِدْ جَنَابَ صِلَاحِ الدِّينِ تَلَقَّ فَقَيَّ
 بَنَتْ عَلَى عُنُقِ الْعَيُوقِ هَمَّتُهُ

(١) في الوافي : « وما » .

(٢) فاد من قول أبي تمام :

إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ الْغَابِ هَمَّتُهَا

(٣) في الوافي : « ابن ابنك في الوغى » .

(٤) في الوافي : « أحبالهم هضبه » .

(٥) في الوافي : « خلَّق » .

(٦) اليلب : هي الدروع من الجلد .

(٧) في الوافي : « لتيه نجه » .

(٨) العيوق : نجم أحر مضيء في طرف المجرة .

يَوْمَ الْكَرْهَةِ فِي الْمُسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

قد أتعبت راحتاه الكاتبتين ولم
فأعجب لها راحة تسقي اليراع ندى
تناسب الدر من ألفاظها وإلى
يرضى ويفض في حالي ندى وردى
رضاه للطالبي جدواه ثم على
فكتبت أنا إليه أشكره (٣) :

أغصن قد أقلت بانه كُتِبَهِ
أم روض حزن جديد التبت قد نمت
أم جانب الأفق قد دجت حنادسه
أم نبت فكر جلاها لي أخو أدب
قريضه تعرف الأسماع جوهره
فلو همى الشعر قطراً قبله لغدا
ونثره لم يداخل مسمعي أحد
وخطه مثل صدغ زرقة يد ال
لوصفه شهادة (٤) بالحسن قد شهدت
ولابن مقلّة عين مارأت حسناً
هذا هو البدر لا النجم البصيص فقد

يذكره حين جرى نحو العلى طربه (١)
إذا لم تكن أورقت في ظلها قضبه
بحر النداء لا إلى بحر الدنا نسبه
وبين هذين منهول الحمى نشبه (٢)
ماحتوي يده من ماله غضبه

أم درّ ثغر حبيب زانه شنبه
فيه أقاحيه لما أن بكت سحبه
للعين لما ازدهت في لمعها شهبه
خطابه زان جيد الدهر أو خطبه
فتنتقي حليها منه وتنتخبه
يروى الربا منه هامى الغيث منسكه
إلا ورنح منه عطفه طربه
حسن البديع وقاني الحد ملتبه
وقد تبرأ من ياقوته نسبه
هذا ولو عاينته ما اتقضى عجبته
مدت على ابن هلال في العلا طنبه

(١) في الوافي : « تبعه » .

(٢) في الوافي : « منهوك » .

(٣) وهذه الأبيات ليست في الوافي .

(٤) شهادة بنت أبي نصر الإبري المعروفة بشهادة الكاتبة لجودة خطها (ت ٥٧٤) ، وفيات الأعيان :

عن امرئ لم يَطُلْ نَحْوَ الْعُلَا سَبِيهِ
كما تقول لتعلو في الورى رُبُّهُ

تَقَوَّى في ما ادعى وَتَقَوَّلْ
فعليه دون البريئة عَوَّلْ
ثابتُ الخلق قَطُّ لَا يَتَحَوَّلْ
حيواناً غَيْرَ الَّذِي كَانَ أَوَّلْ

في المعالي يَغُوثُ مَنْ قَدْ تَطَوَّلْ
لَ عَلَيْهِ في الْمُعْضِلَاتِ الْمُعَوَّلْ
طَرَفُهُ واستحال زَهْرُ الْحَوَّلْ
نَحْوَهُ الفكر حين سَوَى وَسَوَّلْ
رأوه إلى الجهاد تحوَّلْ
فيهما ليس لامرئ متـأوَّلْ

لأنَّ الشمس بازغةُ الجَمَالِ
ولا التذكير فخر للهِلالِ^(١)
لفضلت النساء على الرجال

جَزَاكَ رَبُّكَ بِدَرِّ الدِّينِ خَيْرَ جَزَاً
بَالِغَتَ فِي مَدْحِهِ فَاللَّهُ يَجْعَلُهُ
وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ مَلْغَزاً فِي « ضِع » :

أَيُّهَا الْفَاضِلُ الَّذِي مَنْ يُجَارِيهِ
وَالَّذِي مَنْ أَرَادَ يَبْصُرُ قَسّاً
هَاتِ، قُلْ لِي بِاللَّهِ مَا حَيَوَانٌ
عَيْنُهُ إِنْ قَلَعْتَهَا يَتَبَدَّى
فَكُتِبَ هُوَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ :

يَا إِمَاماً طَالَ الْوَرَى بِعَانِ
وَإِذَا أَغْضَلَ السُّؤَالَ فَمَا زَا
إِنَّ زَهْراً أَهْدَيْتَهُ غَضٌّ عَنْهُ
حِينَ أَلْغَزْتَ فِي مُعَمَّى هَدَانِي
حَيَوَانٌ إِنْ صَيَّرُوا رَأْسَهُ الْعَيْنِ
فَأَبْقَ وَأَسْلَمَ تَفِيدَ علماً وَجوداً
وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ وَقَدْ جَاءَتْهُ بِنْتُ :

تَهَنَّأَ بِهَا وَإِنْ جَاءَتْكَ أَثْنَى
« وَمَا التَّأْنِيثُ لَاسِمُ الشَّمْسِ عَيْبُ
وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمَنْ أَتَانَا
فَكُتِبَ هُوَ الْجَوَابَ إِلَيَّ :

(١) هذا البيت والذي يليه للمتنبي ، وضمها الصفدي شعره . انظر ديوانه بشرح العكبري : ١٨/٣ . والبيت الأخير روايته : « كُنْ فَقَدْ نَا ... » .

أتاني من هنائك يارئساً تتيه به المعاني والعمالي
ومن آثار جودك ماأراني حياً أهدتُهُ لي ريحُ الشمالِ
وكم أقرأتني وقرئت فضلاً يفوت الحصر من أدبٍ ومالِ

وكتبت أنا إليه ، وقد أهديت إليه أبلوجة سكرٍ وكنت قبلها قد أهديت إليه
قليل قطر :

أبلوجة بعثتها محبةً لك عندي
في اللون والكون أضحت تخالها نهد هند

فكتب الجواب إليّ عن ذلك :

« يَقْبَلُ الْأَرْضَ وَيُنْهِي وُصُولَ صَدَقَتِهِ الْجَارِيَةِ ، وَهَدِيَّتِهِ الَّتِي جَاءَتْ بَيْنَ الْحُسْنِ
وَالْإِحْسَانِ مَتَهَادِيَةٍ ، وَهِنْدِيَّتِهِ الَّتِي قَامَ نَهْدُهَا مَقَامَ ثَغْرِ الْغَانِيَةِ ، وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ
وَجْهِهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، نَهْدٌ أَبْرَزَهُ الصَّدْرُ ، وَشَهِدَ مَا تَجَرَّعَتْ دُونَ اجْتِنَاءِ حَلَاوَتِهِ مِنْ إِبْرِ
النَّحْلِ مَرَارَةَ الصَّبْرِ ، وَهَرَمٌ أَكْسَبَ رُؤُوقَ الشَّبَابِ وَجَّةَ الدَّهْرِ ، وَوَجَّةَ طَبَعٍ عَلَى دَائِرَتِهِ
لَيْلَةً تَمَامَهُ الْبَدْرُ ، فَقَابِلَ الْمَمْلُوكِ تِلْكَ الْمُنْحَةَ بِدَعَائِهِ وَشُكْرِهِ الْمَفْرُطِ وَثَنَائِهِ ، وَمَدَحِهِ
الَّذِي تَتَدَرَّجُ شَوَاهِدُ وَدِّهِ الصَّادِقِ فِي أَثْنَائِهِ وَتَذَكَّرَ بِهَا مَا مَضَى ، شَكَرَ يَدَ الْكَرِيمِ الَّذِي
اسْتَأْنَفَ إِحْسَانَهُ السَّابِقَ وَمَا انْقَضَى ، فَذَكَرَ بِنُضَارِ الْقَطْرِ السَّائِلِ وَلُجَيْنِ هَذَا الْمَاءِ
الْقَائِمِ ، قَوْلَ الْقَائِلِ :

وكذا الكريم إذا أقام ببلدة سال النضار بها وقام الماء

وكتب هو إليّ :

ياماجداً لم يزل نداءه أولى بتقريط كل من
ومن غدا بالصفاء يكتني وودنا عنه ليس نكني
نحن افتراقاً بنات نعش في ظلمة الهمم والتمني

فَسِرْ إِلَيْنَا نَكُنْ ثَرِيًّا وادخل إلينا بغير إذنٍ
ولا تَدْعُنَا نَنْشُوقًا ولا تَقُلْ لِلرَّسُولِ إِنِّي
فكثبت أنا الجواب عن ذلك :

أَيِّاتُكَ الْغُرُّ قَدْ أَتَتْنِي فَشَرَّفَتْنِي وَشَنَّفَتْنِي
شِعْرُكَ فِيهَا ظَرِيفٌ لَفْظٍ لَطِيفٌ مَعْنَى خَفِيفٌ وَزِنٍ
قَدْ أَثْقَلْتُ كَاهِلِي بِشُكْرِ فَكَلَّ مَتْنِي إِذْ كَلَمْتَنِي
فَإِنْ أَفْزَ بِالْمَثُولِ فِيكُمْ فَإِنَّهُ غَايَةُ التَّمْنَى
وإن تَخَلَّفْتُ عَنْ حِمَامِكُمْ يَاطُولُ دَقِّي فِي الْجُرْنِ حَزْنِي

وكتب هو إلي وقد توالى الأمطار والثلوج في العشر الآخرة من رمضان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة : « كيف مولانا أَلَحَفَ اللَّهُ ظِلَّهُ ، وَأَرْشَفَ طَلَّهُ وَوَبَّلَهُ ، وَحَمَلَ عَلَى أَعْنَاقِ الْأَيَّامِ كَلَّهُ ، وَجَعَلَ مِثْلَهُ السَّحَابَ الْجُودَ وَلَا أَعْرِفُ مِثْلَهُ ، وَضَاهَى بَرَزِقِهِ هَذَا الْغَيْثَ الْوَاقِعَ عَلَى خِلَافِ الْقِيَاسِ كَلَّهُ ، فَإِنَّ هَذَا الْيَوْمَ قَدْ عَزَزَ الصَّنَى وَالصَّنِيرَ ^(١) وَعَجَزَ الصَّبْرَ وَعَزَّى سَكَانَ الْأَجْدَاثِ بِالْأَحْيَاءِ فَكُلُّ بَيْتٍ قَبْرِ :

يَوْمَ كَانَ سَمَاءَهُ حُجِبَتْ بِأَجْنَحَةِ الْفَوَاحِشِ ^(٢)

جاء الطَّوْقَانِ وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ ، وَجَابَ الصَّخْرَ بُوَادِي الرِّبْوَةِ دُمُ سَيْلِهِ الْعَبِيطُ ، وَجَالَ فِي وَجْهِهِ الْبَسِيطَةِ حَيَاؤُهُ فَمَا انْبَسَطَتِ الْخَوَاطِرُ بِجَوْهَرِهِ الْبَسِيطِ ، أَخْفَتِ النُّجُومُ فِي لَيْلِهِ ، وَاطْلَعَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ عَلَى زَنْتِهِ الرَّاجِحَةِ وَكَيْلِهِ ، وَتَرَاكَمَتْ سَحْبُهُ السَّاتِرَةُ قَضَاءَ الْأَفْقِ بِفَضْلِ ذَيْلِهِ ، وَأَجْلَبَ عَلَى الْوَهَادِ وَالرَّبَا بِرَجْلِهِ الطَّامَّةِ وَخَيْلِهِ ، فَكَأَنَّمَا وَهَتْ عَرَى ذَلِكَ الزَّهْرِيرِ فَهَبَطُ ، أَوْ هَيْضَ جَنَاحِ السَّحَابِ الْجَوْنِ فَسَقَطَ ، أَوْ حَلَّ سِلْكَ النُّحُومِ الزَّاهِرِ فَفَرَطَ جَوْهَرُ ذَلِكَ الْقَطْرِ لَمَّا انْفَرَطَ ، فَالْجُدْرَانُ لِهَيْبَتِهِ مَطْرِقَةٌ ، وَالْعِمْرَانُ قَدْ

(١) الصنى : وسخ النار والرماد ، والصنير : الريح الباردة .

(٢) الفواخت : جمع فاخته : طائر .

تداعت ولا يُقِيلُ البَنَاءُ جُوعَهَا الْمُتَفَرِّقَهِ ، والطرق قد شرقت بالسيول فلا تنطق
آثارها المغرَّبة ولا المشرَّقة ، وقد قصَّ جناح الارتكاض ، وحُصَّتْ قوادمه ، فما تنهض
وعظَّمه مُهْتَاضٌ ، والسيول قد بلغ الزَّيَا ، وسَوَى بين الوَهَادِ الْمُتَطَامِنَةِ والرَّيَا ، وبَكَتْ
السقوف بعيون الدَّأْفِ ، وحَمَلَهَا المطر بيده العاديَّة على خُطِّه خُسْفٌ ، واستدَلَّ لها
بمنطق الرَّعْدِ على أَنَّ قُدَّامَهَا الخير ، فقالت : هذا خُلْفٌ ، وشَهْرُ الصوم قد بَلَغَ غَايَتَهُ ،
وعيدُ الفطر قد نصب رايَتَهُ ، وتلا آيَتَهُ ، وطلب مِنَ المَوسِرِ والمعسر كفايَتَهُ ، فأعاذ الله
مولانا من الطلب فيه ، ولا أَلْجَأْهُ إِلَى السَّعْيِ لابتغاء فضل الله إِلَّا بفيه ، بِنِّهِ وَكَرَمِهِ .

فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ :

« العَجَبُ مِنْ سُؤَالِ مَوْلَانَا عَنِ الْمَمْلُوكِ كَيْفَ حَالُهُ ، وَعِنْدَهُ عِلْمُ هَذَا الْعَنَاءِ الَّذِي
نُصِبَ عَلَى الْأَيْنِ وَالنَّصَبِ تَمِيِزُهُ وَحَالُهُ ، وَهِيَ حَالُ أَبِي الطَّيِّبِ ، وَمَا عِلْمُ
ابْنِ مَنْصُورٍ ^(١) بِهَا ، وَلَوْ عِلْمُ اسْتَعْمَلِ التَّبَالُهَ ^(٢) . أَمَا تَرَى هَذَا النِّوَاءَ الَّذِي ذَمَّ نَوَالَهُ
وَحَمِدَ نَوَاهُ ، وَأَذْهَلَ الصَّائِمَ عَنْ صَوْمِهِ ، فَمَا يَبْتَ أُمْرُهُ وَلَا نَوَاهُ وَشَغَلَهُ مِنْ حَسِّهِ فَمَا
يَدْرِي أَفْطَرَ عَلَى تَمْرَةٍ أَمْ نَوَاهُ ؟ ، قَدْ هَالِ الْجِبَالُ أَمْرُهُ ، فَشَابَتْ مِنَ الْفَرْقِ إِلَى الْقَدَمِ ،
وَعَمَرَتْ سَيُولُهُ الْأَبَاطِحُ وَالرَّبَا ، وَلَكِنْ مِنَ الزِّيَادَةِ بِدَمٍ ، كَيْفَ يَهْنَأُ الْعَيْشُ وَبِرُوقِ
الْجَوِّ سَيُوفٌ تُخْتَرَطُ ، وَنَفْسُ هَذِهِ الرُّعُودِ يَخْرُجُ بَعْدَمَا حُبَسَ فِي حَشَا السَّحَابِ
وَأَنْضَغَطُ ، وَإِلْحَاحُ سَائِلِ هَذَا الْمَطَرِ ، فَلَوْ كَانَ قَطْرُهُ دُرّاً لَمَا مَدَّ الْفَقِيرُ إِلَيْهِ يَدَا وَلَا
الْقَطْطُ ، وَتَوَالِي هَذِهِ الْغِيُوثُ الَّتِي لَوْ عَايَنَهَا ابْنُ هَانِي ^(٣) لَمَا قَالَ :

(١) هو علي بن منصور الحاجب ، مدحه المتنبي بقصيدة مشهورة ، والحال التي أشار إليها المصنف هي ما جاء في قوله :

حَالاً مَقَى عِلْمُ ابْنِ مَنْصُورٍ بِهَا جَاءَ الزَّمَانُ إِلَيَّ مِنْهَا تَائِبَا

شرح ديوان المتنبي للعكبري : ١٢٥/١ .

(٢) الظاهر أنه يشير إلى قوله في القصيدة المذكورة :

كَرَمًا فَلَوْ حَدَّثْتَهُ عَنْ نَفْسِهِ بِعَظِيمِ مَا صَنَعْتُ يَظُنُّكَ كَاذِبَا

(٣) ابن هانئ الأندلسي (ت ٢٢٠) .

أَلَوْلُوْ دَمْعُ هَذَا الْغَيْثُ أَمْ تَقُطُ^(١)

كَانَ الْأَيَّامَ قَوَافٍ اِنْدَجَتْ فِي اللَّيْلِ ، أَوْ النُّجُومَ أَقَاحٍ وَلَكِنْ غَطَّاهَا تَرَاكُمُ السَّحَابُ
بِالذَّلِيلِ ، أَوْ كَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الزَّمَانَ سُرْمَدًا ، فَمَا يَتَعَاقَبُ فِيهِ شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ ، وَلَا تَصْفُو
لُجَّةُ الْأَفْقِ بَضْوَى وَلَا تَرْمِيهَا الدِّيَاجِي بِكَدَرٍ ؛ قَدْ تَزَاحَمَتِ الْغِيَاهِبُ عَلَى الْمَوَاقِيتِ
بِالْمَنَاقِبِ وَجْهَلَتِ الْمُدَّةُ فَيَا وَحِشًا لِحَاجِبِ الشَّمْسِ وَمَحِيَّا الْقَمَرِ وَعَيُونَ الْكَوَاكِبِ ، أَكُلُّ
هَذَا تَشْرِيعَ تَشْرِينَ ، وَشَرَّةُ شَرِّهِ الَّذِي تَتَجَرَّعُ مِنْ أَمْرِهِ الْأَمْرَيْنِ ، وَشَهْرَةُ شَهْرِهِ ،
فَيَا أَيَّامَ كَانُونَ إِذَا جِئْتَ مَاذَا تَبْيَعِينَ وَتُشْرِينَ ، أَمَا الْمَسَاكِينُ فَأَهْلُهَا مَسَاكِينُ ، وَأَفْوَاهُهُمْ
مِنَ الْحَزَنِ مَطْبِقَةٌ فَمَا تَفْتَحُهَا السَّكَاكِينُ ، قَدْ انْتَبَذَ كُلُّ مِنْهُمْ زَاوِيَةً مِنْ دَارِهِ ، وَتَدَاخَلَ
بَعْضُ فِي بَعْضٍ لَتَضَمَّهُ بَقْعَةً عَلَى مَقْدَارِهِ ، هَرَبًا مِنْ تَوْقِيعِ أَكْفِ الْوَكُفِّ ، وَخَوْفًا مِنْ
رُكُوعِ الْجِدَارِ وَسُجُودِ السَّقْفِ ، وَمَا يُعْتَقَدُ الْمَمْلُوكُ أَنَّ فِي كَانُونِ هَذِهِ الْجُمَرَاتِ ، وَلَا أَنَّ
سَابَاطَ سَبَاطٍ^(٢) وَأَذَى آذَارٍ يَرْمِي الْقُلُوبَ بِهَذِهِ الْحَسَرَاتِ ، وَتَمَامُ التَّعْثِيرِ فِي الرُّكُوبِ إِلَى
دَارِ السَّعَادَةِ ، وَالْكِتَابَةِ الَّتِي ضَارَتْ فِي هَذَا الزَّمَانَ زِيَادَةً فِي تَقْصِ السِّيَادَةِ ، وَاتِّسَاعِ
هَذِهِ الْأَهْوَالِ ، وَضِيقِ ذَاتِ الْيَدِ مِضَافٍ إِلَى ضِيقِ النُّفُوسِ ، وَبِضَاقِ هَذَا الثَّلَجِ فِي وَجْهِ
الضَّاحِكِ مَنَا وَالْعَبَّوسِ ، وَسُكْرُ هَذِهِ الْمِيَازِيبِ الَّتِي لَا تَبُوكُ^(٣) إِلَّا عَلَى الرَّؤُوسِ ،
وَأَشْغَالِ الدِّيَوَانِ الَّتِي تُكَاثِّرُ الْمَطَرَ ، وَلَا تُبَلِّغُ الْغَايَةَ مِنَ الْوَطَرِ ، فَنَحْنُ مِنَ الدِّيَوَانِ فِي
جَامِعَةِ لَاجَامِعِ ، وَبَابُ الْبَرِيدِ عَلَى عِدَدِ السَّاعَاتِ وَذُقَّةُ هَامِغٍ وَبَرَقَةٍ لَامِعِ ، لَا يَفْتَرُ
وَرُودِهِ ، وَلَا يَزَالُ يَصِلُ حَدِيدُهُ ، وَتَصِلُ وَقُودُهُ ، وَكُلُّ كِتَابٍ يَصِلُ مَعَهُ يَتَفَرَّغُ مِنْهُ

(١) مطلع قصيدة مدح بها الخليفة للعز لدين الله الفاطمي ، قامه :

ما كان أحسنه لو كان يَلْقُطُ

انظر : ديوان ابن هانئ ص ٣٩٠ ، ومختارات من شعر الأندلس د. شاكر الفحام : ١٣٤ ، وما علق على
هذه القصيدة .

(٢) في الأصل : شباط ، وهو تصحيف . وسباط : اسم شهر بالرومية ، وهو الشهر الذي قبل آذار .
وساباط : من أسماء الحمى .

(٣) تبوك : تنزل ماءها .

إشغال عدد حروفه ، وتُطلبُ في الوقت الحاضر ، فلو كانت بالطابع لانهارت جوانب حروفه ، وصاحبُ الديوان في تنفيذِ أَسْرَعٍ من هذه البروق ، وأنْفَذَ من السَّهْمِ في القضاء الذي ليس فيه ما يصدّ ولا ما يعوق ، فهو إذا دبّر المهمات نجز ، ودَمَرَ العُدَاةَ ، وجَنَزَ ، وهذا العيد أقبل ، وما لنا بتكاليفه قَبْلَ ، وكل من يختصّ بشيء منها يلحظك بِطَرْفٍ متخازِرٍ كأنّما به قَبْلُ ^(١) ، والاستعانة بالله على هذه الشرور التي اتصلت تُقَطُّ خَطَّهَا ، والفِرَارُ إليه من هذه الخطوب التي نعجز عن شَيْلِ سَيْلِهَا وحدَّ حَطَّهَا ، والله يرزق مولانا وإيانا حلاوة الصَّبْر ، ويجعل العدوَّ بَيْنَ جانحي قَبْرِ ، بمنّ وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

وكتبت له توقيعاً لما دخل ديوان الإنشاء ، لَوَحَتْ فيه في غير موضع بَلَقَبٍ كان يلقب به ، ونُسَخَّتْ في الجزء السادس والعشرين من (التذكرة) التي لي ، وكتبت له أيضاً توقيعاً بنظر قامة ^(٢) .

وبيني وبينه مكاتبات وبُداءات ومراجعات نظماً ونثراً ، وقد أوردتها في كتابي (ألحان السواجع) .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

تَغُرُّ مَنْ قَدْ هَوَيْتَهُ يَهْدِي فِي ظِلَامِ الدَجْنَةِ الْحَالِكِ
بِالْثَرِيَا شَبَّهَتْهُ ظِلْمًا وَالثَّرِيَا أَقْلَ مِنْ ذَلِكَ

وأنشدني من لفظه لنفسه :

أَنَا الْقَلِيلُ الْعَقْلُ فِي صَرْفِ الَّذِي أَمْلُكُهُ فِي كُلِّ الْمَشَارِبِ ^(٣)
مَا نِلْتُ مِنْ تَضْيِيعِ مَوْجُودِي سِوَى تَضْفِيفَةِ الْكَاسَاتِ فِي شَوَارِبِي

(١) قبل أي : حَوْل .

(٢) هي أعظم كنيسة في القدس ، ويطلق عليها كنيسة القيامة . انظر : معجم البلدان : ٣٩٦/٤ .

(٣) في الوافي : « صرفي » .

وأنشدني من لفظه لنفسه ^(١) :

أعجب ما في مجلس اللّهُو جرى من أدمع الرّاووق لما انسكبتُ
لم تزل البطّنة في قَهَقَهةٍ مايننا تضحكُ حتى اقلبتُ
وأنشدني من لفظه لنفسه ^(٢) :

يأمن يُلوم في التصابي خَلّني فأذني عن الملام قد نبتُ
تصفية الكاسات في شواربي أضحكت البطّنة حتى اقلبتُ
وأنشدني من لفظه لنفسه :

وصفراءَ حال المُرجِ يصبغ ضوءها أكفّ الندامى وهو في الحال ناصِلُ
وتَهفو بألّباب الرّجالِ لأنّها «دَوِيهيةٌ تصفرُّ منها الأناملُ» ^(٣)
وأنشدني من لفظه لنفسه :

شمتُ نسيم زهر اللّوز لما خرجنا بكرةً تنفي السّجونا ^(٤)
فَتَحَّتْ الدوح شاهدنا بُدوراً وفي أعلاه عاينا غُصونا ^(٥)
وأنشدني من لفظه لنفسه :

وأهيفَ كالغُصن المرنّح شاقني فطارَ إليه القلب من قُرط شوقيه

(١) هما في المنهل الصافي ، والنجوم الزاهرة .

(٢) هما في المنهل الصافي .

(٣) ضغن عجز بيت للبيد وصدرة :

وكلّ أناس سوف تدخل بينهم

انظر : ديوانه : ٢٥٦ .

(٤) في الوافي : اللون ... تنتفي الهموما !

(٥) في الوافي : « عاينا النجوما » .

رأى البدر يحكي وَجْهَهُ وَهُوَ سَافِرٌ فحملته من جَوْرِهِ فَوْقَ طَوْقِهِ ^(١)
وَأَنشَدَنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ :

سَرَتْ مِنْ بُعِيدِ الدَّارِ لِي نَشْمَةُ الصَّبَا فَقَدْ أَصْبَحَتْ حَشْرَى مِنَ السَّيْرِ ظَالِمَةً
وَمِنْ عَرَقٍ مَبْلُوءَةٍ الْجَيْبِ بِالْأَنْدَى وَمِنْ تَعَبٍ أَنْفَاسُهَا مُتَابِعَةٌ
وَأَنشَدَنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ :

غَصْنٌ رَشِيقُ الْقَدِّ لَانٍ مَعَاطِفًا نَشَوَى وَبِالشَّعْرِ الْمَرْجُلِ أَوْرَقًا
وَبِثَلِ بَدْرِ التَّمِّ أَيْنَعُ فَاَنْظُرُوا هَذَا الْقَوَامُ أَجَلٌ أَمْ غَصْنُ النَّقَا ^(٢)
وَأَنشَدَنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ :

يَا صَاحِبًا مَا زَالَ مِنْ إِنْعَامِهِ لَثِيَابٍ رَاجِيهِ الْمُؤْمِلِ رَافِي ^(٣)
قَدْ قُطِعَتْ فَرْجِيَّتِي حَتَّى لَقَدْ ظَهَرَ الْقَطُوعُ بِهَا عَلَى أَكْثَافِي

وكان يوماً هو والشيخ محمد الغزّي جالسَيْنِ في الجامع الأموي ، عند الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ، وكلٌّ يذكُرُ مساوئ صاحبه ، ويُنشدُ هجوه فيه . فقال بدر الدين الغزّي : لا قلت أنا ، ولا قلت أنت ، في هذه الساعة ننظم بديهاً يكون هجواً ، وأطرق قليلاً ثم أنشد :

يَا بَنَ أَبِي طَرطُورٍ خَلَّ الْهَجَا وَخَذَ كَلَاماً رَاقٍ فِي حُسْنِهِ
أَنَا وَأَنْتَ اثْنَانِ كُلٌّ غَدَا مَنَا يَرُومُ الْفَضْلَ فِي قَنِّهِ
فَوَاحِدٌ يَكْذِبُ فِي قَوْلِهِ وَآخَرٌ يَكْذِبُ فِي ذَقْنِهِ

(١) في الأصل : « طاقة » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهو أشبه . والطوق : القدرة .

(٢) في الوافي : « أثمر فانظروا » .

(٣) في الوافي : « في إنعامه » .

وأنشدني من لفظه لنفسه موشحةً عارض بها موشحة ابن سناء الملك المشهورة ،
وأجاد^(١) :

أذكى الهوى^(٢) وهاجه برّد اللّمي في ثغر ريم مايس القـد
يحميه أن أرومه لحظّ أرى فرط الفتور سيفه الهندي

ظبي رمى فؤادي من لحظه به سهم

وقد حمى رُقادي لما أباح سقمي

فالطرف للسهاد وللسقام جسي

واعجب من انقيادي إليه وهو خصمي

لكنها^(٣) اللّجاجة ترمي بها عقل الحليم سورة الوجد
إياك أن تلومهُ فاللوم في هذي الأمور قلما يجدي

أفديه ظبي أنس ألى الشفاه أحوى

حشا شقي ونفسي مرعى له ومثوى

كذبت فيه حسّي إذ لم تلتنه شكوى

وجسمه بلسمي عند العناق يطوى

يا حسن الاندماجه في خصره المضى السقيم وهو في البرد
والقامة القويّة بالحد كالغصن النضير ناضر الورد

لله منه طرف يدمي القلوب لحظا

ووجنة تشفّ ولا تنيل حظا

يرقّ إذ يرقّ قلبي لها ليحظى

تريك حين تصفو جسماً يُخال^(٤) فظا

(١) أوردها ابن تغري بردي في المنهل الصافي . وموشحة ابن سناء الملك مطلعها : « الراح في الزجاجه » .

(٢) في المنهل : « الجوى » .

(٣) في الأصل : « واتا » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) في المنهل : « يريك .. تخال » .

كالراح في الزجاجة تُزهى بها كف النديم عندما تُبدي
أشعة عظيمة تندى ^(١) إذا شئت وتوري جذوة تهدي

يالوعة الغرام زيدي ويا جفوني

بأدمعي الهوامي جودي ولا تخوني

فهتف الحمَام قد هيّجت شجونني

وكل مستهَام مستأنف الحنين

لا تنكر انزعاجه للبرق في الليل البهيم مقلّة تهدي
إلى الحشا السليمة خفقا أباتته ^(٢) سميري ليلة الصّد

دع ذا وقل مديحا في أحمد بن يحيى

من لم يزل مُزيجا أَعذار كلّ عليا

منتسباً صريحا آخرة ودنيا

تخال من يُوحى في الدست حُسن رؤيا

إذا أرى ابتهاجه للجود والداعي ^(٣) المضم ساعة الجهد
فالكف منه ديمه والوجه شمس ذات نور في سما المجد

للسر منه حصن على الورى مُطل ^(٤)

ليست به تُظن عوراء تستدل

غاراته تُشن على العدى فتبلو

أخبارهم ويعنو منهم لها الأجل

فن رأى هياجه سواه بالليث الكليم وهو في السرد
ونفسه الكريمه في السلم كالغيث المطير ^(٥) ساعة الرّفد

(١) في المنهل : « تبدي » .

(٢) في المنهل : « أباتته » .

(٣) في المنهل : « وللداعي » .

(٤) بقية هذا الموشح ليست في المنهل .

(٥) في الوافي : « للطير » .

وَعَادَةً تَنْتَنِي أَعْطَاهَا الرِّشَاقَ
لَكِنَّهَا أَرْتَنِي أَنْ الدِّمَّاءُ تُرَاقُ
بِالصَّدِّ وَالتَّجْنِي وَبَعْدَهَا الْفِرَاقُ
قَالَتْ فَرَّغْتَ عَنِّي وَالصَّحْبَةُ اتَّفَاقُ

فقلت بانحراجهُ ياست خليني بشوم^(١) وأنجزني وعدي
قالت أنا مقيمه فاعمل وهت [لي]^(٢) قلت زودي فالذهب عندي

٥٨١ - حسن بن عمر بن عيسى بن خليل الكردي*

الشيخ أبو علي مُسْنَدِ الديار المصرية في آخر عمره .

سمع حضوراً من ابن اللّتي (مُسْنَدِ الدارمي) و (مُسْنَدِ عبد بن حميد)
(جزء أبي الجهم) و (المئة السريجية)^(٣) ، وغير ذلك . وسمع من مُكْرَم بن
أبي الصقر (الموطأ) ، وسمع من السخاوي ، وقرأ القرآن على السخاوي ، ثم إنه انتقل
إلى مصر وسكن الجيزة^(٤) ، وكان يؤدّن^(٥) ويبيع الورق على باب الجامع ولم يعرفه
أحد ، وكان بيده ثبت فظهر أمره في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وفرح به أناسٌ ،
وأخذوا عنه ، ثم إنه ثقل سمعه فشقّ السماع عليه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة عشرين وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة ثلاثين وست مئة .

(١) في الأصل والوافي : « بشوفي » ، ولا تصح .

(٢) زيادة من الوافي .

* الوافي : ١٩٥/١٢ ، والدرر : ٣٠/٢ ، والشذرات : ١٣٧/٦ ، والمنهل الصافي : ١١٤/٥ .

(٣) وهي من جزء ابن شريح عبد الرحمن بن أحمد بن محمد (ت ٣٩٢ هـ) ، الكشف : ٥٨٣/١ ، وفيه : ابن

شريح ، تصنيف ، والأعلام : ١٩٤/٣ .

(٤) في الأصل : الجيزية ، وأثبتنا ما في الوافي والدرر والمنهل ، وهي أصح .

(٥) في الأصل : « يؤدب » ، تصنيف ، وأثبتنا ما في الوافي والدرر ، والمنهل .

٥٨٢ - حسن بن عمر الصاحب بدر الدين*

ناظر الخاص بدمشق المعروف بابن النابلسي .

كان في وقت قد باشر نظر الخاص بالقاهرة في أواخر أيام الملك الناصر حسن دون الشهر ، ولما طَلَبَ الإقالة الصاحب تاج الدين موسى بن علم الدين أبي شاکر^(١) من دمشق أجيب إلى سؤاله ، ورُسِم للصاحب بدر الدين بن النابلسي فوصل إلى دمشق في ثاني عشري شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وباشر دمشق . فما أحد الناس مباشرته . وكان يدَّعي أنه فقيه على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه ، وأقام بدمشق إلى أن عَزَلَ بالصاحب^(٢) سعد الدين بن التاج إسحاق^(٣) في أوائل شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبع مئة .

وأقام في بيته بطالاً بدمشق مدة تزيد على الشهرين ، ثم طلب إلى مصر فتوجه إليها .

وتوفي هناك في طاعون مصر سنة أربع وستين .

وكان قد رَسِمَ له في وقت بكتابه الإصطبلات بمصر ناظراً . وكان الأمير سيف الدين بكتير المومني يومئذ أمير آخور كبير ، فقيل له : إن هذا أحق كبير وما أنت قُدْرُهُ ، فلما حضر إليه بالخلعة عراه إياها ، ورسم بقتله بالمقارع وسأله عن قضايا - نَزَّهَتْ هذا الكتاب عن ذكرها لفحْشِها - فامتنع ، ثم إنه أقر له بها ، فألبسه الخلعة واستمر به .

وأنشدني من لا استمي فيه :

* لم تقف على ترجمة له .

(١) (ت ٧٧١ هـ) ، الدرر : ٣٧٤/٤ .

(٢) في الأصل : « الصاحب » ، ولا وجه لها .

(٣) واسمه ماجد ، انظر : البداية والنهاية : ٢٨٩/٤ ، ووفاته (٧٧٦ هـ) كما في الدرر : ٢٧٥/٣ .

قل لهذا الصاحب المولى الذي سار فينا سيرة لم تحسن
أنت فينا كافر النفس فقل أحسن الله خلاص المومني

٥٨٣ - الحسن بن محمد بن هبة الله*

شرف الدين قُطْنَبَه ، بضم القاف والطاء المهملة وسكون النون وبعدها باء ثانية
الحروف وبعدها هاء : الأصفوني .

كان شاعراً كثير المَجُون ، غُذِبَ التَّيْنُوعَ بَرِي مِنَ الْأَجُون^(١) ، رَبِّي بِأَصْفُون ، ولم
يكن بين الصِّفَا وَالْحَجُون ، كثير التنديب ، غزير التذريب ، مقبول المُحْيَا ، مَنْ رَأَه
خَدَمَه وَحَيًّا ، ظريف الحركات ، يكون في الدرجات ، وينحط منها إلى الدرجات .

كان معاصره نبيه عبد المنعم الشاعر^(٢) ، وهو أيضاً ماجن ظريف ، قادر
على التلعب بالكلام والتصريف ، تَدَوَّرَ بينهما محاورات ومفارقات ومُحَاوَرَاتُ أَشْهَى
من نقائض جرير والفرزدق ، وأَسَحَّ من الغمام الصيب وأغدق ، وكنا يُشَبَّهَانِ بِالْجَزَارِ
وَالْوَرَّاقِ ، وللزمان بوجودهما ضياء وإشراق .

ولم يزل قُطْنَبَه على حاله إلى أن جاءه ما لاله به قَبِل ، وكسَرَ فَخَارَتَه الذي سوى
طِينَهَا وَجَبَل .

وتوفي رحمه الله تعالى^(٣) ...

صلى قُطْنَبَه هذا صلاة عيد الأضحى ، وإلى جانبه آخر فلما ذكر الخطيب قصّة
الذبيح بكى ذلك الشخص زماناً طويلاً ، فالتفت إليه قُطْنَبَه ، وقال له : ما هذا البكاء
الطويل ؟ أَمَا سَمِعْتَهُ وهو يقول في العام الماضي إنه سلم وما أصابه بشيء .

* الدرر : ٤٣/٢ .

(١) الأجن : ما تغيّر طعمه ولونه من الماء .

(٢) لم نقف على ترجمة له .

(٣) كذا في الأصل .

وَاتَّفَقَ مَرَّةً أَنْ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ بَلَدِهِ ، وَحَضَرَ الْأَمِيرَ علاء الدين خزندار والي قوص وإخيم فقصده شَكْوَاهُمْ ، فدخلوا عليه فلم يرجع ، وكان مع الوالي شمس الدين الآمدي الناظر . وكان شيعياً ، فلما حضروا عند الأمير قفز قُطْنَبَة وقال : يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ ، وَاعْتَاطَ الناظر ، وَأَنشَدَ قُطْنَبَة :

حَدِيثَ جَزَى يَا مَالِكَ الرِّقَ وَاشْتَهَرَ بِأَصْفُونِ مَاوَى كُلِّ مَنْ ضَلَّ أَوْ كَفَرَ
لَهُمْ مِنْهُمْ دَاعٍ كَتَيْسٍ مُعَمَّمٍ وَحَسْبُكَ مِنْ تَيْسٍ تَوَلَّى عَلَى بَقَرٍ
وَمِنْ نَحْسِهِمْ لَا كَثُرَ اللَّهُ مِنْهُمْ يُسَبُّ أَبُو بَكْرٍ وَلَا يُشْتَهَى عُمَرُ
فَخَذَ مَا لَهُمْ لَا تَخْتَشِي مِنْ مَالِهِمْ فَإِنْ مَالَ الْكَافِرِينَ إِلَى سَقَرٍ

فقال له الناظر : أَنْتَ تُشَارِرُ ، مَا أَنْتَ مِنْهُمْ ؟ وَصَرَّفَهُمْ فَمَا حَصَلَ لَهُ قَصْدُهُ ، فَقَالُوا لَهُ : مَا قُلْنَا لَكَ نَصْطَلِحُ مَعَكَ مَا فَعَلْتَ . فَقَالَ : أَنَا مَا عَرَفْتُ أَنَّ هَذَا الْمَشُومَ مِنْكُمْ .

وكان قد تزوج بامرأة تحت الحجر ، وكان لها منزل باعه أمين الحكم وخلقى من اشتراه له ، فَقَدِمَ قُطْنَبَة إِلَى الْأَمِيرِ علاء الدين وَأَنشَدَهُ :

سَبَتْ فَوَادِي الْمَعْنَى مِنْ تَنْبِيْهَا فَتَانَةٌ كُلُّ حُسْنٍ مُجْمَعٍ فِيهَا
أُنْسِيَّةٌ مِثْلُ شَمْسِ الْأَفْقِ قَدْ بَزَغَتْ وَحَشِيَّةٌ فِي نَفْوَرٍ خَوْفٍ وَاشِيَا
مِنْهَا :

قَهَرْتُ بِالْجَانِبِ الْبَحْرِي طَائِفَةً فَوَلَّ وَجْهَكَ يَا مَوْلَايَ قِبْلِيهَا
عِنْدِي يَتِيمَةٌ تُرْكِيٌّ ظَفَرْتُ بِهَا لَهَا مِنَ اللَّهِ جُذْرَانِ تَوَارِيهَا
تَعَاوَنُوا مَعَ أَمِينِ الْحَكْمِ وَاعْتَصَبُوا أَخْفَوْا وَثَائِقَ فُحْوَى خَطَمِهَا فِيهَا
حَتَّى أُبِيعَتْ عَلَيْهَا نِصْفُ حِصَّتِهَا مَا حِيلَتِي وَأَمِينُ الْحَكْمِ شَارِيهَا
مَا زِلْتُ أَفْهَصُ عَنْ تِلْكَ الْوِثَائِقِ يَا مَوْلَايَ حَتَّى أَبَانَ اللَّهُ خَافِيهَا
وَهَا هِيَ الْآنَ عِنْدِي وَهِيَ ثَابِتَةٌ فَاْمَضِ الْوَلَايَةَ فِيمَنْ كَانَ يُؤْذِيهَا

ومات له صاحبان كانا خَصِيصَيْن به . فقال الشهاب أحمد بن الحسين الأصفوني :
مالقُطْنبة تأخر عنها ، فبلغه ذلك ، فقال :

مَاتَا خُرْتُ عَنْكُمَا عَنْ مَلَالٍ غير أُنِي أَرُمُ صَيْدَ الشَّهَابِ
فَأَنَا مِثْلُ فَارِسِ الْبَحْرِ لَا بُدَّ بِظَفْرِي أَصِيدُهُ أَوْ بِنَابِي

وكان قد وقع بينه وبين نجم الدين بن يحيى الأرمني ^(١) ، فهجاه بقصيدة منها :

يَا إِلَهِي أَرَحْتَهَا مِنْهُ فِي الْحَا كَمْ أَرَحَهَا مِنْ ابْنِهِ فِي الْخُطَابَةِ
فَقَالَ لَهُ الْخُفَرَاءُ : يَا قُطْنَبَةُ ، الْبَاسِرِيَّةُ ^(٢) جَاءُوا مِنْ أُرْمَنْتَ يَرِيدُونَ قَتْلَكَ ،
أَرْسَلَهُمُ ابْنُ يَحْيَى وَمَا تَقْدِرُ عَلَى رَدِّهِمْ ، أَنْجُ بِنَفْسِكَ ، فَخَرَجَ مِنْهَا وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

٥٨٤ - حسن بن محمد *

الشيخ الإمام الفاضل البليغ المُنَشِّئ الكاتب نجم الدين أبو محمد بن الشيخ
كامل الدين القرشي القرطبي الصفدي الشافعي الخطيب بصفد .

كان فارسَ منبر ، وإمام من برى قَلْبًا وَمَنْ بَر ، ناظرًا ناثرًا ، يجري في ميدان
البلاغة فَمَا يَرَى جَوَادَ قَلَمِهِ عَاثِرًا . كتب الإنشا ، وَتَصَرَّفَ فِيهِ كَيْفَ شَاءَ ، مع أمانةٍ
لَا يَرَى مِنَ التَّكَلُّفِ فِي وَجْهِهَا كَلْفٌ ، وديانة لَا يُلْمَحُ فِي رَوْتِهَا تَصْنَعٌ مِنْ صَلَفٍ ،
وَكَرَمٍ بِمَوْجُودِهِ الْحَاضِرِ وَوَدَّ يَخْجَلُ مِنْ حُسْنِهِ خَدُّ الْوَرْدِ النَّاضِرِ ، وَصَدَقَ لَهْجُهُ ، وَقَوْلٍ
حَقٌّ وَلَوْ أَنَّ فِيهِ تَلَافَ الْمُهْجَةِ .

وكان شعاره أَشْعَرِيًّا ، وَعِلْمُهُ عَنِ التَّقْلِيدِ عَرِيًّا ، فَكَمْ كَانَ عِنْدَهُ مِنَ التَّقْلِيدِ أَدَلَّةً

(١) نصّ صاحب الدرر على أن المعنى هو الحسين بن الحسين بن يحيى . الدرر : ٥٣/٢ .

(٢) لم نقف على معناها . وفي اللسان أن البياسرة جيلٌ من السند يؤاجرون أنفسهم من أهل السفن لحرب
عدوم .

* الوافي : ٢٥٦/١٢ ، والدرر : ٤٤/٢ ، والشذرات : ٦١/٦ ، والمنهل الصافي : ١٣٤/٥ .

وبراهين إذا أوردتها كأنها له طبيعة وجبلة ، ومسائل أصول إذا سردتها قلت هذه سخائب مستهله ، لم أر بعده من يقول : « أيها الناس » أفصح منه ، ولا من خطب زان منبره ولم يشنه ، يؤدي الألفاظ بتجويد حروفها ، ويذكر القلوب القاسية بما نسيته من خطوب الدنيا وصروفها ، كم جعل العبرات على الحدود وهي هوامي^(١) هوامع ، وم غادر العيون وهي دوامي دوامع ، شدت الفصاحة لحبيته ، وسدت البلاغة نحبيته^(٢) ، تزور في الموعظة حدقته ، وتحمّر لفرط الحرص على القبول وجنتاه ، كأنه منذر جيش ، أو منكر طيش .

وكانت له في البحث سُلطه ، وغلظة على خصمه لا تصحف بغلظه ، وله قدرة على التعليم ، وفراصة في وجه التلميذ إذا أخذ قوله بالتسليم ، يعلم من الطالب إذا فهم ، ولا يخفى عليه إذا بهم ، فلا يزال يغير له الأمثلة ، ويدير الأسئلة إلى أن تتكشف عنه الغيابه ، ويظهر له أنه حصل على الغنايه .

ولم يزل يذكر بوعظه ويحبر بلفظه إلى أن رمي تفيقه بالصّمات^(٣) ، ونزلت بذويه سمات الشّمات^(٤) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - فجأة في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده بالكرك سنة ثمان وخمسين وست مئة .

كان والده الشيخ كال الدين خطيب قلعة صفد ، وكان ينوب عن والده ويكتب الإنشاء ، ويوقع عن النواب بصفد ، فلما قدم الأمير سيف الدين بُخّاص إلى صفد

(١) كذا في الأصل . ولعل الصواب : لولا مخافة أنه .

(٢) النحي : وعاء يوضع فيه السن .

(٣) أي : السكوت .

(٤) الشّمات : الحائبون .

نائباً حضر معه القاضي شهاب الدين أحمد بن غانم ، وكان زين الدين عَمَر بن حلاوات قد قَدَّمه الشيخ نجم الدين وجعله يَكْتُبُ عنده ، فما زال يسعى إلى أن وَقَعَ الاتفاقَ بينهم وبين القاضي شرف الدين النهاوندي ^(١) وغيره ، وقرَّروا الأمر مع النائب إلى أن قُطِعَ الشيخ نجم الدين من التوقيع ، وبقي بيده خطابةُ الجامع الأموي ، ثم إنهم صَادَرُوهُ ، حتى تَوَجَّهَ خَفِيَّةً إلى دمشق ، وكان الأمير سيف الدين بلبان بدمشق مُشَدِّ الدواوين ، وهو يَعْرِفُهُ من صفد ، فاستخدمه مَوْقِعاً بدمشق ، وَكَتَبَ قَدَّامَهُ ، وكان القاضي مُحْيِي الدين بن فضل الله يَأْمَنُ إليه وَيُقَدِّمُهُ ويستكتبه في السَّرِّ وغيره ، وأُضيف إليه خطابةُ جامع جَرَّاح بدمشق ^(٢) . وَلَمَّا تولى الأمير سيف الدين كَرَاي نيابة دمشق كان يعرفه من صفد ويركنُ إلى أمانته وَعِفَّتِهِ ، فَقَلَّدَهُ الأَمْرَ وَغَدَقَهُ بِهِ ، فتعب بذلك تعباً مفرطاً ونصح مخدمه ، فكان لا يَعْلَمُ إِلَّا مِنْ يَدِهِ ، فعادى الدماشقة وَمَقْتَوَهُ ، ولما أُمْسِكَ كَرَاي اختفى وَسَلَّمَهُ الله منهم لِمَا سَلَكَهُ من الأمانة والعفة . أخبرني من لفظه قال : رَدَدْتُ لَيْلَةً مِئَتِي دِينَارَ ، وَرَهْنًا تِلْكَ اللَّيْلَةَ طَاسَةً عَلَى زَيْتِ الْقَنْدِيلِ .

وَلَمَّا حَضَرَ الأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ نَائِبُ الْكَرْكِ إِلَى دِمَشْقَ أُغْرِزُوهُ بِهِ ، وَأَرَادُوا مِنْهُ الْإِقْبَاعَ بِهِ ، فَقَالَ : أَخَذَ لِأَحَدٍ شَيْئاً ؟ فَقَالُوا : لَا ، قَالَ : فَمَا أَصْنَعُ بِهِ إِذَا نَصَحَ لخدمته . ثُمَّ إِنَّهُ جَهَّزَ إِلَى صَفَدَ خَطِيباً وَمَوْقِعاً ، وَكَانَ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ حَلَاوَاتٍ قَدْ انْفَرَدَ بِالْأَمْرِ وَتَمَكَّنَ مِنْ نَوَابِ صَفَدَ ، وَدَخَلَ إِلَى النَّائِبِ وَقَرَّرَ مَعَهُ مَا أَرَادَ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ مَبَاشِرَةِ شَيْءٍ ، فَبَقِيَ فِي صَفَدَ إِلَى أَنْ حَضَرَ لَهُ تَوْقِيعُ ثَانٍ ، وَكَلِمَا حَضَرَ لَهُ تَوْقِيعُ عَطْلِهِ ، إِلَى أَنْ أَشْرَكُوا بَيْنَهُمَا فِي التَّوْقِيعِ وَالْخُطَابَةِ ، فَأَقَامَا مُدَّةً ، فَوَقَعَ بَيْنَهُمَا ، فَطُلبَا إِلَى دِمَشْقَ ، وَقَرَّرَ الأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ تَنْكَزَ أَنْ يُخَيَّرَا وَيَنْفَرِدَ كُلُّ وَاحِدٍ بِوُظُفِيَّةٍ ، فَاخْتَارَ

(١) محمد بن عثمان ، وستأقِّي ترجمته .

(٢) خارج الباب الصغير بمحلة سوق الغنم ، كان مسجداً للجنايز ، جدَّه جراح الننيحي ، ثم جعله للملك الأشرف موسى جامعاً سنة (٦٣١ هـ) . الدارس : ٢٢٣/٢ ، وثمار المقاصد : ١٠٥ .

الشيخ نجم الدين خطابة القلعة والمدينة ، واستقر زَيْن الدين بن حلاوات في التوقيع ، فأقام يخطب وَيُشْغِل الناس تَبَرَّعاً ، وتَخَرَّج به جماعة فضلاء ، وقلَّ مَنْ قرأ عَلَيْهِ ولم يَنْبُهِه ، ولم أَر مثله في مبادئ التعليم ، كان يَفْتَقُّ أذُنَ المشتغل ، ويوضح له طُرُقَ الاشتغال ، ولم أَر مثله في تنزيل قواعد النحو على قواعد المنطق ، وكان يُحِبُّ إفساد الحدود والمواخذة فيها والرَّد عليها والجواب عنها .

ومن قرأ عليه أولاً العلامة القاضي فخر الدين المصري ^(١) وَغَيْرُهُ .

وكان لي منه - رحمه الله تعالى - نصيبٌ وافر من المحبة ، وكنت أجدُ منه حُنُوءاً كثيراً وِبراً ، ولم أقرأ على أحد قبله ، وكان شديد المحبة لأصحابه ، شَغُوفاً عليهم صادق اللهجة ، مُفَرِّطَ الكَرَمِ ، وكانت بينه وبين الشيخ صدر الدين ^(٢) قرابة ، وكان هَشاً بَشّاً بَساماً ، وَعِمَّتُهُ مَلِيحَةٌ ، ولم أَر أعفَّ يداً ولا فَرْجاً منه ، وكان خطه مليحاً ونظمه سريعاً ، ونظمه أَرْشَقُ من نثره ، ولم أَره يخطب بغير الخطب النبائية . وكان جَيِّدَ المشاركة أشعري العقيدة ، شافعي المذهب ، يحب الكتب ويبالغ في تحصيلها ويحرص على المنافسة فيها ، ولكنه كان مُقْلًا من الدنيا ماله غير علومه . قال : ما أعرف أنه وجبت عَلَيَّ الزكاة في عُمري . رأيته بعدما مات رحمه الله في المنام بُمْدَةً ، فقامت إليه وقبضت على يده بعدما قمت إليه وصافحته ، وقُلْتُ له : قُلْ لي ما الخبر ؟ فقال لي : لا تعتقد إلا وحدانيته ، فقلت له : هذا شيء قد جُبِلَ عليه اللحم والدم ، فقال : ولا بأس مع الفاتحة سورة أخرى من القرآن ، وقُصِّصَتِ الناس ، فعلمت بذلك أنه قد نصحني حَيًّا وميتاً ، لأنه كان في حياته رحمه الله تعالى يتوقَّفُ في توقيعه ويتحرَّى ويتحرَّز كثيراً فيما يكتبه ، ولا يكتب إلا ما هو سائغ ، فكان صاحبُ القصة يتعذر عليه مَطْلَبُهُ .

ولما تَوَفَّى رحمه الله تعالى كُنْتُ في حلب فحصل لي بسببه أَلَمٌ عظيم إلى الغاية ،

(١) محمد بن علي بن عبد الكريم ، وستأتي ترجمته .

(٢) أغلب الظن أن المراد به صدر الدين بن الوكيل ، محمد بن عمر ، وستأتي ترجمته .

وكتبت إلى ولده كال الدين محمد^(١) وإلى غيره من الأصحاب مرثي كثيرة نظماً ونثراً ، ثم جمعت ذلك وسميته (ساجعات الغُصن الرطيب في مرثي نجم الدين الخطيب) . ومِمَّا نظمته فيه قولي :

بِأَسْهُمٍ رَشَقْتُ قَلْبِي مُصِيبَاتٍ
فَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ أَفَاقَ السَّمَوَاتِ
وَلَمْ تَزَلْ قَبْلَهَا سَبَّاقَ غَايَاتِ
حَامِئِ الْبَانِ مِنْ شَجْوِي مَنَاحَاتِ^(٢)
ذَوَائِبِ الْبَرْقِ حُمْرًا فِي الدُّجُنَاتِ
وَهَانَ مَا لِّلْيَالِي مِنْ مِلِّمَاتِ^(٣)
تَعْلَلًا بِالْأُمَانِي الْمُسْتَحِيلَاتِ
حَسْبِي بِأَنْ الْأُمَانِي فِي الْمُنِيَّاتِ
فَالشَّانِ فِي عِبْرَاتِي وَالْعِبَارَاتِ
فَكَمْ لَوْجِدِي وَحْزُنِي مِنْ مَقَامَاتِ
فَفَيْضُ دَمْعِي مِنْ تِلْكَ الْجِرَاحَاتِ
بِأَنْفَسِي قَدْ بَذَلْنَاهَا نَفِيسَاتِ
وَقَدْ تَرَكْتُ لَنَا فِيهَا فُضَالَاتِ
عَيْنَ الْمَعَالِي بِأَنْوَارِ سَنِيَّاتِ
تَعَطَّرَ الْكَوْنُ مِنْ رِيَا الرُّوَايَاتِ^(٤)
وَعَزَّ عِلْمُ غَلَا السَّبْعِ الْمُنِيرَاتِ^(٥)

يَا ذَاهِبًا عَظُمَتْ فِيهِ مُصِيبَاتِي
قَدْ كُنْتُ نَجْمًا بِأَفْقِ الْفَضْلِ ثُمَّ هَوَى
سَبَقْتُ مَنْ بَاتَ يَرْجُو قُرْبَ خَالِقِهِ
بِكِي الْغَمَامِ بِدَمْعِ الْوُدُقِ مَذْ عَقْدَتْ
وَلَطَمَ الرَّعْدُ خَدَّ السُّحْبِ وَانْتَشَرَتْ
أَصْمٌ نَعْيُكَ سَمْعِي مِنْ تَحَقُّقِهِ
جَنَحْتُ فِيهِ إِلَى تَكْذِيبِ قَائِلِهِ
وَكَدْتُ أَقْضِي وَيَالَيْتَ الْحِمَامِ قَضَى
وَرَا حَ دَمْعِي يُجَارِي فِيكَ نُطْقَ فَمِي
إِنْ أَبَدْتَ الْوَرَقَ فِي أَفْنَانِهَا خُطْبًا
جَرَحْتَ قَلْبِي فَأَجْرَيْتُ الدَّمُوعَ دَمًا
لَوْ كُنْتُ تَفْدَى رَدَدْنَا عَنْكَ كُلَّ أَذَى
فَإِهِ مِنْ أَكْوَاسٍ جُرْعَتُهَا غَضَا
نُسَيْتُ إِلَّا مَسَاعِيكَ الَّتِي بَهَرَتْ
وَمَكْرُمَاتٍ مَتَى تَتَلَّى مَدَائِحَهَا
وَفَضْلَ حِلْمٍ تَحْفَ الرَّاسِيَاتِ لَهُ

(١) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) في الوافي : « الودق » .

(٣) في الوافي : « عن تحققه » .

(٤) في الوافي : « تتلى محامدها » .

(٥) في الوافي : « عزم علم » .

وَكَمْ مَنَاقِبَ فِي عِلْمٍ وَفِي عَمَلٍ

[ومنها ^(١) :

فَأَيْنَ لَطْفُكَ بِي إِِنْ هَفْوَةٌ عَرَضَتْ
وَأَيْنَ فَضْلُكَ إِنْ وَاقَى أَخُو طَلَبٍ
نَبْكِي عَلَيْكَ وَقَدْ عَوَّضْتَ مِنْ كَفَنِ
وَمَا تَلَبَّثْتَ فِي مَثْوَى الضَّرِيحِ إِلَى
تَصَافِحِ الْحَوَرِ وَالْوِلْدَانِ مِنْكَ يَدَا
مَنْ ذَا يُعِيدُ دُرُوسَ النُّحُوِّ إِنْ دَرَسَتْ
وَمَنْ لِعِلْمِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَمَنْ
وَمَنْ يَزِفُّ عُرُوسَ النِّظَمِ سَافِرَةً
إِذَا أُدِيرَتْ عَلَى أَشْمَاعِنَا خَلَبَتْ
وَيَرْقُمُ الطُّرُسَ أَسْطَارًا فَنَحْسِبُهَا
وَمَنْ إِذَا بَدَعَةً عَنَّتْ يَمَزَّقُهَا
وَإِنْ أَتَتْ مُشْكَلاتَ بَعْدَمَا اتَّضَحَتْ
نَضَى نَصُولَ أَصُولِ الدِّينِ لَامِعَةً
وَمَنْ يَفِيدُ الْوَرَى فِي عِلْمِهِ حِكْمًا
وَمَنْ يَذِيبُ دُمُوعَ الْعَيْنِ مِنْ أَسْفٍ
وَيُوقِظُ الْأَنْفُسَ اللَّائِي غَدَّتْ سَفَهَا
وَتَقْتَفِيهِ إِلَى الْعُرْفَانِ تَارِكَةً
لِيَهْنَ قَبْرُكَ مَا قَدْ حَازَ مِنْكَ فَا
وَجَادَ تَرَبَّتْكَ الْغَزَاءُ سَارِيَةً
وَكُلَّ يَوْمٍ تَحِيَّاتِي تَبَاكَرُهَا

أَضَحَتْ أَسَانِيدُهَا فِينَا صَحِيحَاتِ

كَأَنَّا حَسَنَاتِي فِي إِسَاءَاتِي
فَتُخْجَلُ الْغَيْثُ مِنْ تِلْكَ الْعَطِيَّاتِ
أَلْبَسَتْهُ بَثَابٍ سُنْدُسِيَّاتِ
أَنْ صِرْتَ مَا بَيْنَ أَهَارٍ وَجَنَاتِ
كَمْ أَظْهَرْتُ فِي النَّدَى وَالْفَضْلِ آيَاتِ
رَبُوعُهَا بِالْعِبَارَاتِ الْجَلِيَّاتِ
يُبْدِي بَعْلِيهِمَا سِرَّ الْبَلَاغَاتِ
قَدْ حُلِيَتْ بِعُقُودِ جَوْهَرِيَّاتِ
أَلْبَانِنَا بِكُؤُوسِ بَابِلِيَّاتِ
سَوَالِفًا عَطِفَتْ مِنْ قُوقٍ وَجَنَاتِ
سَطَا بَرَاهِينُهُ بِالْمُشْرِفِيَّاتِ
وَأَقْبَلَتْ كَالِدِيَاغِي الْمُدْهَمَاتِ
فَيَقْطَعُ الشُّبُهَاتِ الْفَلَسَفِيَّاتِ
تُجْلَى وَيُبْدِي رِيَاضًا فِي الرِّيَاضَاتِ
إِذَا ارْتَقَى مُنْبَرَأً بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ
مِنْ لَهْوِهَا وَالتَّصَايِي فِي مَنَامَاتِ
قَبِيحٍ مَا ارْتَكَبْتُهُ مِنْ غَوَايَاتِ
ضَمَّتْ حَشَا كُلِّ قَبْرِ طَاهِرِ الذَّاتِ
تَحِلُّ فِيهَا الْعُقُودُ اللَّوْلُويَّاتِ
فَتَفْضَحُ النَّسَمَاتِ الْعَنْبَرِيَّاتِ

(١) ما بينهما من الوافي .

وكتب هو يوماً إليّ وقد فارقتُه مُتَأَذِّياً :

بِاللّهِ لَا تَغْضَبُ لِمَا قَدْ بَدَا فَأَنْتَ عِنْدِي مِثْلُ عَيْنِي الْيَمِينِ
مَا أَتَعَبَ النَّفْسَ سِوَى مَنْ غَدَا يَجْحَدُ مَا أَوْلَيْتَهُ أَوْ يَمِينِ^(١)
وَأَنْتَ عِنْدِي جَوْهَرٌ قَدْ صَفَا مِنْ دَنَسِ الْبُذْمِ نَفِيسٌ ثَمِينُ
وَوَالَّذِي يَعْلَمُ مَا قَلَّتْهُ إِبْخَارٌ مَنْ أَخْلَصَ فِي ذِي الْيَمِينِ
مَا حَلَّتْ عَنْ حَسَنِ الْوَفَا فِي الْهَوَى وَأَنْتَ فِي هَذَا الْمَكِينِ الْأَمِينِ

نسأل الله أن يحُرسَ تلك الروحانية الطاهرة من الكدر إن شاء الله تعالى ،
فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

بَرَرْتُ فِيمَا قُلْتَ يَا سَيِّدِي وَلَسْتَ تَحْتَاجُ إِلَى ذِي الْيَمِينِ
وَاللّهِ لَمْ أَغْضَبْ وَحَاشَى لِمَنْ أَرَاهُ عِنْدِي مِثْلَ عَيْنِي الْيَمِينِ
وَلَمْ يَكُنْ غِيْظِي إِلَّا لِمَنْ يَمِينٌ عَنْ طُرُقِ الْوَفَا أَوْ يَمِينِ^(٢)
وَيَفْتَرِي الْبَاطِلَ فِي قَوْلِهِ عَنِي وَلَيْسَ النَّاسُ عَنْهُ عَمِينُ
وَيُظْهِرُ الْوُدَّ الَّذِي إِنْ بَدَا ظَاهِرُهُ فَالْغِشُّ فِيهِ كَمِينُ
فَعَقَّتْهُ غَيِّ نَفُوسِ الْوَرَى مِمَّنْ تَرَى وَالسَّمُّ مِنْهُ سَمِينُ

وكتب إليّ من صفد وأنا بدمشق كتاباً نظماً ونثراً عَدِمْتُهُ ، وكتبت الجواب في سنة
ثمان عشرة وسبع مئة :

تَذَكَّرْتُ عَيْشاً مَرَّ قَدْماً وَقَدْ حَلَا وَرَبْعاً عَمَرَنَاهُ بِلَهْوٍ وَقَدْ خَلَا
فَهَاجَتْ لِي الذِّكْرَى غَرَاماً أَلْفَتْهُ وَشَنَّتْ عَلَى الْأَحْشَاءِ حَرْباً مُقَسَّطَلَا
وَأَذَكَّتْ دَمُوعَ الْعَيْنِ نَارَ صَبَابِي وَجَدَّدَتْ لِي وَجْداً أَخيراً وَأَوَّلَا
وَاللّهِ صَبْرِي فِي الرِّزَايَا فَإِنَّهُ جَمِيلٌ وَلَكِنْ خَانَ فَيْكُمْ وَبَدَّلَا
وَقِيلَ أَتَبْكِي فِي دِمَشْقَ مِنَ الْأَسَى وَإِنْ حَلَّ جَيْشُ الْهَمِّ فِيهِ تَرَحَّلَا

(١) المين : الكذب .

(٢) في الوافي : « غيظي » .

زماناً تقضى أو ربوعاً تطاولت
ففاضت جفوني بالدموع لقولهم
وهل نافعني أن الرياض تدبجت
وللورق من زهر الرياض مجامر
وقد راح منها الدوح لابس حلة
وغنى حمام الأييك ثم تراقصت
فالت سكارى ثم صفق جدول
فمن جدول أضحي حساماً مجرداً
وللبين في الأحشاء ما لواقله
كان اجتماع الشمل عقد تعلقت
ففارقت مخدوماً حمى الله ربعة
سقاني طفلاً قهوة العلم والنهي
والبسني لما اتصفت برقعة
وكم نعم لورمت تعداها أبت
إذا غبت عن أبوابه فهباته
وإن قذفتني غربّة كان جوده
ووافي في كتاب منه من بعد جفوة
لقد أنشأته راحة كف كفها
تمنى مليث الغيث لو كان بطنها
على أن كُتبي لاتزال كئاباً
أقبل فيها الأرض أعني مؤدياً
وإن كان في الأحشاء ما يمنع الفقى
فلا زال محروس الجنب مظفراً

عهدك منها وانحت يدي البلى
وقلب له أبكى حبيباً ومنزلاً
بساحتها أو صوت قمر يها غلاً
إذا حركت عوداً تحرق منداً
وصاغ من الأزهار تاجاً مكللاً
عصون سقتها الريح كساتها ملا
فألت عليها من معاطفها الخلى
ومن هيف أغصان تحرك دُبلاً
يثير قليلاً مل ثم تملّلاً
بأسلاكه كف النوى فتفصلاً
من الدهر يوماً ما أبر وأجملاً
وزاد إلى أن طال قدري واعتلى
من الفخر والعلواء مجداً مؤثلاً
وكانت من الإحصاء للذر أسهلاً
إلى كنفاس النسيم توصلاً
سحاباً يوافيني فأعطى ونولاً
فأضحى به دمعي على الحد مرسلاً
من الخطب ما أعى الأنام وأعضلاً
وودت بها الأنهار لو كن أنملاً^(١)
الآقي بها في ساحة الوجد جحفاً
بذلك فرضاً ما أراه تنفلاً
من الوجد والتبريح أن يترسلاً
بأعدائه ماهيج الشوق مئبلى

فكتب الجواب عن ذلك رحمه الله تعالى :

يُقْبَلُ البَاسِطَةُ أَلْهَمَهَا اللَّهُ الْوَفَاءَ لِمَنْ وَفَى بِعَهْدِهِ ، وَأُطْلِعَ نَجْمَهَا الْمُتَّقِدَ فِي مَطَالِعِ
سَعُودِهِ ، وَأَعَادَ غُصْنَهَا إِلَى مَنْبِتِ سَمَا مِنْهُ رَافِلاً فِي خِلَعِ بَرُودِهِ ، مَثْراً بِدُوحَةِ مَنْشِئِهِ الَّذِي
مَا يَفْتَحُ وَرْدَهُ إِلَّا لِمَا سَقَى مَاءَ وَرْدِهِ عِنْدَ وَرُودِهِ ، وَيُنْهِي بَعْدَ وَصْفِ شَوْقِهِ الَّذِي
تَطَاوَلَ عَلَيْهِ لَيْلُهُ فَادَّاهَمَهَا ، وَلَمَعَ فِي دُجْنَتِهِ بَارِقُ اللَّوَاعِجِ فَأُضْرَمَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ نِيرَانُ
الْخَلِيلِ لَمَّا ، وَأَجْرَى مِنْ جَفْنِهِ الْقَرِيحَ طُوفَانُ نُوحٍ فَلَأْجَلَ ذَلِكَ هَجَرَهُ الْوَسْنُ وَمَنْ بَعْدَ
الْهَجْرَانِ بِهِ مَا أَلَمَّا ، وَكَابِدَ فُؤَادَهُ هَمًّا ، وَوَالَّذِي يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ بِالسَّلْوِ مَا هَمَّا ،
وَعَاهِدَهُ عَلَى الْأَخْذِ بِسَنَةِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ فَلَمْ يَفِ بِعَهْدِهِ ﴿ وَلَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾^(١) ، وَأَرَادَ
الْقَلَمُ أَنْ يَصِفَ مَا وَجَدَهُ بَعْدَ الْبَعْدِ مِنَ الْأَسَفِ نَثْراً ، فَأَبَتِ الْبَلَاغَةُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ نَظْمًا ،
وهو :

نَأَيْتُمْ فَأَمْسَى الدَّمْعُ مَنِي مَوْرِدَا	على صَحْنٍ خَدٌّ صَارَ بِالسَّقَمِ عَسَجْدَا
إِذَا مَا بَدَا فِي وَجْنَتِي مِنْهُ صَيِّبٌ	رَأَيْتُ مِنَ الْيَاقُوتِ نَثْراً مَبْدَدَا
وَإِنْ نَظَّمْتُهُ فَوْقَ نَحْرِي صَبَابَةً	تَبَيَّنْتُ عَقْدًا بِالشُّذُورِ مَنْضَدَا ^(٢)
وَمَا حُثُّهُ إِلَّا بِرَيْقٍ تَتَابَعْتُ	لِوَامِعُهُ يُبِيدِينَ نَضْلاً مُجَرَّدَا
وَكَمْ أَذْهَبَ التَّذْهِيْبُ مِنْهُ حُشَاشَةً	وَأُودِعَ حُزْناً فِي الْفُؤَادِ مُجَدَّدَا
بَدَا مِنْ سَفِيرٍ مُسْتَطِيرٍ ضِيَائُهُ	فَأَنْسَتْ نَاراً فِي الدَّجْنَةِ مُذْ بَدَا ^(٣)
وَأَمْسَى فُؤَادِي كَالْكَلِمِ وَلَمْ يَجِدْ	عَلَى النَّارِ لَمَّا أَنْ تَحَقَّقَهَا هَدَى
وَكَيْفَ اهْتَدَاءُ الصَّبِّ وَالْقَلْبِ وَالِإِلَهَ	وَإِدْرَاكُهُ مُذْ غَبَتْ عَنْهُ مُشَرَّدَا
يَهِيْمُ إِذَا هَبَّتْ نُسَيْمَةٌ جَلَّقَ	وَيَصْبُوا إِذَا نَاحَ الْحَمَامُ وَعَرَّدَا
وَيَذْكُرُ أَيَّامَا تَقَضَّتْ بِسَفْحِهَا	فَيُبْدِي نَوْحَا فِي الظَّلَامِ مُرَدَّدَا

(١) طه : ١١٥/٢٠ .

(٢) الشذر : قطع من الذهب ، أو خرز يفصل بها النظم ، أو اللؤلؤ الصغار .

(٣) سنير : جبل بين حمص وبعبك .

ليالي تحكي الروض في حُلل الحيا
تَبَسَّم نَغَر الزهر لَمَّا بَكَى أَسَى
أَحْبَابُنَا غَنَبْتُمْ فَكَمْ لِي وَقْفَةٌ
وَكَمْ لِي بِهَاتِيكَ الطلولِ مَوَاقِفٌ
تَنَاءَى خَلِيلٌ يَا خَلِيلِي فَاسْعِدَا
وَأَبْدَى صُدُوداً وَالصُدُودَ مَلَامَةً
كَذَا شِمَّةُ الدَهرِ الخَوَّونِ ودَائِبُهُ

وأنشدني لنفسه على طريق ابن رشيقي في الأبيات المشهورة :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ بَيْنَ مُشْتَجِرِ القَنَا
وَأَسْنَةِ المَرَانِ مِثْلَ كَوَاكِبِ
وَلَوَامِعِ البَيضِ الرِّقَاقِ كَأَنَّهَا
وَالْحَتَفُ قَدْ لَعِبَتْ كَوْوَسٌ مُدَامُهُ

والموتُ يَحْتَطِفُ النَفُوسَ بِمِخْلَبِ
تَبَدُّوْا شَعْتَهَا بِظُلُمَةِ غَيْهَبِ
بَرْقٌ تَأَلَّقَ مَذْهَباً فِي مَذْهَبِ
بَعْقُولِنَا وَالدُّكْرُ غَايَةُ مَطْلَبِ

وأمرني أن أنظم على هذا الأسلوب فقلت :

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكُمْ بِحَرْبٍ يَشْنِي
وَالصَّافِنَاتُ بِرُكُضِهَا قَدْ أَنْشَأَتْ
وَالْبَيضُ تُنْثَرُ كُلَّمَا نَظِمَ القَنَا
وَحَشَاشَةُ الأَبْطَالِ قَدْ تَلَفَتْ ظَهْماً
وَالنَفْسُ تُنْهَبُ بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَا

عَنْ بِأَسْهَى اللَّيْثِ الهَزْبُ الرُّاغِلُ
لَيْلاً وَكُلَّ سَنَةٍ سِنَانٍ كَوَكَبِ
وَالنَّبْلُ يُشْكَلُ وَالعِجَاجُ يُتَرَبُّ
وَدَمُ الفَوَارِسِ مُسْتَهْلٌ صَيِّبُ
وَأَنَا بِذِكْرِكُمْ أَمِيلٌ وَأَطْرَبُ^(١)

وكتب يوماً في الاعتذار من وداع الحبيب :

يَوْمَ الْوَدَاعِ بَدَتْ شَوَاهِدُ لَوْعِي
وَأَرَدْتُ أَعْتَنُقَ الْحَبِيبَ فَخَفْتُ أَنْ

نَارَ الْخَلِيلِ تُشَبُّ فِي الطُوفَانِ
يَغْشَاهُ يَمٌّ أَوْ لَطَى نِيرَانِ

(١) في الأصل : « بالصوام » ، سهو .

وطلب مني أن أنظم شيئاً في هذه المادة فقلت :

لَمْ أَطْرَحْ يَوْمَ الْوَدَاعِ عِنَاقَهُ مَلَأَ وَدْمَعُ الْمَقْلَتَيْنِ سَكُوبُ
إِلَّا خَافَةً أَنْ يَفْتَرَّ عَنْهُ بَرَدٍ وَتَبَدُّو حُرْقَتِي فَيَذُوبُ^(١)

ومن نظمه وقد أهدي إليه قراصيا :

يَا سَيِّدًا أَصْبَحْتَ كَفَاءَ بَحْرٍ نَدَى تُؤَلِّي سَحَابَهُ الْأَنْعَامَ وَالْقَوَا
كُنَّا عَهْدُنَا اللَّائِي مِنْ مَوَاهِبِهِ وَالْيَوْمَ نَنْظُرُهَا فِينَا يَوَاقِيتَنَا
ومنه وقد أهدي إليه بطيخ أصفر :

أَهْدَيْتُ شَيْئًا يَرُوقُ مَنْظَرُهُ مَاءً تَبَدَّى فِي جَامِدِ اللَّهَبِ
أَوْ شَمْسَ أَفْقٍ قَدْ كُوِّرَتْ فَبَدَا شُعَائُهَا مِثْلَ ذَائِبِ الذَّهَبِ
لَمَّا تَبَدَّتْ لَهَا بُرُوقُ مُدَى أَبَدَتْ حَشَاَهَا أَهْلَةَ الشُّهْبِ
وَكَمْ أَرْتَنَّا الْقِسِيَّ مِنْ قُزَحٍ مُبَشِّرَاتٍ بِ——وَكَفِ سَرِبِ
أَخْضَرُهَا قَدْ زَهَا بِأَحْمَرِهَا كَوْرِدٍ خَدٌّ بِالْأَسِ مُتَّقِبِ
وَأَرْشَقَتْ مِنْ عَقِيقٍ بِمِسْمِهَا خَمْرَةٌ رِيْقٍ أَحْلَى مِنَ الضَّرْبِ
فَبِتُ مِنْ نَشْوَةٍ بِهَا ثَمَلًا أَهْزَ عِطْفَ السَّرُورِ مِنْ طَرَبِ
وَمَدُّ تَرَشَّفْتُ بَرْدَ رَيْقِهَا خِلْتُ فَوَادِي الْعَزِيزِ فِي حَلَبِ

ومنه ، وقرأته عليه ، ونقلته من خطه :

سَرَى بَرَقَ نَعْمَانٍ فَأَذْكُرُهُ السَّقْطَا وَأُبْدَى عَقِيقُ الدَّمْعِ فِي خَدِهِ سَمَطَا
فَلَا حَ كَسِيفٍ مُذْهَبٍ سَلَّ نَصْلُهُ وَرُوعٌ وَسَمِيَّ السَّحَائِبِ فَاغْطَا
وَأَدَى رِسَالَاتٍ عَنِ الْبَانِ وَالنَّقَا وَأَقْرَأَهُ مَعْنَى الْغَرَامِ وَمَا خَطَا^(٢)

(١) كذا في الأصل وما يستقيم وزنه .

(٢) في الوافي والمنهل : « فما أخطأ » . وفي المنهل : « وأقرأه معنى للغرام » .

وأهدى إليه شمة سحرية
 تمر على روض الحمى تفحاتها
 وتنثر عقد الطل في وجناتها
 وتطلع منه في الدجا أي الجحيم
 وتوقظ فوق الدوح ورق حائم
 هم نسبوا حزنأ إليها ومادروا
 ولم تيمت صبا بلحن غريبه
 فياليت شعري هل بها ما بهجتي
 هل هي في دوحات كل خيلة
 ولو أنها قد تيمتها صبا
 ولا عاتقت غصنا بكف مخضب
 ولا لبست ثوبا يروق مدجيا
 ولو ذكرت أمانا بطويلع
 وقصدت فرت عني غرايب صبوتي
 وخط على فودي سطرأ حروفه
 ولكنّه قد أودع الفكر حكمة
 تحارب أيام لها الغدر شية
 وألبسة ثوبا من العلم معلما
 إذا ما روت عنه البلاغة منطقا
 وإن غاص في لجج البيان يراعه

أعادت فؤادا طالما عنه قد شطا
 فتهدى إلى الأزهار من نشرها قسطا
 فتظهر في لآء أوجنها بسطا^(١)
 وتليس عطف الغصن من سندس مرطا
 جعلنا قلوب العاشقين لها لقطا
 وما أرسلت من جفنها أبدا نقطا
 رواه الهوى عنها وما عرفت ضبطا^(٢)
 من الوجد أم لم ترع عهدا ولا شرطا
 تغرد أو ناحت على فقدتها السبطا
 لما طوقت جيدا ولا جاورت شطا
 ولا اتخذت من زهر أعطافه قرطا
 ولا نسيت عهد الهديل ولا الأرطى^(٣)
 لأجرت كدمعي مذ بدت لمتي شطا
 غرايب دهر جار في الحكم واشتطا^(٤)
 رقم بقلبي عارض الحنف مذ خطا
 أفادته عرفانا فيانعم ما أعطى
 فكم سترت فضلا وكم أظهرت غمطا
 بدا لذوي جهل فأورثهم سخطا
 يرى النجم في عليائه منه منخطا
 أرى جنة لا أثل فيها ولا خمطا

(١) في الأصل : « عند الطل » ، وأثبتنا ما في الوافي والمنهل ، وفي الأخير : « عقد الكل » .

(٢) هذا آخر ما رواه ابن تغري بردي في المنهل .

(٣) في الوافي : « بني الأرطى » .

(٤) في الوافي : « غرائب صبوتي » .

بها حورٌ عَيْنٍ لورأها زهيرها لصيرَ خديهِ لأقدامِها بسطاً
إذا ما تجلّى للأفاضلِ حُسْنُها أدارتُ عليهم من لواظِها اسْفِطاً
وتُحجَبُ عَنّ قد تردى لجهله وأصبحَ جَلابُ الحيا عنه مُنْعَطاً^(١)
ولا غزو ألاً يدركَ الشمسَ ذو عَمَى على قلبه مِثْنُ الجهالةِ قَدْ غَطَى
صفاتُ عَزَّتْها نِسْبَةُ قُرَشِيَّةٍ إلى مَنْ سَمَا مُجْداً وأكرمَ بهم رَهْطاً

٥٨٥ - الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ أَبِي سَعْدٍ*

الصَّاحِبُ قَوَامُ الدِّينِ بْنِ الطَّرَاحِ .

كان من بيتِ عِلْمٍ ورئاسه ، وحديث ونفاسه ، وكان أخوه فخر الدين أبو محمد المظفر بن محمد له تَقَدُّمٌ عند التتار ، وحرمةٌ لا يحجبها استتار . وقَدِمَ هذا قَوَامُ الدِّينِ القاهرة ، وكان حَسَنَ الصُّحْبَةِ والمُحَاوَرَةِ ، ظريف المنادمة ، كريم المجاوره . وله معرفة بنحوٍ ولغة ونجومٍ وحساب ، وأدبٍ لم يكن لغيره فيه احتساب .

أخبرني من لفظة العلامة أثير الدين أبو حيان قال : قدم علينا القاهرة . وقال لي : إِنِّي أَوَّلُ مَنْ تَشَيَّعَ مِنْ بَيْتِنَا^(٢) ، قال أثير الدين : وكان فيه تَشَيُّعٌ يَسِيرٌ ، ثم إنه سافر إلى الشام وكرَّ منها راجعاً إلى العراق مع غازان ، وكنت سألتُه أن يُوَجِّهَ إلينا^(٣) شيئاً من أخباره وَعَمَّنْ أَخَذَ من أهل العلم ، وشيئاً من شعره فوجَّهَ لي بذلك وكتب لي من شعره بخطه :

عَدِيدُ دَمْعِي فِي الْخُدِّ يَطْرُدُ وَنَارَ وَجْدِي فِي الْقَلْبِ تَقْدُ
ومهجتي في هواك أتلُفها الش سَوْقَ وَقَلْبٍ أُوْدَى بِهِ الْكُدُ^(٤)

(١) عط الثوب : شقه طولاً أو عرضاً .

* الوافي : ٢٦٤/١٢ ، وفوات الوفيات : ٣٦٥/١ ، وفيه : « ابن أبي سعيد » ، والدرر : ٣٤/٢ .

(٢) في الوافي : « من أهل بيتنا » .

(٣) في الوافي : « إليّ » .

(٤) في الوافي والفوات : « ومهجة في » .

وَعُدُّكَ لَا يَنْقُضِي لَهْ أَمَدٌ وَلَا لِلَّيْلِ الْمَطَالِ مِنْكَ غَدٌ
ومنه :

لَقَدْ جُمِعَتْ فِي وَجْهِهِ لِمُحِبِّهِ بدائعُ لم يُجْمَعْنَ فِي الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ
حَبَابٌ وَخَمَرٌ فِي عَقِيْقِي وَنَرَجِسٍ وَأَسَّ وَرِيحَانٌ وَلَيْلٌ عَلَى فَجْرِ

وقال : كتب إلي أخي أبو محمد المظفر يعاتبني على انقطاعي عنه ، وهو الذي ربّاني وكفلني بعد أبي :

لَوْ كُنْتُ يَا ابْنَ أَبِي حَفِظْتَ إِخَائِي مَا طُبْتُ نَفْسًا سَاعَةً بِجَفَائِي ^(١)
وَحَفِظْتَنِي حَفْظَ الْخَلِيلِ خَلِيلَهُ وَرَعَيْتَ لِي عَهْدِي وَصَدَقَ وَفَائِي
خَلَقْتَنِي قَلْقَ الْمَضَاجِعِ سَاهِرًا أُرْعَى الدُّجَى وَكَوَاكِبَ الْجَوَازِ
مَا كَانَ ظَنِّي أَنْ تَحَاوَلَ هِجْرَتِي وَأَنْ يَكُونَ الْبَعْدُ مِنْكَ جَزَائِي
قال : فكتبت إليه :

إِنْ غَبْتُ عَنْكَ فَإِنَّ وَدِّي حَاضِرٌ رَهْنٌ بِمَحْضِ مَوَدَّتِي وَوَلَائِي ^(٢)
مَا غَبْتُ عَنْكَ بِحِجْرَةٍ تَعْتَدُهَا ذَنْبًا عَلَيَّ وَلَا لُضْعَفَ وَلَائِي
لَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ يَدَ النَّوَى تَرْمِي الْجَمِيعَ بِفَرْقَةٍ وَتَنَائِي
أَشْفَقْتُ مِنْ نَظَرِ الْحَسُودِ لَوْصَلْنَا فَحَجَّيْتُهُ عَنْ أَعْيُنِ الرِّقَبَاءِ
انتهى كلام الشيخ أثير الدين .

قُلْتُ : وتوفي المذكور رحمه الله تعالى في أوائل الحرم سنة عشرين وسبع مئة ببغداد ، ودفن بمشهد موسى الجواد .

(١) في الأصل والفوات : « يا ابن أخي » ، ولا مناسبة لها ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الوافي والفوات : « محبتي » .

ومولده في شهر ربيع الأول سنة خمسين وست مئة .

وكان الملك الأشرف خليل بن قلاوون قد جهّز لأخيه فخر الدين توقيعاً وعلماً وخاتماً ، وتقرّر بينهما إذا دخل السلطان أرض الحجاز يُقدّم عليه بجيشه ، فإنه كان نائب سلطنة هناك ، ولما ورد أخوه قوام الدين في أيام سلاّر^(١) والجاشنكير^(٢) حضر معه الخاتم والتوقيع والعلم ، فلذلك قرّر له على المصالح بدمشق ثلاث مئة درهم في كل شهر .

٥٨٦ - حسن بن محمد بن علي*

الشريف نور الدين بن الشريف محيي الدين بن فخر الدين بن زهرة ، الحسيني الحلبي ، ابن عم الشريف بدر الدين نقيب الأشراف بحلب^(٣) .

كان فيه نهضة ، وله همّة ومعرفة ، ولي نظر البيارستان وغيره بحلب ، فعزل من ذلك وخوّق ، وأخذ منه مال على سبيل المصالحة ، وحصل له إخرأق وإهانة ، وكأنّه قد^(٤) خيف من غائلته ، فترك إلى أن خرج إلى قرية من قرى سُرّمين ليُقسّم مغلّها ، ونزل عليه الرجال وقتلوه ، ومعه ثلاثة أنفس ، وقطعت يد آخر من رفاقه من مرقّقه ، ولم يتعرّضوا إلى ما معهم من المال ولا القماش ، وذلك في ليلة الثلاثاء خامس شهر الله المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

(١) سيف الدين التتري المنصوري ، ستأقي ترجمته .

(٢) هو السلطان الملك للظفر بيبرس ، سلفت ترجمته في حرف الباء .

* الدرر : ٣٨/٢ .

(٣) واسمه الحسين بن علي بن الحسن ، ستأقي ترجمته .

(٤) في الأصل : « من » ، ولعلّ ما أثبتنا أقرب .

٥٨٧ - حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ قِلَاوُونَ*

السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ نَاصِرُ الدِّينِ ابْنُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ابْنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ
الْمَنْصُورِ .

مَلِكٌ قَهْرُ الْجَبَّارِينَ آخِرًا ، وَصَبَّحَهُمْ فِي مَأْمَنِهِمْ مُغِيرًا ، وَجَعَلَهُمْ فِي السَّجُونِ وَخُدَانَا
وَكَانُوا أَكْثَرَ نَفِيرًا ، وَمَلَأَ الْقُلُوبَ سَطْوَهُ ، وَلَمْ يَدَعْ أَحَدًا يَنْقُلُ فِي غَيْرِ الطَّاعَةِ خَطْوَهُ ،
وَاحْتَجَنَ الْأَمْوَالَ ^(١) ، وَأَرَى النَّاسَ الْغَيْرَ ^(٢) وَالْأَهْوَالَ ، وَبَنَى الْمَدْرَسَةَ الْعَظْمَى ^(٣) ، وَأَنْفَقَ
الْبُلْغَاءَ فِيهَا حَوَاصِلَ أَفْكَارِهِمْ نَثْرًا وَنَظْمًا ، وَوَقَفَ عَلَيْهَا الْوُقُوفَ الَّتِي تَجْرِي سَيُوهَا ،
وَتَسْرِي فِي الْبَرِّ خِيُوهَا . إِلَّا أَنَّ الدَّهْرَ مَا أَمَلَهُ لَتَتَكَمَّلَ بِدَوْرِهَا وَتَتَأَمَّلَ الْعَيُونَ
مَا تَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ قُصُورُهَا ، وَلَوْ تَمَّتْ لَخَذَلْتُ مُسْتَنْصِرِيَّةَ بَغْدَادَ عِنْدَهَا ، وَاعْتَرَفْتُ لَهَا
بِالتَّعْظِيمِ عَنْ نَبِيَّةٍ طَاهِرَةٍ لَا عَنْ دَهَا :

تَعْنُو الْكَوَاكِبُ إِجْلَالًا لِعِزَّتِهَا وَتَسْتَكِينُ لَهَا الْأَفْلَاكُ مِنْ عَظَمِ
كَأَنَّهَا إِرَمٌ ذَاتُ الْعِمَادِ وَإِنْ زَادَتْ بِمَالِكِهَا فَخْرًا عَلَى إِرَمِ

وَلَمْ يَزَلْ فِي عِزِّ سُلْطَانِهِ وَجَبَرُوتِهِ ، وَمُرُورِهِ فِي يَبْدِ طَيْشِهِ وَمُرُوتِهِ ^(٤) إِلَى أَنْ خُلِعَ
مِنَ الْمَلِكِ ، وَأَنْزَلَ مِنْ دَرَجَاتِ النِّعَمِ إِلَى دَرَجَاتِ الْمُلْكِ ، حَالَةً أَلْفَهَا النَّاسُ مِنْ أُمَّ دَقَرٍ ،
وَعَايَةً لَا بُدَّ مِنْهَا لِكُلِّ سَفَرٍ ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ تَاسِعِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ
وَسِتِينَ وَسَبْعٍ ^(٥) مِئَةٍ .

* الوافي : ٢٦٦/١٢ ، والبداية والنهاية : ٢٢٤/١٤ ، والنجوم : ١٨٧/١٠ ، والدرر : ٣٨/٢ ، والمنهل
الصابي : ١٢٥/٥ .

(١) أي : ضمها واحتواها .

(٢) أي : الهلاك .

(٣) انظر : حسن المحاضرة : ٢٦٩/٢ .

(٤) جمع مروت ، وهي المفازة بلا نبات .

(٥) انظر : البداية والنهاية : ٢٧٨/١٤ .

وكان قد جلس على تخت الملك أولاً بعد خلع أخيه الملك المظفر حاجي في بكرة الثلاثاء رابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة^(١) ، وحضر إلى دمشق الأمير سيف الدين أسنُّبا الحمودي السلاح دار وحلّف له العساكر بدمشق ، فاستقر ببيغاروس في نيابة مصر ، والأمير منجك في الوزارة والاستاذارية والأمير سيف الدين شيخو يقرأ القصص عليه بحضور السلطان ، ولم يزل الحال على ذلك إلى أن كان يوم السبت رابع عَشْرِي شوال سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، فقال السلطان يوماً بحضور القضاة ، وأمرأ الدولة حضور : أنا ماأنا رشيد ؟ قالوا : الله الله ، فقال : أنا ماأنا أهل للسلطنة ؟ فقالوا : الله الله . فقال : إن كان الأمر هكذا فأمسكوا إليّ هذا . وأشار إلى الوزير منجك ، وكان النائب أخوه قد توجه إلى الحجاز هو والأمير سيف الدين طاز ، ودبّر هذا الأمر له الأمير علاء الدين مُغلطاي أمير آخور ، فأمسك الوزير^(٢) ، وكتب إلى الأمير طاز فأمسك ببيغاروس في طريق الحجاز على ما تقدم في ترجمة ببيغاروس ، وزاد مُغلطاي في إمساك الأمراء والنواب ، على ما تقدم ، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن خلع الناصر حسن في ثامن عشري شهر جمادى الآخر نهار الاثنين سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة^(٣) وأجلسوا أخاه الملك الصالح صلاح الدين صالح ، على ماسيأتي في ترجمته .

ولم يزل الملك الناصر حسن بالقلعة داخل الدور السلطانية في مكانٍ يلزمه لا يجتمع بأحد إلى أن أحسَّ الأمير سيف الدين شيخو بأن الأمير سيف الدين جردمر^(٤) أخا الأمير طاز قد قصد فتنة يثيرها ، فحينئذ خلع الملك الصالح وأعاد الناصر حسن

(١) البداية والنهاية : ٢٢٤/١٤ .

(٢) البداية والنهاية : ٢٣٦/١٤ .

(٣) البداية والنهاية : ٢٣٩/١٤ وما بعدها .

(٤) (ت ٧٩٣ هـ) . الدرر : ٥٣٣/١ .

إلى الملك وأجلسه على تخت السلطنة بُكْرَةَ الاثنين ثاني العيد من شوال سنة خمس وخمسين وسبع مئة^(١).

وحضر الأمير عز الدين أيدمر الشمسي إلى دمشق وحلف له العساكر ، وأخرج الأمير سيف الدين طاز إلى حلب نائباً ، وتقل أرغون الكاملي من نيابة حلب إلى مصر ، فأقام قليلاً واعتقله بالإسكندرية ، واستقل بالتدبير الأمير سيف الدين شيخو والأمير سيف الدين صرغتمس ، وكان الأمير سيف الدين طشتمر القاسمي أمير حاجب ، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن أخرج الأمير شيخو على ماسيأتي في ترجمته ، وأقام قليلاً ومات رحمه الله تعالى .

وأمسك الأمير طاز وأخوته ، وانفرد صرغتمس بالتدبير بعد موت شيخو إلى أن أمسكه الملك الناصر حسن على ماسيأتي في ترجمته وأمسك معه جماعة ، وذلك في عشرين شهر رمضان سنة تسع وخمسين وسبع مئة^(٢) ، فصفت له الدولة ولم يشاركه أحد في التدبير ، وشرع في عمارة المدرسة العظمى التي ظاهر القاهرة ، ولو كملت لكانت غاية في العظم وعلو البناء واتساعه ، ويقال إنه كان قد أرصد لعمارتها في كل يوم عشرين ألف درهم ، وأقامت على ذلك ، والعقارة لا تقطل منها يوماً واحداً ثلاث سنين وأكثر ، وخلع وما نجزت عمارتها ، وعلى الجملة فهي أمر عجيب .

وزاد في احتجان الأموال مصادرة الأمراء والكتّاب وأصحاب الأموال ، وزاد أيضاً في أخذ القرى الكبار الأمهات الأعيان من سائر المملكة الإسلامية بالشام جميعه ومصر واصطفائها لنفسه ، ولم يمت أمير إلا وأخذ من إقطاعه خيارة ، ووفر بعض التقادم التي هي في العساكر لأمراء المؤمنين ، ولم يدع أحداً آمناً على نفسه من النواب ومن دونهم فلا يقيم النائب إلا دون السنة ، وكذلك الأمراء لا يقيمون إلا أقل من سنة حتى

(١) البداية والنهاية : ٢٥١/١٤ .

(٢) البداية والنهاية : ٢٦٢/١٤ .

ينقلوا^(١) من إقطاعهم ومن مكانهم ، ولم يزل الحال على ذلك إلى أن خلعه الأمير سيف الدين يَلْبُغا الخاصكي في يوم الأربعاء تاسع جادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبع مئة^(٢) كما تقدم ، وأجلس السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن الملك المظفر حاجي ، وورد إلى دمشق الأمير سيف الدين بزدار^(٣) السلاح دار وحلّف العساكر الشامية .

وكان بعض الأصحاب قد قصّد مِنِّي نَظْمَ قصيدة أذكر فيها أمر السلطان وقهره وعمارته المدرسة المذكورة ، وأن تكون واضحة بحيث يفهمها ، فقلت :

<p>فَتَقَّ الْبَيَانَ مِنَ الْبَدِيعِ لِسَانِي مَلَكَ الْقُلُوبِ بِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ مَعَ إِخْوَةٍ صَالُوا عَلَى الْحَدَثَانِ سُمِّيَ حَلِيفُ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ دِينُ النَّبِيِّ عَلَا عَلَى الْأَدْيَانِ لِلزَّهْرِ فِي قُلُوكَ مِنَ الْإِيْوَانِ فِي رَوْنَقٍ وَسَنَاءٍ وَرِفْعَةٍ شَانِ فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ وَالْبُلْدَانِ وَكَاثَنَهُ كِشْرَى أَنْوَشِرَوَانِ لِتَقْمَصُوا بِالذُّلِّ وَالْإِذْعَانِ خُطْبَاءَ تَهْزُ مِنْابِرَ الْأَغْصَانِ</p>	<p>إِنِّي بِنَظْمِ مَدَائِحِ السُّلْطَانِ النَّاصِرِ ابْنِ النَّاصِرِ الْمَلِكِ الَّذِي مِنْ يَثِيتِ أُمْلَاكِ آبُوهِ وَجَدُهُ وَأَبُو الْمُحَاسَنِ يَنْبُتُهُمْ حَسَنٌ كَمَا فَتَرَاهُ مَا يَتَيْنِ الْمُلُوكَ كَأَنَّهُ وَتَرَاهُ مِثْلَ الْبَدْرِ وَالْأَمْراءِ مِثْ لَا بَلْ هُوَ الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فِي الضُّحَى أَمَسَتْ مُلُوكَ الْأَرْضِ خَاضِعَةً لَهُ مِنْ عَدْلِهِ الْمَشْهُورِ قَدْ مَلَأَ الْمَلَا لَوْعَايَتَهُ مُلُوكُ عَصْرِ قَدْ مَضَى تَتَلَوُ الْحَمَائِمُ فِي مَنَاقِبِ فَضْلِهِ</p>
--	--

(١) في الأصل : « ينقلون » .

(٢) البداية والنهاية : ٢٧٨/١٤ .

(٣) كذا في الأصل . وفي البداية والنهاية مانصّه : « وجاء الخبر إلى دمشق صحة الأمير سيف الدين بزلار

شاد الترخناناه ، أحد أمراء الطبليخانات بمصر » .

وبزلار هذا (ت ٧٩١ هـ) . انظر : الدرر : ٤٧٦/١ .

فَتَرَقَّصُ الْأَعْطَافَ مِنْ فَرَحٍ بِهِ
 أَيَّامُهُ مِنْ يُمْنِهَا وَأَمَانِهَا
 قَهَرَ الْأَعَادِي بِأَسْهُ فَأَذْلَهُمْ
 مِنْ خَانَةٍ فِي مَلِكِهِ فَقَدْ اغْتَدَى
 وَاللَّهُ سَلْطَةً عَلَى أَعْدَائِهِ
 اللَّهُ أَيُّدُهُ وَمَكَّنَ سَيْفِهِ
 وَتَرَى دِمَا أَعْدَائِهِ بِسَيُوفِهِ
 لَكِنَّهُ مِنْ رَحْمَةٍ حَقَّقَ الدِّمَاءَ
 شُكْرًا لِمَخْلَقِهِ الَّذِي مِنْ لَطْفِهِ
 وَبَنَى بِقَاهِرَةِ الْعِزِّ مَدَارِسًا
 أَرَسَى قَوَاعِدَهَا وَشَيَّدَ صَرْحَهَا
 تَحَيَّرَ الْأَفْهَامُ فِي تَكْوِينِهَا
 لَيْسَتْ عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ مِثْلَهَا
 لَوْعَايْنِ الْمَنْصُورِ رَوَّتْهَا غَدَا
 هَاتِيكَ مَدْرَسَةً وَأَمَّا هَذِهِ
 لِلشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبِي حَنِيدٍ
 هُوَ فَارِسُ الْخَيْلِ الَّذِي تَجْرِي بِهِ
 فَتَطِيرُ أَكْرَتُهُ كَرَأْسِ عَدُوِّهِ
 وَكَذَلِكَ يَوْمَ الْحَرْبِ إِنْ هَزَّتْ بِهِ
 يَلْقَى الْكَفَّاحَ بِوَجْهِهِ وَبِنَحْرِهِ
 نَصَرَ الضَّعِيفَ عَلَى الْقَوِيِّ بِيَّاسِهِ

وَتُمِيلُ مِنْ طَرَبٍ غُصُونُ الْبَانِ
 مَشْكُورَةً فِينَا بِكُلِّ لِسَانٍ
 وَرَمَاهُمْ بِالْخِزْيِ وَالْخُسْرَانِ
 مُتَبَرِّيًّا مِنْ رِبْقَةِ الْإِيمَانِ
 وَرَمَى الْجَمِيعَ بِذُلَّةٍ وَهَوَانٍ
 مِنْ غُنُقٍ كُلُّ مُنَافِقٍ خَوَانٍ
 كَشَقَائِقُ نَثَرَتْ عَلَى رَيْحَانٍ
 لَمْ يُمْضِ فِيهَا حَدٌّ كُلِّ إِيَّانٍ
 قَدْ بَاتَ مَنْصُورًا عَلَى الْأَقْرَانِ
 لِلْفَقْهِ وَالتَّحْدِيثِ وَالْقُرْآنِ
 فَعَلَّتْ عَلَى الْعَيُوقِ وَالِدَبْرَانِ^(١)
 فَنَبَأُوهَا مِنْ أَعْظَمِ التَّبْيَانِ
 مِنْ أَرْضِ تُورِيْزٍ إِلَى أَسْوَانِ
 مِنْ دَهْشَةٍ لَحِقَتْهُ كَالْخَيْرَانِ
 فِدِينَةٌ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ
 فَمَنْهُ الْإِمَامُ وَأَحْمَدُ الشَّيْبَانِي
 كَالْبَرْقِ يَوْمَ السَّبْقِ فِي الْمِيدَانِ
 لِمَا طَغَى مِنْ ضَرْبَةِ الْجُوكَانِ^(٢)
 أَيْدِي الْكَلَاءِ عَوَالِي الْمُرَّانِ^(٣)
 وَيَكُونُ لَيْثٌ وَغَى عَلَى الْفُرْسَانِ
 فَالظُّلُمُ فِي خِزْيٍ وَفِي خُذْلَانٍ

(١) العيوق والدبران : كواكب .

(٢) الأكرة : الكرة .

(٣) المران : الرماح الصلبة اللدنة .

والشَّرعُ قد أعلى الإلهَ منارَه فتراهُ وهوَ مشيِّدُ الأركانِ
فلأجلِ ذا تمتدُّ مدَّةُ مُلكِه محروسَةً في السِّرِّ والإعلانِ

٥٨٨ - الحسن بن مُظفَّر بن عبد المُطَّلِب بن عبد الوهاب بن مَنَاقِب بن أحمد*

الشریف العَدْلُ شمس الدین أبو محمد الحسینی المنقَدي الدمشقی .

روی عن الفخر الإزبلی وأبی نصر بن الشیرازی وعبد العزیز بن الدَّجَاجِیَّة ،
وإبراهیم الخُشوعی ، وناب فی الحِیْبَةِ مَدِیْدَة ، وكان فی جُمْلَةِ الشُّهُود .

وسمع منه الشیخ شمس الدین الذهبی ، وكان قد ائْتَلَى بِلَغَم ، فكان إذا مشى تَعَدُّو
بغَیر اختیاره ، ثم یسقط ویستریح ویقوم .

توفی رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

٥٨٩ - الحسن بن منصور بن محمد بن المبارك**

جلال الدین بن شَوَّاق ، بالشین المعجمة والواو المشددة وبعد الألف قاف ،
الإسنائي .

كان جواداً كريماً ، عاقلاً حليماً ، فاضلاً أدیباً ، كاملاً لیبياً ، نبیه القَدْر ، واسع
الصدر ، یُشْعِرُ فِیائِی بالریاض الیانه ، ویهزُّ بالطرب سامِعَه ، أبی النَّفْس لا یرى
الضَّیم ، ولا تدخل غادَة شَمْسِه تَحْتَ سِتْرِ غَیم .

لم یزل فی نفاسته ومعارج ریاسته إلى أن هبط من أوج قَدْره إلى حضيض قبره .

ووفاته رحمه الله تعالى سنة ست وسبع مئة .

* الوافي : ٢٧٢/١٢ .

** الوافي : ٢٧٧/١٢ ، والطالع السعيد : ٢١٠ ، والدرر : ٤٦/٢ ، ولتنهل الصافي : ١٣٩/٥ .

ومولده سنة إحدى^(١) وثلاثين وست مئة .

كان بنو السديد يأسنا يحسدونه ويعملون عليه ، فعلموا عليه بعض العوام ، فرماه بالتشيع . ولما حضر بعض الكاشفين^(٢) إلى إسنا حضر إليه شخص يسمى عيسى بن إسحاق وأظهر التوبة من الرفض ، وأتى بالشهادتين ، وقال : إن شيخنا ومدرّسنا حضر إليه في هذا جلال الدين بن شواق ، فصادره الكاشف ؛ أخذ ماله ، فجاء إلى القاهرة ، وعرض عليه أن يكون في ديوان الإنشاء فلم يفعل ، وقال : لا ، تركت أولادي يقال لهم من بعدي : أبوك خدّم وعرض عليه أن يكون شاهد ديوان حسام الدين لاجين قبل السلطنة فلم يفعل^(٣) .

قال الفاضل كال الدين الأدفوي^(٤) : أخبرني الفقيه العدل حاتم بن النفيس الإنساني أنه تحدث معه في شيء من مذهب الشيعة فحلف أنه يحب الصحابة ويعظمهم ويعترف بفضلهم ، قال : إلا أنني أقدم عليهم علياً .

ومن شعره :

رَأَيْتُ كَرَمًا ذَاوِيًا ذَابِلًا وَرَبُّعُهُ مِنْ بَعْدِ خَصْبِ مَحِيلُ
فَقُلْتُ إِذْ عَايَنْتُهُ مَيِّتًا لَا غُرُو أَنْ شُقَّتْ عَلَيْهِ النَّخِيلُ^(٥)

ومن شعره يمدح سيدنا رسول الله ﷺ :

هُوَ طَيِّبَةٌ أَهْوَاهُ مِنْ حَيْثُ أَرْجَا فَعُوجًا بِنَا نَحْوَ الْعَقِيقِ وَعَرْجَا
وَسِيرُوا بِنَا سِيرًا حَثِيثًا مُلَازِمًا وَلَا تَنِيَا فَالْعَيْسُ لَمْ تَعْرِفِ الْوَجَى^(٦)

(١) في المنهل والطالع السعيد : « اثنتين وثلاثين » .

(٢) في الطالع السعيد : « الكشاف » . وم الولة للولايات الكبيرة .

(٣) انظر الطالع السعيد : ٢١٠ - ٢١١ .

(٤) الطالع السعيد : ٢١٥ .

(٥) البيتان في الطالع السعيد : ٢١٤ ، وفيه : « عليك النخيل » .

(٦) الطالع السعيد : ٢١٤ ، والمنهل الصافي : ١٤٠/٥ .

ومن شعره :

كيفَ لا يَحُلُو غرامي وافتضاحي
 مَعَ رَشِيقِ القَدِّ مَغْسُولِ المي
 جَوْهَرِي الثَّغْرِ يَنْحُو عَجَباً
 نَصَبَ الهجر على تمييزه
 فلهذا صار أُمْرِي خَبِراً
 يا أَهْيَلِ الحَيِّ مِنْ نَجْدِ عسى
 لو خَفَضْتُمْ حَالَ صَبٍّ جازم
 ليس يصغي قولَ واشٍ سَمِعْهُ
 وَمَحَاوُتُمْ اسْمَهُ مِنْ وَصْلِكُمْ
 وَصَحَا كُلُّ مُحِبٍّ ثَمَلِ
 ولئن أفرطتُمْ في هَجْرِهِ
 فهو لَاجِ لأُولِي آلِ العَبَا
 قُلِّدُوا أُمراً عَظِيماً شَانَهُ
 أَمْنَاءُ اللَّهِ فِي السَّرِّ الَّذِي
 هُمْ مَصَابِيحُ الدَّجَى عِنْدَ السُّرَى

وَأَنَا بَيْنَ غَبُوقٍ وَاصْطِبَاحٍ^(١)
 أَشْمِرُ فِاقَةً عَلَى سُمْرِ الرِّمَاحِ^(٢)
 رَفَعَ المَرَضَى لِتَعْلِيلِ الصَّحَاحِ^(٣)
 وَابْتَدَأَ بِالصَّدِّ جِدّاً فِي مَزَاحِ
 شَاعَ فِي الْآفَاقِ بِالقَوْلِ الصَّرَاحِ
 تَجَبَّرُوا قَلْبَ أَسِيرٍ مِنْ جَرَّاحِ
 مَالَهُ نَحْوَ حِمَاكُمُ مِنْ بُرَاحِ^(٤)
 فَعَلَى مَاذَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ لَاحِ
 وَهُوَ فِي رَشْمِ هَوَاكُمُ غَيْرَ مَاحِ
 وَهُوَ مِنْ خَمْرِ هَوَاكُمُ غَيْرَ صَاحِ^(٥)
 وَرَأَيْتُمْ بُعْدَهُ عَيْنَ الصَّلَاحِ^(٦)
 مَعْدُنَ الْإِحْسَانِ طَرّاً وَالسَّاحِ
 فَهُوَ فِي أَعْنَاقِهِمْ مِثْلُ الْوِشَاحِ
 عَجَزَتْ عَنْ حَمَلِهِ أَهْلُ الصَّلَاحِ
 وَهُمْ أَسَدُ الشَّرَى عِنْدَ الْكِفَاحِ^(٧)

قُلْتُ : شِعْرُ ابْنِ شَوَّاقٍ يَشُوقُ ، وَيُحَلِّي الْأَجْيَادَ وَيَطْوِقُ .

(١) الغبوق : شراب المساء ، والصبوح : شراب الصباح .

(٢) المي : سمرة في الشفة .

(٣) فيه تورية بكتاب الصحاح للجوهري .

(٤) في الطالع السعيد ، والمنهل : « لم خفضتم » .

(٥) لم يرد هذا البيت في الطالع ، وهو في المنهل .

(٦) في الطالع : « فلئن » .

(٧) تمة النص في الطالع السعيد .

٥٨٧ م - حسن بن نصر*

الصدر نبيه الدين الإسعدي .

كان محتسب القاهرة ، ولَمَّا تَوَلَّى صاحب ضياء الدين النشائي الوزارة تولى هو نظر الدواوين .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في جمادى الآخرة سنة تسع وسبع مئة^(١) ، ودفن برآ باب النصر بالقاهرة ، وصَلَّى عليه الشيخ نصر المنبجي^(٢) .

٥٨٨ م - الحسن بن هارون بن حسن**

الفقيه الصالح نجم الدين الهذباني^(٣) الشافعي أحد أصحاب الشيخ محيي الدين النووي .

كان دِينًا خَيْرًا ورعًا .

سمع من ابن عبد الدائم .

ولم يحدث لأنه توفي - رحمه الله تعالى - كهلاً سنة تسع وتسعين وست مئة في تاسع شعبان .

٥٨٩ م - الحسن بن هبة الله بن عبد السيّد***

شمس الدين الأذقوي

* الدرر : ٤٧/٢ .

(١) كما أُرْخِه البرزالي ، وقيل : سنة عشر . ذكره في الدرر .

(٢) هو نصر بن سلمان بن عمر المنبجي ، وستأتي ترجمته .

** الوافي : ٢٨٣/١٢ ، وطبقات ابن السبكي : ٤٠٨/٩ ، والمنتهل الصافي : ١٤٤/٥ .

(٣) في طبقات الشافعية : « الهذباني » بالبدال المهملة .

*** الوافي : ٢٩٤/١٢ ، والدرر : ٤٧/٢ ، والطالع السعيد : ٢١٥ .

حفظ (المنهاج) للنووي ، وسمع من ابن أبي الفتح محمد بن أحمد الدشناوي ^(١) ،
أقام يأسنا سنين ^(٢) ، ثم أقام بقوص إلى آخر عمره . وكان دخل مصر وحضر الدروس .

وكان خفيف الروح ، يكتُم سرّه ولا يبوح ، لطيفاً في حركاته وكلامه ، متحّبياً
إلى من واجهه بتحيته وسلامه ، قليل الغيبة ، إذا تَقَلَّ عن أحد شيئاً حمّله على أحسن
مَحَامِلِهِ ونفى الرّيبه . وكان يعرف شيئاً من الموسيقى ، ويُنزل النغم على الوزن
تطبيقاً ، إلا أنه في آخر عمره انخلع من الخلاعة ، وادّكر الموقف واطلاعه ، والتزم
بالإشغال ، واشترى بالرخيص الغال ، وانتصب للعلم ، وجنح بعد حَرْبِ التصايي إلى
السلم ، ورمى السلاح ، ودخل في زمرة الصلّاح .

ولم يزل على حالته هذه إلى أن توجّه إلى أخراه ، وحمّده الصبح بعد مسراه ^(٣) .

ووفاته - رحمه الله تعالى - بعد العشرين وسبع مئة .

ومن شعره :

إن المليحة والمليح كلاهما خَصْرًا ومزمارٌ هناك وَعُودٌ
والرّوضُ فتحتِ الصّبا أكامه فكأنّنه مسكٌ يفوحٌ وَعُودٌ
ومُدَامَةٌ تجلو الهموم فبادروا واستغنموا فرصَ الزّمانِ وَعُودُوا ^(٤)

ومن شعره فيمن وقعت على نصفيته ^(٥) قِنِينة حبر :

جاء البهاء إلى العلوم مبادراً مَعَ ما حوى مِنْ أجره وثوابه
ملئت صحائفه بياضاً ساطعاً غار السّواد فشنّ في أثوابه ^(٦)

(١) توفي سنة (٧٢٢ هـ) . الطالع السعيد : ٤٨٨ .

(٢) في الوافي : « ستين » .

(٣) يشير إلى المثل : (عند الصباح يَخمدُ القوم السّرى) . مجمع الأمثال : ٢/٢ .

(٤) الطالع السعيد : ٢١٦ .

(٥) نوع من الثياب .

(٦) في الدرر : « فشق » .

٥٩٠ - حسن بن هندو*

الحاكم بمدينة سنجار ، وبالموصل أخيراً .

كان في آخر عمره يكتب المسلمين ويتراعى عليهم ، ويُظهرُ المودة والنصح والإخلاص في المحبة ، وكل ذلك زور وبُهتان ، لأنه كان نجمة التركاني المفسد^(١) يأوي إليه ، وجرى منه []^(٢) ، وتوجَّهت العساكرُ إلى سنجار ، وقاسوا شِدَّةً ، وطلب الأمان وقال : أنا غلام مولانا السلطان ونائبه ، وهذا أخي يكون عندكم رهينة ، فرسم للعساكر بالعُود ، وحضر أخوه إلى قريب من دمشق ، وهرب ولم يظهر له خبر .

ثم إنه مارجع عن مكره ولا فساد له ولا أذاه إلى أن قتله صاحب ماردين في سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، في أواخرها وأراح الله المسلمين منه .

٥٩١ - حسن الكردي**

شيخ صالح زاهد ، راقٍ في معارج المعارف صاعِد ، له حال وكَشَف ، وكوكبٌ هَدَى قد تنزَّه عن الكَشَف ، يقصده الناس بالزياره ، وتومي الأصابع إليه بالإشارة .

كان مقيماً بالشاغور بظاهر دمشق منجماً عن الأنعام ، قد ألف الخلوة وتعبَّد والناس نيام ، له حاكورة^(٣) يزرع فيها الخضر ، ويرتفق^(٤) به ويُطعمُ منه مَنْ حَضَرَ ، أقام على هذه الحال سنين ، واستراح من هوم المال والزوجة والبنين .

* الدرر: ٤٨/٢ ، والنجوم: ٢٩٥/١٠ ، وفيه : « هندوا » ، والذيل التام : ١٣٦ ، والسلوك : ٩٠٧/٢/٢ ، في أحداث سنة (٧٥٤) وفيه : « ابن هند » .

(١) في الأصل : « في المفسد » ، ولا وجه لها . وهو نجمة بن عبد الله التركاني ، وستأتي ترجمته .

(٢) كذا ، ولعل العبارة : وجرى منه ماجرى ، أو نحو ذلك .

** الوافي: ٣١٢/١٢ ، والبداية والنهاية : ١٧/١٤ ، والمنهل الصافي : ١٤٦/٥ .

(٣) هي قطعة الأرض التي تفلح وتزرع ، مستعملة في بلاد الشام ، وهي سامية .

(٤) في الوافي : « يرتفق به » . والارتفاق : الاستعانة والانتفاع .

ولم يزل على هذه الحال إلى أن أخذ من شَعْرِهِ وَاغْتَسَلَ ، واستقبل القبلة وركع ركعاتٍ وراح إلى رَبِّهِ وانتقل .
وكانت وفاته سنة سبع مئة .

٥٩٢ - حسن الجواليقي*

كان له في الدولة صُورَةٌ ، والمحاسن من الأخلاق عليه مَقْصُورَةٌ ، نَفَعَ النَّاسَ بِجَاهِهِ ، وَعَوَّدَهُ فِي السَّفَارَةِ وَاتِّجَاةِهِ ، وكان مقبول القول لا يَرُدُّهُ أَحَدٌ ، ولا يَرَى فِي قَلْعَةِ الْجَبَلِ بِالقاهرة من لفضله جَدَدٌ ، وعنده مكارم للوارد والصادر ، والغزال الكانس والليث الحادر ، أقام بمصر مدة على هذا القِدَمِ ، وما احتدَّ فيها يوماً ولا احتدَّمَ .

ولم يزل كذلك إلى أن خَطَرَ لَهُ الحضورُ إلى دمشق للاسترواح ، وتجديد العهد بالأصحاب وذكرى أوقات الأفراح ، وكان به مرض واستشَفَى ، وأكرمه الناس ساعة المَلَقَى ، فأقام أقلَّ من شهر وقضى ، وعُدَّ فين درج ومضى .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في نصف جُمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، وتأسف الناس والفقراء لفقده ^(١) .

٥٩٣ - حسين بن أسد بن مبارك بن الأثير**

سمع من الحافظ زكيِّ الدين عبد العظيم المُنْذَرِي ، وشمس الدين الواعظ الجزري ، وهو آخِرُ مَنْ حَدَّثَ عَنْهُ بِالسَّمَاعِ ، ومن النجيب عبد اللطيف ، وأبي الفضل محمد بن محمد البكري ، وزين الدين عبد المحسن بن عبد العزيز بن علي بن الصيرفي الخزومي ، ومن إسماعيل بن سليمان ، ومن بدر ، ومن جماعة .

* الدرر : ٤٩/٢ ، والمنهل الصافي : ١٤٥/٥ ، والنجوم الزاهرة : ٥٦/٩ ، وفي الأخيرين : « الجواليقي » .

(١) وفي الدرر أنه بنى الزاوية للقلندرية بظاهر القاهرة .

** الدرر : ٥٠/٢ ، والشذرات : ١١٠/٦ .

وكان صالحاً حسن الشكل مليح المحاضرة ، وكان حنبلياً ، وينتسب إلى صاحب (جامع الأصول)^(١) .

وتوفي بداره بحارة الديلم في يوم الخميس سادس جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

٥٩٤ - الْحُسَيْنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ جَنْدَرِ بْنِ

الأمير شرف الدين أمير حسين الرومي .

كان من فرسان الخيل ، ومن يُسامي بسودده نجوم الليل ، يجيد اللعب بالطير الجارح ، ويصيده ما هو في الجو طائر وفي البر سارح ، هذا إلى ما هو فيه ، مبرز في^(٢) رمي النشاب ، وصيد الوحش الذي يشهد له به البازي والكلاب ، لا يكاد الوحش ينجو من يديه ، ولا يفوته في ظهرته أو أثر ديه .

بأش الحروب مضافاً وحصاراً ، وكانت النصر له غاية وقصارى . وكان في لسانه عجمه ، لا تمنعه من اختبار سهم من عربي ولا عجمه^(٣) ، لأنه كان يؤثر قرب الفضلاء ، ويؤدّ مُحاذة النبلاء ، ويسأل عن غوامض بالنسبة إليه من القرآن ، ويفحص عن مشكلات من معاني شعراء الأوائل وأهل الزمان ، وله التنديد الحلو ، والتندير الذي لا يرى وهو من التعجب خلّو .

ونادم الأقرم في القصر ، وفاز بنضارة ذلك العصر ، ووقع بينه وبين الأمير

(١) هو المبارك بن محمد (ت ٦٠٦ هـ) .

* الوافي : ٣٤٧/١٢ ، والدرر : ٥٠/٢ ، والمنهل الصافي : ١٥٢/٥ ، وفيه : « الحسين بن جندر » . والنجوم

الزاهرة : ٢٧٦/٩ ، وفيه : « بن أبي بكر بن أسعد بن جندرباك » .

(٢) في الأصل : « من » ، ولا وجه لها .

(٣) عجم الشيء : عضه للخبرة ، وعجم السيف : هزه تجربة .

سيف الدين تنكز ونجا ، وجعل الله له من أمره مَخْرَجاً ، لنَيْتِهِ السَّليمة ، وطَوَيْتِهِ القويمة . وطلبه السلطان فيما بعد ذلك ، وسَلَكَهُ مِنَ التَّقريب بِحضرتة أَقْرَب المسالك .

ولم يزل على حاله إلى أن أفل نجم حياته ، وتغيرت بالأشقام حلاوة شِيَاتِهِ .

وتوفي بالقاهرة - رحمه الله تعالى - في سابع المحرم سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، ودفن بجوار جامعہ بحکر جَوْهَر النوبي^(١) .

كان وهو أمرد رَأْسَ مَدْرَجِ طُلُبِ حَسام^(٢) الدين لاجين لَمَّا كان نائب الشام ، وكان يُوَثِّرُهُ وَيُقَرِّبُهُ لَأنه كان صَيَّاداً شجاعاً . وكان يحبه لأجل أخيه الأمير مُظَفَّر الدين ، وربما تنادم معهما خُلُوة .

ولما ولي الملك حَسامُ الدين لاجين طَلَبَهُ إلى مصر وخلع عليه خِلْعَةٌ ولم يرضها ، ثم إنَّه عاد إلى الشام وطلبه فيما أظن ثانياً ، ورسم له بعشرة^(٣) ، وجرى للسلطان ماجرى على ما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى ، فأقام بمصر إلى أن حَضَرَ السلطان الملك الناصر مُحَمَّداً من الكرك ، فرسم له بالعشرة ، وحضر مع الأقرم إلى دمشق صحبة الطُّلُب . ثم إنه أخذ الطبلخاناه ولاق بقلب الأقرم ونادمه ، ولم يزل معه بدمشق إلى أن هرب الأقرم عند قدوم الملك الناصر من الكرك إلى دمشق ، فلحق هو بالسلطان ودخل معه ومع خواصه ، وجهَّزه السلطان إلى الكرك ومعه الأمير سيف الدين تنكز ، فأحضر الخزانة ، وتوجَّه مع السلطان إلى القاهرة ، ودخل معه بأنواع الحَيْلِ والتَقَرُّبِ إلى أن ما وصل إلى مصر إلّا وهو من جُمْلَةِ المقرَّبين .

أخبرني من لفظه قال : كُنَّا ونحن سائرون في الطريق إذا مررنا بصيد آخَذُ الصقر

(١) هو تجاه الحارة الوزيرية من بر الخليج الغربي . (خطط المقرئزي : ١١٩/٢) .

(٢) في النهل نقلاً عن الصفدي : « رأس مدرج لحسام الدين .. » .

(٣) في النهل : « يامرة عشرة » .

الجراح وأقول ياخوند : إن كنا نملك^(١) مصرف هذا الطير يأخذ هذه الرمية ، قال : وأتحيل وأقارب وأبلغ الجهد وأرميه فلا يخطي ، فأقول : ياخوند هذا بسعادتك ، فنزل من قلبه .

وكان محظوظاً في الصيد بالجوارح والضواري والنشّاب ، لا يكاد يفوته شيء منه . رأيت أنا هذا منه مراراً عديدة لما كنتُ أسافر معه ، فإنني كتبت له الدُرَج بصفد^(٢) وبمصر ، وكان يستصحبني معه في أسفاره شاماً ومصرأ ، ثم إن السلطان أعطاه في مصر إمرة مئة وقدمه على ألف ، وأفرد له زاوية من طيور الجوارح ، فكان أمير شكار مع الأمير سيف الدين كوجري^(٣) .

وحضر مع السلطان إلى دمشق لما توجه إلى الحجاز في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وأقام بدمشق ولم يتوجه إلى الحجاز لأنه وقع وكُسِرَت رجله ، وكان الأمير سيف الدين تنكز يحضر لزيارته ويعودّه كلّ قليل .، وهو نائب دمشق .

ولمّا عاد السلطان عاد معه إلى مصر ولقي الحرمة الوافرة وحظي بالديار المصرية ، وكان ينتهي إلى الأمير سيف الدين طغاي الكبير وينبسط معه فحلاً بقلب الخاصكية وسلّم لذلك لما أمسك السلطان الأمير علاء الدين أيدغدي شقير والأمير سيف الدين بكمتر الحاجب ، وما أعطاه الناس في تلك الواقعة سلامه .

ثم إنه توالى عليه الأمراض فرسم له السلطان بالعود إلى الشام ، فحضر إليها وهو مُسْتَمِرٌّ عند تنكز على تلك المحبة ، إلى أن وقع بينهما بسبب القصب الذي له في قرية عَمْتَنَّا^(٤) ، وتخاصما في سوق الخيل ورجعا إلى دار السعادة وتحاكما ، ثم إنهم سَعَوْا بينهما في المصالحة ، فقام تنكز وقام أمير حسين فوضع يده على عنق تنكز وقبّل رأسه ، فما حمل

(١) في الوافي والمنهل : « ندخل إلى » .

(٢) في الوافي : « كتبت له الدرج ، وترسلت عنه بصفد » .

(٣) انظر المنهل الصافي : ١٥٣/٥ .

(٤) قرية بالأردن بها قبر أبي عبيدة بن الجراح . معجم البلدان : ١٥٣/٤ .

تنكر منه ذلك . قال لي أمير حسين : والله ما تعمدت ذلك ، ولكنه كان خطاً كبيراً ، فكتب تنكر وطالع السلطان ^(١) ، فشدّ الفخري قطلوبغا من أمير حسين شداً كبيراً ، فما أفاد كتاب ^(٢) تنكر ، ورسم السلطان للأمير شرف الدين أن يكون مقامه بصفد وإقطاعه على حاله ، وجاء كتاب السلطان إليه يقول فيه : إنك أسأت الأدب على نائبنا ، وما كان يليق بك هذا ، وحضر كتاب السلطان إلى نائب صفد بأن الأمير شرف الدين طرخان ^(٣) لا تجرّده إلى يَزْك ولا تلزّمه بخدمة إن شاء ركب وإن شاء نزل ، فأقام بصفد قريباً من سنتين ونصف . ومن هنا ^(٤) كتبت له الدرج .

ثم إن الأمير سيف الدين ألجاي الدوادار لما حضر إلى دمشق لإحضار الأمير علاء الدين ألتنبغا من حلب ليتوجه إليها أرغون الدوادار نائباً ، كأنه قال للأمير سيف الدين تنكر لما جاء ذكر أمير حسين : والله ما كان السلطان هان عليه أمره ، فحينئذ جنح تنكر للصلح مع أمير حسين وسيّر إليه بالغور ليلتقيه إلى القصير المعيني ، فاصطلحا هناك وخلّع عليه ، ووعده بأنه إذا عاد من ^(٥) مصر أخذه معه إلى دمشق ففاوض السلطان في ذلك فما وافق على ذلك ، وطلب الأمير شرف الدين إلى مصر وجاء الفور البريد وأخذه وتوجه به إلى دمشق ، وجّه تنكر إلى مصر ، فتوجه إليها على خيل البريد ، وكنت معه ، فوصل إليها في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وخلّع عليه وأنعم عليه بإقطاع الأمير بهاء الدين أصلم ^(٦) السلحدار ، فأقام عليه إلى أوائل سنة تسع ^(٧) وعشرين وسبع مئة .

(١) في الوافي : « وطالع السلطان بأمره » .

(٢) في الوافي : « كلام » .

(٣) الطرخان : هو المتقاعد أو المحال إلى المعاش .

(٤) في الوافي : « ومن هناك » .

(٥) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهي الصحيحة .

(٦) هو أصلم بن عبد الله الناصري (ت ٧٤٦ هـ) . المنهل : ٤٥/٢ .

(٧) في الوافي : « ثمان » .

وتوفي رحمه الله تعالى ، وحنا السلطان عليه حنوًّا كثيراً^(١) ، وأعطى مماليكه الإقطاعات في الحلقة ورتب لهم الرواتب وأمر بعض أقاربه ، ورتب الرواتب لبناته وزوجته^(٢) وأقاربه وبعض غلمانه وأباح طيوره بحضوره ، وهذا لم يتفق لغيره .

وهو الذي بنى القنطرة على الخليج وإلى جانبها الجامع الذي له في حِكر جوهر النوبي ، ولما فرغ أحضر إليه المشدُّ والكاتب حسابَ ذلك ، وقال : هذا حساب هذه العمارة ، فرمى به في الخليج ، وقال : أنا خرَجْتُ عن هذا الله تعالى ، فإن خنتما فعليكما^(٣) ، وإن وفيتما فلكما . يقال : إنه غرِمَ على ذلك فوق المئتي ألف درهم ، وكان - رحمه الله تعالى - على الدرهم والدينار من يده شحيحاً ، وأما من خلفه فما كان يقف في شيء ، وكان الفرس والقباء عنده هيّن الأمر ، يُطلق ذلك كثيراً .

وكان خفيف الروح دائم البشر ، لطيف العبارة ، كثير التنديب الداخل^(٤) ، وكانت في عبارته عَجْمة ، لكنه إذ قال الحكاية أو ندَّب أو ندرَّ يظهر لكلامه حلاوة في السمع والقلب . قال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس رحمه الله تعالى : نحن إذا حكينا ما يقوله هو ما يكون لذلك حلاوة كلامه من فيه .

وكان ظريفاً إلى الغاية في شمائله وحركاته ، وكان فيه الخير والصدقة ، ولكنه كان يستحيل في الآخر بعد إقباله .

وكان يجلس في مصر رأس المينة من أسفل ، ولَمَّا حضر توتاش جلس مكانه ، وكان هو يجلس في الميسرة بعد ذلك إلى أن مات .

(١) في الوافي : « كبيراً » .

(٢) في الوافي : « وزوجاته » .

(٣) المنهل : ١٥٤/٥ - ١٥٥ .

(٤) كذا في الأصل ، ولعلها من الدخل وهو الفساد . وهذه الجملة لم ينقلها صاحب المنهل فيما نقله من هذا الخبر .

وكان السلطان يحبه ويؤثره كثيراً ويُعجبه كلامه ، وكان قد أعطاه طبلخاناه جعلها وقفاً عليه يعطيها هو من جهته لأيّ مَنْ أراد من أقاربه ، فكانت تنتقل بين أقاربه إلى أن مات وماتوا .

وكان قد تولى أمرَ الركب بدمشق وحجّ في سنة خمس وسبع مئة ، وحج أيضاً من الديار المصرية .

٥٩٥ - الحسين بن الحسين بن يحيى أبو محمد بن أبي علي*

القاضي الأرمني ، تقدم ضبط هذه النسبة .

لم أعلم شيئاً من حاله فأترجمه ، أو أُعْمِلَ الظنّ فيه حتى أرجّحه ، لكن ذكره الشيخ قطب الدين عبد الكريم في (تاريخه) والفاضل محمد بن علي بن يوسف^(١) ، والفاضل كمال الدين جعفر الأذقوي في (تاريخ الصعيد) .

وتوفي بأرمنت - رحمه الله تعالى - في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وأورد له :

عَلِطْتُ لِعَمْرِي يَا أَخِي وَإِنِّي لَفِي سَكْرَةٍ مِمَّا جَنَاهُ لِي الْغَلَطُ
حَطَطْتُ بِقَدْرِي إِذْ رَفَقْتُ أَخْسَةً وَمَنْ رَفَعَ الْأَسْفَاطَ حَقًّا بَأَن يَحْطُ^(٢)

وأورد له أيضاً :

أَقْسَمْتُ لَا عُدْتُ لِشُكْرِ أَمْرِي يَوْمًا وَلَا أَخْلَصْتُ فِي وَدِّي
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَبْدُو أَفْعَالَهُ فِي حَالَةِ الْقُرْبِ أَوْ الْبَعْدِ^(٣)

* الوافي : ٣٥٩/١٢ ، والدور : ٥٢/٢ ، والطالع السعيد : ٢٢٢ .

(١) في تاريخ مصر . (الطالع) .

(٢) في الوافي : « الأطراف » . وفي الطالع : « ومن يرفع الأطراف » .

(٣) في الوافي ، والطالع : « وفي البعد » .

وكلُّ من جرَّعني سُمَّةً فهو الذي أطعمته شهدي

٥٩٦ - الحسين بن خضر*

ابن محمد بن حجّي بن كرامة بن بختّر بن عليّ بن إبراهيم بن الحسين بن إسحاق بن محمّد : الأمير ناصر الدين التنوخي المعروف بابن أمير الغرب ، مقامه ومقام ذويه ببيال الغرب من بلاد بيروت ، والحسين بن إسحاق في أجداده ، وهو مدوح أبي الطيب في القصيدة القافية التي يقول فيها :

شدوا بآبن إسحاق الحسين فصاحت ذقار يها كيرانها والنار^(١)

وله فيهم أمداح ومراثٍ . وكرامة بن بختّر هو الذي هاجر إلى نور الدين الشهيد فأقطعه الغرب وما معه يامرية^(٢) فسمّي أمير الغرب بذلك ، قال الأمير ناصر الدين المذكور : ومنثوره إلى الآن عندنا بخط العماد الكاتب ، وتحضّر كرامة بعد البداوة ، وسكّن حصن سلّحّمور من نواحي إقطاعه ، وهو على تلّ عال بغير بناء ، وانتشأ أولاده هناك^(٣) ، ولم يزلوا كذلك إلى أن كان الحضر ، فكان قذّي في عَيْن صاحب بيروت أيام الفرنج ، وشجاً في حلقة ، ورام حصره مراراً ، فتوغّر الوصول إليه ، فلما صار الحال إلى أولاده الشباب هادئهم صاحب بيروت وسالمهم ، وجعلوا ينزلون إلى الساحل ، وألفوا الصيد بالطير وغيره ، فراسلهم ، وطلب الاجتماع بهم في الصيد ، فتوجّه كبارهم وتصيدوا معه إلى آخر النهار ، فأكرمهم وقدم لهم ضواري وطيوراً وكساهم قماشاً ولمنّ معهم ، وعادوا إلى حصنهم ، ولم يزل يستدريجهم مرّة بعد مرّة إلى أن أخرج ابنه معه

* الوافي : ٣٦٢/١٢ ، والدرر : ٥٤/٢ .

(١) ديوان المتنبي : ٣٤٥/٢ . والذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . والكور : الرخل ، جمعه أكوار

وكيران . والفرق والفرقة : الوسادة الصغيرة ، أو الطنفسة فوق الرجل .

(٢) في الوافي : « يامرته » ، وما ههنا أقرب .

(٣) عبارة الوافي : « وانتشأ أولاده هناك حصناً » .

وهو شاب ، فقال : قد عَزَمْتُ على زَوَاجِهِ ، وأدْعُو له ملوك السواحل ^(١) ، وأريدكم تحضرون ذلك النهار ، فتوجه الثلاثة الكبار وبقي أخوهم الصغير في الحصن والحصن والدته وجماعة قليلة ، وتوجَّهوا إليه ، وامتلاً الساحل بالشَّواني والمدينة بالفرنجة الغنم وتلقَّوهم بالشمع والمغاني ، فلمَّا صاروا في القلعة ، وجَلَسوا مع الملوك ^(٢) قَعَدوا إلى العَصْرِ ، ثم إنهم غدروا بهم وتكاثروا عليهم وأمسكهم وأمسكوا غلمانهم ، وغرَّقوهم وركبوا في الليل ، ومع صاحب بيروت جميعَ العسكر القبرسي واشتغلوا بالحصن ، وانجَفَلَ الفلاحون قُدَّامهم والحريم والصبيان إلى الجبال والشَّعراء ^(٣) والكهوف وطأوْلُوهم ، وعلم أهل الحصن بأن الجماعة قد أَمْسَكُوهم وغرَّقوهم ، ففتحو الباب ، وخرَّجت العجوز ومعها ولدُها الصغير وعُمُرُه سبع سنين ، ولم يَبْقَ بَيْنَهُمْ سوى هذا واثمُه حجِّي ، وهو جدُّ والدِ هذا ناصر الدين .

ولما حضر السلطان صلاح الدين وفتح صيدا وبيروت ، تَوَجَّه إليه هذا حجِّي وباس رجل السلطان صلاح الدين في ركابه ، فلمَس رأسه بيده وقال : أنا آخذ ثأرك ، طيِّبُ قَلْبِكَ ، أنت مَوْضِعُ أَيْيَك ، وأمر له بكتابة أملاك أبيه ، وهي القَرَايا التي بأيديهم بستين فارساً . ولم يزلوا على ذلك إلى أيام الملك المنصور قلاوون ، فذَكَرَ أولادُ تَغْلِب من مَشْغَرَا قدام الشجاع أن يَبِيدَ الجبليَّة أملاكاً عظيمة بغير استحقاق ، ومن جُمِلَتْهم أمراء الغرب ، وتوجَّهوا مَعَه إلى مصر ، فرَسَمَ المنصور ياقطاع أملاك الجبليَّة مع بلاد طرابلس لجندها وأمرائها ، فأقطعت لعشرين فارساً من طرابلس ، فلمَّا كان أيامَ الملك الأشرف توجَّهوا إليه وسألوه أن يَخْدُموا على أملاكهم بالعدة ، فرسم لهم بها وأن يزيدوها عشرة أرماعٍ آخر .

(١) في الوافي : « الساحل » .

(٢) في الأصل : « الملوك » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) الشعراء من الأرض ذات الشجر أو كثيرته ، والروضة يغمر رأسها الشجر . ووم محقق الوافي فظنَّ أنها محرَّقة عن « الشعاب » .

ولما كان أيام الروك^(١) في أيام تنكز وكشفها^(٢) الأمير علاء الدين بن معيّد ،
حَصَلَ مَنْ تَفْضُولُ فِي حَقِّهِمْ ، فَرَسَمَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ أَنْ تَسْتَرَّ عَلَيْهِمْ بِمُضَاعَفَةِ
الْعِدَّةِ ، فَاسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِمْ لِسْتَيْنِ فَارِسًا ، وَهِيَ إِلَى الْآنَ بَاقِيَةٌ عَلَى هَذَا الْحَالِ .

وَأَمَّا هَذَا نَاصِرُ الدِّينِ فَإِنَّهُ كَانَ جَوَادًا سَحَا ، لَا يَزُولُ كَرَمُهُ وَلَا يُمَحَى ، يَخْدُمُ
أَعْيَانُ النَّاسِ ، وَيَتَجَاوَزُ الْحَدَّ فِي ذَلِكَ وَالْقِيَاسِ ، وَمَنْ يَتَوَجَّهُ إِلَى تِلْكَ النَّوَاحِي ، فَإِنَّهُ
يَجِدُ مِنْهُ ثَغَرَ جُودٍ يَخْجَلُ الْإِقْصَايَ .

وَكَانَ يَكْتُبُ جَيِّدًا وَيَأْتِي مِنَ الْحَاسِنِ مَا حَقَّ لَهُ أَنْ يُدْعَى سَيِّدًا ، وَيَتَرَسَّلُ تَرَسُّلًا
فِيهِ فَصَاحَةٌ وَبَلَاغَةٌ ، وَكَلِمَاتُ كَأَنَّهَا قَدْ صَاغَهَا صِيَاعَةٌ ، وَفِيهِ عِدَّةُ فَضَائِلَ ، وَكَرَمُ عِشْرَةٍ
وَلُطْفُ شَمَائِلَ ، وَرِئَاسَةٌ تَدُلُّ عَلَى كَرَمِ أَصْلِهِ ، وَسَيَادَةٌ يَتَرَجَّمُ عَنْهَا لِسَانُ قَلَمِهِ وَنَضْلِهِ .
وَهُوَ مَطَاعٌ فِي قَوْمِهِ ، لَا يَصِلُ الْمُشْتَرِي وَلَا زَحْلٌ إِلَى سُؤْمِهِ ، إِذَا قَالَ لِأَحَدِهِمْ : اسْكُتْ
رُمِيَ مِنْ وَقْتِهِ بِالضَّمَاتِ ، وَإِذَا قَالَ لَهُ قَمْ قَامْ ، وَإِذَا قَالَ لَهُ مَتُ مَاتَ ، يَتَسَارِعُونَ إِلَى
امْتِثَالِ أَوَامِرِهِ ، وَيَتَقَارِعُونَ عَلَى الْفُوزِ بِالتَّحْلِيِّ مِنْ كَلَامِهِ بِجَوَاهِرِهِ .

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ غَزَبَ نَجْمُ أَمِيرِ الْغَرْبِ ، وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ أَحَدٌ بَطْعَنَ وَلَا
صَرْبَ .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في نصف شوال سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وستين وست مئة .

وَلَمَّا كَبُرَ وَأَسَنَّ نَزَلَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسِنَتَيْنِ عَنْ إِمْرَتِهِ لَوْلَدِهِ الْأَمِيرِ زَيْنِ الدِّينِ
صَالِحٍ ، وَكَانَتْ قَدْ تَوَجَّهَتْ إِلَى بَيْرُوتَ وَلَمْ يَكُنْ بِهَا ، فَسَيَّرَ إِلَيْهَا قَاصِدًا يَطْلُبُنِي لِاتَّوَجَّهَ
إِلَيْهِ إِلَى أَعْبِيهِ ، لِأَرَى مَكَانَهُ فِيهَا ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصِفُونَهُ بِحَسَنِ زَائِدٍ وَطَيْبِ هَوَاءٍ وَمَاءٍ ،

(١) هو القيام بعملية قياس الأرض وحصرها في سجلات وتثمينها لتقدير الخراج عليها .

(٢) في الأصل : « كشفها » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في الوافي .

فرايت الحركة تشقّ عليّ ، فاعتذر ، فحضر هو بنفسه بعد أيام بعدما تفضل وُروده وأحسن وأجل وقست جوده على الغمام فكان أُنْدَى وأغدق وأكمل .
وأشدته لما اجتمعت به :

ما زُرْتُ في أُعْبِيهِ قَصْداً للجفا رُبْعاً تَشَرَّفَ بالأمير حسين
ورأيتُـه في ثَغْرِ يَثْرُوتِ التّي بِنْدَاهُ أصبحَ مَجْمَعُ البحرين

٥٩٧ - الحسين بن سليمان بن قَزَارة*

القاضي الإمام الفاضل شهاب الدين الكفري ، بفتح الكاف وسكون الفاء وبعدها راءً ، الدمشقي الحنفي .

تلا بالروايات على علم الدين القاسم ، وسمع من ابن^(١) طلحة ومن ابن عبد الدائم ، ودّرّس بالطرخانية^(٢) ، وكان شيخ الإقراء بالمقدّمية والزنجيلية^(٣) . وقرأ بنفسه على ابن أبي اليُسّر ، وكتب الطباقي ، وكان شيخ قراءات ، ويّيده لمن يحاكمه في التفاضل براءات . ودّرّس وأفقي ، وكان في الجود بعلمه أكرم من الغيث وأفني ، وناب في الحكم زماناً ، ونظم فيه من الإجادة جُمَاناً .

وكان خيراً عالماً ، ديناً لا يرى لِسَيْفِ السُّنَّةِ ثالماً ، إلا أنّه أضرّ بأخْرة ، فلزم داره وجَلَسَ في بيته كالبدْر في داره .

* الوافي : ٣٧٧/١٢ ، ونكت الهميان : ١٤٤ ، والدرر : ٥٦/٢ ، وغاية النهاية : ٢٤١/١ ، والشذرات : ٥١/٦ ، وللهل الصافي : ١٥٧/٥ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٥/٩ ، وذيل العبر : ١٠٦ .

- (١) في المنهل : « أبي طلحة » .
(٢) أنشأها الحاج ناصر الدولة طرخان بن محمود الشيباني (ت في حدود ٥٢٠ هـ) ، الدارس : ٤١٥/١ .
(٣) المقدمة : داخل باب الفراديس الجديد ، أنشأها شمس الدين محمد بن المقدم (ت ٥٨٣ هـ) . الدارس : ٤٥٦/١ .

والزنجيلية ، ويقال لها الزنجارية ، خارج باب توما وباب السلامة ، تنسب إلى فخر الدين عثمان بن الزنجيلي (ت ٦٢٦ هـ) . الدارس : ٤٠٤/١ .

ولم يزل على حاله إلى أن حلَّ ضيف الحَيْن بفقى قَزَارَه ، وأن اجتمع به قَزَارَه .
وتوفي - رحمه الله تعالى - في يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى سنة تسع عشرة
وسبع مئة عن اثنتين وثمانين سنة .
وقرأ عليه أفضى القضاة شرف الدين أحمد ^(١) وغيره .

٥٩٨ - الحسين بن علي بن إسحاق بن سلام*

بتشديد اللام : الشيخ الإمام الفاضل المفتي الكامل الدمشقي الشافعي .
كان مفتي دار العدل في زمن الأفرم . كان فقيهاً عارفاً ، ونبهاً حوى من العلم
تالداً وطارفاً ، عارفاً بخلاف المذاهب ، شاهداً لمن خلقه بأنه زائد الكرم والمواهب ، قل
من ناظره وارتدَّ إلا هزيماً ، أو فاخره في سيادة إلا كان سلبياً وابن سلام سليماً ،
يتخرق في الجود ، ويرعى حقَّ الضعيف والوفود .
اجتمع فقهاء المذاهب الأربعة في درسٍ من بعض الدروس ، وبحث هو مع الجميع ،
فَقَطَعَ أصولهم وقُرِوعهم من الغُروس ، رأى الناس منه في ذلك اليوم عجباً ، وجمع حبة
القلوب له والتعظيم وحياً .
ولم يزل على حاله إلى أن بَغَتَه حِمَامَه ، وخَفِرَ فيه ذِمَامَه .
وتوفي رحمه الله تعالى في سنة سبع عشرة وسبع مئة في رابع عَشْرِي شهر رمضان .
ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة .

(١) وهو ابن صاحب الترجمة ، كما نصَّ في الوافي (ت ٧٧٦ هـ) . الدرر : ١٢٥/١ .

* الوافي : ٢٣/١٣ ، والدرر : ٥٩/٢ ، والشذرات : ٤٤/٦ ، وطبقات السبكي : ٤٠٨/٩ ، والبداية
والنهاية : ٨٥/١٤ .

وكان قد أعاد بالظاهرية ودرس بالجاروخية ، ودرّس بالعدراوية ، وتوفي - رحمه الله تعالى - وعليه ديون كثيرة ، وكان قد ألقى الدرس بالعدراوية عوضاً عن صدر الدين سُلَيْمان الكُرْدِي^(١) يومَ الأحد حادي عشر المحرم سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

٥٩٩ - الحسين بن علي بن الحسين بن زهرة*

تقيب الأشراف بجلب ، السيّد الشريف شمس الدين أبو علي بن الشريف فخر الدين أبي الحسن بن شمس الدين أبي علي .

توفي - رحمه الله تعالى - بالزرقاء بعد عودِه من الحج رابع عشرين المحرم سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، ودفن بسما من عمل بصرى .

٦٠٠ - الحسين بن علي بن سيّد الأهل**

ابن أبي الحسن^(٢) بن قاسم بن عمّار ، الشيخ الإمام الشافعي نجم الدين الأسواني الأصفوني .

كان فقيهاً فاضلاً مشاركاً ، ميثمون النقيبة مباركا ، صاحب فنون ، وعبارات في المعارف الذوقية وشجون . أفق ودرّس ، وسرى في طلب العلم وعُرس ، وانتفع به جماعة من الطلاب ، وغنموا الفوائد وأخذوا الأسلاب .

(١) هو سليمان بن موسى بن سليمان (ت ٧٢٢ هـ) . الدرر : ١٦٥/٢ ، وانظر : البداية والنهاية : ٥٧/١٤ ، والدارس : ٢٢٩/١ .

* الدرر : ٦٠/٢ .

** الوافي : ٢٣/١٣ ، ووفيات ابن رافع : ٦٩/١ ، وفيها : ابن سيد الكل ، والدرر : ٦٠/٢ ، والشذرات : ١٢٠/٦ ، وطبقات السبكي : ٤٠٩/٩ ، والطالع السعيد : ٢٢٤ .

(٢) في الطالع ، والطبقات : « الحسين » .

وكان قد تَجَرَّدَ مع الفقراء ، وتفرَّد بأشياء لم يبلغها جماعة من الفقهاء ، ثم أناب وعاد إلى طريقة أهل العلم ، وتزيّاً بزيّ أهل الوقار والحلم .

ولم يزل على حاله إلى أن فقد حِسَّة وذوقه ، وأصبح والتراب فوقه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في صفر سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

أخبرني العلامة قاضي القضاة تقي الدين السُّبكي قال : تَجَرَّد المذكور مع الفقراء زماناً طويلاً ، وكان في وقتٍ فقيهاً في المدرسة الشريفة ^(١) ، فَحَضَرَ دُرُسَ قاضي القضاة ابن بنت الأعز ، فَأُنْشِدَ بعضُ الناس قصيدةً مديحاً في رسول الله ﷺ ، فصرخ هو على عادة الناس ، فأنكر القاضي ذلك وقال : أئش هذا ؟ فقام وقال : هذا شيء ما تذوقه ، وتَرَكَ المدرسة والفقاهة بها .

وقال : كان يقرئ في كل شيء في أيّ كتاب كان ، وانتفع به جماعة وقال : كان يفقي ويدرس ويُقرئ الطلبة ، وهو وأخوه ^(٢) الحسن والزبير ، ثلاثة من أهل العلم والتَّعبُد ^(٣) .

وقال الفاضل كال الدين الأدفوي ^(٤) : هو المعروف بابن أبي شَيْخَةَ ، سمع من أبي عبد الله محمد بن عبد الخالق بن طَرْخان ، ومحمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي وأبي عبد الله محمد بن عبد القوي ، ومن أبي الحسن علي بن أحمد الغراقي ^(٥) والحافظ شرف الدين الدمياطي . وحدَّث بالقاهرة ، وأخذ الفقه عن أبي الفضل جعفر

(١) بالقاهرة ، أنشأها الشريف فخر الدين إسماعيل الجعفري أحد أمراء مصر في الدولة الأيوبية سنة (٦١٢ هـ) . النجوم : ٨٢/٨ (ج ٤) . وحاشية الطالع السعيد .

(٢) في الدرر : « وأخواه » . وهي أولى .

(٣) لم يرد هذا الخبر في ترجمته في طبقات السبكي .

(٤) الطالع السعيد : ٢٢٥ ، مع بعض الخلاف .

(٥) في الأصل والوافي : « العراقي » ، تصحيف ، صوابه ما في الطالع السعيد ووفيات ابن رافع ، وستأتي ترجمته في موضعها .

التَّزَمُّنِي^(١) وغيره واشتغل عليه الطلبة طائفةً بعد طائفة ، وتولى الإعادة بالشريفية وغيرها . وأقام مدة بمدرسة الملك يلقي فيها الدروس ، وتجرّد مدّةً مع الفقراء ، وجرى على طريقهم في القول بالشاهد ، وأقام بجامع عمرو بن العاص يُسْتَغَل^(٢) وَيُسْتُغَل ، وهو قوي النفس ، حَدّ الخلق ، مقدم في الكلام ، وهو من أهل بيت معروفين بالعلم والصلاح .

٦٠١ - الحسين بن علي بن مُصَدِّق بن الْحَسَن *

شرف الدين أبو عبد الله الشَّيْبَانِي الواسطي الصوفي بخانقاه سعيد السعداء .

رأيته غَيْرَ مَرَّةٍ ، واجتمعتُ به عند صاحب أمين الدين ، فأُنشِدني رحمه الله تعالى جملة من شعره .

وكان شكلاً كاملاً طويلاً هائلاً ، ذا ذقن فُرِشَتْ على صَدْرِهِ ، وكادت تسيل فتلاً سعة حُجْرِهِ ، يُنْشِدُ وَيَتَفَيَّهَقُ ، وَيَسِيلُ دُمْعُهُ فَيَتَفَرَّقُ ، له أُبْهَةٌ في النفوس وجلالُه ، وعلى كلامه من الذوق أَمَارَةٌ ودلاله .

ولم يزل على حاله إلى أن رأى ابنُ مُصَدِّق الحقَّ اليقين ، ولحق بمن تقدّمه من المتّقين .

وتوفي رحمه الله تعالى ... (٣) .

أُنشِدني من لفظه لنفسه :

(١) في الأصل : « الترمذي » ، تصحيف ، صوابه ما في الوافي ، والطالع . وهي نسبة إلى ترمذت : قرية من

عمل البهنسا على غربي النيل من الصعيد . والترمذي هو جعفر بن يحيى (ت ٦٨٢ هـ) .

(٢) كذا ، وعبارة الوافي : « وهو يُشْغَلُ في غالب العلوم ويفتي » . وفي الطالع : « يشتغل ويشغل » .

* الوافي : ٢٤/١٣ ، والدرر : ٦٤/٢ .

(٣) كذا بياض ، ولم تُذكر سنة وفاته في المصادر الأخرى .

وَأُخْوَرَ أَخَوَى فَاتِنَ الطَّرْفِ فَاتِرِ
مَسِيرُ بُدُورِ التَّمِّ مِنْ دُونَ سَيْرِهِ^(١)
إِذَا جِئْتُ أَشْكُو طَرْفَهُ قَالَ خَدُّهُ :
« وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بَغَيْرِهِ »^(٢)
فَأَنشَدْتَهُ أَنَا لِنَفْسِي فِي مَلِيحِ نَائِمٍ :

سَبَانِي خَدُّ مِنْ فَقَى كَانَ نَائِماً
فَقَالَ عَذُولٌ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ
أَتَهَوَى وَلَمْ تَدْرِ الْعَيُونَ فَقُلْتُ : دَعُ
« وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بَغَيْرِهِ »
وَأَنشَدْتَهُ أَيْضاً لِنَفْسِي فِي مَلِيحِ يَقَابِلِ كِتَاباً :

قَابَلْتُ كُتُباً مَعَ حَبِيبِ هَاجِرِ
فَسَرَّ قَلْبِي كَادَ أَنْ يَفْنَى وَلَكُهُ
فَقُلْتُ يَا وَارِثَ قَلْبِي فِي الْهَوَى
جَمَعْتَ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ
فَأَنشَدَنِي هُوَ لِنَفْسِهِ :

قَابِلِي الْمَحْجُوبَ يَوْماً وَغداً
يَمْنَحْنِي جِوَالَهُ وَنَائِلَهُ
قُلْتُ لَهُ يَا سَيِّدِي جَبَرْتَنِي
فَهَلْ أَرَى مِنْ بَعْدِهَا مُوَاصِلَهُ
فَقَالَ لِي هَذَا الَّذِي فَعَلْتَهُ
عَلَى سَبِيلِ الْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ
وَأَنشَدَنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ :

يَا مَنْ هَوَاهُ وَحُبُّهُ
عَطْفُهَا عَلَى بِنْظَرَةٍ
غَطَّى عَلَى عَيْنِي وَقَلْبِي
فَالَيْكَ إِيجَابِي وَسَلْبِي

٦٠٢ - الحسين بن علي بن عبد الكافي*

ابن علي بن يوسف بن تَمَام : الإمام الفاضل الفقيه النحويّ العروضي النازم ، أقضى

(١) في الدرر : « تسير » ، وأشار في الحاشية إلى مثل ما في الأعيان .

(٢) في الواقي : « متى جئت » . وفيه وفي الدرر : « قال قده » .

* الدرر : ٦١/٢ ، والشذرات : ١٧٧/٦ ، وطبقات السبكي : ٤١١/٩ ، وذيول العبر : ٢٩٦ ، والمنهل

الصافي : ١٦٦/٥ .

القضاة جمال الدين أبو الطيّب ابن العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي .

كان ذهنه ثاقباً ، وفهمه لإدراك المعاني مُراقباً ، حفظ (التسهيل) لابن مالك ، وسلك مِنْ فهم غوامض تلك المسالك ، وحفظ (التنبيه) ، وكان يستحضره وليس له فيه شريك ولا شبهه ، وقرأ غَيْرَ هذا .

وكان يعرف العروض جيّداً ، ويبيت لأركان قواعده مُشيّداً ، وينظم الشعر بل الدرر ، ويأتي في معانيه بالزُهرِ والزهر ، وكانت مكارمُه طافحه ، وأنامله غيوثٌ سافحه ، كثير التواضع في المُلتقى ، غزيرُ المروءة لا يصل النجم معه فيها إلى مُرتقى ، عفيفُ اليد في أحكامه ، لم يقبل رشوة أبداً ، ولم يُسمع بذلك في أيّامه ، يتصدى لقضاء أشغال الناس ، ويعامل مَنْ أساء أو أجرم معاملةً مُتغاضٍ متناسٍ ، فأحبّته القلوب ، ومضى خيِّداً على هذا الأسلوب . إلى أن نُغصَ شبابه ، وتقطّعت بمن يودّه أسبابه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم السبت ثاني شهر رمضان سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

ومولده في شهر رجب الفرد سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وقلت أرثيه :

رَزُّهُ الحَسينَ عَظيمَ	وهُوَ العَذابُ الأليمُ
وَمالَتْنا فِيهِ إلّا	صَوْبُ الدُموعِ حميمُ
والصَبْرُ أُولى وَلَكن	صَبْرُ الفُؤادِ عَديمُ
ففي العيونِ دُموعُ	تَنهَلُ مِنْها الغيومُ
وفي الحَشَى زَفَراتُ	مِنْها تُشبُّ الجَحيمُ
والليلُ صارَ حَداداً	تَقْمِصُ النجومُ
وللسَّحابِ خَدٌّ	مِن الرُّعودِ لَطيمُ

والجوُّ ضاقَ خِناقاً
وما تنفَّسَ صَبَحاً
حزناً لقاضٍ قضى ما الذِّ
وكانَ قاضِي عَدْلٍ
يقضي بحقٍّ وصدقٍ
تري الثَّناءَ عليه
يَلْقَى الوري منه وجَّة
وثغرةً في ابتسام
وخلقه مثلَ روضٍ
وجَّة حَيٍّ وخلقٍ
أحبَّه الناسَ حتَّى
فلَوْ يَجُورُ وحاشي
إن الزمانَ أراه
لو كانَ يُفدى لجادات
وإنَّ المـوتَ أمرٌ
وذاكَ فِينا وفي مَنْ
قاضي القضاةِ تصبَّر
لكنَّ مثلكَ راسٍ
قَدْ كانَ دَرَّةَ عقيدٍ
فما يضرُّ سنَّاه
ودَّره في اتِّساقٍ
إذا بقي أخـواه
فلا تَبْتُ في عذاب

فما يهبُ نسيمٌ
بل راحَ وهو كظيمٌ
ذمامٌ منه ذميمٌ
صراطٌه مُستقيمٌ
عن المـوى لا يريمٌ
قَدْ طابَ منه الشِّم
طَلَّقَ الحَيَّا وسيمٌ
بـه يُسرُّ الغريمُ
والنبتُ منه غيمٌ
سَهْلٌ وصدرٌ سليمٌ
مَظْلُومُهُمُ والظُّلُومُ
قضى ارتضاهِ الخصومُ
بمثله لعقيمٌ
أرواحنا والجُـسُومُ
لم ينجُ منه عظيمٌ
قَدْ فاتَ داءٌ قديمٌ
فألخَطَبُ فيه جسيمٌ
لَمَّا تَخَفُ الحُلُومُ
والسلكُ فيه نظيمٌ
إن زاكٌ منه قسيمٌ
والكلُّ درٌّ يَـتِـمٌ
فسَوْفَ تُؤسَّ الكلُومُ
وقد حَوَّاه النِّعَمُ

يُصَافِحُ الْحَوْرَ مِنْهُ فِي الْخُلْدِ كَفٌّ كَرِيمٌ
وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْـ الَّذِي دَعَاكَ رَحِيمٌ
وَمَا تُفَاكَ ضَعِيفٌ وَلَا نَهَاكَ سَقِيمٌ
وَكُنَّا سَوْفَ غَضِي وَمَا عَلَيْهَا مَقِيمٌ

وكنْتُ أَنَا قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْهِ :

عِنْدِي جَمَالَ الدِّينِ مَسْأَلَةٌ غَدَا
إِذْ أَنْتَ مِنْ بَيْتِ جَمِيعِ بَنِيهِ قَدْ
إِنْ جَاوَدُوا أَلْفَيْتَهُمْ صَوْبَ الْحَيَا
فَاطْلُعْ بِأَفْقِ الْفَضْلِ شَمْسًا أَشْرَقَتْ
وَأَعِذْ جَوَابِي عَنْ سُؤَالِي إِنَّهُ
فَكَرَرْتُ وَالْقُرْآنَ فِيهِ عَجَائِبُ
فِي هَلْ أَتَى لِمَ ذَا أَتَانَا شَاكِرًا
فَالشُّكْرُ فَاعِلُهُ أَتَى فِي قِلَّةٍ
فَعَلَامَ مَا جَاءَ بِالْفُظْيِ وَاحِدٍ
لَكِنَّهَا حِكْمٌ يَرَاهَا كُلُّ ذِي
فَأَمْنُهُ لَا زَلَّتْ الْجَوَادُ بِفَضْلِهِ

فَكُتِبَ الْجَوَابُ إِلَيَّ عَنْ ذَلِكَ :

قَبَّلْتُ أَسْطَرَ فَاضِلٍ بِهَرِ الْوَرَى
قَدْ نَالَ فِي عِلْمِ الْبَلَاغَةِ رُتْبَةً
وَأَرَادَ مِنِّي حَلَّ مُشْكِلَةِ غَدَا
مَّا لَدَيْهِ عَجَائِبُ لَنْ تُخْصَرَ
عَنْهَا غَدَا عَبْدَ الرَّحِيمِ مُقْصَرًا
تَبَيَّنَهَا عِنْدِي كُصْبُحِ أَشْفَرَا

(١) هذا البيت وأربعة بعده في طبقات السبكي ، وفيه : « أَتَى يَا شَاكِرًا » .

وجوابه أن الكفور ولو أتى
بخلاف من شكر الإله فإنه
فإذا مراعاة التوازن هنا
فاصفح فعجزني عن جوابك ظاهر
وكتب هو رحمه الله تعالى إليّ ملغزاً :

يا أيها البحر علماً والغمام ندئ
أشكو إليك حبیباً قد كلفتُ به
خُمُساءً قد أصبحا في زِيٍّ عارضه
لارِيبَ فيه وفيه الرِيبُ أجمعه
وفيه كلُّ الوری لَمَّا تَصَحَّفَهُ
ومن به أضحت الأيام مُفْتَخِرَهُ
مورِّدَ الخدِّ سبحان الذي فَطَرَهُ
وفيه بأسٌ شديدٌ قلَّ مَنْ مَهَرَهُ
وفيه يُبَسُّ ولينُ البانة النِّصْرَهُ^(١)
وضِيعَةُ بيلاد الشام مُشْتَهَرَهُ

فكتبت أنا الجواب إليه وهو في « ريباس » .

٦٠٣ - الحسين بن علي بن أبي بكر بن محمد*

الشيخ الإمام الفاضل بهاء الدين بن تاج الدين أبي الخير الموصلي الحنبلي ، شيخ
الحديث بالعساكرية ، وأحد العدول بمركز المُستأريّة .

كان شيخاً طوالاً ، وفاضلاً لا يتماهى ولا يتمالا ، ذكيّ الفِطْرَةِ ، زكيّ العِشْرَةِ ، جيّد
الذهن صافيه ، وافي ظل الأدب ضافيه ، ينظم جيّداً ، ولا يدعُ الكلام يخرج من فيه
إلا مفيداً مقيداً . له قُدْرَةٌ على حلِّ الألفاظ ونَظْمُها ، وقُوَّةٌ على الإصابة في مرامي
سَهْمِها .

(١) هذا البيت وبيتان بعده في الطبقات . وفيه : « مكثراً » .

(٢) في الطبقات : « لا يمد مكثراً » .

(٣) البيت والذي يليه في الطبقات . وفيه : « وفيه بأس » .

* الدرر : ٥٩/٢ .

لم يزل على حاله في الارتزاق بالشهادة إلى أن مات على الشهادة ، وأحسن الله إليه معاجة ومَعَادَه ، فَسَكَنْتُ شَقَاشِقَهُ ، وأصابته من الحِمَامِ رَوَاشِقُهُ .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بدمشق في رمضان سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

ومولده في شهر رجب سنة تسعين وست مئة .

قدم الشام قبل الثلاثين وسبع مئة ، وأقام بدمشق إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وتوجه إلى الديار المصرية ، وأقام بها دون الشهرين ، وعاد ، وكان بيده خطابة قرئية دومة^(١) قريباً من سنة ، ثم انفصل منها ، وكان يكتب جيداً ويجب [المؤاخذة]^(٢) والمناقضة ، وقلّ من سلّم منه من أهل عصره . وكتب بخطّه كتابي (فضّ الحتام عن التورية والاستخدام) وقرأه عليّ .

وكان يروي (جامع الأصول) عن رجل عن المصنف ، كما قال رحمه الله تعالى .

وبيني وبينه مكاتبات ومُحَاوَرَات ومراجعات ذكرت منها جانباً في كتابي (ألحان السواجع بين البادي والمُراجع) .

وكان يحب نظم الضوابط ، وكتب هو إلىّ مُلَغِزاً :

وَمَا اسْمٌ إِذَا فَكَّرْتَ فِيهِ وَجَدْتَهُ	يَحِلُّ بِتَصْحِيفٍ مُحَلًّا مُسْتَرًّا
بَدِيعٌ فَعَالٍ لَيْسَ يَدْرِكُ صَنْعَهَا	إِذَا فَكَّرَ الْإِنْسَانُ فِيهِ تَحَيَّرَا
وَيَزِرِي بِهِ مَعْكَوسُهُ مَطْلَقًا فَإِنْ	أَقَى فِيهِ تَصْحِيفٌ فَلَا تَسْأَلُ الْقِرَى
فَتَصْحِيفُهُ فِيهِ دَقِيقٌ وَبَعْضُهُ	قَصِيرٌ وَبَعْضٌ قَدْ عَلَا وَتَجَبَّرَا
وَإِنْ صَحَّفَ التَّصْحِيفَ مِنْ عَيْنِ فَعْلِهِ	فَذَلِكَ مَحْبُوبٌ إِلَى سَائِرِ الْوَرَى
فَقَدْ جَمَعَ الضَّدِّينَ نَفْعًا وَضَرَّةً	وَجَمْعًا وَتَفْرِيقًا وَحُلُومًا مُمَرَّرَا

(١) من قرى غوطة دمشق ، على مسافة خمسة عشر كيلاً إلى الشمال الشرقي منها .

(٢) طمس في الأصل ، والزيادة من الدرر .

وقد جاء في التنزيل آيَ بذكره
وجُمِّلته في الليلِ يمكنَ حَضْرَها
وذلك أمرٌ ظاهرٌ للذي قرا
وإن سيمَ عَدًّا في النهارِ تَعَدُّرا
فكتبت أنا الجواب عنه ، وهو في « نحل » :

قَرِيطُكَ فينا قد غدا شامخَ الذَرَى
تغوصُ على المعنى الخفيِّ بِقُدْرَةٍ
نرى طِرْسَهُ عندَ البَيانِ مُزْهِراً
أحاشيكَ من عَكْسِ الذي قد أَرَدته
تُريكَ دجى الإشكالِ في الحالِ نَيِّراً
وحاشاكَ من تصحيفه فهو خُلَّةٌ
غدا بُغْضُها في الناسِ شيئاً تَقَرُّرا
من النظم ما انهلَّ الغمامُ على الثرى
فلا زلت تُهْدِي للأنامِ بدائعاً
وكتب هو إليّ أيضاً مُلَغِزاً :

وصاحبٌ مُسْتَحْسَنٌ فَعْلُهُ
فقَّ ولكنَّ سِنَنَهُ رَبِّياً
ليس له ثِقْلٌ على صاحبٍ
قلت وقد قالوا أبْنُ ما اسمُه
زادت على السبعين في الغالبِ
ظَنَنْتُمْ تَصْحِيفَ مَعْكُوسِهِ
لِيُعْلَمَ الشَّاهِدُ لِلْغَائِبِ^(١)
يخفى وليس الظنُّ بالكاذبِ

فكتبتُ أنا الجواب إليه وهو في « مشط » :

أفدي بهاءَ الدينِ مِنْ فاضلٍ
أَلْغَزَ في شيء غدا حَمْلُهُ
في النِّظْمِ لم يَخْرُجْ عنِ الوَاجِبِ
تراهُ لا تضحكُ أسنانُهُ
على رؤوسِ الناسِ في الغالبِ
كم غاصَ في ليلِ شبابٍ وكم
يا حَسَنَةً مِنْ أَصْفَرِ شاحِبٍ
وقد لاحَ في صبحِ من الشايبِ
وكتب هو إليّ مُلَغِزاً :

وصاحبٌ مُكْرَمٌ
يُنْعَتُهُ من وَصْفِهِ

(١) هذا البيت ليس في الدرر .

يجود بالنفع على من دهره ما عرفه
وليس يكسى خلّة إلا بها قد أثخفه
ولا يزال عارياً وبردة قد أثخفه
وعكسه مصحفاً تقبيل ثغر بشقه

فكتبت أنا الجواب ، وهو في « ميل » :

هذا بهاء الدين لا يزال يدي طرّفه
ألغز في شيء حكى من كلّ قد هيفه
وفيه من ذاك الذي حوشيته بعض الصفه
بطول شير رأسه أمّلس رابي المَدْفَه
إن غاص في شقّ فا يبلّ إلا طرّفه

وكتب إليّ كثيراً من الألغاز والأحاجي وغير ذلك ، وأثبت بعض ذلك في
(ألحان السواج) .

٦٠٤ - الحسين بن علي بن حمّد الغزي*

عز الدين أخو الحسن بن علي الغزي ، تقدّم تمام نسبه في ترجمة أخيه ^(١) .

كان يعمل بيده عدّة صنائع ، ويتقن أشياء عرّفه فيها ضائع ، ومعرّوفه ضائع .
وكان يلعب بالعود ويثّقن نجارته ، ويأتي فيه بأشياء إلاّ أنّه لم تربح فيه تجارته ، فإنّه
كان عثيراً ، ولا يزال إلى معروف الناس فقيراً .

وكان ينظم نظماً مقاربا ، ويكتب خطاً ما وصل طبقة أخيه ولا ربا ، وكتب في
الدرج بعد وفاة أخيه وأقام مدّة إلاّ أنّه لم تُشدّ في ذلك أوأخيه :

* لم تقف على ترجمة له .

(١) الحسن بن علي المذكور .

إذا لم يكن عَـوْنٌ من الله للفتى فأكثر ما يَجْنِي عليه اجتهاذه

ولم يزل على حاله إلى أن توجه إلى مصر ، فطعن بها وتردّى برداء تُرْبها .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في يوم الاثنين ثامن شهر رجب الفرد سنة أربع وستين

وسبع مئة .

كان هذا عز الدين أصغر من أخيه بدر الدين ، كان يعمل بيده عدة صنائع ويعاني التصوير ، ويصنع ذلك ، ولم يكن في ذلك مُجيداً ، كما جَوَّد نجارة العود ، فإنه نَجَزَ للأمير سيف الدين طقطاي الدوادار عوداً كان عجباً من العجائب ، وكان يَلْعَبُ بالعود ، وَوَقَّفَنِي مَرَّةً على مُصَنَّف ، وضعه في الموسيقى .

وكان قد دَخَلَ بعد وفاة أخيه بدر الدين إلى ديوان الإنشاء بدمشق وأقام به في قَلَّةٍ مَحْصُولٍ من معلومه وتأخره ، إلى أن قطع الناس في أيام الوزير فخر الدين بن قَرْوِينِه^(١) ، وكان في جُمْلَةٍ من قُطْع ، ثم إنه يَسْتَكْتَب في الديوان على كتب القصص بغير معلوم .

وفي أيام القاضي جمال الدين بن الأثير^(٢) مَنَعَ مِنْ ذلك ، فسَاءَتْ حاله وتوجه في صحبة شمس الدين بن أبي السِّفَّاح^(٣) إلى مصر ، فطعن في يوم والثاني . وتوفي رحمه الله تعالى ، وكان يكتب مقارباً وينظم كذلك .

٦٠٥ - الْحُسَيْنُ بْنُ عُمَرَ*

ابن محمد بن صَبْرَة ، مؤنث صبر : الأمير عز الدين .

- (١) واصله ماجد (ت ٧٦٨ هـ) ، الدرر : ٧٤/٣ ، والذيل التام : ٢٢٠ .
 - (٢) هو جمال الدين عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن أحمد ، تولى القضاء بدمشق سنة (٧٦٣ هـ) ، انظر : البدائع : ٥٨٩/١/١ ، ولم يذكر سنة وفاته .
 - (٣) هو عبد الله بن يوسف بن عبد الله (ت ٧٦٤ هـ) ، الدرر : ٣١٠/٢ .
- * الدرر : ٦٥/٢ .

كان من الأمراء بدمشق ، وتولّى بها الحجووية ، وهو من بيت له في السيادة سُمُو ، ومن أصل له في الرياسة غُو ، ومن قبيل لهم في المكارم رواح وعُدُو .

وعمر إلى أن بلغ الثمانين ، ووقف جواد عمره الرّكض في تلك الميادين ، تقل في آخر عمره إلى طرابلس على إقطاع ضعيف ، وخبز ما يشبع من أكله وحده من غير مضيف .

ولم يزل بها إلى أن فقد الصّبر ابن صبره ، ونزل بعد بلوغ الثريا قبره .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة خمس عشرة وسبع مئة .

وكان أولاً بدمشق حاجباً مدّة ، وولي الصفقة القبلية عوضاً عن الرستمي ^(١) في ذي الحجة سنة ست وسبع مئة ^(٢) إلى أن تقل آخر عمره إلى طرابلس على إقطاع ضعيف ، فكثّر الدّين عليه وساءت حاله وقلّ ماله ، وكانت تقلته إلى طرابلس في جمادى الأولى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

أنشدني لنفسه إجازة العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود ما كتبه إلى الأمير عزّ الدين بن صبره لما كان بطرابلس :

وَحَمَلِ رَسَائِلَ الْعِشَاقِ خَيْرَهُ	سَلُّوا عَنِّي الصَّبَا فَلَهَا بِحَالِي
حَلِيفَ صَبَابَةٍ بِكُمْ وَعَبْرَهُ	لَتُخْبِرَكُمْ بـ_____أَنِّي حَيْثُ كُنْتُ
وَحَيْثُ حَلَلْتُ عَبْدًا لِابْنِ صَبْرِهِ	وَإِنِّي فِي الْبُعَادِ وَفِي التَّدَانِي
بِهِ فَكَأَنَّهُ مِنْ حَيٍّ عُدْرَهُ	أَمِيرٌ هَامٌ بِالْإِحْسَانِ وَجَدًا
لَنَا وَعَلَتْ فَأَعْلَى اللَّهِ قَدْرَهُ	تَوَاضَعَ كَالنَّجُومِ ذَنَّتْ سَنَاءُ
وَأَبَاءُ وَأَعْمَامًا وَأُسْرَهُ	مِنَ الْقَوْمِ الْأَوَّلَى كَرَمُوا حُدُودًا
وَلِلْإِسْلَامِ تَأْيِيدٌ وَنُصْرَهُ	فَلِلدُّنْيَا بِهِمْ شَرَفٌ وَفَخْرٌ

(١) هو جمال الدين أقوش ، سلفت ترجمته .

(٢) انظر : البداية والنهاية : ٤٢/١٤ .

إذا ضنَّ الحيا خَلَقَتْ نَدَاهُ
 أتيتَ دِمَشْقَ إِذْ جازَتْ إِلَيْهَا
 وكانَ مُجَرِّداً وَقَفَدَتْ حَظِي
 أعزَّ الدِّينِ دَعَوَى ذِي دُعَاءِ
 تَذَكَّرَ عَصْرَ أُنْسٍ فِي حِمَاكُمُ
 وَسَطَرَهَا وَمَاءَ الدَّمْعِ مِنْكُمْ
 هَجَرْتُ دِمَشْقَ فَالْوَرْقَاءَ تَبْكِي
 وَجِثَّ الثَّغَرَ تَكْلُوهُ وَتَحْمِي
 فَخَارَ لَكَ الْمُهَيَّمُنُ فِي رِبَاطِ
 فَلَا زَالَتُ جِياذَكَ حَيْثُ سَارَتْ
 فَحَيْثُ حَلَلْتَ كُنْتَ رَفِيعَ قَدْرِ
 أَكْفَهُمُ فَعَنَادَ الْعُسْرُ يُسْرَهُ (١)
 كَتَائِبُ مَنْ أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ
 بِرُؤْيَيْتِهِ وَعُدْتُ بِأَلْفِ حَسْرِهِ
 يُوَالِيهِ لَكُمْ سِرّاً وَجَهْرَهُ
 أَتَى وَقَضَى فَحَيَّى اللَّهَ عَصْرَهُ
 إِذَا مَا خَطَّ سَطِراً بَلَّ سَطْرَهُ
 أَسَى وَعَلَتْ عَلَى الْأَوْرَاقِ صُفْرَهُ
 سَوَاحِلُهُ سَطِياً وَتَصَدُّ بَحْرَهُ
 أَقَمْتُ بِسَاحَتَيْهِ فَحَزَتْ أَجْرَهُ
 تَسَايَرُهَا السَّعَادَةُ وَالْمَسَرَّةُ
 لِرَاجِيهِ عَلَى الْإِحْسَانِ قُدْرَهُ

٦٠٦ - الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ*

ابن الحسين محمد بن الحسين بن زين الحسين بن مظفر بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله العَوْكَلاَنِي (٢)، بالعين المهملة المفتوحة والواو الساكنة، وَبَعْدَهَا كَافٌ مَفْتُوحَةٌ وَلامٌ أَلْفٌ، وَنُونٌ وَيَاءٌ النِّسْبَةُ: ابن موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(١) في الأصل: «إِذَا ظَنَّ»، ولا وجه لها.

* الوافي: ٥١/١٣، وفيات ابن رافع: ٣٧٠/١، والنجوم: ١٠/١١، والبدائع: ٥٨٥/١/١، والنهل الصافي: ١٦٩/٥، وفي نسبه بعض خلاف بين المصادر.

(٢) في النهل: «العوكلائي». تصحيف.

القاضي الكاتب الناظم الناصر شهاب الدين أبو عبد الله الحُسَيْنِي المعروف بابن قاضي العَسْكَر^(١)، موقع الدَّسْت الشريف بالقاهرة .

إن نظم قلت : البحر يلتطم ، وإن نثر قلت : السيل يَحْتَد وَيَحْتَدِم كأنه يَتَرَسَّل ، ومُتَرَسَّلٌ يَتَوَصَّل بالبلاغة وَيَتَوَسَّل ، بديته تَسْبِق قَلَمَهُ ، ورويته تُلْحِقُ بالدرِّ كَلِمَهُ ، ذو نَفْسٍ^(٢) ممتدّ ، وفكرٍ مُحْتَدّ ، وإنشاء معناه مُبَيِّضٌ في خلال السطر المُسَوَّد . كم أنشأ من تقليد ، وكتب من توقيع نُسخَ بين دَفْئِي التجليد ، وقُضِيَ لِدِكْرِهِ بالتخليد ، وراسل إخوانه بكتاب ألقى إليه البيان بالإقليد ، وولّد معانيه الغامضة فتضجّج خدّ البلاغة من توريد ذلك التوليد ، وكان قد أنشأ شيئاً كثيراً ، وخلّد منه ما لا يُعرَفُ له نظيراً ، وباشركتابه السَّرِّي في حَلَب ، ولم تطلِ المدة حتى اقلب ، فرجع إلى وطنه باختياره ، وفرحت مصر بازدياده .

ولم يزل على حاله على وظيفته إلى أن تلاشى كيأنه ، وأودى بيبانه ، وسكنت الشقائق ، وقُرِطِست تلك الأسهم الرواشق .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشر شعبان يوم الاثنين سنة اثنتين وستين^(٣) وسبع مئة .

وسألته عن مولده فذكر أنه في سنة ثمان وتسعين وست مئة بالقاهرة في سُوَيْقَةِ الصاحب .

اجتمعتُ به ورافقته في ديوان الإنشاء بقلعة الجبل ، وبدمشق لما قدم متوجّهاً لكتابة سِرِّ حلب ، وأنشدني كثيراً من نظمه إلى الغاية ، وأثمنني من إنشائه ما يزيد على الوصف ، ورأيتُه يكتب وهو ينشي ما يكتبه ، وينشدني من شعره غير ما يكتبه ،

(١) ويعرف أيضاً بـ (أبي الرُّكْب وبابن أبي الرُّكْب) .

(٢) في الأصل : « أنفس » ، ولا وجه لها .

(٣) في النهل : « سبعين » ولا يستقيم ، لأن وفاة الصفدي المترجم له كانت سنة (٧٦٤ هـ) .

وكان مطيقاً على فني النظم والنثر ، له قُدرة تامة . كتب بديوان الإنشاء من التقاليد والتواقيع شيئاً كثيراً إلى الغاية . وأجاز لي ، على ما ذكره من لفظه ، الشيخ شرف الدين الدمياطي وقاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد والأبرقوهي . قال : وحفظت (التنبيه) وبجسته ، واشتغل على الشيخ علاء الدين القونوي ، ورسم له بالتوقيع بين يدي السلطان الملك الكامل شعبان في سنة ست وأربعين وسبع مئة عوضاً عن القاضي زين الدين محمد بن الخضر^(١) لما خرج لكتابة سر الشام ، وكان بيده خطابة وتدريس فيما أظن .

وكتبت إليه من رغبة مالك بن طوق :

ما لقلبي عن حُبِّكم قَطُّ سَلَوَه	كُلُّ حَالٍ مِنْكُمْ لَدَى الصَّبِّ حُلُوَه
إِنْ بَخَلْتُمْ حَاشَاكُمْ بَوَفَاءِ	أَوْ تَنْتَكُمُ بَعْدَ التَّعَطُّفِ قَسُوَه
فَلَكُمْ قَدْ قَضَى وَمَا تَقْضَى الْعَهْدُ	سَدِّ مَحَبٍّ وَلِيْ بِذَلِكَ أَسُوَه
يَا ابْنَ بِنْتِ النَّبِيِّ قُلْ لِي وَقَوْلِي	يَا ابْنَ بِنْتِ النَّبِيِّ أَفْضَلُ دَعْوَاهُ
هَلْ بَدَأَ فِي الْوَفَاءِ مِنِّْي تَقْضَى	أَوْ جَرَى فِي الْحِفَاظِ مِنِّْي هَفْوَاهُ
فَعَلَامَ الْإِعْرَاضِ وَالصَّدِّ عَمَّنْ	لَمْ يَجِدْ فِي سَوَى مَعَالِيكَ صَبْوَاهُ
كَيْفَ أَنْسَى سَاعَاتٍ وَصَلَتْ تَقْضَى	وَبَعْطَفِي مِنْهَا بَقِيَّةُ نَشْوَاهُ
مَا خَلْتُ خَلْوَةً وَلَمْ أَلْقَ فِيهَا	مَنْ عَذَارَى حَدِيثِكَ الْعَذْبِ جَلْوَاهُ
حَيْثُ لِي مِنْ حَدِيثِكَ النِّظْمُ وَالنَّثُ	رُمْتُ مَا أَرَدْتُ كَلَسَاتِ قَهْوَاهُ ^(٢)
وَمَعَانٍ كَالْخُورِ زَفَّ حُلَاهَا	مَنْطِقٌ تَشْخُصُ الْأَفَاضِلَ نَحْوَاهُ
كَانَ فِي مِصْرٍ لِي بِقُرْبِكَ أَنْسٌ	عَنْ أَنْسَاسٍ لَهُمْ عَنِ الْخَيْرِ نَبْوَاهُ
وَأَرَى رِقَّةَ الْحَوَاشِي الَّتِي عِنْدَ	سَدِّكَ تُغْنِي عَمَّنْ غَدَا فِيهِ جَفْوَاهُ

(١) هو محمد بن الخضر بن عبد الرحمن بن سليمان ، وستأتي ترجمته .

(٢) في الواقي : « حيث لي من فنون نظمك والنثر » .

وَإِذَا مَا أَتَيْتُ أَلْفَيْتُ صَدْرًا
وَاقْتَعَدْتُ الْفَخَّارَ بَيْنَ الْبَرَايَا
وَأَرَى أَنْ لِي إِذَا زَرْتُ أَرْضًا
كَيْفَ لَا وَالْوَلَاءَ فِي قَوْمِكَ الْغُرَّ
مُنِيَّيْنِ أَنْ أَرَى حَمَّاكَ بَعْنِي
أَهْ لَوْ تَنْصِفُ اللَّيَالِي إِذَا مَا
أُولُو أَنْ الْفِرَاقَ يَقْبَلُ مِنِّي
يَا زَمَانًا بِمَصْرٍ وَلِي حَمِيدًا

مَنْكَ لِي فِي حِمَاةٍ حَظٌّ وَحُظْوَةٌ
وَتَسَنَّمْتُ فِي السَّيِّئَةِ دُرُوءَ
أَنْتَ فِيهَا التَّشْرِيفَ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ^(١)
أَرَاهُ فِي الْبَدِينِ أَوْثَقَ عُرْوَةٍ
لَا أَرَاكَ الْهَمَى وَلَا دَارَ غُلُوءٍ
حَكَمْتَ بِالْبُعَادِ مِنْ غَيْرِ عُنُوءٍ
فِي اقْتِرَابِ الدِّيَارِ مِنْ مِصْرَ رِشْوَةٍ
هَلْ يَجِبُ الْإِلَهَ لِي فِيكَ دَعْوَةٌ

فكتب إليَّ الجواب عنها تسعة وستين بيتاً :

أَنْسِمُ الصَّبَا عَلَى الرُّوضِ غُدُوهُ
وَسَرَى لُطْفُهَا إِلَى الدَّوْحِ فَارْتَا
أَمْ سَقِطُ النَّدى عَلَى الْوَرْدِ كَالْيَا
أَمْ تَشْتِي الْغُصُونُ فِي حُلُلِ الزَّهْدِ
أَمْ مَسِيلُ الْمِيَاهِ بَيْنَ رِيَاضٍ
أَمْ غَنَاءُ الْحَمَامِ غَرْدٌ فِي الْبَا
أَمْ نَجُومُ السَّمَاءِ زَهْرٌ أَمْ الْبَدُ
أَمْ وَصَالُ الْحَبِيبِ بَعْدَ صُدُودٍ
أَمْ حَدِيثُ الْعَذِيبِ يَعْذُبُ فِي كُلِّ
أَمْ كِتَابٌ قَدْ جَاءَنِي مِنْ خَلِيلٍ
رَحْبٌ بَاعَ لِرَحْبَةِ الشَّامِ وَافِي

سَحَبْتُ ذَيْلَهَا عَلَى كُلِّ رُبُوءٍ
حَ فَمَ رَنَحْتُ مَعَاطِفَ سُرُوءٍ
قُوتٌ إِذَا يَجْعَلُ السَّلَالَى حَشْوَةً
بِرِ سَقَاهَا السَّحَابُ كَاسَاتِ قَهْوَةٍ
بَنْضَارِ الْأَصِيلِ أُمْسَتْ تَمَوَّةُ
نَ وَأَضْحَى بِهِ يُرْجَعُ شَدْوَةٌ
رَمْنِيزٌ أَمْ مَشْرِقُ الشَّمْسِ ضَخْوَةٌ
فَأَتَى ذَا لَذَا فَأَسْرَعَ مَحْوَةٌ
لِ لَهْفَةٍ لَمَنْ تَذَكَّرَ لَهْوَةٌ
بَارِعٌ فَالْخَلِيلُ لَمْ يَنْجُ نَحْوَةٌ
ذُو وَفَاءٍ وَعِقَّةٌ وَقُتُوَّةُ^(٢)

(١) في الأصل : « أنت لها » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الوافي : « ذا وفاء » .

سامق فوق هُضْبَةِ المجد والعِزِّ
 ناظمٌ ناثِرٌ بليغٌ بديعٌ
 حيثما حلَّ في الممالك حَلًى
 بعد حَوْلَيْنِ قد أتاني فأهلاً
 وعَناني من بُعْدِ دارٍ ولكن
 وأرادوا حُمُولَ ذِكْرِي فغاروا
 حجبوه عني فأظهره الله
 منها :

ياصلاح الدين البديع نظاماً
 لا تَلْمِني على تــــآخرِ كُتُبِي
 كنتُ في شِدَّةٍ وقد فرَّجَ الله
 منها :

أنا سِبْطُ النَّبِيِّ وابنِ عليٍّ
 وإذا ما غتراني الدهرُ بالْعُدِّ
 شَرَفٌ بــــاذخٍ لأَرْفَعَ ذُرْوَهُ
 وإن أُمْسَكْتُ منها أيَّ عُرْوَهُ
 وطلَّبَ مني بُشْتاً^(٢) أسود ، فجهزته إليه وكتبت معه :

يا سيِّداً ما زال يدعَى سيِّداً
 شَرَفْتَنِي بأوامِرٍ دأبي لها
 حاز المكارم والعُلا والسُّودداً
 ولو اقتصرت لبستُ حظِّي الأسودا
 مهاباً أتى مرسومها أن أسجداً
 خيرٌ من الحلل الحرير مع الردى
 وطلَّبتُ بُشْتاً أسوداً من جَلْقٍ
 لبسُ العِباءة والعيونُ قريرةً

(١) في الأصل : « سيوف » تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) ضرب من العباءات .

فألْبَسُهُ فُضْفَاضَ الذِيُولِ حَكِي دَجَا
فَكُتِبَ الْجَوَابُ عَنْ ذَلِكَ :

حَيَّا دِمَشْقَ وَأَهْلَهَا غَيْثُ النَّدَى
دَارَ خَلِيلِ الصَّدَقِ سَاكِنَ رُبْعِهَا
الْفَاضِلُ الْمُتَفَضَّلُ الْحَبْرُ الَّذِي
النَّاطِمُ الْعَقْدَ الْفَرِيدَ قَرِيضَهُ
وَالكَاتِبُ الْحَسَنَاتِ فِي صُخْفٍ لَهُ
الصَّاحِبُ الْمَوْلَى الْجَمِيلَ صِحَابِهِ
وَصَلَّتْ - وَصَلَّتْ - إِلَيَّ مِنْكَ عَوَارِفُ
وَأَتَى إِلَيَّ الْبُشْتُ مَقْتَرِنًا بِمَا
صَوَّفَ بِهِ لَذَوِي الصَّفَاءِ تَلَفُّعُ
قَدْ جَاءَ مِنْ جِهَةِ الصَّلَاحِ مَجْبُذًا
قَدْ قُمْتُ فِي لَيْلِ الشَّتَاءِ بِهِ إِلَى

وَسَقَى مَعَاهِدَهَا الْحَيَا مُتَعَهِّدًا
مَاعْنَهُ مِنِّي بِالرِّضَا أَنْ أَبْعَدَا
جَمَعَ الْحَاسَنَ كُلَّهَا مُتَفَرِّدًا
وَالنَّائِثَ الدَّرَّ النَّفِيسَ مُنْضِدًا
بِيضٍ لَهَا اسْوَدَّتْ وَجُوهٌ لِلْعِدَى
مُتَفَضِّلًا مُتَطَوِّلًا مَتُودِدًا
قُرْبًا وَبُعْدًا بِرُهَا لَنْ يُفْقِدَا
لَكَ مِنْ يَدٍ يَبِضَاءَ كَمْ وَهَبَتْ نَدَى
شَعْرَ شِعَارٍ مِنْ اغْتَدَى مُتَعَبِّدَا
هُوَ مِنْ لِبَاسِ تَقِي بِهِ قَدْ أَسْعَدَا
رَبُّ السَّمَاءِ أَدْعُو لَهُ مُتَهَجِّدَا

قلت : وبينه مكاتبات كثيرة ذكرتها في كتابي (الحان السواجع) .

٦٠٧ - الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَدْنَانَ*

تَقَدَّمَ تَمَامَ نَسَبِهِ فِي تَرْجُمَةِ أَخِيهِ أَمِينِ الدِّينِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، هُوَ الشَّرِيفُ زَيْنُ الدِّينِ الْحُسَيْنِيُّ بْنُ أَبِي الْجِنِّ .

كَانَ كَاتِبًا مَشْهُورًا ، وَفَاضِلًا فِي أَهْلِ الْإِعْتِزَالِ مَذْكُورًا ، فَارَسَ جِلَادَ وَجِدَالٍ ، وَمَقَامَ فِي انْتِصَارِ مَذْهَبِهِ وَمَقَالَ . خَدَمَ بَكْرَكَ الشُّوبَكِ^(٢) زَمَانًا ، وَنُقِلَ إِلَى دِمَشْقَ قَوْفَى

(١) كَذَا ، وَلَا مَعْنَى لِلْعِبَارَةِ ، وَالْأَقْرَبُ : صَبَحَ بَدَا . أَوْ بَدَرَ بَدَا .

* الْوَاقِي : ٥٠/١٣ ، وَنَكَتُ الْهَمِيَانِ : ٢٦٤ ، وَتَالِي وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ : ٦٦ ، وَالْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ : ٤٩/١٤ .

(٢) قَلْعَةُ حَصِينَةٍ فِي أَطْرَافِ الشَّامِ بَيْنَ عَمَّانَ وَأَيْلَةَ وَالْقَلْزَمِ ، قَرِبَ الْكَرْكِ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ : ٣٧٠/٣ .

لها بالسيادة ضمانا ، وتَنَقَّلَ في المباشرات ، وتَنَقَّلَ بعد الفَرَض في المعاشرات ، وولَّى نَظَرَ حَلَب ، وجَلَب إليها من السيادة ما جَلَب ، ثم إنه ولي نقابة الأشراف بدمشق ، ونظر الديوان ، وجلس في دَستِه كأنه كسرى في الإيوان ، ولَمَّا وصل غازان إلى دمشق^(١) ، واستحوذ عليها ووصل بغول المغول إليها دخل في تلك القضية ، وجبى الأموال من الرِّعْيَةِ ، ولَمَّا نصر الله الإسلام ، ورفع ما كان تَنَكَّسَ منه من الأعلام عوقب الشريف وُضِرَ ، وسُجِنَ وسُحِبَ ، وصودر هو وأخوه الشريف أمين الدين ، وأخذ منها جُمْلَه ، ومزَّقَ الله سَعْدَها وشَتَّ شَمْلَه . ثم طُلِبَ زين الدِّين إلى القاهرة ، ودامت شدَّتُه متظاهره ، فطلبه الأفرم مرَّات ليحاقيقه ، ويُبَيِّنَ إن كان الحقُّ معه ليؤاقيقه ، فلما أرسل إليه ولَّاه نَظَرَ ديوانه ، وألقى إليه مِنْ أمره فَضْلَ عِنايَه ، وولَّاه أيضاً نظر الجامع^(٢) وَغَيرَه ، ثم إنه عاد إلى مَدْرَج طَيرِه .

ولم يزل على حاله إلى أن شخصت عينه ، ووافاه حَيْثُه .

وتوفي في سادس ذي القعدة سنة ثمان وسبع مئة .

وهو ، رحمه الله ، والدُ السيِّد علاء الدين نقيب الأشراف . وكان الأفرم قد ولَّاه نظر ديوانه عن الشيخ كال الدين بن الزملكاني في جمادى الأولى سنة ثمان وسبع مئة^(٣) ، ولما مات كان بيده نَظَرُ ديوان الأفرم ، ووكالة الأفرم ، ونظر الجامع ، وبقي في ذلك مُدَّةَ يسيرة نحو خمسة أشهر ، وتوفي رحمه الله تعالى وعمره نحو خمسة وخمسين عاماً ، وتولَّى نظر الجامع بعده القاضي شرف الدين بن صَضرى ، وكان قد وَلَّى نقابة الأشراف في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبع مئة .

(١) سنة (٦٩٩ هـ) .

(٢) عوضاً عن ابن الخطيري ، كما في البداية والنهاية : ٤٧/١٤ .

(٣) البداية والنهاية : ٤٧/١٤ .

٦٠٨ - الْحُسَيْن بن محمد بن إسماعيل *

الشيخ الجليل الزاهد العابد الكبير نَجْمُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيّ المعروف بابن عَبَّود^(١) .

كانت له وجاهة في الدولة عظيمه ، ومكانة دونها النجوم التي تزين الليالي البهيمه ، إذا قام في أمرٍ كان به أَعَدَّ من الوزير ، وأُنْفَذَ فيه من الأسد إذا يَزِير ، خبيراً بطُرُق السَّعْيِ ، قديرأ على ما يرويه لما لعهوده من الرَّغْيِ ، وهو الذي قام في ولاية الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد حتى تَوَلَّى القضاء^(٢) وألْزَمَه بقبول ذلك الضَّيق بعدما كان فيه من الفَضَا ، لأنه مازال وجيهاً في الدَّوَل ، معظماً عند الملوك الأوَّل .

ولم يزل على حاله إلى أن أَقْلَ نَجْمُه فما طلع ، ولحق الناسَ ما لحقهم عليه من الهَلَع .

وتوفي رحمه الله تعالى في بكرة الجمعة ثالث عشري شوال سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة وقد جاوز السبعين . وحضر جنازته جَمْعٌ عظيم ، وقام بالمشيخة بعده في الزاوية ابنُ أخيه الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ بدر الدين حسن ، وزاويتهم في القرافة مشهورة .

٦٠٩ - الْحُسَيْن بن مُحَمَّد بن عَمَر **

ابن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن محمد بن المسلم بن الحسن بن هلال ، الصدر الأصيل معين الدين أبو علي بن الشيخ الصدر الكبير عماد الدين بن هلال الأزدي الدمشقي .

* البداية والنهاية : ١٠٤/١٤ ، والدرر : ٦٥/٢ .

(١) في البداية والنهاية : « ابن عنقود » .

(٢) سنة (٦٩٥ هـ) ، البداية والنهاية : ٣٤٣/١٣ .

** الدرر : ٧٠/٢ .

سمع من ابن أبي اليسر ، وأبي بكر بن محمد النشبي ، وسعد الدين بن حمويه ،
والمسلم بن علان ، وابن شيبان ، والرشيد العامري ، وجاعة .

وحدث . وكان يشهد على الحكام وهو منقطع عن الناس . فيه مروءة وإحسان ،
وكرم ومعرفة بالأمور .

توفي رحمه الله تعالى ثاني عشر جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة ثلاث وستين وست مئة .

٦١٠ - حسين بن محمد بن قلاوون*

الأمير [جمال]^(١) الدين ابن السلطان الملك الناصر بن السلطان الملك المنصور .

كان من أولاد السلطان الملك الناصر ، ولم يتول الملك ، وهو آخر أولاد السلطان
موتاً فيما أظن ، وخلف أموالاً عظيمة ، وكان الناصر حسن وغيره من إخوته يخافونه .
ولم يزل على حاله إلى أن توفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين
وسبع مئة .

وكانت تختلف عليه الأحوال ؛ تارة يكون أمير مئة مقدم ألف ، وتارة أمير
طبلخاناه .

٦١١ - أبو الحسين بن محمود**

ابن أبي الحسين بن محمود بن أبي سعيد بن أبي الفضل بن أبي الرضا : الإمام
جمال الدين الربيعي الباسي .

* البداية والنهاية : ٢٩٩/١٤ ، والدرر : ٧٠/٢ ، والذيل التام : ١٩٦ ، والبداية : ٥٩٢/١/١ ، والمنهل
الصابي : ١٦٨/٥ ، والنجوم الزاهرة : ٢١/١١ .

(١) سقطت من الأصل ، وهي ثابتة في الدرر .

* الدرر : ٧٣/٢ .

كان قد أمّ بالشُّجاعي مُدَّة ، وترقَّى إلى [أن] أمّ بالسلطان الملك الناصر محمد من سنة ثمان أو سنة تسع وتسعين وست مئة إلى حين وفاته . وكان أكبر الأئمة .

وكان شيخاً فاضلاً عالماً ، برياً من الكِبَر سالماً ، كثير التلاوة للقرآن ، حَسَن الأخلاق مع الأصحاب والإخوان ، كتب بخطه الكثير ، من ذلك [كشاف]^(١) الزمخشري ، تفسير القرآن الكريم .

وكان حسنَ الخط ، جيّد الضبط ، قَسَم أوقاته ما بين التلاوة والذكر والتسبيح والمطالعة وكتابة العلم . وكان يتهجّد كثيراً .

وقرأ بالسبع على الشيخ برهان الدين المالقي^(٢) . وقرأ عليه مُختَصَره (لِلْمُقَرَّب)^(٣) بحثاً ، وحفظ أكثره .

وقَدِمَ القاهرة سنة ستين وست مئة ، وأقام بها إلى أن توفي بها بمنزله في درب الأتراك ، في شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومولده ببالس سابع عشر شهر رجب سنة ست وأربعين وست مئة .

قال شهاب الدين أحمد بن أبيك الدميّاطي : سألته عن اسمه فقال اسمي كُنيتي ، وهكذا سَمّاني والدي .

قلت : وتزوج شيخنا الحافظ فتح الدين بن سيّد الناس ابنته فيما أظن .

٦١٢ - الحسين بن يوسف بن المُطَهَّر *

الشيخ الإمام العلامة ذو الفنون ، جمال الدين بن المطهر الأسدي الحليّ المعتزلي .

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) وقع في بعض نسخ الدرر : « المالكي » .

(٣) في النحو ، كما في الدرر ، وأغلب الظن أنه مقرب ابن عصفور علي بن مؤمن (٦٦٣ هـ) .

* الوافي : ٨٥/١٣ ، والبداية والنهاية : ١٢٥/١٤ ، والدرر : ٧١/٢ ، والمنهل الصافي : ١٧٤/٥ ، وذيول العبر : ١٤٧ .

عالم الشيعة ، والقائم بنصرة تلك الأقاويل الشيعية ، صاحب التصانيف التي اشتهرت في حياته ، ودلت على كثرة أدواته ، وكان ريّض الأخلاق حليماً ، قائماً بالعلوم العقلية حكماً ، طار ذكره في الأقطار ، واقتحم الناس إليه المخاوف والأخطار ، وتخرّج به أقوام ، ومَرَّت عليه السنون والأعوام ، وصنّف في الحكمه ، وخلّط في الأصول النور بالظلمه ، وتقدم في آخر أيام حزابندا تقدماً زاد حدّه ، وفاض على الفرات مدّه .

وكان له إدارات عظيمه وأملاك لها في تلك البلاد قدّر جليل وقيمة ، وممالك أتراك ، وحفدة يقع الشرّ معهم في أشرار .

وكان يصنف وهو راكب ، ويزاحم بعظمته الكواكب . ثم إنه حجّ وانزوى ، وحمل بعد ذلك الرّهج وانطوى .

ولم يزل بالحيلة على حاله إلى أن قطع الموت دليله ، ولم يجد حوْلَه مِنْ حَوْلِه حَيْلَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر الله المحرم سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وقيل : سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وقد ناهز الثمانين .

ومن تصانيفه (شرح مختصر) ابن الحاجب ، وهو مشهور في حياته وإلى الآن ، وله (كتاب) في الإمامة^(١) ردّ عليه العلامة تقي الدين بن تيمية في ثلاث مجلدات كبار ، وكان يسميه : ابن المُنجّس ، وله كتاب (الأسرار الحفيّة في العلوم العقليّة) .

٦١٣ - حسين المُولّه التركاني *

كان يَخْلُقُ ذَقْنَه ، ويتركها فترى كأنها ظَرْفٌ حَقْنَه^(٢) ، ويمشي في الطرق حافياً ،

(١) اسمه : منهاج الاستقامة في إثبات الإمامة . الكشف ١٨٧٠/٢ .

* الدرر : ٧٢/٢ .

(٢) الظاهر أنه يشير إلى المثل : (لألحقن حواقنك بذواقنك) ، جمع الأمثال : ١٧٧/٢ ، وانظر : القاموس (حقن) .

ولم يكن عن النجاسات متجافيا ، وسخ الثياب دون الإهاب ، يحدثُ نَفْسَه ، ويحرك رأسه ، ويكثرُ الحَلْفَ بالله تعالى ، وربما نطق بشيء من الغَيْبِ وتعالى ، وبَعْضُ الناس اعتقد صلاحه ، وبعض الناس ودَّ لو أغمد فيه سلاحه .

الألقاب والأنساب

الحَصِيرِي : نظام الدين أحمد بن محمود .

الحَقِيرِي : شمس الدين عبد القادر بن يوسف بن حشيش علم الدين مسعود بن أبي الفضل ، وولده معين الدين هبة الله .

٦١٤ - أبو حفص*

الشيخ زَيْن الدِّين قاضي القضاة المالكي بجلب .

كان رَجُلًا مَعْدُوداً برجال ، وَخَصْماً لَا تَثْبُتُ لَهُ الْخُصُومُ فِي مَجَال ، وَلَا يَقَعُّعُ لَهُ بِالشَّانِ^(١) ، وَلَا يُولِّي الدَّبْرَ مِنْ بَارِقَةٍ سَيْفٍ وَلَا لَمْعٍ سِنَان ، يَطْلُبُ وَلَا يَنْبِي فَتُورًا ، وَيَذْأَبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ عَلَى التَّقَدُّمِ ، وَلَا يَرَاهُ الدَّهْرُ ضُجُورًا . تَقَدَّمَ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ بِسُغْيِهِ ، وَخَدَّمَ النَّاسَ حَتَّى التَزَمُوا بِحَقِّهِ وَرَعْيِهِ .

ما زال يَسْعَى إِلَى أَنْ قَالَ حَاسِدُهُ لَهُ طَرِيقٌ إِلَى الْعِلْيَاءِ مُخْتَصَرٌ

ولي القضاء بجلب ، وتوجَّه إليها في أوائل شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأقام بها قاضي القضاة إلى أَنْ تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وجاء الخبرُ إلى دمشق بموته في أوائل شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبع مئة .

* لم قف على ترجمة له .

(١) في المثل : « لا يقعقع له بالشان » يضرب لمن لا يتضع لحوادث الدهر .

وثَّور في هذه المدة نعمة طائلة ، وحصل كُتباً كثيرة . وكان في أول حاله بدمشق أميناً في طواحين الأشنان ، ثم إنَّه بقي يخدم كُتاب الأمير علاء الدين الطنبغا نائب دمشق ، فيستخدمونه في الأمانات على بيوع حواصل الأمير ، ثم جلس في حانوت اليهود ، وبقي يتوجَّه في كلِّ سنة صحبة بدر الدين الغزي إلى القدس شاهداً على حاصل « قامة »^(١) . ولما عُزل القاضي شهاب الدين الأرتاحي المالكي من قضاء حلب شرع يسعى في المنصب والناس يعجبون منه إلى أن وُرد المرسوم بتوجَّهه إلى حلب .

وقلت أنا فيه :

إجْهَدْ وَلَا تَقْتَصِرْ يَوْمًا عَلَى طَلَبِ فَالشَّهْمُ مَنْ لَمْ يَقِفْ فِي السَّعْيِ عِنْدَ طَلَبِ
هَذَا أَبُو حَفْصٍ مَعَ جَهْلٍ يُوَخِّرُهُ سَعَى إِلَى أَنْ غَدَا قَاضِي قِضَاةٍ حَلَبِ^(٢)

الألقاب والأنساب

ابن أبي حليقة : علم الدين رئيس الأطباء بمصر إبراهيم ابن أبي الوحش .
ابن الحلبي : القاضي بهاء الدين ناظر الجيش بمصر عبد الله بن أحمد ، وولده
القاضي فخر الدين ناظر جيش دمشق محمد بن عبد الله .
والحلبي : صفي الدين الشاعر عبد العزيز بن سرايا .
والحلبي الرافضي : علي بن حسن .

٦١٥ - حماد*

ابن الشيخ الصالح الزاهد العابد المقرئ البركة المقرَّب الحلبي .

(١) وهي المعروفة اليوم بكنيسة القيامة .

(٢) منع (حفص) من الصرف ضرورة .

* البداية والنهاية : ١٢٥/١٤ ، والدرر : ٧٤/٢ ، وذيل العبر : ١٤٧ ، وفيه : « حماد التاجر » .

كان هذا الشيخ حمّاد لله وليّاً ، وبكلّ خيرٍ مليّاً ، جاهد دنياه وسلاحه صلاحه ، وجاهر أولاه بالإعراض عن زُخْرِفِها فلاح فلاحٍ ، وعمل على النجاة في أخراه فركب طريقها ، وصحب أهلها ورافق فريقها . أنوار الصلاح عليه تلوح ، وأرجُ الولاية من أزدانه يفوح .

ظهرت له أحوال وكرامات وقام لئله فالتَّهَجَّدُ عاش والكرى مات ، وصام نهاره وأوقاته كسبٌ وهي للبطل غرامات . جانب ما يُدعى بدعا ، وحارب شهوات نفسه ورعى ورعا .

زُرْتُهُ في جامع التَّوبَةِ^(١) ، وما كادت تصحُّ لي نوبه ، واجتهدتُ على الثانية ، فما اتفق لي إليه أوبه ، ورأيتُ منه رجلاً قد أعرَضَ عن العَرَضِ الفاني ، وأمسك الجَوْهَرَ الباقي ، وترك الدنيّ الداني ، وحصلتُ لي منه بركات ، ووصلتُ إليّ بسببه حرّكات .

وكان الشيخ تقيّ الدين بن تيمية يعظّمه ويعترف بصلاحه ، ويشهد باعتزاله عن الناس وانتزاحه ، ويتحقّق أنّه ممّن نأى عن الناس وطار بجناح نجاحه . وحسبك بمن ثبّت نضاره على ذلك المحكّ ، وأصغى لحديثه وما قطعهُ من حيثُ رقّ ولا ركّ .

ولم يزل على حاله إلى أن أثر الله لقاءه ، ورأى انتقاله إليه وانتقاءه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وعشرين وسبع مئة بدمشق في عُشْرِ شَعبان .

وكان الشيخ حماد قد وردَ من حلب ونزل بظاهر دمشق على رَجُلٍ من الأولياء برج الدحاح ، ثم إنَّ الشيخ حمّاداً^(٢) انقطع بجامع التَّوبَةِ يُقرئ القرآن تبرّعاً ، لا يأخذُ عليه أجرَةً غَيْرَ الأجر ، وكان لا يزال متوجّهاً إلى القبلة على طهارة كاملة ، لا يبيل

(١) بالعقبة ، أنشأه للملك الأشرف موسى سنة (٦٣٢ هـ) ، الدارس : ٣٢٨/٢ . وما زال إلى يومنا هذا

يعرف بهذا الاسم .

(٢) في الأصل : « حماد » .

لأحد شيئاً إلا مِنْ قَوْمٍ قد صحبهم ووثقَ بهم وعرف ما هم عليه ، وهو مسترُّ الصيام الدائم والاعتكاف الدائم والتلاوة ، هذا وقد جاوز التسعين ^(١) .

ولم يكن يدَّعي ولا يفتخر ، وكان إذا اضطرَّ إلى ذكر شيء مِنْ حاله ، قال : كان فقير ، أو حَكَى لي فقير ، ولا يُصَرِّح بذكر نفسه أبداً ، ورأيتُه وعلى جسمه بَلاس ^(٢) شَعَر تحت القميص ، وهو شيخ قد أفنته الليالي والأيام وأنخلته العبادة والمجاهدة ، وكانت له جنازة عظيمة إلى الغاية .

ابن حماد : محمد بن إسماعيل .

ابن حماد : خطيب حماة : يوسف بن أحمد .

ابن الحَمَامِيَّة : مسعود بن سعيد .

٦١٦ - حمزة بن أسعد *

ابن مُظَفَّر بن أسعد بن حَمْزة : الصدر الكبير الرئيس صاحب عز الدين بن مؤيَّد الدين بن مظفَّر ابن الوزير مؤيد الدين أسعد القلانسي التيمي الدمشقي .

كان رئيس الشام وعَلَم الأعيان ، وعينَ الأعلام ، ذا رأي وبصيره ، ويد لم تكن في المكارم قصيره . جرى في السَّيادة على أعراقه ، وتَرَنَّج في رَوْض الرياسة كالغصن في أوراقه ، له تجارب ، وله عَوَصٌّ في الشدائد إذا نزلت به ومَسَارِب ، قد لبس الزمان ، وعَرَف الإخوان ، وقالبَ الدول ، وصوَّر بين عَيْنِيهِ سيرة الملوك الأوَّل ، صاحب حزم ، وربَّ همة وعَزْم ، وأخا خبرة ودهاء ، ومعرفة وذكاء ، وافر العَقْل ، يتحرى الصواب إذا ورد عليه النقل . له في مِصْرَ والشام وجَاهَه ، والملوكُ وَمَنْ دُونَهُمْ يَعْرِفون

(١) في البداية : « السبعين » ، تحريف .

(٢) ثوب خشن ، جمعه بُلَس .

* البداية والنهاية : ١٤٧/١٤ ، والدرر : ٧٥/٢ ، وذيل العبر : ١٦٣ ، والديار : ٧١/١ ، والشذرات :

٨٩/٦ ، والنهل الصافي : ١٨١/٥ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٠/٩ .

قَدَرَهُ وَجَاهَهُ ، لَا تُرَدُّ لَهُ شَفَاعَهُ ، وَلَا يَجْلِسُ فِي مَكَانٍ إِلَّا تَوَخَّى رِفَاعَهُ . أَمْلَاكَهُ يَعْجَزُ
عن نظيرها الملوك ، وأمواله وجواهره تضيق بها الصناديق والسلوك . قَدَّمَ أَنَسًا
كثيرين واستخدمهم ، وَبَرَّقَهُم بِالرِّيَاسَةِ وَقَدَّمَهم .

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ لَبَدَ الْمَوْتَ عَجَاجَتَهُ ، وَكَدَّرَ مُجَاجَتَهُ ^(١) .
وتوفي رحمه الله تعالى سادس ذي الحجة سنة تسع وثلاثين ^(٢) وسبع مئة .
ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة .

سمع من ابن عبد الدائم ، والرضي بن البرهان ، وابن أبي اليسر .
وَحَجَّ مَرَّتَيْنِ .

وَحَدَّثَ بِدَمَشَقَ وَالْحِجَازِ ، وَكَانَ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى مِصْرَ ، وَاجْتَمَعَ بِالنَّائِبِ وَالسُّلْطَانِ
وَوَلَّعَ عَلَيْهِ ، وَعَادَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعٍ مِئَةٍ ، وَتَوَجَّهَ أَيْضًا إِلَى مِصْرَ ، وَعَادَ
فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعٍ مِئَةٍ ، وَمَعَهُ أَمِينُ الدِّينِ بْنُ الْقِلَانِسِيِّ ، وَوَلَّعَ عَلَيْهِ
بَطْرَحَةً ^(٣) .

وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ عَشْرِ وَسَبْعٍ مِئَةٍ لَبَسَ خُلْعَةَ الْوِزَارَةِ بِدَمَشَقَ ^(٤) ، وَكُتِبَ فِي
تَقْلِيدِهِ : « الْجَنَابُ الْعَالِي » كَمَا يُكْتَبُ لِلنَّائِبِ تَعْظِيمًا لَهُ .

وَأَوْقَعَ الْحَوِطَةَ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ كِرَائِي نَائِبُ الشَّامِ ، وَعَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ غُلَامَانِهِ

(١) المِجَاجَةُ : الرِّيقُ ، وَالزَّنْ .

(٢) فِي سَائِرِ مَوَادِّ تَرْجُمَتِهِ : « تِسْعٌ وَعَشْرِينَ » .

(٣) هِيَ مَا يَلْبَسُهُ قَاضِي الْقَضَاةِ فَوْقَ عِمَامَتِهِ . وَجَاءَ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ أَحْدَاثُ سَنَةِ (٧٠٦ هـ) : « وَجَاءَ
كِتَابُ مِنَ السُّلْطَانِ بُولَايَةً وَكَالَتْهُ لِلرَّئِيسِ عَزَ الدِّينِ ابْنِ حَمْزَةَ الْقِلَانِسِيِّ عَوْضًا عَنْ ابْنِ عَمِّهِ شَرَفِ الدِّينِ
فَكَرَهُ ذَلِكَ » . انْظُرْ : ٤٢/١٤ ، ٤٣ .

(٤) عَوْضًا عَنْ النَّجْمِ الْبَصْرَوِيِّ . الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ : ٥٩/١٤ .

في يوم الأحد سابع شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، واستمر في الترسيم أكثر من شهرين^(١) . وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الأولى من السنة .

أحضره كراي وادعى عليه برّيع المُلْك الذي أشهر عليه القاضي نجم الدين الدمشقي ببطلان بيع المُلْك الذي اشتراه من تركة قلاوون في الرمثا والسبوجة والفضالية ، لكونه بدون قيمة المثل ، ولعزل الوكيل الذي صدر منه البيع قبل عقد البيع ، ولوجود ما يوفي منه الدين غير العقار ، وفيما بعد ذلك أمسك كراي ، وخرج صاحب عز الدين من الاعتقال في يوم الخميس ثالث عشرين جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبع مئة^(٢) من دار السعادة إلى الجامع ، وصلى الظهر ، وتوجه إلى داره ، ووقف له الناس في الطرق ، وأوقدوا الشموع .

ثم إنه عاد وجلس بدار الحديث أكثر من عشرين يوماً ، إلى أن وصل نائب السلطنة الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك ، ثم إنه وصل تقلّده بإعفائه من الوزارة ، واستقراره في وكالة السلطان ، وتوجه إلى الديار المصرية ، وغاب شهراً ، وعاد على يده كتب السلطان بأنه باقٍ على وُكالتِه ، وأنَّ القضاة يحترمونه ويسمعون كلامه ، والإنكار لما ثبت عليه وأن ذلك لم يأذن فيه السلطان ، وذلك بإعانة القاضي كريم الدين الكبير .

وخُلِع عليه في سابع عشرين الحجة سنة أربع عشرة وسبع مئة باستقراره على نظر الخاص ، وعلى صاحب شمس الدين غبريال بنظر الوقف المنصوري ، وخُلِع على شهاب الدين أحمد بن قُطُنْبَة التاجر بوكالة الخاص الشريف .

(١) البداية والنهاية : ٦١/١٤ .

(٢) انظر : البداية والنهاية : ٦١/١٤ ، ٦٢ .

٦١٧ - حمزة شمس الدين التركماني*

الوافد من الشرق ، كان ظالماً غاشماً ، هادماً لمباني الخير هاشماً ، له جُرْأَةٌ وإقدام ، ومحبَّةٌ في تلاف النفوس والإعدام .

تقَرَّب إلى الأمير سيف الدين تنكز بحيله الدقيقه ، وأصالته في الخمازي العريقه . لما تمسكن ، وتركنَ لما سَمَنَ بعد الهزال وتعنَّك^(١) ، فخرَّبَ بُيوتاً وزاد متزلزل الشرَّ ثبوتاً . وصار يركب في البريد ويفعل في مصر والشام كلَّ ما يُريد .

وصار يتحمَّل المشافهات بين تنكز والسلطان ، ويوحي إليهما من أذى الناس ما لا يوسوسه الشيطان ودخل معها في عظام ، وحرك ما كان ساكناً من النائم ، وبَدَّل النسائم العليلة بالسائم ، وأذى أناساً بكت عليهم الغائم وناحت الحمام ، ولودام أمره شهراً آخر أهلك الحرث والنسل^(٢) ، ونقل المناصب الجلييلة من الكفاء الكريم إلى اللئيم الفسل^(٣) . ولكن أخذَه الله من مأمِنه . وأثار إليه الشرَّ والمهلك من مَعْدِنه ، فقطعت أربعتُه ولسانُه ، وتنوَّع قبل ذلك عقابه وذَلَّه وهوانه .

وكان هلاكه في شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

كان في أوَّل أمره قد وفد من تركان الشرق ، واتَّصل بخدمة الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى ، ولم يزل يحتال بكل حيلة إلى أن بقي يُضغِي إلى كلامه ، ويُقْبَل عليه بوجهه ، وأظهر عليه معرفة بلاد التتار ، فسيرَهُ مرَّةً إليها ، وأمره أن يشتري له من هناك جارية ، فأحضرها فأعجبته ووقعت من قلبه ، وصارت حَظِيَّتَه ، وصار بعد ذلك يَسْمُرُ عنده بالليل ، وينفرد به ، وكان عنده كتاب (شاه نامه) في أخبار

* الوافي : ١٨٨/١٣ ، والدرر : ٧٦/٢ .

(١) العكنة : ما انطوى وتشفى من لحم البطن سَمَنًا .

(٢) أفاد من قوله تعالى : ﴿ وَيَهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ﴾ [البقرة : ٢٥٠/٢] .

(٣) الفسل : الرذل الذي لامروءة له .

الفرس ، فصار يحفظ من ذلك في النهار ويورده عنده في الليل ، وتكرَّر منه ذكرُ رُسْم في تلك الحكايات ، وكان يسمِّيه رستم ، ثم إنَّه أخذ في الحطِّ على ناصر الدين محمد بن كوندك^(١) دوا داره ، وهو ما هو عنده من التكن والمحبة وعلو المكانة ، ويذكر جماعته الذين في خدمته ، وقرَّر عندهم أموراً وهم غافلون عنها ، إلى أن تحقَّق بعضُ ما أوحاه إليه ، فعظم ذلك عنده وتمكن حمزة . ولم يزل إلى أن عقر الدوادار ، وعمل على قتل علي بن مقلَّد^(٢) حاجب العرب ، وأبعد الدوادار .

وانتقل منه إلى القاضي شرف الدين أبي بكر بن الشهاب محمود^(٣) كاتب السر وكان عنده جزءاً لا يتجزأ ، وعلى علاء الدين بن القلاسي^(٤) ناظر ديوانه ، وعلى قاضي القضاة جمال الدين بن جملته^(٥) ، وعقر جماعة من البريدية وغيرهم ، وتقدَّم ، وصار في رتبة ناصر الدين الدوادار ، وصار يروح إلى مصر في البريد ويجيء ، ويتحمَّل المشافهات من السلطان إلى تنكز ومن تنكز إلى السلطان .

وعمل بعد ذلك على جماعة من ممالك تنكز وخواصه الأقدمين ، وأبعدهم ونفاهم ، ولم يبق عنده أحدٌ في مرتبته ، وقرَّد وتجبر ، وطغى وتكبر ، وظلم وبالع في العسف والجور ، وعمر حمّاماً عند القنوات وشيّد وزخرفه ، فكثرت الشكاوى عليه في جادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة . فتتمر له الأمير سيف الدين تنكز وسجنه وعذبه ، ورماه بالبندق الرصاص وهو واقف قدامه عريان ، لأنّه هو كان يشير عليه بذلك ، فذكر هذه العقوبة ولم يستعملها إلا في حقّه حتى تورّم ، وعمل النساء قاشاً لبسنه في ذلك العصر وسمّينه بندق حمزة ، ومارق له أحد من سوء ما عامل به الناس .

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) الصحيح أن شرف الدين هذا هو أبو بكر بن محمد بن الشهاب محمود ، وقد سلفت ترجمته .

(٤) هو علي بن محمد بن نصر الله ، ستأتي ترجمته .

(٥) هو محمود بن محمد بن إبراهيم ، ستأتي ترجمته .

ثم إنه نقله [من]^(١) حبس القلعة إلى حبس باب الصغير مدّة ، ثم أفرج عنه ، ثم بلغه عنه كلمات سوءٍ في حقّه ، فبعث به إلى مغارة زلّايا ، فقطع هناك لسانه من أصله ، وقطعت يده ورجلاه فيما قيل ، وأصبحت جَمْرَة حمزة رمادا ، وبلغ الله عَدُوّه فيه مُرادا !

وكانت مدّة دون الستين^(٢) أو ما حولها ، وله في الظلم والجبروت والفرعنة حكايات ، وجد الجزء عن بعضها في الدنيا .

٦١٨ - حمزة بن شريك*

الأمير شمس الدين التركاني ، المقيم بالقُبَيَّبات ، أحد أمراء الطبلخانا بدمشق . حجّ بالركب في سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، وهي السنة التي حجّ فيها الأمير سيف الدين تنكرز .

وتوفي شمس الدين حمزة هذا في ثالث شوال سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وجاء الأمير سيف الدين خاص ترك^(٣) على إقطاعه .

الألقاب والأنساب

☆ الحِمَصي : الأمير علم الدين سنجر .

☆ حمّص أخضر : الأمير سيف الدين طشتر نائب حلب وصفد ومصر .

☆ ابن حمّويه : إبراهيم بن محمّد .

(١) زيادة يقتضها السياق . وعبارة الوافي : ثم إنه نقل من القلعة إلى حبس باب الصغير .

(٢) في الأصل : « الستين » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

* الدرر : ٧٦/٢ .

(٣) الناصري ، وستأتي ترجمته أوّل حرف الحاء .

٦١٩ - حميد بن عيسى *

الأمير شهاب الدين أخو الأمير سيف الدين بن فضل .

ورد كتاب^(١) الأمير رملته بن جمّاز في شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وسبع مئة أن عَرَبَ الحجاز قتلوه .

وكان رحمه الله تعالى أعور .

☆ ابن حميد : ناظر الجيش ، شمس الدين أبو طالب .

٦٢٠ - حَمِيْضَةُ **

بالحاء المهملة وفتح الميم ، وسكون الياء آخر الحروف ، وبعدها ضاد معجمة : كان أمير مكة ، وَلَقَبَهُ^(٢) عزّ الدين . وهو ابن الأمير الشريف أبي نُمَيٍّ صاحب مكة .

وكان حَمِيْضَةُ هذا قد خَرَجَ عن طاعة السُّلْطَان ، وعصى عليه ، وأثر أتباع الشيطان . فولّى السلطان أخاه الأمير سيف الدين عَطِيفَهُ^(٣) ، وَحَرَمَ جَفَنَهُ أن يرى طَيْفَهُ . وبقي حَمِيْضَةُ في البريّة مشرّداً ، وأمره بين الشر والفساد مَرَدّداً ، والطلّب يضيق عليه الخناق ، ويسد عليه فضاء الآفاق ، وأهل مكة خائفون من شرّه ، طائفون بالكعبة هرباً من خبث باطنه وسِرّه .

وكان في السنة الماضية قد هرب من ممالك السلطان الملك الناصر محمد لما حجّ

* الدرر : ٧٨/٢ ، وفيه : حميد بن فضل بن عيسى . وبدائع الزهور : ٤١٠/١ .

(١) في الأصل : « كاتب » ، ولا وجه لها .

** الوافي : ٢٠٣/١٣ ، والدرر : ٧٨/٢ ، وانظر في أخباره : تاريخ أبي الفداء : ٧٣/٤ ، ٨٠ ، ٨٩ ، والبداية والنهاية : ٧٧/١٤ ، والشذرات : ٥٣/٦ ، والمنهل الصافي : ١٨٦/٥ ، ونسبة فيه : « حميضة بن

أبي غي محمد بن أبي سعد حسن » .

(٢) في الأصل : « ولقيه » ، تصحيف .

(٣) (ت ٧٣٨ هـ) . الدرر : ٤٥٥/٢ .

ثلاثة نفر فلحقوا به ، وأقاموا عنده ، ثم تبين لهم منه أنه ربما يرسلهم إلى السلطان ، فقتلوه في وادي بني شعبة ، وحضروا إلى مكة ، فقيّدوا الذي تولّى قتله^(١) ، وجّهزه عطيفة إلى السلطان ، فقتله به .

وكانت قتلة حميضة في جمادى الآخرة سنة عشرين وسبع مئة .

وكانت قد جرت بينه وبين أخيه أبي الغيث^(٢) وقعة^(٣) ، فخرج^(٤) أخوه أبو الغيث ، ثم إنه دُبح بأمر أخيه حميضة في ذي الحجة سنة أربع عشرة وسبع مئة .

وكان السلطان قد جرّد إليه عسكراً ، فلما أحسّ بذلك في ذي القعدة سنة خمس عشرة وسبع مئة نزع قبل وصولهم بستة أيام ، وأخذ المال النقد والبر ، وهو مئة حمل ، وأحرق الباقي في حصنه الذي له بالجديد ، وبينه وبين مكة ثلاثة أيام ، وقطع ألفي نخلة ، والتجأ إلى صاحب الحليف ، وهو حصن بينه وبين مكة ستّة أيام ، وصاهره ، فلحقه العسكر ، وواقعوه ، وأخذوا جميع مال حميضة ، وأحرقوا الحصن وأسروا ابن حميضة ، وسلّموه إلى عمّه رميثة^(٥) .

واستقرّ رميثة أمير مكة ، ولحق حميضة بالعراق ، واتصل بخربندا ، وأقام في بلاده أشهراً ، وطلب منه جيشاً يغزو بهم مكة ، وساعده جماعة من الرافضة على ذلك ، وجّهزوا له جماعة من خراسان ، فما اهتموا بذلك حتى مات خربندا ، وبطل ذلك .

وكان الدلقندي^(٥) الرافضي قد قام بنصرته ، وجمع له الأموال والرجال على أن

(١) واسمه : أيدغدي ، كما في تاريخ أبي الفداء : ٨٩/٤ .

(٢) (ت ٧١٥ هـ) ، والدرر : ٢١٩/٣ .

(٣) كذا ، والأشبه : فجرح .

(٤) ستأتي ترجمته . وفي المنهل أن حميضة ولي إمرة مكة مرتين شريكاً لأخيه رميثة .

(٥) وكذا في البداية والنهاية ، وفي تاريخ أبي الفداء : الدرفندي . وهو نائب السلطنة على البصرة .

يأخذ له مكة ، ويقيم بها ، ثم إنَّ محمد بن عيسى^(١) أخو^(٢) مهتّا هو وجاعة من العرب
 وقعوا على حُمَيْضة وعلى الدلقندي ، فأخذوا مامعها من الأموال ، ودَثِرَ حُمَيْضة .
 وكان محمد بن عيسى له مدّة في بلاد التتار قد خرج عن طاعة السلطان فحضر عقيب
 ذلك إلى بلاد الإسلام ، فرضي السلطان عنه لذلك .

الألقاب والأنساب

- ☆ ابن حنّا : صاحب تاج الدين محمد بن محمد . وشهاب الدين أحمد بن محمد .
- ☆ ابن حلاوات : موقع طرابلس عمر بن أحمد .
- ☆ حينئذ : محي الدين عبد القادر بن أحمد .
- ☆ الحَيْسُوب : جمال الدين الكاتب عبد الكافي بن عثمان .
- ☆ ابن أبي الخوافر : بهاء الدين علي بن عثمان . وجمال الدين عثمان بن أحمد .
- ☆ الخيالي : محمد بن شريش .
- ☆ ابن الحيوان : يوسف بن موسى .
- ☆ الخوراني : المنشد سليمان بن عسكر . والمحدث يوسف بن محمد .

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) كذا ، والواجب النصب على البدلية .

حرف الخاء

٦٢١ - خاص تُرك*

الأمير سيف الدين الناصري .

كان عند الملك الناصر في الدُّفعة^(١) الأولى والخواصّ الذين حضروا معه من الكرك^(٢) ، ولهم عنده اليدُ الطُولى .

وكان شكلاً حسناً ، تام الظرف ، خُلُو الوجه ، أبيض الثغر ، أسود الطَّرف ، له قدٌّ يقول الرمح إذا رآه : هذا الأسمر ما أذبله ! وذوابةٌ حَبُّ القلوب تجمع فيها ، فصارت سنبله . وكانت مع طوله تنزل شبراً عن الحياصّه ، وإذا خطر بها تهتك المتيمُّ حتى يقول الحيا : صّه .

وكان ريّض الأخلاق زائد الحلم ، ليّن الجانب في الحرب والسلم .

حضر إلى الشام قبل الثلاثين وسبع مئة ، وأقام به إلى أن غرب بدرُ التّمام ، وبكى عليه حتى الغمام .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة أربع وثلاثين وسبع مئة في يوم الخميس عاشر شهر رجب .

وكان قد زوّجه السلطان بابنة الأمير سيف الدين سلّار ، ولما نزل من القلعة سكن

* الوافي : ٢٤٥/١٣ ، والنجوم الزاهرة : ٣٠٤/٩ ، والمنهل الصافي : ١٩٧/٥ ، وفيه : « خاص بك بن عبد الله » .

(١) في الأصل : « الرفعة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي ، وعنه صححها أيضاً محقق المنهل .

(٢) وهم : الطغاي وكسّاي وغيرهما ، كما في الوافي .

في دار سلاّر بين القصرين ، فأقام كذلك مدة ، وجّهه إلى الشام أميراً ، وهو والد الأمير صلاح الدين^(١) خليل أحد أمراء مصر والشام .

الألقاب والأنساب

☆ المخازن : الأمير علم الدين سنجر . والأمير سيف الدين طقتمر . والأمير علاء الدين مغطاي .

٦٢٢ - خالد بن المصنف المغني**

كان فريد دهره ، ووحيد عصره ، يعرف علم الموسيقى ، ويُجيد الضرب بالدفّ ، حتى كأنّ النغم والضرب له سيقا ، قد ملك هذه الصناعة ؛ فصارت له ملكه ، واقتدر على أصولها وفروعها ، وأتى فيها بما لا ذاقه الفارابي ولا علكه . لم أر في عمري مثل اقتداره على هذه الصناعة ، ولا مثل سرعة تصنيفه إذا فتح فيه أو مدّ على الطار ذراعه . قد نُظِمَ له عَقْدُ هذه الصناعة سِلْكا ، وحاز إرث ما في (الأرتماطيقى) ملكا . قد عرف النقرات ، ومالها من أنس الطّباع والنفرات ، والأدوار ومالها في الطرب من الإدارات ، وجلس في قاعات الإيقاعات ، وظهر كالبدر في دارات الطارات .

كان يسافر مع الأمير سيف الدين تنكز في الصيود ، وتَضُمُّنا وإيَّاهُ تلك الأغوار والنجود ، فننظم له المقطوع الشعر ، ونُلْقِيه عليه بما يراه من السَّعَر ، فيصنع له في الوقت لحنا ، أَلَدَّ عند النحويِّ من إعرابٍ لا يَرى فيه لحنا ، كأنّ الله سخر له هذا الأمر وخلقه وفق ذوقه ، وجعل من تقدّمه تحت تحتٍ هو وَحْدَةٌ من فوقه ، فكم له سادخ^(٢) كلّ طراز ، وكم له من قولٍ مال حقيقةٍ أحدٍ إليه مجاز . ونقل الناس عنه وإلى الآن أقوالاً

(١) في الوافي والمنهل : « غرس الدين » ، ولكن ترجم له المصنف في الكتاب المذكور : ٣٩٨/١٣ ، وسبق لقبه كما في الأعيان ههنا ، ولم يذكر سنة وفاته . وكذا لم تُذكر في الدرر : ٨٩٣ .

* لم نقف على ترجمته ، ولعلّ سقطاً وقع في تمام نسبه بعد كلمة (بن) ، وفي الأصل ما يشعر بذلك .

(٢) كذا ، وسياق كلامه أنّه (اللحن) .

معروفه ، وسواذخ بالإتقان موصوفه ، كل ساذخ كأنه قول أو شيء ما نَسَخَ المتقدمون له على نَوَل ، لما فيه من الرِّبَازَاتِ المختلفة ، والإيقاعات المؤتلفه . ولقد رأيت بمصر جماعة من أرباب هذا الفن وأُسْتَاذِيهِ ، ومن يعرف هادي طريقتَه من هاذيه يعترفون له ويعظمونه ، ويأخذون دَرَّ قوله وينظِّمونَه ، وقالوا : هذا خالد ، ذِكْرُهُ إلى يوم القيامة خالد ، لأنَّ علم النغم قال له دون الناس : نعم .

ولم يزل بدمشق على حاله إلى أن حُمِلَ على عُود المنايا ، ولم يَسْمَعْ الناس بعده شَبَابَةً ولا نايًا .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة خمس وثلاثين وسبع مئة تقريباً .

وقلت أنا في رثائه تضيئاً :

قد مضى خالد المغني وولّى وعليه الدموع وقفاً جوار
كم له نوبة، وما كان فينا بأمرٍ، تُدَقُّ في الأسحار
ولأقواله المطاعة يعنو كلُّ مَنْ جاء باقي الأعصار
هكذا فلتكن أمانة مَنْ أتقن فنّاً وغيره ذوافتقار
رحمة الجنك والدفوف عليه وصلاة العيدان والمزممار^(١)

٦٢٣ - خالد بن إسماعيل بن محمد*

القاضي الرئيس شرف الدين بن القيسراني الخزومي الشافعي ، مَوْقِع الدَّسْت الشريف بدمشق ، ابن القاضي عماد الدين - وقد تقدّم ذكره في حرف الهمزة وتما نسبته هناك - وأخو القاضي شهاب الدين يحيى ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف الياء .

(١) الجنك : آلة موسيقية .

* وفیات ابن رافع : ٣٤٩/١ ، وذیل العبر : ٣٢٢ ، والنجوم : ٣٢٨/١٠ ، والمنهل الصافي : ١٩٩/٥ .

كانت فيه رئاسة عظيمه ، وسيادة تجلو ظلم الدياجي البهيمه ، ومروءة تحمله
 ما لا يطيق ، وعصبية يسير في طريقها مفرداً بلارفيق ، وكرم أنسى خالد به ذكر
 البرامكة الخالد ، وأحيا بطارفه ميت مجده التالد ، وقال له كل مؤمل : « وبررتني
 حتّى كأنك والد »^(١) ، وإقدام حتى على الأسود والأساود ، يذوب عند شمس الجليد ،
 وشجاعة لا تنكر له فإن من ينسب إلى خالد بن الوليد .

وكان في ضميره من الترقى آمال ، وله في ذلك نيات صادقة وأعمال ، وعنده تشوّف
 إلى وراثة ما لأسلافه من المناصب وله تطلّع إلى ارتجاع ما سلبته الليالي بأيديها
 الغواصب ، فحال بينه وبين الوصول إليها حلول أجله ، ولم يفرح ذووه وأصحابه ببلوغ
 سؤله ولا نيل أمله :

تقول له العلياء لو كان نالها وجادل فيها من رآه يجالده
 وهبت سراة الناس ما لو حويته لهُنَّت الدنيا بأنك خالد

لم يزل في توقيع الدست إلى أن وقع في المحذور ، وأغمد القبر منه شبا السيف
 المطرور .

وتوفي رحمه الله تعالى في بكرة السبت ثالث جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وسبع
 مئة ، ودفن بالقبيبات في تربة صاحب شمس الدين غبريال .
 ومولده ..^(٢) .

وكان والده رحمه الله تعالى لما قدموا إلى دمشق من حلب قد زوجه بابنة صاحب
 شمس الدين غبريال ، واحتفل به ، ورثه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى في
 جملة كتاب الإنشاء بدمشق ، وذلك في سنة ثمان^(٣) عشرة وسبع مئة أو ما قبلها ، وقرّر

(١) قطعة من بيت .

(٢) كذا يياض .

(٣) في الأصل : « ثمان » .

له معلوماً جيداً . ولما توجه الصاحب شمس الدين إلى نظر الدولة بالديار المصرية توجه معه ، ولما عاد منها عاد معه إلى دمشق .

وكان مفرطاً الجود والكرم ، تحمّل للتجمل من الديون ما بهظه ^(١) حمله وآده ثقّله ، لا تليق ^(٢) كفه دِرْهَمًا ولا ديناراً ، غزير المروءة ، شجاع النفس ، كثير الإقدام على الأخطار ، سلّمه الله تعالى مرّات من العطب لصفاء نيّته ، وحُسن سريرته .

ولما ملك الفخري دمشق في نوبة أُلْطِنَفا جَعَلَه كاتب سرّه ، ونفع الناس وولاهم الوظائف ، ولم يأخذ من أحد شيئاً . ولما صار الفخري في دمشق ، وسكن القصر الأبلق ولأه وكالة بيت المال بدمشق ، مع توقيع الدّست . ولما توجهوا إلى مِصرَ مع الفخري خَرَجَتْ عنه للقاضي شرف الدين بن الشهاب محمود ، ثم إنه في أيام طقزتر جلس في توقيع الدّست بدمشق .

وكان ينفع الناس قَدَامَ النواب ، ويثني على من يذكرُ عندهم ، لِمَا عنده من المروءة والعصبية .

وكان يصحب الأمراء ، وصحب الأمير فخر الدين أياز نائب حلب ، ووقع بينه وبين يَلْبغا ، وطلبه يوم الجمعة يوم هُرُوبه من دمشق ، ولو أظفره الله به وجد منه شراً كبيراً ، ولكنّ الله سلّم .

وصحب الأمير سيف الدين أرغون الكاملي وهو في مصر . ولما صار في حلب نائباً استمرّ على صحبته إلى أن عمل نيابة الشام ، ثم توجه لحلب ثانياً ، ومنها إلى مصر ، ولما حضر إلى القدس كان هو وكيله ، وقصّاده تنزل عنده ، وتقضي أشغاله .

(١) في القاموس : بهضي الأمر وأبهضي ، أي : فدحي ، وبالطاء أكثر .

(٢) أي : ما تُفسك ، وللصّف ههنا يشير إلى قول القائل :

كفالك كفّ ما تليق دِرْهَمًا جُوداً وأخرى تُغَطّي بالسيف الدّما

وكان فيه خِدم للناس كلهم مع إيثاره الفقراء والصالحين ، وقضاء أشغالهم وبرهم ، وفطورهم في شهر رمضان عنده .

وكان قد قرأ القرآن ، وحفظ (المنهاج) للنووي ، وسمع على القاسم بن عساكر . ومارأت أخطر من أمراضه ، ولا أصح من جسمه مع كثرة أمراضه وعمله . ولما كان شاباً كان لا يزال أرمداً ، ثم لما تكهّل كان يتبيّع به الدم ، فيثور به كل قليل ، ويكاد يقتله ويخرج في وجهه أنواع من الماشرا والأمراض الدموية القتالة ، وينجيه الله تعالى منها ، إلى أن حصلت له قُرحة ، فأنت عليه ، وطوّلت به قريباً من ثلاثة أشهر .

وكان فصيحاً في اللغة التركية كأنه فيها بُلْبُل .

اللقب والنسب

- ☆ الخالدي : صاحب الديوان بالممالك القانية ، أحمد بن عبد الرزاق .
- ☆ ابن الخبّاز : جماعة ، منهم : المحدث نجم الدين إسماعيل بن إبراهيم . ومنهم : شمس الدين محمد بن عمر الحلبي الدمشقي .
- ☆ الختّني : بدر الدين يوسف بن عمر .

٦٢٤ - خديجة بنت زين عبد الرحمن*

ابن أبي بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد المقدسية أم محمد ، أم صلاح الدين ، وزوج شرف الدين بن الشيخ شمس الدين الحنبلي^(١) .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : رَوَتْ لَنَا عَنْ خَطِيبِ مَرْدَا ، وَسمعت من اليلداني ، ومحمد بن عبد الهادي ، وإبراهيم بن خليل ، وابن عبد الدايم . وأجاز لها سبط السلفي ، وجماعة .

* ذيل العبر : ١٦ ، والشذرات : ٢/٦ ، وفيها : أنها توفيت سنة (٧٠١ هـ) .

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (ت ٦٨٢ هـ) . العبر : ٣٣٨/٥ .

وتوفيت رحمها الله تعالى في رابع عشري جمادى الأولى سنة اثنتين وسبع مئة .
ومولدها تقريباً سنة سبع وأربعين وست مئة .

اللقب والنَّسب

- ☆ ابن الخَرَّاط : علي بن عثمان .
- ☆ ابن الخُشَّاب : صدر الدين أحمد بن عيسى .
- ☆ ابن الخُشَّاب : مجد الدين عيسى بن عمر . ومشد الدواوين محمد بن يحيى .

٦٢٥ - خَضِرُ بْنُ بَيْبَرَسْ*

الملك المسعود بن الملك الظاهر .

كان من أحسن الناس في الشَّكَّالِه ، وأحقَّ مَنْ يُجْعَلُ الحزنُ والبُكَاءُ له ، عاقلاً مهذباً ، ساكناً مدرباً .

أُبْعِدَ في البحر إلى الأشكري النصراني^(١) ، وسَلَّاهو وسَلَّامُش أخوه مصر ، كأنما قالت : لا أراك ولا تراني ، وأقام هناك إلى أن توفي أخوه^(٢) ، وعلم أنه قد قَلَّ بل عُدِمَ مُصْرِخُوهُ ، فحضر بعد ذاك خَضِرُ ، ورأى رونق مصر النَّضِرِ . فقيل : إنه سَقِيَ السَّمَّ ، وعدم من النسيم السَّمَّ .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبع مئة .

ولما مات كان في سنِّ الكهولة ، ووصل إلى مصر من بلاد الأشكري في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .

* الوافي : ٣٣٩/١٣ ، والبداية والنهاية : ٢٢٦/١٣ ، والعبر : ٣٦٧/٥ ، والدرر : ٨٢/٢ ، والنجوم : ٢٢٩/٨ ، والشذرات : ٤١١/٥ ، والمنهل الصافي : ٢٢١/٥ .

(١) وكان ملك الفرنج على مدينة إسطنبول .

(٢) سنة (٦٩٠ هـ) .

وكان قد ملك الكرك بعد أخيه الملك السعيد^(١) ، ثم اقتضت آراء الدولة تجهيزه مع أخيه العادل سَلامش .

وفي هذا خَضِر قال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر^(٢) لَمَّا خَتَنَهُ والدُهُ الملك الظاهر :

هَنَّتْ بِالْعِيدِ وَمَا عَلَى الْمَنَاءِ أَقْتَصِر^(٣)
بَلْ إِنَّهَا بِشَارَةٌ لَهَا الْوُجُودُ مُفْتَقِرٌ
بَفَرْحَةٍ قَدْ جَمَعَتْ مَا بَيْنَ مُوسَى وَالْخَضِرِ
قَدْ هَيَّأتْ لِوَرْدِكُمْ مَاءَ الْحَيَاةِ الْمُنْهَمِرِ^(٤)

٦٢٦ - الخضر بن عبد الرحمن *

ابن الخضر بن الحسين بن الخضر بن الحسين بن عبد الله بن عبدان : الشيخ الأصيل شمس الدين بقیة المُسَنِّدِينَ الدمشقي الكاتب .

تفرّد بأشياء من المَرْوِيَّات والأشْيَاخ ، وأسمع إلى أن خَمَدَ عُمُرَ جَمْرِهِ وبَاخ . وسمع منه خَلَقٌ عَلَى ضَعْفِهِ ، وَرَزَقَ فِي ذَلِكَ سَعْدًا لو أَعْفَاه لم يُعْفِهِ ؛ لَأَنَّهُ كَانَ ارْتَزَقَ فِي خِدَمِ الْجَهَاتِ مِنَ الْمَكُوسِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . ثم إنه تركه في آخر عمره ، ومامرّ بتلك المسالك .

ولم يزل على ذلك إلى أن بطل بالموت تسميعه ، وشت من الشمل جميعه .

(١) محمد بركة خان بن الظاهر بيبرس (ت ٦٧٨ هـ) .

(٢) هو عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان ، (ت ٦٩٢ هـ) . العبر : ٣٧٦/٥ .

(٣) في المنهل : « مقتصر » .

(٤) في الأصل : « لو ردوكم » ، لا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي والمنهل .

* الوافي : ٣٣٩/١٣ ، والعبر : ٤١١/٥ ، والشذرات : ٤٥٧/٥ ، والمنهل الصافي : ٢٢٤/٥ ، والنجوم الزاهرة :

ووفاته في سنة سبع مئة .

ومولده سنة سبع عشرة وست مئة .

وروى عن النفيس بن البَنَّ (مَغَازِي) ابن عائذ^(١) ، وعن ابن صَضرى أبي القاسم ، وأبي الجحد القزويني ، وزين الأمان^(٢) ، والمعافى بن أبي السَّنان ، والمُسْلِم المازني^(٣) ، وابن غَسَّان ، وحَضر^(٤) ابن أبي لُقْمَة . وأجاز له الموقِّق^(٥) ، والفتح بن عبد السلام .

٦٢٧ - خضر بن محمد*

ابن الخضر بن عبد الرحمن بن سليمان بن علي ، القاضي زين الدين بن القاضي تاج الدين بن زين الدين بن جمال الدين بن علم الدين بن نور الدين ، كذا أملى عليَّ نسَبه .

قرأ القرآن ، وصلى به . وسمع (البخاري) على الحَجَّار^(٦) ، وست الوزراء^(٧) ، وعلى غيرها .

وقرأ النحو على الشيخ شهاب الدين بن المرحَّل^(٨) ، وحفظ (الألفيتين) المالكية

(١) في الأصل والوافي : « معارر بن عائذ » ، وهو تحريف ، وابن عائذ هو أبو عبد الله محمد بن عائذ القرشي الدمشقي (ت ٢٢٣ هـ) . له كتاب المغازي . انظر : السير : ١٠٤/١١ ، والكشف : ١٧٤٧/٢ .

(٢) في الأصل : « الأسناء » ، تحريف .

(٣) المسلم بن أحمد بن علي أبو الغنائم المازني النصيبيني ثم الدمشقي (ت ٦٣١ هـ) . العبر : ١٢٦/٥ .

(٤) في الأصل : « وخضر » تصحيف . وكذلك في للنهل : « وخضر بن لقمة » .

(٥) عبد اللطيف ، وقد سلفت ترجمته .

* الوافي : ٣٤٠/١٣ ، والدرر : ٨٤/٢ ، والنجوم : ٣٢١/١٠ ، وللنهل الصافي : ٢٢٥/٥ ، وذبول العبر : ٣٠٨ .

(٦) أحمد بن نعمة بن حسن البقاعي شهاب الدين بن الشحنة الحجار . (ت ٧٣٠ هـ) ، ذبول العبر : ١٦٤ .

(٧) ستأتي ترجمتها .

(٨) عبد اللطيف بن عبد العزيز ، ستأتي ترجمته .

والمعطيّة . وبحث في (المقرّب) ، و (صناعة الكتاب) لابن النحاس^(١) ، وبعض (التنبيه) ؛ تقدير الربع . وحفظ (عروض) ابن الحاجب ، وقصيدة ابن مالك في (الفرق بين الظاء والضاد) . و (التجريد) للبحراني^(٢) ، في البديع .

وكان كاتباً سريعاً ، وارداً من سرعة التنفيذ روضاً مريعاً ، له صَبْرٌ على الكتابة وجَلَدٌ ، وقدرة على كتّان ما دخل منه في خَلَد ؛ إلا أنه قليلُ النظم إلى^(٣) الغاية ، إمّا لِعُسْرَةِ عليه ، أو لأنه لم يكن له به عناية .

رافقته في الديوان مرّتين ، وحمدت منه كل ما يشكوه من الضّرّتين^(٤) .

ولم يزل على حاله إلى أن فقد الخضر عَيْنَ الحياه ، وظمي إلى العيش فأسقامه حياه .

وتوفي رحمه الله تعالى في آخر شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين^(٥) وسبع مئة . ومولده في سنة عشر وسبع مئة .

كان في جملة كتّاب الإنشاء بقلعة الجبل ، ثم لما رسم السلطان الملك الناصر محمد لوالده القاضي تاج الدين محمد بكتابه سرّ حلب في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة دخل هو دار العدل ولما توجه القاضي جمال الدين بن الشهاب محمود إلى حلب كاتب سرّ في سنة ست وأربعين وسبع مئة جعله القاضي علاء الدين بن فضل الله مكانه في الحضور بين يدي النواب بمصر ، واستمر به في نيابته ، واعتمد عليه ، وألقي إليه أمر الديوان فَوَفَّى بذلك ووفّى .

(١) محمد بن إبراهيم بهاء الدين (ت ٦٩٨ هـ) ، البغية : ١٣/١ .

(٢) هو كتاب التجريد في المعاني والبيان لسيرة بن علي البحراني . الكشف : ٣٥١/١ .

(٣) في المنهل : « وكان له نظم ونثر » .

(٤) الضّرّتان الأثيمة من جانبي عظمها . يريد أنه كان يكثر الجلوس في الديوان .

(٥) في المنهل : « توفي قبيل الخمسين وسبع مئة » .

وكان كاتباً سريعاً ، يكتب من رأس القلم التواقيع والمناشير .

وكان ينطق بالحجيم كافاً .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

عَبْدُكَ السَّائِلُ الْفَقِيرُ ابْنُ خَضِرٍ يَسْأَلُ الْعَفْوَ وَالرِّضَا وَالسَّلَامَةَ
فَعَسَى بِالْذَّوَاةِ يَكْتُبُ أَجْرًا فَأَنْزِلْهُ الرِّجَا يَا ذَا الْكَرَامَةِ
وَأَنْشَدَنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ : وَأَنْشَدَنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ :

يَحْرُكُنِي مَوْلَايَ فِي طَوُّعِ أَمْرِهِ وَيُسْكِنُنِي شَانِيهِ وَسُطُ فَوَادِهِ
وَيَقْطَعُ بِي إِنْ رَامَ قَطْعاً وَإِنْ يَصِلُ يَشُقُّ بِحَدِّي الْوَصْلَ عِنْدَ اعْتَادِهِ^(١)

ولما طُلبتْ أيامَ الملك الصالح إسماعيل إلى مصر سنة خمس وأربعين وسبع مئة ،
وجلس في ديوان الإنشاء بقلعة الجبل تفضل الجماعة الموقعون ، وكتب بعضهم إليّ شعراً
من باب الهناء ، وأجبتُه عنه . ثم إنه بعد مدة كتب زين الدين هذا :

تَأَخَّرْتُ فِي مَدْحِي لِأَنِّي مَقْصَرٌ وَقَضَلُ صِلَاحِ الدِّينِ لَا زَالَ يَسْتُرُ^(٢)
خَلِيلٌ لَهُ الْآدَابُ حَقّاً يَنَالُهَا جَلِيلٌ بِهِ الْأَصْحَابُ تَسْمُو وَتَفْخَرُ
لَقَدْ آنَسَ الْأُمُصَارِمَا أَتَى لَهَا وَأَوْحَشَ رُبْعَ الشَّامِ إِذْ كَانَ يَقْفِرُ
فَلَا شَهْدَتِ عَيْنَايَ سَاعَةً بَعْدَهُ وَلَا سَهْدَتِ شَوْقاً إِلَيْهِ فَتَسْهَرُ
وَدَامَ عَلَيَّ الْقَدْرُ يَرْقَى إِلَى الْعِلَا عَمَامِدَةً بَيْنَ الْأَنْبَامِ تُسْطَرُّ
فَكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ :

تَفَضَّلْتَ زَيْنَ الدِّينِ إِذْ أَنْتَ أَكْبَرُ وَأَشْرَفُ مِنْ مَدْحٍ بِهِ الْعَبْدُ تُذَكِّرُ
فَشَرَفْتُ مَدْرِي حِينَ شَنَنْتُ مَسْمَعِي فَيَا مَنْ رَأَى شِعْراً عَلَى الدَّرِّ يَفْخَرُ

(١) في الوافي والمنهل : « بجدي » ، تصحيف .

(٢) في الوافي : « مازال » .

فما هو شِعْرٌ يَحْصُرُ الْوِزْنَ لَفْظُهُ وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ مِنَ السَّحْرِ يَوْثُرُ^(١)
يَجُوزُ بِلَا إِذْنٍ عَلَى الْأُذُنِ خِفَّةً كَأَنَّ الزَّلَالَ الْعَذْبَ مِنْهُ يُفَجِّرُ
فَهَا أَنَا مِنْهُ فِي نَعِيمٍ مُخْلَدٍ وَعِيشِي بِخَضْرِ فِي رَبَا مَضْرٍ أَخْضُرُ

وكتب إلي أيضاً ملفزاً : يا سيّد العلماء والبلغاء ، والكتاب^(٢) والأدباء ، ما اسم أول سورتين من القرآن ، وحرف من أول سورة أخرى ، وهو ثلاثة أحرف ، وتلقأه ثمانيه^(٣) ، إذا أفردت مجموعته سرّاً وجهراً ، أول حروفه إليه يُنسَبُ أحد الجبال ، وآخرها قسماً لا تزال ، إن حذفت أوله وصحفت ثانيه فهو ظنّ حقيقته الآمال^(٤) ، أو صحفت جملته كان وصف مؤمن يجري على هذا المنوال ، أو حذفت أوسطه مع التحريف كان عبداً لا يعتق ، أو حذفت آخره مع بقاء التحريف كان حيواناً يسرق ولا يسرق ، ويأنس وينفر ، ويقيد بالإحسان وهو مطلق ، يطوف بالبيت ، ويأوي في المنازل إلى الحي والميت ، ولا يباع ولا يشتري ، وعينه^(٥) المجاز حقيقة تبلغ قيمة بل تماثل جوهراً ، وإن أبقيت هذا الاسم على حالته ، فهو شيء لا يستغني عنه مسجد ولا جامع ، ولا بيع ولا صوامع ، ولا مسلم ولا كافر ، ولا قاطن ولا مسافر ، ولا غني ولا فقير صابر ، ولا قوي ولا ضعيف ، ولا مشروف ولا شريف ، ولا خائن ولا مأمون ، ولا حي ولا من سقي كأس المنون ، ومع ذلك^(٦) فهو جليل حقير ، قليل كثير ، يملكه المالك والمملوك ، والملي والصعلوك ، وهو شيء ممتن ، ويعلو على [رؤوس]^(٧) الأمراء والوزراء والمملوك ،

(١) في الوافي : « بخضر » .

(٢) في الوافي : « وقدة الكتاب » .

(٣) في الأصل : « ثمانيا » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) في الأصل : « حقيقة الأموال » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٥) في الأصل : « وعنه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٦) في الأصل : « ذليل » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٧) زيادة يقتضيهما السياق ، ثابتة في الوافي .

قَلْبُهُ^(١) بالتحريف فعلٌ مضى ، واسمٌ إذا نطق به قد يُرتضى ، وهو قد يبدو به النور في الدياجي ، وعند الصباح ينقطع منه أملُ الراجي ، لا يستغني عنه بيت ولا بقعة ، ومع ذلك يُباع بفلس ودينار ، وفوق ذلك في الرُّفعة ، وهو بين واضح ، فأخلُّه^(٢) بميزان عقلك الراجح إن شاء الله تعالى .

فكتبت أنا الجواب عن ذلك وهو في « قطن » : وَقَفَ المملوكُ على هذا اللغز العجيب ، والمعنى الذي مآله في فنه مماثلٌ ولا ضريب ، وعجبت منه نباتا « نَطَقَ » مَعْكُوسُهُ ، وثلاثه كتاب تزدان سطورهِ وطروسهِ ، أوله يضاف إليه أكبر الجبال ، ومجموعه مادة للجبال أشبه بياضا بالثلج ، ومحبوبه يروق ويحسن بالحلج ، قد خفَّ على اللسان وزنه ، وأعجب أرباب الأموال ادخاره وخزّنه ، كلّه نابت في التراب ، وثلاثه سابع في البحر لا يُستراب ، إن جعلت آخره وسطا كان فعلٌ من انقطع رجاءه ، واتسعت في اليأس أرجاءه ، وإن صحّفت حروفه في هذه الحالة أتتكَ من الحرِّ واقدة ، وأصبحت العجاجة وهي في الجوّ عاقدة ، وإن صحّفته أيضاً كان أمةً من الأمم ، وليسوا من العرب إذا عُدّوا ولا العجم ، يَعدّ منهم فرعون وجنوده ، ولنا فيهم نسب وصهر يَغزُّ مُنكره وجُوده ، وإن عكسته في هذه الحالة كان آنيةً لا محالة ، ولهذا اللغز أوصاف أخر لا تذكر ، ولا تُعرف بعدّ ولا تُنكر ، أضربت عنها خوف الإطالة صفحا ، وعددت هذا القدر ربّحا ، لأنّ مولانا حرسه الله تعالى مدّ فيه الأطناب ، واستوعب أوصافه بالإسهاب والإطناب ، والله يديم حياته لأهل الإنشاء ، وينشر محامده بلسان الإذاعة والإنشاء ، بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى .

٦٢٨ - خضر بن أقجبا*

جمال الدين بن فخر الدين الصفدي ، والدّه يُعرف بأقجبا الساقى .

(١) في الأصل : « قليله » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الوافي : « وحلّه » .

* لم تقف على ترجمة له .

انتشأ هذا في صفد جندياً مثل والده ، وزاد بطارِفَه على تالِده ، وسعى حتى ولي بها عدّة ولايات ، وساس الناس بما رآه من الإهمال والغيابات .

ولما كان أرغون شاه يصفد ثانياً خَدَمَه ، وأثبت في الوقوف بين يديه قدمه ، فرشحه للتقدّم ، وعمارة مَجده بعد التَّهديم . ولما حضر إلى دمشق أتاه ، ووافقهُ السَّعدُ عنده وواتاه ، فحصل له عشرة ، فجَدَّ في أمرها لما عنده من الشَّره .

ثم إنَّ الحال زاد به ، فسعى في ولاية مدينة دمشق فتولّاها ، وبقي فيها مدّة وما جلاّها ولا حلاّها ، بل راح وخلّاها .

وتوفي رحمه الله ثاني عيد النحر سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

وكان رحمه الله تعالى قد عُزل من الولاية قبل موته بعشرة أيام ، لأنه كان قد مرض مرضاً طويلاً ، وبقي مدة عليلاً .

وكان وهو أمرد صورة في الحُسن بديعه ، ولما قارب التكهل استحال إلى هيئَةٍ شنيعة .

وباشر بدمشق قبل الولاية شدَّ الزكاة .

٦٢٩ - خضر بن سليمان*

الأمير ابن أمير المؤمنين المستكفي بالله .

كان وليّ العهد . فتوفي في ثالث عَشري جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، ودُفن في التَّربة المَظفرية جوار السيدة نفيسة خارج القاهرة .

٦٣٠ - خطاب بن محمود بن رنقش**

الأمير عزّ الدين العراقي .

* الدرر : ٨٤/٢ .

** الدرر : ٨٥/٢ ، وذبول العبر : ١٤٠ ، والبداية والنهاية : ١٢١/١٤ ، وفيه : « رنقش » بالثاء .

كان له مال و ثروه ، وشيخاً قد بقي على رأيّ العوام برّوه ، وفيه خير وإحسان ،
وفضلاً أربى به على ربّ السيف والطيلسان .

عمر الخان بين غباغب والكسوه ، وجبر به كلّ من يمرّ في الطريق من الرجال
والنّسوه ، وعمر حماماً بحجر السّماق معروفاً ، وجعله بالسنة الشكر موصوفاً .
وكان فيه معروف وبر ، وخير في الظاهر وفي السرّ .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل الخطب بخطاب ، وبذل أهله بنكد العيش بعدما
طاب .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وسبع مئة^(١) .

٦٣١ - خطاب*

الصاحب الكبير المحترم ، ركن الدين بن الصاحب كمال الدين أحمد بن خطاب
الرومي السيواسي .

شيخ كبير له حرمة ، وعليه أثار سعادة ونعمه ، وله غلمان وأتباع وحفده ،
وحالّه تقتضي التوسّع في الحشمة والحفده^(٢) .

وقف خاتناه ببلد سيواس ، ووقف عليها وقوفاً كثيرة من أنواع البرّ التي تعمّ
الناس .

قدم إلى دمشق ، وتوجّه إلى الحجاز ، فمات رحمه الله تعالى بالكرك ، وراح إلى الله
تعالى ، وترك ماترك ، وذلك في ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وصلي
عليه بالجامع الأموي ، ودفن عند جعفر الطيّار^(٣) رضي الله عنه .

(١) في البداية : « ودفن بترتبه بسفح قاسيون » .

* الدرر : ٨٤/٢ ، والبداية والنهاية : ١٢١/١٤ .

(٢) في الأصل : (المدة) ، تحريف ، والحفدة هنا بمعنى الخدم والأعوان ، والأولى بمعنى أولاد الأولاد .

(٣) هو جعفر بن أبي طالب . وقبره بمؤتة . وكذلك كان قبر صاحب الترجمة ، كما في البداية .

٦٣٢ - خطلو شاه*

نائب التتار .

كان كافياً كافراً ، داهية ماكراً ، رفيع المرتبة ، لا يبالي بالمعيبة ولا المعتبرة .

نزل بالقصر الأبلق في واقعة غازان ، وفعل كل ماشان ومازان ، وتوجه إليه الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وكلمه في الرعية ، فتمر عليه ، وأعرض عنه ، ولم يلتفت إليه .

وكان مقدم التتار يوم شَحَب^(١) ، فعاد بلا أهل ، ولا أهل ولا مرحب . وانهزم خاسياً ، وأصبح مكلوئاً^(٢) معكوماً بعد أن كان كالماً كالئاً .

وجهزه غازان في جيش كبير من المغل لمحاربة صاحب جبال كيلان^(٣) ، فبيته الملك دوباخ^(٤) ، وبتقوا^(٥) عليهم الماء في الليل فغرقوا ، وأظهروا لهم النيران من كل جانب ، وأزعجهم بالصياح إلى الصباح ، فغرق أكثرهم ، ورماه دوباخ بسهم ما أخطأ حبة قلبه ، ودخل عليه الموت بهمة سلبه^(٦) . وفي هذه الواقعة قتل الشيخ براق كما تقدم في ترجمته .

- * الوافي : ٣٤٨/١٣ ، والدرر : ٨٥/٢ . وقع في الأصل : « خطلو شاه » وهو سهو ، وترجم له صاحب الدرر ثانية : ٢٥٤/٣ ، باسم قطلوشاه .
- (١) أخبار هذه الواقعة في البداية والنهاية : ٢٣/١٤ وما بعدها .
- (٢) كلاًه : ضربه بالسوط .
- (٣) في الوافي : « كيلان » ، وهي بلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان . معجم البلدان : ٢٠١/٢ .
- (٤) في الوافي : « دوباخ » ، تحريف ، وستأتي ترجمته .
- (٥) في الأصل : « بتقوا » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي . ويثق النهر : كبر شقه لينشق للماء .
- (٦) يريد أن الموت أزال عنه الحياة ، والسلب والإزالة من المعاني التي تؤديها الهمة في السياق ، وهي من مصطلحات الصرفيين .

وكان هلاك خطلو شاه في سنة سبع وسبع مئة ، وفرح غازان بموته ، لأنه كان يخافه .

الألقاب والأنساب

☆ الخطيري : الأمير عز الدين أيدير .

☆ وابن خطير : الأمير بدر الدين أمير مسعود . وأخوه الأمير شرف الدين محمود . وناصر الدين محمد بن مسعود .

☆ خطيب الفيوم : معين الدين أحمد بن أبي بكر .

☆ خطيب مرّدا : عبد الرحمن بن محمد .

☆ وخطيب القدس : عماد الدين عمر بن عبد الرحيم .

☆ الخطيب بدر الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن .

☆ ابن خطيب بعلبك : محمود بن محمد .

☆ ابن خطيب بيت الآبار : نجيب الدين أحمد بن عمر . وعلاء الدين علي بن

عمر . وموفق الدين عمر بن أبي بكر . وموفق الدين محمد بن عمر . وشرف الدين محمد بن داود . والقاضي ضياء الدين يوسف بن أبي بكر .

٦٣٣ - خَلَفَ *

ابن عبد العزيز بن محمد بن خلف بن خلف بن عبد العزيز بن محمد ، أبو القاسم الكاتب العافقي القبتوري ، بفتح القاف ، وسكون الباء الموحّدة ، وفتح التاء ثالثة الحروف ، وسكون الواو ، وبعدها راء ، الإشبيلي المولد والمنشأ .

* الوافي : ٣٧١/١٣ ، والدرر : ٨٥/٢ ، والبغية : ٥٥٥/١ ، وعقد الجمان : ٣٧٢/٤ ، وفيات (٧٠٤ هـ) .

قرأ على الأستاذ أبي الحسن الدباج^(١) (كتاب سيويه) ، وقرأ عليه بالسبع ،
وقرأ (الشفاء) بسبته على عبد الله بن القاسم الأنصاري . وله إجازة من الرضي بن
البرهان ، والنجيب بن الصيقل .

وكتب لأمير سبته ، وحدث بتونس عن الغرافي^(٢) ، وحجّ مرتين .

وكان كاتباً مترسلاً ، ينثر وينظم ، ويكبر الفضلاء ، ويعظم ، مع الخير
والتقوى ، ومملكة نفسه التي تصبر على المصّ وتقوى . جاور بمكة زماناً ، وأعطاه الله
بالسعادة من ذلك ضماناً .

ولم يزل على حاله إلى أن عدّ خلف في السلف ، وورد موارد التلف .

وتوفي رحمه الله تعالى بالمدينة الشريفة في أوائل سنة أربع وسبع مئة^(٣) .

أنشدني من لفظه العلامة أثير الدين أبو حيان ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :

أَسِيلِي الدَّمَعَ يَاعَيْنِي وَلَكِنْ دَمًا وَيَقْلُ ذَلِكَ لِي ، أَسِيلِي
فَكَمْ فِي التُّرْبِ مِنْ طُرْفٍ كَحِيلِ لَتُرْبٍ لِي وَمِنْ خَدٍّ أَسِيلِ
وَأُنْشَدَنِي ، قال : أنشدني لنفسه :

مَاذَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي بِمَا كَتَبْتُ كَفِي فَيَاوَيْحَ نَفْسِي مِنْ أَذَى كَفِي
وَلَوْ يَشَاءُ الَّذِي أَجْرَى عَلَيَّ بَذَا قَضَاءَ الْكَفِّ عَنْهُ كُنْتُ ذَا كَفِّ^(٤)
وَأُنْشَدَنِي ، قال : أنشدني لنفسه :

وَاحْصِرْتَا لِأُمُورٍ لَيْسَ يَبْلُغُهَا مَالِي وَهَنْ مَنَى نَفْسِي وَأَمَالِي

(١) علي بن جابر بن علي (ت ٦٤٦ هـ) . البغية : ١٥٣/٢ .

(٢) تاج الدين علي بن أحمد ، وستأتي ترجمته .

(٣) في عقد الجمان : « ومولده في سنة خمس عشرة وست مئة » .

(٤) في عقد الجمان : « عني كنت » .

أصبحت كالآل لاجدوى لدي وما ألوت جهداً ولكن جدي الآل^(١)

وأنشدني من لفظه الحافظ فتح الدين بن سيّد الناس اليعمري ، قال : أنشدني
لنفسه بالمدينة :

رجوتك يا رحن إنك خير من رجاء لغفران الجرائم مُرتجي
فرحتك العظمى التي ليس بابها وحاشاك في وجه المنيء مُرتج
قلت : شعر جيّد ، لكنه متكلف .

٦٣٤ - خليفة بن علي شاه*

الأمير ناصر الدين ابن وزير البلاد القانية .

كان من جملة أمراء الطبلخاناه بدمشق ، ومن للأقلام في ذكره مدّ ومَشَق . لما قَدِمَ
الشام أحبه تنكز . وحصل له من خاطره مَرَكز ، فكتب إلى السلطان في أمره ، وجعله
دون الناس الواردين في حُجْره .

وكان ذا شكله حسنه ، وطلعة يَجْفُو الطَّرْفُ لأجلها وَسَنَه ، جهّزه فيما بعد أرغون
شاه إلى صفد محلّ إقطاعه ، وحكم على وصوله إلى دمشق بامتناعه ، فحضر إليها طلباً
لداواة مَرَضٍ حصل له في صفد ، فأقام بها قليلاً ، وسهم المنية قد أصابَ شاكلته ونفد ،
وما حمل ولا رُفد .

وتوفّي رحمه الله تعالى في سادس عشر جمادى الأولى سنة تسع^(٢) وأربعين وسبع
مئة .

(١) في عقد الجمان : « ألوت جداً » .

* الوافي : ٣٨٣/١٣ ، والدرر : ٩٤/٢ .

(٢) في الدرر : « سبع » .

وكان الأمير ناصر الدين قد وفد إلى الشام صحبة الأمير نجم الدين محمود^(١) بن شروين الوزير ، فرآه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى فأعجبه شكله ، فسأل السلطان^(٢) أن يكون عنده بدمشق أميراً ، فرسم له بذلك ، واختص بتنكز ولازمه كثيراً ، ولما أمسك تنكز لحق كل من كانت له به خصوصية شواظاً من ناره ، خلا الأمير ناصر الدين فإنَّ السلطان راعى فيه خاطر أخيه ؛ لأنه كان في تلك البلاد مقيماً ، وتزوج بابنة الأمير سيف الدين كجكن ، وكان يلبسها لبس الحواتين في تلك البلاد ، ولما عمّر الأمير سيف الدين يلغا جامع بدمشق تولى هو شدّ العمارة ، وقصد أن تكون عمارته على زيِّ عمارة تلك البلاد الشرقية ، فلما أمسك يلغا خاف ناصر الدين خليفة أن يؤخذ بجريرته فسَلَّمه الله تعالى .

وكان إقطاعه بصفد ، فلما جاء أرغون شاه إلى دمشق جهزه إلى صفد ، ورسم له بالإقامة هناك ، فحصل له ضعف ، وحضر للمداواة بدمشق فتوفي بها ، وعمّر داراً على نهر بردى ، تحت دار الجالق^(٣) ، ووضعها وضع تلك البلاد ، وما أظنه كان يخلو من تشيع ، والله أعلم .

٦٣٥ - خليل بن إسماعيل بن ثابت*

بالنون أولاً : الفقيه المحدث فخر الدين الأنصاري القدسي .

رحل إلى مصر^(٤) ، ولقي المشايخ وكتب ، وحصل في الحديث محصلاً جيداً ودأب .

(١) في الأصل : « محمد » سهو ، وأثبتنا ما في الوافي ، وستأتي ترجمته .

(٢) في الأصل : « فسأل من السلطان » ، ولا وجه لـ (من) ، وما أثبتناه يتفق مع ما في الوافي .

(٣) هي دار المتقاعدين ، وهي حيٌّ بين ساروجه والبحصة .

* الوافي : ٣٩٤/١٣ .

(٤) ودمشق ، كما في الوافي .

وكان محدث القدس ومُفيدة ، ومبدي فَضْلُهُ ومُعِيْدُهُ .

روى عن العز الحُرَّاني ، وروى عنه ابن الحُبَّاز ، وكان يَنْقُضُ في بحثه على الخصم كما ينقضُّ الباز . وكان ذكياً يقطاً نبيهاً ، ويزيد على الحديث بأنه كان فقيهاً .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح فما أمسى ، وسكن بعد بيته رِمْساً .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة في شهر ربيع الأول .

درس بالأجدية وغيرها بالقدس ، وكان مفيد القدس .

٦٣٦ - خليل بن محمد بن سليمان*

الشيخ الإمام العدل جمال الدين السَمْلُوطي - بالسَّين المهملة ، وبعدها ميم ولام مشددة وواو وطاء مهملة^(١) - الشافعي النحوي .

أقرأ النحو بمصر مدّة ، وكابد في تعليم الطلبة شِدَّةً ، وكان عَدُوّاً مقبولاً ، ولم يكن بالرياسة مُتَّبِولاً .

ولم يزل على حاله إلى أن راح إلى من دعاه ، وقام به الصارخ ونعاه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، وقد بلغ السبعين ، ودفن بباب النصر خارج القاهرة .

٦٣٧ - خليل ابن الأمير حسام الدين بن البرْجُمي**

بالباء الموحّدة ، والراء والجيم والميم .

* لم نقف على ترجمة له .

(١) نسبة إلى سملوط ، وهي قرية بناحية الصعيد على غربي النيل . معجم البلدان : ٢٥١/٣ .

** الوافي : ٣٩٨/١٣ ، والدرر : ٩٤/٢ .

كان له دُرْبَةٌ بالأُمُور والمُبَاشرات ، وتغاضي عن الشرور والمكاشرات ، فتحدّث في أيام الملك الناصر في ديوان بُشتاك ، وعظم في تلك المدة فما يُنال بسوء ولا يُشاك ^(١) ، ولما انفصل بشتاك ، تحدّث في ديوان الكامل ، وخدمه قبل المُلك ، فحصل له به السرورُ الشامل .

ثم لما ولي المُلك ، رسم له بإمرة طبلخاناه ، وولاه شدّ الدواوين ، وأركبه رقاب من كانوا له مُناوين . ولما خُلع الكامل أخذ منه ذلك ، وانصرم عنه ما هنالك . ثم أعطي إمرة عشرة ، فما وصلت إلّا وقد انفصل أجَلُهُ ، ولم ينفعه تلُبُّثُهُ ولا عَجَلُهُ .

وتوفي رحمه الله تعالى في تاسع عشر شهر رجب الفرد سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق ، بَصَقَ دَمًا يومًا ، ومات في الثاني .

وكان الملك الكامل قد طلبه وهو سلطان فأعطاه طبلخاناه وشدّ الدواوين ، وأعاد صاحب علاء الدين بن الحرّاني ^(٢) إلى نظر الدواوين بدمشق ، وجهزه معه ، فوصلا إليها في أوّل ذي الحجة سنة ست وأربعين وسبع مئة .

ولما خلع الكامل انفصل من الإمرة ومن الشدّ ، وبقي بطّالاً إلى أن كتب له أرغون شاه بعشرة الأمير بدر الدين صدّقة بن الحاج يئدَمَر ^(٣) فما وصل منشوره حتى مات رحمه الله تعالى .

وكان ممن يتوالى محبة أصحاب الشيخ تقي الدين بن تيمّيه .

(١) شاك يشاك : وقع في الشوك .

(٢) هو علي بن محمد ، ستّاقى ترجمته .

(٣) ستّاقى ترجمته .

٦٣٨ - خليل بن كَيْكَلْدِي العلائي *

الشيخ الإمام العلامة الفريد الكامل ، جامع شتات الفضائل ، المفسر المحدث الفقيه النحويّ الأديب المؤرخ الإخباري صلاح الدين الدمشقي الشافعي الأشعري .

كان أعجوبة في علومه الجمّة ، وفضائله التي لم يكن أمرها على الناس غمّه . أتقن التفسير ، وعلم من الحديث ما يشهد به له الجَمّ الغفير . وبرع في الفروع والأصول ، وأحاط بما في المَحْصَل والمَحْصُول ، واستخرج لباب الإعراب ، وأطلع على أسرار لغة الأعراب ، وعلم تراجم أعيان العالم ، وعرف وقائع من دأهى أو سالم .

وأما نقد الصحيح من الحديث فذاك فنّ تفرّد بخاصّته ، وشهد له أهل زمانه في أفرادهِ وعامّته ، وتصانيفه تؤيد هذه الدعاوي ، وتعاليقه تحقق له المحاسن ، وتنفي عنه المساوي .

أقام بالقدس زماناً ، وأنفق فيه من العمر أعواماً ، واتخذ فيه من الطلبة أعواناً ، فهبّت له النفخات القدسيّة ، وصبّت له الملمات الأنسيّة .

ولم يزل على حاله بتلك الأرض المَقْدَسَة ، والرّحل التي هي تحت ظلال البركات مَعْرَسَة ، إلى أن فسد من الصّلاح تركيبه ، ورَحَلَ على الرقاب وعلم الحديث جنيبه .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الاثنين ثالث شهر الله المحرم سنة إحدى وستين وسبع مئة .

ومولده في أحد الربيعين سنة أربع وتسعين وست مئة .

* الوافي : ٤١٠/١٣ ، وفيات ابن رافع : ٣٤٩/١ ، والبداية والنهاية : ٢٦٧/١٤ ، والشذرات : ١٩٠/٦ ،
والدّارس : ٤٥/١ ، والمنهل الصافي : ٢٨٢/٥ .

سمع (صحيح مسلم) سنة ثلاث وسبع مئة على الشيخ شرف الدين الفزاري ^(١) ،
وَكَمَّلَ عليه ختم القرآن . وسمع (البخاري) على ابن مُشَرَّف ^(٢) سنة أربع . وقرأ العربية
وغيرها على الشيخ نجم الدين القحفازي ، والفقه والفرائض على الشيخ زكي الدين
زكري ^(٣) . وَجَدَ في طلب الحديث سنة عشر وسبع مئة . وقرأ بنفسه على القاضي
تقي الدين سليمان الجنبلي ، وعلى أبي بكر بن عبد الدائم ، وعيسى الْمُطْعَم ^(٤) ،
وإسماعيل بن مكتوم ، وعبد الأحد بن تيمية ، والقاسم بن عساكر ، وابن عمه
إسماعيل ^(٥) ، وهذه الطبقة ، وَمَنْ بعدها . وشيوخه بالسمع نحو سبع مئة شيخ . ومن
مسموعاته : الكتب الستة ، وغالب دواوين الحديث ، وقد عُلِّقَ ذلك في مجلد سَمَاهُ :
(الفوائد المجموعة في الفرائد المسموعة) ^(٦) .

ومن تصانيفه : (النفحات الْقُدْسِيَّة) ، يشتمل على تفسير آيات وأحاديث ^(٧) ،
مواعيد ^(٨) ، وكتاب (الأربعين في أعمال المتقين) ، وكتاب (تحفة الرائي بعلوم آيات
الفرائض) ، و (برهان التيسير في عنوان التفسير) ، و (إحكام العنوان لأحكام
القرآن) ، و (نزهة السَّفَرَةِ في تفسير خواتم سورة البقرة) ، و (المباحث المختارة في
تفسير آية الدِّية والكفَّارة) ، و (نظم الفرائد لما تَصَنَّه حديث ذي اليدين من
الفوائد) ، و (تحقيق المراد في أن النهي يقتضي الفساد) ، و (تفصيل الإجمال في

(١) هو أحمد بن إبراهيم بن سباع (ت ٧٠٥ هـ) .

(٢) محمد بن أبي العزّ ، ستأتي ترجمته .

(٣) ابن يوسف الجبلي . ستأتي ترجمته .

(٤) في النهل : « عيسى بن مطعم » .

(٥) ابن نصر الله ، سلفت ترجمته .

(٦) اسمه في الوافي : « إثارة الفوائد المجموعة في الإشارة إلى الفرائد المسموعة » .

(٧) في الوافي : « وشرح أحاديث » .

(٨) عبارة الوافي : ذكره مواعيد حفظاً بالمسجد الأقصى .

تعارض الأقوال والأفعال) ، و (تحقيق الكلام في نية الصيام) ، و (شفاء المسترشدين في اختلاف المجتهدين) ، و (رفع الاشتباه عن أحكام الإكراه) ، و (نهاية الأحكام لدراية الأحكام) ، و كتاب (الأربعين الكبرى) . وله (التعاليق الأربعة : الكبرى والوسطى والصغرى والمصرية) في اثني عشر مجلداً . وكتاب ^(١) (الأربعين المغنية بعيون فنونها عن المعين) في اثني عشر جزءاً . و (الأربعين الآلهية) ثلاثة أجزاء ، و (الوشي المعلم فيمن روى عن أبيه عن جدّه عن النبي ﷺ) ستة عشر جزءاً ، و (عوالي مالك بن أنس السباعيات) ستة أجزاء ، و (سداسيات أصحاب سفيان بن عيينة) في سبعة أجزاء ، و (المحاسن المبتكرة) ، عشرة أجزاء ، و (المسلسلات) ثلاثة أجزاء ، و (العقد الثمين في تراجم السبعين) ، و (مبتغى الذخائر في تفسير آية الكبائر) ، و (عنبر السحر في آية السحر) ، و (تقرير غاية المدة في تفسير آية العدة) ، و (تفسير مجابي الهصر في تفسير آيتي الخوف والقصر) ، و (الفوائد المحققة في تفسير آيتي المحاربة والسرقة) ، و (روض الأذهان وخوض الأفهام في شرح حديث النعمان في الحلال والحرام) ، و (كتاب إيضاح وجوب الإجمال والإحسان في شرح حديث الخصال الواجبة للغير على الإنسان) ، و (شرح القول الحسن في الوصية لمعاذ ^(٢) عند بعثته للين) ، و (روض الإيقان في شرح حديث : الطهور شرط الإيمان) ، (جامع التحصيل لأحكام المراسيل) ، (تحقيق ثبوت الرتبة لمن ثبت له شريف الصُحبة) ، (كشف النقاب عما روى الشيخان للأصحاب) ، (تفسير حصول السعادة في تقرير شمول الإرادة) ، (تلقيح الفهوم في تنقيح صيغ العموم) ، (فصل القضاء في أحكام الأداء والقضاء) ، (إبانة الخطوة في قاعدة مدّ عَجْوَة) ، (رفع الالتباس عن مسائل البناء والغراس) ، (إتمام الفوائد المَحْصُولَة في الأدوات المَوْصُولَة) ، (الفضول المفيدة في الواو المزیدة) ، (المعاني العارضة لمن الخافِضة) .

(١) الكتب الآتية لم تذكر في الوافي .

(٢) في الأصل : « معاذ » تصحيف . وهو معاذ بن جبل الصحابي (ت ١٨ هـ) .

وكان أولاً بزيّ الأجناد ، ثم ترك ذلك ، وأقبل على الطلب والاشتغال . وحفظ (التنبيه) ، و (مختصر) ابن الجاجب ، و (مقدمتيه) في النحو والتصريف ، و (لباب الأربعين في أصول الدين) لسراج الدين الأرموي ، وكتاب (الإمام في الأحكام) ، وعلّق عليه حواشي .

ورحل صحبة الشيخ كال الدين الزملكاني^(١) إلى القدس سنة سبع عشرة وسبع مئة .

وسمع من زينب بنت شكر^(٢) وغيرها . ولازم الشيخ كال الدين سفرأ وحَصْرًا ، وعلّق عنه كثيراً ، وحجّ معه في سنة عشرين وسبع مئة .

وسمع بمكة من الشيخ رضي الدين الطّبري ، ولازم القراءة على الشيخ برهان الدين الفزاري في الفقه والأصول مدة سنين ، وخرّج له (مشيخة) ، وللشيخ تقي الدين قاضي القضاة السُّبكي ، وغيره من الأشياخ (مشيخات) ، وولي تدريس الحديث بالناصرية سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

ثم إنّه دَرَسَ بالأسدية سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة . وأذن له الشيخ كال الدين الزملكاني بالإفتاء سنة أربع وعشرين وسبع مئة . ثم درس بحلقة صاحب حمص سنة ثمان وعشرين وسبع مئة . ثم تولّى تدريس المدرسة الصلاحية بالقدس سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وأقام به إلى آخر وقت .

وتولّى تدريس مشيخة الحديث بالسيفيّة « تنكز » بالقدس^(٣) .

(١) كذا في الأصل ، وللمنهل ، وفي الوافي : « ابن الزملكاني » .

(٢) في الأصل : « مكي » . وفي الوافي (سكن) تحريف . وما أثبتناه يوافق ما وقع في مصادر ترجمته الأخرى . وهي زينب بنت أحمد بن شكر ، وستأتي ترجمتها في موضعها .

(٣) عبارة الوافي : مشيخة دار الحديث السيفيّة بالقدس .

وحجّ سنة أربع وأربعين وسبع مئة . وجاور بمكة وعاد في سنة ست وخمسين .
وعدت أنا وهو إلى الشام ، ورافقته في الطريق ، واجتمعت به غير مرّة في دمشق
والقاهرة والقدس . وأخذت من فوائده في كل علم ، وقلّ أن رأيت مثله في تحقيق
ما يقوله في كل فنّ وتدقيقه .

وكان مُتعباً في أي باب فُتح ، يحفظ تراجم أهل العصر ، ومن قبلهم ، وتراجم
الناس من المتقدمين ، وهو عارف بكل شيء يقوله أو يتكلم فيه .

وأنشدني لنفسه إجازة ، ونقلته من خطه :

يَا رَبِّ كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ	لَكَ لَا أُؤْذِي شُكْرَهَا
أُولَيْتَنِي فِيهَا الْجَمِيلَ	وَذُدْتَ عَنِّي شَرَهَا
وَكَفَيْتَنِي يَا رَبِّ فِي	كُلِّ الْأُمُورِ أَمْرَهَا
وَوَقَيْتَنِي عِنْدَ الشَّدَا	ئِدِ وَالْحَوَادِثِ ضَرَهَا
فَاغْفِرْ ذُنُوبِي كُلَّهَا	إِنِّي لِأَرْهَبُ وَزَرَهَا
فَهِيَ الَّتِي فَارَقْتُهَا	وَأَجَدْتُ حِلْمًا سَرَهَا
وَعَصِيَتْ جَهْلًا حِينَ لَمْ	أَقْدِرْ جَحِيمَكَ قَدْرَهَا
وَالطُّفُّ بِعَبْدِكَ دَائِمًا	وَقِهِ الْخَطُوبَ وَمَكْرَهَا

وكان له ذوق كبير في الأدب ونكتة ، وعمل كثيراً نظماً ونثراً .

وكان فيه كرم زائد ، ووجه طلق في تلقّي الأصحاب ومن يردّ القدس ، وترك
عليه جملة من الديون بسبب ذلك .

وكتبت إليه وقد ورد إلى دمشق المحروسة في بعض السنين ، أظنها سنة تسع
وثلاثين وسبع مئة :

أَتَيْتَ إِلَى دِمَشْقٍ وَقَدْ تَشَكَّتَ إِلَيْكَ لِطَوْلِ بُعْدٍ وَاتِّزَاحٍ
وَكُنْتَ بَعْدَ بُعْدِكَ فِي قَسَادٍ وَجِئْتَ لَهَا فَفَازْتَ بِالصَّلَاحِ

وقد أجاز لي بخطه كل ما يجوز له تسميعه . وكان يكتب في الإجازات بيتاً مفرداً ، وهو :

أَجَازَهُمُ الْمَسْئُولُ فِيهِ بِشَرْطِهِ خَلِيلُ بْنُ كَيْكَلْدِي الْعَلَائِي كَاتِبُهُ
وهذا مثل ما أكتبه أنا أيضاً في الإجازات ، وهو :

أَجَازَ لِلْسَائِلِينَ مَا سَأَلُوا فِيهِ خَلِيلُ بْنُ أَبِيكَ الصَّفْدِي

وكتبت له أنا عدة توابع بتدريس المدرسة الصلاحية بالقدس بالشام والقاهرة .

فأول ما كتبت له بذلك بدمشق في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ونُسَخَتْه :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي ، لَا زَالَتْ أَوَامِرُهَا تُهْدِي إِلَى الْأَمَاكِنِ الشَّرِيفَةِ صَلَاحًا ،
وَتَرْفَعُ قَدْرَ مَنْ إِذَا خَطَا [فِي طَلَبِ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ] ^(١) تَضَعُ لَهُ الْمَلَأَكَةَ جَنَاحًا ، أَنْ
يَرْتَبَ الْمَجْلِسُ السَّامِي الصَّلَاحِي ^(٢) مُدَرِّسًا بِالمَدْرَسَةِ الصَّلَاحِيَةِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ لِمَا
أَتَّصَفَ بِهِ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي أَتَقْنَهَا حِفْظًا ، وَطَرُّزَ بِإِيرَادِهَا الْحَافِلِ ، فَرَأَتْ فِي الْقُلُوبِ
مَعْنَى ، وَفِي الْأَسْمَاعِ لَفْظًا ، فَهُوَ الْحَبْرُ الَّذِي يَفُوقُ الْبَحْرَ بِغَزَاةِ مَوَادِّهِ ، وَالْعَالَمُ الَّذِي
أَصْبَحَ دَمُ الشَّهَدَاءِ يَزَاءِ ^(٣) مَدَادِهِ ، إِنْ تَقَلَّ حَكْمًا فَمَا الْمُرْنِي ^(٤) إِلَّا قَطْرَةٌ مِنْ هَتَانِهِ ، أَوْ

(١) زيادة من الوافي يقتضيها السياق .

(٢) في الوافي : « الفلاني » .

(٣) في الأصل « بآراء » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) إسماعيل بن يحيى صاحب الإمام الشافعي . سلفت الإشارة إليه .

رجح قَوْلًا فما ابن سَريج^(١) إذا جاره من خيل ميدانه ، أو ناظر خصماً فما ابن الخطيب^(٢) ممن يُعد في أقرانه ، أو استدَلَّ محتجاً فما يقطع السيف إلا بدليله وبرهانه ، فالماوردي^(٣) حاوي مناقبه وذكره ، وأبو إسحاق^(٤) صاحبُ (التنبيه) على رفعة محلّه وقدره ، قد أضحت به وجوه الأصحاب سافرةً عن الحسن البارِع والمنظر الجميل ، وأمست طرق المذهب بدروسه واضحة الأمانة ، راجحة الدليل ، ولذلك نُدب لنشر العلم الشريف لذلك القطر الجليل ، واستحقَّ لفضله الأقصى أن تكون حَضرةُ القدس مقامَ الخليل ، فليورد من فضله الباهر هناك ما يُحيي مذهب ابن إدريس^(٥) بدرسه ، وينشر ميث العلم حتى يكون رُوحاً في قُدسه ، وليتعهد الطلبة بالحفظ والبحث ، فإنها للعلم كالجنّاحين ، وليقف عندهما شرطه الواقف أثابه الله الجنة ، فما يفسد أمر وقع بين صلاحين ، وتقوى الله تعالى زينة العلم ، فليجعلها طراز لبسه ، وجمال العلم ، فليدخرها لغده الذي يُربى في الخير على أمسه ، والله تعالى يزيده فضلاً على^(٦) فضله ، وينشر به أعلام العلم الذي يحقق على رؤوس أهله ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى^(٧) .

وبيني وبينه رحمه الله مجارات ومكائبات وألغاز وغير ذلك ، وقد سقت منها جانباً في كتابي (ألحان السواجع) .

(١) أحمد بن عمر . سلفت الإشارة إليه .

(٢) لسان الدين .

(٣) علي بن محمد بن حبيب صاحب التصانيف المشهورة (ت ٤٥٠ هـ) . الشذرات : ٢٨٥/٣ .

(٤) إبراهيم بن علي الشيرازي (ت ٤٧٦) ، واسم كتابه الآتي : التنبيه في فروع الشافعية . الكشف : ٤٨٩/١ .

(٥) الشافعي .

(٦) في الوافي : « إلى » .

(٧) تنتهي هنا ترجمة ابن كيكليدي في الوافي .

ولما بلغتني وفاته رحمه الله تعالى قلت أرثيه :

يا صاح دعني من حديثك إن قلبي في البلاء
أو ما ترى أهل الحديث تسافلوا بعد العلاني

وقلت فيه أيضاً :

والفضل تقصانه قد راح مُطَرِّدا
ما أظلم الشكُّ فيه راح متَقِّدا
ري النقد والنقل والتعليل والسندا
فيها من العلم لا تُخصي لها عددا
حديث فهو لهذا الشأن قد قعدا
حتى تجاوز في غاياته الأمداء
أراه يقوى لديه لو حكى أحدا
في نصرته السنة الغراء مجتهدا
وقام في دفعها قلتُ الصباح بدا
من دونه في جميع الناس مُلتحدا
كادوا يكونون من شرِّ له لبدا
وحلَّ إذ فيهم كلُّ ماعقدا
جدال أو ضاق حرب فكَّتِ الزرداء
كانت طرائقه نحو العلى قددا
قد راح مجموعته المختار مُنفردا
طولى وكم قد أفاد الناسُ منه يدا
ومن يدانيه في شأٍ فقد بُعدا
وحسنُ سَمَت ونسكُ زائد وهدى

العلمُ بعد صلاح الدين قد فَسَدَا
مات الذي كان في علم الحديث إذا
ومن يُحرر أسماء الرجال ويد
قد شارك الناس في أشياء يفضلهم
أما إذا كان في نقد الصحيح من ال
والفقه ألقاه تدريساً يحزّره
وفي الأصولين أستاذ فإ أحدا
ست وستون عاماً مرَّ أكثرها
إن أظلمت شبهة من إفك مبتدع
أهل الضلالات أرداهم فلم يجدوا
جاءوا إليه وكادوا الحقَّ فيه وقد
فشنت الله من لُطف عَزَائِهِم
مباحث كلِّما التفَّ الجلاّد من ال
سرى إلى غاية مانالها أحد
نحو وفقة وتفسير إلى أدب
وفي تراجم أهل العصر حاز يدا
فليس أدري له مثلاً أنظره
علم وحلم ومعروف وطيب ثناء

تمرُّ أوقاته في حفظ سُؤدده
يُقرى الورى جفناث ثم يقرئهم
وحين جاور من جُور الزمان وقد
وكان خير فقى أدّى فرائضه
وكل يوم يزيّد البرّ في عمل
مضى إلى الله محفوفاً برحمته
أكاد من حسن ظني في طريقته
يابن العلائيّ إني قد قضيتك من
فاذكر أخاك إذا حيّتك نافحةً
فأنت ضيف عظيم الجُود وهو إذا
وقم إلى الله يوم الحشر في دَعَا

فما رأيت له وقتاً يضيع سدى
مجلداتٍ لمن وافى ومن وفدا
أنضى إلى مكة العيرانة الأجد^(١)
في عصره وتردّى الصبر والجلدا
منه على أمسه حتى يسرّ غدا
حتى يُلاقي غدا في الحشر ما وعدا
أني أشاهدّه في جملة الشهداء
حق الرثاء الذي أبصرته رشدا
من روح ربك أو بَلّت لديك صدى
ما جاد لم ينسَ من معروفه أحدا
فأنت عندي معدودٌ من السعدا

٦٣٩ - خليل بن أيتش *

الأمير صلاح الدين بن الأمير الكبير أيتش الحمدي ، والده تقدم ذكره في مكانه
من حرف الهمزة .

وكان هذا صلاح الدين له صورة سبحان من أبدعها ، ولو شاء لذهب بالشمس
وأطلعها ، بديع الجمال ، وافر الحسن ، يشهد له البدر بالكمال قد تأنى الحسن فيه
وتألق ، وتملأ القمر بنظره لما رآه فتملّق ، بقدر من أين للغصن تحطّره ، ونشر من أين
لزهر الروض في السحر تعطّره ، ووجه حلا نظره ، وتغنى الأفق لو أنه شمسُه أو قره ،
وعيون من نفّاثات السحر في عقد القلوب ، وجفون كم وقع أسد منها في أكلوب ، وفم

(١) العيرانة الأجد : الناقة القوية السريعة . وأصل هذا البيت قول النابغة الذبياني :
فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له وام القتود على عيرانة أجد

تَبَسُّمٌ مَرْجَانٌ شَفَّتَهُ عَنْ لَآلَى مَنْظُومِهِ ، وَوَجَنَاتُ كَأَنَّهَا بِأَزَاهِرِ الْحَدَائِقِ مَرْقُومِهِ ، وَشَعْرٌ
يَخْطُ فِي الْأَرْضِ إِذَا خَطَا ، وَيَحْسِدُهُ الْغَزَالُ إِذَا عَطَا ، زَانَ بِجِوَالِهِ الْمَوَاكِبَ ، وَزَاحَمَتَهُ
الْكُوكَبُ عَلَى حُسْنِهِ بِالْمَنَاكِبِ .

فَلَوْ قَدِّرَ الْبَدْرُ كَانَ الَّذِي تَطَلَّعَ مَا بَيْنَ أَطْوَاقِهِ
وَمَا أَطْمَعَ الظَّيْبِي إِنْ رَامَ أَنْ يَحَاكِيه يَوْمًا بِأَحْدَاقِهِ

بَيْنَا هُوَ فِي أَمْرِ صَعُودِهِ ، وَمَنَازِلِ سَعُودِهِ ، إِذْ أَنْزَلَهُ الْحَمَامُ مِنْ حَصْنِهِ ، وَبَكَى الْحَمَامُ
عَلَى غَضَنِهِ وَتَجَرَّعَ أَبُوهُ كَأْسَ فَقْدِهِ الْمَرِّ ، وَوَدَّ لَوْ كَانَ بَدَلَهُ فِي تِلْكَ الْحَفْرِ ، فَتَأْسَفَ النَّاسُ
عَلَى شَبَابِهِ ، وَبَلَّوْا بَوْبِلَ دُمُوعِهِمْ مَا جَفَّ مِنْ تَرَابِهِ .

وَتُوفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي لَيْلَةِ الْأَرْبَعَاءِ تَاسِعِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، سَنَةِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ
وَسَبْعِ مِئَةٍ .

وَكَانَ مِنْ يَحِبِّهِ وَيَهْوَاهُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ تَنْكُزَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَحِبُّ
مِنْ غَيْرِ إِيْتِيَانٍ مُحَرَّمٍ أَوْ مَعْصِيَةِ غَيْرِ النَّظَرِ .

اللقب والنسب

☆ ابن الخليلي : الصاحب فخر الدين عمر بن عبد العزيز . وولده شرف الدين
عبد الرحمن .

٦٤٠ - خُوبِي *

بَضْمَ الْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ ، وَسَكُونِ الْوَاوِ ، وَبَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَبَاءٌ آخَرُ الْحُرُوفِ .

كَانَتْ جَارِيَةً الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ بِكَتْمِ السَّاقِي ، اشْتَرَاهَا بِعِشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ

مصرية ، كانت مُغْنِيَّة^(١) عَوَّاده ، بادية الحسن والطرب عَوَّاده ، لم يكن دَخَلَ مصر لها نظير ، ولا غَنَّى الحَمَام على مثل قَدَّها النَّصِير ، اشتراها وهام في هواها ، وسكَّنها في داره على بركة الفيل التي ما اقتنى أحد مِثْلَها ولا حواها ، إذا جَسَّت أوتارها أخذت من القلوب أوتارها ، وجرى من لطف أناملها الماء في العُود ، وقيل : هذا البدر في السَّعُود . فإذا غَنَّت أغنَّت عن الأطيار ، وإذا غَنَّت غنَّت قلوب البررة الأخيار .

ثم إنها ثقلت بعده إلى مُلك بُشتاك ، وزَنَ فيها ستة آلاف دينار ، ودخل معها قاش وحلي ، وغير ذلك بعشرة آلاف دينار ، ثم إنه وهبها لملوكه أطنبغا فين أظن ، وهنا آخر علمي بأمرها .

ولما اشتراها بكثر الساقى بلغ أمرها امرأته أم أمير أحمد ، فقالت له : أريد أنزل إلى دارك التي على البركة لأتفرَّج هناك ، فعلم المقصود ، فنزل إلى خوبي وقال لها : الست إذا جاءت إلى هنا اجلسي بين يديها والعود في حرك ، واضربي قَدَّامها ، وغنِّي لها نوبةً مطربة ، فلما نزلت ودخلت الدار أول ما توجهت إلى الشباك المُطِلَّ على البركة ، واشتغلت ساعة ، ثم التفتت بعد ذلك إلى جهة جواربها ، فرأت جارية تركية بيضاء ، وجميع ما عليها أبيض مصقول من غير زركش ولا حلي ولا مصاغ فأنكرت ذلك ، وقالت : مَنْ هي هذه ؟ فباست الأرض وقعدت ، ووضعت العود في حجرها ، وقالت : دستور ، وغنَّت نوبةً كاملة مطربة ، فقالت الست : من هي هذه ؟ فقالوا : هذه جارية الأمير . فقالت : هذه خوشداشتي ، ثم أخذت بيدها ، وأجلستها إلى جانبها وأحضرت لها بدلة كاملة بطرز زركش وباولي وزركش ، وحلياً ومصاغاً مما هو يَحْمَلُه ، وقالت لمن يثق إليها : والله لما قالوا اشترى الأمير جارية بعشرة آلاف دينار وسكَّنها في داره على البركة ، ظننت أنها تكون مثلي في الحشم والخدم والجواري والملبوس . ثم إنها طلعت بعد ذلك إلى القلعة ولم تَبْكَرْ من أمرها شيئاً ، واطمأنت نَفْسُها إلى ذلك .

(١) في الأصل : « فعلية » ، ولا وجه لها . وأثبتنا ما في الدرر ، وما يتفق مع سياق النص ههنا .

قلت : ضعيفان يغلبان قوياً ، لأنّ بكثر الساقى رحمه الله تعالى تدهى فيما قاله
لخوبي ، وزادت هي في الدهاء عليه ، فما حصل لهما بذلك إلاّ خير .

ولما توفي بكثر الساقى رحمه الله تعالى في طريق الحجاز قال السلطان : والكم أوّل
ما تَصِلون القاهرة احترزوا على عود خوبي ، فإنها أوّل ما تسمع خبر بكثر تكسر
عودها . وكان الأمر كما قال ، فقليل : إنها أوّل ما بلغها ذلك قبل وصول السلطان
كسرت عودها . وغضب السلطان عليها ، وأباعها لبشتاك بستة آلاف دينار ، ولكنها
لم تقع من قلب بشتاك بموقع^(١) .

اللقب والنسب

- ☆ ابن خواجا إمام : محمد بن عمر .
- ☆ ابن أبي الخوف : أحمد بن محمد .
- ☆ ابن الخيمي : مجد الدين إبراهيم بن علي .
- ☆ ابن الخلاطي الكاتب : محمد بن نجيب .

(١) في الدرر : أنها توفيت بعد سنة (٧٤٠ هـ) .

حرف الدّال

الألقاب والأنساب

☆ الداراني : القاضي صدر الدين سليمان بن هلال .

٦٤١ - دانيال بن منكلي بن صرفا*

القاضي ضياء الدين أبو الفضل التركي ، القاضي بالشُّوبك .

سمع بالكرك من ابن اللَّقي . وقرأ القراءات على السّخاوي بدمشق ، وسمع من كريمة ، ومن جماعة . وسمع ببغداد من ابن الخازن وعبد الله بن عمر بن النّخّال ، وهبة الله بن الدّوامي^(١) وإبراهيم بن الخير . وجلب من [ابن]^(٢) خليل . وبصر من يوسف السّاوي وابن الجيّزي .

وولي قضاء الشوبك مدّة . وولي القضاء بأماكن . وخرّج له علاء الدين علي بن بلبان (مشيخة) قرأها عليه شرف الدين الفزاري . وخرّج له ابن جَعَوَان^(٣) أربعين حديثاً .

وسمع منه المزي والبرزالي .

* الوافي : ٤٥٥/١٢ ، وغاية النهاية : ٢٧٨/١ ، والشذرات : ٤٣٥/٥ .

(١) هبة الله بن الحسن (ت ٦٤٥ هـ) ، الشذرات : ٢٣٣/٥ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ثابتة في الوافي .

(٣) محمد بن محمد بن عباس (ت ٦٨٢ هـ) ، الوافي : ٢٠٣/١ .

وكان شيخاً متميزاً ، سكن من الوقار حيزاً ، شكله تام ، وفضله في العلم عام ، قد تنقل في الولايات ، وحكم في عدة جهات .

ولم يزل على حاله إلى أن أمسى الموت في دانيال دانيا ، وطَرَفَ الحمام إليه رانيا .
وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة ست وتسعين ^(١) وست مئة بالشوبك .
ومولده سنة سبع عشرة وست مئة .

٦٤٢ - داود بن إبراهيم بن داود الشافعي *

سمع من الشيخ شمس الدين بن أبي عمر وابن البخاري وغيرها ^(٢) .
وأجاز لي بخطه في سنة ثلاثين وسبع مئة ^(٣) .

٦٤٣ - داود بن أسد **

الأمير بهاء الدين القيّري .

كان من رجال الدهر في السعي والتقدم ، وأهل الزمان في التوصل إلى خراب بيوت أعاديته والتهدم ، إلا أنه لا يدوم له حال ، ولا تثبت له قدم ، حتى يرميه الدهر بالانتقاد والانتقال .

ولم يزل بين هبوط وصعود ، ونحوس وسعود ، ومباشرة أملاك وعمائر ، ونصب دلالات وأمائر ، حتى قمر الدهر من القيّمري عمره ، وأنفذ الحِمَامَ فيه أمره .

وورد الخبر إلى دمشق بوفاته في العشر الأوسط من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

(١) في الأصل : « وأربعين » ، سهو ، وأثبتنا ما في مصادر ترجمته .

* الوافي : ٤٥٧/١٢ ، ووفيات ابن رافع : ٣٠٣/١ ، والدرر : ٩٥/٢ ، وذبول العبر : ٢٨٧ .

(٢) في الوافي : « داود بن .. من شيوخ شمس الدين » ، وفيه اضطراب صوابه : من شيوخه .

(٣) ووفاته في جادى الآخرة سنة (٧٥٢ هـ) . ومولده سنة (٦٦٥ هـ) .

** الدرر : ٩٦/٢ .

أول ما عرفت من حاله أنه تعلّق على الأمير علاء الدين أَلْطُنْبغا نائب الشام لما كان بغزة ، وخدمه . ولما نقل إلى نيابة الشام حضر معه إلى دمشق ، ولم يزل يسعى إلى أن حصّل إمره عشرة بغزة ، ثم صار يتعلّق على واحد بعد واحد ممن يَظْهَرُ في كل دولة بالديار المصرية واحداً بعد واحد ، إلى أن أعطي في وقت إمرة طبلخاناه ، وهو يجتهد في التقرب إلى خواطر الأمراء بالضمانات والزراعات والتجارات ، إلى أن تعلّق أخيراً على الأمير سيف الدين يلبغا الخاصكي ، كل هذا وهو في غَزّة .

ولما حضر السلطان الملك المنصور محمد في واقعة يَيْدَمُر^(١) حضر في ركاب الأمير سيف الدين يلبغا^(٢) فأعطي إمرة طبلخاناه بالشام ، فأقام بدمشق قليلاً ، وتوجّه إلى بلاده بغَزّة ، فأقام هناك ، وفي الساحل وفي نابلس فوق الشهرين إلى أن وصل الخبر بوفاة رحمه الله تعالى .

وكان قد ولي في وقتٍ نظر القدس الشريف ، وبلد سيدنا الخليل عليه السلام . وكان قد تعلّل في نابلس وأمر أن يُحمل إلى القدس ، فحُمِلَ على باب ، وأظنه مات هناك .

وقيل : إنه خلّف ثمان مئة ألف درهم .

٦٤٤ - داود بن أبي بكر بن محمد*

الأمير نجم الدين بن الزبيق ، بالزاي والياء آخر الحروف ، والباء الموحّدة وبعدها قاف .

كان من رجال المباشرات وأولي الدُرْبَة في الولايات . إذا تولّى جهة أصلحها

(١) سنة (٧٦٢ هـ) . البداية والنهاية : ٢٨٦/١٤ . وييُدمر هذا هو ييُدمر الخوارزمي ، يلقّب بملك

الأمراء ، توفي سنة (٧٨٩ هـ) . الذيل التام : ٣٤٧ ، والدرر : ٥١٣/١ .

(٢) ابن عبد الله الخاصكي (ت ٧٦٨ هـ) ، الدرر : ٤٣٨/٤ .

* الوافي : ٤٦١١٣ ، والدرر : ٩٧/٢ ، وذيول العبر : ٢٦٥ .

بالسياسة ، وصال على أهلها بالصرامة والنفاسه ، وله في دَسْتِه العَبْسَه ، والمهابة الزائدة في الجلُسه ، يُطْرِق ولا يُطْرِف ، ويعرف أشياء ، ويُرى أنه ما يعرف .

اشتهرت حرمة في البلاد ، وعلم أنه صاحب جدال وجلاد ، وإذا ذُكر اسمه للمفسد ودَّ أنه لم يَخْلُق ، ورأى أنه يموت ولا يرى ابن الزبيق ، هذا إلى لطفٍ وحُسن أدبٍ ، إذا خلا بأصحابه ، ومَن يأنس إليه من إخوانه وأترابه . وكان يرعى صاحِبَه ولا ينساه ، ويخدم الناس ، ولو دبَّ على المنسأه^(١) .

تنقل في ولايات الشام ومصر سنين ، وقع الله به جماعة من المفسدين .

ولم يزل على حاله إلى أن غرَّب من عمره نَجْمة ، ومُحي في رُمسِه رُسْمه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس شهر رجب الفرد سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، ودفن بالصالحية عند تربة الشياح^(٢) .

أخذ العشرة ، وباشر في أيام سُلَّار خَاصَّ الساحل والجبل ، ثم باشر خاصَّ القِبْلِيَّة ، وبعد ذلك باشر الخاصَّ بدمشق عوضاً عن الأمير سيف الدين بُكْتَمَر ، ثم باشر شدَّ الديوان بمحمص ، ثم باشر شدَّ الأوقاف بدمشق ، ثم تولَّى جبل نابلس ، ثم إنه نُقل إلى شدَّ الدواوين بدمشق عوضاً عن الأمير بدر الدين بن الخشاب^(٣) في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ثم باشر شدَّ غزة والساحل والجبل . وشكَّرَ للسلطان الملك الناصر فطَّلبه إلى مصر وولَّاه ولاية مصر وشدَّ الجهات والصناعة والأهراء ، وأعطاه طبلخاناه ، ولم يداخل القاضي شرف الدين النشَو ناظر الخاص ، وراج عليه الأمير علاء الدين علي بن

(١) المنسأة : العصا .

(٢) في الأصل : « الشياخ » وصوابه ما في الوافي .

(٣) محمد بن يحيى بن الخشاب ، ستأني ترجمته .

المروانيّ ، وداخل النشو ، فكانا إذا حضرا عنده ينبسط ابن الرواني مع ^(١) من يكون حاضرا ، ويُنَدَّب وَيُشْرَح ونجم الدين الزبيقي في تصميم وإطراق ، أو يُرى أنه ناعس ، إلى أن رأى النشو أنه ما يدخل معه في دائرته ، فاتفق مع الأمير سيف الدين مكلّم الحجازي ، وأحضر من شكاه منه في يوم دار عدل ، فعزله السلطان ، وأمر بإخراجه إلى دمشق إكراماً للأمير سيف الدين تنكز في يومه ذاك ، فعاد إلى دمشق ، فولاه تنكز شدّ الأوقاف والخاص ، إلى أن جرت واقعة النصاري في نوبة الحريق بالجامع الأموي ، فسلمهم الأمير تنكز إليه ، فتولّى عقابهم وتقريرهم ، واستخرج أموالهم وتسميرهم على الجمال وتوسيطهم وحريقهم ^(٢) .

وجرت عقيب هذه الواقعة كائنة تنكز وإمساكه ^(٣) ، فأمسك الأمير نجم الدين في جُملة من أمسك لأجله ، ثم أفرج عنه . وتولّى نابلس في أيام الأمير علاء الدين أيدغش ، ثم عزل وتولّى برّ دمشق في أيام الأمير سيف الدين طقزقر .

ثم طلب إلى مصر في أيام الصالح إسماعيل ، وتولّى شدّ الخاص المرتجع عن العُربان بالشام وصفد وحص وحمّة وطرابلس . وأقام كذلك ولده شجاع الدين أبو بكر نائبه في ولاية البرّ بدمشق إلى أوائل أيام الأمير سيف الدين يلغا ، فتوجّه على الخاص إلى مصر ، وتولّى بمصر شدّ الجيزيّة ، وكان بها كاشفاً ومشداً .

ولما أمسك يلغا ^(٤) وأقاربه ومن كان تسحب معه حضر الأمير نجم الدين هو والصاحب علاء الدين بن الحرّاني والأمير عزّ الدين أيّدمر الزرّاق للحوطة على موجود المذكورين وإقطاعاتهم ، وجعل الأمير شمس الدين آقسنقر أمير جاندار يتحدث

(١) عبارة الوافي : « ابن المرواني بين يدي النشوم » .

(٢) انظر في تفصيل ذلك أحداث سنة (٧٤٠ هـ) من البداية والنهاية : ١٨٦/١٤ .

(٣) في سنة (٧٤٠ هـ) .

(٤) يحيوي .

معه . وكان قد عَيَّنَ للأمير نجم الدين إقطاع طبلخاناه لتجهّز إليه إلى الشام ، فاعتلّ قريباً من جمعة ، ومات رحمه الله تعالى .

ومن حُسْنِ سياسته أنه تولّى نابلس في أيام تنكز فقتلَ فيهم ، وأراق دماءهم ، وبعد ذلك نقل عنهم وولي شد دواوين دمشق . وغضب عليه تنكز وأمسكه ^(١) ، وطلب منه مئة ألف درهم ، فحضر أكبر أهل نابلس ، فقالوا : نحن نزنّها عنه ، ويعاد إلينا والياً ، فكان ذلك من أسباب الرضى عنه .

وكنت قد كتبتُ له توقيعاً بشد الخاص بدمشق في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، وكان ذلك عقيب قدومه من مصر إلى الشام ، وهو :

الحمد لله الذي جعل نجم الدين في آفاق السعادة طالعا ، وسيّره في منازل السيادة ^(٢) حتى كان الحكم بشرفه قاطعا ، وقدر له الخير في حركاته وسكناته مستقيماً وراجعا ، وأبرزه في هذه الدولة القاهرة لشمل مسرّاتها جامعا ، نحمده على نعمه التي قرّبت منْ نأى بعد انتزاحه ، وأعادته ^(٣) إلى وطنه الذي طالما شام التاع برقه في الدجى بالتاحه ، وجبّلتْه على إشارة دون كل قطر تبسم روضه بشعر أقاحين وما قلنا أقاحه ، وخصته بباشرة خاص تأتّى له وتأتّى البركات فيه على اقتراحه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نزل إثبات التوحيد في أبياتها ، ووجدت النفوس لذاتها يادمانها لذاتها ، ومدّ الإيمان أيدي جنّاتها إلى ثمار جنّاتها ، وأوصل ^(٤) الإيقان راحت قاطفيها إلى راحتها .

ونشهد أنّ محمداً عبده ورسوله الذي بعثه الله ^(٥) إلى الخاص والعام ، وأورثه من

(١) في ربيع الأوّل سنة (٧٣٥ هـ) ، البداية والنهاية : ١٧٠/١٤ .

(٢) في الوافي : « السعادة » .

(٣) في الأصل : « وأعاده » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) في الأصل : « وواصل » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٥) ليست في الوافي .

خزائن جوده فريد الإفضال ومزايا الإنعام ، وحَبَّبه إلى قوم هم أنس الإنس ، وجَنَّبَه قوماً ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾^(١) وأَيَّده بالكرامة ، وأَمَدَّه بالكرم ونصره بالملائكة الكرام .
صَلَّى الله عليه وعلى آله وصَحْبِهِ الَّذِينَ سَدَّوْا^(٢) مَا وُلَاَهُمْ ، وسَادَوْا مَنْ وَالَاهُمْ ، وشَادَوْا مجد هذه الأمة فهم أولادهم فيه وبه أولاهم ، ووعدوا على ما اتَّبَعُوا^(٣) جَنَّةَ دَعَوَاهُمْ فِيهَا :
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ، صَلَاةً يَتَضَوَّعُ مِنْ نَشْرِهَا^(٤) شَذَاهُمْ ، وتكفي من اتبعهم شرَّ أهل البدع وتقيه إذا هَمَّ أَذَاهُمْ ، وسلِّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد :

فلَمَّا كانت وظيفة شدَّ الخاص الشريف بدوْمَة وداريَا^(٥) من أجل الوظائف ، وأنفس المناصب التي كم أمَّها عافٍ وراقها عائف ، وأشرف المباشرات التي من دونها « بيض الصفائح لاسود الصحائف »^(٦) ، يحتاج مَنْ باشرها إلى أن يكون مَنَّ عَلتْ هِمَمُهُ ، وغلت قِيَمُهُ ، وشُكِرَتْ^(٧) شِمِهِ ، حتى تفيض على العام من الخاص نِعَمُهُ ، وتَدَرَّرَ بداريَا دُرُّوهُ ، وتَدوِّمُ على دُوْمَة دِيَمُهُ .

وكان المجلس السامي الأميري النجمي داود بن الزبيق الناصري من تهادته الممالك الإسلامية شاماً ومصرًا ، وحاز نوعيَّ الثنا^(٨) مدأً وقصراً ، وفات البلغاء من الحصر وَصَفُهُ حَضْرًا ، وطَرَفَ عَيْنًا تروم العين ، ووضع عن الغلال أغلالاً وإِضْرًا . طلع في كل

(١) الفرقان : ٤٤/٢٥ .

(٢) في الأصل : « شدوا » ، وأثبتنا ما في الوافي وهو أقرب .

(٣) في الأصل : « ابتغوا » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) في الوافي : « طيها » .

(٥) على أطراف مدينة دمشق اليوم .

(٦) هو قول أبي تمام في بائيته الشهيرة :

بيض الصفائح لاسود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

(٧) في الوافي : « وعكرت » ، تحريف .

(٨) في الوافي : « السنأ » .

أفق ، ولا غرو ، فهو النجم ، وأقام على من خطف الحطّفة من رصد حِفْظِهِ كَوُكَبَ رَجْم ، وصَلَبَ عودَهُ على من أراد امتحان بأسه بغمز أو اختبار لينه بَعْجُم ، وانتقل من جنة دمشق إلى مجاورة النيل وهو نَهْرُ الجَنَّة ، وعاد إلى وطنه ومصر مُصَرَّةً على محبّته ، فأشواقها في سَموم هوائها مستجّنه ، وحسّنت مباشرته في كل قطر محدود ، وباتت مخازيم^(١) سؤدده وسدّادها مسدود ، وأضحى وعمل عمله ليس لناظر فيه مخرج ، ولادون فضله بابّ مردود ، وأطربت مناقبه حتى قال الناس^(٢) : هذه مزامير داود .

فلذلك رَسِمَ بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري أن يفوّض إليه كذا^(٣) ، فليباشر ذلك مباشرة تشّخص لها عيون^(٤) الأعيان ، ويتعلّم الكتاب منها تثير أقلام^(٥) الديوان ، والأبطال تدبير عوالي المُرَّان ، مجتهداً فيما يدبره ، معتمداً على حسن النظر فيما ينبّه عليه أو يثمره ، فما نَدِبَ لذلك إلّا الحسن الظن بسياسته ، ولا عيّن لهذه الوظيفة إلّا لجميل المعرفة بما جَرَّبَ بين سؤدده ورياسته ، ومثله لا يُنبّه على مصلحة يُبْديها ، أو منفعة يعلنها أو يُعليها ، أو فائدة يَهْدِيها أو يُهْدِيها ، أو كلمة اجتهد لا يعلّمها من يأخذها عنه أو يستليها .

وهو بحمد الله تعالى غنيّ عن إطراء من يمدحه من الغاوين ، أو يُزَهِّره له بشدّ هذا الديوان ، فقد باشر قبله شدّ الدواوين ، فلا يَبْذُلُ للناس غير ما ألفوه من سجاياء الحسان في الإحسان ، ولا يَطْوِي بَشْرَةً عنهم ، فمن رآه لم يكن معه محتاجاً إلى بستان ، ولا يعامل الرفاق إلّا بالرفق ، فإنَّ ﴿ كُلَّ مَنْ عَلَيْهَا فَان ﴾^(٦) ، والتقوى ملاك الوصايا فليجعلها له نجياً ، وقوامَ الأمور فلا يتخذها ظَهْرِيّاً ، وسداد كل عوز فن

(١) في الوافي : « مخاريم » ، وكلاهما له وجه . والحزم والحزم الثقب .

(٢) عبارة الوافي : « حتى قال الناس فيها » .

(٣) عبارة الوافي : « أن يفوض إليه شدّ الخاص على عادة من تقدّمه » .

(٤) في الوافي : « عين » .

(٥) في الأصل : « أعلام » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٦) الرحمن : ٢٦/٥٥ .

رامها ﴿ تَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾^(١) ، والله تعالى يتولاه فيما ولاه ، ويزيده من فضله الأوفى على ما أولاه ، والخط الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجةً على ثبوت العمل بما اقتضاه^(٢) ، إن شاء الله تعالى .

٦٤٥ - داود بن الحسن بن منصور*

علم الدين بن سَوَّاق^(٣) .

قرأ الفقه على بهاء الدين هبة الله القفطي ، وتأدب على أبيه ، وقد مرّ ذكره في حرف الحاء .

كان شاعراً مطبوعاً ، محمّلاً على اللطف موضوعاً ، خفيف الروح ، لا تندمل له من اللهو قروح .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل الأمر الذي هو لقبض النفوس تَوَّاق ، وساق ابن سَوَّاق إلى القبر سَوَّاق .

وتوفي في حياة والده رحمه الله تعالى سنة ست^(٤) وسبع مئة . وأورث أباه داءً عظيماً ، وقال من حُزنه : ياليت الفقى أضحى عقيماً .

ومما قال أبوه في رثائه :

مصائبك يا داود ليس يهونُ فقد أنبعتُ فيك العيونَ عيونُ^(٥)

(١) الآية من سورة مريم ١٧/١٩ .

(٢) عبارة الواقي : « حجةً بمقتضاه » .

* الدرر : ٩٧/٢ ، والطالع السعيد : ٢٤١ .

(٣) في الطالع : « شواق » .

(٤) في الطالع : « وذكر لي أخوه أنه توفي سنة خمس وسبع مئة ، في شوال » .

(٥) في الطالع : « لقد » .

ورثاه محمد بن الحكم بقصيدة منها :

قصدت رُبْعَ بني سَوَّاق مبتغيا حَجًّا فخبث لَأَنِّي لم أَرِ العِلْمَ^(١)

ومن شعره علم الدين يمدح طقْصُبا والي قوص :

لاح برق من الخبا	إنَّ هذا له نَبَا
وتنشقتُ نَمْسَةً	طرقني مع الصُّبا
هَمْتُ لَمَّا شَمَمْتُهَا	وفؤادي لها صَبَا
وسرى النثر في الورى	عَمَّ شرقاً ومغرباً
هذه دولة الرضا	وَبُلَّها جاءَ صَيِّبَا
جئتُ بالحق ناطقاً	لستُ يابِرقُ خَلْبَا
إنما أنت بَارِقٌ	لاح من وجه طقْصُبا ^(٢)
سيفٌ دين مجرّد	ضيغمٌ ضَمَّه قَبَا
عفوه وانتقامه	قَرَنَ الذيب والطَّبا
وغدا طوع أمره	أُسْمِرُ الحَطَّ والطَّبا ^(٣)

قلتُ : شِعْرٌ عَذْبٌ منسجم .

٦٤٦ - داود بن محمد*

ابن أبي القاسم بن أحمد بن محمد : الأمير الرئيس الجليل عماد الدين ابن الأمير بدر الدين الهكَّاري .

(١) هو في الطالع السعيد .

(٢) في الطالع : « عن وجه » .

(٣) أي الرماح والسيوف ، والأبيات في الطالع السعيد .

* الوافي : ٤٩٤/١٣ .

سمع من ابن اللّتي ، وحامد بن أبي العميد القزويني ^(١) ، والزكي البزالي ^(٢) ، وابن رواحة ، وابن خليل ، وابن قتيبة بجلب ، والتاج بن أبي جعفر بدمشق ، وعمار بن منيع ببحرّان ، وعبد الغني بن بنين ^(٣) بمصر .

كان فاضلاً نبيلاً ، عاقلاً جليلاً ، تولّى نيابة قلعة جعبر في أيام الناصر ، وكان في تلك الدولة ممن تُعقّد عليه الخناصر .

ولم يزل يركب ويتصيّد ، ويتصدى للحركات ولا يتقيّد ، إلى أن حان مقدوره ، وأن نزوله في القبر وحدّوره .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع مئة .

ومولده سنة تسع وست مئة .

وحدّث بدمشق والقدس .

٦٤٧ - داود بن مروان بن داود*

الفقيه الإمام القاضي نجم الدين أبو سليمان اللّطفي الحنفي .

كان شيخاً كبيراً من أعيان الحنفيّة ، درّس بعدة مدارس ، وتولّى قضاء العسكر . وكان يقدم إلى دمشق ، ويحكم فيها نيابةً عن قاضي القضاة حسام الدين ^(٤) أيام إقامته .

وكان فيه مروءة وتعصب .

توفي رحمه الله تعالى ثالث شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة وسبع مئة .

(١) (ت ٦٣٦ هـ) ، الوافي : ٢٨٠/١١ .

(٢) محمد بن يوسف (ت ٦٣٦ هـ) ، الشذرات : ١٨٢/٥ .

(٣) عبد الغني بن سليمان (ت ٦٦١ هـ) ، الشذرات : ٣٦٠/٥ .

* الدرر : ٩٩/٢ ، والمنهل الصافي : ٣٠٥/٥ .

(٤) الرازي ، أحمد بن الحسن أنوشروان ، سلفت ترجمته .

٦٤٨ - داود بن يوسف بن عمر*

رسول الملك المؤيد هزبر الدين بن الملك المظفر التركاني صاحب اليمن .

بحث (التنبيه) ، وحفظ (كفاية المتحفظ) ، و (مقدمة ابن بابشاذ) ، وسمع من الحب الطبري وغيره .

كان قد تفنن في العلوم ، وأخذ بكل طَرَفٍ من الفضائل والفهوم . وسمع الناسُ بنبيله إلى الأفاضل ، فجاءوه من كل قَطرٍ بعيد ، واعتدوا للدهر يوم لقائه بعيد ، واثالوا عليه من كل فجٍّ ، وأموا كعبة جوده بالحج . وأحسن إلى الواردين ، وأجمل إلى القاصدين ، وهاجر إليه أرباب الصنائع ، وأودع عندهم الأيادي والصنائع ، وجلب إليه نفائس الأصناف ، وأنصف أربابها في العوض عنها غاية الإنصاف ، جَهَّزَتْ إليه نسخة (بالأغاني الكبير) في مجلدة واحدة بخط ياقوت ، فوزن فيها مبلغ خمسة آلاف درهم ، واشتملت خزائنه على مئة ألف مجلدة .

وكان يحب أهل الخير ، ويزور الصالحين ، وكانت أيامه كثيرة الخير . قيل : إنَّ عز الدين الكولمي^(١) ورد عليه ، ومعه من الحرير والمسك والصيني ما أدى عنه ثلاث مئة ألف درهم . وأنشأ قصراً عديم المثل بديع الحُسْن .

ولما مات رحمه الله تعالى اضطرب أمر اليمن مدة ، وتمكَّن الملك الظاهر بن الملك المنصور ، وقبضوا على المجاهد بن المؤيد ، ثم مات المنصور ، وكان ديُّنا رحيمًا .

ثم ثار أمراء مع المجاهد ، فاستولى على قلعة تعز ، ثم قوي أمره ، وجرى على الرعايا من النهب واقتضاض الأبقار كل سوءٍ ، ودام الحرب بين الظاهر والمجاهد ، وآل

* الوافي : ٥٠١/١٣ ، والنجوم : ٢٥٣/٩ ، وفوات الوفيات : ٤٢٩/١ ، والدرر : ٩٩/٢ ، والبدر الطالع :

٢٤٦/١ ، والشذرات : ٥٥/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٠٧/٥ .

(١) عبد العزيز بن منصور الكولمي ، ستأتي ترجمته .

الأمر إلى أن استقلّ الظاهر ، وبقيت تَعَزُّبُ بيد المجاهد ، فحوصر مدّة ، وخربت لذلك تعز خراباً لا يستدرّك ، ثم إن المجاهد تمكّن وأباد أضداده .

ولم يزل المؤيد هزبر الدين في أرغد عيش مدّة نيف وعشرين سنة ، لأنه ملك بعد أخيه الأشرف سنة ست وتسعين ، وبقي في ملك اليمين إلى أن خُذِلَ بالموت المؤيد ، وأنزله من قصره إلى قبر تشيّد .

ووفاته رحمه الله تعالى في ثاني ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، ودفن عند قبر أخيه بالمدرسة .

وقال تاج الدين عبد الباقي^(١) الآتي ذكره إن شاء الله تعالى يمدحه ، وقد ركب فيلاً ، ونقلته من خطه :

الله أولاك يا داود مكرّمة ورتبة ما أتاه قبْلُ سلطان^(٢)
ركبت فيلاً وظل الفيل ذا رهج مستبشراً وهو بالسلطان قرحان
لك الإله أذلّ الوحش أجمعه هل أنت داود فينا أم سليمان^(٣)

وقال يمدحه وقد بنى القصر^(٤) ، ومن خطّه نقلت :

يا ناظم الشعر في نعم ونعمان وذاكر العهد من لبني ولبنان
ومعمّل الفكر في ليلي وليلتها بالسفح من عقّادات الضال والبان^(٥)
قصر فبالعلو من وادي زبيد علا عالي المنار عظيم القدر والشان^(٦)

(١) عبد الباقي بن عبد المجيد الخزومي (٧٤٢ هـ) .

(٢) في المنهل : « ولاك » .

(٣) في الوافي ، والنجوم ، والمنهل : « فيه » .

(٤) الذي بظاهر زبيد ، كما في الوافي . وانظر المنهل .

(٥) في الأصل : « السفح » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .

(٦) في الفوات : « فيا لعلو من زبيد علا » .

به التغزل أحلى ما يرى بهجاً
قصر بناه هزبر الدين مفتخراً
هذا الخورنق بل هذا السدير أتى
فقف براحته تنظر لها عجباً
أنسى بإيوانه كسرى فلاحبر
سامى النجوم علاء فهي راجعة
تود فيه الثريا لو بدت سرجاً
يحفه دوح زهر كله عجباً
فدع حديث ليثلات بعسفان
وشاد ذلك بان أيما بان
في عصر داود لافي عصر نعان
كم راحة هطلت منه بإحسان
من بعد ذلك عن كسرى لإيوان^(١)
عن السمو لإيوان ابن حسان
مثل الثياب به في بعض أركان
كم فيه من فن زاه وأفنان

[الألقاب والأنساب]^(٢)

☆ ابن الدباهي الحنبلي : محمد بن أحمد .

☆ الدبابيسي : مسند القاهرة يونس بن إبراهيم .

٦٤٩ - درباس بن يوسف بن درباس *

الأمير الكبير حسام الدين الحميدي .

كان بدمشق حاجباً ، وشكره واجباً ، لأنه باشر الحجوبية ، وشد الأوقاف ، فأثنى عليه حتى الحمائم على فروع الأراك فوق الأحقاف^(٣) .

وكان ذا هيئة وشكالة ، ورئاسة وحشمة وجلالة ، فصيح اللسان ، مليح البيان ، شغره والدرّ سواء في القيه ، وكلامه لانسجامه كأنه صوب الدئمه .

(١) في المنهل : « من بعد ذكرى عن كسرى لإيوان » وهو مختل الوزن .

(٢) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

* الدرر : ١٠١/٢ ، وذكره في ترجمة أبيه صاحب تالي وفيات الأعيان : ١٧٣ .

(٣) الحقف : الموج من الرمل ، وأصل الجبل .

لم يزل بدمشق على حاله إلى أن أثارت له المُنُون حرباً ، وسدّت على ابن درباس من الحياة درباً .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر الله المحرم سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وستين وست مئة .

وكان أولاً بصفد فهام بحبها ، وألف بها ، ثم إنه نُقل إلى دمشق ، وأُعطِي إمرة الطبلخاناه والتقدّم والوجاهة ، وهو يتشوّق إلى صفد ، ويتذكر أوقات أنسه ، وإذا رأى أحداً من أهلها مال إليه وصبا ، وشَمّ فيه أرج ما قطعه هناك في زمن الصّبا . ونظم في حنينه إليها أشعاراً ، وغنّى بها الناس .

من ذلك :

يا صاحبي إن شئت توليني مِنْ
عَرَّجْ على صَفَدٍ فلي فيها شَجَنُ
وبها أجبائي وأهلي والوطنُ
وهم أعزُّ عليّ من روعي وَمَنْ أَهْوَاهُمْ في السَّرِّ والإعلانِ
كم ليلة قد بتّ في ساحاتها
أجني ثمار اللّهُو من وجنّاتها
وأجرّ ذيل صباي في عرصاتها
هل راجعٌ ما فات من لذاتها أترى يعودُ لنا زمانٌ ثانٍ

الأنساب والألقاب

☆ ابن دقيق العيد : تاج الدين أحمد بن علي . وعز الدين عامر بن محمد بن علي . وطلحة بن محمد بن علي . ومحب الدين علي بن محمد . وجلال الدين محمد بن عثمان . والشيخ تقي الدين محمد بن علي . وكال الدين محمد بن محمد بن علي .

☆ الدقوقي : المحدث محمود بن علي .

☆ الدكالي الصوفي : اسمه عثمان .

☆ الدشتي : شهاب الدين أحمد بن محمد .

☆ الدشناوي : بدر الدين زكري بن يحيى . وتاج الدين محمد بن أحمد .

☆ ابن درباس : فخر الدين عثمان بن محمد .

☆ ابن الدريهم : علي بن محمد بن عبد العزيز .

٦٥٠ - دلشاذ*

بالدال المهملة واللام الساكنة وبعدها شين معجمة ، وألف وذال معجمة : بنت دمشق خواجا بن جوبان ، الخاتون زوج النوين ، الشيخ حسن الكبير حاكم بغداد ، تزوّجها بعد عمتها الخاتون بغداد .

كانت ذا^(١) حظوة عند بعلمها ، وكان لها أطوع من نعلها ، لجمالها الذي فتنه ، وحكم على قلبه بشجنه لما شحنه غراما وسجنه ، فكانت هي الحاكمة في مملكة العراق ، والامّرة في كل شيء من القطع والوصل والدنو والفراق ، لا يخالفها أحد ، ولا يخالفها من يكون له من دونها ملتحّد ، تكتب إلى نواب الشام بما تريد ، وتجهّز الأولاق^(٢) في أشغالها وتعود رسلها على البريد ، ويطلب نواب الشام منها ما يحاولونه من^(٣) المهمات ، ويدفعون لها ما يخشونه من اللّغات . ورأيت اسمها في الكتب التي ترد عنها بالمُعْرة^(٤)

* الوافي : ٢٤/١٤ ، والدرر : ١٠١/٢ .

(١) كذا في الأصل .

(٢) مصطلح تركي بمعنى الرسول .

(٣) في الوافي : « في » .

(٤) المُعْرة : طين أحمر ، والمُعْرة : المصبوغ بها ، وتأتي بمعنى الجلد .

العراقية ، وهو كتابة عظيمة ، والظاهر أنه كُتب عنها بأمرها ، بخلاف خط الكتاب بنفسه ، وهذا إن كان بيدها فهو أمر عظيم ، وإن كان بأمرها فهو أيضاً كِبَرِ هِمَّة ، كونه يكون بخط قويٍّ جيِّداً ، وكانت تميل إلى الغرباء ^(١) وتحسن إليهم .

ولم تزل على حالها إلى أن كَسفت من وجهها الشمس ، وانطبقت عليها سحابة الرَّمْس .

وتوفيت رحمها الله تعالى في ثاني القعدة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، ونقلت من بغداد إلى مشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ودفنت هناك .

وقيل : إن زوجها سقاها سماً ؛ لأنه اهتمها بالليل إلى ابن عمها ^(٢) الأشرف بن تمرتاش ، وذلك لأنه صادر جميع نَوَائِبها بعد موتها ومن كان من جهتها .

٦٥١ - دِلْنَجِي *

بكسر الدال المهملة وفتح اللام وسكون النون ، وبعدها جيم وياء آخر الحروف : الأمير سيف الدين ابن أخت الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا .

وكان قد أقام بمصر أميراً مدّه ، ولسيف عزمه مِضَاءٌ وَحِدَهُ ، وأخرج لنيابة غَزَه ، وصار لها به شرف باذخ وعِزّه ، لأنه كَتَبَ له بها عن السلطان : « نائب السلطنة بغَزَة » ، ولم يكتب لأحد غيره ^(٣) بعد الجاولي حتى ولا للأمير علاء الدين الطنبغا نائب حلب ودمشق ، وأضيف له الحديث في نابلس ، وهذه ميزة أخرى ، ولم يكن لأحد من دمشق في غَزَة ولا في نابلس ولا في الساحل حديث البتة .

(١) في الوافي : « الفقراء » .

(٢) في الوافي : « إلى عَمَّها » ، وهو سهو .

* الوافي : ٢٨/١٤ ، والنجوم : ٢٤٩/١٠ ، والدرر : ١٠٢/٢ ، والذيل التام : ١١٨ . وفي النجوم : « ودلنجي هو المكدي باللغة التركية » .

(٣) قال في الوافي : « وكان غيره من نَوَائِب غَزَة يكتب له : مقدّم العسكر » .

ولم يزل على حاله إلى أن دُلِّي دِلْنَجِي في قبره ، وراح إلى عالم نجواه وسره .
ولما جرى للأمير سيف الدين بلجك الناصري ^(١) في غزة مع العُربان ماجرى ، ورد
بعده الأمير سيف الدين دِلْنَجِي ، وكان وصوله إليها في أوائل شهر جمادى الآخرة سنة
خمسین وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة رابع عشر جمادى
الأولى سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .
وقاسى في نيابته شدائد من عرب جَرَم وموقع ^(٢) ، وجرت بينهم حروب وجراح ،
وقُتل عدة من أمراء غزة ، وتولّى النيابة بعده الأمير فارس الدين ألبكي .

٦٥٢ - دَمْرُ خان بن قَرَمَان*

الأمير نجم الدين .
كان في مصر أمير مئة مقدّم ألف ، وحضر إلى دمشق كذلك .
أقام بدمشق إلى أن توفي رحمه الله تعالى في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وسبع
مئة .

[الأنساب والألقاب] ^(٣)

☆ الدهلي : نجم الدين سعيد بن عبد الله .

-
- (١) ترجم له المصنف في الوافي : ٢٨٥/١٠ ، ولم يذكر سنة وفاته ، وآخر ما فيه أنه كان حياً سنة
(٧٥٢ هـ) . ووقع في مطبوعة الوافي ههنا (تلجك) تصحيف .
(٢) وكذا في بعض أصول الوافي ، وفي المطبوع منه : « مواقع » .
* الدرر : ١٠٢/٢ .
(٣) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

٦٥٣ - دوباج بن قطلي شاه*

ابن رستم بن عبد الله ، الملك شمس الدين أبو العز بن الملك بن الملك صاحب كيلان .

كان فارساً بطلاً ، لا يقبل في الإقدام عدلاً ، ولا يريد إلا الممات عن الحياة بدلاً ، وكان مع ذلك عاقلاً ، ولم يكن عن تدبير مملكته غافلاً ، له في القلوب مهابة مهابه ، وعنده في مقابلة الأيام والليالي إصابه . لمح الدنيا بعين الصدق فعرفها ، وتحقق غدرها وسرفها ، فترك الملك ، ونزل عنه لابنه ، ونفض ما في يده منه ، وما في ضيقه^(١) .

وقدم إلى الشام ليحج فأدركه أجله بقباقيب ، كأنه كان له هناك يرصد أو يراقب .

ووفاته في سادس عشري شهر رمضان سنة أربع عشرة وسبع مئة .

وقباقيب منزلة عن الرحبة إلى جهة دمشق^(٢) ، فحمله جماعته إلى دمشق ، وأنشئت له تربة مليحة بشرقي سوق الصالحية^(٣) ، ورُتب له فيها المقرئون .

وهو الذي رمى قطلي شاه الملك^(٤) بسهم فقتله لما جهزه غازان إلى قتالهم في سنة ست وسبع مئة ، وبقي في ملك كيلان خمسة وعشرين عاماً ، ومات وعمره أربع وخمسون سنة ، ووصى للحج عنه فحج عنه جماعة ، وأنفق على تربته أموال كثيرة .

* البداية والنهاية : ٧١/١٤ ، والدرر : ١٠٢/٢ ، والدارس : ١٩١/٢ ، وذبول العبر : ٧٩ . وقد جاء اسم والده بألفاظ مختلفة : ف قيل : قطلوشاه وملك شاه ، وفيشاه . والمنهل الصافي : ٣٣٢/٥ ، وفيه : « ديباج بن عبد الله الأمير سيف الدين صاحب كيلان » .

(١) الضينة : ما بين الكشح والإبط .

(٢) في الدارس عن الذهبي : « من ناحية تدمر » . والأرجح أنها « غباغب » بليدة جنوب دمشق بنحو خمسين كيلاً .

(٣) تسمى التربة الدوباجية الجبلانية ، كما في الدارس .

(٤) في الدرر : « خطلوشاه نائب غازان » .

الألقاب والأنساب

- ☆ ابن دمرتاش : محمد بن محمد .
- ☆ ابن الدويك : محمد بن عبد الجبار .
- ☆ الدمياطي : شهاب الدين أحمد بن أيك . والشيخ الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف .
- ☆ الدمياطي : عماد الدين محمد بن علي .
- ☆ الدميثري : الأمير علم الدين سنجر .
- ☆ الدواداري : الأمير علم الدين سنجر .
- ☆ الدلاصي : عبد الله بن عبد الحق .
- ☆ ابن دلغادر : زين الدين قراجا .
- ☆ الدهان : محمد بن علي .
- ☆ ابن الدميري : محمد بن علي .
- ☆ ابن الدواليبي الحنبلي : محمد بن عبد المحسن .

حرف الذال

٦٥٤ - ذبيان *

هو الأمير ناصر الدين الشَّيْخِي والي القاهرة .

كان داهيه ، نَفْسُهُ بالجدّ لاهيه ، رَجُلًا رَجُلُهُ في الثرى ، وهَامِيَةً هِمَّتُهُ في الثريا تُرى ، نظَّر من أسفل البير ، وتسَنَّم ذروة الفلك الأثير . وتقدَّم بالقاهرة في الدولة ، ورأى نفسه في سماء المجد كالبدر ، وخَدَمَهُ كالنجوم حوله ، لكنه كسف قريبا ، وما نفعه أن كان أريبا .

كان هذا الأمير ناصر الدين قد ورد من الشرق صحبة الشيخ عبد الرحمن الكواشي^(١) رسول الملك أحمد^(٢) إلى السلطان الملك المنصور قلاوون ، وحُبِس الشيخ عبد الرحمن وجماعته في قلعة دمشق ، ولما مات أُفْرِج عنهم ، وبقي هذا ناصر الدين يخيِّط الكواشي بدمشق .

ثم إنه توجّه إلى مصر ، وتوصّل إلى الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وتحيل إلى أن تولى ولاية القاهرة ، والتزم بمستظهر^(٣) ، وعَضَدَه الجاشنكير إلى أن ولي الوزارة . ثم إنه قُبِض عليه وصودر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وسبع مئة بالقاهرة ، بعد العقوبة والضرب ، وذلك في أوائل ذي القعدة من السنة .

* الوافي : ٣٧/١٤ ، والدرر : ١٠٤/٢ ، والمنهل الصافي : ٣٣٤/٥ ، وعقد الجمان : ٢٥٩/٤ ، في أحداث سنة (٧٠٤ هـ) .

(١) ترجم له المصنف في الوافي في موضعه من حرف العين .

(٢) ابن هولاكو (ت ٥٨٣ هـ) .

(٣) في الوافي : « بالمستظهر » ، ولم يتبيّن مراده .

٦٥٥ - ذبيان بن أبي الحسن بن عثمان*

الحاج العفيف البعلبكي التاجر .

وكان يروي عن الشيخ الفقيه محمد اليويني وابن عبد الدائم ، وغيرها . وحدث (بحزه) ابن جَوْصَا^(١) ، وكان من أهل القرآن .

وتوفي في رابع جمادى الأولى سنة اثنتين وسبع مئة .

[الأنساب والألقاب]^(٢)

☆ ابن أبي الذر : نجم الدين الصوفي عبد العزيز بن عبد القادر .

☆ الذهبي : محمد بن أحمد .

٦٥٦ - ذون بطرو**

بالذال المعجمة والواو الساكنة ، وبعدها نون وباء موحدة وطاء مهملة وراء وواو ، وقيل فيه : ذون بَـترو ، بالتاء ثالثة الحروف بدلاً من الطاء : الملك الكبير الطاغية الفرنجي الأندلسي .

كان جباراً عنيدا ، وشيطاناً مريدا ، ملئ قلبه من المسلمين حقدا ، وتضرم عليهم بالغضب وقدا ، وبالع في القسوة ، وودّ من كلبه لو شرب دمهم في حسوه ، تمرداً منه وكفورا ، وعتوا وعدوانا وفجورا .

اجتهد وبالع ليستأصل ما بقي من المسلمين بالأندلس ، وحشد من قدير عليه من

* الدرر : ١٠٤/٢ .

(١) أبو الحسن أحمد بن عمير (ت ٣٢٠ هـ) ، السير : ١٥/١٥ .

(٢) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

** الوافي : ٤٧/١٤ ، والنهل الصافي : ٣٣٦/٥ .

الفرنج الحُمس ، ولكنّ الله ردّ كَيْدَه في نحره ، وأغرقه لما طغى في بحره ، وما نفعه جيشه الذي لا يحصى ، ولا أمرُه الذي كان لا يرد ولا يعصى ، وقتل هو وجنده ، ومن اعتقد أنه بيده يُشَدّ بَنْدُه ، وسلّخَ بعد ذلك الصبر والجلد جِلْدُه ، وحُشي قُطْنُا ، وعُلّق على باب غرناطة ، وطال في العذاب خُلْدَه .

وكان هلاكه في سنة تسع عشر وسبع مئة .

وكان من خبر هذا الطاغية أن الفرنج حَشَدُوا ونفروا من البلاد ، وذهب سلطانهم ذون بطرو إلى طُلَيْطَلَة ودخل على « الباب » ، وسجّد له وتَضَرَّع ، وطَلَب منه استئصال ما بقي بالأندلس من المسلمين ، وأكّد عَزْمَه ، فقلق المسلمون ، وعزموا على الاستنجاد بالمريني ، ونَفَّذُوا إليه فلم ينجع ^(١) ، فلجأ أهل غرناطة إلى الله تعالى . وأقبل الفرنج إلى المسلمين في جيش لا يحصى ، فيه خمسة وعشرون ملكاً ، فقَتِلَ الجميع عن بكرة أبيهم ، وأقل ما قيل أنه قتل في هذه الملحمة خمسون ألفاً ، وأكثر ما قيل ثمانون ألفاً ، وكان نصراً عزيزاً ويوماً مشهوداً ، والعجب أنه لم يُقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر فارساً ، وكان عسكر الإسلام ألف وخمس مئة فارس ^(٢) ، والرجالة نحواً من أربعة آلاف . وقيل : دون ذلك .

وكانت الغنية ذهباً وفضة سبعين قنطاراً ، وأمّا الدوابّ والقماش والعُدَد فشيء لا يحصى كثرةً ، وبقي المسلمون يحتاجون إلى ما ينفقونه على الأسرى لقوتهم وقوت من يحرسهم ويحرس الدواب ، فكان في كل يوم خمسة آلاف درهم ، وبقي المبيع في الدواب والأسرى والغنائم ستة أشهر متوالية ، وملّ الناس من طول البيع وداخلهم العجز والكسل .

وكانت الواقعة في صبيحة يوم الاثنين خامس عشر شهر ربيع الأوّل سنة تسع

(١) في المنهل : « فلم ينجد » .

(٢) وفي البداية والنهاية : « ألفان وخمس مئة فارس » .

عشرة^(١) وسبع مئة وهو رابع عشر حزيران يوم عيد العنصرة للنصارى ، وكان ذلك يوم عيد للإسلام ، ويوم وبال على الكفار .

وكان نزول الكفار على مكان يقال له منظرّة بينوس بالقرب من جبل إلبيرة ، وهو عشرة أميال من غرناطة .

ومن جملة الملوك الذين للكفار : صاحب إشبونة وقشتالة والقرنيرة ، وأرغون وطلبيرة ، والذي تولى القتال نائب صاحب غرناطة الشيخ الصالح المجاهد أبو سعيد عثمان بن أبي العلاء^(٢) ، وابنا أخيه الشقيقان أبو يحيى وأبو معروف ، أمير جيش مالقة ، ابنا عبد الله بن أبي العلاء وأخوهم لأبيهم أبو عامر خالد ، أمير جيش رُنْدَة^(٣) ، وأبو مسعود محمد بن علي ، وأمير جيش الخضراء أبو عطية مناف وغيرهم .

وعلى الجملة فكانت واقعة عظيمة لطف الله فيها بالمسلمين ، ولم يتفق لها نظير ، والله الحمد والمنة على ما عوّد هذه الأمة من النعمة .

(١) أرخ ابن كثير لهذه الواقعة سنة (٧٢٠ هـ) .

(٢) ستأني ترجمته .

(٣) في الأصل : « دندة » ، تحريف ، وهو حصن بين إشبيلية ومالقة . انظر : معجم البلدان ٧٣/٣ .

حرفُ الرَّاءِ

٦٥٧ - رافع بن هجرس*

الإمام المُقَرَّرُ المُحَدَّثُ الفقيه الزاهد أبو مُحَمَّد الصُّمَيْدِي - بضم الصاد المهملة وفتح الميم ، وبعدها ياء آخر الحروف ، ودال مهملة - جمال الدين الصوفي نزيل القاهرة .

سمع بدمشق مِنْ أصحاب ابن طَبْرُزْد ، وبمصر مِنْ طائفة .

وكان خيراً زاهداً ، مأموناً عابداً ، عُني بالرواية ، وصار له بها أتمُّ عنايه ، وكتب وحصل بعض الأصول ، وعَلَّقَ وأفاد ، ولم يكن له إلى سَنِّ الرواية وصول . واشتغل بالقراءات حِينًا ، وجعل له الطلب والدأب دِينًا ، إلى أن جَرَّ رافعٌ إلى قبره ، وقطع إلى الآخرة مخاضة عمره .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر الحجة سنة ثمانٍ عشرة وسبع مئة بمصر عن خمسين سنة إلا سنة .

٦٥٨ - رجب بن قراجا بن عبد الله**

زين الدين الأَرَزَنِي ، بهمزة وراء ساكنة وبعدها زاي ونون .

أخبرني العلامة أبو حيان قال : زين الدين رفيقنا على الشيخ بهاء الدين ^(١) رحمه

* الوافي : ٧١/١٤ ، وغاية النهاية : ٢٨٢/١ ، والدرر : ١٠٦/٢ ، والشذرات : ٥٢/٦ ، والنهل الصافي : ٣٤٠/٥ .

** الوافي : ١٠٨/١٤ ، والدرر : ١٠٨/٢ .

(١) ابن النحاس ، كما في الدرر .

الله تعالى . كان له اعتناء بشيء من الأدب واللغة . وكان يكتب خطأ ليس بالجميل ، لكنه في غاية الضبط والصحة ، يشكل الحروف كلها ما أشكل منها ، وما لم يُشكل .
وأنشدنا لنفسه :

شاهدت في طرسك سحرا غدا يخامر الألباب بالأكؤس
وكان كالروض غدا ناضرا يلذ لأعين والأنفس

٦٥٩ - رجب بن أشبرك التركي *

الشيخ تقي الدين العجمي شيخ الزاوية التي تحت قلعة الجبل بالقاهرة .

كان شيخاً مُسنّاً ، قد اتخذ بالأجل من سهام الدهر ، مجنّاً ، له وجاهة عند الدولة ، وفي قلوب الناس له صوّله ، وعنده فقراء وأتباع ، وله مريدون من الخواص والرّعا .

لم يزل على حاله إلى أن أصابه سهمُ المنية فما أخطاه ولا تعدّاه ، وكان ميّتته أمانة مؤدّاه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن شهر رجب الفرد سنة أربع عشرة وسبع مئة . وعمره إحدى وثمانون سنة .

وكان في الديار المصرية شيخ طائفة العجم .

الأنساب والألقاب

☆ الرُّجَيْحِي : شيخ التونسية ، اسمه سيف الدين .

☆ الرّجبي : والي مدينة دمشق ، اسمه آقوش .

٦٦٠ - رزق الله بن فضل الله*

الرئيس مجد الدين بن التاج أخو القاضي شرف الدين النشو .

كان أولاً نَصْرَانِيًّا ، فاستخدمه أخوه في استيفاء الخزانة والخاص ، وكان ينوب أخاه النشو إذا غاب ، ويدخل إلى السلطان الملك الناصر محمد ، ويخرج ، فلما كان في سنة ست وثلاثين وسبع مئة في يوم الجمعة استسلمه السلطان قبل الصلاة على يده ، وأبى عليه فلكه بيده ، وعرض عليه السيف ، فأسلم ، وخلع عليه ، وقال له : لا تكن ^(١) إلا شافعي المذهب مثلي ، واستخدمه عند الأمير سيف الدين ملكتر الحجازي ، فظهر وساد ، وجلس في صدر الرياسة وأتكا على وساد ، وعَظَمَ شأنه ، وشاع ذِكْرُه ، وعلا مكانه ، وتوسّع في الوجاهة قَدْرُه وإمكانه ، وتَبَيَّنَ وسط رقعة القلعة فِرْزَانُه ، وكان قد بلغ السُّها راقيا ، وطاف بكَوُوس الجود ساقيا ، ووهب فما أبقى على المال باقيا .

وكان أولاً فيه ميل إلى المسلمين ، وَخَنَوَ زائد على المؤمنين ، رتب سُبْعاً يُقرأ في الجامع الأزهر ، وَقرَّر نصيباً من الصدقات تَخْفَى وعند الله تَظْهَر ، وكان يجهز في كل سنة إلى الحَرَمَيْنِ ستين قيصا ، ولا يجد كُفَّةً عن الجُود مَحِيصا .

وكان يحرص على أن يُسلم من عبيده مِمَّن يميل إليه سراً ، يفعل ذلك خفية خيفةً مِنْ أُمِّه حتى لا ينال شَرًّا ، فعل ذلك مع جماعة من غلمانه النصاري ، وأرْقاؤه الذين هم في سَكْرَةِ الجَهْل حيارى .

ولم يزل في مراقبي سعادة ، ومعارض سيادة إلى أن أمسك هو وأخوه - على ماسياتي ذكره في ترجمة أخيه - وسلَّمه السلطان إلى الأمير سيف الدين قوصون فأصبح مذبحاً ، دَبَّحَ نَفْسَه بيده ، ولم يَكُنْ أحداً يَتِمَكَّن من عقابه ^(٢) ولا فساد جسده ، وذلك في ثالث شهر صفر سنة أربعين وسبع مئة .

* الوافي : ١١٤/١٤ ، والدرر : ١٠٨/٢ ، والمنهل الصافي : ٣٤٨/٥ .

(١) في الوافي : « لا تكون » .

(٢) عبارة الوافي : « ولم يتمكن أحدٌ من معاقبته » .

وكان رحمه الله تعالى رُبْعَةً ، حُلُوَ الوجه ، مليح العينين ، أَقْطَفَ الجفون .

وكان نظيف الملبس ، طَيِّب الرائحة ، يَغَيِّرُ قماشه في غالب الأيام مَرَّتَيْنِ . وكان يَفْصَلُ^(١) قماشه ويقول للخياط : طَوِّلْهُ عن تفصيلي ، وَكَفَّ الفُضْلَ إلى داخل ، فسأَلته عن ذلك فقال : أنا قصير ، وأَهْبُ قماشِي لمن يكون أطول مني ، فإذا فَتَقَ ذلك الفضل جاء طوله . وكان كثيراً ما يَهَبُ قماشه ، وقلمًا غسل له قماشاً إلا إن كان أبيض .

وعمر داراً مليحة إلى الغاية على الخليج الناصري .

وكتبت أنا إليه لما اهتدى :

أنت أهدى للخير من أن تهدي	يا عزيزاً بكلّ غال يفدي
هذه للسعود والفضل أولى	حزتها من مليكٍ عصرك نقدا
هكذا الهمة النفيسة في النأ	س إذا حاولت من الله رشدا
لك سرٌّ أبدي وأعاد الـ	فضلَ لله ما أعاد وأبدي
كيفما كنت لم تزل في الأيادي	والمعالي والفضل والبر فردا
أينما سرت في طريق المعالي	تتلقى في كلّ أمرِكَ سعدا
سوف ترقى مراتب السعد حتى	يفتدي الدهر طائِعاً لك عبدا
ولعمري قد قلّد الله هذا الـ	عصرٍ من سعيك الموفّق عَقدا
وإذا سُدّت في الشّباب فإذا	لك من بُعدٍ أن بلغت الأشدا
أنت ذو فطنةٍ من النار أذكي	وبَنانٍ من السّحاب أندي
ومحلّ كالنّجم لما تعلّى	وحياً كالبدر لما تبدّى
إنّ منكم للملك لما ظهّرتُم	شرفاً زاده علّوك مجّدا
شرفٌ قد علا على الشّمس قدرا	ما تعدّى لما عليها تعدّى
لك منه أخٌ تراه شقيقا	في رياض السّعود قد فاق ورّدا

(١) في الوافي : « يفضل » .

يُخْجِلُ الشَّمْسَ فِي السَّمَاءِ جَمَالاً ويفوقُ البحارَ في الجُودِ رِفْداً
 قَدْ أُنَامَ الْأُنَامَ فِي كَهْفِ أَمْنٍ ولقد كان كُحْلُهُمْ قَبْلَ سَهْدِ
 وَأَقَرَّ الْقُلُوبَ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ نت من الرّوعِ في الدُّجَى ليس تُهدأ
 فَلِهَذَا قَدْ سَرَّ أَهْلًا وَصَحْبًا ولهذا أفنى عِدوًّا وَضِدًّا
 فإِلَى جُودِهِ الرَّغَائِبُ تَسْرِي وإلى بابِهِ الرّكائبُ تُحْدِي
 صَانَهُ اللَّهُ مِنْ صُرُوفِ اللَّيَالِي وكَسَاهُ من فَاخِرِ الْحَمْدِ بُرْدًا
 وَأَرَانَا فَيْكَ الَّذِي تَتَمَنَّى مِنْ عُلُوٍّ يُجَاوِزُ الشَّمْسَ حَدًّا

٦٦١ - رزق الله بن تاج الدين *

كان شكلاً لطيفاً ، ووجهها حسناً ظريفاً ، أنيق البزّه ، رشيّق الحركّة والهزّه ، إلا أنه كان في باطنه مؤوفاً^(١) ، وربما كان داء مخوفاً ، وكان لذلك يعلوه اصفرار ، ويُرى له عن الصّحة فرار .

دخل ديوان الإنشاء ، وصار من الخاصة الساكنين في الأحشاء . وكانت كتابته متوسطة ، وعبارته في الفصاحة غير مؤرّطه^(٢) ، ونظّمه ما به من باس ، ولا في جودته إلباس ، وكان له فضلٌ على رفّاقه ، وإحسانٌ يبيكون معه على فراقه .

ولم يزل على حاله إلى [أن]^(٣) رزق رزقُ الله الحِمَام ، ومُحقّ بَدْرُهُ بعد التّام . وتوفي - رحمه الله تعالى - ... وأربعين وسبع مئة^(٤) .

* الدرر : ١٠٨/٢ ، وفيه : « رزق الله بن عبد الله المصري تاج الدين » .

(١) أي : به آفة .

(٢) في الأصل : مورطة ، ولا وجه لها .

يقال : أديم مأروط ، أي : مدبوغ ، يريد أن عبارته ليست فصيحة .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) كذا في الأصل وفي الدرر : مات بعد سنة ٧٤٠ .

وكان قد كتب إليّ وأنا بدمشق أبياتا في هذا الوزن والروي ، إلا أنني طلبتها عند هذا التعليق ، فلم تر عيني لها أثرا ، ولا وجدت لمبتدئها خبرا .
والجواب الذي كتبه أنا عن الأبيات المهدومة والقطعة التي جعلت يد الضياع ييوئها مهدومة هو هذا :

سُطُورُكَ أَمْ رَاحَ بَدَتْ فِي زُجَاجِهَا	وكان سُورُ الْقَلْبِ بَعْضَ نِتَاجِهَا
أَتَتْنِي مِنْ مِضَرٍ إِلَى أَرْضٍ جَلَّقِي	فَأَهْدَتْ إِلَى نَفْسِي عَظِيمَ ابْتِهَاجِهَا
فِيهَا نَفْسَ الْأَسْحَارِ فِي كُلِّ رَوْضَةٍ	تَيَمَّمُ رُبَا مِضَرَ وَلَطْفَ مِزَاجِهَا
وَقَفْتُ لِي عَلَى دِيْوَانِ الْأَنْشَاءِ وَقَفَّةً	وَحَيَّ الْكِرَامَ الْكَاتِبِينَ مُوَاجِهَا
فَتَمَّ وَجْوهُ كَالْبَدْرِ تَكَامَلَتْ	وَلَاقَ بِهَا فِي الْفَضْلِ رَوْنَقُ تَاجِهَا
أَمَّمَةُ كُتَّابٍ إِذَا مَا تَرَسَّلُوا	فَأَقْلَامُهُمْ تَرْمِي الْعِدَى بِأَنْزِعَاجِهَا
وَإِنْ نَظَمُوا قُلْتَ الذَّرَارِي تَنْسَقَتْ	وَلَاقَ عَلَى الْأَيَّامِ حَسَنُ أَزْدِوَاجِهَا
هَنَالِكَ رِزْقُ اللَّهِ بَيْنَ ظُهُورِهِمْ	فَلَا نَفْسٌ إِلَّا تَمَّ إِبْلَاجُ حَاجِهَا
فِيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَفُوزُ بِقُرْبِهِمْ	وَيَهْدَأُ مِنْ عَيْنِي اضْطِرَابُ اخْتِلَاجِهَا

وكنت أنا كتبت إلى القاضي ناصر الدين بن النشائي لغزا في « عيد » :

يَا كَاتِبَا بِفَضْلِهِ	كُلُّ أَدِيبٍ يَشْهَدُ
مَا أَسَمَ عَلَيْكَ قَلْبُهُ	وَفَضْلُهُ لَا يُجْحَدُ
لَيْسَ بِلِذِي جِسْمٍ يُرَى	وَفِيهِ عَيْنٌ وَيَدُ

فكتب القاضي ناصر الدين الجواب :

يَا عَالِمًا لِنَحْوِهِ	حَسَنُ الْمُعَنَانِي يُسَنَدُ
وَمَنْ لَهُ فَضَائِلُ	بَيْنَ الْوَرَى لَا تُجْحَدُ
أَهْدَيْتَ لُغْزًا لَفْظُهُ	كَالْبَدْرِ إِذَا يُنْضَدُ
فَابْقَ إِلَى أَمْثَالِهِ	عَلَيْكَ الْإِفَاءُ يَرِدُ

وكتب إليّ أيضاً القاضي كمال الدين محمد بن القاضي جمال الدين إبراهيم بن شيخنا
أبي الشفاء شهاب الدين محمود^(١) :

يــــامَنْ زكا ولادةً	وطابَ منه المَحْتَدُ
ومَنْ أياديه بها	كلُّ البرايا تشْهَدُ
ومَنْ غدا نواله	كالبحر فيه مَدَدُ
ألْغَزَتْ في شيء غدا	يأتي وفيه غَيَدُ
وال عَبْدُ قد صَحَّفَه	فاقْنَعْ به ياسيّدُ
واقْبَلْهُ مِنْ مَقْصَرٍ	لِطَوْلِكُمْ لا يَجْحَدُ
ودُمُ معافي أبداً	ماصِحِبَ الزُّنْدِ يَدُ

وكتب تاج الدين رزق الله المذكور أيضاً :

يافاضلاً آدابَه	بها الورى تسترشدُ
ومَنْ على علومِه	أهلُ النُّهى تعتمِدُ
ألْغَزَتْ في « عيدٍ » إلى	عبدٍ إليكم يُسَنِّدُ
ولم يؤخّر نظْمَه	إلاّ حياءً يُحْمَدُ
ولم يهاثِلْ مَنْ لَه	في سائر الفضل اليَدُ
فَدُمُ سعيداً تنتقي الـ	آدابَ أو تنتقِيْدُ

اللقب والنسب

☆ ابن الرزير^(٢) الخطيب : عبد الأحد بن يوسف .

☆ الرُستمي : والي الولاية ، اسمه آقوش .

(١) (ت ٧٦٩ هـ) ، الدرر : ٢٩٧/٣ .

(٢) في الأصل : « الزبير » . وهو تحريف .

☆ ابن رزين : بدر الدين عبد اللطيف بن محمد . وعلاء الدين عبد المحسن بن عبد اللطيف .

☆ ابن الرسّام : علي بن محمد .

٦٦٢ - رشيد بن كامل *

الإمام العلامة القاضي رشيد الدين الحرّشي - بالحاء المهملة والراء والشين المعجمة - الرّقي ، وكيل بيت المال بجلب .

سمع من ابن مسّلمة ، وابن علّان ، والقوصي ، وعدّة .

له تفنّن وأعمال ، وترسّلات من ديوان الإنشاء ينفق فيها الأموال . وكان يكتب بدمشق الإنشاء ، ويحضّر مجالس الناصر الحلبي في البُكرة والعشاء .

وولي نظراً الحَيْش بدمشق أيضاً ، ودرّس بعصرونية حلب فأفاض الفوائد فيها فيضا . وولي وكالة بيت المال بجلب ، وما قصّر في أخذ ولا طلب .

وكان ذا صيانة وعقل ، وفُضِّل صحّ به عن النّقل ، وله قريضٌ أبرز رياضَه ، وطرّز بالسّواد بياضَه .

ولكن ما حماه الأجلّ بحماه ، ولا اتقى الحُتف لما رماه .

وتوفي بحماة غريباً - رحمه الله تعالى - في سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وعشرين وست مئة .

ومن شعره ^(١) :

* الوافي : ١٢٤/١٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ٧٣ ، والدرر : ١١٠/٢ ، والشذرات : ١٤٥/٦ ، والمنهل

الصافي : ٣٥٢/٥ .

(١) وكذا في الوافي .

الألقاب والأنساب

☆ الرشيدي : الشيخ برهان الدين إبراهيم بن لاجين .

☆ رشيد الدولة : الوزير فضل الله بن أبي الخير .

☆ ابن رشيد : محمد بن عمر .

☆ ابن رشيق : محمد بن الحسين .

☆ ابن الرّضي المسند : أبو بكر بن محمد .

☆ الرّضي المنطقي : إبراهيم بن سليمان .

☆ ابن الرّفعة : أحمد بن عبد المحسن . الشيخ نجم الدين فقيه العصر أحمد بن محمد .

☆ الرّفا المسند : علي بن محمد .

☆ ابن الرّعاد : محمد بن رضوان .

٦٦٣ - رُقِيّة بنت محمد بن علي بن وهب القُشيريّة*

هي ابنة الشيخ العلامة شيخ الإسلام تقي الدين بن دقيق العيد .

سمعت من العزّ الحُراني بقراءة والدها ، ومن أبي بكر بن الأنطاطي ، وابن خطيب المِزة . وحدثت بالقاهرة ، وسمع منها جماعة .

قال الفاضل كال الدين جعفر الأُدفُوي : سمعنا عليها جُزءاً من (سُنن الكشي)^(١) ، وأجازت لنا .

* الوافي : ١٤٢/١٤ ، والطالع السعيد : ٢٤٦ ، والدرر : ١١٠/٢ .

(١) انظر الكشف : ١٦٧٩/٢ .

وهي امرأة متعبدة ملازمة للخير ، من بيت العلم والصلاح .
توفيت - رحمها الله تعالى - يوم الجمعة رابع عشر شعبان سنة إحدى وأربعين وسبع
مئة .

الألقاب [والأنساب]

☆ ابن الرقائي : أمين الدين أبو بكر بن عبد العظيم .

☆ الرقي : الشيخ إبراهيم بن أحمد بن محمد .

☆ ابن رُمَاش : الأمير زين الدين أغلبك .

٦٦٤ - رُمَيْثَة *

بضمّ الراء وفتح الميم وسكون الياء آخر الحروف وبعدها ثاء مثلثة وهاء : الأمير
أسد الدين أبو عراذه بن أبي نُمي ، أمير مكة ، نجم الدين بن الأمير بهاء الدين
أبي سعد الحسن بن علي الحسيني .

كان قد وصل إلى القاهرة ، وجّهز السلطان معه جماعة من الجند والعرب نحو
ثلاث مئة نفر ، وجماعة من الحجاج إلى مكة في ثاني شعبان سنة خمس عشرة وسبع
مئة .

وكان قد قبض عليه أمير الركب المصري رابع عشر الحجة سنة ثمانى عشرة وسبع
مئة ، وتوجه به إلى مصر ، ولما وصل أكرمه السلطان وأجرى عليه في كل شهر ألف
درهم ، فبقي كذلك مكرّماً أربعة أشهر ، وهرب من القاهرة إلى الحجاز ، فلما علم
السلطان بهروبه في اليوم الثاني كتب إلى شيخ آل الحرّيث ، وقال : هذا هرب على

* الدرر : ١١١/٢ ، والشذرات : ١٤٩/٦ ، والنهل الصافي : ٢٥٦/٥ ، وقد تقدمت أخبار أخيه
(حمضة) .

بلادك ، وما أعرفه إلا منك . فركب الهجن وسار خلفه مُجِدًّا ، فأدركه نائمًا تحت عقبة أيلة ، فجلس عند رأسه وقال له : اجلس يا أسود الوجه . فانتبه رُمِيثَةً وقال : صدقت ، لو لم أكن أسود الوجه ماغت هذه النومة المشؤومة حتى أدركتني . وقبض عليه ، وأحضره إلى السلطان ، فألقاه في السجن وضيق عليه . فقيل : إنه حصل له رُمِيٌّ دم ، ثم أفرج عنه وعن حاجبه علي بن صُبح في المحرم سنة عشرين وسبع مئة .

وفي سنة إحدى وعشرين حَلَفَ له بنو حسن ، وأظهر بمكة مذهب الزيدية ، وكتب بذلك عطيفة^(١) إلى السلطان ، فتأذى لذلك^(٢) ...

وفي يوم الثلاثاء حضر الأمير رُمِيثَةً إلى مكة ، وقُرئ تقليده ، ولبس خِلعة السلطان الملك الناصر بعد وصول أمان السلطان إليه ، وذلك في مستهل جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

اللقب والنسب

☆ الرهاوي : أمين الدين عبد الله بن عبد الله . وعز الدين محمد بن عمر .

☆ ابن رواحة : نور الدين أحمد بن عبد الرحمن . وزين الدين عبد الرحمن بن رواحة .

☆ الرومي : الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم .

☆ بنو ريّان : جماعة : منهم القاضي عماد الدين سعيد بن ريّان . وولده تاج الدين محمد . والقاضي جمال الدين سليمان بن أبي الحسن . وولده كمال الدين إبراهيم .

(١) - وهو أخوه . انظر المنهل : ٣٥٦/٥ .

(٢) - ثمة انقطاع في سياق الخبر ههنا يوضحه ما في الدرر ، وهو : « وأرسل إليه عسكرياً ففرّ ، فلم يزل أمير الحاج يستبيله حتى عاد » .

٦٦٥ - رَنكَال*

بالراء والنون الساكنة والكاف وبعدها ألف ولام : الأمير سيف الدين بن أَشْبُغَا ،
أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق .

كان أبوه من كبار بيوت المغول ، وهو إذا رَأَيْتَهُ يَغْتَالُ عَقْلَكَ مِنْهُ غُول ، شكلاً
تاماً ضخماً ، وَمَنْ لَمْ تَوْجِدْ لَهُ فِي الْمَعْرِفَةِ عَزْماً^(١) ، سَلِمَ الْبَاطِنُ وَالطَّبَّاع ، يَرْغَبُ فِي
الْعَزَلَةِ عَنِ النَّاسِ وَالْإِنْجَاع .

جَرَّدَ إِلَى بَيْرُوتَ فَكَأَنَّمَا جَرَّدَ مِنْهَا إِلَى تَابُوتِ^(٢) ، لِأَنَّهُ مَا حَمَلَ رَنكَالُ مِنْهَا رَنكَا ،
وَجَدَ الْبَيْلَى فِي جَسَدِهِ وَأُنْكَى .

وتوفي في بيروت - رحمه الله تعالى - في العَشرِ الأوسطِ من شهر ربيع الآخر سنة
تسع وأربعين وسبع مئة .

* الوافي : ١٤٧/١٤ .

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ طه : ١١٥/٢٠ .

(٢) عبارة الوافي : « تَوَجَّهَ مَجْرَداً إِلَى بَيْرُوتَ لِيَكُونَ قِبَالَةَ الْفَرَنْجِ الَّذِينَ جَاءُوا عَلَى ظَهْرِ الْبَحْرِ لِيَتَحَرَّمُوا فِي
السَّاحِلِ » .

حرف الزاي

الألقاب والأنساب

- ☆ الزَارُزاري : شرف الدين موسى بن علي .
- ☆ الزَرِيْزاني : تقي الدين عبد الله بن محمد .
- ☆ ابن الزَرِيْزير : الكتّاب الحاسب علي بن معالي .
- ☆ ابن الزَرَاد : محمد بن أحمد .
- ☆ ابن الزمر : الإمام النحوي أحمد بن إبراهيم .
- ☆ الزَرّاق : الأمير عز الدين أيّدمر . والأمير علم الدين سنجر .
- ☆ ابن الزَبَطَر : عيسى بن موسى .
- ☆ الزَرْنُدي : جلال الدين عبد الله بن أحمد .
- ☆ الزَّرعي : جماعة : شهاب الدين أحمد بن عمر . وبدر الدين محمد بن سليمان .
والقاضي ناصر الدين الزَّرعي ناصر بن منصور .
- ☆ أبو زُرعة : محمد بن يونس .

٦٦٦ - زكريا بن أحمد*

ابن محمد بن يحيى بن عبد الواحد [ابن]^(١) الشيخ عُمر الملك أبو يحيى صاحبُ

* الوافي : ٢٠٨/١٤ ، والبداية والنهاية : ١٢٩/١٤ ، الدرر : ١١٣/٢ ، والشذرات : ٧٦/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٦٣/٥ .

(١) زيادة من المنهل .

تونس وطرابلس والمهدية وقابس وتوزر وسوسة ، البربري المغربي الهنتاني المالكي اللحياني .

كان فقيها ، فاضلا نبيها . قد أتقن العربية ، واطّلع على غوامض المعاني الأدبية ، ونظم الشعر ، وأتى فيه بالسّحر . وكانت له فضائل ، وعنده من العلم خائِرٌ كأنها خائل . إلا أنه كان مبْخلًا ، فلذلك لم يستمر مُبْجلًا .

ملّك هذه النواحي ، وحكم على مُدنها والضواحي ، وابتمت بملكه الشغور البسامة من الأماحي . ثم إنه رَفَضَ مَلَكه ، وقطع من ذلك سِلْكَه . وجاء إلى الإسكندرية وأقام بها واتخذها وطنًا ، ولم يَضُقْ بذلك عَطْنًا .

ولم يزل على حاله إلى أن أغمِصَ طَرْفُه ، ومال عليه من الموت جَرْفُه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في المحرم سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده بتونس سنة نيف وأربعين وست مئة .

كان اللحياني قد وزر لابن عمه المُسْتَنْصِرُ مَدَّة ، ثم إنه ملك سنة ثمانين وست مئة ، ثم خلع ، ثم إنه حج سنة تسع وسبع مئة ، واجتمع بالشيخ تقي الدين بن تيمية .

وَرَدَ إلى تونس وقد مات صاحبها ، فَلَكَوْه سنة ثمانين عشرة ^(١) وسبع مئة ، فوثب على تونس قرابته أبو بكر ، فسار اللحياني إلى ثغر إسكندرية إحدى وعشرين وسبع مئة ، وقد رفض المُلْك ، وأقام بها إلى أن مات .

وكان جدُّهم من أكبر أصحاب ابن تومرت ، وكان اللحياني قد أسقط من الخطبة ذِكْرَ المَهْدِيِّ المعصوم ^(٢) ، وكان جدُّ أبيه قد ملك الغرب ^(٣) بضْعاً وعشرين سنة ، ثم ابنه

(١) عبارة الوافي : « فَلَكَوْه سنة إحدى عشرة ثم سافر إلى طرابلس سنة ثمانين عشرة » . هذا هو الصحيح ، ويؤكد ما في البداية ، والشذرات ، والمنهل .

(٢) هو ابن تومرت كما نُصَّ على ذلك .

(٣) في الوافي : المغرب .

المستنصر الملقب بأمير المؤمنين ، وذلك في الدولة الظاهرية ، ودامت دولته إلى سنة ست وسبعين وست مئة . وكان شهماً ذا جبروت ، وتسلمن بعده ابنه الواثق بالله يحيى ، ثم خلع بعد سنتين وأشهر ، وتملك المجاهد إبراهيم ، فبقي أربعة أعوام ، ثم توثب عليه الدعي أحمد بن مرزوق^(١) البجائي الذي زعم أنه ولد الواثق ، وتم ذلك له ، لأن المجاهد قتل الفضل بن الواثق سراً ، فقال : هذا : أنا هو الفضل ، وملك عامين . وقام عليه أبو حفص أخو المجاهد ، فهرب الدعي ، ثم أسير وهلك تحت السياط بعد اعترافه أنه دعي . فتملك أبو حفص ثلاثة عشر عاماً ، وأحسن السيرة ، ثم مات سنة أربع وتسعين وست مئة ، وقام أبو عبيدة محمد بن الواثق ، فملك^(٢) خمسة عشر سنة . وكان صالحاً مشكوراً ، وكان اللحياني قد لقب القائم بأمير الله .

ومن شعره ...^(٣)

٦٦٧ - زكري بن يحيى *

ابن هارون بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن عبد الله ، بدر الدين الدشنأوي ، بالبدال المهمل والمهملة والشين المعجمة والنون ومن بعدها ألف وواو : التونسي .

كان فقيهاً أديباً ، نبهاً أريباً ، له نظم كأن قوافيه كؤوس ، أو أزهراً روضة زاكية الغرُوس . حدث بشيء منه ، ورواه الأكبر عنه .

ولم يزل بالقاهرة إلى أن كمل مدته ، وسكن الموت شترته وحديثه .

(١) في الأصل : « مرمان » ، وأثبتنا ما في الوافي ههنا ، وما جاء في ترجمة أحمد هذا ١٧٥/٨ ، ووفاته (٦٨٣ هـ) . وفي المنهل : « مروان » .

(٢) في الوافي : « فتملك » .

(٣) وكذا في الوافي .

* الوافي : ٢٠٩/١٤ ، والطالع السعيد : ٢٤٨ ، والدرر : ١١٤/٢ ، والمنهل : ٣٦٥/٥ ، وفي الثلاثة الأخيرة : « زكريا » .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة ... وسبع مئة^(١).

وروى عنه من شعر زين الدين عمر بن الحسن بن حبيب^(٢) وغيره .

أنشدني من لفظه الحافظ فتح الدين أبو الفتح اليعمرى قال : أنشدني من لفظه
ملغزاً في طَبِيرُس :

وما اسم له بَعْضُ هَوَائِمِ قَبِيلَةٍ وتصحيفُ باقِيهِ تُلَاقِي به العِدَى
وإن قُلْتَهُ عَكْساً فتصحيفُ بَعْضِهِ غِيَاثٌ لِظُمْآنٍ تَأَلَّمَ بالصِّدَى
وباقِيهِ بالتَّصْحِيفِ طَيْرٌ وَعَكْسُهُ لِكُلِّ الْوَرَى عِلْمٌ مُعِينٌ عَلَى الرَّدَى^(٣)

ومن شعره في راقص :

يَا مَنْ غدا الحُسْنُ إِذْ غَنَى وماسَ لَنَا مُقَسِّمًا بَيْنَ أَبْصَارٍ وَأُشَاعٍ^(٤)
قاسوك بالغُضْنِ رَقْصاً وَالْهَزَارِ غِنَا وما يُقَاسُ بِمَيَّاسٍ وَسَجَّاعٍ^(٥)
قد تَسْجَعُ الْوُرُقُ لَكِنْ غَيْرَ دَاخِلَةٍ ويرقصُ الغُضْنُ بَلْ فِي غَيْرِ إِيقَاعٍ^(٦)

ومنه :

لَا تَسَلِّني عَنِ السُّلُوءِ وَسَلِّ مَا صنعتُ بي لطفاً مُحَاسِنُ سَلَمَى
أوقعتُ بَيْنَ مُقْلَتِي وَرُقَادِي وَسَقَامِي والجسمُ حَرْباً وَسَلَمًا^(٧)

(١) وكذا في الوافي . وفي الدرر والمنهل : بعد سنة ٧٠٠ هـ ، وفي الطالع سنة (٧٠٢ هـ) ظناً .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) الأبيات في الطالع السعيد .

(٤) في الأصل والوافي : « مقسم » ، ولا وجه لها ، والصواب النصب ، وعليه الدرر ، والمنهل ، وفي بعض

أصول المنهل الخطية : « مقسم » .

(٥) في الوافي والمنهل : « رطباً » .

(٦) في الوافي والمنهل : « البان » .

(٧) هما في الطالع السعيد ، والمنهل .

ومنه في مليح خطائي^(١) :

فقال لي العذول أراك تبكي فقلت له بكيتُ على خطائي^(٢)

وقلت : أراد التورية بالخطأ مَهْمُوزاً مقصوراً ضد الصواب ، عن الخطائي وهو المليح التركي الخطائي ، وهو ممدود مهموز ، فما قعدت معه التورية ، وكذلك استعمله جمال الدين بن نباتة فقال :.....^(٣)

وهو من المادّة الأولى في الخطأ وسوء الاستعمال . هذا الكلام على الفصح الذي هو المشهور عند أهل العلم . وأمّا اللغة المزدولة المرجوحة الضعيفة التي هي غير فصحي فذاك بمعزل عن الانتقاد .

ومّا قلت أنا في مليح خطائي :

أحببتُ مِنْ تَرَك الخطا ذا قامّة
إِيَّامُ وجفونَه فأنا الذي
فضحتُ غصونُ البان لما أن خطّا
سَهْمُ أصاب حشاه من عين الخطّا
وقلت أيضاً :

يا قلبُ لا تُقَدِّمِ على
ومن العجائب أَنّه
سحر الجفونِ إذا سَطَا
أضحى يَصْحُ مع الخطّا

ومن نظم بدر الدين الدشناوي - موشح :

(١) في الطالع : « قوله في شاب خطائي أبيات ، الثاني منها »

(٢) في الوافي والمنهل : « علام » .

(٣) كذا يياض في الأصل ، والوافي ، تمتح محقق الوافي : « بيت لابن نباتة هو :

عذول يَحْذُلُكَ عَيْنُ الصواب ودع في الهوى لي عين الخطّا »

عن ديوانه ٢٨٧ .

أَيُّـمَـا مَن عَلَيَّ تَجَنَّى وَقَدْ حَازَ لَظْفَ الْمُعَنَّى ^(١)
 أَجْعَلْ مَن صُدُوكَ أَمْنًا ^(٢)
 وَارْحَمْنِي وَهَبْ لِي وَضْلاً بِهِ أَتَمَّلاً
 وَكُنْ لِمَكَارِمِ أَهْـلٍ هَذَا أَحْلَى ^(٣)

٦٦٨ - زكري بن محمود بن زكري*

الشيخ الفقيه الإمام زكي الدين البصري الحنفي ، مدرّس الشبلية ^(٤) ، وكان قد درّس أولاً بالمدرسة الفرخشاهية ^(٥) ، ثمّ إنه درّس أياماً يسيرة في آخر عمره بالشبلية عوضاً عن فصيح الدين المارديني ، وأخذت منه الفرخشاهية ، وكان ذلك في بعض جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وست مئة .

وتوفي زكي الدين المذكور في سادس عشر رجب من السنة المذكورة ، وكانت مدّة الولاية أربعين يوماً .

٦٦٩ - زكري بن يوسف**

ابن سليمان بن حامد البجلي : الشيخ الإمام البارع زكي الدين الشافعي . كان شيخَ تعليم وحَبْرَ تفهيم . قرأ عليه جماعة من الطلاب ، وانتفع به زمرة من

(١) كذا في الوافي ، والطالع ، وفي الأصل : « تحى » .

(٢) في الطالع : « اجعل لي من ... » .

(٣) في الطالع : « هذا أهنا وأحلى » .

* لم تقف على ترجمة له . وأشار إليه صاحب الدارس : ٤١٣/١ .

(٤) أنشأها شبل الدولة كفور الحسامي (سنة ٦٢٣ هـ) ، الدارس : ٤١٣/١ .

(٥) أنشأتها حظ الخير خاتون بنت إبراهيم والددة عز الدين فروخشاه سنة (٥٧٨ هـ) الدارس : ٤٣١/١ .

** الوافي : ٢١١/١٤ ، ووقع بلفظ (زكريا) في البداية والنهاية : ١٠٢/١٤ ، والدرر : ١١٥/٢ ،

والدارس : ٢٥٤/١ .

ذوي القرائح والألباب ، وكان له قدرة على الإفاده ، وردّ الدرس والإعاده ، يجلس في الحائط القبلي ، وَيَظُنُّ من يراه لحسن سَمْتِه أَنَّهُ الْجَنَيْدُ ^(١) أو الشُّبْلِي ^(٢) .

ولم يزل على حاله إلى أنْ عزَّ لحاقه ، وأوحش الطلبة فراقه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث عشري جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمسين وست مئة .

وأول ما خطب نيابةً عن الشيخ جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني بجامع دمشق في يوم الجمعة ثاني عشر شهر رجب سنة خمس عشرة وسبع مئة .

وكان ملازماً للإشغال والإفاده والصلاة في الجامع الأموي ، وكانت حلقاته في الحائط القبلي من الجامع الأموي .

ودرس بالطيِّبة ^(٣) والأسديّة ^(٤) ، وأعاد بالعدراوية ^(٥) والعصرونية ^(٦) .

وسمع من جمال الدين الصيرفي ، ومن عليّ بن البالسي ، ومن الشيخ شمس الدين ، ومن ابن البخاري ، ومن محمد بن القوّاس ، وعمر بن عصرون ^(٧) ، والرشيد العامري وغيرهم ، وحدث .

(١) الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي ، متصوّف (ت ٢٩٧ هـ) ، وفيات الأعيان : ٣٧٢/١ ، والأعلام : ١٤١/٢ .

(٢) دلف بن جدر ، ناسك متصوّف (ت ٣٣٤) ، وفيات الأعيان : ٢٧٣/٢ ، والأعلام : ٣٤١/٢ .

(٣) بناها العابد علي بن أبي بكر قبلي النورية . الدارس : ٢٥٤/١ .

(٤) أنشأها أسد الدين شيركوه . الدارس : ١١٤/١ .

(٥) أنشأتها الست عنراء بنت نور الدولة شاهنشاه أيوب المتوفاة (٥٩٣ هـ) . الدارس .

(٦) داخل باب الفرج شرقي القلعة ، أنشأها عبد الله بن محمد بن أبي عصرون (ت ٥٨٥ هـ) ، الدارس : ٣٠٢/١ .

(٧) عمر بن محمد بن عبد الله بن أبي عصرون (ت ٦٨٢ هـ) ، الشذرات : ٣٧١/٥ .

[الألقاب والنسب ^(١)]

☆ بنو الزكي : عبد العزيز عماد الدين بن يحيى . والقاضي تقي الدين عبد الكريم بن يحيى بن محمد .

٦٧٠ - زمرد بنت أيرق *

بفتح الهمزة وسكون الياء آخر الحروف وراء بعدها قاف : الخطوئية ^(٢) زوج شيخنا أثير الدين ، والده نزار الآتي ذكرها إن شاء الله تعالى في حرف النون .
سَمِعْتُ مِنْ جَمَاعَةٍ وَحَدَّثْتُ .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأتُ عليها بَمَكَّةَ جزءاً خَرَّجَهُ لَهَا زوجها أثير الدين ، وكان لها في صحبتِهِ نحو من أربعين سنة .

رَوَتْ عن الأبرقوهي والدمياطي وابن الصَّوَّافِ وابن السَّقَطِيِّ ^(٣) والعجوي وعبد القادر بن الصَّعْبِيِّ وزينب الإسعديَّة .

توفيت رحمها الله تعالى سادس عشر ربيع الآخر سنة [ست ^(٤)] وثلاثين وسبع مئة ، ودُفِنَتْ عند ابنتها في البرقية داخل القاهرة ، ورثاها الشيخ بأبيات ، وجاوزت الخمسين .

(١) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

* الدرر : ١١٦/٢ .

(٢) كذا ، ولم يتضح مراده من هذه النسبة .

(٣) محمد بن عبد العظيم ، ستأتي ترجمته .

(٤) زيادة من الدرر .

الألقاب والأنساب

☆ الزملكاني : فتح الدين أحمد بن عبد الواحد . والشيخ كمال الدين قاضي القضاة محمد بن علي . وعماد الدين محمد بن أحمد .

☆ الزنكلوني : الشيخ مجد الدين إسماعيل بن أبي بكر .

☆ ابن الزبيق : الأمير نجم الدين داود بن أبي بكر . وولده الأمير ناصر الدين محمد بن داود .

☆ الزيرباج : الأمير حسام الدين لاجين .

☆ زهراء : بنت عبد الله بن محمد بن عطا : هي ابنة قاضي القضاة شمس الدين الحنفي ، وهي أمّ علاء الدين علي بن ناصر الدين داود بن بدر الدين يوسف بن أحمد بن مقلّد الأذرعي الحنفي .

☆ ابن زهرة : السيّد نور الدين حسن بن محمد بن علي . وشمس الدين الحسين بن علي .

☆ ابن زنبور : الوزير علم الدين عبد الله بن أحمد .

☆ الزواوي : شرف الدين عيسى بن مسعود .

٦٧١ - زيد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز*

الشيخ الفقيه زين الدين أبو كبير المغربي الشافعي .

كان عنده مشاركة في فقه وأدب ، وتواريخ ووقائع وأيام العرب ، حسنَ المحاضرة

حُلُو المذاكره ، إلا أنه كان لتأخره عن المناصب يُمنَى من حسده بالعذاب الواصب^(١) ،
فينطوي على إحنٍ وِترات ، وينبض القسيّ الواترات .

ووقف مرّات بين يدي النّوّاب ، وكاد يُمتهن بأيدي الحجاب ، وجرت له في ذلك
وقائع ، واتفقت له بدائئة فيها بدائع ، وما أنجح له فيها عناء ، ولا رشح له إناء :

إذا لم يكن عـون من الله للفقى فأكثر ما يجني عليه اجتهاذه
وكان لا يزال مصفراً ، معلولاً مُعَفِّراً .

ولم يزل على حاله إلى أن ضُرب زيد ، وأصبح يرُسّف من العدم في قيد .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر الله المحرم سنة اثنتين وستين وسبع مئة . ولعله قد
قارب الستين أو تعدّاها بقليل .

وكان قد باشر في صنف قضاء بعض النواحي ، وعاد إلى دمشق وبقي فقيهاً
بالمدارس ، وكان مقيماً بالمدرسة الأكرزية^(٢) على باب الخواصين ، وتوجه إلى مصر
مرّات ، وأحضر تواقع بولايات ، ولم تُمض ، وكان لا يزال خاملاً . وتوفي رحمه الله
تعالى بعلّة الاستسقاء .

كتب هو إلى مُلغزا :

يامولانا أثقل الله بفواضلك الكواهل ، وأخل بفضائلك الأوائل من الأفاضل ،
إن أمكن أن تلمح هذا اللغز اللطيف ، وتعطيه حظاً من سيال فكرك الشريف ، تقلّد
المملوك به مائة الفضل العميم ، وتحلّي بورود لفظه كما يتحلّى بوجود شخصه بين يدي
سيد كريم ، وهو :

(١) أي الدائم الثابت .

(٢) في الأصل : « الا لأكريّة » ، سهو ، وهذه المدرسة بناها أسد الدين أكرز سنة (٥٨٦ هـ) ، الدارس :

ما اسمٌ يعتني الصائمون غالباً بتحصيله ، ويتنافس الأكابر منهم في جلته وتفصيله ،
خاسي الحروف في الترتيف والترتيب ، مسطح الشكالة في البساطة ، كُريّ عند
التركيب ، إن حذفت خُمساً رأيته طائراً وسيما قصّ الأثر فاهتدي به ، وغالب في طُرق
اللؤم تميماً^(١) ، وإن اختلس في أوله كان في الثغور الحصينة لآئياً في الليل البهيم ، وفي
سورة القلم ناراً أحرقت الجنة التي أصبحت كالصريم^(٢) .

عزمت على إهدائه غير مرّة إلى بابك العالي فأمسكت عن قصدي
فقد قيل عادات الأكابر أنهم ياهدائه أولى فما جُزْتُ عن حدّي
فأوضحه لي معنى وإن شئت صورة وإن شئت فازرسم لي فياني به أبدي
فكتبت إليه الجواب عن ذلك ، وهو في « قطائف » وجهزت إليه منه صحناً :

أمولاي بدر الدين مثلك من يهدي نداء وإن كان الضلال غدا يهدي
بعثت بلغز قد حلا منك لفظه فأخل ذكر القطر فضلاً عن الشهد
فسامح فقد أوضحته لك صورة على أنه لابد من شرح ما عندي

يا مولانا هذا لغزك بديع المعنى ، بعيد المبني ، يترشفه السمع سلاقه ، ويتلقفه
البصر ورداً جنياً متى أراد اقتطافه ، قد أغربت في قصده وأحكمت عقد بنده ، دُلّني على
معناه حسن مبناه ، وقرب البيان من مغناه ، فلك الفضل في حله وسجّ وابله وطلّه .
ومن غرائب خواصّه أنّه أخذ من اللبن والحلاوة حظاً ، ومتى صحّفت ثلاثة أخماسه عاد
فظاً ، قد راقّت العيون ملاحظته ، وحشيت بالقلوب حلاوته ، يختصّ بشهر رمضان ،
لأن في قلبه حلاوة كحلاوة الإيمان ، بعضه يُقلّي وكلّه محبوب ، وآخره تحثّ القطر

(١) يشير إلى قول الطرماح :

تم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت درب المكارم ضلّت

(٢) وذلك قوله تعالى : ﴿ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ﴾ فأصبحت كالصريم ﴿ القلم :

وأوله فوق الجمر المشبوب ، يروقه إذا نثرت عقده ، وفصلت زوجه وفردّه ، وأشبهه شيء بالكواعب إذا اشتلت بالمناشف الحمل ، وأحسن ماترى ثرياه إذا اجتمع شملها وتكمل ، وأليق ما ينشد إذا جفّ ثراها وانفصمت عراها :

ألا يا سلمي يادارميّ على البلى ولا زال منهالاً بجرعائك القطر^(١)

٦٧٢ - زين العرب *

بنت تاج الدين عبد الرحمن بن عمر بن الحسن بن عبد الله السلمي الدمشقي المعروفة ببنت الجويراني .

حجّت وجاورت بمكة ، وكانت شيخة رباط الحرمين ، وأقامت برباط درب النقاشة ، وتزوجت بالكمال بن العماد الأشتر ، وفارقها^(٢) سنة ثمان وخمسين وست مئة ، ولم تتزوج بعده . وهي بنت أخي النجيب محاسن العدل .

وسمعت من الشيخ تاج الدين القرطبي^(٣) (الأربعين السباعيات) لعبد المنعم الفراوي ، وحدثت بها غير مرّة ، وسمعت من العز عبد العزيز بن عثمان الإربلي .

وأجازها في سنة ست وثلاثين وست مئة السخاوي ، وأبو طالب بن صابر ، وإبراهيم الخشوعي^(٤) ، وكريمة^(٥) ، وجماعة من أصحاب ابن عساكر .

وأقعدت في آخر عمرها . وكانت تحفظ أشياء حسنة .

(١) البيت لذى الرمة ، انظر : ديوانه ٢٠٦ .

* الدرر : ١١٧/٢ .

(٢) في الأصل : « ورافقها » ، ولم تستقم العبارة ، ولعلّ ما أثبتناه أقرب .

(٣) هو أبو الحسن محمد بن أبي جعفر أحد بن علي القرطبي . توفي سنة (٦٤٣ هـ) . العبر : ١٧٩/٥ .

(٤) توفي سنة (٦٤٠ هـ) . العبر : ١٦٤/٥ .

(٥) كريمة بنت عبد الوهاب القرشية الزبيرية (ت ٦٤١ هـ) . العبر : ١٧٠/٥ .

وتوفيت رحمها الله تعالى في أوائل سنة أربع وسبع مئة .
ومولدها تقريباً سنة ثمان وعشرين وست مئة .

الأنساب والألقاب^(١)

☆ زين الدار وجيهية : بنت المؤدب علي بن يحيى ، يأتي ذكرها إن شاء الله تعالى في مكانه من حرف الواو .

٦٧٣ - زينب بنت عمر*

ابن كندي بن سعيد بن علي ، أم محمد ، ابنة الحاج زكي الدين الدمشقي ، زوجها ناصر الدين بن قرقيسن معتمد قلعة بعلبك .

كانت امرأة صالحة خيرة دينة لها برّ وصدقة ، بَنَتْ رباطاً ، ووقفت أوقافاً ، وعاشت في خير ونعمة ، وحجّت وزوّت الكثير ، وتفرّدت في الوقت .

أجاز لها المؤيد الطوسي وأبو روح الهروي^(٢) وزينب الشعرية وابن الصفار وأبو البقاء العكبري^(٣) وعبد العظيم بن عبد اللطيف الشرايبي وأحمد بن ظفر بن هبيرة^(٤) .

حدثت^(٥) بدمشق وبعلبك .

(١) زيادة يقتضيهامنهج المؤلف .

* الوافي : ٦٦/١٥ ، والشذرات : ٤٤٨/٥ ، والعبر : ٣٩٨/٥ .

(٢) عبد المعز بن محمد (ت ٦١٨ هـ) السير : ١١٤/٢٢ ، والعبر : ٧٤ .

(٣) عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦ هـ) ، الشذرات : ٦٧/٥ .

(٤) (ت ٦٢٠ هـ) ، الإعلام للذهبي : ٢٥٥ .

(٥) في الأصل : « حدث » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .

وسمع منها أبو الحسين اليونيني^(١) وأولاده وأقاربه ، وابن أبي الفتح^(٢) ، وابنائه ، والميزي ، وابن الكبير ، وابن النابلسي والبرزالي وأبو بكر الرحي^(٣) وابن المهندس .
وقرأ عليها شيخنا الذهبي من أول (الصحيح) إلى أول النكاح ، وسمع منها عدة أجزاء .
وتوفيت رحمها الله تعالى بقلعة بعلبك سنة تسع وتسعين وست مئة .

٦٧٤ - زينب بنت أحمد*

ابن عمر بن أبي بكر بن شكر الشیخة الصالحة المعمرة الرحلة أم محمد المقدسية الصالحة .

سمعت من ابن اللقي ، وجعفر الهمداني . وتفردت في وقتها .
وحدثت بدمشق ومصر والمدينة والقدس .
كانت تقيم مع ولدها ، وكان مهندساً . وهي والدة الشيخ محمد بن أحمد القصاص .
توفيت رحمها الله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة^(٤) .

٦٧٥ - زينب بنت سليمان**

ابن إبراهيم بن رحمة الإسعدي المسندة المعمرة الدمشقية ، نزيلة القاهرة .

- (١) علي بن محمد بن أحمد ، ستأتي ترجمته .
- (٢) محمد بن أبي الفتح البعلبي الحنبلي ، ستأتي ترجمته .
- (٣) أبو بكر بن قاسم بن أبي بكر (ت ٧٤٩ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٢٧٧/١ .
- * الوافي : ٦٦/١٥ ، والدرر : ١١٨/٢ ، والشذرات : ٥٦/٦ ، وذیوة العبر : ١٢٦ .
- (٤) في ذیول العبر أنها ماتت عن أربع وتسعين سنة ، وهذا يعني أن مولده نحو سنة (٦٢٨) .
- ** الوافي : ٦٧/١٥ ، والدرر : ١١٩/٢ ، والشذرات : ١٢/٦ ، وذیول العبر : ٣٣ ، وفيه : « بنت سليمان بن رحمة » .

سمعت (الصحيح) من الزبيدي ، ومن شمس الدين أحمد بن عبد الواحد البخاري ، وابن الصباح ، وعلي بن حجاج ، وكريمة . وأجازها خلق .
وسمع منها شيخنا الذهبي .

وتوفيت رحمها الله تعالى سنة خمس وسبع مئة ، وهي في عشر التسعين .

٦٧٦ - زينب بنت أحمد كمال الدين *

ابن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي .
شيخة مشيخة^(١) مسندة .

سمعت من محمد بن عبد الهادي^(٢) ، وإبراهيم بن خليل ، وابن عبد الدايم ،
وخطيب مرزا ، وعبد الحميد بن عبد الهادي^(٣) ، وعبد الرحمن بن أبي الفهم^(٤) اليلداني ،
وأجازها إبراهيم بن الخير وخلق من بغداد .

أجازت لي سنة تسع وعشرين وسبع مئة بدمشق .

وتوفيت رحمها الله تعالى سنة أربعين وسبع مئة ، في تاسع عشر جمادى الأولى عن
أربع وتسعين سنة .

* الوافي : ٦٨/١٥ ، والدرر : ١١٧/٢ ، الشذرات : ١٢٦/٦ ، وذبول العبر : ٢١٣ .
(١) ليست في الوافي .

(٢) ابن يوسف بن محمد بن المقدسي الجاعلي (ت ٦٥٨ هـ) ، الشذرات : ٢٩٥/٥ .

(٣) ابن يوسف بن محمد المقدسي الجاعلي (ت ٦٥٨ هـ) ، الشذرات : ٢٩٣/٥ .

(٤) في الأصل : « القاسم » ، سهو . واليلداني : نسبة إلى يلداء قرية إلى الجنوب من دمشق وأصبحت اليوم
متصلة بها . وتوفي اليلداني سنة (٦٥٥ هـ) . العبر : ٢٢٣/٥ .

٦٧٧ - زينب بنت يحيى *

ابن الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشیخة الصالحة الأصلية المسندة
أمّ محمد .

حضرت في الخامسة^(١) على عثمان بن علي المعروف بابن خطيب القرافة ، وعلى
عمر بن أبي نصر بن عوّ^(٢) ، وعلى إبراهيم بن خليل .

أجازت لي سنة تسع وعشرين وسبع مئة بدمشق .

وكتب عنها عبد الله بن المحب .

وتوفيت رحمها الله تعالى في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

٦٧٨ - زينب بنت إسماعيل بن إبراهيم **

الشیخة مسندة الشام ، أمة العزيز ، بنت المحدث نجم الدين^(٣) .

حدثت عن ابن عبد الدائم ، وخلق .

وتوفيت رحمها الله تعالى عن أكثر من تسعين سنة في المحرم سنة خمسين وسبع مئة ،
أو في أواخر [ذي] الحجة سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

* الوافي : ٦٨/١٥ ، والدرر : ١٢٢/٢ ، والشذرات : ١١٠/٦ .

(١) في الوافي : « الخامسة » .

(٢) في الوافي : « ابن عوّ » ، تحريف ، وهو عمر بن أبي نصر بن أبي الفتح الجزري (ت ٦٥٦ هـ) ،
الشذرات : ٢٨٠/٥ .

** الدرر : ١١٨/٢ ، وذبول العبر : ٢٨١ .

(٣) نجم الدين إسماعيل بن إبراهيم المعروف بابن الحجاز ، سلفت ترجمته .

٦٧٩ - زينب بنت عبد الرحمن*

ابن محمد بن أحمد بن قدامة ، الشیخة الصالحة أم عبد الله بنت الشيخ شمس الدين أبي الفرج بن أبي عمر .

سمعت من ابن عبد الدائم ، ووالدها .

وأجازت لي . وكتب عنها عبد الله بن المحب .

وتوفيت رحها الله تعالى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

* الوافي : ٦٨/١٥ ، والدرر : ١٢٠/٢ .

حرف السين

٦٨٠ - سارة بنت عبد الرحمن *

ابن أحمد بن عبد الملك بن عثمان بن عبد الله بن سعد بن مفلح بن هبة الله بن غير المقدسيّة ، أمّ محمّد الشيخ المسند شمس الدين أبي الفرج .
سمعت من إبراهيم بن خليل ، ورَوَتْ عنه .
قرأ عليها شيخنا علم الدين البرزالي بطريق الحجاز باللّجون من عمل الكرك ،
وفي الحجر .

وتوفيت رحها الله تعالى رابع عشري شوال سنة ست عشرة وسبع مئة .

٦٨١ - سالم **

الأمير سيف الدين السلاح دار .

كان أميراً كبيراً مقدّماً في الديار المصريّة ، صاهر الأمير سيف الدين سلار أيام نيابته ، وأخرجه السلطان الملك الناصر محمد إلى دمشق .
وكان إقطاعه بمصر إقطاعاً كبيراً إلى الغاية ، وكانت له بدمشق حرمة وافرة ،
وفيه ديانة وخير .

وتوفي رحمه الله تعالى في الحادي والعشرين من شعبان سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ودُفن بسفح جبل قاسيون .

* الدرر: ١٢٢/٢ .

** الدرر: ١٢٣/٢ ، وفيه : « ساطي » .

٦٨٢ - سالم بن محمد بن سالم*

ابن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن الحسن بن محمد الرئيس ، أمين الدين أبو الغنائم ابن الحافظ أبي المواهب بن صَصْرَى التغلبي الدمشقي الشافعي .

حدّث عن مكّي بن علّان . وسمع مِنْ خطيب مرّدا ، والرشيّد العطّار ، والرّضي بن البرهان ، وإبراهيم بن خليل ، وجماعة .
وكان على وجهه شامة كبيرة حمراء .

كان عدّلاً لا يقبل في المروءة عدّلاً ، ظاهر المروءة ، طاهر السريرة المحبّوه ..
باشّر الوظائف الكبار بأمانة خُشّنه ، ولم يرَ الناس منه إلّا حَسَنه ، صحب الناس وتأدّب ، وانفصل عنهم فما ندرَ أحدٌ عليه ولا نَدَب .
ولم يزل على حاله إلى أن أدرك العطب سالم ، وسلك سبيل من اندرج من العوالم .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وست مئة .

كان قد ولي نظر الخزانة ، وولي نظر الدواوين بدمشق ، وغير ذلك ، ثم إنه حجّ وجاور ، ثم عاد إلى دمشق ، وتَنظَّفَ من ذلك جميعه ، وأقبل على شأنه ، ولازم منزله حتى لقي الله تعالى .

٦٨٣ - سالم بن أبي الدّر**

الشيخ الإمام مدرّس الشامية الجوّانيّة ، أمين الدين الشافعي .

* الوافي : ٩٠/١٥ ، وتالي وفيات الأعيان : ٨٣ .

** الوافي : ٨٠/١٥ ، والدرر : ١٢٣/٢ ، والدارس : ٢٣١/١ .

قرأ على الكراسي^(١) مُدَّة ، ونسخ من مسموعاته عُدَّة ، ورَتَّب (صحيح)
ابن حَبَّان ، وروى عن ابن عبد الدائم للشبان .
وكان ذا دهاء ، ومكر بأمور الادعاء .

ولم يزل على حاله إلى أن دعاه مولاه ، وراح إلى الله وتولاه .
وتوفي رحمه الله تعالى في سابع شعبان سنة ست وعشرين وسبع مئة .
وكان إمام مسجد الفسَّار^(٢) ، وعنده خبرة بالدعاوي وتقضها .

وسمع منه شيخنا الذهبي (مشيخة) ابن عبد الدائم ، وعاش اثنتين وثمانين سنة .
وهو سالم بن عبد الرحمن بن عبد الله ، الشيخ أمين الدين ، أبو الغنائم بن أبي الدر
الدمشقي الشافعي .

كان فقيهاً فاضلاً ، اشتغل وحفظ وحصل ، ولازم الشيوخ وأثنى عليه مشايخ
عصره ، مثل الشيخ محي الدين النواوي ، وشرف الدين بن المقدسي ، وغيرها .

وكان قد اشتغل أولاً على قاضي القضاة عز الدين بن الصائغ ، وبعد ذلك على
الشيخ محي الدين النواوي . وكان إمام مسجد ابن هشام^(٣) ، ومعيداً بالمدارس ، ثم إنه
ولي تدريس المدرسة الجوانية ، وكان مشهوراً بمعرفة الحكومات ، والكتب الحكيمية ،
وكان ذا مروءة وعصبية . وكان له ثبت بمسموعاته .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

(١) قارئ الكراسي : من مجلس على كرسي في جامع أو مدرسة أو خاتقاه ، يقرأ على العامة شيئاً من

الرقائق والحديث والتفسير . (نقد الطالب لزغل للناسب : ١٦٠) .

(٢) الدارس : ٢٣٤/٢ ، والفسَّار : سوق .

(٣) هو مسجد الفسَّار نفسه . الدارس : ٢٣٤/٢ .

٦٨٤ - سالم بن ناصر الدين *

الفقيه شرف الدين .

كان قاضي قارا^(١) وخطيبها ورئيسها ، ونَجِيّ مكارمها ونجيبها ، شاعراً مفوّهاً ، أديباً لم يكن وجه فضله مُشوّهاً ، أقام بقارا مدةً من الزمان ، ومدّ فيها للأضياف كبار الجفان .

ولم يزل على حاله إلى أن درج من عش حياته ، وغاض الوفاء عند الوفادة بوفاته .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومن شعره^(٢)

٦٨٥ - سالم بن أبي الهيجاء **

ابن حميد بن صالح بن حمّاد ، الإمام الفقيه القاضي مجد الدين أبو الغنائم الأذري الشافعي .

كان فقيهاً فاضلاً ، سَوَّوساً عاقلاً ، كثير التلاوه ، وعنده بعد ذلك من الأدب علاوه ، يحفظ كثيراً من الأشعار ، ويتلقّفها ويأخذها ليلقّنها^(٣) بأعلى الأسعار . حسن الهيئه ، كريم الرجعة والقيئه ، خبيراً بالأحكام ، قويّ النفس على من تعلّى من الأنام ، وكانت له حرّمه ، ولم تحفظ عنه جرّمه .

* الوافي : ٩٢/١٥ .

(١) قارا : بلدة إلى الشمال من دمشق نحو مئة كيل ، على طريق حص .

(٢) وكذا في الوافي .

** الوافي : ٩٢/١٥ ، والدرر : ١٢٥/٢ ، وعقد الجمان : ٤١٨/٤ ، وفيات سنة (٧٠٥) .

(٣) في الأصل : « ليتلقّنها » ، ولا وجه لها .

توجه إلى مصر بعد ما انفصل من قضاء نابلس ، فأدركه أجله هناك ، وقال له عمله المبارك : بُلِّغْتَ مناك .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة ثامن عشر شهر رجب الفرد سنة خمس وسبع مئة . وعاش ثلاثاً وسبعين سنة .

ومولده بقرية جمحا ، قرية بالقرب من أذرعات .

وهو والد شمس الدين محمد محتسب نابلس ، وشهاب الدين أحمد وكيل الحاج أرقطاي .

وروى عن الحافظ ضياء الدين المقدسي .

٦٨٦ - سالم الأمين الموصلي المنجم*

كان شيخاً في النجامة قد تميّز ، ومال إلى معرفة هذا العلم وتحيز ، يحل الأزياج ويكتب التقاويم ، ويعرف عروض البلدان ومواقعها من الأقاليم ، وله دُرْبَةٌ في تلك الأوضاع ، وتلك الأمور التي لا يعرفها إلا من امتد منه الباع .

لم يزل على حاله إلى أن لم يَبْقَ عُمُرُهُ دقيقه ، واستوفى جليل أجله ودقيقه .

وتوفي رحمه الله تعالى [سنة] تسع وتسعين وست مئة .

اللقب والنسب

☆ السامري : سيف الدين أحمد بن محمد .

☆ سبط زيادة : الحسن بن عبد الكريم .

☆ ابن السابق : علي بن عثمان عبد الواحد .

☆ ابن سامة : محمد بن عبد الرحمن .

☆ السبكي : جماعة منهم : قاضي القضاة تقي الدين علي بن عبد الكافي . وولده القاضي جمال الدين الحسين . وتقي الدين محمد بن عبد اللطيف . والقاضي زين الدين عبد الكافي بن علي . وصدر الدين بن علي .

☆ ابن السبّاك : الشيخ تاج الدين الحنفي ، علي بن سنجر .

٦٨٧ - ست الوزراء *

الشيخة الصالحة المعمّرة مسندة الوقت أم عبد الله ابنة القاضي شمس الدين عمر بن العلامة شيخ الحنابلة ، وجيه الدين أسعد بن المنجا بن أبي البركات ^(١) التنوخية الدمشقية الحنبلية .

سمعت (الصحيح) و (مُسند) الشافعي من أبي عبد الله بن الزبيدي ، وسمعت من والدها جزأين .

كانت مُسندة العصر ، وخريصة الرواية في القَصْرِ ، رزقت الخطوة الباهره ، وطالت بذاك النجوم الزاهره ، فحدثت بالصحيح مرات ، وفازت من ذاك بالصلوات والمبرات ، وكانت ثابتة على طول التسميع ، مديدة الروح على الشروط وما يطرأ عليها من التفرّيع ؛ إلاّ أنها انثالت عليها الجوائز ، ولم تكن كمن عداها من العجائز .

وطلبت إلى مصر ، وسمع منها الأمير سيف الدين أرغون النائب ، والقاضي كريم الدين الكبير .

ولم تزل على حالها إلى أن لم تجد ست الوزراء من الموت وزرا ، وصال الدهر على أهلها بفقدها وزرّى .

* الوافي : ١١٧/١٥ ، والدرر : ١٢٩/٢ ، والشذرات : ٤٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٣٨٢/٥ .

(١) (ت ٦٤٠ هـ) ، الوافي : ٤٣٠/٢٢ .

وتوفيت رحمها الله تعالى سنة سبع عشرة وسبع مئة .

ومولدها سنة أربع وعشرين وست مئة .

وحجت مرتين ، وتزوجت بأربعة رجال رابعهم نجم الدين عبد الرحمن بن الشيرازي ^(١) . وكان لها ثلاث بنات .

قرأ عليها شيخنا الذهبي (مسند) الشافعي ، وهي آخر من حدث بالكتاب . وسمع منها الوافي ، وابن الحب ، والقاضي فخر الدين المصري ، والشيخ صلاح الدين العلائي ، والشيخ جمال الدين بن قاضي الزيداني ^(٢) ، وخلق كثير .

٦٨٨ - ست الفقهاء *

ابنة إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل ^(٣) ، الشیخة الصالحة المعمرة المسندة بنت الإمام تقي الدين بن الواسطي الصالحة الحنبلية ^(٤) .

سمعت حضوراً (جزء ابن عرفة) في سنة خمس ^(٥) من عبد الحق بن خلف ^(٦) . وسمعت من إبراهيم بن خليل وغيره . وسأعها قليل ، لكن لها إجازات عالية من جعفر الهمداني ، وأحمد بن المعز الحراني ^(٧) ، وعبد الرحمن بن بُنيان ، وعبد اللطيف بن القُبَيْطِي ، وروت الكثير ، وسمعوا منها (سنن) ابن ماجة وأشياء .

(١) أشار إليه صاحب الفوات غير مرة ، انظر : ١٢٠/١ ، ٢٤٤ .

(٢) محمد بن الحسن بن محمد بن عمار (ت ٧٧٦ هـ) ، الدرر : ٤٢٣/٣ ، والذيل التام : ٢٧٤ .

* الوافي : ١١٧/١٥ ، والدرر : ١٢٧/٢ ، والشذرات : ٧١/٦ .

(٣) (ت ٦٩٢ هـ) ، الوافي : ٦٦/٦ .

(٤) زاد في الوافي : ولدت تقريباً (٦٣٢ هـ) .

(٥) وثلاثين .

(٦) (ت ٦٤١ هـ) ، الشذرات : ٢١١/٥ .

(٧) هو أحمد بن محمد بن محمود (ت ٦٣٨ هـ) ، السير : ٧٣/٢٣ .

وتوفيت رحمها الله تعالى سنة ست وعشرين وسبع مئة . ولها اثنتان وتسعون سنة .

٦٨٩ - ست العرب *

ابنة سيف الدين علي بن الشيخ رضي الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الجبار المقدسي . الشیخة الصالحة أم محمد .

حضرت على ابن عبد الدائم جزء ابن عرفة ، وحدثت وسمع منها شيخنا علم الدين البرزالي ، وأجازت لي .

وتوفيت رحمها الله تعالى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وإجازتي منها كانت في سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

٦٩٠ - ست القضاة **

أم محمد بنت القاضي محي الدين بن القاضي تاج الدين أحمد الشيرازي .
قاربت التسعين سنة .

روت عن كريمة بنت عبد الوهاب (مشيختها) ثمانية أجزاء ، و (الزهاد والعباد) لابن الأزهر البلخي ، ولم يوجد لها سوى ذلك .

وتزوجت بالشيخ مجد الدين الروذراوري^(١) ، ثم بالبدر بن الخرق ، ثم بغيره .

وتوفيت رحمها الله تعالى في ثامن عشري القعدة سنة اثني عشرة وسبع مئة .

* الوافي : ١١٩/١٥ ، والدرر : ١٢٦/٢ .

** الدرر : ١٢٨/٢ .

(١) عبد المجيد (ت ٦٦٧ هـ) ، الشذرات : ٣٢٤/٥ .

٦٩١ - ست الأمناء*

بنت الشيخ صدر الدين أسعد بن عثمان بن أسعد بن المنّجا ، وهي أخت والدة الخطيب معين الدين بن المغيزل وإخوته . وكانت تدعى أم عز الدين ، وهو ولدها الأول .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : روت الحديث ، وسمعنا عليها من جدّها ، وكانت أكبر من عمّها وجيه الدين بسنتين .

توفيت رحمها الله تعالى بالسعيدية قبل دخول القاهرة في أواخر شهر ربيع الأول سنة سبع مئة في الجفل .

٦٩٢ - ست الوزراء**

أمّ محمد ابنة الشيخ العدل الرئيس تاج الدين أبي الفضل يحيى بن مجد الدين أبي المعالي محمد بن شمس الدين أبي العباس أحمد بن الشيخ المسند أبي يعلى حمزة بن علي بن هبة الله بن الحبوبي التغلبي الشيخة .

حجت وأعتقت ولازمت الخير ، وغلبت السوداء عليها آخر عمرها ، فتغيّر ذهنها نحو سنة .

لها إجازة من الشيخ علم الدين السخاوي والحافظ ضياء الدين المقدسي وعز الدين بن عساكر النسابة ، والضياء عتيق السلمي وتاج الدين القرطبي ، وسالم ابن عبد الرزاق خطيب عقرباً^(١) ، وأخيه الجمال يحيى والعز أحمد بن إدريس المزنة^(٢) ، والصفى عمر بن البرادعي ، والرشد بن مسلمة وغيرهم . وحدثت قديماً .

* لم تقف على ترجمة لها .

** الدرر : ١٢٩/٢ ، والشذرات : ٣٥/٦ .

(١) (ت ٦٤٣ هـ) ، الشذرات : ٢١٨/٥ .

(٢) كذا ، ولم تقف على ترجمته ولا على مراده .

توفيت رحمها الله تعالى يوم الخميس رابع شوال سنة خمس عشرة وسبع مئة .
ومولدها سنة تسع وثلاثين وست مئة .

٦٩٣ - ست العلماء *

المعروفة بالبلبل . شيخة رباط درب المهراي بدمشق^(١) .
كانت قوامة بالليل لأدوارها ، ملازمة للصلاة على سجّادها ، مشهورة بحسن
الوعظ والتذكير ، والمبادرة إلى المواعيد والتبكير .
ولم تزل على حالها إلى أن خرس البلبل منها ، وقام الناعي بالذكرى عنها .
وتوفيت رحمها الله تعالى ثالث عشري شهر رجب الفرد سنة اثنتي عشرة وسبع
مئة ، وكانت جنازتها حافلة بالنساء .

٦٩٤ - ست الأهل **

بنت علوان بن سعيد بن علوان بن كامل . الشيخة الصالحة المسندة البعلبكية
الحنبلية .
روت الكثير عن الشيخ بهاء الدين عبد الرحمن المقدسي ، وتفردت عنه بقطعة من
المسموعات .
قال شيخنا البرزالي : قرأت عليها بدمشق (الزهد) للإمام أحمد في أربع مجلدات
وأجزاء كثيرة . وقرأت عليها ببعلبك (عوالي) البهاء عبد الرحمن ، و (محاسبة
النفس) لابن أبي الدنيا^(٢) .

* الدرر : ١٢٧/٢ .

(١) الدارس : ١٥١/٢ .

** الوافي : ١١٦/١٥ ، والدرر : ١٢٥/٢ ، والشذرات : ٨/٦ .

(٢) أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد (ت ٢٨١ هـ) ، السير : ٣٩٧/١٣ ، والكشف : ١٦٠٨/٢ .

وكانت من أهل الدين والصلاح والقناعة ، لا تبالي بنفسها في مأكَل ولا غيره .
وتوفيت رحمها الله تعالى في تاسع عشر المحرم سنة ثلاث وسبع مئة .
وكان أبوها من الصالحين الكبار .

٦٩٥ - سْتَيْتَة*

الخاتون بنت الأمير سيف الدين كوكائي^(١) ، زوج الأمير سيف الدين تنكز رحمهم الله تعالى .

كانت خيرة صينة دينية . ترد زوجها عن أشياء كثيرة . وهي والدة الخونده أم السلطان الملك الصالح صلاح الدين صالح ، وأم فاطمة زوج الأمير سيف الدين بلجك ابن أخت الأمير سيف الدين قوصون .

توفيت رحمها الله تعالى في ليلة الاثنين ثالث شهر جب الفرد سنة ثلاثين وسبع مئة ، ودفنت في التربة التي لها^(٢) على باب الخواصين بجانب المدرسة الطيبة ، وعُمل إلى جانب التربة رباط للنساء .

وكانت قد حجّت في العام الماضي ، وتصدّقت بشيء كثير .

اللقب والنسب

☆ ابن محاب : أحمد بن سليمان .

☆ السخاوي : نور الدين قاضي القضاة المالكي ، علي بن عبد النصير .

* البداية والنهاية : ١٥١/١٤ ، والدارس : ٢١١/٢ .

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) وقعت في الدارس بلفظ : التربة الكوكبائية ، وانظر : ولاية دمشق : ١٧٢ .

٦٩٦ - السديد الدميّاطي ، الطبيب اليهودي*

كان من أطباء السلطان الملك الناصر محمد ، لا يدخل الرئيس جمال الدين بن المغربي إلى دور السلطان في الغالب إلاّ وهو معه .

وكان شيخاً قد أسن ، وأشبه الشن ، نحيفاً مائل الرقبه ، قليل البشر كما يقال ، كأنّ وجهه عقبه ، إلاّ أنه فاضل في صناعته ، ماهر في إنفاق مامعه من بضاعته ، على ذهنه شيء كثير من إقليدس ، ومسائل ممّا يحتاج إليه المهندس ، وعلى ذهنه جزء كبير من الطبيعى وغيره ، ويستحضر كثيراً من كلام الأطباء الذين يحتاج إلى أن يكونوا سبب خيره . وكان سعيد العلاج ، يكاد يبيري الاستسقاء والانفلاج ، لم يكن في عصره من له سعادة علاجه ، ولا من يدخل إلى المريض بواسطة مزاجه . حضرت علاجه في جراحة القاضي شرف الدين ناظر الخاص ، وكان إذا تكلم يُسمع له والمجلس بالأفاضل غاصّ ، وسمعت منه فوائد ، وجمعت عنه فرائد .

ولم يزل السديد إلى أن حصل به الخطب الشديد ، ولم ينفعه علاج قديم ولا جديد .

وهلك في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة فيما أظن .

وكان قد قرأ على الشيخ علاء الدين بن النفيس^(١) ، وحضر مباحثته^(٢) مع قاضي القضاة جمال الدين بن واصل^(٣) .

وذكر لي أشياء من فوائد الشيخ علاء الدين المذكور .

* الوافي : ١٢٧/١٥ ، والمنهل الصافي : ٣٨٤/٥ .

(١) علي بن أبي الحرم القرشي الدمشقي ، شيخ الطب بالديار المصرية (ت ٦٨٧ هـ) الشذرات : ٤٠١/٥ .

(٢) في الوافي : « مباحثه » .

(٣) محمد بن سالم ، ستأقي ترجمته .

الألقاب والأنساب

☆ ابن السديد : شمس الدين أحمد بن علي . وجمال الدين محمد بن عبد الوهاب .
ومجد الدين هبة الله بن علي .

☆ السروجي : قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن إبراهيم .

☆ السروجي : المحدث محمد بن عليّ .

٦٩٧ - سعد الله بن غنائم*

ابن علي بن ثابت ، أبو سعيد الحموي النحوي المقرئ الضرير .

كان ذا دين متين ، وفضل مبین ، ضرير النظر ، غزير البحث والنظر . أقرأ
الناس وأفاد ، وفاز منهم بشكرٍ ماله من نفاذ .

ولم يزل على حاله إلى أن طوّحت به الطوائح ، واجتاحته الجوائح .
وتوفي رحمه الله تعالى ستة عشر وسبع مئة^(١) .

[الأنساب والألقاب]^(٢)

☆ ابن بنت أبي سعد : فخر الدين عثمان بن علي .

والمسند ابن سعد : يحيى بن محمد .

* الوافي : ١٨٩/١٥ ، والدرر : ١٣٣/٢ ، والبغية : ٥٨٠/١ . وفي الأصل : « فائت » ، تحريف لعل صوابه
(قانت) ، وقد ردّدَ بينها صاحب البغية .

(١) قال السيوطي في البغية : « ومات بعلبك سنة أربع عشرة وست مئة ، وكذا وقع في تاريخ الصفدي
الكبير ، وقال في أعيان العصر ، وتبعه الحافظ ابن حجر في الدرر : سنة عشر وسبع مئة . وبينها بون
عظيم ، وعلى القول الأول لا يصحّ ذكره في أعيان العصر ؛ لأنه ليس من معاصريه ، ولا في الدرر ؛
لأنه ليس من أعيان المئة الثامنة » . أ. هـ .

والذي في مطبوعة الوافي أنّه توفي سنة عشر وست مئة .

(٢) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

٦٩٨ - أبو السعود*

ابن أبي العشائر بن شعبان الباذيبي ، ثم المصري . الشيخ الصالح الزاهد ، شيخ الفقهاء السعودية .

كان صاحب عبارته ، وربّ مجاز وعبارته ، وفيه انجاء وزهاده ، وأذكّار وعباده ، وله أتباع ، ومريدون يرون أن طريقه تشتري وما تباع ، وسوقه بمصر قائمه ، وقلوب أصحابه فيه هائه .

ولم يزل على حاله إلى أن فرغ الأجل منه ، وانصرف وجه الحياة عنه .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

الأنساب والألقاب

☆ السعودي : جماعة منهم : سيف الدين عبد اللطيف .

☆ السعودي : الشيخ أيوب .

٦٩٩ - سعيد بن ريّان بن يوسف بن ريّان**

الصدر الكبير الرئيس القاضي عماد الدين الطائي ناظر حلب .

كان من أحسن الناس وجهاً وقداً ، وشكالة من ألف بالنظر إليها ما تعدى ، بزّته فاخره ، وسعادته ظاهره ، واسع الصدر ، نبه القدر ، كريم البنان ، صحيح البيان ، فصيح المقالة ، سريع الإقاله ، سباطه ممدود ، واحتياطه غير مردود ، سعيد المباشرة ، حميد المعاشرة ، جيّد التنفيذ والتصرف ، خبيراً بالتودد والتعرّف ، قوي النفس لا يعبأ بمن ناواه ، ولا يبالي بمن يزعم أنه ساواه .

* الوافي : ١٩٥/١٥ .

** الوافي : ٢١٨/١٥ ، والدرر : ١٣٤/٢ ، وتذكرة النبیه : ٢٩١/٣ .

ولم يزل على حاله في تقلب الدهر به إلى أن جاءه الأمر المَقْضِيّ ، وتَصَبَّح من موته بما لا يُرضي .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن شهر رجب سنة ثمان وسبع مئة .

باشر نظر الديوان^(١) بحلب مرات ، وطلب إلى مصر وصور ، وأخذ منه على ما قيل : أربع مئة ألف درهم^(٢) .

وكان شرف الدين بن مزهر^(٣) في تلك الأيام بمصر ، وكان يحضر في دار الوزارة بقلعة الجبل ، ويشكو عطلته وبطالته وضيق ذات يده ، ويقول : والله ما تعشيت البارحة إلا على سباط عماد الدين بن ريان ، يا قوم ما هذا إلا رجل كريم النفس ، كان البارحة على سباطه من الخلاوة أربعة صحون ، وكان .. وكان .. ، ويعدّد أشياء ، يقصد بذلك أذاه في الباطن ، وهو في الظاهر يثني عليه ويتغمد له لأنه كان تلك المدة يحمل في المصادرة ، وحطّ عليه الجاشنكير ، وقال : ما بقيت أستخدمه في ديوان السلطان أبداً . فقال الأمير سيف الدين سلار : أنا أستخدمه في ديواني ، فجعله ناظر ديوانه في دمشق ، فحضر إليها ، ورأى فيها من السعادة والوجاهة والتقدم أمراً زائداً عن الحد ، وصحب الناس فيها ، وعاشر أهلها ورؤساءها من أرباب السيوف والأعلام ، وظهر بمكارم أخجلت صوب الغمام .

ولما كان في رابع شوال وصل شرف الدين عبد الرحمن بن صاحب فخر الدين بن الحليلي^(٤) مباشراً ديوان سلار عوضاً عن عماد الدين بن ريان ، وذلك سنة سبع وسبع مئة . ولم يزل إلى أن حجّ وعاد مع الركب المصري ، ورسم له بنظر حلب على عادته ، وأخذ توقيعه بذلك ، وحضر إلى دمشق ففرض بها ، ومات رحمه الله تعالى .

(١) في الوافي : « الدواوين » .

(٢) في الوافي : « أربع مئة ألف » . وفي الدرر : « أربع مئة ألف دينار » .

(٣) يعقوب بن مظفر ، ستأتي ترجمته .

(٤) هو عبد الرحمن بن عمر بن عبد العزيز ، ستأتي ترجمته .

وكان يكتب جيداً إلى الغاية ، ويقول الشعر طباعاً . كتب إلى الأمير
شمس الدين سنقر الأعسر وهو بدمشق مشد الدواوين :

يامن إذا استنخي ليوم كريهة هزّت شمائله المروءة فانتخى^(١)
أنت الذي يُخشى ويُرجى دائماً وإليك يلجأ في الشدائد والرخا
وإذا الحروب توقّدت نيرانها أطفأتها بعزيمة تجلّو الطخا^(٢)
وإذا تميل إلى الكسير جبرّته وعلى العليّ من الجبال تقسّخا
حزّت المكارم والشجاعة والفت ووة والمروءة والنباهة والسّخا
وأنت لك الأقدار فهي كما تشا بحلّك العالي غدت تجري رخا^(٣)

٧٠٠ - سعيد بن عبد الله*

الإمام الفاضل العالم الحافظ نجم الدين أبو الخير الدّهلي ، بالدار المهملة المكسورة
وبعدها هاء ساكنة ولام ، الحنبلي الهلالي^(٤) الحريري صنعة .

رحل من بغداد ، وحضر إلى الشام ، وتوجّه إلى مصر ، وثغر الإسكندرية .

أكثر عن بنت الكمال ، وابن الرضي ، وتعب وحصل الأجزاء .

وكان له عمل جيد وهمّه ، ورحلة للأقاليم وعزّمه ، لم يكن آخر وقت مثله في هذا
الشان ، ولا من يدانيه في علو المكان ؛ لأنه يعرف التراجم والوقيات ، وما فيها من
اختلاف الروايات ، وهذا أمر قلّ من رأيتّه يعتني به ، أو يرعى اختلاف ترتيبه ،

(١) في الوافي : « استنخي » .

(٢) الطخاء : الكرب على القلب .

(٣) في الوافي : « دانت لك » .

* الوافي : ٢٣٣/١٥ ، ووفيات ابن رافع : ٢٨٢/١ ، والدرر : ١٣٤/٢ ، والشذرات : ١٦٢/٥ ، وذبول العبر :

٢٧٧ .

(٤) في الوافي : « الجلاي » .

وكان بعد شيخنا الذهبي قائماً بهذا الشأن في الشام ، وبعده لم يبق في هذا الفن بشاشة تُشْتَم .

وله تواليف كَتَبْتُ عليها أنا وغيري من فضلاء العصر تقرّضاً^(١) ، ومدحناه فيها تصريحاً لا تعريضاً .

ولم يزل بدمشق على حاله إلى أن تعرّس سعيدٌ في طريق أجله ، وراح إلى الله تعالى في عجله ، لأنه بصق دماً يومين ، ومات في الثالث رحمه الله تعالى وذلك في خامس عشري القعدة سنة تسع وأربعين في طاعون دمشق .

ومولده سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

وكان قد سمع عليّ بعض تواليفي .

قال شيخنا الذهبي : سمع المزي من السروجي عنه . ومن تصانيفه كتاب (تفتت الأكباد في واقعة بغداد) ، وكتبت له عليه تقرّضاً . و (الرحلة الثانية إلى مصر) ، وكتبت له عليها ما نسخته : وقفتُ على هذا السلك الذي جمع دُرّ القريض ، والروض الذي تنظر النجوم الزُّهر إلى زهره استحياءً بطرفٍ غضيض ، والسحر الذي مانفت مثله في أحشاء العشاق كلُّ طرف فاتر ولا جفنٌ مريض ، والأدب الذي لو حاوله شاعر لوقع منه في الطويل العريض ، لأنه اختيار الشيخ الإمام الرحال الجوّال نجم الدين سعيد الدّهلي الحريري الحنبلي أدام الله به الانتفاع ، وشَنَفَ بأقواله الأسماع :

إمام إذا ناداه في الفضل حاسد تعرّسَ علماً إنّ ذاك سعيدٌ
كذلك لو جاره في أمدِ العُلا لقلنا اقتصر فالنجم منك بعيد

ولم يسمّه بالفوائد سدى ، ولا وسمه بهذه السمة إلا وهي واضحة الهدى ، علماً منه بأنّ الفاضل لن يجهله ، وأنّ الفوائد جمع لا نظير له ، فالله تعالى يتع الفضلاء بفوائده

(١) التقرّض : المدح والذم ، ضدّ .

المدونة ، ومحاسنه التي هي كفواكه الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة^(١) ، بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى .

كتب في شهر ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

٧٠١ - سعيد بن أحمد بن عيسى *

الشيخ الإمام الفاضل العدل نجم الدين ، القاضي أبي العباس الغماري المالكي .

كان معيداً بالمدرسة الناصرية والمنكوتريّة . كان فيه مخالطه ، وإيهام للناس بالناس ومغالطه ، مع كَيْسٍ وَلُطْفٍ ذَوْقٍ ، وتقلباتٍ لا يجيء فيها إلاّ من فوق ، وعنده فقه ، وله نظم مابه من باس ، ومحاضرة مَخْرَقَ بها فستر ذلك الإلباس ، وحصل من الدنيا جُملة وافرة ، ولم يكن له من يرثها بعده ، ولم يتزوّد منها غير الكفن لما نزل لَحْدَه .

ولم يزل على حاله إلى أن طُمس نَجْمُه ، ورُمِس فوقه رَجْمُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، ودفن في مقابر باب النصر بالقاهرة .

كانت فيه مُداخلة للناس ومزاحمة ، وكان يصحب أولاد ابن الأثير ، وأوهم بذلك حتى قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى ، فكان لا يجهّز إلى مصر شيئاً حتى يجهّز إلى النجم سعيد نصيبه .

وخلف جملة صالحة ، ولم يكن له وارث .

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ﴾ الواقعة : ٢٢/٥٦ .

* الدرر : ١٣٤/٢ .

٧٠٢ - سعيد بن محمد بن سعيد*

القاضي الرئيس الأصيل الكاتب ، شمس الدين بن الأثير الموقع .
 كان رجلاً عاقلاً ملازماً لوظيفته ، لا يُدْخِلُ نَفْسَهُ فيما لا يعنيه . وله اشتغال ،
 وولي كتابة الإنشاء بدمشق .
 وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشر القعدة سنة إحدى وسبع مئة ، ودفن بسفح
 قاسيون بترية اشترت له .

٧٠٣ - سعيد بن محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد**

القاضي شمس الدين بن الصدر شرف الدين بن الأثير ، سبط القاضي
 محبي الدين بن فضل الله .
 توفي رحمه الله تعالى شاباً ابن ثمانين سنة ، وفجعت والدته فيه .
 وكان من جملة كتاب الإنشاء . وكتب صداقه ، ولم يدخل بزوجه .
 ومات في جمادى الأولى سنة عشرين وسبع مئة .

٧٠٤ - سَفَرى***

بنت يعقوب بن إسماعيل بن عمر ، عرف بقاضي الين ، الشیخة الصالحة المعمرة أم
 محمد .

سمعت من جدّها إسماعيل ، وأخيه إسحاق (جزء) أبي القاسم الكوفي . أجازت

* الدرر : ١٣٦/٢ .

** الدرر : ١٣٦/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٨٧ .

*** الوافي : ٢٧٨/١٥ ، والدرر : ١٢٨/٢ .

[لي]^(١) في سنة تسع وعشرين وسبع مئة بدمشق ، وأذنت في ذلك لعبد الله بن المحب .

وتوفيت رحمها الله تعالى سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

الأنساب والألقاب^(٢)

☆ السفاقي : الشيخ برهان الدين إبراهيم بن محمد . وأخوه شمس الدين محمد بن محمد .

☆ ابن السفايح : كاتب سرحلب زين الدين عمر بن يوسف . وعمه قاضي قضاة حلب نجم الدين عبد القاهر .

☆ ابن السقطي : جمال الدين محمد بن عبد العظيم .

☆ ابن السكاري : بدر الدين علي بن محمد .

☆ ابن سكرة : ناظر دمشق بهاء الدين أبو بكر .

☆ ابن السكري : علي بن عبد العزيز .

☆ ابن السكري : علي بن قيران .

☆ السكندري : قاضي طرابلس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن منصور .

☆ السكاكيني : محمد بن أبي بكر .

☆ ابن السلعوس : شهاب الدين أحمد بن عثمان . وتقي الدين عمر بن محمد بن عثمان .

(١) زيادة من الواقي .

(٢) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

☆ ابن سلامة : بهاء الدين موسى بن عبد الرحمن .

٧٠٥ - سليمان بن إبراهيم بن سليمان*

القاضي علم الدين أبو الربيع ، المعروف بابن كاتب قرا سنقر ، في الديار المصرية .
وكان في الشام يعرف بالمستوفي ، وورد من الديار المصرية أولاً مستوفي النظر
بدمشق ، ثم عُزل في أيام صاحب أمين الدين ، وصودر ، وذلك في سنة خمس وثلاثين
وسبع مئة ، فيما أظن ، ثم إنه باشر نظر البيوت والخاص .

ثم إنه في أيام قطلوبغا باشر صحابة الديوان ، وكان في مصر أولاً في زكاة
الكارم^(١) ، ثم إنه باشر عند الأمير سيف الدين منكلي بغا الناصري السلاح دار . وكان
أولاً مع والده عند قرا سنقر ، وهو خصيص به ، وتوجّه معه إلى البرية ، وعاد منها .
وكان من ذوي المروءات ، وأولي الرغبة في الفتوات ، يخدم الناس بجاهه وماله ،
ويولي الإحسان قبل سؤاله .

وكان النظم عنده أهون من التنفّس ، وأسرع من القطر عند التبجّس ، فكنت
أتعجب من أمره ، ويحصل لي نشوة من كؤوس خمره ، مع أنه نظم عذب أمضى من
عَضْب^(٢) ، قد خلا من التعقيد والتعاضل المكروه ، وانسجم فلا يظهر عليه كلف
تكلف ، ولا يَعْرُوه .

وكان فصيحاً في اللغة التركيّه ، وما يورده من عباراتها المحكيّه ، وكان للكتب
جمّاعه ، ونفسه في الاستكثار منها طمّاعه ، حصل منها شيئاً كثيراً ، واقتنى منها أمراً
كبيراً .

* الوافي : ٢٤٠/١٥ ، والدرر : ١٤٠/٢ ، والمنهل الصافي : ١٥/٦ ، والنجوم الزاهرة : ١٠٨/١٠ .
(١) هو العنبر الأصفر ، واستعمل لتجارة البهار من الفلفل والقرنفل ، ونحوهما مما يجلب من الهند واليمن ،
وكان لتجارة فندق خاص بهم في القسطنطينية ، وكان لهذه التجارة شأن عظيم .
(٢) العضب : السيف القاطع .

وكان خطّه أهى من الرياض ، وأبهج من ترقق المياه في الحياض . وكتب بخطّه كثيراً من المجلّدات ، وجمع مجاميع هي بين الأدباء مغلّدات .

وكان في صناعة الحساب بارعا ، وفي عقد الجمل للبرق مسارعا .

وصحب الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، وجمع شعره ودوّنه ورواه عنه . وروى من شعر ابن سيّد الناس وأكثر منه .

ولم يزل على حاله إلى أن زال من الحياة مُلكُ سليمان ، وراح ولم ينفعه بما جمع غير التوحيد والإيمان .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأحد سابع عشري جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

ومولده ثامن عشر المحرم سنة سبع وسبعين وست مئة .

كتب هو إليّ وأنا بالقاهرة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة :

يا غائباً غابَ عَنْ عَيْنِي فَلَمْ تَمُ	وزاهباً فضله قد شاع في الأمم
سافرتَ عِنا فطال الليلُ في سَهْدِ	فنحن بَعْدَكَ في ظِلْم وفي ظِلْم
أَنسَتَ مَصْرَ وأوحشتَ الشَّامَ فينا	خَلَّوْهُ من حُلَى الآداب والكرَم
لَيَهْنِ مَصْرَ صلاحَ الدين كَوْنُكَ في	أرجائها كاتباً في أَشْرَفِ الخدم
جَمَلْتَ ديوانَ إنْشاءٍ حَلَلْتَ به	ياخيرَ حَبْرٍ يوشِي الطرس بالقلم
فما مَحَيَّاكَ إلا بدرُ داجيةٍ	وما يمينُكَ إلا ركنُ مُستَلَم
سقياً لأيام أنسٍ كان روتَقُها	بفضل أنسك فينا وافرَ القَسَم
نحني فضائلك الغرَّ الحسانَ ولا	نعبا بروض سقاءٍ وابلُ الدِّيم
أَقْسَمْتُ لا فَرَقَ ما بين الجواهر في	عَقْدٍ وبين الذي تُبدي من الكلم
فالله يُثَقِّيك ما ناحتْ مَطْوِقةُ	فيما نرجيه من سعد ومن نعم

فكتبت أنا الجواب إليه :

وزدت في شرف الأخلاق والشم
إلى المعالي ولا ترضى بعزمهم
إلى معاني^(١) لم تخطر بفكرهم
في عثرة القول أو في عثرة الكلم
أفز سوى مرة في الدهر بالخدم
قلبي حلاوة ذاك اللطف والشم
من الصباح فلما أن رآه عمي
حتى أعود إليها عوداً مُعْتَمِ
عن كل مغنى حوى صنفاً من النعم
عقلي سوى زهر في الروض مُبْتَسِم
ولا أقول سرت بالضال والسلم
والناس تحسبها ضرباً من الكليم
جواهر الفضل والآداب والحكم
لم تُبْقِ عندي عقايلاً من السقم
لم أنسهن وما بالعهد من قدم
عشراً وواهاً عليها كيف لم تدم
أن الغمام بخيلاً غير منسجم
تخشى الصوارم منه صولة القلم
شوق الرياض إذا جفت إلى الديم^(٢)
توحشت قط لبذر التم في الظلم

بالغت في الجود والإحسان والكرم
وما رضيت بغايات الأولى سبقوا
حتى تحوز على الجوزاء مُرْتَقِيّاً
وتدرك المجد سباقاً وشغلهم
كم اجتهدت لعلّي أن أفوز فلم
وأبعدتني الليالي بعد ذاك وفي
فكنت كالمتمني أن يرى فلَقَا
فليت دهري يسخولي بشانية
وأجتلي أوجه اللذات سافرة
فما خلاثك الحسنى التي بهرت
أو نسمة خطرت بالبان نفحتها
وما عبارتك المثلّى سوى دُرّ
كم التقطت ومولانا يسامرني
وكم معان كأن السحر نضدها
نعم وأبيات شعر راق موردّها
أها لأيامنا بالخيف لو بقيت
ياسيداً بندي يُمنّاه صح لنا
وماجداً جد في كسب العلى فغدا
شوقي إلى لثم ذاك زاد على
ووحشتي لحياك الجميل هل اسـ

(١) كذا ، وهو ضرورة .

(٢) ثمة كلمة أسقطها الناسخ في البيت . ولعلّها : « الطرس » ، أو نحوها ، بعد قوله : « ذاك » .

ووحشتي لفوات القرب منك كما
فهذه بعض أشواق أكابدها
تجسّر الساهد المضنى إلى الحلم
في وصفها قلبي ساوى لنطق في
أظهرت وجدي ولم أكتّم لواعجه
ومن يطيق خفا نار على علم

وأنشدني غالبَ نظمته من لفظه لنفسه ، فيما أنشدني لنفسه قوله ينحو فيه مانحاه
الشيخ تقي الدين السروجي ^(١) في أبياته المشهورة :

قصّة الشوق يرّ بها يارسولي
عند باب الفتوح حارة بها الد
نحو من قُرب به مناي وسؤلي
ين تحت السباط قف يارسولي ^(٢)
قفا بتلك الطلول غير مطيل
رَف أخوى يرّنو بطرف كحيل
بنبال الجفون كل نبيل
ردلالاً على الحبّ الذليل
كيف حال المضنى الكئيب العليل ^(٣)
قصّة قدّمت بشرح طويل ^(٤)
كيف حال المضنى الكئيب العليل ^(٥)
سادن إلاّ سني بلا تطويل ^(٥)
سد فأضحى حلف الضنى والنحول

وأما أبيات الشيخ تقي الدين عبد الله بن علي السروجي فأنشدني شيخنا الحافظ
فتح الدين أبو الفتح اليعمري والقاضي الرئيس عماد الدين إسماعيل بن القيسراني ،

(١) عبد الله بن علي بن منجد (٦٩٣ هـ) ، وأبياته الآتية في الفوات : ١٩٩/٢ .

(٢) في الفوات : « يا خليلي » .

(٣) هذا البيت ليس في الوافي .

(٤) في الفوات : « أو زمي بحتك » .

(٥) في الفوات : « بادن » .

كلاهما قال : أنشدنا من لفظه لنفسه الشيخ تقي الدين السروجي ، وأكثر الأبيات أنشدنيها القاضي عماد الدين :

يأساعي الشوق الذي مُذْ جَرَى	جَرَتْ دُمُوعِي فَهِيَ أَعْوَانُهُ
خُذْ لِي جَوَاباً عَنْ كِتَابِي الَّذِي	إِلَى الْحُسَيْنِيَّةِ عُنْوَانُهُ
فَهِيَ كَمَا قَدْ قِيلَ وَادِي الْحِمَى	وَأَهْلُهَا فِي الْحَسَنِ غَزْلَانُهُ
امْشِ قَلِيلاً وَانْعَظْ يُسْرَةً	يَلْقَاكَ دَرْبُ طَالِ بَنِيَانِهِ ^(١)
وَاقْصِدْ بِصَدْرِ الدَّرْبِ دَارَ الَّذِي	بِحَسَنِهِ يَحْسُنُ جِيرَانُهُ
سَلِّمْ وَقَلِّلْ يَخْسُ مَنْ كِي مَنْ	اشْتَ حَدِيثاً طَالِ كِتَابَانُهُ
(كُنْكُمْ كَرِّمْ سَاوِمِ أَشْيِ أَطْ كَبِي)	فَجَبَّهْ أَنْتَ وَأَشْجَانَانُهُ
وَاسْأَلْ لِي الْوَصْلَ فَإِنْ قَالَ (يُقْ)	فَقُلْ (أُوتْ) قَدْ طَالِ هَجْرَانُهُ
وَكَنْ صَدِيقِي وَاقْضِ لِي حَاجَةً	فَشَكَرْ ذَا عِنْدِي وَشَكَرَانُهُ

وأنشدني من لفظه لنفسه :

غرامي فيك قد أضحى غريمي	وَهَجْرُكَ وَالتَّجَنِّيَ مُسْتَطَابُ
وبلواي ملا لك لالذنب	وَقَوْلِكَ سَاعَةَ التَّسْلِيمِ طَابُو ^(٢)

وأنشدني من لفظه لنفسه :

أَيُّ أَمِنْ قَدْ رَمَى بِسَهْمِ	مِنْ الْأَجْفَانِ فَهُوَ أَشَدُّ أَقْجِي ^(٣)
أَيُّحْسَنُ مِنْكَ أَنْ أَشْكُو غَرَامِي	فَتَعْرُضُ نَافِراً وَتَقُولُ يَقْجِي

وأنشدني من لفظه لنفسه :

(١) كذا ، « يلقاك » والقياس جزمه ؛ لأنه جواب للطلب ، وهو ضرورة .

(٢) البيتان في المنهل ، والنجوم .

(٣) في الوافي : « أسد » .

قلت لـه كم تشكي وتشتهي خذ واتكي
فقال: لا قلت: له لا تشتهي وتشتكي

وأنشدني من لفظه لنفسه ، وقد توفيت زَوْجَتَهُ :

إِنِّي لأعجب لاصطباري بعدما قد غَيَّبْتُ بعد التَّعَمُّ في الثَّرى
هذا وكنت أغارَ حالَ حياتها مِنْ مَرَّةٍ عاطفةِ النِّسيمِ إذا سَرَى
وأنشدني من لفظه لنفسه :

أقول لقلبي حين غَيَّبَهَا الثَّرى تَسَلُّ فكلُّ لِمَنِيَّةٍ صائِرٍ
وفي كل شيءٍ للفقى أَلْفُ حِيلَةٍ ولا حيلةٌ فين حوته المقابر
وأنشدني من لفظه لنفسه :

تقول بحقٍّ وَذَكَ عَدَّ عَنِّي ودَغْنِي ما الكؤوس وما العقارُ
وهاريقي وكاسات الحميِّما وَذُقْ هذا وذا ولك الخيارُ^(١)
وأنشدني من لفظه لنفسه :

لا تَقُلْ قد قَبِلْتُ عَقْدَ نكاحٍ وبصدق الصَّدَاقِ لا تك راضي
وَإِذَا ما عجزت قل بالتسرِّي لَمْ، وإلَّا بغير علم القَـاضِي
وأنشدني من لفظه لنفسه :

قالت وقد راودتها عن حالة يا جارقي لا تسألني عما جرى
إني بليت بعاشق في أيره كَبُرَ فلا فِلْسٌ ويطلب من ورا^(٢)

(١) البيتان في المنهل .

(٢) في الوافي : « بلا » .

٧٠٦ - سليمان بن إبراهيم بن إسماعيل الملطي الحنفي*

القاضي الفقيه شمس الدين أبو محمد .

ناب في الحكم مدة طويلة بدمشق ، ودرس بالظاهرية وغيرها ، وناب بالقاهرة في الحكم^(١) لما توجه إليها في الجفل .

وكان رجلاً صالحاً مباركاً متواضعاً .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم السبت نصف ذي القعدة سنة ثلاث وسبع مئة .

٧٠٧ - سليمان بن إبراهيم بن سليمان**

ابن داود بن عتيق بن عبد الجبار ، القاضي صدر الدين المالكي .

تولّى قضاء الشرقية والغربية من الديار المصرية ، وسافر رسولاً من جهة السلطان إلى بغداد .

توفي رحمه الله تعالى حادي عشري شعبان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة .

٧٠٨ - سليمان بن أحمد***

ابن الحسن بن أبي بكر بن علي ، تقدم تمام النسب في ترجمة ولده الحاكم أحمد بن سليمان ، هو أمير المؤمنين أبو الربيع المستكفي بالله بن الحاكم بأمر الله الهاشمي العباسي البغدادي الأصل ، المصري المولد .

* الدرر : ١٣٩/٢ ، وعقد الجمان : ٣٢٩/٤ ، وفیات (٧٠٣ هـ) وفيه : « سلمان » ، والنجوم الزاهرة .

(١) عن السروجي ، كما في الدرر ، والعقد .

** الدرر : ١٤٠/٢ .

*** الوافي : ٣٤٩/١٥ ، والدرر : ١٤١/٢ ، وللهل الصافي : ١٨/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٣٢٢/٩ .

قرأ واشتغل قليلاً ، وخطب له عند وفاة والده سنة إحدى وسبع مئة ، وقوّض جميع ما إليه من الحَلِّ والعقْد إلى السلطان الملك الناصر محمد ، وساراً معاً إلى غزو التتار ، وشهدا مصافّة شقّحب في شهر رمضان سنة اثنين وسبع مئة ، وهو مع السلطان راكب ، وجميع كبار أمراء الجيش مشاة ، وعليه فرجيّة سوداء مطرزة وعمامة كبيرة بيضاء بعذبة طويلة ، وقد تقلد سيفاً عربياً محلياً .

ولما قوّض الأمر إلى الجاشنكير^(١) ، وقلّده السلطنة بعد توجه السلطان الملك الناصر ، ولقّب المظفر ، عقد له اللواء ، وألبسه خلعة السلطنة : فرجيّة سوداء وعمامة مدوّرة ، وركب بذلك والوزير حامل التقليد على رأسه ، وهو من إنشاء القاضي علاء الدين بن عبد الظاهر^(٢) وأولاه : ﴿ إنه من سليمان ، وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾^(٣) هذا عهد^(٤) لعهدة لمليك بمثله .

رأيتُه أنا بالقاهرة مرّات ، وكان تامّ الشكل حسناً ، يملأ بروقه العين مهابة وسناً ، تعلوه الهيبة والوقار وعليه من أبهة الخلافة والأمانة أنوار ، يجود لو كان المال طوع حكمه ، ويُنصف المظلوم ولكن هو يشكو مثل ظلمه .

ولم يزل بمصر إلى أن تنكّر السلطان عليه ، وكاد من الحنق يُخضره بين يديه ، فأطلّعه وأهله إلى القلعة ، وأسكنه برجاً مطلاً على الباب ، وحَيَّر في أمره ذوي العقول والألباب ، فلم يركب ولم ينزل ، ولم يدخل ولم يخرج وهو في المنزل ، وبقي مدّة تقارب الخمسة أشهر ، ثم أفرج عنه ، وأنزله إلى داره ، وهو لم يشْتَف منه . ثم إنه تنكّر عليه بعد نصف سنة أخرى ، وجرّعه في هذه المرة كأساً مزاجها مرّاً ، وجَهَّز وأولاده إلى قوص في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، فراح إليها والعيون من الناس عليه عبّرى ، والنفوس لم

(١) ركن الدين بيبرس ، كما في الوافي .

(٢) هو علي بن محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر (ت ٧١٧ هـ) .

(٣) الغل : ٣٠/٢٧ .

(٤) في الوافي : « عقد » .

تملك على مصابه صبرا ، وأقام بها يكابد هَوَاحِرَّ هَوَاجِرها ، ويجري دمعاً لما نزل من عينه
محا محاجرها ، إلى أن توفي ولده صدقه ، وكان يحل منه مَحَلُّ قلبه لا الحدقه ، فوجد
عليه وجداً شديداً ، وأذاب قلبه ولو كان حديداً .

ولم يزل بعد ذلك في حزن يذوي ، ودمع يكوي ، إلى أن فُجع المؤمنون بأمرهم ،
وباح الحزن عليه بما في ضميرهم .

وتوفي رحمه الله تعالى في مستهل شعبان سنة أربعين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وثمانين وست مئة .

وكان له ولد كبير اسمه خضر كان قد جعله وليّ عهده ، فتوفي في جمادى الآخرة
سنة عشر وسبع مئة ، وعهد بالأمر إلى ولده الحاكم أحمد ، فلم يَمُضِهُ السلطان وبويع
ابن أخيه أبو إسحاق إبراهيم بيعة خفيّة لم تظهر إلى أن تولى السلطان الملك المنصور
أبو بكر ، فأحضر ولده أبا القاسم أحمد ، وباعه ظاهراً ، وكنّي أبا العباس ، على
ما تقدم في ترجمته في الأحمدين .

وأخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : إن المرتّب الذي كان له لم يكن
يبلغ خمسين ألف درهم في السنة ، فلما خرج إلى قوص قَوْمَ غالِيَاً وحُسْبَ زائداً ، ليكثر
ذلك في عين السلطان ، وجعل ستة وتسعين ألفاً ، فرسم بأن يصرف ذلك إليه بكاله
من مستخرج الكارم ، فأرادوا تَقْصَهُ فازداد .

٧٠٩ - سليمان بن أبي بكر *

الأمير علم الدين ابن الأمير سيف الدين بن الباييري ، تقدم ذكر والده في حرف
الباء .

وكان هذا الأمير علم الدين شاباً حَسَنَ لوجه ، مُبَرَّاً من عدم الحياء وقُبْحِ

* لم تقف على ترجمة له .

النَّجْه^(١) ، خُلُو الصورة ، كَأَن وجهه للملاحه جامع ، [و]^(٢) المحاسن عليه مقصوره .
تنقَل في الولايات وتوقَل^(٣) هضبات النيابات .

ولم يزل على حاله حتى أُدرِج في كَفَنه ، واستحال بعد صحة تركيبه إلى عَفِنه .

وتوفي رحمه الله تعالى بحماة ، ورد الخبر إلى دمشق بموته في أول شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبع مئة ، وعمره يقارب الثلاثين أو يزيد عليها قليلاً .

وكان والده الأمير سيف الدين الباييري [يحبه]^(٤) محبة زائدة وإذا قيل له :
يا أبا سليمان ، يترنح ويتريخ ، وأخذ له إمرة عشرة في حياته ، ثم أخذ إمرة
الطبلخاناه بدمشق في سنة سبع وخمسين أو سنة ثمان وخمسين وسبع مئة . وتولى ولاية
الولاية القبلية ، ووقع في أيامه ذاك العشير^(٥) ، إلى أن حضر الأمير شهاب الدين
شكل^(٦) من الديار المصرية .

ثم إن الأمير علم الدين سليمان أعطي نيابة ألبيرة^(٧) في أوائل سنة ستين وسبع مئة ،
ثم عُزل عنها ، وحضر مع الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي من حلب إلى دمشق ،
فولاه ولاية الولاية بالقبلية ، وعزل عنها ، ورسم له بنيابة ألبيرة ، فتوجه إليها ، وأقام
بها إلى أن عُزل منها بالأمير سيف الدين قراقرز أخى الأمير سيف الدين يلبغا ، ونقل
إلى حماة أمير طبلخاناه ، فأقام بها قليلاً ، وتوفي رحمه الله تعالى .

وكان يحصل له في بعض الأوقات صَرَغٌ ، حصل له في وقت مجلب وقد حضر

(١) النجھ : استقبالك الرجل بما يكره ، أو هو أقبح .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) توقل : صعد .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٥) هي واقعة حدثت في حوران ، انظر في تفصيلها البداية والنهاية : ٢٦٥/١٤ .

(٦) أشار إليه ابن كثير في أحداث العشير السالفة بلفظ : شكل منكل .

(٧) ألبيرة : من أعمال حلب .

ليتوجه إلى نيابة البيرة ، فتحامل وأمسك نفسه إلى أن حصل له رُعاف كثير ، وهو بباب دار النيابة مجلب رحمه الله تعالى .

عمل شدّ الدواوين بدمشق أيضاً .

٧١٠ - سليمان بن أبي حرب*

علم الدين الكفري الفارقي النحوي الحنفي .

أخبرني من لفظه العلامة أثير الدين قال : تصابحتُ أنا والمذكور بالقاهرة ، وكان من تلاميذ ابن مالك ، أخبرني أنه عرض عليه أرجوزته الكبرى المعروفة بـ (الكافية الشافية)^(١) وأنه بحث أكثرها عليه ، وأنه قرأ القراءات السبع^(٢) بدمشق ، وأشغل^(٣) الناس عليه ، وكان حنفي المذهب . قال : وأنشدني كثيراً يذكر أنه له ، ولما قَدِمَ الأديب شهاب الدين العزازي^(٤) إلى القاهرة ، ذكر لنا أنه كان ينشد لنفسه كثيراً مما كان ينشده العَلَمُ سليمان لنفسه .

وأنشدني قال : أنشدني الفقير يعيش الفارقي قال : مما كتب به العلم سليمان إلى الكاتب شرف الدين بن الوحيد^(٥) رحم الله جميعهم ، وعفا عنهم :

أما ومجد أثيل أعجز الفصحا ونائل كلما استمطرته سمحا
لو وازن ابن الوحيد الناس كلهم ببعض ماناله من سُؤدد رجحا

* الوافي : ٣٦٠/١٥ ، والبغية : ٥٩٨/١ ، وذيول العبر : ٢٩٧ . ولم يذكر الصفوي في كتابه سنة وفاته ووقع في البغية نقلاً عن ابن مكتوم أنه توفي سنة تسع وست مئة ، ولا يصح ذلك لأن صاحب الترجمة كما سيأتي صاحب أبا حيان (ت ٧٤٥ هـ) م وهو من تلاميذ ابن مالك الذي (ت ٦٧٢ هـ) ، وابن الوحيد الذي يأتي ذكره (ت ٧١٠ هـ) .

(١) في الأصل : « الشافعية » ، تحريف .

(٢) في الوافي : « بالسبع » .

(٣) في الوافي : « واشتغل » .

(٤) في الوافي : العزازي ، وفي البغية : الغزاري ، وكلاهما تصحيف .

(٥) محمد بن شريف ، ستأتي ترجمته .

٧١١ - سليمان بن حسن*

ابن أحمد بن عمرو بن البعلبيكي^(١) الصدر شرف الدين .

ولد بمحاجة ، وحدث عن الحافظ شرف الدين اليونيني وغيره ، واختلط في سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

باشرة عدة ولايات بطرابلس وغزة وبعلبك ودمشق ، وولي الأقطار الكبار في دمشق مثل الربوة وغيرها .

وكان ليّن العريكة ، لا يذم صاحبه ولا يخون شريكه ، رافق في طرابلس لأسندمر النائب ، وكان يحكي عنه الغرائب والعجائب ، إلا أنه نزل به الوقت ، وآل أمره بعد المحبة إلى المقت ، وبطل من المباشرة ، وتخلّى عن الاختلاط بالناس والمعاشرة ، وعبس الدهر في وجهه بعد المكاشرة ، وانكمش عن الصحبة بعدما كان عنده فيها شرة ، وجلس مع الشهود في الساعات ، وخلع وقاره على الخلاعات ، إلى أن أصبح الشرف في الحضيض ، وغمض الموت طرفة وكان غير غضيض .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، عن ثيف وثمانين سنة .

وتولّى نظر غزة والساحل ونابلس في وقت ، وحضر من غزة إلى نابلس ليكشف أمرها ، فحصل له مباشرتها خمسة آلاف درهم على عادة الكتاب ، فلما طلعوا وتلقوه ، انفرد بالناظر خلوة وقال : يامولانا : عندكم فرد كتاب^(٢) من هذا النابلسي وقليل صابون وزيت ؟ فقال له : نعم ، فقال : دبره لنا وجهه إلى غزة ، وكان جميع ما طلبه ما يقارب الثلاث مئة ، وراحت تلك الخمسة آلاف ، وتوفرت على المباشرين ، وكذا

* الدرر : ١٤٥/٢ ، وذيول العبر : ٢٩٧ .

(١) في ذيول العبر : « البعلبي » .

(٢) الكتاب : عثكول عليه بسر أو عنب .

كان يفعل في نظر الزكاة ، يطلع إلى القابون ويتلقى القفول ، فيحصل له كبار القفول التفاصيل الحرير والتحف والذهب والدرهم ، فيقول لهم : الوقت مضور إلى منيشفات بغدادية ، فيعرف التجار أن ذلك رضاه ، فيوفرون ما حصلوه لأنفسهم ، ويعطونه ذلك القدر النزر .

وكنت قد كتبت له توقيماً بنظر غزة والساحل ونابلس في ثالث عشري صفر سنة تسع وثلاثين وسبع مئة وهو :

رُسم بالأمر العالي ، لازالت شمس سعوده تحلّ بالشرف ، وعروس وعوده تُثمر بالتحف ، لمن ارتدى بظلمها والتحف ، أن يرتب المجلس السامي القضائي الشرفي في كذا وكذا ، ثقة بكفايته التي شهرت ، ونامت عيون من دونه عنها وسهرت ، وملأت القلوب إعجاباً بها وبهرت ، لأنه الرئيس الذي كَبَتِ الجيادُ عن بلوغ مداه ، وكَبَتِ الحَسَادَ بما حازَهُ من الفضل الذي تَقَمَّصَ بُرْدَهُ وارتداه ، والماجد الذي جاذب في السيادة لما امتطاهها أَعْنَةُ وأُرسانا ، والماهر الذي يملأ المعاملات حسناً وإحساناً ، والكاظم الذي طالما جادل فجَدَل من العمال أبطالاً وفرساناً ، والناظر الذي أصبح لناظر الزمان على الحقيقة إنساناً . فليباشر ما فَوَّضَ إليه مباشرةً ، يُظهر بها عِزَّهُ ، في وجه غُرَّةِ غَزِهِ ، وَيَغْرِقُ بحره الساحل بالعين والغلة ، حتى يكون كل دُرَّة في لُجَّةِ دُرَّة ، ويفيض على نواحي بَرِّهِ بَرَّهُ ، وَلِيَضْبُطُ ما تحصل منها بأقلام الفكر في دفاتر الجنان ، ويضع على متحصلاتها خَتَمَ مراعاته حتى لا يصل إليها ولا الجان ، وكيف وعليها خاتم سليمان ؟! على أن هذه النواحي عَشْرُ دَبٍّ منه ودَرَج ، وعَرَيْنٌ دخل غابه فغاب وخرج ، وأفق طالما ترقى في مطالعه وعَرَج ، وبِرٌّ وبحر خلط علمه معرفتيها ومَرَج ، وبلاد تحقق مقاصد أهلها فما يُبْدون ولا يُعيدون ، ومباشرات لما دبرها قصرت عن أوصاف ابن عمرون فيها بلاغة ابن زيدون ، والتقوى ملاك الأمور ، فَلْيُنْزِلْها رُبوع فكره ، وليجعلها نجى سَرِّهِ وَجْهَهُ ، والله تعالى يوفق مساعيه ، وَيُجَمِّلُ بحاسنه أيامه ولياليه ، بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى .

٧١٢ - سليمان بن أبي الحسن بن ريان*

القاضي جمال الدين بن ريان الطائي ، هو ابن عمر القاضي عماد الدين سعيد بن ريان المُقَدَّم ذكره .

كان رجل زمانه ونظير أقرانه .

يحب الخطَّ المنسوب ويبالغ فيه ، ويودُّ لو ملك كلَّ شيء ليُذهِبَه في تلافيه ، ويُلتزم أولاده بالتجويد ، ويُحرِّضهم على تحصيله ويباض وجههم بكثرة التسويد ، ويجتهد على نسخ المصاحف الكبار ، وينفق عليها جُمْلَةً من اللُّجين والنضار ، ماله في غير ذلك أرب ، ولا يثنيه عن ذلك أحد في العجم ولا في العرب ، وبقية وصفه يأتي في مراثيته نظماً ، ومن هناك يَعْلَم قَدْر ما كان فيه حقيقةً لا^(١) وهما .

نزل عن وظيفته لولده القاضي بهاء الدين الحسن في آخر عمره ، وانقطع هو في بيته ، وأقبل هو على ما يُعينه في آخرته من أمره ، إلى أن ابتلعه فمَّ لَحْدَه ، وأصبح عبْرَةً لمن تركه من بعده .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون حلب .

ومولده في حادي عشري شهر رمضان سنة ثلاث^(٢) وستين وست مئة .

وكان والده رجلاً صالحاً من أهل القرآن ، حرص على ولده هذا القاضي جمال الدين سليمان ، وأقرأه^(٣) القرآن الكريم ، وكان يمنعه من عشرة أقاربه ، وإذا رآه

* الوافي : ٣٦٧/١٥ ، والدرر : ١٤٥/٢ ، وتذكرة النبيه : ١٢٥/٣ ، وللنهل الصافي : ١٧/٦ .

(١) في الأصل : « ولا » وهي قلقه .

(٢) في للنهل : « مولده سنة ثلاث أو أربع وستين » .

(٣) في الأصل : « وأقرأ » وأثبتنا ما في الوافي .

يكتب القبطي المعرب يضربه ويُنكر ذلك عليه ، فأبى الله تعالى إلا أن يجعل رزقه في صناعة الحساب .

ولم يزل مع ابن عمه القاضي عماد الدين سعيد بن ريان^(١) ، فلما حج عماد الدين وتوجه إلى مصر وأخذ توقيعاً بنظر حلب ، ووصل إلى دمشق توفي رحمه الله تعالى ، فأخذ القاضي جمال الدين توقيعه ، وتوجه به إلى حلب ، وكان قراسنقر بها نائباً ، ولعماد الدين عليه حقوق خِدم ، فاستقر القاضي جمال الدين ناظر جيش^(٢) ، ولم يزل بها إلى سنة ثمانى عشرة وسبع مئة ، فرسم له بنظر صفد في المال ، فحضر إليها وأقام بها إلى أوائل سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، فطلب إلى مصر وولاه السلطان نظر الكرك ووكالة بيت المال ، ثم إنه ولّاه نظر حلب ، ولم يخرج من مصر ولم يتوجه إلى الكرك ، فحضر إلى حلب ناظر المال ، فأقام بحلب مدة يسيرة ، وتوجه إلى مصر وتولّاها ثانياً .

ثم إنه عُزل من^(٣) نظر بيت المال وحضر إلى نظر المال بصفد ثانياً ، فأقام قريباً من شهر ، ثم طُلب إلى مصر ، وتولّى نظر الجيش بحلب ، ولم يزل إلى أن عزل في واقعة لؤلؤ ، وأقام بطّالاً مدة يسيرة ، ثم إنه جهز إلى نظر طرابلس^(٤) فأقام بها . ثم إنه حضر إلى صفد ثالثاً ناظر المال ، وولده القاضي شرف الدين^(٥) ناظر الجيش ، فأقام بها مدة . ثم توجه إلى حلب ناظر الجيش .

ثم إنه استعفى وطلب الوظيفة لولده القاضي بهاء الدين الحسن^(٦) ولزم بيته مدة .

ثم إن السلطان ولّاه نظر الجيش بدمشق عوضاً عن القاضي فخر الدين بن

(١) سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) في الوافي : « فاستقر القاضي .. ناظر الجيش » ، تصحيف .

(٣) في الوافي : « عن » .

(٤) في الوافي : « نظر جيش طرابلس » .

(٥) حسين ، كما في الوافي ، ووفاته سنة (٧٧٠ هـ) كما في الدرر : ٥٥/٢ .

(٦) ت ٧٦٨ هـ ، الدرر : ١٦/٢ .

الحلبي^(١) لما توفي رحمه الله تعالى ، وأقام به إلى أن عزل في أيام الأمير علاء الدين ألتنبغا ، فتوجه إلى حلب وأقام بها ملازماً بيته ، لا يخرج منه إلا إلى صلاة الجمعة .

ولما كان في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، حضر إلى دمشق وتوجه منها إلى الحجاز وقضى حجة الإسلام وعاد فيها وقد ضعف^(٢) ، فركب محفةً وتوجه إلى حلب ، ولم يزل في حلب على حاله إلى أن توفي .

ولقد رأيته يقوم في الليل ويركع قبل الفجر قريباً من عشرين ركعة ، وله في كل أسبوع خمة يقرأها هو وأولاده ، ويصوم في غير شهر رمضان . وكان ذهنه جيداً في العربية والأصول .

وسمع ابن مشرف^(٣) وست الوزراء ، وقرأ العربية على الشيخ شرف الدين أخي الشيخ تاج الدين^(٤) ، ويعرب جيداً ، ويعرف الفرائض جيداً ، والحساب وطرفاً صالحاً من الفقه ، وعلى ذهنه نكتٌ من المعاني^(٥) والبيان والعروض ، وينقل كثيراً من القراءات ومرسوم المصحف^(٦) .

ولي معه مباحث كثيرة رحمه الله تعالى .

ولما توفي كتبت إلى ولده القاضي شرف الدين حسين قصيدة رثيته بها وهي :

أظلماتَ نفسِ المعالي يا ابنَ رِيّانا حتى توقدتِ الأحشاءَ نيرانا
وانهلَّ دمعُ الغواصي فيك من حَزَنِ وشققَ البرقُ في الأفاقِ أردانا

(١) محمد بن عبد الله بن علي (ت ٧٣٦ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٢) في الوافي : « ضعف عن الركوب » .

(٣) محمد بن أبي العزّ بن مشرف ، ستأتي ترجمته .

(٤) شرف الدين : هو أحمد بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري ، سلفت ترجمته ، وأخوه تاج الدين عبد الرحمن (ت ٦٩٠ هـ) : العبر : ٣٦٧/٥ .

(٥) في الوافي : « من أبيات المعاني » .

(٦) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .

وَمَزَّقَ الصَّبْحُ أَثْوَابَ الدَّجَى وَرَمَى
وَكُلُّ سَاجِعَةٍ فِي الْأَيْكَ نَائِحَةٌ
أَتَتْ دَمَشَقَ بَكَ الْأَخْبَارُ مِنْ حَلَبَ
وَدِدْتُ مِنْ حَزَقِي لَوْ كُنْتُ ذَا شَجَنَ
تَكَادُ تَبْكِي الْمَعَالِي فِيكَ مِنْ جَزَعِ
مَنْ لِلظُّلَامِ إِذَا نَامَ الْأَنَامُ غَدَا
وَمِنْ لِحْرَابِكَ الزَّاكِي فَلَيْسَ يَرَى
كَمْ قَدْ خَمَتَ كِتَابَ اللَّهِ مُتَعَطِّاً
وَكَمْ حَثَّتْ الْخَطَا نَحْوَ الصَّلَاةِ لِأَجْ
تَوَاطَبَ الصَّوْمُ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ وَفِي الْ
وَكَمْ مِمَّا لَكَ قَدْ دَبَّرْتَ حَوَزَتَهَا
وَتَسْتَقِيمُ بِكَ الْأَحْوَالُ مَاشِيَةً
لِلَّهِ دُرُّكَ كَمْ جَمَلَتْ مَدْرَسَتُهُ
فَكُنْتُ فِي الْجُودِ غِيثاً وَالهْدَى عِلْماً
ثُمَّ اعْتَزَلْتُ الْوَرَى مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبَ
وَمَنْ أَرَادَ مِنَ الْأُخْرَى جَوَاهِرَهَا
وَكَانَ أَرْبَحَ مَالاً عِنْدَ خَالِقِهِ
فَاذْهَبْ فَأَيُّ ضَرِيحٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ
وَلَمْ يَمِتْ مَنْ بَنُوهُ سَادَةٌ نَجَبٌ
وَجَمَلُوا الْمُلْكَ إِذْ زَانُوا مَنَاصِبَهُ
إِنْ كُوتِبُوا أَوْ لُقُوا أَوْ خُوطِبُوا وَجَدُوا

حَلَّى النُّجُومَ وَأَضْحَى فِيكَ عُرْيَانَا
تُمْلِي مِنَ الْوُجْدِ فِي الْأَشْجَارِ أَشْجَانَا
يَا بَيْتُ مَا خَبَّرَ النَّاعِي وَنَاجَانَا
لَوْ أَنَّ لِلصَّخْرِ قَبْلَ الْيَوْمِ آذَانَا
بِالدَّمْعِ لَوْ وَجَدْتُ لِلدَّمْعِ أَجْفَانَا
« يَقْطَعُ اللَّيْلُ تَسْبِيحاً وَقُرْآنَا »^(١)
مِنْ بَعْدِ فَقْدِكَ فِيهِ قَطُّ إِنْسَانَا
وَفِي تَدْبِيرِهِ كَمْ رُحْتَ وَلَهَانَا
لِلْصَّفَةِ الْأَوَّلِ فِي الْأَسْحَارِ عَجَلَانَا
إِثْنَيْنِ حَتَّى لَقَدْ أُمْسِيَتْ خَصَانَا
فَكُنْتُ خَيْرَ وَزِيرٍ قَطُّ مَا خَانَا
حَتَّى تَفِيضَ بِكَ الْأَمْوَالُ طُوفَانَا
وَبِالْكِتَابَةِ كَمْ شَرَّفَتْ دِيْوَانَا
وَفِي الْحُجَى حِجَّةٌ وَالْعِلْمُ نَهْلَانَا
إِلَّا تَلْتَطَلِبَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا
أَبَاعَ أَعْرَاضَ هَذَا الْمَالِ مِجَانَا
وَرَجَّحَ أَرْجَحَ يَوْمِ الْحِشْرِ مِيزَانَا
تَرَى التُّرَابَ بِهِ رَوْحاً وَرَيْحَاناً
لَمَّا بَنَى مَجْدَهُمْ شَادُوهُ إِتْقَانَا
وَأَلْبَسُوها مِنَ الْعِلْيَاءِ تِيْجَانَا
فِي الْخَطِّ وَاللَّفْظِ فِي الْهِجَاءِ فِرْسَانَا

(١) ضمن عجز بيت لحسان في رثاء عثمان رضي الله عنهما تمامه :

ضَحَوْا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلَ.....

ديوانه (ط البرقوقي) : ٤١٠ .

بهاؤهم ما يباهي عزمه أحد
وما شهابهم خاف بمطلعه
تعزّ يا شرف الدين الذي قبضت
بيانه ظاهر لو أن روثقه
تالله ما دار كأس من بلاغته
له عبارات نظم كلما سحبت
مثل العيون التي في طرفها حور
فالناس في حلب حلت بهم بهم
فلا يرغ لكم سرب بحادثه
ولا يكدر لكم شرب بنازلة
تحفكم بركات من تقاه ففقد
وفيه شرف باق لهم زانا
كما كألهم قد حاز إحصانا
يمنى علاه من العيوق أرسانا^(١)
للبدن لم يخش عند السير نقصان
علي إلا أهز العطف نشوانا
ذيوها أغثرت في الحال سحبانا^(٢)
قتلنا ثم لم يحين قتلنا^(٣)
وأصبح القوم خرساً في خراسانا
ولا رأى شأنكم خطب ولا شاننا
ولا حدث لكم الأحداث أضغانا
أخذتم منه جرراً من سليمانا

يقبل الأرض ويُنهي ما عنده من الألم لهذه النازلة ، والقلق لهذه الرزية التي جعلت الدموع هاميةً هامله ، والجزع لهذه الحادثة التي تركت الجوانح حامية ، فليت القوى لو كانت حاملة ف ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾^(٤) قول من فقد جماله ، وعدم صبره واحتيماله ، وفجعه الدهر بواحدة الذي مارأت عينه مثاله ، فرحم الله ذلك الوجه الجميل ، وقدس تلك السريرة التي كان الصفاء لها ألزم زميل ، وما بقي غير الأخذ فيما وقع بالسنة ، والصبر على فقد من أثار النار في الفؤاد وسكن الجنه ، وقد جهز المملوك هذه القصيدة التي يسبح نونها من الهم في يم ، ويشرح في هذا المأتم ماتم ، إن شاء الله تعالى .

(١) العيوق : كوكب .

(٢) هو سحبان وائل يضرب المثل بفصاحته .

(٣) ضمن بيت جرير المشهور .

(٤) البقرة : ١٥٦/٢ .

فكتب هو الجواب إليَّ عن ذلك :

يقبَلُ الأرض وَيُنْهِي ورود المثال الشريف يتضمّن تعزية حَسَنَ لَفْظُهَا ، وأثر في القلوب وَعَظُهَا ، وتعيّن تسطيْرُهَا في صحائف الأفكار وحفظُهَا ، فوقف المملوك على محاسنها وأحاسنها ، وشملته من مكافئها بميامنها ، وتسلى بما حوت من مفصل الرثاء ومجموعه ، وأسأل من أجفانه دماً بَدَلَ دموعه ، فيالها من رزية عَظُمَتْ فيها المآثم ، ومصاب كَشَفَتْ حُجْبَهُ السُّلَيْمَانِيَّةُ عن حُزْنٍ له خاتم ، وتحقق المملوك من أثناء أبيات القصيدة النونية بركات ذي النون ، ونظر إلى نونها وقد غاص في بحر الفضائل فاستخرج دَرَه المكنون ، ولقد كتب المملوك جواب مولانا معترفاً فيه بالتقصير ، مغترفاً من منهل فضله الغزير ، وهو :

جَدَّدْتُ في القلب آلاماً وأحزاناً	أسالت الدَّمْعَ من جَفَنِي طوفاناً
فَاعْجَبَ لِجَفْنٍ يَفِيضُ المَاءَ مَدْمَعَهُ	ومُهْجَةٍ تَلْتَظِي بِالْحُزْنِ نيراناً
عَزَّيْتَنَا في أبينا فَاكْتَسَبْتَ بِهِ	أَجْراً وأُولَيْتَنَا فضلاً وإحساناً
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ أَبِي شَاعَتْ مَنَاقِبُهُ	في الناس واشتهرتُ بالوجود إعلاناً
كَمْ بَاتَ في ظِلَمَاتِ اللَّيْلِ مُتَنَصِّباً	في خُدْمَةِ اللَّهِ يَقْضِي اللَّيْلَ يَقْظَاناً
كَمْ خَمَةٍ قَدْ تَلَاهَا في النهارِ وَكَمْ	أَفْنَى الحَنَادَسِ تَسْبِيحاً وَقُرْآناً ^(١)
وَلَا زِمَ الصَّوْمَ أَوْقَاتَ المَواجِرِ لَا	يَرْتَدُّ عَنْ صَوْمِهِ دِيناً وإيماناً
وَكَانَ يَخْشَى في دينِ الإِلَهِ تَقَى	«عند الحفيظة إِنَّ ذَوْلُوتِهِ لَنَا» ^(٢)
وَكَانَ يَخْشَى وَيَرْجَى في نَدَى وَرَدَى	وَالصَّعْبُ مِنْ رَأْيِهِ تَلْقَاهُ قَدْ هَانَا
شِبْنَا وَأُذْهَلْنَا عِظَمَ المَصَابِ بِهِ	وَكُلُّ صَبٍّ بِهِ «ذَهْلُ بْنُ شَيْبَانَا»

(١) الحنادس : الظلمات .

(٢) من أبيات قريظ بن أنيف ، المشهورة في أول الحماسة وصدر البيت :

إِذْنٌ لِقَامِ بَنْصَرِي مَعَشَرَ خَشَنَ عَنْ.....

شرح المَرْزُوقِي ص ٢٢ وما بعدها .

وفي تذكرة النبيه : « وكان يخشى في ذات الإله تقى » . ولا يستقيم وزنه هكذا .

والحزنُ عَمَّهُمَ فِينَا وَغَشَانَا
 «طَارُوا إِلَيْهِ زُرَافَاتٌ وَوَحْدَانَا»^(١)
 فَأَوْرَثُوا الْقَلْبَ أَشْجَانَاً وَأَحْزَانَا
 إِلَّا لِيهِدَمَ لِلْمَعْرُوفِ أَرْكَانَا
 «قَتَلْنَاهُ ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنِ قَتْلَانَا»^(٢)
 كَانَ الْمُرْتَبِيُّ لَهُ قَسّاً وَسَحْبَانَا^(٣)
 نَظَمْتُ فِي كُلِّ يَوْمٍ فِيهِ دِيَوَانَا
 كَانَ الْجَوَابُ: سَلِيمَانَ بْنَ رِيَانَا
 أَؤْفَى الْبَرِّيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا
 بِهِ اتَّعَظْنَا وَعِزَّانَا وَسَلَّانَا
 عَلَى مَعَانٍ حَسَانٍ فَقَدْ حَسَّانَا
 فَضَّلَ عَلَى الرُّوضِ لَا يَحْتَاجُ بُرْهَانَا
 وَقَاهُ فَكَّرَكَ طَوْلَ الدَّهْرِ مَاشَانَا
 أَكُنْ مُؤَفِّيهَ بِالْأَوْصَافِ تَبْيَانَا^(٤)
 أَنْوَارُهَا تَحْتَفِي فِي الْجَوِّ أَحْيَانَا
 نَظَمْتُ أَلْفَاظَهُ دُرّاً وَعِقْيَانَا^(٥)
 كَالدَّرِّ خَالِطٍ يَاقُوتاً وَمَرْجَانَا
 بَعْدَ الْمَمَاتِ فَحَيَّا اللَّهَ مَوْلَانَا

سَارَتْ جَنَازَتُهُ وَالْخَلْقُ تَتَبِعُهَا
 حَتَّى مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ مُدُّ عُلَمُوا
 نَفَى النُّعَاةَ وَضَجُّوا بِالنَّعْيِ لَهُ
 جَارُ الزَّمَانِ وَلَمْ يَقْصِدْ بِمَصْرَعِهِ
 إِنْ الْخُطُوبِ الَّتِي سَاقَتْ مَنِيَّتَهُ
 مِنْ ذَا يُوقِي عُلَاهُ بِالرِّثَاءِ وَلَوْ
 لَمْ أَقْضِ بِالشَّعْرِ حَقّاً مِنْ عُلَاهُ وَلَوْ
 لَوْقِيلٍ: مَنْ فَاقَ أَرْبَابَ الصَّلَاحِ تَقَى
 إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لَهُ
 حَيَّرْتَنَا بِمِثَالٍ فِيهِ تَعْزِيَةٌ
 فِيهِ قَرِيضٌ بَدِيعُ النَّظْمِ مُشْتَمِلٌ
 إِنْ زُمْتُ تَشْبِيهِهِ بِالرُّوضِ كَانَ لَهُ
 الرُّوضُ يَذْبُلُ فِي وَقْتٍ وَنَظْمُكَ قَدْ
 أَوْقَلْتُ أَلْفَاظَهُ مِثْلُ الْكَوَاكِبِ لَمْ
 إِذَ الْكَوَاكِبُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ أَرَى
 لَكِنْ أَقُولُ هَذَا الْعَقْدَ الثَّمِينِ وَقَدْ
 فِي أَحْمَرِ الطُّرُسِ قَدْ سَطَرْتُ أَحْرَفَهُ
 حَفَظْتُ عَهْدَكَ فِي حَالِ الْحَيَاةِ وَمِنْ

(١) من أبيات قريط ، أوله :

قَوْمٌ إِذَا الشَّرُّ أَبْدَى نَاجِذِيهِ لَهُمْ

(٢) من قصيدة جريز ، صدره ، وهو مشهور :

إِنْ الْعَيُونُ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ

(٣) قس بن ساعدة الإيادي ، وسحبان بن وائل .

(٤) في الأصل : « بالوصف » وبها يختل وزن البيت .

(٥) كذا البيت ، ولا يستقيم شطره الأول إلا باختلاس الألف المحذوفة من (هذا) .

كذا تكون صفاتُ الحرِّ يَحْفَظُ مِنْ عَهْدِ المودَّةِ أصحاباً وإخواناً^(١)
لأَذَقَتْ فَقَدْ حَمِيمَ بعدها وَحَمَتْ وقايةُ الله مولانا وإيانا^(٢)

٧١٣ - سليمان بن حسن*

الشيخ حسام الدين بن بدر الدين ، ابن الشيخ الكبير القدوة العارف غانم المقدسي .

كان حسام الدين شيخ الحرم بالقدس ، له هِمَّةٌ وفيه مكارم ، وعنده خِدْمَةٌ للناس .

حدَّث عن الشيخ تقي الدين الواسطي .

وسمع منه أمينُ الدين بن الوافي .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادسِ عشري شعبان سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ومولده في شهر رجب سنة أربع وخمسين وست مئة .

٧١٤ - سليمان بن حمزة**

ابن أحمد بن عمر بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة : الشيخ الإمام المفتي شيخ المذهب ، مسند الشام قاضي القضاة تقي الدين أبو الفضل المقدسي الجماعيلي الدمشقي^(٣) الصالح الحنبلي .

(١) في تذكرة النبوة عدد من أبيات هذه القصيدة .

(٢) في الأصل : « كذاك » ولا وجه لها .

* الدرر : ١٤٥/٢ .

** الوافي : ٣٧٠/١٥ ، وتالي وفيات الأعيان : ٨٩ ، والبداية والنهاية : ٧٥/١٤ ، والدرر : ١٤٦/٢ ،

والشذرات : ٣٥/٦ ، والدارس : ٢٧/٢ .

(٣) في الأصل : « المقدسي » ولا وجه لتكرارها ، وأثبتنا ما في (س) .

سمع (الصحيح) حضوراً في الثالثة من ابن الزبيدي ، وسمع (صحيح مسلم) وما لا يوصف كثرةً من الحافظ ضياء الدين ^(١) ، وربما عنده عنه ست مئة جزء . وسمع حضوراً من جدّه الجلال أبي حمزة ^(٢) ، وابن المقير ، وأبي عبد الله الإربلي ، وسمع من ابن اللّقي ، وجعفر الهمداني ، وابن الجمّيزي ، وكريمة الميْطورية ^(٣) وعدّة .

وأجاز له محمد بن عماد ، وابن باقا ^(٤) ، والمسلم المازني ^(٥) ، ومحمود بن مَنْدَة ، ومحمد بن عبد الواحد المدني ، ومحمد بن زهير شعرانة ^(٦) ، وأبو حفص السهروردي ، والمعافي بن أبي السنان ، والمقرئ ابن عيسى ^(٧) وخلق كثير .

وخرّج له ابن المهندس مئة حديث ، وخرج له شيخنا الذهبي (جزءاً) فيه مصافحات وموافقات ، وخرّج له ابن الفخر (معجماً) ضخماً .

وروى الكثير بقراءة شيخنا علم الدين البرزالي ، وتفقه بالشيخ شمس الدين وصحبه مدة .

ودرس بالجوزيّة وغيرها . ولي الجوزيّة والقضاء عشرين سنة . ومن تلاميذه ولده قاضي القضاة عز الدين ^(٨) ، وقاضي القضاة ابن مسلم ، والإمام محمد بن

(١) محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣ هـ) ، السير : ١٢٦/٢٢ ، والشذرات : ٢٢٤/٥ .

(٢) (ت ٦٢٣ هـ) الشذرات : ١٥٩/٥ .

(٣) نسبة إلى الليطور ، من قرى دمشق ، معجم البلدان : ٢٤٤/٥ ، ولم نقف على ترجمتها ، وفي س : « للنطورية » .

(٤) عبد العزيز بن أحمد بن عمر بن سالم (ت ٦٣٠ هـ) السير : ٣٥١/٢٢ ، والشذرات : ١٣٥/٥ .

(٥) المسلم بن أحمد بن علي المازني النصيبي (ت ٦٢١ هـ) الشذرات : ١٤٧/٥ .

(٦) محمد بن زهير بن محمد الأصبهاني (ت ٦٢٢ هـ) الشذرات : ١٥٥/٥ .

(٧) وفي الدرر : « عيسى بن عبد العزيز » وهما واحد (ت ٦٢٩ هـ) انظر غاية النهاية : ٦٠٩/١ ، والسير :

٣١٥/٢٢ وهذا يرجح أن سليمان قد ولد قبل التاريخ الذي ذكره المصنف .

(٨) محمد ، وستأتي ترجمته ..

العز^(١) ، والإمام شرف الدين أحمد ابن القاضي^(٢) ، وطائفة .

وسمع منه المزّي ، وابن تيمية ، وابن المحب ، والوائي ، والشيخ صلاح الدين العلائي ، وابن رافع ، وابن خليل ، وعدد كثير .

وقرأ طرفاً من العربية ، وتعلّم الفرائض والحساب ، وحفظ (الأحكام) لعبد الغني^(٣) ، و (المنقح)^(٤) .

وكان حاكماً عادلاً ، لا يقبل في الحق عاذلاً ، وكان جيد الإيراد للدروس ، خبيراً باجتناء ثمار العلم من الغروس ، يحفظ درسه من ثلاث مرات أو أكثر ، ويسرده كأنه عقد تنصّد إذا كان عند غيره قد تبعثر . وبرع في مذهبه وجوده ، وأجرى جواد ذهنه فيه على ما عوّده . وكانت له معرفة تامة بتوالييف الموفق ، وإذا تكلم فيها رأيت الغصن رقص والطير غنى والنهر صفق . وتخرّج به الأصحاب ، وجرّ السحاب خلفه ذيل السحاب .

وكان إذا أراد أن يحكم قال : صلّوا على رسول الله ، فإذا صلّوا ، حكم ، وذل الخضم له ولو كان مروان بن الحكم .

ولم يزل على حاله إلى أن قطع الله من الحياة أمله ، والتقى التقي عمّله .

وتوفي رحمه الله تعالى حادي عشري العقدة سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وعشرين وست مئة .

(١) محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن قدامة المقدسي ، ستأتي ترجمته .

(٢) هو أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي الحنبلي (ت ٧٧١ هـ) انظر : وفيات ابن رافع : ٣٥٢ والشذرات : ٢١٩/٦ .

(٣) هو عبد الغني بن عبد الواحد الجماعي (ت ٦٠٠ هـ) ، واسم كتابه : عدة الأحكام من كلام خير الأناس (ط) . الشذرات : ٣٤٥/٤ .

(٤) المنقح في فروع الحنبلية : لموفق الدين عبد الله بن قدامة الحنبلي (ت ٦٢٠ هـ) الكشف : ١٨٠٩/٢ .

وكان الجاشنكير قد عزله سنة تسع وسبع مئة بالقاضي شهاب الدين بن الحافظ^(١) ، ولما حضر السلطان من الكرك اجتمع به وولاه .

٧١٥ - سليمان بن داود*

ابن سليمان بن محمد بن عبد الحق ، الشيخ الإمام الفاضل الأديب الفقيه الرئيس القاضي صدر الدين أبو الربيع ابن الشيخ ناصر الدين الحنفي .

فقيه تأدب فبرع ، وبلغ إلى الغاية من أول ماشرع ، نظم سائر الفنون ، وصَدَحَ في أيك الأدب والغصون . وقعدت معه التورية فأطربت ، وزادت محاسن نظمته على الروض ورَبَّتْ .

وكان مُطَرِّحاً عديم الوِفْه ، لا يَكْلَفُ بالكلفه ، ولا يَأْنَسُ إلى وَطِنِ المناصب ، ولا يُفَرِّقُ بين الشيعة والنواصب . قد أصبح في عالم الإطلاق ، وتمسك بما يؤدي إلى مكارم الأخلاق . جاب البلاد ، وجال بين العباد ، ولم يدع شاماً إلا شام برقه ، ولا عراقاً إلا ونش عرقه ، ولا حجازاً إلا كشف حجابيه ، ولا يئناً إلا وأم ملوكه وأربابه . وولي مناصب القضاء وغير ذلك ، وانسلخ من الجميع يقول :

«وما الناس إلا هالك وابن هالك»^(٢)

طلما تَمَزَّرَ الفقر وتمزق ، وأنف من ذلك فتزود للرتبة^(٣) العالية وتزوق :

يوماً يمان إذا لاقيتُ ذا ين وإن لقيتُ معدياً فعدناني^(٤)

(١) هو أحمد بن الحسن بن عبد الله بن الحافظ . سلفت ترجمته .

* الوافي : ٢٨١/١٥ ، وفيه (بن سليمان بن عبد الحق) ، والنجوم : ٣٣٦/١٠ ، والذيل التام : ١٧٣ ، والدرر : ١٤٩/٢ .

(٢) صدر بيت لأبي نواس ، سلف من قبل .

(٣) في الأصل : « للترتية » تحريف ، وفي س : « للرتب » .

(٤) من أبيات لعمران بن حطان ، شعر الخوارج : ١٦١ - ١٦٢ ، والكامل : ١٠٨٦ .

ولم يزل يُنجد ويُغير ، ويقطع الآفاق^(١) بالمسير ، حتى ابتزّه الدهر ثوب حياته ،
والتقطه طائر الموت فيما التقط من حباته .

وتوفي رحمه الله تعالى في أول سنة إحدى وستين وسبع مئة بالمُهْجَم من بلاد
الين^(٢) .

ومولده سنة سبع وتسعين وست مئة .

قرأ القرآن على الشيخ مَبْشَر الضرير ، وسمع^(٣) على أشياخ عصره مثل الحَجَّار ،
وابن تيمية ، والمزي ، وغيرهم .

وقرأ (المنظومة) على عمّه القاضي برهان الدين بن عبد الحق^(٤) وحفظها ، وقرأ
(ألفية) ابن مُعْطِي ، وحفظ (النُّكْت الحسان) في النحو ، وعَرَضَهَا على مُصَنِّفِهَا
شيخنا أبي حَيَّان ، وكتب له عليها ، وأثنى عليه ، وعلّق عليها حواشي من أولها إلى
آخرها بخطه من كلام الشيخ ، وبحث الأصلين على الشيخ صفى الدين الهندي
بدمشق ، وعلى تاج الدين بن السَّبَّاح^(٥) ببغداد ، وقرأ (تلخيص المفتاح) على
الحَيْلَخَانِي^(٦) .

ودخل بغداد سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، واجتمع بفضلائها . وسافر إلى خراسان
والري ، وعاد إلى ماردین . ثم رَدَّ إلى القاهرة ثانياً ، وكان قد دخلها أولاً مع عمه قاضي
القضاة برهان الدين ، وكان يقرأ له الدرس^(٧) في مدارسه بالقاهرة ، وأُذِنَ له في
الإفتاء .

(١) في (س) : « مسافة الآفاق » .

(٢) من أعمال زبيد ، معجم البلدان : ٢٢٩/٥ .

(٣) عبارة الوافي : « وسمع الحديث » .

(٤) (ت ٧٤٤ هـ) كما في البداية : ٢١٢/١٤ .

(٥) علي بن سنجر ، ستأتي ترجمته .

(٦) في الدرر : « الخلخالي » .

(٧) في الوافي : « الدروس » .

ودرس^(١) بالدليمية ، وحضر درسه أول يوم قاضي القضاة جلال الدين القزويني وبقية القضاة .

ودخل اليمن سنة خمس وأربعين وسبع مئة بعدما حج ، واجتمع بصاحبه ، فأقبل عليه وأنس به ، ورأيت خطه إليه في عدة أوراق بأداب كثيرة ولطف زائد وخوله نهما أثيلة . وبأشر عندهم ، ثم إنه تزوج بابنة الوزير ، وحج صحبة الملك المجاهد صاحب اليمن في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، فجرت لهم تلك الأحوال^(٢) ونهبهم .

أخبرني صدر الدين من لفظه قال : عُدِم لي في البرّ والبحر ما قيمته خمسة وعشرون ألف دينار .

وحضر إلى دمشق ومعه جملة من الجواهر الثينة . ثم إنه توجه إلى القاهرة ، وسعى في أيام الأمير سيف الدين شيخو ، فباشر توقيع الدست بالقاهرة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة - فيما أظن - وبعد قليل رسم له بنظر الأجاس مع توقيع الدست .

وجرت له حركة بنسب جارية تزوجها من جواري السلطان^(٣) تخلخل أمره فيها ثم سكن ، فلما أمسك الأمير سيف الدين صرغتمش أخرجه إلى دمشق موقعاً في سنة ستين أوائلها ، فجاء إليها ولم يباشر شيئاً ، وأقام في دمشق لا يظهر ، إلى أن سافر منها واختفى خبره ، ثم ظهر أنه مقيم بنابلس لا يظهر ، ومعه مملوك له مليح الصورة يدعى طشتر ، ثم توجه إلى الحجاز سنة ستين وسبع مئة ، ثم إنه دخل اليمن ومملوكه معه ، فلما وصل إلى المهجّم توفي رحمه الله تعالى . قيل : إنه قتل لأنه كان معه قطعة بلخش عظيمة ، كان يدعي أنها لصاحب اليمن .

(١) في (س) : « وانفرد بتدريس » .

(٢) على جبل عرفات ، كما في الوافي .

(٣) في (س) : « ابن السلطان » .

وكان قد تولى القضاء ببغداد وباردين أيضاً .

وكان رحمه الله تعالى عديم الكلفة ، مطرحاً للرئاسة ، يعيش في باب اللوق ،
ويعيش تحت قلعة دمشق ، وكان هشاً بشاً ، رضي الأخلاق . اجتمعت به غير مرة ،
وأنشدني كثيراً من شعره ، وكان جيد النظم ، تقعد معه التورية والاستخدام وصناعة
البديع ، وجود فنون الشعر من الموشح والزجل والمواليا والقريض وغير ذلك .

أنشد^(١) لنفسه بالقاهرة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة :

أيري كبير والصغير يقول لي : اطعن حشائي به وكن صديدا
ناديت هذا لا يجوز ، فقال لي : عندي يجوز ، فنكته تقليدا

وأنشدني لنفسه^(٢) سنة اثنين وخمسين وسبع مئة :

عشت يحيى ، فقال لي رجل : لم يبق فيك من الغرام بقيا^(٣)
تعشوق يحيى تموت ، قلت له : طوبى لصب يموت في يحيى^(٤)

وأنشدني لنفسه :

قال حبيبي : زرنى ولكن يكون في آخر النهار
قلت أداري السورى وآتي لأي دار فقـال : داري

وأنشدني لنفسه :

طال حكي وعندما قلت : خذ لوقتـه
ضـرط العلقـ ضـرطـة دخل الأير في استـه

(١) في (س) : « وأنشدني » .

(٢) في (س) : « لنفسه بالشام » .

(٣) في (س) : « لم يبق فيك الغرام من بقيا » ، ومثله في الوافي ولكن بلفظ : « فيك الفراق » ، وفي
المنهل : « لم يبق في الغرام من بقيا » .

(٤) في المنهل : « مات » .

وأنشدني لنفسه :

سمـوتُ إذ كلمتني سلمى بغير رسالـه
وقال صـحبي : تنبـا وكلمته الغزالـه^(١)
[وأنشدني لنفسه]^(٢) :

من يكن أعمى أصـا يدخل الحانَ جهارا
يسمع الألحان تتلى ويرى الناس سكارى
وأنشدني لنفسه :

بدا الشَّعْرُ في الحَدِّ الذي كان مُشْتَهَى فأخفى عن المعشوق حالي وما تخفى^(٣)
لقد كانت الأزدافُ بالأمسِ رَوْضَةً من الوَرْدِ وهي اليومَ مَوْرِدَةً الحُلُفا^(٤)
وأنشدني لنفسه :

يارسول الحبيب غثُ مُسْتَهَاماً مَغْرَماً يَعْشَقُ الملاحَ دِيانَهُ
حَدَّثَ الخائفُ الكئيبَ من الهجـ ر فـهو من الحديث أمانه^(٥)
وأنشدني لنفسه :

وقائلةٍ يومَ الوداعِ أرى دَمَاً تَفِيضُ به عيناك ، ناديت لأدري
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّ الفُؤَادَ لِيَبْنِنَا يذوبُ وأنَّ العينَ لا بُدَّ أن تجري

(١) الغزاة : الحيوان المعروف ، والشمس ، والبيتان في المنهل .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) في المنهل : « عن المعشوق .. وما تخفى » .

(٤) في المنهل : « من الحسن فهي .. » .

(٥) كذا في الأصل ، وهو محتل الوزن . وفي (س) والوافي : « .. من يرى الحديث » . ويبقى الوزن محتملاً . ويصح إذا قال : « .. من الهجران فهو يرى الحديث أمانة .

وَأُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ :

وَالْإِمَّ أَمْنَحُكَ الْوُدَادَ سَجِيَّةً وَأَبُوءُ بِالْحَرَمَانِ مِنْكَ وَبِالْأَذَى
وَيَلُومَنِي فِيكَ الْعَدُولَ وَلَيْسَ لِي سَمْعٌ يَعْيِي وَإِلَى مَتَى نَبْقَى كَذَا^(١)

وَأُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ :

يَقُولُ نَدِييَ عَنْ نُضُوحٍ بِكَفِّهِ لَقَدْ فَضَحَ الصَّهْبَا وَجَلَ عَنْ الْحُبْثِ
فَقُلْتُ : هُوَ الْمَطْبُوحُ مِنْ حَسَدٍ لَهَا أَلَمْ تَرَ قَدْ صَارَ مِنْهُ إِلَى الثُّلْثِ^(٢)

وَأُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ :

ضَيَّعْتُ أَمْوَالِي فِي سَائِبِ يَظْهَرُ لِي بِالْوَدِّ كَالصَّاحِبِ
لَمَّا انْتَهَى مَالِي انْتَهَى وَدُّهُ وَاضْيَعَةُ الْأَمْوَالِ فِي السَّائِبِ

وَأُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ :

وَسَاخِرَ طَرْفٍ عَقْرَبَ فَوْقَ صُدْغِهِ تَدْبُ إِلَى قَلْبِي وَلَمْ أَمْلِكِ النَّفْعَا
وَحَيَّةً شَعْرَ خَلْفَهَا نَحْوَ مُهْجَتِي يُخَيِّلُ لِي مِنْ سِحْرِهَا أَنَّهَا تَسْعَى^(٣)

وَأُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ :

لَمَّا حَكَى بَرَقَ النَّقَا لِمَعْنَى أَنْ تَغْرَكَ إِذْ سَرَى
نَقَلَ الْغَمَامُ إِلَيْكَ عَنْ دَمْعِي الْحَدِيثَ كَمَا جَرَى^(٤)

وَأُنْشِدْنِي لِنَفْسِهِ :

(١) في الواقي : « يبقى » .

(٢) في الأصل : « جسد » ، وأثبتنا ما في (س) والواقي .

(٣) في الأصل « أنه » ، وأثبتنا ما في (س) والواقي . وفي البيت إشارة إلى قصة السحرة مع موسى عليه السلام .

(٤) البيتان في للنهل الصافي .

حَظُّ عَيْنِي مِنَ الدُّنْيَا الْقَذَى وَفَوَّادِي حَظُّهُ مِنْهَا الْأَذَى
وَلَمْ حَاوَلْتُ فِيهَا رَاحَةً مَا أَرَادَ اللَّهُ إِلَّا هَكَذَا

ويبني وبينه مكاتبات ذكرتها في كتابي (ألحان السواجع) ، وعلقت من شعره كثيراً مما أنشدنيه من لفظه لنفسه من الموشحات والمواليات وغير ذلك وجميعه في (التذكرة) التي لي .

٧١٦ - سليمان بن داود بن سليمان*

أمين الدين رئيس الأطباء بدمشق .

كان سعيد العلاج ، عديد السعد برأيه والابتهاج . أول ماظهر به من المعرفة واشتهر ، وشاع عنه أنه قد جاد وقهر ، لما طُلِبَ إلى طرابلس لمعالجة أسندمر نائب طرابلس ، فإنه وجده في الصيف في مثل ساحل طرابلس ، وهم قد أدخلوه في خراكة^(١) وألبسوه فروة للنمائم ثقيلة ومرضه حاد ، فأمر بإخراجه من الحركة ، ونزع الفروة وحلق رأسه ، وأخذ في علاجه بما يصلح به مزاجه ، فصح وعوفي ، وأعطاه شيئاً كثيراً ، فاشتهر حينئذٍ أمر الأمين سليمان .

وأنا اجتمعت به بدمشق والديار المصرية غير مرة ، وبجثت معه ، فوجدته رجلاً خبيراً بالعلاج لا على القواعد ، بل أخذ ذلك بسعد يرشده له ، وفطنة تؤدّيه إليه ، ولم أجده يعرف شيئاً من الحكمة . وزرت أنا وهو الآثار النبوية التي برباط صاحب تاج الدين محمد بن حنّا في المعشوق^(٢) .

ولمّا توجه قاضي القضاة القزويني إلى الديار المصرية وجد عند السلطان تطلّعاً إلى عافية القاضي علاء الدين بن الأثير لفالج أصابه ، فقال القاضي للسلطان :

* الوافي : ٢٨٠/١٥ ، والبداية : ١٦٠/١٤ ، والدرر : ١٥١/٢ ، والشذرات : ١٠٠/٦ ، والدارس : ١٠٤/٢ .

(١) هي الخيمة الكبيرة أو البيت من خشب يحمل في السفر للمبيت .

(٢) ويعرف برباط الآثار ، وحسن الحاضرة : ٢٧٣/٢ .

ياخوند ، أمين الدين سليمان الطيب بدمشق داوى ولدي عبد الله من هذا المرض وبرئ منه . فطلبه السلطان إلى القاهرة ، ولازم ابن الأثير ، فما أنجب فيه ^(١) علاج ، لأنه كان قد تحكّم فيه المرض ، وعاد إلى دمشق في سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وكان يسمر عند صاحب شمس الدين بن غبريال ^(٢) ، ويلعب الشطرنج بين يديه كلّ ليلة ، ويلازمه في النزهة وغيرها ، وكان قد حصل أموالاً عديدة وكتباً عظيمة .

ولم يزل على حاله إلى أن أعيا العلاج داؤه ، وفقدّه صحّبه وأودأؤه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة في يوم السبت سادس عشري شعبان .

وكان قد سمع على شيخه كال الدين الدّيسري شيئاً من الحديث بقراءة شيخنا علم الدين البرزالي .
ودفن بالقبيبات قبليّ دمشق .

٧١٧ - سليمان بن عبد الحليم بن عبد الحكيم *

الشيخ الإمام العالم الفاضل صدر الدين الباردي ، بالباء الموحّدة وبعد الألف راء ودال مهملة ، المالكي الأشعري .

كان فقيهاً في مذهب مالك ، سديد الطّرق في علمه والمسالك ، أفتى على مذهب إمامه مالك رضي الله عنه زماناً ، والتقط الناس من فتاويه درّاً وجّاناً ، وكان من بقايا

(١) في (س) : « له فيه » .

(٢) شمس الدين غبريال المسلماني . توفي (٧٣٢ هـ) . انظر ذيول العبر : ١٧٠ و ١٨٢ .

* الوافي : ٣٩٧/١٥ ، ووفيات ابن رافع : ٢٦٣/١ ، والدرر : ١٥٣/٢ ، والدارس : ٩٤/١ ، وذيول العبر : وثمة خلاف في تبة نسبه .

العلماء وسلف الفضلاء ، أشعريّ العقيدة ، لا يقدر أحد على أن يكيده ، وكان يصحب أكابر الشافعية ومن فيه ذكاء أو ألمعية .

ولم يزل على حاله إلى أن فترت من الباردي حرّاته ، واستولت عليه سكّناته .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد خامس جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وسبع مئة^(١) في طاعون دمشق .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة .

وكان يدرس بالشرائيشية^(٢) .

وقلت أنا فيه :

مِنْ بَعْدِ صَدْرِ الدِّينِ صَدْرِي ضَاقَ بَلْ قَدْ ذَاقَ فَرْطَ جَوِيٍّ وَحُزْنَ زَائِدٍ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ قَلْبِي يَلْتَظِي بِالنَّارِ مِنْ حَزْنِي لِأَجْلِ الْبَارِدِي

٧١٨ - سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ*

ابن علي بن عبد الرحمن الشيخ الإمام العالم نجم الدين أبو المحامد النهرماوي - بالنون والهاء والراء والميم والألف والواو - الحنبلي قاضي القضاة ببغداد^(٣) .

قال^(٤) الحافظ نجم الدين الدهلي : سمع ببغداد جميع (الأربعين الطائية) على

(١) في الأصل : « وست مئة » ، سهو .

(٢) بناها نور الدولة علي الشرايشي بدرب الشعاراني داخل باب الحامية . الدارس ؛ ٦/٣ .

(٣) زاد في (س) مانصّه : « كان يَبْدَعُ مَنْ خَرَجَ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ قَيْدَ شَبْرٍ ، وَلَا يَرَى لَهُ إِلَّا السِّيفَ قَاطِعاً عَلَى مَا اقْتَرَفَ مِنْ كِبَرٍ ، يَرَى مِنَ الْعِظَامِ السَّكُوتَ عَنْ تَأْوِيلِ مَا يَجِبُ أَنْ يَتَأَوَّلَ ، وَيَعْدُ مِنَ الْجَرَائِمِ الْإِنْسِلَالُ مِنْ طَرُقِ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ » .

* الوافي : ٢٩٨/١٥ ، ووفيات ابن رافع : ٢٤٤/١ ، والدرر : ١٥٢/٢ .

(٤) في (س) والوافي : « قال لي » .

المُسْنَدُ أَبِي البركات إسماعيل بن علي بن أحمد بن الطَّبَّال الأَزْجِي بِسْمَاعَهُ^(١) مِنْ جَمْعِهَا
الإمام أبي الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائِي^(٢) ، وَحَدَّثَ بِهَا بِبَغْدَادَ ، وَسَمِعَهَا جَمَاعَةً ،
مِنْهُمْ نَجْمُ الدِّينِ الدَّهْلِي .

وَكَانَ الْمَذْكُورُ شَيْخَ الْحَنَابِلَةِ بِبَغْدَادَ وَفَقِيهِمْ وَمُدَرِّسَهُمْ ، تَفَقَّهَ عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ
تَقِيِّ الدِّينِ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الزَّرِيرَانِي^(٣) ، وَكَانَ يُثْنِي عَلَيْهِ بِمَعْرِفَةِ
الْفَقْهِ . وَدَرَسَ لِلْحَنَابِلَةِ بِالْمُسْتَنْصَرِيَّةِ ، وَبَاشَرَ الْقَضَاءَ مَعَ التَّعَفُّفِ وَالصِّيَانَةِ وَالتَّقَشُّفِ ،
وَلَمْ يَحْكَمْ بَيْنَ النَّاسِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِدَّه . ثُمَّ إِنْ وَلَدَهُ^(٤) اسْتَقَلَّ بِالْقَضَاءِ فِي حَيَاتِهِ قَسَدَهُ ،
وَوَلِيَ التَّدْيِيسَ أَيْضًا ، وَأَفَاضَ الْخَيْرَ فَيضًا .

وَلَمْ يَزَلْ نَجْمُ الدِّينِ الْمَذْكُورُ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ فُغِرَ الْقَبْرُ لَهُ فِيهِ ، وَحُمِلَ إِلَيْهِ
فَالْتَقَمَهُ .

وَتُوفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ بِبَغْدَادَ .

وَمَوْلَدُهُ تَقْرِيبًا سَنَةَ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ .

٧١٩ - سَليمان بن عبد القوي*

ابن عبد الكريم بن سعيد الطوفي ، بالطاء المهملة والواو^(٥) .

كَانَ فَقِيهًا حَنْبَلِيًّا ، عَارِفًا بِفُرُوعِ مَذْهَبِهِ مِلِّيًّا ، شَاعِرًا أَدِيبًا ، فَاضِلًا لَبِيبًا ، لَهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « بِسْمَاعُهُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) وَالْوَاقِي .

(٢) (ت ٥٥٥ هـ) ، السَّيَر : ٣٦٠/٢ ، وَالْوَاقِي : ١٤٤/١ .

(٣) سَتَأْتِي تَرْجُمَتُهُ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « وَالِدُهُ » سَهُوً ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) وَالْوَاقِي .

* الدَّرَر : ١٥٤/٢ ، وَالبَغِيَّة : ٥٩٩/١ ، وَالشُّذْرَات : ٣٩/٦ ، وَذَيْوَلُ الْعَبَر : ٨٨ .

(٥) وَبَعْدَهَا فَاءٌ ، كَمَا فِي الدَّرَرِ ، وَفِي الشُّذْرَاتِ : نِسْبَةٌ إِلَى قَرْيَةٍ طُوفَا مِنْ أَعْمَالِ صَرْصَرٍ قَرِبَ بَغْدَادَ .

مشاركة في الأصول ، وهو منها كثير المحصول ، قيماً بالنحو والفقه ^(١) والتاريخ ونحو ذلك ، وله في كل ذلك مقامات ومبارك .

ولم يزل إلى أن توفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة عشر وسبع مئة .

قال الفاضل كمال الدين الأذفوي ^(٢) : كان شيعياً يتظاهر بذلك ، ووجد بخطه هجواً في الشيخين رضي الله عنهما .

وكان قاضي القضاة الحاربي ^(٣) يكرمه ويُبجله ورتبه في مواضع من دروس الحنابلة ، وأحسن إليه . ثم وقع بينها ، وكلمه في الدرس كلاماً لا يناسب الأدب ، فقام عليه ابنه شمس الدين ، وفوضوا أمره إلى بدر الدين بن الحبال ، وشهدوا عليه بالرفض ، فضرب ، وتوجه من القاهرة إلى قوص ، وأقام بها سنين .

وفي أول قدومه نزل عند بعض النضاري وصنف تصنيفاً ^(٤) أنكرت عليه ألفاظ فغيرها . قال : ولم نر منه بعد ولا سمعنا شيئاً يشين .

ولم يزل ملازماً للاشتغال وقراءة الحديث والمطالعة والتصنيف وحضور الدروس معنا إلى أن سافر من قوص إلى الحجاز . وكان كثير المطالعة ، أظنه طالع أكثر كتب خزائن قوص ، وكانت قوته في الحفظ أكثر منها في الفهم .

وصنف تصانيف منها : (مختصر الترمذي) ، واختصر (الروضة في أصول الفقه) تصنيف الشيخ الموفق ^(٥) ، وشرحها ، و (شرح الأربعين النووية) ، وشرح

(١) في (س) : « اللغة » .

(٢) ليس للمترجم هنا ترجمة في المطبوع من كتاب الأذفوي (الطالع السعيد) .

(٣) مسعود بن أحمد بن مسعود ، ستأتي ترجمته .

(٤) اسمه تعاليق على الأناجيل ، الأعلام : ١٢٨/٣ .

(٥) موفق الدين الحنبلي عبد الله بن أحمد بن محمد (ت ٦٢٠ هـ) الكشف : ٩٢٤/١ .

(التبريزي) في مذهب الشافعي ^(١) وكتب على (المقامات) ^(٢) شرحاً رأيته يكتب فيه من حفظه ، وما أظنه أكمله ، وصنف في مسألة « كاد » ، وسماه (إزالة الإنكاد) ^(٣) ، وتكلم على آيات من الكتاب العزيز .

ومن شعره :

إِنْ سَاعَدْتُكَ سَوَابِقُ الْأَقْدَارِ هَذَا ربيعَ الشهر مولده الذي
هوَ فِي الشُّهُورِ يَهْشُ فِي أَنْوَارِهِ هُوَ فِي الشُّهُورِ يَهْشُ فِي أَنْوَارِهِ
وَمِنْ قَصِيدَةٍ يَهْجُو فِيهَا بِلَادَ الشَّامِ :

قَوْمٌ إِذَا حَلَّ الْغَرِيبُ بِأَرْضِهِمْ أَضْحَى يَفْكَرُ فِي بِلَادِ مَقَامِ
بَثْقَالَةِ الْأَخْلَاقِ مِنْهُمْ وَالْمَوَى أَمْضَى بِهِ زَنْدُ النَّبِوَةِ وَارِ
وَوَعُورَةِ الْأَرْضِينَ فَامَشِ وَقَعَ وَقَمُ مَثَلُ الرَّبِيعِ يَهْشُ بِالْأَنْوَارِ
لَا غَرَوْا إِنْ قَسَتِ الْقُلُوبُ قُلُوبَهُمْ أَمْضَى يَفْكَرُ فِي بِلَادِ مَقَامِ
فَجَوَارِقَ سَاسِيُونَ هُمْ وَكَأَنَّهُمْ وَالماء وهي عناصر الأجسام
قَالُوا: لَهَا فِي الْمُسْنَدَاتِ مَنَاقِبُ كَتَعَثَرُ الْمُسْتَعْجِلِ التَّمْتَامِ
أَهْلُ الرِّوَايَةِ أَثْبَتُوا إِسْنَادَهَا وَاسْتَقْبَلُوا خَلْقاً لَدَى الْأَقْوَامِ
قُلْتُ: الْأَمَاكِنُ شُرُفَتْ لِأَهْلِهَا مِنْ جُرْمِهِ خَلَقُوا بِغَيْرِ خِصَامِ
أَرْضٌ مُشْرِفَةٌ وَقَوْمٌ جِيفَةٌ كَتَبَتْ بِهَا شَرْفاً حَلِيفَ دَوَامِ
أَهْلُ الرِّوَايَةِ أَثْبَتُوا إِسْنَادَهَا مِنْ كُلِّ حَبْرٍ فَاضِلٍ وَإِمَامِ
قُلْتُ: الْأَمَاكِنُ شُرُفَتْ لِأَهْلِهَا لَخُصُوصَةٍ فِيهَا مِنَ الْعَلَامِ
أَرْضٌ مُشْرِفَةٌ وَقَوْمٌ جِيفَةٌ فَالْكَلْبُ حُلٌّ بِمُوطِنِ الْأَجْرَامِ

(١) وهو شرح على كتاب الحصول في أصول الفقه لفخر الدين الرازي التبريزي (ت ٦٠٦ هـ) ، وقد أشار إلى شرحه صاحب الكشف ١٦١٦/٢ .

(٢) يريد مقامات الحريري ، وذكر صاحب الكشف شرحه هذا : ١٧٩٠/٢ .

(٣) كذا في الأصل (و س) ، وفي البغية : « إزالة الإنكار في مسألة كاد » . وفي الكشف : ٧١/١ ، « وإزالة الإنكار في مسألة الأَبْكَار » .

٧٢٠ - سليمان بن عثمان*

الصدر الرئيس فخر الدين بن فخر الدين ، ابن الشيخ الإمام صفي الدين أبي القاسم محمد بن عثمان البصروي .

ولي حسبة دمشق وأقام فيها إلى أن عزل منها بابن الحداد^(١) في سابع ذي القعدة سنة أربع عشرة وسبع مئة ، فأقام بدمشق مدة يسيرة أياماً قلائل .

وتوفي في [سابع]^(٢) عشري الشهر المذكور ، وحُمِلَ إلى بصرى ودفن بها . وكان قد توجه إلى الديار المصرية فتوفي بالبرية .

وكان شاباً كريماً حسن الأخلاق .

٧٢١ - سليمان بن عبد الكافي**

الصدر الرئيس القاضي جمال الدين .

كان فيه عقل وسكون ، وحياء وحشمة . ولآه الأمير سيف الدين تنكز نظر ديوانه ونظر البيارستان النوري بعدما عزل القاضي جمال الدين يوسف شقير وصادره وأخذ ماله في شهر رجب سنة أربع وثلاثين وسبع مئة . واستمر ابن عبد الكافي في نظر ديوان تنكز إلى [أن] أمسك ، ولما حضر الأمير سيف الدين يُشتاك إلى دمشق أمسك عبد الكافي في جملة مبشري تنكز ، وأخذ منه مبلغ خمسين ألف درهم باليد القوية ، ثم إنه فيما بعد ولي استيفاء معاملة فيما أظن إلى أن توفي رحمه الله تعالى .

* البداية والنهاية : ٧١/١٤ ، والدرر : ١٥٨/٢ .

(١) محمد بن عثمان بن يوسف ، ستأتي ترجمته .

(٢) زيادة من (س) .

** لم تقف على ترجمة له .

٧٢٢ - سليمان بن عسكر بن عساكر*

علم الدين أبو الربيع المنشد الحوراني^(١) تقيب المتعممين بدمشق .

كان يحفظ أكثر ديوان الصرصي^(٢) في مدائح سيدنا رسول الله ﷺ . وكان يخضّر الأفراح والولائم ، والختم وللآتم ، وكلّ جمع يكون ، وكلّ مكان يعلم أنه له فيه زبون ، لا يكاد يفوته موضع ، ولا ينجو من خفه موقع ، ومهما جرى في ذلك المجلس ، أنشد هو من المدائح ما يوافق ذلك ويؤنس ، ويخضّر دروس الغزاليه ، ويقوم عقيب الفراغ وينشد قصيدة حالیه ، ويحجّ كل سنة ، ويكون في الركب مؤذناً ، ويقوم على كلّ من [يموت] مؤبناً^(٣) ، وينشد ما يحفظه جيداً من غير لحن ولا تحريف ، ولا خروج عن قواعد التصريف ، إلا أن الناس كانوا يستثقلونه ، ويبخسون حظه ويهملونه .

ولما مات ما قام مقامه أحد ، ولا خلفه من اعترف بفضله أو جحد .

ولم يزل على حاله إلى أن نشد فما وجد ضائعاً ، وكسدت بعده بضائعه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر شهر رجب الفرد سنة إحدى وخسين وسبع مئة .

وكان قد سمع وروى عن عمر بن القوّاس .

وكتبت له مرسوماً على ظاهر قصّة^(٤) ، وقد توجه مؤذناً بالركب ، ونسخة ذلك : « لأنه المنشد الذي أضحت قصائده غاية^(٥) المقصود ، والمطرب الذي يقال فيه :

* الوافي : ٤٠٥/١٥ ، ووفيات ابن رافع : ٢٩٦+١ ، الدرر : ١٥٨/٢ ، والذيل التام : ١١٧ ، وذبول العبر : ٢٨٢ .

(١) في وفيات ابن رافع : « الجراحي » ، وفي الذيل التام : « الخراسي » . وفي ذبول العبر : « الخواصي » .

(٢) يحيى بن يوسف (ت ٦٥٦ هـ) .

(٣) في الأصل : « كل من مؤبناً » وفيه تحريف وسقط ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) في الوافي : « قصته » .

(٥) في الوافي : « وهي غاية » .

هذا سليمان ، وقد أوتي مزمراً من مزامير داود ، والحافظ الذي يُعَرِّبُ إنشاده ، والفصيح الذي يعلو به النظم إن شأه . لو سمعه الصرصري لعلم أنه فيما يورده متبصراً^(١) ، ويحقق أن السامعين له إذا بكوا وخضعوا « عرائيق ماء تحت بازٍ مُصْرَصِر » كم حرك ساكن^(٢) القلوب بلفظه البديع ، وأجرت عبارته العبرات من بحره السريع ، وجعل المحافل رياضاً لأنه أبو الربيع ، فليؤذن آذاناً إذا سمعه الركب أقام ، وقالوا : هذا المؤذن الذي للناس كلهم إمام ، والله يرزقنا شفاعته من يجلو علينا مدائحه ، ويفيض علينا في الدنيا والآخرة منائحه ، بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

وكان قد حضر بعض أفاضل العصر من مصر ورأى ما يفعله علم الدين المذكور من الإنشاد في الجامع ، فأنكر ذلك ، وأنشدني :

أَهْلُ دِمَشْقَ مِنْهُمْ قَدْ ضَاعَ مَا لَا يُوْجَدُ
فَكَلَّمَا تَجَمَّعُوا يَقُومُ فِيهِمْ مُنْشِدُ

قلت : هذا خطأ فاحش في التصريف ، فإنه يقال : نشد الضالة فهو ناشد ، وأنشد القصيدة فهو منشد ، وأنت هنا تريد من نشدان الضالة فهو حينئذٍ ناشد .

٧٢٣ - سليمان بن عمر بن سالم*

ابن عمرو^(٣) بن عثمان الشيخ الإمام قاضي القضاة جمال الدين^(٤) الزرعي^(٥)

(١) في الأصل « منتصر » وأثبتنا ما في (س) والوافي ، وهي أشبه .

(٢) في الوافي : « سواكن » .

* الوافي : ٤١٦/١٥ ، والبداية والنهاية : ١٦٧/١٧ ، وتاريخ أبي الفداء : ١١٠/٤ ، والدرر : ١٥٩/٢ ، والشذرات : ١٠٧/٦ ، والدارس : ٣٢١/١ ، والمنهل الصافي : ٤٦/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٣٠٤/٩ وفيه « عمر بن عثمان » .

(٣) في البداية ، والمنهل : « عمر » .

(٤) في النجوم : « مجد الدين » .

(٥) في الوافي : الأذري ، وفي البداية والنهاية أنه ولد سنة خمس وأربعين وست مئة بأذرعات . وفي ذيول العبر : ١٨١ « الأذري المشهور بالزرعي » .

الشافعي ، عُرِفَ بذلك لأنه حَكَمَ بِزَرْع^(١) مُدَّة .

سمع من ابن عبد الدايم ، والكمال أحمد بن نعمة ، والجمال بن الصيرفي ، وجماعة .
 وولي قضاء شَيْزَر مُدَّة ، وناب عن القاضي بدر الدين بن جماعة بدمشق ومصر ،
 ولما قدم السلطان من الكرك^(٢) في سنة تسع وسبع مئة عزل قاضي القضاة
 بدر الدين بن جماعة ، وولى القاضي جمال الدين قاضي^(٣) القضاة بالديار المصرية
 عَوْضَه ، فحكم فيها سنة ، ثم إن السلطان أعاد ابن جماعة وبقي القاضي جمال الدين على
 قضاء العسكر ومدارس بيده^(٤) . ثم إنه جهزه إلى الشام قاضي القضاة بعد نجم الدين بن
 صَصْرَى^(٥) ، ثم إنه صَرَفَ بعد سنة بقاضي القضاة جلال الدين القزويني ، وبقي بيد
 القاضي جمال الدين بدمشق مشيخة الشيوخ وتدريس الأتابكية ، وباشرها في شهر
 رجب الفرد سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وكان البريد قد جاء بعزله في خامس
 عشري شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة .

وبقي في العادلية خمسة عشر يوماً انتقل إلى الصالحية^(٦) . ولم يزل على وظائفه إلى
 أن توجه إلى الديار المصرية في خامس عشري القعدة سنة ست وعشرين وسبع مئة ،
 وولي الأتابكية بعده^(٧) الشيخ محي الدين بن جهبل^(٨) ، وكان في ولايته بدمشق فيه
 صرامة وعفة وقلة مخالطة للناس ، وعليه سكينه ووقار .

(١) زَرْع : بلدة جنوب دمشق بنحو (٧٠) كيلاً على طريق درعا ، وتعرف اليوم بـ (إزرع) .

(٢) في الأصل : « السلطان » وهو سهو ، صوابه ما في (س) ، والوافي ، والدرر ، ومراده ههنا : الملك
 الناصر بن قلاوون .

(٣) في (س) : « قضاء » .

(٤) في الأصل : « سده » تحريف ، صوابه ما في (س) ، وفي الدرر : « عدة » .

(٥) في المنهل : « واستمر إلى أن توفي قاضي قضاة دمشق ابن صصري استقر جمال الدين هذا .. عوضه » .
 وكانت وفاة ابن صصري سنة (٧٢٣ هـ) .

(٦) انظر : البداية والنهاية : أحداث ٧٢٤ ، ١١١/١٤ .

(٧) في (س) : « بعد » وما في الأصل هو الصحيح .

(٨) إسماعيل بن محمد ، سلفت ترجمته .

وسمع الحديث من النجم محمد بن النشبي ، وخرّج له شيخنا البرزالي جزءاً من اثنين وعشرين شيخاً ، حدّث به بدمشق والقاهرة .

وأصله مغربي . وصّلّي عليه بدمشق صلاة الغائب في يوم الجمعة ثامن عشر صفر . وكانت وفاته بالقاهرة رحمه الله تعالى يوم الأحد سادس صفر سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

٧٢٤ - سليمان بن قايماز بن عبد الله*

الشيخ الصالح أبو الربيع عتيق كافور النوري .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : كان رجلاً جيداً ، سمعنا عليه بحلب ودمشق ، وروى لنا عن ابن رواحة (جزء) ابن ملابس^(١) ، وكان مُقيماً بالمدرسة الأتابكية ظاهر حلب .

توفي رحمه الله تعالى رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وست مئة . ومولده سنة إحدى وعشرين وست مئة بحلب .

٧٢٥ - سليمان بن محمد بن عبد الوهاب**

الرئيس صاحب فخر الدين أبو الفضل الشيرجي^(٢) الأنصاري الدمشقي . سمع من الشيخ تقي الدين بن الصلاح^(٣) ، وشرف الدين المرسي^(٤) ، ولم يحدث .

* لم تقف على ترجمته .

(١) في (س) : « ملابس » ، تحريف ، وفي الأعلام للزركلي : ١٦١/٨ ، أنه ابن ملامس يحيى بن عيسى المشيرقي (ت ٤٢١ هـ) . وأشارمة إلى أنه وقع في كتاب مرآة الجنان « ملابس » ، ولم يرتضه .

** الوافي : ٤٢٥/١٥ ، وتالي وفيات الأعيان : ٨٣ ، والعبر : ٣٩٨/٥ ، والشذرات : ٤٤٨/٥ ، والنهل الصافي : ٥٣/٦ .

(٢) في المنهل : « السيرجي » بالسين المهملة .

(٣) في المنهل : « بن الصلاح » .

(٤) في المنهل : « المريني » .

وتعاني الكتابه ، وكان من أعيان الرؤساء بل رأساً لتلك العصابه . فيه كرم ، ولنار جوده ضرم ، وعنده سؤدد وحشمه ، وله رونق وطلاوة في النعمه ، وولي نظر الدواوين ، وجلس في صدور الدواوين ^(١) .

ولما جاء التتار إلى دمشق في واقعة غازان ، وبدا منهم في حق أهل دمشق مآشان لا مآزان ، ألزموه بوزارتهم ، وأدخلوه في جزارتهم ، فدخل في ذلك مكرهاً كالذي حاذى ، وتجنب الظلم وما آذى . ولما رحلوا نزل به حتفه ، ورغم بالدخول في القبر أنفه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة في شهر رجب ، ومشى الأعيان في جنازته إلى باب البريد ، فورد مرسوم أرجواش نائب قلعة دمشق ورد الناس ومنهم من المشي مع ^(٢) الجنازة ، وضربهم ، ولما وصلت الجنازة إلى باب القلعة أذن لولده شرف الدين ^(٣) في اتباعها .

٧٢٨ - سليمان بن محمد بن موسى بن سليمان*

فخر الدين ، ابن القاضي عماد الدين محمد ابن القاضي .

كان فخر الدين هذا يخدم في الجهات الديوانية ، ثم إنه بطل بعد ذلك وخدّم في ديوان الإنشاء ، وكتب به مدة ، ثم إنه توجه مع والده إلى الديار المصرية ، وأقاما هناك ، ثم دخل ديوان الإنشاء وكتب ^(٤) بالقاهرة ، ثم إنه كتب الدرج مع ^(٥) الوزير ،

(١) في (س) : « الأولوين » .

(٢) في (س) : « في » .

(٣) أشار صاحب التالى إلى أنه توفي (٧١٨ هـ) .

* لم تقف على ترجمة له .

(٤) في (س) : « وكتب به » .

(٥) في (س) : « عن » .

وحضر مع الوزير لما حضر السلطان في واقعة الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي ، وعاد معهم ، ثم إنَّ نائب الشام كتب فيه يسأل أن يكون ناظر الحسبة بدمشق عوضاً عن أبيه ، فرسم له بذلك ، وخلع عليه ، وكتب توقيعه بذلك ولم يبقَ إلاَّ سفره ، فاتقطع ثلاثة أيام .

وتوفي رحمه الله تعالى في أول شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين وسبع مئة .
ومولده سنة خمس وسبع مئة .

وكان شكلاً حسنًا عاقلاً ، ذا كراً للرئاسة ناقلًا ، يكتب خطأً جيداً ويعتني بما يكتبه متأيداً ، إلا أنه ما سمعتُ له إنشاءً ، ولا ارتدى منه ظهارة ولا غشاء ، وتجرع والده فقدته ، وعدم به من الحياة نقده ، وتألم له أصحابه ، وتربت يدا أترابه لما طمته ترابته ، رحمه الله تعالى .

٧٢٩ - سليمان بن مهنا*

ابن عيسى الأمير علم الدين أمير العرب ، قد تقدم ذكر أخيه أحمد ، وسيأتي ذكر أخيه موسى ووالده مهنا إن شاء الله تعالى كلُّ منهما في مكانه ، وهو شقيق أحمد .

كان علماً الدين هذا سليمان من الشجعان ، والأبطال الفرسان ، زائد الكرم والجود ، ليس لنسب مكارمه ركود ، وكان المسلمون والمغل يخشونه ويهابونه ، ويدأرونه ويخافونه^(١) ، يأكل إقطاع صاحب مصر ويأخذ أنعامه ، وإقطاع ملك التتار وإنعامه ، ولا يزال له بالبلاد الفراتية نوابٌ وشحاني^(٢) ، وغلما يستخرجون له الأموال من القفول وسكان المغاني .

* الوافي : ٤٣١/١٥ ، والدرر : ١٦٣/٢ ، والمنهل الصافي : ٥٥/٦ ، والنجوم الزاهرة : ١٠٣/١٠ ، وتذكرة النبيه : ٤٧/٣ .

(١) في (س) : « ويحابونه » .

(٢) جمع شحنة وهم مجموعة من العسكر الشرطة ، يسمى قائدها رئيس الشحنة أي صاحبها .

وكان قد توجه مع قراستقر إلى بلاد التتار ، وأقام هناك سبع عشرة سنة ، وله فيها ظهور واستتار ، وجاء مع خربندا إلى الرحبة وكان مع المغل ، وله مع حريمهم على الإسلام عمل وشغل ، ثم إنه عاد إلى بلاد الإسلام في سنة ثلاثين وسبع مئة أو ما قبلها ، وعاد ودخل في الطاعة وأنعم السلطان عليه بإقطاع ولم يؤاخذه ، ثم إنه ولي إمرة آل فضل بعد أخيه موسى .

ولم يزل على ذلك إلى أن قرّجن سليمان وسكن فما نبس ، وصحّ موته وما التبس .
وتوفي رحمه الله تعالى ظهر يوم الاثنين خامس عشري شهر ربيع الأول سنة أربع وأربعين^(١) وسبع مئة .
ورسم الصالح إسماعيل لسيف بن فضل^(٢) بالإمرة ، واعتقل أخاه أحمد بن مهنا ، على ما مرّ في ترجمته .

ولما عاد سليمان إلى بلاد المسلمين أقام ببلاد الرحبة وما حولها ، وكان أبوه وعمه فضل وإخوته يرفدونه بالذهب وغيره ، ويخوفونه من السلطان ويحذرونه من الوقوع في يده ، وأخذوا يتعيّشون به على السلطان ويمنّونه بإحضاره ، فلما فهم سليمان ذلك ركب بغير علمهم وماطلع خبره إلّا من مصر ، ف قيل له في ذلك ، فقال : هؤلاء يأخذون الإقطاعات والإنعامات من السلطان بسبي ، وخير^(٣) من فيهم يسير إليّ مئتي دينار ، فإذا رُحت أنا إلى السلطان زال هذا كله ، ولما وصل أقبل عليه السلطان وأمر له بإقطاع يعمل أربع مئة ألف درهم وأنعم عليه بمئتي ألف ، ولم يزل كذلك إلى أن توفي أخوه^(٤) بالقعة^(٥) ، وكان في أيام الفخري وهو مع الطنبغا في حلب فقال : أنا

(١) في النجوم ، وتذكرة النبيه وفاته سنة (٧٤٣ هـ) .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) في الوافي : « وخيار » .

(٤) في (س) ، والوافي : « أخوه موسى » .

(٥) في الدرر : « بتدمر » .

أتوجه إلى الفخري ، [فجاء إلى الفخري ^(١)] وهو نازل على خان لاجين ، وتحيز إليه وأعرض عن الطنبغا ، وتوجه من دمشق إلى الناصر أحمد بالكرك ، ورسم له بالإمرة عوض أخيه موسى ، فاستقل بإمرة آل فضل إلى أن توفي سليمان بظاهر سلمية .

وكان مفرط الكرم ، حكى الأمير حسام الدين لاجين الغثمي النائب بالرحبة قال : كنت والي البر بالرحبة ، وكان سليمان بن مهنا قد أغار على قفل فأخذه في البرية ، وجاء إلى الرحبة فجهزت إليه رأس غنم ، وأحضرت له من سنجار حُمْلَ شراب ، فلما أكل وشرب وانتشى قليلاً قال لي : يا حسام خذُ لك هذه الفردة ، فأخذتها ، فوجدتها ملأى من القماش الإسكندري ، قال : فبعت مافيها بتسعين ألف درهم .

وكان مقدماً شجاعاً ، ومن إقدامه أنه عارض بريدياً وهو متوجه من بغداد ومعه جارية للسلطان ^(٢) الملك الناصر فأمسكها واقتضها وما انتطح فيها عنزان .

وكان معاقراً للشراب ليلاً ونهاراً لا يفارقه .

٧٣٠ - سليمان بن موسى بن بهرام *

تقي الدين السُّهودي بن الهمام .

كان فاضلاً عالماً ، فقيهاً فاضلاً من الشّرّ سالماً ، نحويّاً شاعراً ، عروضياً ماهراً ، لا يُعرَفُ له أستاذ ، وله مع ذلك بصر في هذه العلوم ونَفَاز ، جيّد الحفظ حسن الفهم ، ينفذ في الفرائض نفوذ السهم ، ويدري من الأصول مسائل بأدلتها ، وفوائد بجملتها ، وأما تعبه وتشفّه وصبره على الفقر وتَعَسُّفه ، فأمر عجيب ، وشيء يصح القلب منه وبه وَحْيٌب .

(١) زيادة من (س) ، والوافي .

(٢) في (س) : « للسلطان » .

* الوافي : ٤٣٦/١٥ ، والطالع السعيد : ٢٥٤ ، والدرر : ١٦٤/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٣٠١/٩ .

ولم يزل على حاله إلى أن راح إلى مَنْ أَمَاتَهُ وَيُحْيِيهِ ، ويسكنه الجنان وَيُحْيِيهِ .
وتوفي رحمه الله تعالى بسمهود في سنة ست وثلاثين وسبع مئة .
ومولده في سنة ثمان وخمسين وست مئة .

قال الفاضل كمال الدين جعفر الأدفوي رحمه الله : وأنشدني لنفسه :

لـ (ما) في كلام العُرب تسعة أوجه تَعَجَّبُ وَصِفُ منكورةً وأنفٍ وأشرط
وصلها، وزدْ، واستُعِملتْ مَصْدَرِيَّةً وجاءت للاستفهام والكف فاضبط
قلتُ : قد جمع بعضُ الأفاضل هذه التسعة في بيت وهو :

تعجب بما اشرط زد صل انكرة واصفاً وتستفهم انف المصدرية واكففا
ومن شعر تقي الدين يمدح سيدنا رسول الله ﷺ :

أضاء النور وانقشع الظلام بولد مَنْ لَهُ الشرفُ التَّمَامُ
ربيعٌ في الشهور له فخر عظيم لا يُحَدُّ ولا يرامُ
به كانت ولادة مَنْ تَسَامَتْ به الدنيا وطاب بها المقامُ
نبيُّ كان قبل الخلق طراً تَقَدَّمَ سابقاً وهو الختامُ^(١)

وله في العروض أرجوزة .

٧٣١ - سليمان بن موسى بن أبي العلاء *

الشيخ الصالح صفي الدين أبو العلاء الصوفي الكاتب .

كان سامرياً ، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه ، ثم إنه أقام عند الصوفية سنين ، وكان يباشر شيئاً من وقْفهم ، ويعمل الحساب مع العامل لأنه كان فيه ماهراً وعارفاً خبيراً إلى الغاية ،

(١) أوردها الأدفوي في الطالع السعيد .

* لم تقف على ترجمة له .

وله مقدمة في صناعة الحساب والديوان وما يحتاج ، وباشرة عدة جهات وحصل أموالاً ، وكان قد أسلم في الدولة الأشرفية .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع عشرين شوال سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

٧٣٢ - سليمان بن هلال بن شبل بن فلاح *

الشيخ الإمام الفقيه المقي القدوة الزاهد العابد القاضي الخطيب صدر الدين أبو الفضل القرشي الجعفري الحوراني الشافعي صاحب النووي .

قدم دمشق مراهقاً ، وحفظ القرآن بمدرسة أبي عمر على الشيخ نصر بن عبيد ، ورجع إلى البلاد ، ثم قدم بعد [سبع ^(١) سنين ، وتفقه بالشيخ تاج الدين ^(٢)] ، وبالشيخ محيي الدين ^(٣) ، وأتقن الفقه وأعاد بالناصرية وناب في القضاء لابن صصري مدة ، ولاء ابن صصري نيابته في ثالث ذي القعدة سنة ست وسبع مئة عوضاً عن القاضي جلال الدين القزويني لما ولي خطابة الجامع الأموي ، وولي خطابة العقبة واكتفى بها .

وكان أولاً خطيباً بداريّا ، يدخل دمشق على بهم ^(٤) ضعيف . وحدث عن أبي اليسر والمقداد القيسي ^(٥) ، وناب عن ابن الشريشي ^(٦) في دار الحديث . وكان مفرطاً في اتضاعه ، على سمو قدره في العلم وارتفاعه ، لم يغير ثوبه القطني ولا عمامته الصغيره ، ولا رأى أحد في الحكم نظيره ، إذا رأى أن الغريم ضعيف لا يقدر على أجره رسول

* الوافي : ٤٣٨/١٥ ، وفوات الوفيات : ٨٢/٢ ، والبداية والنهاية : ١٢٠/١٤ ، والدرر : ١٦٥/٣ ، والدارس : ٣٥٦/١ .

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) الفزاري .

(٣) النووي .

(٤) البهم : نوع من الخيل .

(٥) هو المقداد بن هبة الله بن علي القيسي (ت ٦٨١ هـ) . العبر : ٣٣٦/٥ ، وفي س : المقداد والقيسي ، وهو سهو .

(٦) كل الدين أحمد بن محمود ، سلفت ترجمته .

القاضي سعى هو بنفسه إليه وسمع جوابه ، فأين يجد الناس هذا العلم أو هذا التقاضي ، وربما توجه بنفسه إلى الشاهد وسمع شهادته وأثر بذلك فائدته وإفادته .

وعينه الأمير سيف الدين تنكز للاستسقاء بالناس فاستسقى بهم ، ورجم به العالم في ساعة الإبلas .

ولم يزل على حاله إلى أن نزلت على الداراني الدائره ، ولحق بالأمم الخالية السائره .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده بقرية بسرّى^(١) من السواد^(٢) سنة اثنتين وأربعين وست مئة ، وكانت جنازته حفلة^(٣) إلى الغاية .

وكان يذكر نسبه إلى جعفر الطيار يعدّ بينه وبينه ثلاثة عشرة اسماً .

وكان لا يدخل الحمام ولا يتنعم في مأكل ولا ملبس ، وأظنه كان يجيد اللعب بالشطرنج ، والله أعلم .

٧٣٣ - سليمان القاضي *

علم الدين التركاني الحنفي قاضي حماة .

أقام بمحص مدة مدرساً ، ثم إنه تقل إلى قضاء حماة بعد وفاة القاضي نجم الدين بن العديم .

(١) في الوافي : « بشري » ، وفي الفوات : « بصرى » ، ولعلها المعروفة اليوم (بصر الحرير) ، من أعمال حوران قرب (إزرع) .

(٢) في حاشية الفوات مانصه : يعني بالسواد المنطقة القريبة من البلقاء .

(٣) في (س) : « حافلة » .

* الدرر : ١٦٩/٢ .

وكان يعرف القراءات ، وله مشاركة في العلم .
توفي رحمه الله تعالى في مستهل شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

اللقب والنسب

☆ ابن سلامة : قاضي القضاة المالكي أحمد بن سلامة .

السنباطي : قطب الدين محمد بن عبد الصمد .

٧٣٤ - سنجر *

الأمير الكبير العالم المحدث أبو موسى الأمير علم الدين التركي البرلي^(١) بالباء الموحدة والراء واللام ، الدواداري .

قدم من الترك في حدود الأربعين وست مئة . وكان شكله مليحاً ووجهه صبيحاً ، خفيف اللحية ، ربعة من الرجال في البنية ، صغير العين ، صناع اليدين ، حسن الخلق ، سهل الخلق ، شجاعاً فارساً ، مجادلاً لأهل العلم ممارساً ، خيراً ديناً ، كاملاً صينياً^(٢) ، مليح الكتاب ، سريع الإقبال والإجابة ، يحفظ الكتاب العزيز ، ويؤثر تلاوته على الإبريز ، فيه اصطناع للفضلاء ، وتقدير للنبلأ ، أنشأ جماعة من الأفاضل وقدم زمرة ممن يناظر أو يناضل .

ولم يزل على حاله إلى أن انجر الموت إلى سنجر^(٣) ، وأصبح من تحت التراب والمجبر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة في شهر رجب بحصن الأكراد ،

ودفن هناك .

* الوافي : ٤٧٧/١٥ ، وتالي وفيات الأعيان : ٨٧ ، والعبر : ٣٩٩/٥ ، والشذرات : ٤٤٩/٥ ، والدارس :

٤٩/١ ، وللنهل الصافي : ٦٨/٦ ، والنجوم : ١٩٣/٨ ، وعقد الجمان : ١١٤/٤ ، وتذكرة النبیه : ٢٢٩/١ .

(١) في المنهل ، وعقد الجمان : « البرلي » .

(٢) في الأصل : « هيتا » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) في (س) : « على » .

وكان قد التجأ في الكسرة أيام غازان^(١) إليها .

ومولده سنة نيف وعشرين وست مئة .

قرأ القرآن على الشيخ جبريل الدلاصي وغيره ، وحفظ (الإشارة) في الفقه لسُلَيْم الرازي^(٢) ، وحصل له عناية بالحديث وسماعه سنة بضع وخمسين ، وسمع الكثير ، وكتب بخطه وحصل الأصول .

وخرج له المزي جُزْأَيْنِ^(٣) عوالي . وخرج له البرزالي (معجماً) ضخماً في أربعة عشر جزءاً ، وخرج له ابن الظاهري قبل ذلك شيئاً .

وحج مرات . وكان يُعَرَفُ عند المكِّيِّين بالسَّتُوري ، لأنه أول من سار بكسوة للبيت بعد أخذ بغداد من الديار المصرية ، وقبل ذلك كانت تأتياها الستور من الخليفة . وحج مرة هو واثنان على الهجن من مصر .

وكان أميراً في الأيام الظاهرية ، ثم أعطي أميرية بحلب ، ثم قدم دمشق ، وتولى شد الدواوين مدة ، ثم كان من أصحاب سُقْرِ الْأَشْقَر ، ثم أمسك ، ثم أعيد إلى رتبته وأكثر ، وأعطى خبزاً وتقدمة على ألف في أيام الأشرف ، وجعل مشدّ الدواوين بالقاهرة في ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وست مئة ، وتنقلت به الأحوال وعلت رتبته في دولة الملك المنصور حسام الدين لاجين ، وقدمه على الجيوش في غزوة سيس .

وكان لطيفاً مع أهل الصلاح والحديث ، يتواضع لهم ويؤانسهم ويحادثهم^(٤)

(١) يريد « وقعة غازان » . انظر أخبارها في البداية والنهاية : ٦/١٤ .

(٢) سليم بن أيوب أبو الفتح (ت ٤٤٧ هـ) ، السير : ٦٤٥/١٧ ، واسم كتابه : الإشارة في الفروع ، الكشف : ٩٨/١ .

(٣) في الأصل : جزء ابن ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) في (س) : « ويجادلهم » .

ويصلهم ، وله معروف كثير وأوقاف بالقدس ودمشق ، وكان مجلسه عامراً بالعلماء والشعراء والأعيان .

وسمع الكثير بمصر والشام والحجاز ، وروى عن الزكي عبد العظيم^(١) ، والرشيد العطار ، والكمال الضرير^(٢) ، وابن عبد السلام ، والشرف المرسى ، وعبد الغني بن بَنِين^(٣) ، وإبراهيم بن بشارة^(٤) ، وأحمد بن حامد الأرتاحي^(٥) ، وإسماعيل بن عزون^(٦) ، وسعد الله بن أبي الفضل التنوخي ، وعبد الله بن يوسف بن اللط^(٧) ، وعبد الرحمن بن يوسف المنبجي ، ولاحق الأرتاحي^(٨) ، وأبي بكر بن مكارم^(٩) ، وفاطمة بنت المثلث بالقاهرة ، وفاطمة بنت الحزام الحميرية بمكة ، وابن عبد الدايم ، وطائفة بدمشق . وهبة الله بن زوين ، وأحمد بن النحاس^(١٠) بالإسكندرية ، وعبد الله بن علي بن معزوز ، وبنيّة بني خصيب ، وبأنطاكية ، وحلب ، وبلبك ، والقدس ، وقوص ، والكرك ، وصفد ، وحماة ، وحمص ، وينبع ، وطيبة ، والفيوم ، وجدة ، وقلّ من أنجب من الترك مثله وسمع من خلق .

وشهد الواقعة وهو ضعيف ، ثم التجأ بأصحابه إلى حصن الأكراد فتوفي به هناك ، هذا ما أخبرني به شيخنا الذهبي عنه .

- (١) هو عبد العظيم بن عبد القوي ، زكي الدين المنذري (ت ٦٥٦ هـ) . العبر : ٢٣٢/٥ .
- (٢) هو علي بن شجاع بن سالم الهاشمي ، شيخ القراء . (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٦/٥ .
- (٣) عبد الغني بن سليمان بن بنين المصري الشافعي ، (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٥/٥ .
- (٤) في المنهل : « إبراهيم بن نجيب » .
- (٥) هو أحمد بن حامد بن أحمد الأرتاحي الحنبلي . (ت ٦٥٩ هـ) . العبر : ٢٥٣/٥ .
- (٦) هو إسماعيل بن عبد القوي بن عزون الأنصاري المصري . (ت ٦٦٧ هـ) . العبر : ٢٨٦/٥ .
- (٧) توفي سنة (٦٥٧ هـ) . الشذرات : ٥٨٩/٥ ، والعبر : ٢٣٩/٥ .
- (٨) هو لاحق بن عبد النعم بن قاسم الأنصاري الأرتاحي . (ت ٦٥٨ هـ) . العبر : ٢٥١/٥ .
- (٩) هو أبو بكر بن علي بن مكارم بن فتيان الأنصاري . (ت ٦٦٠ هـ) . العبر : ٢٦٢/٥ .
- (١٠) توفي سنة (٦٧١ هـ) . الشذرات : ٢٣٢/٥ .

وأما ما أخبرني به شيخنا أبو الفتح من لفظه ، وكان به خصيصاً ينام عنده ويسامره ، قال : كان الأمير علم الدين قد لبس بالفقيري وتجرّد وجاور بمكة ، وكتب الطباق بخطه ، وكانت في وجهه آثار الضروب من الحروب ، وكان إذا خرج إلى غزوة خرج طُلبه وهو فيه إلى جانبه شخص يقرأ عليه جزءاً من ^(١) أحاديث الجهاد ، وقال : إنّ السلطان حسام الدين لاجين ربّته في شدّة عمارة جامع ابن طولون ، وفوّض أمره إليه ، فعمّره وعمرّ وقوفه ، وقرّر فيه دروس الفقه والحديث والطب ، وجعل من جملة ذلك وقفاً يختص بالديكة التي تكون في وسط سطح الجامع في مكان مخصوص بها ، وزعم أن الديكة تُعين الموقّتين وتوقظ المؤذنين في السحر ، وضمن ذلك كتاب الوقف ، فلما قرئ على السلطان أعجبه ما اعتمده في ذلك ، ولما انتهى إلى ذكر الديكة أنكر ذلك ، وقال : أبطلوا هذا ، لا يضحك الناس علينا .

وكان سبب اختصاصه بفتح الدين أنه سأل الشيخ شرف الدين الدّمياطى عن وفاة البخاري فما استحضر تاريخها ، ثم إنه سأل أبا الفتح عن ذلك فأجابه ، فحظي عنده وقربه ، فقليل له : إن هذا تلميذ الشيخ شرف الدين فقال : وليكن .

قلت : وغالب رؤساء دمشق وكبارها وعلمائها نشؤه .

وجمع الشيخ كال الدين الزمלקاني مدائحه في مجلدين بخطه أو واحدة .

وكتب إليه علاء الدين الوداعي يعزيه في ولد اسمه عمّر ، ومن خطه نقلت :

قل للأمير وعزه في نجله عمّر الذي أجرى الدموع أجاجا
حاشاك يظلم ربيع صبرك بعد من أمسى لسكان الجنان سراجا
وقال فيه ، ومن خطه نقلت :

(١) في (س) ، والوافي ، والمنهل : « فيه » .

عَلَّمَ الدِّينَ لَمْ يَزَلْ فِي طَلَابِ الْعِلْمِ مِ وَالزَّهْدِ سَائِحاً رَحَّالاً
فَتَرَى النَّاسَ بَيْنَ رَاوٍ وَرَاءِ عِنْدَهُ الْأَرْبَعِينَ وَالْأَبْدَالَا
وَقَالَ لَمَّا أَخَذَ لَهُ ^(١) فِي دَوَائِرِ السِّمِاطِي بَيْتاً : ^(٢)

لِدَوَائِرِ الشَّيْخِ السِّمِاطِيٍّ مِنْ دُونَ الْبَقَاعِ فَضِيلَةً لَا تُجْهَلُ
هِيَ مَوْطِنٌ لِلْأَوْلِيَاءِ وَنَزْهَةٌ فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا لِمَنْ يَتَأَمَّلُ
كَمَلْتُ مَعَانِي فَضْلَهَا مِذْحَلَهَا الـ عَلَّمَ الْفَرِيدَ الْقَانِتُ الْمُتَبَتَّلُ
أَنِي لَا نُشِيدُ كُلَّمَا شَاهَدْتُهَا مَا مِثْلُ مَنْزِلَةِ الدَّوَائِرِ مَنْزِلُ

وَأُنْشِدُنِي إِجَازَةً الْحَافِظُ شَيْخُنَا الْفَرِيدُ فَتَحَ الدِّينَ قَالَ : أَنُشِدُنِي عِلْمَ الدِّينِ
الدَّوَادَارِي لِنَفْسِهِ :

سَلُّوا عَنْ مَوْقِفِي يَوْمَ الْخَمِيسِ وَعَنْ مَكَرَاتِ خَيْلِي فِي الْخَمِيسِ
شَرِبْتُ دَمَ الْعِدَى وَرَوَيْتُ مِنْهُ فَشَرِبِي مِنْهُ لَا خَيْرَ الْكُؤُوسِ
وَجَاوَزْتُ الْحِجَازَ وَسَاكِنِيهِ وَكَانَ الْبَيْتُ فِي لَيْلِي أُنَيْسِي ^(٣)
وَأَتَقَنْتُ الْحَدِيثَ بِكُلِّ قَطْرِ سَمَاعاً عَالِياً مِلءَ الطُّرُوسِ
أَبَاحْتُ فِي (الْوَسِيطِ) لِكُلِّ حَبِيرٍ وَأَلْقَى الْقَرَمَ فِي حَرِّ الْوَطِيسِ ^(٤)
فَكَمْ لِي مِنْ جِلَادٍ فِي الْأَعْدَادِي وَكَمْ لِي مِنْ جِدَالٍ فِي الطُّرُوسِ ^(٥)

(١) ليست في الوافي .

(٢) الأبيات في الدارس : ٥٢/١ و ١٢٦/٢ .

(٣) في عقد الجمان : « الليل » .

(٤) في (س) ، والوافي ، وعقد الجمان : « القوم » . وفي الأخير : « الخبر » تصحيف .

(٥) في عقد الجمان : « في الدروس » .

٧٣٥ - سنجر المجدد *

الأمير علم الدين سنجر .

كان أحدَ مُقدِّمي الألفِ أمراءِ المئين . وكان من جُملةِ المشايخِ أمراءِ المَشُورِ الذين يجلسون بحضرةِ السلطان .

شَيْخٌ قد أتقى^(١) ، وقاربَ ورودَ ما هو أبقي ، عَظِيمُ الجِثَّةِ طُوالاً ، أعجميُّ اللسانِ لا يُجيبُ سَوالاً ، سَلِمَ الصِّدرِ ، كَبِيرُ المَنزِلَةِ في الدولةِ عالي القَدَرِ .

نقله السلطان من مصر إلى الشام ، وأتى به فجعلَ دمشقَ لَمّا دخلها منشورةً^(٢) الأعلام . وكان هو أتابكُ العسكر ، وصاحبُ الرِّختِ الذي لا يُنكَرُ .

وكان له بَرَكٌ هائلٌ ، وعَزمٌ في المواقبِ والحروبِ جائلٌ .

ولم يزل بدمشق على حاله إلى أن انتهى أمدُه ، ومال من الحياة عَمَدَه .
وتوفي رحمه الله تعالى ...^(٣) .

وكان قد أخرجه السلطان ، من مصر في سابع شعبان ، سنة ثلاثين وسبع مئة على خَيزِ الأمير سيف الدين بهادر آص .

٧٣٦ - سنجر الأمير علم الدين الدُمَيْثُري **

بضم الدال المهملة وفتح الميم وسكون الياء آخر الحروف وبعدها ثاء مثلثة وراء .

توفي - رحمه الله تعالى - يوم الخميس سابع المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

* الدرر : ١٧٣/٢ .

(١) أي ضَعَفَ .

(٢) في (س) : « منشور » .

(٣) في الدرر : « سنة / ٧٤٥ / وقد أسنَّ وارتعش » .

** لم نقف على ترجمة له .

٧٣٧ - سنجر الأمير علم الدين *

نائب قلعة دمشق المعروف بأرجواش ، بهمزة مفتوحة وراء ساكنة وجيم مضمومة أو مفتوحة وواء بعدها ألف وشين معجمة .

له مَانَّةٌ على أهل دمشق لا بل على أهل الشام ، وَنِعْمَةٌ لا ينكرها إلا مَنْ انتجعَ بَرَقَ المُكابرة أو شام ، فإنه ضبط القلعة في أيام غازان ، وأخذ بما صان أمرها وزان ، وَتَثَّبَتْ في عَدَمِ تسليمها ، ومدَّ أَظَافِرَ^(١) المُنَاوِشَةِ لهم ولم يَخْشَ مِنْ تَقْلِيلِهَا ، وَصَبَرَ على المُحَاصِرَةِ ، ولم يَخْجَحْ إلى المُكَاشِرَةِ والمُكَاسِرَةِ^(٢) ، وأقامَ قِيَاماً يشكره الله له يومَ القيامه ، وحقنَ دماءَ المسلمين بما عنده من العزيمة القويّة والصَّرامه . وقيل : إنّ ذلك كان بمعاونة قَبْجَقَ له في الباطن ، وملاحظته لذلك في الحال الساكن . وأيّاً ما كان فله فيه الفضل الأوفى ، والثناء المستوفى .

ولم يزل على حاله إلى أن أسلمه حِصْنُهُ للمنايا ، وتحكّمت فيه يدُ الرزايا .

توفي - رحمه الله تعالى - ليلة السبت ثاني عشري الحجة سنة إحدى وسبع مئة ، وحضر جنازته نائبُ السلطنة والأمراء والأعيان . ودُفِنَ في جبل قاسيون .

كان نائبَ القلعة في^(٣) أيام أستاذه الملك المنصور ، ولم يخرج مُدَّةَ ولايته من القلعة ، ولا سِيرَ . وقَيَّده الأشرَفُ وألْبَسَه عباءةً ليقْتله ، ثم عفا عنه وخلع عليه ، وذلك في سنة تسعين وست مئة ، وأعادَه إلى النيابة ، وكان ذلك بعد عَوْدِ الأشرَفِ من عكا .

ولما اعتمد ما اعتمده في أمر القلعة أيام غازان عظم في النفوس ، وكان التَّتَارُ قد

* الدرر : ١٧٠/٢ ، والبداية والنهاية : ٢٠/١٤ .

(١) في (س) : « أَظَافِر » ، وهو غلط .

(٢) في (س) : « ولا المكاسرة » .

(٣) في (س) : « من » .

طلعوا فوق سطوح دار السعادة ، وتسَلَّطوا على القلعة ورَمَوْها بالنَّشَابِ ، فرمى عليهم قواريرَ النَّفْطِ ، فاحترقت الأخشاب ، وسقطت بهم السقوفُ في النار ، وفعل ذلك بالعدليَّة ودارِ الحديث الأشرفية .

وكان عبد الغني بن عروة^(١) الفقير يحكي عنه حكايات تدلُّ على سلامة الباطن ، وقد أوردتُ منها جانباً في ترجمة عبد الغني المذكور في حرف العين مكانه .

٧٣٨ - سنجر الأمير علم الدين الجاولي *

بالجم : كان أميراً كبيراً من أمراء المَشُور الذين يجلسون في حضرة السلطان ، سمع وروى ، وبنغ نَجْمُه في الفضل وما هوى .

وكان خبيراً بالأمر ، مرَّت به تجاربُ الأيام والدهور ، عارفاً بسياسةِ الملِّك وتدبيره ، وفصلِ حاله وتحريره . وَلِيَّ عِدَّةَ ولايات من نيابات وغيرها ، وكان فيها كافياً عارفاً بِسَبْرِها . وهو الذي مَدَّنْ غَزَّةَ ومَصْرَها ، وفتح عَيْنَها وبَصْرَها ، لأن الجاولي جاء وليّاً في حِماها ، فعظَّم شأنها بولاية وحماها ، وعمر بها قصرًا للنيابة ، فسيح الأرجاء ، شاهقَ البناء ، عالي^(٢) الثناء ، وعمر بها حماماً اتَّسع فضاؤه ، وارتفع سماؤه ، وتأرَّج هواؤه ، وتوجَّج ماؤه ، وتفنَّن في الحُسن بِناءؤه ، وزهرت نجوم جاماته ، وبهرت من رُخامه زَهْرَاتُ خاماته . ثم إنه في النيابة الثانية عمر بها جامعا ، لأنواع المحاسن جامعا ، وبرَّقه يَرى في سماء الإِتقان لامعا ، تَسْفُلُ الثريا عن أهْلَةٍ مئذنته المُتَرَفِّعه ، وتَبْهت عيون النجوم في محاسن محرابه المتنوعه .

وكان - رحمه الله تعالى - يذكرُ أصحابه في مَغِيبهم ، ويوقِّرُ من إحسانه قَدَرُ

(١) ابن عبد الصمد ، ستأتي ترجمته .

* الوافي : ٤٨٢/١٥ ، والنجوم الزاهرة : ١٠٩/١٠ ، وفيات ابن رافع : ٤٩٨/١ ، والدرر : ١٧٠/٢ ، والشذرات : ١٤٢/٦ ، والمنهل الصافي : ٧٤/٦ ، وتذكرة النبيه : ٧٥/٣ .

(٢) في (س) : « صادق » .

نصيبهم ، ويكرمهم إذا حضروا ، ويتمنّاهم إذا سافروا ، ويستجلبهم إذا سَفَرُوا . انتفع به جماعة من الكتّاب والعلماء ، وزُمرة من الكبراء والأمراء .

ولم يزل على حاله إلى أن جاء وليُّ الموت إلى الجاولي فتلقاه بالكرامه ، وراح إلى الله على طريق السلامه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في تاسع شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، ودُفن بتربته التي على الكبش^(١) ظاهر القاهرة ، وأسند وصيّته إلى الأمير سيف الدين العلائي^(٢) . وكانت جنازته حفلةً إلى الغاية .

وفي أول أمره كان نائباً في الشوبك ، ثم إنه نُقل منها ، وجُعِلَ أميراً في أيام سلاّر والباشنكير . وكان يعمل الأستاذ داريةً للسلطان الملك الناصر محمد ، وكان يدخلُ إليه مع الطعام ويخرجُ على العادة .

وكان يُراعي مصالح السلطان ويتقرَّب إليه ، فلَمَّا حضر من الكرك جهَّزه إلى غزة نائباً في جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبع مئة عوضاً عن سيف الدين قُطْلُقْتَمَر^(٣) صهر الجالِق بعد إمساكه ، وأضاف إليه الحديث في الساحل والقدس وبلد سيدنا الخليل - عليه السلام -^(٤) وأقطعه إقطاعاً هائلاً ، كانت إقطاعات مماليكه تعمل عشرين ألفاً وخمسة وعشرين ألفاً وأكثر . وعمل نيابة غزة على القالب الجائر ، وكان القاضي كريم الدين الكبير يرعاه ، وكذلك القاضي فخر الدين ناظر الجيش . وكانت مكاتباتهم ما تنقطع عنه في كل جمعة ، بل مع كل بريد .

وكان له إذلال على الكبار ، فوقع بينه وبينه الأمير سيف الدين تنكر ، فتراسل

(١) عبارة الوافي : « التي بالكبش على بركة الفيل » .

(٢) في (س) والوافي : « أرغون العلائي » .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) في (س) : « عليه السلام ونابلس » .

عليه هو والقاضي كريم الدين الكبير ، فأمسكه السلطان في ثامن عشري شعبان سنة عشرين وسبع مئة ، فاعتقل قريباً من ثماني سنين ، ثم أفرج عنه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة أو في سنة تسع وعشرين ، وأمره أربعين فارساً مُدَيِّدة ، ثم أمره مئة ، وقدمه على ألف ، وجعله من أمراء المَشُور .

ولم يزل على ذلك إلى أن توفي السلطان الملك الناصر محمد ، وكان هو الذي تولَّى عَسَلَه ودَفَنَه .

ولما تولَّى الملك الصالح إسماعيل جهَّزه إلى حماة نائباً ، فأقام بها مدة تقارب ثلاثة أشهر ، ثم رسم له نيابة غزة ، فحضر إليها وأقام بها مُدَّةً تُقارب مُدَّةَ نيابة حماة ، ثم طُلِبَ إلى مصر على ما كان عليه . وفي هذه النيابة لغزة شرع في عمارة الجامع بغزة ومكَّله لما كان في مصر ، ولمَّا كان في النيابة الأولى عَمَّرَ بيلد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام جامعاً ، سقفه منه حجر نقر ، وعَمَّرَ بغزة حَمَّاماً هائلاً ومدرسة للشافعية ، وعَمَّرَ خاناً للسَّبيل بغزة ، وعَمَّرَ الخان العظيم الذي في قاقون ^(١) . وهو الذي مدَّنَ غزة ، وبنى بها بيارستاناً ، ووقف عليه عن الملك الناصر أوقافاً جلييلة ، وجعل النظر فيها لِنُوابِ غزة ، وعَمَّرَ بغزة الميدان والقصر ، وبنى الخان بقرية (الكتبية) ، وبنى القناطر بغابة أرسوف ^(٢) . وهو الذي بنى خان سلاَّ الذي في حمراء بيسان ، وله التَّربةُ المليحة الأنيقة التي بالكبش ، وجدَّدَ إلى جانبها عمارة هائلة ، وكلُّ عمارته طريفةً أنيقةً مليحةً متقنةً محكمةً .

ولمَّا خرج نائب الكرك من مصر لنيابة طرابلس فَوَّضَ إليه السلطان النظر على البيارستان المنصوري .

(١) في الأصل : « القايون » ، تحريف . وأثبتنا ما في (س) والوافي . وقاقون : حصن بفلسطين قرب الرملة . معجم البلدان : ٢٩٩/٤ .

(٢) مدينة بين قيسارية ويافا . معجم البلدان : ١٥١/٨ .

وأخر من توجه إلى الكرك لحصار الناصر أحمد الأمير علم الدين الجاولي ، وجلس في الحصار على عادة من تقدمه ، فلما كان في بعض الأيام طلع الناصر أحمد من القلعة وشيخه وسبه وأساء عليه الأدب ، فقال الجاولي : نعم أنا شيخ نحس ، ولكن الساعة ترى حالك مع الشيخ النحس ، وتقل المنجنيق من مكانه إلى مكان يعرفه ، ورمى به ، فلم يخطئ القلعة ، وهدم منها جانباً ، وطلع العسكر منه إليها ، وأمسك أحمد قبضاً باليد ، ودبج صبراً ، وجَهَّز رأسه إلى الصالح .

ولما خرج^(١) الأمير علم الدين الجاولي إلى دمشق في أيام سلار والجاشنكير لم يقدر سلار على رده لأجل البرجية^(٢) ، وكان الجاولي ينتمي إلى سلار ويحمل رنكه ، وفي هذه المرة اشترى داره بدمشق التي هي الآن قبالة الجامع التنكري من جهة الشمال ، ووقع بينه وبين تنكر بسببها ، فإنه أراد مُشترَها منه ، فما سمح له بذلك .

وقد وضع الأمير علم الدين شرحاً^(٣) على (مسند الإمام الشافعي) - رضي الله عنه - ، وكان آخر وقت يُفقي ويخرج خطه بالإفتاء على مذهب الشافعي .

وأجاز لي بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة أو في سنة تسع وعشرين وسبع مئة^(٤) .

٧٣٩ - سنجر الخازن*

الأمير علم الدين الأشرفي .

(١) في (س) والوافي : « أخرج » .

(٢) عبارة الوافي : « رد البرجية عنه » .

(٣) جمع فيه بين شرحي الرافي وابن الأثير بلفظهما ، كما في الدرر ، وانظر الكشف : ١٦٨٣/٢ .

(٤) زاد في (س) ههنا ما نصّه : « وكان إذا رأى للشافعي نصاً ، وقف عنده ولا يتعداه ، وإن أوله من أصحابه كل من بعده . فهو ظاهري بين الشافعية ، جلدة لم ير عندي يفري فريّة ، ولذلك ارتكب في التراويح مطية شعا ، واضطرب وكان يأمر بأمر يخلط به رمضان بشعبان والأشهر جمعاً » .

* الدرر : ١٧٢/٢ ، وفيه السروري ، والنجوم الزاهرة : ٣٠٥/٩ .

كان الأمير علم الدين هذا فيه حِشْمه ، وله ثروة زائدة ونعمه . يصحب الأفاضل ، ويحبُّ كلَّ مناظر ومنازل ، تنقل في المباشرة من الشدِّ إلى ولاية القاهرة ، وربوع الثناء عليه في كلِّ عامِره . له ذوق وفهم ، وعنده صدقٌ حَدْسٍ لا يخطئ العَرَضَ له سهم .

ولم يزل على حاله إلى أن طويت صحيفة عُمره ، وفرغ الأجل من أمره . وتوفي - رحمه الله تعالى - في ليلة السبت ثامن جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

وكان السلطان قد ولّاه شدَّ الدواوين مع صاحب أمين الدين ، وكان يُغري بينهما ، ويوقع فيما بينهما ، ويقول لهذا : أنا ما أعرف إلا أنت . ويقول لهذا كذلك ، ولكن كان هذا علم الدين رجلاً عاقلاً ، وفيه سياسة ، وعزله من الشدِّ ، وولّاه القاهرة ، فتولاها وأحسنَ إلى الناس ، ثم عزله في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وولى الأمير سيف الدين قُديدار^(١) مكانه ، فوجد الناس في أول ولايته شِدَّةً ، ثم لان جانبُه .

وأظن أن الحازن كان قد أمسك هو وبكتر الحاجب وأيدغدي شقير وبهادر المعزي في سنة خمس عشرة وسبع مئة ، والله أعلم .

٧٤٠ - سنجر الألفي *

الأمير علم الدين ، أحدُ الأمراء بدمشق .

كان قد ولي نابلس .

(١) ستأتي ترجمته .

* الدرر : ١٧٢/٢ .

وتوفي فجأة بالحُسينيّة من وادي بردى في أوائل جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

٧٤١ - سنجر مجد الدين *

الطبيب ببغداد ، غلامُ ابن الصَّبَاغ .

كان طبيباً فاضلاً ، مَهَر في الطَّبِّ وتقدّم فيها وفي كتابة الدواوين ونظرها . وَلِيَ نظَرَ المدرسة النّظاميّة وغيرها ، وحصل أموالاً جَمَّة ، وكان لا يمشي إلى المريض إلا بأجرة وافرة نحو ستة دراهم وأكثر .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في أوائل شعبان سنة خمس عشرة وسبع مئة .

٧٤٢ - سنجر الأمير علم الدين المصري **

أحد أمراء دمشق .

توفي - رحمه الله تعالى - في يوم الأربعاء سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وست مئة .

قيل : إِنَّهُ غَصَّ بِشربة من المُسْكِر - عفا الله عنه وسامحه - .

٧٤٣ - سنجر بن عبد الله الناصري ***

الأمير علم الدين ، أحد أمراء الشام .

كان أميراً مَهيباً مشهوراً بالعقل والسكون ، شجاعاً مقداماً معروفاً بكثرة الجهاد ، ملازماً لما هو بصَدَدِهِ ، قليل الدُّخُول فيما لا يعنيه .

* الدرر : ١٧٢/٢ .

** لم نقف على ترجمة له .

*** سلك الدرر : ٨٥٠/٣/١ ، وفيات (٦٩٧ هـ) .

أصابه زيار^(١) في حصار بلاد سبب في رُكبتِه ، فكسر العظم ، فَحَمَل إلى حلب ،
فمات في الطريق ، وحمل ميتاً ، ودُفِنَ بالمقام ظاهر حلب .
وذلك في شهر رمضان سنة سبع وتسعين وست مئة .
وكان قد روى الحديث عن سبطِ السِّلَفي . قال شيخنا علم الدين : سمعنا منه
(جزء موافقات) الدهلي .

٧٤٤ - سنجر الأمير علم الدين المنصوري*

أحد أمراء دمشق .
توفي - رحمه الله تعالى - في المحرم سنة سبع وسبع مئة ، ودُفِنَ بالصالحية .
وكان من أمراء طرابلس ، فنقل إلى دمشق ، وسكن بالديماس ، وأقام بها شهرين
[وتوفي]^(٢) رحمه الله تعالى .

٧٤٥ - سنجر الأمير علم الدين الحمصي**

تنقل في الولايات ، وتوقَّل^(٣) في ذُرَا النيابات ، وياشر في مصر والشام ، وتجمَّلت
به الليالي والأيام . وكان ذا عَفَّة وأمانه ، وحرمة وصرامة وصيانه ، تَخَلَّصُ الحقوق في
أيامه ، ويخشى المباشرون من تقضه وإبرامه .
ولم يزل على حاله إلى أن عُزل من^(٤) الحياه ، ونُودي عليه بالصلاه .

(١) هو اللولب أو حبل اللنجنيق .

* الدرر : ١٧٣/٢ .

(٢) زيادة من (س) .

** الوافي : ٤٨٤/١٥ ، والدرر : ١٧٣/٢ ، والمنهل الصافي : ٧٧٦ .

(٣) أي : صعد .

(٤) في (س) : « عن » .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في أواخر سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

وكان قد نُقل من دمشق إلى طرابلس ، فتوفي - رحمه الله تعالى - ولم يدخلها .

وكان قد باشر نيابة الرّجبة ، فأحسن إلى أهلها ، وأنفق فيهم مُستحقّاتهم كاملة ، وحمل منها إلى دمشق مئة ألف درهم في عام واحد ، وهذا أمرٌ لم نعهده في غير أيامه ، بل دائماً يُحمل من دمشق المال إلى الرّجبة .

ثم إنه جَهّز لشد الدواوين بحلب . ثم إنه طُلب إلى مصر ، وجعل مُشدّاً مع الأمير علاء الدين مغلطي الجُمالي الوزير ، ثم خرج إلى طرابلس مُشدّاً ، ثم توجه إلى حلب ، ثم طلب لشد الدواوين بمصر ، فأقام بها مدة ، وسلّم السلطان إليه الأمير بدر الدين لؤلؤ ، فعاقبه ، ثم أخرج إلى دمشق ، وأقام بها مدة .

ثم إنه استعفى من شدّ الدواوين بدمشق ، وخرج إقطاعه لابن أيدغش نائب دمشق ، فتوجه منها إلى طرابلس ، فأت قبل الدخول إليها .

٧٤٦ - سنجر الأمير علم الدين البرواني *

أحد أمراء الطبلخاناه بالديار المصرية .

وكان شجاعاً شهياً .

توفي فجأة في الحُمّام في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن في القرافة .

٧٤٧ - سنجر الأمير الكبير علم الدين الزّراق **

كان من جُملة أمراء دمشق ، وكان يسكن بدار « فلوس » التي اشتراها الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - وبناها وسمّاها بدار الذهب .

* الدرر : ١٧٢/٢ .

** الدرر : ١٧٢/٢ .

كان الأمير علم الدين قد توجه إلى الرحبة مجرّداً ، فتوجّه وعاد ومرض ومات - رحمه الله تعالى - في رابع عشري شعبان سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

٧٤٨ - سنجر الطرقيجي *

الأمير علم الدين ، أحد الأمراء بدمشق .

كان مَن قدّمه الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - وأطنب في شكره وغالى ، وكان ينتقل من الشّد إلى غيره ، ويعرض عنه ، ثم يعود به إلى مدارج طيره .

ولم يزل معه إلى أن غضب عليه غلبة مضرّيه ، هتك فيها الحُجب الشّمسية والقمرية ^(١) ، وأبعده إلى طرابلس فكان فيها حتّفه ، ورُغم بالموت بها أنفّه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - حادي عشري جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ونقله ولده الأمير علي في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وسبع مئة إلى دمشق ، ودفنه في تربته بالقيبات .

كان قد تقل من ولاية البلد إلى شد الدواوين في خامس شهر رمضان سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وعوّض عنه في الولاية بصارم الدين إبراهيم الجوكنداري ^(٢) . ثم جهّزه الأمير سيف الدين تنكز إلى ولاية الولاة بالصفقة القبليّة في خامس عشري شعبان سنة سبع وعشرين وسبع مئة . وأعيد إلى الحُجوية الأمير علاء الدين أوران ^(٣) ، وخلت دمشق مدة أشهر من شدّ الدواوين .

* الدرر : ١٧٣/٢ .

(١) يشير إلى قول بشار :

إذا ما غضبنا غضبة مضرّية هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما

(٢) انظر البداية والنهاية : ٩٣/١٤ .

(٣) كذا ، وأكبر الظن أنه سيف الدين المعروف بحاجب تنكز ، وقد سلفت ترجمته .

الألقاب والنسب

السنجري : الأمير سيف الدين بهادر .

السنجاري : شهاب الدين الخطيب أحمد بن إبراهيم .

٧٤٩ - سنقر بن عبد الله الزيني *

الشيخ الإمام المسند الحَيْر المعمر علاء الدين أبو سعيد الأرمني القضائي الحلبي .

اشتراه قاضي حلب زين الدين ابن الأستاذ^(١) ، وسمع مع أولاده كثيراً ، وكتبوا له في صغر^(٢) وأنه لا يفهم بالعربي .

ثم سمع في سنة خمس ، وما بعدها سمع من الموفق عبد اللطيف وعز الدين بن الأثير^(٣) ، والقاضي بهاء الدين بن شدّاد^(٤) ، وابن رُوزبة . وسمع (الثلاثيات) من ابن الزبيدي بدمشق ، وسمع ببغداد من الأنجب الحمّامي ، وعبد اللطيف بن القبيّطي ، وجماعة ، وسمع بمصر من عبد الرحيم بن الطُفيل^(٥) ، وأكثرَ عن ابن خليل ، وسمع منه (المعجم الكبير) بكامله .

وخرّج له الشيخ شمس الدين^(٦) (مشيخة) ، وخرّج له أبو عمرو المقاتلي ، وأكثرَ عنه ابن حبيب وولداه .

* الوافي : ٤٩٦/١٥ ، والدرر : ١٧٥/٢ ، والشذرات : ١٤/٦ ، والمنهل الصافي : ٨٤/٦ ، وأعلام النبلاء : ٤٩٨/٤ .

(١) هو أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله ، (ت ٦٢٣ هـ) . السير : ٣٠٢/٢٢ .

(٢) في الوافي : « صفر » ، تصحيف .

(٣) علي بن محمد ، صاحب الكامل في التاريخ ، (ت ٦٣٠ هـ) . السير : ٣٥٣/٢٢ .

(٤) في الوافي : « سداد » تصحيف . وهو أبو العز يوسف بن رافع ، (ت ٦٣٢ هـ) . السير : ٣٨٤/٢١ .

(٥) عبد الرحيم بن يوسف ، (ت ٦٣٧ هـ) . الشذرات : ١٨٤/٥ .

(٦) الذهبي ، كما في المنهل .

وعمر وتفرّد في الدنيا ، وسع الناس منه أشياء ، وروى الكثير ، وسّع منه ما هو عزيز من غيره ، ومنه غزير . وما حدّث ببعض مروياته ، ولا حمل الكلّ من كليّاته ولا جزئياته .

ولم يزل على حاله إلى أن استقر سنقر في قعرٍ لحده ، ولم يكن في ذلك نسيجٍ وَحْدِه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم الخميس تاسع شوال سنة ست وسبع مئة .
وحدّث أكثر من ثلاثين^(١) سنة ، وتفرّد بأشياء .

٧٥٠ - سنقر الأمير شمس الدين الجمالي *

ملوك الأمير جمال الدين آقوش الأفرم .

أعرفه وهو في جُمْلَةِ البريديّة ، يسافر معنا في خدمة الأمير سيف الدين تنكز . ولما جاء الفخري ، وجرى له ماجرى ، جعل أخوه سيف الدين بهادر نائباً في بعلبك ، ثمّ إنه أخذ طبلخانة بعد موت الفخري فيما أظن .

ولما توفي بهادر المذكور تعصّب الجراكسة مع أخيه سنقر هذا ، وخلّصوا له الإمرة ونيابة بعلبك ، فتوجّه إليها . ثمّ إنه حضر في أيام الكامل من استخرج من شمس الدين قراسنقر المذكور ميراث سيف الدين بهادر الجمالي منه ، فقام في القضية الأمير سيف الدين يلغا الحيوي والأمير فخر الدين أياز ، وشهد له جماعة من أمراء دمشق بأنه أخوه ، وخمدت القضية بعد أن عزل من النيابة بعلبك ، ثمّ إنه عاد إليها وباشرها جيداً إلى أن كتب الأمير سيف الدين أرغون شاه إلى باب السلطان في ولاية الأمير بدر الدين بكتاش المنكورسي نيابة^(٢) بعلبك ، وتقل شمس الدين سنقر إلى طرابلس ،

(١) في (س) : « أربعين » .

* الوافي : ٤٩٥/١٥ ، والدرر : ١٧٦/٢ .

(٢) في (س) : « نيابة » .

فورد المرسوم بذلك ، فتوجّه الأمير شمس الدين سنقر إلى طرابلس ، فأقام بها ضعيفاً تقدير شهرين أو أكثر . ثم إنه قضى ، ومراً شخصه وانقضى .
وتوفي^(١) - رحمه الله تعالى - في أول شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

٧٥١ - سنقر الأمير شمس الدين المنصوري الأعسر*

كان من كبار الأمراء في مصر والشام ، ومن تتجمل به الدول والأيام ، عارفاً بما يتحدث فيه ، خبيراً بالكلام الذي يخرج من فيه . وكانت له في الشام صورة كبيرة ، وعزمة شهيره ، ومباشرة للأموال مثيره .
ركب الأهوال ونكب ، وسلب ماله وبين يديه سكب ، ثم إنه انتصر ، وشرة في المباشرات وما اقتصر . ونُذِبَ في المهمّات مرّات ، وتولّى الشدّ كرات .
ولم يزل إلى أن ثبت إعسار الأعسر من حياته ، وأصبح ثمّر روحه في يدي جنّاته .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة تسع وسبع مئة .

كان مملوك الأمير عز الدين أيّدمر الظاهري النائب بالشام ، ودّواداره ، وكانت نفسه تكبر عن الدواداريّه . ولما عُزل مخدمه ، وأُرسل إلى مصر في الدولة المنصورية ، عُرِضَت ممالكه على السلطان ، فاختار منهم جماعة ، منها سنقر هذا ، فاشتراه وولاه نيابة الأستاذ درايه .

(١) في طاعون طرابلس ، كما في الوافي .

* الوافي : ٤٩٧/١٥ ، وتالي وفيات الأعيان : ٨٨ ، والبداية والنهاية : ٥٧/١٤ ، والدرر = ١٧٧/٢ ، والشذرات : ٢٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٩٦/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٧٨/٨ .

وفي سنة ثلاث وثمانين وست مئة أمره بالشام^(١) ، ورُتبَه في شدِّ الديوان^(٢) والأستاذ دارية . وأقام بالشام ، وله سُمعة زائدة وعظمة إلى أن توفي الملك المنصور ، وتولى الأشرف ، فكان في خاطر الوزير شمس الدين بن السلعوس منه ، فطُلب إلى مصر ، وعوقب وصور ، فتوصل بتزويج ابنة الوزير ، وكتب صداقها بألف وخمس مئة دينار ، فأعادته إلى [الحالة]^(٣) الأولى .

ولم يزل إلى دولة الملك العادل كتبغا ووزارة صاحب فخر الدين بن الخليلي^(٤) ، فقبض على الأمير شمس الدين المذكور وعلى الأمير سيف الدين أسندير ، وصورا^(٥) وأخذ من الأسير قريبا من خمس مئة ألف درهم ، وأهانته الوزير غير مرة ، وعزله عن الشدِّ بفتح الدين بن صبرة^(٦) ، وتوجَّه الأسير صحبتهم إلى مصر .

ولما وثب حسام الدين لاجين على كتبغا في ذي الحجة سنة ست وتسعين وست مئة ، ورسم للأمير سيف الدين قبجق بنيابة الشام ، ولي الأسير الوزارة وشدَّ الدواوين في شهر رجب سنة ست وتسعين وست مئة ، ثم إنه قبض عليه^(٧) ، ثم ولي الوزارة بعد ذلك ، وعامل الناس بالجميل ، وتوجه لكشف الحصون في سنة سبع مئة أو في آخرها ، ورُتبَ عَوْضَه في مصر عز الدين أبيبك البغدادي^(٨) . فاستمرَّ الأسير أمير مئة وعشرة مقدم ألف . وحج صحبة الأمير سيف الدين سلاّر .

وتوفي بمصر بعد أمراض اعترته .

- (١) عوضاً عن الدواداري علم الدين سنجر . انظر البداية والنهاية : ٣٠٣/١٣ .
- (٢) في (س) ، والوافي ، والمنهل : « الدواوين » .
- (٣) زيادة من (س) والوافي يقتضيها السياق ، وكذلك في المنهل .
- (٤) عمر بن عبد العزيز بن الحسن الخليلي ، ستأتي ترجمته .
- (٥) في الأصل : « وصور » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
- (٦) الحسين بن عمر ، ستأتي ترجمته ، وفي المنهل : « صورة » .
- (٧) في العام المذكور ، يوم السبت في الثالث والعشرين من ذي الحجة . البداية والنهاية : ٣٥٠/١٣ .
- (٨) (ت ٧٠٣ هـ) . الدرر : ٤٢٢/١ .

وغالب ممالكه تأمروا بعده .

وفيه يقول علاء الدين الوداعي لما سبق الناس والأمراء أجمعين في عمارة الميدان ،
ومن خطه نقلت :

لقد جاد شمس الدين بالمال والقرى فليس له في حلبة الفضل لاجق
وأعجز في هذا البناء بسبقه وكُل جواد في الميادين سابق^(١)

وفيه يقول لما أمره السلطان بقطع الأخشاب من وادي « مرتين »^(٢) للمجانيق ،
ومن خطه نقلت :

مُرتين شُكراً لإحسانها فقد أطربتنا بعيادنها^(٢)
ولولا الولاء لما واصلتُ ولا طاوَعْتُ بَعْدَ عِصْيَانِهَا^(٣)
أتانا بها وهي مأسورة وأسرة أسد غيطانها
ولم تَر مِن قِبله غائراً أتى بالديار وسكَّانها
ولا عِدِمَتْ عِدْلَه مَلَّةً يدبر دَوْلَةَ سُلْطَانِهَا

وفيه يقول الشيخ صدر الدين بن الوكيل موشحاً ، وهو :

دَمْعِي رَوَى مُسْتَسْلَاً بِالسَّنَدِ عَنْ بَصْرِي أَحْزَانِي
لَمَّا جَفَا مَنْ قَدِ بَلَا بِالرَّمَدِ وَالسَّهْرِ أَجْفَانِي
غَزَالُ أَنْسٍ نَافِرٌ سَطَتْ بِهِ التَّمَائِمُ
وَعُصْنُ بَانٍ نَاضِرٌ أَزْهَارُهُ الْمَبَايِمُ
قَلْبِي عَلَيْهِ طَائِرٌ تَبْكِي لِسَهْلِ الْحَمَائِمِ
إِنْ غَابَ فَهُوَ حَاضِرٌ بِالْفِكْرِ لِي مُلَازِمٌ

(١) البيتان في النهل .

(٢) في الوافي : « مرتين » .

(٣) في (س) ، والوافي : « ولولا الأمير لما ... » .

كم قد لوى على الولا من موعدي لم يفكر في عاني
 وقد كفا ما قد بلى بالكمد والفكر ذا الجاني
 أزرى بغزلان النقا وبانه وحقيقه
 كم حل من عقدي تقي بطرفه وظرفه
 لم أنسه لما سقى من ثغره لألفه
 سلاف ريق روقا في ثغره لرشفه
 قد احتوى على طلا وشهد ودرر مرجاني
 قد رصفا وكللا بالبرد والزهر للجاني
 أماله سكر الصبا ميل الصبا لقدمه
 وفك أزار القبا وحل عقدي بنده
 وسدنه زهر الربا وساعدي لسعديه
 وبت أرى زغباً^(١) من فوق ورد خده

مثل الهوى هب على روض ندي من طرر ريجاني
 قد لطفنا حتى غلا موردي موزهر نعياني
 خد به خد البكا في صحن خدي غدرا
 ورد لما أن شكا سائل دمعني نهرا
 كم مغرم قد تركا بين البرايا عبرا
 يامن إليه المشتكى الحال تغني النظرا
 زاد الهوى فانهلا^(٢) دمع الصدي كالمطر هتان
 وما انطفأ واشتعللا في كبدي كالشرير نيراني

(١) في الأصل : « رغبا » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في الوافي : « فانهمل » .

يا فرحة المَحزونِ وقرحة لَمَنْ يرى^(١)
 إن صُلّت بِالْجَفونِ وصِدّت مِن جفني الكرى
 فليسَ لي يَحْميني سوى الذي فاق الورى
 شمسُ العَلا والدينِ أبى سعيْدٍ سُنقرا
 مولى هوى كُلِّ عَلا وسُوْدِدِ مِنْ مَعْشِرِ فُرسانِ
 وقد صفا ثَمَّ حَلا في المورِدِ لِلْمُعْسيرِ والقانِ

٧٥٢ - سنقر شاه الأمير شمس الدين المنصوري*

كان أميراً كبيراً ، قد حوى مالا غزيراً ، وجوهرًا نظيفاً ومالاً كثيراً ، واقتنى من السلاح والخيول ما يزيد في وصفه ، ويكلُّ اللسان وما وصل إلى نصفه . إلا أنه كان مُبْخَلاً ، وإن كان مُبْجَلاً ، ومذمّماً ، وإن كان بالخزّ مُعْمَماً .

وكان به مرضٌ مُزْمِنٌ ، وتعلّل مُدْمِنٌ ، لا يزال به مُصَفّراً ، ونكدٌ عيشه مُوقِراً .

ولم يزل به إلى أن أنزله في بطن^(٢) جدّته ، وأقام عدّمه الدليل على حدّته .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة [سبع]^(٣) وسبع مئة .

جاء إلى صفد نائباً في سنة أربع تقريباً ، بعد الأمير سيف الدين بتخاص ، وأقام بها نائباً إلى سنة سبع وسبع مئة ، ورسم بعزله ، وأن يجيء الأمير سيف الدين بكثر الجوكندار الكبير من الصبيبة إلى صفد نائباً ، فما لحق المرسوم يجيء إلى صفد إلى أن توفي سنقرشاه - رحمه الله تعالى - .

(١) في الوافي : « يا قرحة المحزون ... وفرجة » .

* الوافي : ٤٩٩/١٥ ، والدرر : ١٧٥/٢ .

(٢) في الأصل : « قبر » ، وأثبتنا ما في (س) ، وهي أشبه .

(٣) زيادة خلا منها الأصل و (س) ، وأثبتناها عن الوافي ، والدرر .

وكان يلبس زُمَيْطِيَّةَ حمراء ، قِمَتْهَا نِصْفُ وُرُئُعْ درهم ، فقيل له في ذلك ، فلبس قُبْعاً مَزْرَكْشاً ، وقال : مَنْ أنا ؟ فقالوا : الأمير سنقرشاه المنصوري ، فخلعه ، وَلَبِسَ تلكَ الزُمَيْطِيَّةَ ، وقال : مَنْ أنا ؟ فقالوا كما قالوا أولاً ، فقال : أنا هو ذاك إن لَبِسْتُ هذه أو ذاك .

وكان عنده جماعةٌ من الأويراتية^(١) ، وكان كثيرَ الصيد ، اصطاد مرّةً من غابة « أرسوف » خمسة عشر أسداً وضَبَّوحين^(٢) ، وكان في الجُمْلَةِ أسد أسود كبير . وكان قليلَ المقام في المدينة ، بل غالب أيامه يكون في الصيد . وكان قد أفنى الأسود من الغابات .

ولما توفي دفن بعين الزيتون^(٣) في زاوية الشيخ قليبك . وابنته زوج الأمير سيف الدين أرقطاي نائب مصر .

٧٥٣ - سنقرشاه الأمير شمس الدين الظاهري *

كان أحد أمراء دمشق . وسكن بالعقبة عند حَمَام الجلال .

توفي - رحمه الله تعالى - في يوم الاثنين ثاني^(٤) ذي الحجة سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، ودُفِن بكرة الثلاثاء بمقابر الصوفية ، وحضر جنازته قاضي القضاة ونائب السلطنة وغيرهما من أعيان الأمراء والكتّاب .

(١) هم المماليك المغول .

(٢) الضباح : صوت الثعلب . ولعله أراد : ثعلبين .

(٣) بلدة في فلسطين .

* الدرر : ١٧٤/٢ .

(٤) في (س) : « في ثاني » .

٧٥٤ - سنقر الأمير شمس الدين الكمالي الحاجب *

كان أحدَ الأكابر ، والأمراء الذين تُثني عليهم ^(١) ألسنةُ الأقلام في ثغور ^(٢) أفواه المحابر .

وكان في طبقة سلاّر والجاشنكير والجوكندار أمير جاندار ، والكمال رابعهم ، وقادِمُهُم في كل أمر وتابعُهُم ، حتى اشتهر أمرهم وتأزر نصرهم ، ولذلك قال بعض عوام المصريين المطاييع :

لا كتبن القصصَ وقِفْ فيك لسلاّر وأقصدِ الجاشنكير وِرْخُ للكمالي
واقول لويامير في أيام عَذْلِكَ كيف يكون لي معشوقٌ ياخذُ بدالي

ولما جرّده العسكر من مصر صحبة كراي الذين توجّهوا لإمساك أسندمر من حلب ، كان الأمير الكمالي من جملة من صحبة كراي ، ودخلوا إلى دمشق في ذي القعدة سنة عشر وسبع مئة ، ولما كان في تاسع عشر شهر ربيع الآخر أمسك السلطان أربعة أمراء : نائب الكرك آقوش ، وبيبرس الدوادر ، ونائب السلطنة ، وسنقر الكمالي ، وغيرهم ، وأودعوا برجاً في القلعة مُعتقلين ، وذلك في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ^(٣) .

٧٥٥ - سنقر الأمير شمس الدين أستاذ الدار **

أخرجه السلطانُ الملك الناصر حسن إلى الشام لِلْحَوَظَةِ على خيل الأمير سيف الدين طاز وغير ذلك في أوائل سنة تسع وخمسين وسبع مئة . فتوجّه إلى حلب ، وحضر بعد ذلك إلى دمشق ، وبذل الجُهد في موجود الأمير طاز ، وكان إذ ذاك أمير

* الدرر : ١٧٧/٢ .

(١) في الأصل : « عنهم » ، وأثبتنا ما في (س) ، وهي أشبه .

(٢) ليست في (س) .

(٣) انظر البداية والنهاية : ٦٥/١٤ .

** الدرر : ١٧٦/٢ .

طبلخاناه ، فانحلت بالديار المصرية وهو في الشام تقديم ألف وإمرة مئة ، فعينها السلطان باسمه ، وعظمت منزلته عند السلطان ، وعاد إلى مصر بعد مدة على تسعة أشهر ، ونفع جماعة ممن خدمه بدمشق وحلب وغيرها .

وزادت وجاهته عند السلطان ، وكان يقال : إنه أخو الأمير سيف الدين بكتر المومني^(١) نائب حلب .

ولما جهز أخوه المذكور إلى حلب أقام بعد ذلك قريباً من نصف سنة ، ثم إن السلطان تغير عليها ، وأمسك أخاه نائب حلب ، وأخرجه إلى دمشق أمير طبلخاناه ، فورد إليها في سنة ستين ، وأقام بها قليلاً ، ثم رُسم بتوجهه من دمشق إلى صهيون^(٢) بطالاً بغير إقطاع . فأقام بها مدة إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - بصهيون ، وورد الخبر بوفاته إلى دمشق في ذي القعدة سنة إحدى وستين وسبع مئة .

وكان فيه مروءة وعصبية مع من يعرفه .

الألقاب والأنساب

☆ السنهوري المادح : أحمد بن مسعود .

☆ السهروردي : شهاب الدين عبد الحمود بن عبد الرحمن .

٧٥٦ - ابن أبي سودة*

القاضي بهاء الدين كاتب السر بحلب ، اسمه علي بن علي بن محمد .

(١) ت (٧٧١ هـ) . الدرر : ٤٨٨/١ ، وفيه : « المومني » .

(٢) هو حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص ، لكنه ليس بمشرف على البحر . معجم البلدان : ٤٣٦/٣ .

* الدرر : ٨٦/٣ ، وتذكرة النبیه : ٥٩/٢ ، وإعلام النبلاء : ٥٠٤/٤ . وذكره المصنف في حرف العين وأحال على ترجمته هاهنا .

توفي - رحمه الله تعالى - في ضحى نهار السبت ، منتصف شهر رجب الفرد سنة أربع عشرة وسبع مئة^(١) .

ومن شِعْرِهِ ، وقد توفي القاضي عز الدين عبد العزيز بن القيسراني ، مما كتبه إلى أخيه :

وَحَقِّكَ مَا تَرَكْتُ الْكُتُبَ عَمْدًا بَتَغْزِيَةٍ عَلَى هَذَا الْمُصَابِ
وَلَكِنْ كُلَّمَا أَثْبَتُ سَطْرًا مَحْتَهُ دُمُوعٌ عَيْنِي مِنْ كِتَابِي
وكتب إليه أيضاً :

وَلَمَّا قَضَى وَاسْتَهْدَمَ الصَّبْرُ بَعْدَهُ وَكُنَّا نَرْجِيهِ لِإِعْدَامِنَا كِنْزَا
بَكَيْنَا وَأَجْرَيْنَا الدُّمُوعَ تَأْسُفًا وَلَمْ يَجِدْنَا فَيْضَ الدُّمُوعِ وَلَا أَجْزَى
وَلَا تَسْأَلُوا عَنْ حَالَتِي فِي رَزِيَّتِي وَمَا حَالُ مُضْنَى فَارَقَ الْجَاءَ وَالْعِزَّا

☆ السواملي : جمال الدين إبراهيم بن محمد .

٧٥٧ - سُؤْتَايْ*

بالسين المهملة^(٢) ، والواو الساكنة ، والتاء ثلاثة الحروف ، وألف ممدودة وياء آخر الحروف : النوين الكبير الحاكِم على ديار بكر بمجموعها .

كان رئيساً في نفسه ، فريداً في أبناء جنسه ، ذا عزمٍ وجَلْدٍ وَحَزْمٍ ، وإثارة للحروب وهزم . عنده رئاسة ، وحسن تدبيرٍ وسياسة ، تحبه رعيته ، لَمَّا صَفَتْ لَهُمْ^(٣) طَوِيَّتُهُ . وَيَذْعُونَ لَهُ عَلَى الدَّوَامِ ، ويختارون أيامه لودامت أو عادت ولو في المنام .

(١) وفي الدرر أنه توفي سنة (٧٢٤ هـ) .

* الوافي : ٣٩/١٦ ، ونكت الهميان : ١٦١ ، والدرر : ١٧٨/٢ ، والمنهل الصافي : ١٠١/٦ ، وتذكرة النبیه : ٢٣٤/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٦/٩ .

(٢) عبارة الوافي : « بضم السين المهملة » .

(٣) في (س) : « به » .

ولم يزل على حاله إلى أن أتى السوء سوتاي فدمّره ، ولم ينفعه ما أتقنه من أمره ودبرّه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

وكان قد عمّر حتى تجاوز المئة ، لأنه حكى عن نفسه أنه كان قد حضر واقعة بغداد ، وهو بالغ ، ورأى أربعة بطون من وَلَدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ وأولادهم حتى إنهم أنافوا على الأربعين ذكوراً وإناثاً . وأكبر ولده بارنباي ثم طغاي .

وكان سوتاي أقطجياً لأبغا ، والأقطجي بمنزلة أمير آخور . ولم يزل مُعْظَماً عند ملوك المُلُك . وهو جاء إلى ديار بكر ، ونزل بها بتومانة^(١) بعد وفاة النوين أبك^(٢) تاصميش ، واستمر حاكماً من أوائل دولة أوجايتو سلطان إلى أواخر دولة السلطان بوسعيد ووفاته في بلد ، وهي مدينة خراب بالقرب من الموصل^(٣) ، لأنه كان يشتهيها في كل سنة ، ثم إنه نقل من بلد [إلى] الموصل ودفن في تربة كان بناها لنفسه من الموصل على دجلة .

وكان مرضه ثلاثة^(٥) أشهر ، وكان قد أضّر قبل موته بسنوات ، ولمّا مات حكم بعده على ديار بكر علي باشا خال بوسعيد ، وجرت له حروب مع أولاده .

٧٥٨ - سودي*

الأمير سيف^(٦) الدين ، رأس نوبة الناصري .

- (١) هي الفرقة من الجند التي عددها عشرة آلاف مقاتل ، وهي لفظة مغولية .
- (٢) في الوافي : « إيل » .
- (٣) معجم البلدان : ٤٨١/١ .
- (٤) زيادة من (س) والوافي ، يقتضيها السياق .
- (٥) في (س) : « مدّة ثلاثة » .
- * الوافي : ٤٢/١٦ ، والبداية والنهاية : ٧٢/١٤ ، والدرر : ١٧٩/٢ ، وإعلام النبلاء : ٢٩٩/٢ .
- (٦) في الأصل : « ناصر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

كان من خواص أستاذه المقربين ، وأعيانهم المدربين . له معرفة وفهم ، وله نفوذ في الأحكام كما ينفذ السهم .

اجتهد على سياقة نهر الساجور إلى حلب ، وبذل فيه لكل صانع ما طلب . وأخذ أمره بكتنا يديه ، وأنفق في سياقته غالب ما لديه . ثم إنه من فرجه عجل وطالع السلطان بوصوله ، فجهز المطالعة في البريد على يد [رسوله ^(١)] بناء على أنه في غد يدخل البلد ، فتقطع في تلك الليلة ، وساح في الجلد . فكانت منه هفوة ، وخطأ ندم على ما مد فيه من الخطوة .

ولم يزل إلى أن لم يبق لسودي سُودد ، وذاب شحمه في القبر وتقدد .

وتوفي - رحمه الله تعالى - منتصف شهر رجب سنة أربع عشرة وسبع مئة يوم السبت ، ودفن يوم الأحد بالقرب من تربة قراسنقر .

وكان السلطان قد جهزه لنيابة حلب بعدما توجه الأمير شمس الدين قراسنقر من البلاد ، وراح إلى بلاد خربندا ، فوصل إلى حلب في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

وقيل : إن طول النهر الذي حفره من الساجور إلى أن يصل قويق ^(٢) أربعون ألف ذراع ، وعرضه ذراعان ، وعمقه ذراعان تقريباً ، وإن الذي أنفق عليه ثلاث مئة ألف درهم ، النصف من مال السلطان ، والنصف من مال سودي . ولم يُظلم فيه أحد ، بل حُفر بالعدل والإنصاف .

الألقاب والأنساب

☆ السومي : فخر الدين أحمد بن علي .

(١) زيادة من (س) .

(٢) هو نهر مدينة حلب . معجم البلدان : ٤٢٧/٤ .

☆ ابن سويد : تاج الدين طالوت .

٧٥٩ - سَلَّارْ*

بالسين المهملة وبعدها لام مشدّدة وبعد الألف راء : الأمير سيف الدين التّري المنصوري الصالحى .

كان أولاً مِنْ ممالك الصالح علي بن المنصور ، فلما مات الصالح صار من خواص أبيه^(١) المنصور ، ثم إنه اتصل بخدمة الأشرف ، وحظي عنده ، وأمّره ، وكان صديق السلطان حسام الدين لاجين ونائبه منكوتر .

ندبوه لإحضار السلطان الملك الناصر محمد من الكرك فأحضره . وركن إلى عقله فاستنابه وقدمه على الجميع . وخضع له الناس .

وكان عاقلاً ، عارفاً بالأمور كاملاً . ينطوي على دهاء ، ويظهر قُرْبَكَ وهو ذو جفاء ، سعيّد الحركات في أموره ، موَفَّق الآراء في غيبته عن المَلِك وحضوره . اقترح أشياءً ظريفة في لبس الفارس والفرس ، ونُسب^(٢) إليه تَقَوْمُ القيامة^(٣) وذكُرَها ما اندرس . ونال من سعادة الدنيا ما لا يوصف كثُرُه ، ولا ينهض قدم تحمله عَثْرُه . وحصل من الذهب والفضة ما هو قناطر مقنطره ، ومن اللآلي والجواهر ما تعجز عن مكاثرتِه السحائب المُتَعَنِّجَرِه^(٤) .

* الوافي : ٥٥/١٦ ، وفوات الوفيات : ٨٦/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ٨٩ ، والدرر : ١٧٩/٢ ، والمنهل الصافي : ٥/٦ .

(١) في الأصل : « ابنه » تصحيف . وما أثبتناه يوافق ما في الأصول الأخرى .

(٢) في (س) : « ونسبت » .

(٣) في (س) : « القيمة » .

(٤) المتعنّجرة : الملائى ، تفيض مطراً .

وكان ساكناً وادعاً لا شرَّ فيه ولا باطِنَ سوءٍ لمخالفيه ولا مُحالفيه . وساس المُلْك تلك المُدَّة ، وداهن أَعاديهِ ^(١) وهم حوله على انفرادِهِ عدَّه . وكان مُحِبّاً لِمَنْ يخدمُهُ ، مُكَبِّباً على مَنْ يصطنعه أو يقَدِّمه .

ولما توجَّهَ الناصر إلى الكرك ، تدهى على الجاشنكير ولم يشركه في الوقوع في الشرك ، فسلطَنه بل سَرَطَنه ، وحَبَّبه لِلْمُلْك بل جَنَّه ، ودَرَّبَه لذلك بل دَرَّنه . ومشى قَدَّامه ، إلا أن ذاك عيرَ غَيْرَ قَطِنٍ وذاك خِبَّ خُبْعَتْنَه ^(٢) . وما كان بأسرع من أن استحات الدولة عليه ، وفَرَّت بأجمعها من بين يديه . وكان هوفين خامرَ ، وقام مع الحزب الناصري وقامرَ . إلا أنه حاق به مَكْرُهُ ، وأتعبه خمارُهُ وسُكره ، ومات في السجن جوعاً ، ولم يجد ^(٣) إلى الدنيا رجوعاً . يقال إنه أكل من مَداسه الكِعاب ، وتحقق أن الدنيا مُومِسٌ بالية ، وكان يظن أنها كعاب .

وتوفي - رحمه الله تعالى - مُعتقلاً بالقلعة في الديار المصرية في شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبع مئة .

وكان يتحدَّث أن إقطاعه بضْعٌ وثلاثون ^(٤) طبلخاناه ، واشتهر على السنة العوام وغيرهم أنه يدخله في كل يوم مئة ألف درهم ^(٥) . واستمر في النيابة إحدى عشرة سنة .

ولما ملَّك الجاشنكير استمر به في النيابة ، وازداد عَظْمَةً وسَعَادَةً ، وأقام على ذلك تسعة أشهر . ولَمَّا عاد السلطان من الكرك تلقاه سلارٌ إلى أثناء الرَّمْل . ولَمَّا جلس على كرسي الملك أعطاه الشَّوَبَك ، فتوجَّهَ إليها في جماعته ، وتشاغل السلطان عنه ،

(١) في (س) : « أعداءه » .

(٢) الحب : الخبوع ، والخبوعن : القوي الشديد .

(٣) في (س) : « يجد له » .

(٤) في المنهل : « نحواً من أربعين إمرة طبلخاناه » .

(٥) في المنهل : « قيل إنه كان متحصله . كل سنة ألف ألف دينار » .

ونرح سلّار عن الشوبك وطلب البريّة^(١) ، ثم إنه خُذِل ، وسيرَ يَطْلُبُ مِنَ السلطان أماناً على أنه يُقيم بالقدس لعبادة الله تعالى ، فأجابه إلى ذلك ، ودخل إلى القاهرة بعد أن بقي أياماً مُشرداً في البريّة مُردّداً بين العرب ، ينوبه في كلِّ يوم لهم ألف درهم وأربعون غرارة شعير .

ولما جاء عاتبه السلطان واعتقله ، ومنع من الزاد إلى أن مات جوعاً ، وأكل كعاب سمروزته ، وقيل : أكل خَفّه ، وقيل : إنهم^(٢) دخلوا إليه وقالوا له : قد عفا السلطان عنك ، فقام من الفرّج ومشى خطوات يسيرة وسقط ميتاً .

وكان أَسْمَرُ آدم ، لطيف القد ، أسيل الخد ، لحيتُهُ في حنكه سوداء ، وهو من التّار الأويراتية .

مات في أوائل الكهولة ، ولعلّه ما بلغها - رحمه الله تعالى - وأذن السلطان للأمير علم الدين سنجر الجاولي أن يتولى دَفْنَه وجنازته ، فدَفَنَه بترّبه عند الكبش .

وكان - رحمه الله تعالى - ظريفاً في لبّسه ، اقترح أشياء في اللبس ، وهي إليه منسوبة ، منها المناديل السلّارية والأقبية السلّارية ، وفي قماش الخيل وآلات الحرب .

قال شمس الدين الجزري : إنه أخذ له ثلاث مئة ألف ألف دينار ، وشيء كثير من الحليّ والجواهر والخيل والسلاح والغلال مما لا يكاد ينحصر^(٣) .

قال شيخنا الذهبي ، رحمه الله تعالى : وهذا شيء كالمستحيل ، لأن ذلك يجيء وقرّ عشرة آلاف^(٤) بغل ، الوقر ثلاثون ألف دينار ، وما علمت أن أحداً من السلاطين

(١) خشية على نفسه من السلطان ، كما في المنهل .

(٢) في الأصل : « إنه » ، وأثبتنا ما في (س) ، وهو موافق لما في المنهل .

(٣) في المنهل ، عن الجزري : « وَجَدَ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ثَمَانِ مِائَةِ أَلْفِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَذَلِكَ غَيْرُ الْجَوَاهِرِ وَالْحِلِيِّ وَالْخَيْلِ وَالسَّلَاحِ » .

(٤) في المنهل ، عن الذهبي : « خَمْسَةُ أَلْفِ » .

الكبار ملك هذا ولا رُبْعَه . ثم تدبّر - رحمك الله - إذا فرضنا صحّة قولهم ، دخله في كل يوم مئة ألف درهم^(١) ، أما كان عليه فيها خرّج ؟ فلو أمكنه أن يكنز في كل يوم ثلاثة آلاف دينار أكان يكون في السنة غير ألف ألف دينار ومئتي ألف دينار ؟ فتصير الجملة في عشرة أعوام عشرة ألف^(٢) ألف دينار ، وهذا لعله غاية أمواله ، فلاح لك قرطٌ ما حكاه الجزري واستحالتُه .

قال الجزري : تقلت من ورقة بخط علم الدين البرزالي قال : دفع إليّ المولى جمال الدين بن الفوّيرة ورقةً بتفصيل بعض أموال سلّار وقت الحَوَطةِ على داره في أيام متعددة :

يوم الأحد^(٣) :

تسعة عشر رطلاً بالمصري زُمرداً .

ياقوت : رطلان .

بلخش : رطلان ونصف .

صناديق ستة ضمنها جواهر فصوص ماس وغيره : ثلاث مئة قطعة .

لؤلؤ كبار مدرّر^(٤) من زنة درهم إلى مثقال : ألف ومئة وخمسون حبة .

ذهب : مئتا ألف وأربعون ألف دينار .

دراهم : أربع مئة ألف درهم وسبعون ألف درهم .

يوم الاثنين : ذهب : خمسة وخمسون ألف دينار .

(١) عبارة الوافي : « أربعة آلاف دينار .

(٢) في (س) : « آلاف » ، وعبارة الوافي : « اثني عشر ألف » ، وهي أشبه .

(٣) انظر ما جاء في المنهل : ١٠/٦ ، ففيه بعض الاختلاف عما ههنا .

(٤) في الوافي : « مدور » ، ومثله في المنهل .

دراهم : ألف ألف درهم وأحد وعشرون ألفاً .

فصوص بذهب : رطلان ونصف .

مُصاغ عقود وأساور وزنود وحلق وغير ذلك : أربعة قناطير بالمصري .

فضيّات أواني وهو اوين وصدوره : ستة قناطير .

يوم الثلاثاء :

ذهب : خمسة وأربعون ألف دينار .

ودراهم : ثمانية آلاف درهم .

براجم فضة وأهلة وصناديق^(١) : ثلاثة قناطير فضة .

ذهب : ألف ألف دينار وثمان مئة ألف درهم .

أقبية ملوّنة بفرو قاقم^(٢) : ثلاث مئة قباء .

أقبية بسنجاب : أربع مئة قباء .

سروج مُزركشة : مئة سرج .

ووجد عند صهره الأمير موسى^(٣) ثمانية صناديق ، فأخذت ، كان من جملة

ما فيها^(٤) عشر حوائص مجوهرة سلطانية وتركاش ماله قيمة ، ومئة ثوب طرّد وحش^(٥) .

(١) في الوافي : « وصناجق » .

(٢) حيوان كالسنجاب .

(٣) موسى بن علي بن قلاوون . ستأتي ترجمته . وفي المنهل : « أمير موسى » .

(٤) في للمنهل : « لم يعلم ما فيها » .

(٥) قماش من الحرير مزين بصور الصيد والطرود .

وقدم صحبته من الشوبك خمسون ألف دينار وأربع مئة وسبعون ألف درهم ،
 وثلاث مئة خلعة ملونة وخرگاه أطلس معدني مبطنه بأزرق بائها زركش ،
 وثلاث مئة فرس ، ومئة وعشرون قطاراً بغال^(١) ، ومثلها جمال . كل هذا سوى الغلال
 والأنعام والجواري والمماليك والأملاك والعدد والقماش . وذكر أنه عوقب كاتبه ، فأقرَّ
 أنه كان يحمل إليه كل يوم ألف دينار ، وما يعلم بها غيره .

وقيل : إن مملوكاً دلهم على كنز له مبني في داره ، ووجدوا فيه أكياساً ، وفتحوا
 بركة فوجدوها ملاء أكياس ذهب .

قال شيخنا الذهبي : وحدثني شيخنا فخر الدين أن إنساناً حكى له ، قال : دخل
 العام شونة سلار من أصناف الغلال ست مئة ألف إردب . وقال شيخنا الذهبي : ثم إنه
 مات البائس ، يتحسر على الخبز اليابس .

وقلت أنا فيه :

في أمر سلار للألباب موعظة	لم يحتج العقل إذ يحتج برهاننا
حوى كنوزاً إذا قارون قارنها	طاقت عليه من الأموال طوفاننا
وبعد ذلك لم تقدر يدها على	لبابة وقضى في الحبس جوعاننا
فألف أف لذياننا وزخرفها	فا سمعناه عن سلار سلاننا

الألقاب والأنساب

- ☆ ابن السلار : ناصر الدين أبو بكر بن عمر .
- ☆ السلاري : نائب مصر الأمير شمس الدين آقسنقر .
- ☆ ابن سلام : الشيخ شرف الدين الحسين بن علي .

(١) كنا في الأصل .

٧٦٠ - سَلامُش *

الأمير سيف الدين الظاهري .

قارب التسعين .

كان من أمراء الديار المصرية . وكان صالحاً دِيناً .

توفي - رحمه الله تعالى - في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ودُفن بَرّاً باب النصر .

وكان أمير خمسين فارساً .

الألقاب والأنساب

☆ السلامي الخواجة : مجد الدين إسماعيل بن محمد .

٧٦١ - سيف الدين **

الشيخ الجليل الكبير الرُّجِيجِي بن سابق بن هلال بن يونس شيخ اليونسية .

كان له حُرمة وافرة في الدولة ، وعند أتباع جده وطائفتهم .

توفي - رحمه الله تعالى - يوم السبت خامس عشر شهر رجب سنة ست وسبع مئة ، وصُلِّي عليه بالجامع الأموي ، وأُعيد إلى الدار التي [كان ^(١) يسكنها داخل

* الدرر : ١٨٢/٢ .

** الدرر : ١٨٢/٢ ، والبداية : ٤٤/١٤ ، والمنهل الصافي : ١٩١/٦ ، وفي اسمه ثمة إضافة واختلاف .

والدارس : ١٦٨/٢ ، وفيه تفصيل يتعلق بالطائفة اليونسية في أثناء كلامه على الزاوية اليونسية ، وهي من زوايا الصوفية ، تُنسب إلى يونس بن يوسف بن ساعد الشيباني .

(١) زيادة من (س) ، والمنهل :

باب توما ، وتعرف بدار أمين الدولة ، فدُفن بها ، وحضره خلق من الأعيان والقضاة والأمرء .

وأجلس مكانه ولده فضل ^(١) .

كان الشيخ سيف الدين مليح السيرة ، ضخم الهامة جداً ، هائل المنظر ، مخلول الشعر . ناهز السبعين سنة .

٧٦٢ - سيف بن سليمان*

ابن كامل بن منصور بن علوان بن ربيعة الموازيني السلمي الزرعي ، القاضي شرف الدين .

كان فقيهاً فاضلاً عفيفاً محترزاً ، وله نظم ، وعنده فوائد .

وولي عدة ولايات من أعمال دمشق نحواً من أربعين سنة . وكان فيها مشكوراً .

وولي بعلبك والقدس ، وأقام به إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في ثالث عشري جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وأربعين وست مئة .

وروى الحديث عن ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، ويوسف بن مكتوم ، وغيرهم بدمشق والقدس .

٧٦٣ - سيف بن فضل بن عيسى**

الأمير سيف الدين من آل فضل الزواهر ، ومن قوم عدادهم في الجَمَاهِر .

(١) توفي (٧٢٧ هـ) البداية والنهاية : ١٣٢/١٤ ، والدارس : ١٦٨/١ .

* الدرر : ١٨٣/٢ .

** الدرر : ١٨٣/٢ ، وللنهل الصافي : ١٩٠/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢٢٥/٣ .

ولي إمرة آل فضل بعد ابن عمه ^(١) أحمد بن مهنا ، فما صفا له عيش ولا تهنا . وعزل عن الإمرة ، وخدمت منه الجمره ، وما شرب من عرّها كأس خمره ، إلا أنه كان مطاعاً في الدولة ، مشاراً إليه في الجَوْل ، مقدّماً في الدّول القاهرة ، معنيّاً بأمور الباطنة والظاهرة .

وكان قد أسره عمّر بن موسى ، ثم منّ عليه وأطلقه وجراحه لا تندمل منه ولا تؤسى .

ولم يزل على حاله إلى أن غصّ من الحسام بريقه ، وشخص بصره من بريقه .

وقُتل - رحمه الله تعالى - في أوائل سنة ستين ^(٢) وسبع مئة ، قتله عمر بن موسى .

كان الأمير سيف الدين له وجاهة في الدولة من أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان كلّ قليل يتوجّه إلى باب السلطان ، ويعوده بما يختاره من الزيادات والإنعامات . وكان هو وإخوته وآل فضل أئمة لا يدخلون في حكم أمير النقرة من أولاد مهنا ، بل مرجع حوطاتهم وإفراجاتهم مختص به .

وكان قد ولي الإمرة بعد الأمير شهاب الدين أحمد بن مهنا في أيام الملك المظفر حاجي ، فما مشى له حال ، وضايقه أولاد مهنا ، وقطعوا الطرقات على الناس وعجزوه ، فأعيدت الإمرة إلى أحمد بن مهنا . وكان يُرمى بعدم الصدق إلا أنه له الوجاهة في الدولة . ولقد رأيته وهو عند الأمير سيف الدين منجك نائب الشام بدار العدل ، وقد جاء الأمير سيف الدين حيار بن مهنا من باب السلطان ، وهو أمير النقرة ، فجلس تحت الأمير سيف .

وقلت أنا فيه لما قُتل - رحمه الله تعالى - :

(١) انظر المنهل الصافي .

(٢) في المنهل : « في ذي القعدة سنة تسع وخمسين وسبع مئة » .

سيف بن فضل كان في الدهر لا يخاف من حين ولا حيف
حتى إذا ما خانته دهره أتقذ حكم السيف في سيف^(١)

٧٦٤ - سيفاه الأمير سيف الدين *

أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق .

توفي - رحمه الله تعالى - في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة ست وخمسين
وسبع مئة .

(٢) الألقاب والأنساب

☆ السيف الحريري : اسمه أبو بكر .

☆ السيف البغدادي : اسمه عيسى بن داود .

☆ السيف النابنج : يوسف بن محمد .

☆ بنو سيد الناس : شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد . الشيخ فتح الدين

محمد بن محمد بن محمد . وسعد الدين محمد بن محمد بن محمد .

وسعد الدين محمد بن محمد بن محمد .

☆ السيد : ركن الدين النحوي ، الحسن بن شرفشاه .

(١) البيتان في المنهل ، والتذكرة ، وفي التذكرة : « إذا خانه » .

* ذبول العبر : ٣٠٧ .

(٢) من ههنا حتى حرف الشين ، سقط من (س) .

☆ ابن سيد الأهل : الحسين بن علي .

☆ ابن السيوفي : نجم الدين عيسى .

الألقاب والأنساب

☆ السُّهْرَوْدِي : الشيخ شمس الدين الكاتب أحمد بن يحيى .

حرف الشين

٧٦٥ - شاذي*

الملك الأوحـد تقي الدين بن الملك الزاهر مجير الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي بن مروان بن يعقوب .

كان أحد الأمراء بدمشق .

توجّه مُجَرِّداً إلى جبال الجرد^(١) ، فتوفي هناك في ثاني صفر سنة خمس وسبع مئة ، وحُمِلَ إلى دمشق ، ودفن بتربة الدار الأشرفية^(٢) بسفح قاسيون .

وكان مُعظماً في الدولة أثيل المكارم^(٣) عند الأفرم . وله اشتغال ، وكان يحفظ القرآن العظيم ، وسمع الحديث من الفقيه محمد اليونيني .

قال شيخنا البرزالي : وَرَوَى لَنَا عَنْهُ .

ومولده في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وست مئة بدمشق .

وكان له بالأمور دُرْبَةٌ وخبرة تامة .

* الوافي : ٧٢/١٦ ، والبداية والنهاية : ٣٩/١٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ٩٢ ، والدرر : ١٨٣/٢ ، والدارس : ١٩٢/٢ . والمنهل : ١٩٣/٦ ، وفيه : « شاذي بن داود بن شيركوه » ، وعقد الجمان : ٤١٨/٤ ، وفيات (٧٠٥ هـ) ، وفيها : شاذي بن داود بن شيركوه .

(١) في الوافي : « كسروان » . وانظر المنهل .

(٢) في عقد الجمان : « بتربة والده بسفح قاسيون » . ومثله في المنهل .

(٣) في (س) : « المكنة » .

٧٦٦ - شاذي بن بدليك *

الأمير سيف الدين أخو الأمير شهاب الدين أحمد الساقى ، [المقدم] ^(١) ذكره .
 كان أولاً من جملة البريدية بمصر ، ثم إنه أعطي طبلخاناه بحلب ، وأقام بها .
 وخرج على الصالح ^(٢) صالح ، وحضر مع بيبغاروس إلى دمشق ، وهرب معه . وكان في
 جملة من أمسك على حلب ، وأحضره إلى دمشق .
 وكان في جملة من وسَّط بسوق الخيل بدمشق في شوال سنة ثلاث وخمسين
 وسبع مئة ^(٣) .

الألقاب والأنساب

☆ الشارعي : المحدث إسماعيل بن إبراهيم .

☆ الشارمساحي الشاعر ^(٤) : أحمد بن عبد الدائم .

☆ ابن الشاطبي : علاء الدين علي بن يحيى .

☆ الشاطبي : يوسف بن أحمد .

٧٦٧ - شافع بن علي **

ابن عباس بن إسماعيل بن عساكر الكنانى العسقلاني ثم المصري : الشيخ الإمام

* انظر بعض أخباره في السلوك : ٨٧٣/٢/٢ و ٨٧٥ ، أحداث سنة (٧٥٣ هـ) .

(١) زيادة من (س) يقتضيها السياق .

(٢) في (س) : « السلطان للملك الصالح » .

(٣) انظر أحداث سنة (٧٥٣ هـ) من البداية والنهاية : ٢٤٥/١٤ - ٢٤٦ .

(٤) في الأصل : « الشام » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) .

** الوافي : ٧٧/١٦ ، ونكت الهميان : ١٦٣ ، وفوات الوفيات : ٩٢/٢ ، والدرر : ١٨٤/٢ ، وللنهل

الصافي : ١٩٦/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٨٤/٩ ، وتذكرة النبى : ٢٠٨/٢ .

الأديب ناصر الدين سبطُ الشيخ عبد الظاهر^(١) بن نشوان .

رَوَى عن الشيخ جمال الدين محمد بن مالك ، وغيره .

وروى عنه^(٢) الشيخ أثير الدين ، وعلم الدين البرزالي ، وجمال الدين إبراهيم الغاغي^(٣) وغيره من الطلبة .

كتب المنسوب فأحسنه ، وجوّد طريقه وأتقنه ، فإذا خطَّ غَضَّ الزَّهْرُ عَيْنَه ، وطلب من العقود دَيْنَه ، وإذا نظم القريض نظرت النجومُ بطرف^(٤) غَضِيض ، وإذا نثر فضح الدرر ، ملأ الدنيا إنشَاءً ، وأبرزها كالنجوم زَهَرَتْ عِشَاءً .

وكثر من التصانيف وما ارتابت فيها العقول ، وقال فسمع الناس ما يقول .

كتب الإنشاء بمصر زماناً ، ونظم قلائده على جيد الزمان عقيانا . إلا أنه أضّر بأخرة ، فعَدِمَ الناسُ طروسَه الموشَّاءَ ، ورقاعَه التي هي بالأزاهر مُفَشَّاهَ ، ولكن فوائده نظمه ونثره تسيرُ مِلءَ الحَقائبِ ، وصَوَّبَ قريحته إذا انجلت « سحائب منه أعقبت بسحائب » .

ولم يزل على حاله إلى أن شافَةَ شافعاً حَيُّنَه ، وحلَّ على وُجوده من العدم دَيْنَه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة ثلاثين وسبع مئة في سابع عشري شعبان ، ودُفِنَ بالقرافة .

ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة .

(١) في المنهل ، والنجوم : سبط محي الدين بن عبد الطاهر .

(٢) في المنهل : « وروى عن ... » . سهو .

(٣) هو إبراهيم بن يونس ، سلفت ترجمته .

(٤) في (س) : « .. النجوم إليه بطرف ... » .

كان قد أصابه سَهْمٌ في نَوْبَةِ حصص الكبرى سنة ثمانين وست مئة في صُدْغِه ، فعمي بعد ذلك ، ولازم منه بيته .

وكان ^(١) جَمَاعَةً للكتب ؛ أخبرني من لفظه شهاب الدين البوتيجي الكتي بالقاهرة ، قال : خَلَّف ثَمَانِي ^(٢) عشرة خزانة كتباً نفائس أدبية ، وكانت زوجته تعرف ثَمَنَ كُلِّ كتاب ، وبقيت تبيع منها إلى أن خرجت من القاهرة سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

وأخبرني البوتيجي أيضاً ، قال : كان إذا لمس الكتابَ وَجَسَهُ ، قال : هذا الكتاب الفلاني ، وهو لي مَلَكْتُهُ في الوقت الفلاني ، وإذا أراد أيَّ مَجْلَدٍ كان ، قام إلى خزانته وتناولوه منها كأنه الآن وضعه بيده .

اجتمعت به أنا في القاهرة ^(٣) سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، واستنشدني شيئاً من نظمي ، فأنشدته لنفسي :

إِنْ وَرَدِي مِنَ الْحِمَامِ قَرِيبٌ فلهذا أَمَسْتُ دُمُوعِي مَقَاضَهُ
وَلَكَمْ جَهْدَ مَا يَكُونُ بَعِيداً ومشيني رشاشُ تلك المَخَاضِ
فأنشدني من لفظه لنفسه :

قَالَ لِي مَنْ رَأَى صَبَاحَ مَشِيبي عن شمالٍ من لِمَتي ويمين
أَيُّ شَيْءٍ هَذَا ؟ فَقُلْتُ مُجِيباً لَيْلُ شَكٍّ مَحَاهُ صُبْحُ يَقِينِ ^(٤)
وأنشدني هو من لفظه لنفسه :

(١) في الأصل : « وكان له » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في الأصل : « ثمانية » . خطأ .

(٣) في (س) : « في داره بالقاهرة » .

(٤) في الأصل : « جيبني » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والمنهل ، والتذكرة ، والنجوم .

تَعَجَّبْتُ مِنْ أَمْرِ الْقَرَّافَةِ إِذْ غَدَتُ عَلَى وَحْشَةِ الْمَوْتِ بِهَا قَلْبُنَا يَصْبُو^(١)
فَأَلْفَيْتُهَا مَأْوَى الْأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ وَمُسْتَوْتُنْ الْأَصْحَابِ يَصْبُولُهُ الْقَلْبُ
فَأَنشَدْتُهُ أَنَا لِنَفْسِي :

أَلَا إِنَّ الْقَرَّافَةَ إِنْ غَدَوْنَا تَمِيلُ لَهَا الْقُلُوبُ وَلَا عَجِيْبَا
فَإِنَّمَا مُصَابٌ قَطُّ إِلَّا تَضُمُّ لَهُ قَرِيْبًا أَوْ حَبِيْبَا
وَأَنشَدَنِي هُوَ أَيْضًا لِنَفْسِهِ :

وَبِي قَامَةً كَالْغَصَنِ حِينَ تَمَايَلَتْ وَكَالْزُرْمَحِ فِي طَعْنٍ يَقِيدُ وَفِي قَدٍّ^(٢)
جَرَى مِنْ دَمِي بَحْرٌ بِسَهْمٍ فِرَاقِهِ فَخَضَبَ مِنْهُ مَا عَلَى الْخَضْرِ مِنْ بَنْدٍ
وَأَنشَدْتُهُ أَنَا لِنَفْسِي :

قَدْ شَدَّ حَبِي بَنْدَا فِي حُمْرَةٍ مِثْلَ خَدِّهِ
كَخَاتَمٍ مِنْ عَقِيْقٍ قَدْ زَانَ خُنْصَرَ قَدِّهِ

فَقَالَ : لَوَاتَفَقَ لَكَ خُنْصَرُ خَضْرِهِ لَكَانَ أَحْسَنَ ، فَقُلْتُ :

فِي حُمْرَةِ الْبَنْدِ مَعْنَى مِمَّنْ سَبَّحَانِي بِهَجْرِهِ
كَخَاتَمٍ مِنْ عَقِيْقٍ قَدْ زَانَ خُنْصَرُ خَضْرِهِ

وَكُتِبَتْ لَهُ أَسْتَدْعَى إِجَازَتَهُ ، وَنَسَخَهُ ذَلِكَ :

« الْمَسْئُولُ مِنْ إِحْسَانِ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْمَفِيدِ الْقُدْوَةِ جَامِعِ شَمْلِ الْأَدَبِ ، قِبْلَةَ
أَهْلِ السَّعْيِ فِي تَحْصِيلِهِ وَالْأَدَبِ :

(١) فِي (س) : « لَهَا قَلْبُنَا » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَحِينَ قَامَتْ » ، وَلَا وَجْهَ لَهَا ، وَفِي (س) : « وَذِي » ، وَأَبْتَنَّا مَا فِي الْوَاقِفِ ، وَالْفَوَاتِ .

أخي المعجزات اللائي أحرزَن طرُسَه كُفِّي بِهِ لِلنَّيِّرَاتِ ظُهُورٌ^(١)
وما ثمَّ إلا الشَّمْسُ والبَذَرُ في السَّما وهذا شُمُوسٌ كُلُّهُ وَبُذُورٌ

البلغُ الذي أثارَ أوابدَ الكَلِمِ مِنْ مَظَانِّ البلاغِ ، وأبرزَ عقائلَ المعاني تتهادى في
تيجانِ ألفاظه ، فجمع بين صناعةِ السَّحرِ والصِّياغِ ، وأبدع في طريقتِه المُثلي فجَلَّتْ
عن المُثَلِّ ، وأُنبت^(٢) في رياضِ الأدبِ غُرُوسَ فَضْلٍ لا تُقاسُ بدوحاتِ البان
ولا الأثل ، وأظهر نظامَه عَقوداً حَلَّتْ من الزمانِ كل ماعَطَلُ ، وقال لسانُ الحال
مِمَّنْ^(٣) يتعاطاه : « مُكْرَهُ أَخَاكَ لا يَبْطُلُ »^(٤) ، وجلا عند نِثارِه كلماتٍ مقصوراتٍ في
خيامه ، وذَرَّ على كافورِ قرطاسه [من أنفاسه]^(٥) مسك ختامه ، ناصر الدين شافع بن
علي ،

لا زالَ في هذا السَّورَى فَضْلُه يسيرُ سَيْرَ القمرِ الطَّالِعِ
حتَّى يقولَ النَّاسُ إِذْ أَجْمَعُوا ما مالَكَ الإِنْشا سَوى شافعِ

إِجازةٌ كاتِبِ هذه الأحرفِ ما يجوزُ له روايته^(٦) من كُتُبِ الحديثِ وأُصنَافِها^(٧) ،
ومُصَنَّفاتِ العلومِ على اختلافِها ، إلى غيرِ ذلك ، كيفما تَأَدَّى إليه من مشايخه الذين أخذ
عنهم من قراءة أو سماع أو إجازة أو مُناوَلَة أو وصيَّة . وإِجازةُ مالِه - فسح اللهُ في
مدته - من تَأليفٍ ووَضْعٍ ، وتصنيفٍ وجَمْعٍ ، ونظمٍ ونثرٍ . والنَّصُّ على ذِكْرِ مُصَنَّفاته
وتَعْيِينِها في هذه الإِجازة إِجازةٌ عامَّة على أحدِ القولين في مثل ذلك . والله يَمْتَع
بفوائده ، وينظُمُ على جيدِ الزَّمنِ عنه بيدِ غيره من إنشائه .

(١) في (س) : « أبرزَن طرسه » ، وفي الوافي : « أبدت طروسه » .

(٢) في الأصل : « وأثبتت » وهي بعيدة ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) في الوافي : « فيما » .

(٤) مثل مشهور . انظر قصته في الوسيط في الأمثال : ١٥٦ .

(٥) زيادة من الوافي .

(٦) في (س) : « روايتها » .

(٧) في الأصل : « أضافها » من غير واو ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

« أما بعد ، فالحمد لله الذي أمتع من الفضلاء بِكُلِّ مُجِيزٍ وَمُسْتَجِيزٍ ، وأشهد من معاصري ذوي الدَّراية والرَّواية مَنْ جمع بين « البسيط » من عُلُوِّ الإسناد و « الوجيز » .
نحمده على نِعَمِهِ التي يجب له عليها الإحَاد ، ونشكره على تَهَيُّة فضلها الْمُخَوَّل شرف
الإسعاف والإسعاد ، ونُصَلِّي على سيدنا محمد الْمُعَظَّمَة ^(١) رِوَاةً حَدِيثَهُ ، وَحَقَّ لَهُمُ
التَّعْظِيمُ ، الْعَالِيَةِ قَدْرًا وَسَدًا ، مَنْ شَأْنُهُ التَّبْجِيلُ وَالتَّفْخِيمُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وصحبه وما أحقهم بالصلاة والتسليم .

وبعد ،

فإني وقفتُ على ما التَّمَسَّهُ الإمامُ الفاضل ، الصَّدْرُ الكامل ، المحدثُ الصادق ،
العليُّ ^(٢) الإسناد ، الراقي درجات علم ^(٣) الحديث النبوي بعلو روايته السائرة على رؤوس
الأشهاد ، وهو غَرَسُ الدين خليل بن أبيك :

وحسبي به غَرْسًا تَسَامَى أَصَالَةً إِلَى أَنْ سَمَا نَحْوَ السَّمَاءِ علاؤُهَا
حوى من بديع النِّظْمِ والنَّثْرِ مَارِقٍ إِلَى دَرَجَاتٍ لَا يُرَامُ انْتِهَاؤُهَا

استجاز - أعزَّه الله - فأتى ببديع النِّظْمِ والنَّثْرِ في استجازته ، وقال فأبدع في إبدائه
وإعادته ، وتَنَوَّعَ في مقالها فأسمع مَاشَنَفَ الأَسْمَاعِ ، وَأَبَانَ عما انعقد على إبداعه
الإجماع ، وقال فما استقال ، ورتل آيَ مُحْكَمٍ كِتَابِهِ فَتَمَيَّزَ وَحَقُّ لَهُ التَّمَيَّزُ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وقد أجبته إلى ما به رَسَمَ جُمْلَةً وتفصيلاً ، وأصلاً وفرعاً ، وأبديت به وجهاً من
وجوه الإجابة جميلاً ، ما يجوز لي روايته من كُتُبِ الحديث وأصنافها ، ومصنَّفات
العلوم حسب إجازة أَلْفَها ، حسباً أُجِزْتُ بِهِ مِنَ الْمَشَايخِ الَّذِينَ أَخَذْتُ عَنْهُمْ ، وَسَأَلْتُ

(١) في الأصل (و س) : « المعظم » وأثبتنا ما في الوافي ، وهي أشبه .

(٢) في الوافي : « العلي » .

(٣) في (و س) ، والوافي : « الراقي إلى درجات علماء الحديث .. » .

الإجازة منهم ، بقراءة أو سماع أو مناولة أو وصيّة ، ومالي من تأليف ووضع ، ونظم ونثر وجمع ، كشعري المتضمنة الديوان المُنبت فيه ، ومناظرة الفتح بن خاقان المسمى (شنف الآذان في مُماثلة تراجم قلائد العقيان) ، و (سيرة مولانا السلطان الملك الناصر) المتضمنة أجزاء متعددة ، و (سيرة والده السلطان الشهيد الملك المنصور) المتضمنة جزء واحد^(١) التي حَسَنَتْهَا على ألسنة الرعايا متعددة^(٢) ، و (سيرة ولده الملك الأشرف) ، و (نظم الجواهر في سيرة مولانا السلطان الملك الناصر) ، أيضاً نظماً ، و (ما يشرح الصدور من أخبار عكا وصور) ، و (الإعراب عما اشتمل عليه البناء الملكي الناصري بسرياقوس من الإغراب) ، و (إفاضة أبهى الحلل على جامع قلعة الجبل) ، و (قلائد الفرائد وفرائد القلائد فيما لشعراء العصريين من الأمجاد)^(٣) ، و (مناظرة ابن زيدون في رسالته) ، و (قراضات الذهب المصريّة في تقریظات الحماسة البصريّة) ، و (المقامات الناصرية) ، و (مماثلة رسائل^(٤) ما حُلَّ من الشعر ، وتضمين الآي الشريفة والأحاديث النبويّة في المثل السائر) ، و (المساعي المرضيّة في الغزوة المحصيّة) ، و (مآظهم من الدلائل في الحوادث والزلازل) ، و (المناقب السريّة المُنتزعة من السيرة الظاهريّة) ، و (الدر المنظم^(٥) في مفاخرة السيف والقلم) ، و (الأحكام العادلة فيما جرى بين المنظوم والمنثور من المفاضلة) ، و (الرأي الصائب في إثبات ما لا بدّ منه للكاتب) ، و (الإشعار بما للمتنبي من الأشعار) ، و (تجربة^(٦) الخاطر المخاطر في مماثلة فصوص الفصول وعقود العقول) مما كتب به القاضي الفاضل في معنى السعيد بن سناء الملك ، و (عدّة الكاتب وعمدة المخاطب) ،

(١) في الوافي : « المتضمنة جزءاً » .

(٢) في الوافي : « مترددة » .

(٣) في الوافي : « فيما لشعراء العصريين الأمجاد » .

(٤) في الوافي : « سائر » .

(٥) في (س) : « المنتظم » .

(٦) في الوافي : « تجربة » .

و (شوارد المصائد فيما لحل الشعر من الفوائد) ، و (مخالفة المرسوم في الوشي المرقوم) ، ومالي غير ذلك من حلّ نظمٍ ونظمٍ حلّ ، ورسائل فيما قلّ أو جلّ . وما يتفق لي بعد ذلك من نظم ونثر وتأليف وجمع حسبما التمه مني بمقتضى إجازته ، وإيدائه وإعادته . وكتب في يوم الأحد خامس عشر صفر سنة تسع وعشرين وسبع مئة . »

وكتب بخط يده بعد ذلك : « أجزت له جميع ذلك بشرطه » ، وكتب : شافع بن علي بن عباس .

وأنشدنا إجازة له :

أرى الخالَ مِنْ وَجْهِ الحبيبِ بأنْفِهِ ومَوْضِعُهُ الأَوَّلَى بِهِ صَفْحَةُ الخَدِّ
ومَا ذاكَ إِلَّا أَنَّهُ مِنْ تَوْقُودِ تسامى يرومُ البُعْدَ مِنْ شِدَّةِ الوَقْدِ

وأنشدني له إجازة ، وقد احترقت الكتب أيام الأشرف :

لا تحسبوا كُتُبَ الخزانةِ عن سُدى هذا الذي قد تمَّ من إحراقها
لَمَّا تَشَتَّتْ شَمْلُهَا وتَفَرَّقَتْ أَسِفَتْ فتلِكَ النارُ مِنْ زفرتها^(١)
وأنشدني إجازة له :

شكا لي صديقٌ حُبَّ سوداءٍ أغريت بَصَّ لسانٍ لا تَمَلُّ له ورْدًا^(٢)
فقلت له : دَعُهَا تُلَازِمَ مَصِّهِ فمَاءُ لسانِ الثَّورِ يَنْفَعُ للسَّودا
وأنشدني له إجازة :

قلْ لِمَنْ أَطْرَى أَبَا دَلْفٍ بِمَـدِيدٍ حَزَاةٍ فِي غُرِّهِ

(١) في (س) والوافي : « فتلِكَ النار نار فراقها » .

(٢) في الأصل : « لي حبيب » وأثبتنا مافي (س) والوافي ، وهي أشبه .

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَبِي ذَلْفٍ خَيْرُهُ يُرِي عَلَى خَيْرِهِ
ثُمَّ وَلَّى بِالْمَمَاتِ وَمَا وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
وَأُنشِدُنِي لَهُ إِجَازَةً فِي انْكَفَافِ بَصَرِهِ :

أَضْحَى وَجُودِي بِرَغْمِي فِي الْوَرَى عَدَمًا إِذْ لَيْسَ لِي فِيهِمْ وَرْدٌ وَلَا صَدْرٌ^(١)
عَدِمْتُ عَيْنِي وَمَا لِي فِيهِمْ أَثَرٌ فَهَلْ جُودٌ وَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ؟
وَأُنشِدُنِي لَهُ إِجَازَةً :

لَقَدْ فَازَ بِالْأَمْوَالِ قَوْمٌ تَحَكَّمُوا وَدَانَ لَهُمْ مَأْمُورُهَا وَأَمِيرُهَا
تُقَاسِمُهُمْ أَكْيَاسُهَا شَرَّ قِسْمَةٍ فَفِينَا غَوَاشِيهَا وَفِيهِمْ صَدُورُهَا^(٢)
وَأُنشِدُنِي لَهُ إِجَازَةً فِي سَجَادَةِ خَضَاءٍ :

عَجَبُوا إِذَا رَأَوْا بِدِيْعَ اخْضِرَارٍ ضَمِنَ سَجَّادَةً بِظِلِّ مَدِيدٍ
ثُمَّ قَالُوا: مِنْ أَيِّ مَاءٍ تَرَوَى؟ قُلْتُ: مَاءُ الْوَجْهِ عِنْدَ السُّجُودِ
وَأُنشِدُنِي لَهُ إِجَازَةً فِي مُمَسَّحَةِ الْقَلَمِ :

وَمُمَسَّحَةٍ تَنَاهَى الْحُسْنَ فِيهَا فَأَضَحَتْ فِي الْمَلَاخَةِ لَا تُبَارَى
وَلَا نَكَرَ عَلَى الْقَلَمِ الْمُـوَافِي إِذَا فِي ضَمْنِهَا خَلَعَ الْعِذَارَا
وَأُنشِدُنِي لَهُ إِجَازَةً فِي شَبَابَةٍ :

سَلَبْتُنَا شَبَابَةً يَهْوَاهَا كُلُّ مَا يُنْسَبُ اللَّيْبُ إِلَيْهِ
كَيْفَ لَا وَالْمُحْسِنُ الْقَوْلَ فِيهَا أَخِذْ أَمْرَهَا بِكَلْتَا يَدَيْهِ^(٣)

(١) في النجوم : « إذ ليس » ، وكذلك في المنهل .

(٢) في الأصل : « أكياسهم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، وهي أقرب .

(٣) في الوافي : « والمعرب » . والبیتان في النجوم ، والمنهل .

وأنشدني له إجازة :

ومن عَجَبٍ أَنَّ السُّيُوفَ لَدَيْهِمْ تَكَلَّمُ مَنْ تَأْتُمُهُ وَهِيَ صَامِتُهُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّهُمَا فِي أَكْفِهِمْ تُحِيدُ عَنِ الْكَفِّ الْمُدَى وَهِيَ ثَابِتُهُ^(١)

وكتب إليه السراج الوراق ، ومن خطه نقلت :

أَيَا نَاصِرَ الدِّينِ أَتُنْصِرُ لِي فَطَالَمَا ظَفِرْتُ بِنَصْرِ مَنْكَ بِالْجَاهِ وَالْمَالِ
وَكُنْ شَافِعًا فَاللَّهُ سَمَّاكَ شَافِعًا وَطَابَقْتُ أَسْمَاءَ بِأَحْسَنِ أَفْعَالِ
وَقَدْرُكَ لَمْ نَجْهَلْهُ عِنْدَ مُحَمَّدٍ لِأَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ مِنَ الصَّحْبِ وَالْأَلِ

قلت : يريد بِمُحَمَّدٍ هُنَا الْقَاضِي فَتَحَ الدِّينَ بِنَ عَبْدِ الظَّاهِرِ .

وكتب إليه أيضاً ، ومن خطه نقلت :

سَيِّدِي الْيَوْمَ أَنْتَ ضَيْفٌ كَرِيمٌ فِاقَ مَعْنَى فِي جُودِهِ بِعَمَانِ
لَوْ رَأَى الْفَتْحُ سُودَّةَ الْفَتْحِ هَذَا مَا أَنْتَ بِغَدِهِ إِلَى خَاقَانِ
أَوْ رَأَهُ فَتَحَ الْمَغَارِبِ صَلَّى بَعْلَاهُ (قَلَائِدُ الْعُقَيَّانِ)
وَكَأَنِّي أَرَاكُمْ فِي مُجَارَا عِ الْمَعَانِي بِحَرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ
وَتَطَارَحْتُمَا مُذَاكِرَةً تَفْتَنُ مِنْ مِنْهَا أَزَاهِرُ الْأَفْنَانِ
فَلَمَّاذَا مَرَّ لِلصَّنَائِعِ ذِكْرٌ « فَاجْعَلَانِي فِي بَعْضٍ مِنْ تَذْكُرَانِ »^(٢)

ومن نثر الشيخ ناصر الدين شافع - رحمه الله تعالى - في شمعته ، قوله :

« شمعته ما استتمَّ ثَبَّتُهَا بِرَوْضَةِ الْأَنْسِ حَتَّى نُورٌ ، وَلَا نَمَا بِدَوْحَةِ الْمَفَاكِهِ حَتَّى

(١) في الأصل : « لا بئته » ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) ضَمَّنَ شَطْرَ بَيْتِ لَأَبِي الْعَلَاءِ الْمُرِّي .

أثر^(١) . أوْماً بنانٌ تَبَلَّجُها إلى طُرُقِ الهداية وأشار ، ودَلَّ على نَهْجِ التَّبَصُّرِ وكيف لا وهي علمٌ في رأسه نار^(٢) . كَأَنَّمَا هي قلم امتدَّ بِما^(٣) أُلِيقَ من ذَهَبٍ ، أو صَعْدَةٌ^(٤) إلا أن سَنَانِها مِن لَهَبٍ ، وَحَسَبُها كَرَمًا أن جادت بنفسها ، وأعلنت بِإِمتاعِها على هُمودِ حَسَبِها ، سائِلُها في الجود بِأَمثالِها مَسْؤُولٌ ، وَدَمَةٌ بِالْعَفْوِ لِلصَّفْوِ^(٥) من ساحتِها مطلول . تَحْيَتُها : عَمُوا صباحاً بِتَأَلَّقِ فجرِها ، وَتَمَامُ بذْرِها في أوائلِ شهرِها . قد جمعت من ماء دمعِها ونار توقدُها بين تَقْيِضين ، وَمِنْ حُسْنِ تأثيرِها وعين تبصرِها بين الأثر والعين . كم شَهِد منها في مُدْهَمِ الليل للشمس وضحاها^(٦) ، ومن تمام نورِها للنجم إذا تلاها ، وكم طوى باعَ أُنْمَلَتْها المُضِيئة رداء الليل إذا يغشاها . قد غَيَّرَتْ بيباض ساطع نورِها على الليل من أثواب الحداد ، وتَنَزَّلَتْ منه منزلة النور الباصر ولا شبهة أن النور في السواد . إن تمايل لسان نورِها فالإضاءة ذات اليمين وذات الشمال^(٧) ، وإن استقام على طريقة الإنارة فَلَمَّا يلزم إنارتُها من الإكمال . نارُها إنما هو من تلاعب الهوى بجشاشها ، ونحوها بِمكابدة تعذيبِها بما من الاصفرار يغشاها . كم عَقَدَتْ على سفك دمِها مع البراءة من العقوق من محافل ، وكم قُتِلَتْ على إطفاء نائِرها ، ولا ثائرة مِن قاتل ، فهي السلية التي كم بات من زبان صرفِها بلبلة السليم^(٨) ، وكم أَجْدَى نَفْسُها على نفسها بنفح روح ربِّها^(٩) من عذاب أليم .

(١) في الوافي : « أزهَر » .

(٢) فيه إشارة إلى بيت الحنساء في رثاء أخيها صخر :

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُ الهداةُ بِهِ كَأَنَّهُ علم في رأسه نار

(٣) في الوافي : « بما » .

(٤) الصعدة : القناة المستوية .

(٥) في الوافي : « للمصفح » .

(٦) استقى سجعاته من سورة الغاشية .

(٧) من سورة الكهف .

(٨) في الوافي : « باتت .. بلبلة » ولم يتجه مراده .

(٩) في الوافي : « بنفح روحها » .

وأنشدني لنفسه إجازة :

وَلَمَّا أَتَانَا ابْنَ تَيْيَةٍ وَحَقَّقَ بِالْخُبْرِ مِنْهُ الْخَبْرُ
أَذْبَنَّا عَقِيدَةَ تَجْسِيهِ بِرَيْقٍ بَرِيقٍ سَيُوفِ النَّظَرُ
وأنشدني أيضاً :

قالوا : ألا تنظر ما قد جرى من حنبلي زاد في لغـوه
فقلت : هذا خشكنان ، أنا والله ما أدخل في حشوه

الألقاب والأنساب

☆ ابن الشَّحَام : نجم الدين عبد الرحيم بن عبد الرحمن .

☆ ابن شَرَّاقِي : علم الدين عبيد الله .

٧٦٨ - شَرَفُ بْنُ أَسَدِ الْمِصْرِيِّ*

شيخٌ ماجنٌ ، ماجنٌ كما جَنَّ ، ولا غَسَلَ ما حَمَلَ في رِدْنِهِ من السُّخْفِ ماءً النِّيلِ
ولا الأَرْدَنْ ، خَلِيعٌ أَرَبَى على الجَدِيدِ والخَلِيعِ ، وَأَنسى النَّاسَ ذِكْرَ صَرِيعِ الدَّلَاءِ^(١) بِمَا لَهُ
من الصَّنِيعِ ، ومَتَهَتَكَ لَيْسَ بَعَارٍ من العَارِ ، ولا بِبِمالٍ أَيْ تَوَيْتَهُ لَيْسَ أَتَقِيَّ مِنَ التَّقْوَى
أو إِزارٍ من الأَوْزارِ ؟ ، ظَرِيفٌ يَصْحَبُ الكُتَّابَ ، وَيَعاشِرُ الشُّعْرَاءَ وأَهْلَ الآدَابِ ،
ويَشَبُّبُ في المَجالِسِ على القِيانِ^(٢) ، وَيَسبِّبُ الفِتْيَانِ للفتياتِ ، لو رآه ابنُ حَجَّاجٍ^(٣)
ما حَجَّجَهُ ، أو ابنُ المِبارِيَةِ^(٤) لكان هَبَاءً في تلكِ المَحْجَةِ . وكان يمدحُ الأكْبَرَ والأصَاغَرَ ،

* الوافي : ١٣٤/١٦ ، وفوات الوفيات : ١٠٠/٢ ، والدرر : ١٨٨/٢ ، والمنهل الصافي : ٢٢٢/٥ .

(١) هو محمد بن عبد الواحد القصار شاعر (٤١٢ هـ) ، الأعلام : ٢٥٤/٦ .

(٢) في الوافي والمنهل : « القيان » .

(٣) حسين بن أحمد شاعر غلب عليه الهزل (ت ٣٩١ هـ) الأعلام : ٢٣١/٢ .

(٤) محمد بن محمد شاعر هجاء (ت ٥٠٩ هـ) . الأعلام : ٢٣/٧ .

ولا يزال ذا كَيْسٍ فارغ وفَرٍ فاغر . وله عِدَّةٌ مُصَنَّفَاتٍ مملوءةٍ بِالْحَرَافَاتِ وَالتَّرَهَاتِ ، من مشاشاة الخليج^(١) وزوائد المصريين التي كالروض البهيج ، وهي موجودة بالديار المصرية بين عَوَامِّهم وخواصِّهم ، وفي رفوف ذخائرهم ومناصِّهم .

ولم يزل على حاله إلى أن مَجَّهَ الْمُجُونُ وَابْتَلَعَتْهُ الْحَفَرَةُ ، وَلَقِيَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَفْوَهَ وَغُفْرَهَ .

وتوفي رحمه الله تعالى بعد مَرَضٍ مُزْمَنٍ في سنة ثمان وثلاثين أو سبع وثلاثين وسبع مئة ، وكان في عشر السبعين .

ورأيتُه غَيْرَ مَرَّةٍ ، وأنشدني شيئاً كثيراً من أشعاره ومن بلاليقه وأزجاله وموشحاته .

ووضع كتاباً في مادة كتاب ابن مولايم في الصنائع ، إلا أن الذي لابن مولايم في خمسين صنعة^(٢) ، والذي لابن أسد في ألف ومئتي صنعة^(٣) ، ومنها مئتا صنعة^(٤) تختصُّ بالنساء ، وهذا عملٌ كثير واستقراءٌ عتيده .

وكان عاميَّ العلم ، فاضليَّ الطباع ، يقع في شعره الجناسُ والتورية والاستخدام وسائر أنواع البديع ، وإن لم يكن ذلك في بعض المواضع قاعداً من حيث العلم .

وأنشدني من لفظه لنفسه قطعةً مِنْ تَغَزُّلٍ شَدَّتْ عَنِّي ، ولم أحفظُ منها إلا قوله :

الطَّبِي يَسْلُحُ فِي أَرْجَاءِ لِحْيَتَيْهِ وَالْغُصْنُ يَصْفَعُهُ إِنْ مَاسَ بِالْقَدَمِ

وأنشدني مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ بِالقاهرة في سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة بُلَيْقَةً ،

وهي^(١) :

(١) موضع في القاهرة ، والمشاشاة : الطَّرَف .

(٢) في (س) : « صناعة » .

(٣) ليست في (س) .

(٤) الأبيات في الوافي والغوات ، والمنهل الصافي .

رَمَضَانُ كُلُّكَ فُتُوهُ
وَأَنَا فِي ذَا الْوَقْتِ مُعْسِرُ
حَتَّى تُرَوِّى الْأَرْضَ بِالنَّيْلِ
وَاعْطِكَ الدَّرْهَمَ ثَلَاثَةَ
وَإِنْ طَلَبْتَنِي فِي ذَا الْوَقْتِ
فَامْتَهِلْ وَارْبِحْ ثَوَابِي
وَتَخْلِينِي أَسْقَفُ
لَكَ ثَلَاثِينَ يَوْمٍ عِنْدِي
وَنَ عَسَفْتَنِي ذَا الْأَيَّامِ
وَانْكِرْ وَاحْلِفْ وَقُلْ لَكَ
وَاهْرَبْ اقْعُدْ فِي قَمَامِهِ
وَاجِي فِي عِيدِ شَوَّالٍ
وَلَا خُذْ مِنِّي تَقْيِيدَهُ
صَوْمِي مِنْ بُكَرِهِ إِلَى الظَّهْرِ
وَاصُومْ لَكَ شَهْرَ طُوبَى
إِيش أَنَا فِي رَحْمَةِ اللَّهِ
وَصَحِيحُ دَيْنِكَ عَلَيَّهِ
وَاشْتَهِي الْإِرْفَاقَ بِيَّهِ^(١)
وَيِبَاعُ الْقُرْطِ بِذُرِّي
وَأَصُومُ شَهْرَيْنِ وَمَا أَذْرِي
فَأَنَا أَثْبَتُ عُسْرِي
لَا تُرَبِّخْنِي خَطِيئَتَهُ
طُؤُلُ نَهَارِي لَا عَشِيَّتَهُ
اصْبِرْ اعْطِي الْمَثْلَ مِثْلِينَ^(٢)
مَا اعْتَرَفُ لَكَ قَطُّ بِالذِّينِ^(٣)
أَنْتَ مِنْ آيْنٍ وَأَنَا مِنْ آيْنٍ^(٤)
أَوْ قِلَالِي بُولَشِيَّهِ^(٥)
وَاسْتَرِيحْ مِنْ ذِي الْقَضِيَّةِ
فِي الْمُعْجَلِ نِصْفَ رَحْلِكَ^(٦)
وَأَقَاسِي الْمَوْتَ لِأَجْلِكَ^(٧)
وَيَكُونُ مِنْ بَعْضِ فَضْلِكَ
مِنْ أَنَا بَيْنَ الْبَرِّيَّهِ

(١) في المنهل : « الإرفاق شوية » .

(٢) في (س) : « أعطيك » .

(٣) في المنهل : « بدين » .

(٤) في المنهل : « وأمول لك » .

(٥) القمامة : كنيسة القيامة في بيت المقدس . والقلالي : الصوامع المتصلة بالدير . والبولشييه : نسبة إلى

بولش أو بولس . وفي المنهل : « بوبشية » .

(٦) في المنهل : « وإلا » .

(٧) في (س) : « من أجلك » .

أنا إلا عبد مقهور تحت أحكام المشيِّه
 من زبونٍ نحس مثلي رمضان خذ ماتيسر
 أنت جيت في وقت لو كان الجنيد في مثلوا أفطر
 هوّن الأمور ومشي بعلي ولا تعسر
 وخذ ايش ماسهل الله ما الزبونات بالسويّه
 المليّ خذ منو عاجل وامهل المعسر شوّيّه
 ذي حرور تذبّ القلب ونهار أطول من العام
 وانا عندي أيّ من صام رمضان في هذي الأيام^(١)
 ذا يكون الله في عؤنو ويكفر عنو الآثام^(٢)
 وجميع كلامي هذا بطريق المضحكيّة^(٣)
 والله يعلم ما بقلبي والذي لي في الطويّه^(٤)

ووضع فيما وضع حكاية حكاها لي^(٥) ، وهي :

اجتاز بعض النحاة ببعض الأساكفة فقال له : أئيتَ اللّعنَ ، واللعنُ يأباك ،
 ورحمَ الله أمّك وأباك ، وهذه تحيةُ العرب في الجاهليّة قبل الإسلام ، لكنّ عليك
 أفضلُ السلام ، والسّلم والسلام^(٦) ، ومثلك من يُعز [ويحترم]^(٧) ويُكرّم ويُحتشم .

(١) في (س) والوافي والمنهل : « ذي الأيام » .

(٢) في (س) والوافي والفوات والمنهل : « ذاك » .

(٣) في (س) والوافي والفوات : « المضحكية » . وفي المنهل : « المسخرية » .

(٤) في المنهل : « ما في قلبي » .

(٥) عبارة الوافي : « حكاها لي بالقاهرة المحروسة ونحن على الخليج بشق النعمان في سابع الحرم سنة ثمان وعشرين وسبع مئة » . ومثل هذا في المنهل .

(٦) في الوافي والمنهل : « والسلم » .

(٧) زيادة من (س) ، والوافي .

قرأتُ القرآن ، و (التيسير) و (العنوان) و (المقامات الحريريّه) ، و (الدرّة الألفيّة) ، و (كشاف) الزمخشري ، و (تاريخ الطبري) ، و شرحتُ اللغة مع العربية على سيبويه ونفطويه ، والحسين بن خالويه ، والقاسم بن كميل ، والنضر بن شميل ، وقد دَعَتْنِي الضرورة إليك ، وثَمَلْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ ، لَعَلَّكَ تَحْفِنِي مِنْ بَعْضِ صَنَعَتِكَ ، وَحَسُنَ حِكْمَتُكَ ^(١) بَنَعْلٍ يَقِينِي الْحَرَّ ، وَيُدْفَعُ عَنِي الشَّرَّ ، وَأُغْرِبُ لَكَ عَنْ اسْمِهِ حَقِيقًا ، لَا تَحْذَكَ بِذَلِكَ رَفِيقًا ، فَفِيهِ لُغَاتٌ مُؤْتَلَفَةٌ ، عَلَى لِسَانِ الْجُمْهُورِ مُخْتَلَفَةٌ ^(٢) ؛ فَفِي النَّاسِ مَنْ كَنَاهُ بِالْمَدَاسِ ، وَفِي عَامَّةِ الْأُمَمِ مَنْ لَقَّبَهُ بِالْقَدَمِ ، وَأَهْلُ شَهْرِنُوزِهِ سَمَّوْهُ بِالسَّارْمُوزَةِ ، وَإِنِّي أَخَاطِبُكَ بِلُغَاتِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ ، وَلَا إِثْمَ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ وَلَا لَوْمْ . وَالثَّالِثَةُ بِكَ ^(٣) أَوْلَى ، وَأَسْأَلُكَ أَيُّهَا الْمُؤَلَّى أَنْ تَحْفِنِي بِسَارْمُوزَةٍ ، أَنْعَمَ مِنَ الْمُؤَزَةِ ، أَقْوَى مِنَ الصَّوَانِ ، وَأَطْوَلَ عَمْرًا مِنَ الزَّمَانِ ، خَالِيَةِ الْبَوَاشِي ، مُطَبَّقَةِ الْحَوَاشِي ، لَا يَتَغَيَّرُ عَلَيَّ وَشْيُهَا ، وَلَا يَرُوعُنِي مَشْيُهَا ، لَا تَنْقَلِبُ إِنْ وَطِئْتُ بِهَا جُرُوفًا ، وَلَا تَنْفَلِتُ إِنْ طَحْتُ بِهَا مَكَانًا مَحْسُوفًا ^(٤) ، لَا تَلْتَوِقُ مِنْ أَجْلِي ، وَلَا يُولِّمُنِي ثَقْلِي ، وَلَا تَمْتَرِقُ ^(٥) مِنْ رِجْلِي ، وَلَا تَتَعَوَّجُ وَلَا تَتَلَقَّوْجُ ، وَلَا تَتَّبَعِجُ وَلَا تَنْفَلِجُ ، وَلَا تَقْبُ تَحْتَ الرَّجْلِ ، وَلَا تَلْصُقُ بِخِزْرِ الْفِجْلِ . ظَاهِرُهَا كَالزَّعْفَرَانِ ، وَبَاطِنُهَا كَشَقَائِقِ النِّعْمَانِ ، أَخْفَ مِنْ رِيَشِ الطَّيْرِ ، شَدِيدَةُ الْبَاسِ عَلَى السَّيْرِ ، طَوِيلَةُ الْكِعَابِ ، عَالِيَةُ الْأَجْنَابِ ، لَا يَلْحَقُ بِهَا التَّرَابُ ، وَلَا يُغْرِقُهَا مَاءُ السَّحَابِ ، تَصُرُّ صَرِيرَ الْبَابِ ، وَتَلْمَعُ كَالسَّرَابِ ، وَأَدِيمُهَا مِنْ غَيْرِ جَرَابِ ، جِلْدُهَا مِنْ خَالِصِ جُلُودِ الْمَغَزِّ ، مَا لِبَسَهَا ذَلِيلٌ ^(٦) إِلَّا أَفْتَخِرُ بِهَا وَعَزَّ ، مَخْرُوزَةٌ كَخَرَزِ الْخَرْدَفُوشِ ،

(١) في الواقي ، والفوات والمنهل : « من بعض حكمتك وحسن صنعتك » ، وهي أقرب .

(٢) في المنهل : « ففيه لغات مختلفة ... مؤتلفة » .

(٣) في المنهل : « به » .

(٤) في الأصل : « مخوفا » ، وأثبتنا ما في (س) ، والواقي ، والفوات ، والمنهل .

(٥) في المنهل : « ولا تترق » . والامتراق : سرعة المروق ، أي الخروج .

(٦) في المنهل : « ما لبسها أحد إلا » .

وهي أخف من المنفوش ، مُسَمَّرَةٌ بالحديد مُمَنْطَقَةٌ ، ثابتة في الأرض الزَّلِيقَةُ ^(١) ، نعلها من جلد الأفيلة الحخير لا الفطير ^(٢) . وتكون بالنزر الحخير .

فلما أمسك النحوي من كلامه وثب الإسكافي على أقدامه ، وتمشى وتبخر ، وأطرق ساعة وتفكر ، وتشدد وتشمر [وتخرج وتمر] ^(٣) ودخل حانوته وخرج ، وقد داخله الحنق والحرج ، فقال له النحوي : جئت بما طلبته ؟ قال : بل ^(٤) بجواب ماقلته ، فقال : قل وأوجز ، وسجع ورجز . فقال : ^(٥) أخبرك أيها النحوي أن الشرسا بجزوى شطب طاب المتفرقل والمتقعب لما قرب من قرى قرى القرنقنف طرق زرفنات شراسيف قصر القشتنبع من جانب الشرسكل ، والديوك تصهل كنهيق زقازقيق الصولجانات والحرقرز الفرتاح بيض القرنطق والزعر برجوا حلبنبوا يا حيز من الطيز بحيح بمندل بشمردنوخاط الركنبوشاع الخبربر بجفر الترتاح بن بسوشاخ على لؤي بن شمذح بلسان القرواق ، ماز كلوخ أنك أكيت إرس برام المستنطح بالشمرلند مخلوط ، والزريق بحبال الشمس مربوط ، علعل بشعلعل مات الكركندوس ، أدعوك في الولية ياتيس تش ياحمار بهيمة ، أعيدك بالزحواح ، وأبجزك بحصى لبان المستراح ، وأوقيك وأرقيك ، وأزقيك برقوات مركات قرقران البطون ، لتخلص من داء السرسام والجنون .

ونزل من دكانه مستغيثاً بجيرانه ، وقبض لحية النحوي بكفيه ، وخنقه بإصبعيه حتى خر مغشياً عليه ، وبزبر في وجهه وزمجر ، وناء ^(٦) بجانبه واستكبر ، وشخر

(١) في المنهل : « الزلقة » .

(٢) في المنهل : « ... الأفيلة ، لا الحخير الفطير » .

(٣) زيادة من (س) والوافي ، والقوات ، والمنهل .

(٤) في المنهل والوافي : « فقال لابل بجواب ... » .

(٥) في النص الآتي فروق بين الأصول التي أثبتته لاقية لها .

(٦) في المنهل : « ونأى » .

وَنَحَرَ ، وَتَقَدَّمَ وَتَأَخَّرَ ، فقال النحوي : الله أكبر ، الله أكبر ، وَيُحَكِّكَ أَنْتَ تَجَنُّنْتَ ؟! فقال له : بَلْ أَنْتَ تَخَزَفُ ، والسلام .

قلت : في غالب ألفاظ كلامه ^(١) الذي عَزَاهُ إلى النحوي نَظَرٌ وَأَغْلَاطٌ كثيرة ، والمقطع الذي خَتَمَ به الحكاية باردٌ مَمْلُوحٌ فيه ولا ظَرْفٌ ، وكان ينبغي أن يكون حاراً هَزَازاً نادراً حلواً حالياً خالياً ، كما المعهود في مثل هذه الحكايات الموضوعية ، كما لو قال له النحوي : ويلك ما هذا العَفَّانُ ، قال : مِنْ ذَلِكَ الْمَهْدِيَانِ ، أو ما أشبه ذلك .

اللقب والنسب

☆ ابن الشَّريشي : الشيخ كمال الدين أحمد بن محمد ^(٢) .

٧٦٩ - شَطِّي بن عُبَيْة*

الأمير بدر الدين أمير آل عقبة عرب البلقاء وحسبان والكرك إلى تخوم الحجاز .

كان شكلاً حسناً تامَّ الخلق ، مَحْبُوباً إلى القلوب بوجهه الطلق ، يَقَرُّبُهُ السلطان ويُدْنِيهِ ، ويضُمُّهُ إلى كنفه ويؤويه . يطلع إليه كلَّ عام بقوِّده ، ويفوز من إنعامه بجوِّده ، ويَجْلِسُهُ في أعلى ذروة من طوِّده ، ويَحْمَدُهُ في وفادته عَلَيْهِ عَقْبَى عَوْدِهِ .

وهو زعيم قومه ، والمتغالي في سَوْمِهِ ، إذا شَطَّ شَطِّي عن دراهم نزلوا به عن أقدارهم ، فكم عَلَى لبني عَقْبَةَ مِنْ عَقْبَةٍ ، وكم فكَّ بجاهه لرقبائهم مِنْ رَقْبَةٍ .

ولم يزل على حاله إلى أن شَطَّ مِنْ شَطِّي مَزَارَهُ ، وبعد عن الرؤية وإن قَرَبَتْ داره .

(١) في الأصل : « ألفاظه الذي » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في الأصل : « محمود » سهو ، وقد سلفت ترجمته .

* الوافي : ١٥١/١٦ ، والدرر : ١٨٩/٢ ، والسلوك : ٧٥٥/٢/٢ ، وتذكرة النبيه : ١٠٧/٣ .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة عيد الأضحى سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مئة ، لأنه كان قد توجه إلى [قرب]^(١) المدينة الشريفة النبوية ، صلوات الله وسلامه على ساكنيها ، ونزل على بني لام ، ولما كان ليلة العيد شكا وقال : كتفي كتفي ، فأحضر بعض جواريه ناراً وأحمت حديداً وكوّته سيرا ، ثمّ إنها توجهت لتعيد الحديدة إلى النار ، ولما جاءت وجدته قد قضى نَحْبَهُ رحمه الله .

وأعطى مكانه لولديه^(٢) أحمد ونصير .

وهو في هؤلاء العربان المذكورين نظير مهنا بن عيسى في آل فضل ، إلا أن مهنا وأولاده أكبر عند الملوك ، وأوجه عند سلاطين مصر ، لكن كان الملك الناصر محمد يخلع على شطّي الأطلس الأحمر والطرز الزركش أيضا .

☆ الشطنوفي : نور الدين علي بن يوسف .

٧٧٠ - شعبان بن أبي بكر بن عُمَر بن شعبان*

الشيخ الصالح أبو البركات الإربلي الفقير القادري ، صاحب الشيخ الحافظ جمال الدين بن الظاهري^(٣) ، لازمة مدّة ، وطاف معه يَسْمَعُ على الأشياخ بمصر والإسكندرية ودمشق ، وكان عنده أجزاء من عواليه ، وخرّج [له]^(٤) ابن الظاهري (مشيخة) وسمعها منه العلامة تاج الدين الفزاري والكبار .

(١) زيادة من (س) ، (خ) ، وفي الوافي : « قريب » .

(٢) في الأصل : « لولده » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي . وكذلك تذكرة النبيه .

* الوافي : ١٥٢/١٦ ، والبداية والنهاية : ٦٤/١٤ ، والدرر : ١٨٩/٢ ، والشذرات : ٢٦/١ ، وذبول العبر :

٦٢ .

(٣) أحمد بن محمد الظاهري ، سلفت ترجمته .

(٤) زيادة من (س) والوافي .

سمع من عثمان الشارعي^(١) ، وعلي بن شجاع^(٢) ، ومحمد بن أنجب النعّال^(٣) ، وعبد الغني بن بنين^(٤) ، وكان يعرف شيوخه ، ويحكي حكايات حسنة .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، عن سبع وثمانين سنة . وكانت جنازته من الجنائز المذكورة التي يقلّ نظيرها ، حضرها القضاة والعلماء والأمرء والصدور والكتّاب والمشايخ وعامة الناس .

وكان قد خرج من إربل صبيّاً ، ونشأ بجلب ، ودخل القاهرة وأقام بها مدة ، وعادَ إلى دمشق ، وأقام إلى أن مات في التاريخ .

٧٧١ - شعبان *

الأمير شهاب الدين ابن أخي الأمير سيف الدين أَلَمّاس أمير حاجب الناصري ، أو لزمه . لما توفي الأمير شرف الدين أمير حسين بن جندر تزوج هذا شعبان ابنته مُغَلّ بِجَاهٍ^(٥) أَلَمّاس لأنه كان خالها ، ولما غضب السلطان على أَلَمّاس وقتله أخرج هذا شعبان إلى غزّة ، فأقام بها مدة ، ثمّ لما مات السلطان رجع إلى مصر لأنّه كان بينه وبين الأمير سيف الدين يلغا الحيوي قرابةً أيضاً ، وخرج معه إلى حماة وحلب وحضر معه إلى دمشق ، وهو أمير طبلخاناه ، وأقام بها إلى أن جَرى ليلغا ما جرى ، فأُمْسِك هو وأخوه يلغا وجَهَّزُوا إلى مصر ، ثمّ أُفْرِج عنه^(٦) .

(١) هو عثمان بن مكي بن عثمان السعدي . (ت ٦٥٩ هـ) . العبر : ٢٥٤/٥ .

(٢) هو الكمال الضريس . (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٦/٥ .

(٣) (ت ٦٥٩ هـ) ، السير : ٣٤٣/٢٣ . وفي ذيول العبر : ٦٢ ، « ابن النعالي » .

(٤) هو أثير الدين عبد الغني بن سليمان بن بنين . (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٥/٥ .

* الوافي : ١٥٢/١٦ .

(٥) في الوافي : « نَجَاه » ، ولا وجه لها .

(٦) أفرج عنه سنة (٧٤٠ هـ) كما في السلوك : ٤٩١/٢/٢ .

وبقي في مِصْرَ مَدَّةً ، ثُمَّ جَهَّزَ إلى حلب فأقام بها أميراً مَدَّةً ، ثُمَّ حضرَ إلى دمشق أميراً في أوائل سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، وأقامَ بها إلى أن مَرِضَ .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثالث عشر شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، وترك عليه ديوناً كثيرة ، ولم يُخَلَّفْ شيئاً .

وكان الأمير سيف الدين طقطبای الدوادار قد زَوَّج ابنته من بنت أمير حسين ، ثم إنه طَلَّقَهَا بعد مدَّة (١) .

كان الأمير شهاب الدين شكلاً ظريفاً ، قريباً على القلوب خفيفاً ، تقلَّبت به الأحوال ، ومَرَّت عليه في الآتِكَاد أعوامٌ وأحوال ، وكان إذا حكاها أشجى القلوب وأنكاه ، وأقذى العيون وأبكاه .

ولم يزل في سعده خاملاً ، ولثقل الديون حاملاً ، إلى أن راح إلى الله بحملته وذهب بحملته ، رحمه الله تعالى .

٧٧٢ - شعبان بن محمد بن قلاوون*

السلطان المَلِك الكامل سيف الدين ، ابن السلطان الملك الناصر محمد ، ابن السلطان الملك المنصور .

كان ملكاً مَهِيَّياً ، وسلطاناً لو تُرِكَ أضرَمَ الدهرَ لهيباً ، يتوقَّد ذكاءً وفِطْنَةً ، وينفذ نظره في المصالح نفوذ النار في القُطْنَةِ ، متطلَّعاً إلى الملك وسياسة الرعايا ، ويُعْجِزُ بذهنه مَنْ ناظرَ أوعاياه ، لم يُخَلَّ بالجلوس للخدمة طرقي النهار مع لعبه وَلَهْوِهِ ، ولا رُمي أمرٌ مِنْ مَهَمَّات الملك بذهوله عنه وسَهْوِهِ .

(١) عبارة الوافي : « قد تزَوَّج بدمشق في أيام يلغا بابنة شعبان هذا من ابنة أمير حسن ، ثم إنَّه طَلَّقَهَا » .

* الوافي : ١٥٣/١٦ ، والبداية والنهاية : ٢١٦/١٤ ، والدرر : ١١١/٢ ، والشذرات : ١٥٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٥٠/٦ ، والنجوم : ١١٦/١٠ ، وتذكرة النبيه : ٩٠/٣ .

وكان مستبدًا برأيه جازما ، أخذاً بالاحتياط حازما ، وكان متطلعا إلى جمع المال وإحرازه^(١) ، وادّخاره واكتنازه . وأقام ديواناً يرأسه للبذل ، ولم يقبل في ذلك برهان لوم ولا حجة عذل .

وحليته دون إخوته أنّه أشقر أزرق العين ، محدّد الأنف ليس بالشين .

ولم يزل على حاله إلى أن استراح له التعبان ، وفتح من خلعه فكّ ثعبان لشعبان ، وذلك يوم الاثنين مستهلّ جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

وكانت مدّة ملكه سنة واحدة وسبعة عشر يوماً ، لأنّه لما مات أخوه الصالح إسماعيل ، على ما تقدّم في ترجمته قيل : إنّهُ أوصى له بالملك بعده ، لأنّه كان شقيقه ، فاختلفت الخاصيّة عليه^(٢) ، ومالت فرقة إلى أخيه حاجي المقدم ذكره ، وفرقة إلى شعبان ، فذكره الأمير سيف الدين أرغون العلاني للأمير سيف الدين الملك النائب بمصر ، فقال له : بشرط ألا يلعب بالحمام ، فبلغه ذلك ، فنقم هذا الأمر عليه .

ولما جلس على كرسي الملك أخرجه إلى الشام نائبا ، ثمّ إنّهُ من الطريق جهّزه إلى صفد نائبا ، وطلب الأمير طقزقر^(٣) نائب الشام ليبقى في نيابة مصر .

وكان جلوسه على تخت الملك يوم الخميس بعد دفن أخيه ، وحلّفوا له يوم الجمعة ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبع مئة . وحضّر الأمير سيف الدين بيغرا إلى الشام ، وحلّف له أمراء دمشق ، ثمّ إنّهُ أخرج الأمير سيف الدين قماري أخا بكتر إلى طرابلس ، وأخرج الأمير حسام الدين طرنطاي البشمقدار^(٤) إلى الشام .

(١) في (س) ، (خ) : « وفي إحرازه » .

(٢) ليست في (خ) .

(٣) في (م) ، (خ) : « سيف الدين طقزقر » .

(٤) في المنهل : « البجمقدار » .

وهابه الناس وأعظموه وخافوه ، وفتح باب قبول البذل في الإقطاعات ^(١) والوظائف ، وجعل لذلك ديواناً قائم الذات . وكان يعين البذل في المناشير ، وهو [مبلغ] ^(٢) ثلاث مئة درهم فما فوقها ، فما استحسّن الناس منه ذلك ، وكانت [نفسه] ^(٣) في هذا الباب ساقطة .

وأنشدني من لفظه لنفسه الأديب جمال الدين محمد بن نباتة ^(٤) :

جَبِينُ سُلْطَانِنَا الْمُرْجَى مَبَارَكُ الطَّالِعِ الْبَدِيعِ
يَاهِجَةَ الدَّهْرِ إِذْ تَبَدَّى هَلَالُ شَعْبَانَ فِي رَبِيعِ ^(٥)

ولم يزل على حاله إلى أن برز الأمير سيف الدين يلغا الحيوي إلى ظاهر دمشق ، على ماسيأتي في ترجمته ، وجرى من ^(٦) الأمير سيف الدين ملكتم والأمر شمس الدين أقسنقر ما تقدّم في ترجمته وترجمة المظفر حاجي ، فخلع من الملك ، ودخلوا ^(٧) به إلى السجن ، وأخرجوا أخاه المظفر حاجي وأجلسوه على تخت ^(٨) الملك .

أخبرني من لفظه سيف الدين أسنبغا دوا دار الأمير سيف الدين أرغون شاه ، وكان أرغون شاه يومئذٍ أستاذ دار السلطنة ، قال : مَدَدْنَا السَّاطِ عَلَى أَنْ يَأْكُلَهُ الْكَامِلُ ، وَجَهَّزْنَا طَعَامَ حَاجِي إِلَيْهِ لِيَأْكُلَهُ فِي سَجْنِهِ ، لِأَنَّ الْكَامِلَ أَخَاهُ كَانَ قَدْ أَمْسَكَهُ وَاعْتَقَلَهُ ، فَخَرَجَ حَاجِي أَكَلَ طَعَامَ السُّلْطَانِ ، وَدَخَلَ الْكَامِلُ فَأَكَلَ طَعَامَ حَاجِي فِي

(١) في الأصل : « والإقطاعات » ، وثبتنا ما في : (س) ، (خ) .

وفي المنهل : « وصار يخرج الإقطاعات والوظائف بالبدل .. » .

(٢) زيادة من : (س) ، (خ) ، والوافي .

(٣) زيادة من : (س) ، (خ) .

(٤) ديوانه : ٣٢٠ . وكان ذلك لما تسلطن . انظر : المنهل .

(٥) في الوافي : « البدر إذ » .

(٦) في الأصل : « بين » ، وثبتنا ما في : (س) ، (خ) ، والوافي . وهو موافق لما في المنهل .

(٧) ليست في : (س) ، (خ) .

(٨) في : (س) ، (خ) : « كرسي » .

سجنه مكانه ، وهذا أمر غريب ، وكائن عجيب ، فسبحان من بيده أزمّة الأمور
يصرفها كيف يشاء .

وقلت أنا في واقعته :

بيت قلاون سعاداته في عاجلٍ كنت بلا أجل
حكك على أملاكه للردى دئين قد استوفاه بالكامل^(١)

٧٧٣ - شَعِيبُ بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد*

ابن محمد بن ميمون المرّي المغربي الأصل .

أخبرني العلامة شيخنا أثير الدين من لفظه ، قال : أنشدنا المذكور من لفظه
لنفسه^(٢) ، ومولده بساحل بر الحجاز بموضع^(٣) يُسمى قبر عنتر^(٤) ، ثاني عشر القعدة سنة
ستين وست مئة ، هكذا ذكر ، وأنشدنا ما^(٥) ذكر أنه نظمه :

هزّوا الغصون معاطفاً ووروداً وجلّوا من الورد الجنيّ خدوداً^(٦)
وتقلّدوا فترى النجوم مباسماً وتبسّموا فترى الثغور عقوداً
وغدا الجمال بأثره في أسرهم فتقاسموه طارفاً وتليداً
فإذا ولدن أهلة وإذا سرخ ن جاذراً وإذا حملن أسوداً^(٧)

(١) نقلهما صاحب المنهل .

* الوافي : ١٦٥/١٦ ، والفوات : ١٠٤/٢ ، والدرر : ١٩٢/٢ ، وتذكرة النبیه : ١٠٢/٢ .

(٢) كنا هي عبارة الأصل و (س) ، وفي الوافي قلأ عن أثير الدين : « قال : نشأ المذكور بالقاهرة ،
ومولده » .

(٣) في الأصل : « موضع » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

(٤) في الفوات : « عنبر » .

(٥) في الوافي : « ممّا » .

(٦) في الوافي ، والفوات والتذكرة : « معاطفاً وقدوداً » .

(٧) في الفوات : « فإذا سفرن » .

وَإِذَا لَوُوا زَرَدَ الْعِذَارِ عَلَى النَّقَا
رَحَلُوا عَنِ الْوَادِي فَالْنَسِيمِ
وَذَوَتْ غُصُونُ الْبَانِ فِيهِ فَلَمْ تَمْسُ
فَكَأَنَّهَا بِمَاءِ الْعُذَيْبِ خِيَامَهُمْ
نَصَبُوا عَلَى مَاءِ الْعُذَيْبِ خِيَامَهُمْ
وَتَحَمَّلَتْ رِيحَ الصَّبَا مِنْ عَرَفِهِمْ
جَعَلُوا اللَّوَى فَوْقَ الْعَقِيقِ زُرُودَا
أَرَجَّ وَلَمْ أَرِ فِي رَبَّاءِ الْغِيدَا
طَرَبَا وَلَمْ أَسْمَعْ بِهِ تَغْرِيدَا
وَضَبَا رَبَّاءَ وَظَلَّاهُ مَمْدُودَا
فَلَأْجَلَهُمْ عَذَبَ الْعُذَيْبِ وَرُودَا
مَسَكًا يَضُوعُ بِهِ النِّسَمِ وَعُودَا

قلت : شعرٌ جيّد ، له ديباجة ورونق ، وكأنّه وقف على أبيات لابن قلاقس الإسكندري رحمه الله ورأى منزعها ، فراعى ذلك المنزع ، وأبيات ابن قلاقس هي :

عَقَدُوا الشُّعُورَ مَعَاقِدَ التَّيْجَانِ
وَتَوَشَّحُوا زُرْدًا فَقُلْتُ أَرَأَيْتُمْ
وَمَشَوْا وَقَدْ هَزَّ الشَّبَابُ قِدُودَهُمْ
جَرَّوْا الذَّوَائِلَ وَالذَّوَابِلَ وَاتَّشَوْا
وَلَرَبَّمَا عَطَفُوا الْكُعُوبَ فَوَاصِلُوا
فِي حَيْثُ أَذْكَى السَّهْمِيِّ شَرَارَهُ
وَعَلَا خَطِيبُ السِّيفِ مِنْبَرَ رَاحَةِ
وَتَقَلَّدُوا بِصَوَارِمِ الْأَجْفَانِ
خَلَعَتْ مَلَابِسَهَا عَلَى الْغَزْلَانِ
هَزَّ الْكِلَاءَ عَوَالِي الْمَرَاتِ
فَتَنَوْا عَنَانِي مُحْصَنٍ وَحِصَانِ
مَائِنِ لَيْثِ الْغَابِ وَالْثُعْبَانِ
رَفَعَ الْغِبَارَ لَهَا مَثَارَ دُخَانِ
تَلَوُوعِلِيهِ مَقَاتِلَ الْفَرَسَانِ

وأبيات ابن قلاقس أمتن وأجزل ، إلا أنّ في أبيات شعيب بيتاً نادراً جيّداً ليس لابن قلاقس مثله ، وهو قوله :

وَإِذَا لَوُوا زَرَدَ الْعِذَارِ عَلَى النَّقَا الْبَيْت

لما فيه من حُسْنِ الصَّنَاعَةِ وَدَقَّةِ التَّخِيلِ ، وتطبيق مفاصل النصف الثاني على النصف الأول .

ومثل هذه الأبيات قطعة لأبي محمد عبد الله بن البين ، وهي :

غَضَبُوا الصَّاحَ فَقَسَمُوهُ خُدُودًا واسترهبوا قُضِبَ الْأَرَاكِ قُدُودًا
 ورَأَوْا حَصَى الْيَاقُوتِ دُونَ مَحَلِّهِمْ فاستبدلوا منه النجومَ عَقُودًا
 واستَوْدَعُوا حَدَقَ الْمَهَا أَجْفَانَهُمْ فسَبَّوْا بَيْنَ ضَرَاغِمَاءَ وَأَسُودًا
 لَمْ يَكْفِ أَنْ جَلَبُوا الْأَسْنَةَ وَالْقَنَا حتى استعانوا أَعْيُنًا وَنَهْودًا
 وتَظَافَرُوا بِظَفَائِرٍ أَبَدُوا لَنَا ضَوْءَ النَّهَارِ بَلِيلَهَا مَعْقُودًا
 صَاغُوا الثُّغُورَ مِنَ الْأَقَاحِي بَيْنَهَا ماءَ الْحَيَاةِ لَوْ اغْتَدَى مَوْرُودًا

وكانت وفاة شعيب المذكور ، رحمه الله ، بالقاهرة سنة تسع عشرة وسبع مئة .

٧٧٤ - شعيب بن يوسف بن محمد*

القاضي الفاضل شرف الدين أبو مَدَّيْن ، السيوطي المَحْتَد ، الأسنائي المولد .

قرأ الفقه على أبيه ، وعلى أبي الحسن علي بن محمد الفَوَّي^(١) . وقرأ النحو على تقي الدين بن الهمام السُّهُودي^(٢) ، والفرائض على عطا الله بن علي الأسنائي^(٣) ، وبحث (المنهاج في الأصول) على ابن غُرَّة^(٤) . وقرأ بعضَ عَرُوضٍ على الخطيب عبد الرحيم السُّهُودي^(٥) .

واستنابه والده عنه في الحكم بأسوان ، ثم إنه حضر بعد وفاة أبيه ، رحمه الله ، إلى القاهرة ، فولاه قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة مكان أبيه ، واستمرَّ إلى سنة تسع^(٦)

* الوافي : ١٦٦/١٦ ، والطالع السعيد : ٢٦٠ ، والدرر : ١٩٢/٢ ، والمنهل الصافي : ٢٥٣/٦ .

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) هو سليمان بن موسى بن بهرام . (ت ٧٣٦ هـ) . الطالع السعيد : ٢٥٤ .

(٣) ستأتي ترجمته .

(٤) في الوافي : « ابن عَرَّة » ، وفي الطالع : « ابن عَرَّة » .

(٥) ستأتي ترجمته .

(٦) في الأصل : « ست » ، وأثبتنا ما في : (س) ، والوافي : والطالع ، والمنهل .

وعشرين وسبع مئة ، ثم ولي قضاء إسنا وأدفو ، ودرّس بالمدرستين بأسوان وبالغزيرة^(١) بإسنا .

وكان مع فضيلته خيراً في ذاته ، مُنجماً عن لداته ، حَسَنَ الصفات ، مشغول الأوقات ، قلَّ مَنْ تعرَّضَ له بأذى فسلِّمَ ، أو أرادَه بسوءٍ إلّا وقابله الله بما عَلِمَ ، يعاملُ الله بسلامة صدره ، فيقي الله عرضه كسوفَ بدره .

ولم يزل على حاله إلى أن اغتالت شُعَيْباً شُعُوبٌ ، وقصفت قناةَ عمره ذاتُ الكعوب .

توفي رحمه الله تعالى في^(٢) .

ومولده بإسنا سنة تسع وتسعين وست مئة .

قال الفاضل كال الدين جعفر الأُدْفَوِي : شوَّشَ عليه بعضُ القضاة^(٣) فلم يُقِمَ إلّا أربعة أشهر^(٤) ، ثم عَزَلَ ، ثم أرسل أبو العباس أحمد بن حَرَمِي يذكر عنه قضيّة فلم يُقِمَ إلّا شهراً واحداً وشَنَّعَ عليه بأشنع منها .

وكان في عمل قوص ثلاثة قضاة ، فصار الاثنان يقصدان أن يضما جهته إلى جهتيهما ، فصرفا عن العمل ، وأضيف إليه من كل جهة من جهات المذكورين جهة إلى جهته . ونظم بعضهم في ذلك :

إِنَّ الْقُضَاةَ ثَلَاثَةً بَصْعِيدِنَا قَدْ حَقَّقُوا مَا جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ
قَاضٍ بِإِسْنَا قَدْ ثَوَى جَنَّةَ وَالْقَاضِيَانِ كِلَاهُمَا فِي النَّارِ

(١) في الواقي : « الغزيرة » !

(٢) وفاته في الدرر : في حدود الثلاثين وسبع مئة . وفي حاشية بعض نسخ الطالع أن وفاته سنة (٧٥٤ هـ) .

(٣) زاد في الطالع : « وقصد انتزاع ولايته منه ، فلم ... » .

(٤) في (س) : « ثلاثة أشهر » . وفي الواقي ، والطالع : « ثلاثة أشهر أو نحوها » .

هذا بِحُسْنِ صفاته وفعاله وهما بما اكتسبا من الأوزار
وذكر كمال الدين له من هذا النوع وقائع عدة^(١) .

قلت : وكانّ هذه الأبيات لكمال الدين جعفر رحمه الله تعالى . وهكذا نَظَمَ بعضُ
أهل العصر ، أظنّه جمال الدين يوسف الصوفي رحمه الله تعالى في قاضي القضاة
جلال الدين القزويني لما استتاب القاضي جمال الدين بن جَمَلَة ، وفخر الدين
المصري ، رحمهم الله أجمعين وعفى عنهم ، فقال :

قاضي القضاة ونائباه ثلاثة

الألقاب والأنساب

- ☆ الشقراوي : نجم الدين موسى بن إبراهيم .
- ☆ الشُقَّاري : عماد الدين يوسف بن أبي نُصَيْر .
- ☆ القاضي شقير : أحمد بن عبد الله .
- ☆ أمين الدين بن شقير : عبد الله بن عبد الأحد . وتقي الدين عمر بن عبد الله .
- ☆ ابن الشماع : محمد بن عبد الكريم .
- ☆ ابن شكر الناسخ : محمد بن شكر . ونجم الدين يوسف بن أحمد .

٧٧٥ - شهاب بن علي بن عبد الله*

الشيخ المبارك أبو علي المُحْسَنِي .

(١) الطالع : ٢٦١ .

* الوافي : ١٨٩/١٦ ، والدرر : ١٥٩/٢ ، والشذرات : ١٧/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٥٥/٦ ، وذبول العبر :

شيخ أمي مقيم بتربة الفارس أقطاي بظاهر قلعة الجبل^(١) .

روى الكثير عن ابن المقيّر^(٢) ، وابن رواج ، وتفرّد بأجزاء .

وأخذ عنه شيخنا الذهبي ، وقاضي القضاة العلامة تقي الدين السُّبكي ، والوافي ، وابن الفخر ، وابن سامه^(٣) ، وطائفة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبع مئة .

٧٧٦ - شُهادة بنت عمر*

ابن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن جرادة العَقِيلِي الحلبي : السيدة الجليلة أمّ محمد بنت الصاحب كمال الدين أبي القاسم بن العديم .

سَمِعْتُ جَلْب من الكاشغري^(٤) حضوراً سنة إحدى وعشرين وست مئة ، وأجازها ثابت بن مشرّف^(٥) وغيره .

قال شيخنا البرزالي : وروت لنا عن الشيخ الحافظ ضياء الدين عمر بن بدر بن سعيد الموصلي^(٦) حضوراً ، ولم يرو لنا عنه سواها . وتزهّدت وتركت اللباس الفاخر من حين توفي أخوها القاضي مجد الدين بن العديم .

(١) في المنهل : « بظاهر القاهرة » .

(٢) في المنهل : « ابن القيرواني » .

(٣) في الوافي : « شامة » ، تصحيف . وفي المنهل : « وأبو شامة » . وابن سامه هو محمد بن عبد الرحمن ، ستأتي ترجمته .

* الدرر : ١٩٥/٢ ، والشذرات : ٢٠/٦ ، وذيل العبر : ٤٩ ، وأعلام النبلاء : ٤٩٩/٤ .

(٤) إبراهيم بن عثمان (ت ٦٤٥ هـ) ، الشذرات : ٢٣٠/٦ .

(٥) البغدادى الأزجى (ت ٦١٩) . السير : ١٥٢/٢٢ .

(٦) (ت ٦٢٢ هـ) ، الشذرات : ١٠١/٥ .

توفيت رحمها الله تعالى مجلب في سنة تسع وسبع مئة^(١) .

☆ ابن شَوَّاق : جلال الدين حَسَن بن منصور .

☆ ابن شَوَّاق : علم الدين داود بن الحسن .

☆ ابن شَوَّاق^(٢) : علي بن منصور .

☆ ابن الشَّيَّاح^(٣) : عبد العزيز بن محمد .

٧٧٧ - شيخو*

الأمير سيف الدين الساقى الناصري القازاني ، من ممالك السلطان الملك الناصر .

كان أميراً بالقاهرة^(٤) ، ثم إنَّه خرجَ إلى دمشق في الأيام المظفريَّة بعد إمساك الأمير سيف الدين يلغا ، وصل^(٥) إليها في شعبان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وكان من أحسن الأشكال وجهاً وقامه ، ولبساً وعمامه . يتلو القرآن ويكتبه دائماً ، ويُرَى بعمل ما فيه قائماً . وخطُّه روضةً أينعت أزهارها ، أو سماء تعاقبت فيها شمسها وأقارها ، لو رآه ابنُ هلالٍ فتنه بَدْرٌ وجْهه ، وعَلِمَ أنَّه ليس من طبرزه ولا شَبْهه ، ولو عاينه ابن مقلة قال : كذا يكون الإنسان ، ومَقَل^(٦) ما بيديه في حُسْن

(١) زاد في (س) : « ومولدها يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين » . وهذا التأريخ يوافق ما في الدرر ، لكنه يتناقض مع ما تقدم من وفيات مَنْ أخذت عنهم . وفي الشذرات أنها : « ولدت يوم عاشوراء سنة تسع عشرة وست مئة » . وكذلك في ذيول العبر .

(٢) في الوافي : « ابن شواق الطبيب » ، وخلت عبارة « ابن شواق » من : (س) .

(٣) كذا في (س) ، وهو الصواب ، وفي الأصل : « الشماح » .

* الوافي : ٢١٠/١٦ ، والدرر : ١٩٦/٢ ، والمنهل الصافي : ٢٦٢/٦ .

(٤) عبارة الوافي : « كان بالقاهرة أسيراً » وهو تحريف . انظر المنهل .

(٥) في الوافي : « فوصل » .

(٦) في الأصل : « ونقل » ، تحريف ، وأثبتنا ما في : (س) ، (خ) . والمقل : النظر .

الخطّ من الإحسان . كتب بخطّه المليح رُبْعَة في رُبْع البغدادي الكبير ، بقلم المحقّق^(١) الذي يتعذّر فيه التحرير ، ووقفها بالجامع الأموي . وعنده مغالاة في الكتب النفيسة من كلّ فن^(٢) .

وكان قد قوّض إليه الأمير سيف الدين أَيْتَمِش النظر في أمر الجامع الأموي ، فاسترفع حساب المباشرين ، وتعب في أمره ، وتولّى أمره بنفسه ، وفي ضمن هذا وردّ المرسوم بطلبه إلى مصر في يوم الخميس ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخسين وسبع مئة ، فتوجّه إلى القاهرة وأقام بها قريباً من عشرة أيام ، ونزل به الأمر الذي وجب ، وحلّ به القضاء المكّنّي أبا العجّاب .

وتوفي رحمه الله تعالى في إحدى الجماديين من السنة المذكورة ، وكان قد أشيع أنه طلب للوزارة .

٧٧٨ - شيخو*

الأمير الكبير الأتابك سيف الدين الناصري .

هو غير الأوّل ، ومن صرّح سَعْدَه وما^(٣) تأوّل ، وثبت سؤدده وما تحوّل ، وكاد يكثر أمواج البحار الزاخرة بما ملّك وما تحوّل ، وصدق الملك في أمره وما تقوّل ، وكان قارون عصره ، وعزيز مضره ، وصاحب العقْد والحلّ ، والنقض والإبرام فيما حرّم وما حلّ ، وكانت الأمور به ماشيه ، والخيرات فاشيه ، وعيون حسّاده بأنوار سَعْدَه عاشيه^(٤) :

(١) في الوافي والمنهل : « بقلم خفيف المحقّق » .

(٢) عبارة الوافي والمنهل : « من كلّ فن ويشترها » .

* الوافي : ٢١١/١٦ ، والبداية والنهاية : ٢٥٨/١٤ (وفيه سيخون) ، والدرر : ١٩٦/٢ ، والنجوم :

٣٢٤/١٠ ، والشذرات : ١٨٣/٦ ، والمنهل الصافي : ٢٥٧/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢٠٤/٣ .

(٣) في الأصل « وهو » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في : (س) ، (خ) .

(٤) (خ) : « غاشيه » تصحيف .

تعود على الدنيا عوائد فضله فأقبل منها كل ما كان أدبرا
بِحلم كأن الأرض منه توقرت وجود كأن البحر منه تفجرا

فقوي بذلك حزبه ، وأضاءت في الآفاق شهبه ، وأنشأ خلقا كثيرا ، وجعل في كل
مملكة غير واحد أميرا ، وأراهم من إحسانه وخلعه جنةً وحريرا ، فكبر نوابه في البلاد
وكتثروا ، وجروا طلقا في ميادين سعودهم وما عثروا .

ولم يزل على حاله إلى أن جرعه الدهر بغدره الأمرين ، ونكد عيش جماعة كانوا
على ملازمته مضرين ، فجرح جراحة لم تندمل ، وجعلت كل عين عليه بالدموع
تنهمل .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الجمعة سادس عشري ذي القعدة سنة ثمان وخسين
وسبع مئة .

كان قد حظي عند الملك المظفر ، وزادت وجاهته حتى شفع في الأمراء إخوة
يلبغا وفي الأمير عز الدين طقطاي الدوادار ، وأخرجهم من سجن الإسكندرية ، ثم إنه
استمر في دولة الملك الناصر حسن أحد أمراء الممشور ، في^(١) آخر الأمر كانت القصص
تقرأ عليه بحضرة السلطان في أيام الخدم ، وصار زمام الدولة بيده ، وساسها أحسن
سياسة بسكون^(٢) وعدم شر ، وكان يمنع كل حزب من الوثوب على الآخر ، وعظم
شأنه .

ولم يزل على حاله إلى أن رسم السلطان يامسك الوزير وأخيه الأمير سيف الدين
بييغاروس في طريق الحجاز ، وكان شيخو قد خرج متصيّداً إلى ناحية طنان^(٣) ، فلما
كان يوم السبت رابع عشري شوال سنة إحدى وخسين وسبع مئة رسم السلطان الملك

(١) (خ) : « وفي » .

(٢) عبارة الوافي : « بصلف وسكون » .

(٣) من أعيان قرى مصر قرية من القاهرة . معجم البلدان : ٤٢/٤ .

الناصر حسن بإمساك الأمير سيف الدين منجك الوزير ، وحلّف الأمراء لنفسه ، وكتب تقليد^(١) بناية طرابلس باسم الأمير سيف الدين شيخو ، وجهّز إليه مع الأمير سيف الدين طينال الجاشنكير ، فتوجّه إليه^(٢) وأخذه من برّا ، وحضر به إلى دمشق ، فوصل إليها ليلة الثلاثاء رابع ذي القعدة [سنة إحدى وخمسين]^(٣) ، وعلى يده مرسوم السلطان بإقامته في دمشق أميراً على إقطاع الأمير سيف الدين تلك السّلامي .

وتجهّز تلك إلى القاهرة ، فما وصل إلّا وقد جاء على عقبه الأمير سيف الدين أرغون التاجي^(٤) وعلى يده مرسوم بإمساكه وتجهيزه إلى باب السلطان ، وتقييد مماليكه واعتقالهم بقلعة دمشق^(٥) . ولما أمسك قرأ : ﴿ والفتنة أشدّ من القتل ﴾^(٦) ، وقال : أين الأيمان التي حلفناها ؟ ، وجهّز سيفه صحبة الأمير سيف الدين طقتمر الشريفي^(٧) ، ثم جهّز الأمير شيخو صحبة الأميرين مقيدا ومعها الأمير سيف الدين جوبان وثلاثون جندياً يوصلونه إلى غزّة ، ولما وصلوا إلى قطيا توجهوا به إلى الإسكندرية ، ولم يزل بها معتقلاً إلى أن خلع الملك الناصر حسن ، وتولّى الملّك الصالح صالح ، فرسم بالإفراج عنه وعن بقيّة الأمراء الذين اعتقلوا مع الوزير [منجك]^(٨) .

ووصل الأمير سيف الدين شيخو إلى القاهرة في رابع شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، ونزل الأشرية ، واستقرّ على عادته أوّلاً^(٩) ، وخرج مع السلطان

(١) (خ) والوافي : « تقليدا » .

(٢) في الوافي : « به إليه » .

(٣) زيادة من (خ) .

(٤) (خ) : « الباجي » .

(٥) انظر البداية والنهاية : ٣٣٦/١٤ .

(٦) سورة البقرة : ١٩١/٢ .

(٧) ستأتي ترجمته .

(٨) زيادة من الوافي يتضح بها السياق .

(٩) هنا تنتهي الترجمة في الوافي .

الملك الصالح إلى الشام في واقعة بيبغاروس وتوجّه إلى حلب هو والأمير طاز وأرغون الكاملي خلف بيبغاروس - على ما تقدّم في ترجمة أرغون الكاملي - وعاد مع السلطان إلى القاهرة ، ولما أقام بها صمّم على العمل على إمساك بيبغاروس وأحمد الساقى وبكلمش بعد ما هربوا إلى الروم ، فأمسكوا وحزّت رؤوسهم ، على ما تقدّم في تراجمهم .

وصمّم أيضاً على إمساك ابن دلغادر ، فأُسيك ، ولم يزل به إلى أن أحضر إلى القاهرة ووُسط وعُلّق على باب زويلة .

ثمّ إنّه خرج بنفسه في طلب الأحذب^(١) الخارج بالصعيد ، وأبعد في طلبه ، وعدى مدينة قوص ، فهرب أمامه وأمسك من جماعته جماعة كثيرة إلى الغاية ، ووسّطهم من مكان الظفر بهم إلى القاهرة ، وأبلى في أمرهم بلاءً حسناً ، وطهر الأرض منهم . وكان ذلك في أواخر سنة أربع وخسين وسبع مئة وأوائل سنة خمس وخسين . ولم يزل مظفراً منصوراً فيما يحاوله .

وقلت أنا فيه^(٢) :

شيخو أمير الجيوش سار	لأحذب بأسه لطيفخ
أهل أمر العقاب لّا	ريش في ضعفه الفريخ
قولوا له أنت في ضلال	ما فيه خير وفيه ريخ
مالك قدامه مطار	أنت صبيّ وذاك شيخو

ولم يزل على حاله إلى أن قيل له : إنّ الأمير سيف الدين جرّدمر^(٣) أخا الأمير سيف الدين طاز والأمير ركن الدين عمر بن أحمد بن بكتر الساقى قد أوقعا بينك وبين السلطان ، وقد عزموا على الإيقاع بك ، فتيقّظ هو لهذا الأمر ، وخلع السلطان

(١) محمد بن واصل . انظر أخباره في الذيل التام : ١٣٣ ، أحداث سنة ٧٥٤ هـ .

(٢) (س) ، (خ) : « في ذلك » .

(٣) ت ٧٩٣ هـ . الدرر : ٥٣٥/١ .

الملك الصالح في يوم الاثنين ثاني شَوَّال سنة خمس وخمسين وسبع مئة^(١) ، وأخرج السلطان الملك الناصر حسن وأجلسه على التخت ، وحلف له هو والعساكر ، وأخرج الأمير سيف الدين طاز إلى حلب نائباً ومعه إخوته ، واستقرَّ هو بالقاهرة على حاله ، كلُّ الأمور راجعةً إلى أمره ، وزادت عَظَمَتُهُ بعد ذلك ، وزادت أملاكه وإقطاعه ومستأجراته بالشام وبالديار المصريَّة ، وصار نَوَّابه بالشام في كلِّ مدينة أمراء كباراً ، وخدموه وبالفوا ، إلى أن قيل : إنَّه كان يدخل ديوانه من إقطاعه وأملاكه ومستأجراته في كلِّ يوم مبلغ مئتي ألف درهم وأكثر ، وهذا شيء لم نسمع به في هذه الدولة التركيَّة .

وعمر المدرسة العظيمة ، والخاصة بالمليحة ، والتربة الحسنة في الصَّليبة^(٢) ، وقرَّر في المدرسة الأربعة مذاهب ، ووقف عليها الوقوف العظيمة .

ولم يزل على حاله إلى أن كان يوم الخميس ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين وسبع مئة ، فخرج شخصٌ من مماليك السلطان المرتجعية عن الأمير سيف الدين منجك يدعى باي قجا^(٣) ، لما جلس السلطان في دار العدل وأذن للخاصكيَّة بالدخول ، فوثب عليه وضربه بالسيف في وجهه وفي يده^(٤) . وكانت واقعةً صعبة ، ومات من الزحمة على ما قيل يوم ذاك جماعة ، وكان يوماً عظيماً . وركب عشرة من مقدَّمي الألوف ملبَّسين وتوجهوا إلى قبة النصر ، وأمسك باي قجا المذكور ، وقرَّر فلم يقرَّ على أحد ، وقال : أنا قدِّمت إليه قصة لينقلني من الخاصكيَّة إلى الإقطاع فما قضى شغلي ، فبقي هذا الأمر في نفسي . ثم إنَّه بعد مدَّة سَمَّر باي قجا وطيف به في الشوارع .

واستمرَّ الأمير سيف الدين عليلاً من تلك الجراحة ، ولم يصعد منها إلى القلعة إلى أن خرج السلطان إلى^(٥) سرياقوس ، ولم ينزل بها ، ثم إنَّه دخل المدينة قبله .

(١) البداية والنهاية : ٢٥١/١٤ .

(٢) بالقاهرة ، كما في الوافي .

(٣) في المنهل اسمه : « قطلوخجا السلحدار » .

(٤) انظر البداية والنهاية : ٢٥٧/١٤ ، والذيل التام : ١٥٦ .

(٥) (خ) : « من » سهو .

وتوفي في ليلة الجمعة في التاريخ المذكور رحمه الله تعالى .

وما أحقه أن يُنشد يوم موته :

ألا رحمَ الله الأمير فإنه أصمَّ به الناعي وإن كان أسمعاً
وما كان إلا السيف لاقى ضريبة فقطعها ثم اتثنى فتقطعاً

الألقاب والنسب^(١)

☆ ابن شيخ السلامية : فخر الدين عبد العزيز بن أحمد . والقاضي قطب الدين ناظر الجيش موسى بن أحمد . وولده صلاح الدين يوسف . وجمال الدين إبراهيم بن علي .

☆ بنو الشيرازي : جماعة ، منهم : كال الدين أحمد بن محمد . وعماد الدين المحتسب محمد بن أحمد . وشمس الدين محمد بن محمد بن محمد .

☆ الشيرازي : قطب الدين محمود بن مسعود . ونجم الدين إبراهيم بن عبد الرحمن .

(١) (س) : « والأنساب » .

حرف الصاد

☆ الصابوني : أمين الدين عبد المحسن بن أحمد . وعلاء الدين علي بن يعقوب .
ومجد الدين عيسى بن محمد . وجمال الدين^(١) أحمد بن يعقوب .

٧٧٩ - صَارُوجَا*

بفتح الصاد المهملة ، وبعدها ألف وراء وواو وجم وألف : الأمير صارم الدين
المُظْفَرِي ، نِسْبَةً إِلَى مُظْفَرِ الدِّينِ بنِ جَنْدَر .

أخبرني الأمير شرف الدين حسين بن جندر قال : قلت للسلطان يوماً وقد أُجْرِيَ
ذِكْرُهُ وهو في الاعتقال : يا خوند ، هذا ما هو مُظْفَرِيٌّ نِسْبَةً إِلَى الْمُظْفَرِ الجاشنكير ،
وإنّا هذا هو مملوك أخي مظفر الدين ، فقال : هكذا ؟ قلت : نعم ، فما كان بعد
ذلك إلّا أيام حتى أفرج عنه .

وكان أولاً بالديار المصريّة ، ولَمَّا أُعْطِيَ السُّلْطَانُ الأَمِيرَ سيف الدين تنكز
[إمرة]^(٢) عشرة قَبْلَ تَوَجُّهِهِ إِلَى الكرك سَلَّمَ الإِقْطَاعَ إِلَيْهِ ، وقال : هذا أغا^(٣)
متاعك ، على رأي الترك ، فَأَحْسَنَ صَارُوجَا إِلَى تنكز وَخَدَّمَهُ وَثَمَرَ لَهُ إِقْطَاعَهُ .

ولَمَّا حضر السلطان من الكرك قيل له عنه إنه يميل إلى أمير موسى بن الصالح

(١) (س) : « جمال الدين المظفري » .

* الوافي : ٢٢٤/١٦ ، ونكت الهميان : ١٧٠ ، والدرر : ١٩٨/٢ ، والشذرات : ١٢٨ ، والمنهل الصافي :
٣٢٠/٦ .

(٢) زيادة من الوافي يقتضيها السياق . وكذلك في المنهل .

(٣) أغا : كلمة تركية معناها السيد والقائد ، والخدام .

علي ، فأمسكه في واقعة أمير موسى ، ثم أفرج عنه بعد مدة تقارب العشرين ^(١) سنة ، وجهزه أميراً إلى صفد ، فأقام بها مدة تزيد على السنة والنصف . ثم إنه نقل إلى دمشق على طبلخاناه ^(٢) ، وكان الأمير سيف الدين يرعى له خدمته الأولى ، وكان إذا خاطبه قال له : يا صارم .

ولم يزل مقيماً بدمشق إلى أن أُمسِكَ الأمير سيف الدين تنكز ^(٣) ، فأُمسِكَ الأمير سيف الدين بشتاك لما حضر إلى دمشق الأمير صارم الدين صاروجا ، واعتُقِلَ في قلعة دمشق في جُمْلَةٍ مِنْ أُمسِكَ في تلك الواقعة ، ثم إنه وَرَدَ المرسوم على الأمير علاء الدين الطنبيغا بأن يكحله ، فدافع الأمير علاء الدين عنه يَوْمَاتٍ يسيرة ، ثم إنه خاف ، فأمر بكحله ، فعميَ بصره ، وكان ذلك عشية نهار ، وفي صبيحة ذلك اليوم ورد المرسوم بالعفو عنه ، ثم إنه رُتِبَ له ما يكفيه ، وجُهِزَ إلى القدس ، فأقام به مدة .

ثم إنه عاد إلى دمشق وأقام بها إلى أخريات سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، وتوفي رحمه الله تعالى .

وكان رجلاً خيراً الطباع ، سليم الصدر ، كثير المؤانسة والإمتاع ، قل أن يكون في خزانته شيء ، بل الجميع يفرقه على مماليكه الخواص ، والذين هم على خدمته وملازمته غواص . وكان كتابه ومن يتحدث ^(٤) في بابه يشكون من ذلك ، ويرون أن أيامهم بهذا مثل الليالي الحوالك .

وكان الأمير سيف الدين قد ولّاه الحكم في البندق ، ثم عزله منه وتغيّر عليه قليلاً ، ثم عاد إلى الحنّو عليه .

(١) في الوافي ونكت الهميان : « العشر سنين » . ومثل هذا في للنهل .

(٢) (س) ، (خ) : « طبلخانته » .

(٣) سنة ٧٤٠ هـ ، كما في الوافي ، والنهل .

(٤) (س) : « يتحدث له » .

٧٨٠ - صاروجا*

الأمير صارم الدين ، تقيب النقباء بالديار المصرية .

كان فيه دهاء وخدع ، وصدّ عن الحقّ وصدّع ، لا يهاب أميراً ولا وزيراً ، ولا يخاف كبيراً ولا صغيراً ، له إقدام على السلطان ، وعنده تختل^(١) ما يهتدي إليه الشيطان . قدّمه السلطان وقربه ، وأدناه لما عرّفه وجربّه كثيراً من مراده لما جربّه . إلى أن خافه الأمراء ، وهابه الكبراء .

ولم يزل على ذلك إلى أن فارق الحياة ، فجاءه الموت فجاءه ، وقطع من الحياة أصله ورجاءه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

كان تقياً صغيراً ، فلما توفي الأمير عز الدين دقاق تقيب النقباء أمره السلطان وجعلته مكانه ، وقدّمه وعظّمه ، وصار يدخل إليه على ضوء الشمع ، ويتحدّث معه في كلّ ما يريد ، حتى خافه الأمراء الكبار وخافه النشؤ ناظر الخاص ، على ما فيه .

ثم إنّه توجه مع السلطان في السنة المذكورة^(٢) ، لما وصل في تلك السفرة إلى خانق دندرا^(٣) وعاد ، فلما قارب القاهرة وقف صاروجا على بعض المعادي ليعدّي الأطلاب^(٤) ، فوقف على بعض الجسور ومدّ يده بالعصا ليضرب شخصاً تعدّي مكانه ، فرفع يده بالعصا ، فوقع من أعلى الفرس إلى الأرض ميتاً .

* الوافي : ٢٢٥/١٦ ، والدرر : ١٩٧/٢ ، والمنهل الصافي : ٣١٩/٦ .

(١) (س) : « تختل » .

(٢) إلى الصعيد ، كما في الوافي .

(٣) بلدية على غربي النيل من نواحي الصعيد دون قوص . معجم البلدان : ٤٧٧/٢ .

(٤) في الأصل : « إلى الأصلاب » وأثبتنا ما في (س) والوافي . وفي المنهل : « يعدي بالأطلاب على بعض الجسور » .

الألقاب والنسب

☆ ابن صارو : شهاب الدين أحمد بن إبراهيم .

☆ ابن صابر : المقدم إبراهيم .

☆ ابن الصبّاغ الكوفي : صالح بن عبد الله .

☆ ابن الصائغ المقرئ : محمد بن أحمد .

٧٨١ - صالح بن أحمد بن عثمان*

صالح الدين القوّاس^(١) ، الشاعر البعلبيكي .

كان رجلاً خيراً ، مضىء القلب نيراً ، يعبر الرؤيا ويتكلّم عليها مناسبا ، ويُجيد قَهْمَهَا حاسبا . وينظم القريض ، ويأتي به مثل زهر الروض الأريض . وكان كثير الاتّضاع ، غزيرَ مادّة الإمتاع . قد صحب الفقراء زمانا ، وحفظ مِنْ كلامهم لؤلؤاً وجمانا . وسافر البلاد ، وعلم منها ومن أهلها الطارف والتلاد .

ولم يزل على حاله إلى أن انفسد^(٢) مزاج صالح ، وتلقّاه العيش بعد بُشْرِهِ بوجهه الكالِح .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة في سادس عشر شهر ربيع الأوّل .

ومولده سنة ثمانٍ وثلاثين وست مئة .

* الوافي : ٢٤٨/١٦ ، والدرر : ١٩٩/٢ ، والمنهل الصافي : ٣٢٣/٦ .

(١) زاد في المنهل هنا : « الخلاطي » .

(٢) (س) : « فسد » .

أنشدني شيخنا الذهبي ، قال : أنشد المذكور قصيدته السائرة ذات الأوزان ، وهي :

دائي^(١) ثوى • بفؤادٍ شَفَّهَ سَقَمَ
بأضلعي • لهبٌ تذكو شرارته
يوم النوى • ظلّ في قلبي له ألم
توجّعي • مِنْ جَوَى شَبَّتْ حرارته
أصلُ الهوى • مُلبّسي وجداً به عَدَمَ
تتبّعي • وَجْهَ مَنْ تزهو نضارته
هدّ القوى • حَسَنَ كالبدر مبتسم
مُودّعي • قمرٌ تسيّ إشارته
مُهْدي الجوى • مولّعٌ بالهجر مُنتَقِمٌ
لمصرعي • مُعْتَدٍ تحلو مرارته
قلبي كوى • مالِكٌ في النفس محتكمٌ
مروّعي • سار لاشطّت زيارته

لِمِخْنَتِي • مِنْ دَوَاعِي الهَمِّ وَالْكَمَدِ
من الضنى • في محلّ الروح من جَسَدِي
وحرقتي • وبلائي فيه بالرّصَدِ^(٢)
مع العنا • قد رثى لي فيه ذو الحَسَدِ
لمهجتي • مِنْ رشا بالحسن مُنْفَرِدِ
لَمَّا جنى • مُورثي وجداً مدى الأمدِ
لِفِتْنَتِنِي • مُوهِنٌ عِنْدَ النوى جَلَدِي^(٣)
إذا رنا • ساطع الأنوار في البلدِ^(٤)
ما حيلتي • قد كوى قلبي مع الكَبَدِ
يا قومنا • أَخَذَ نحو الردى بيدي^(٥)
لقصّتي • وهو سولي وهو معتمدي^(٦)
لَمَّا انثنى • قاتلي عمداً بلا قَوَدِ

قلت : يقال إنّ هذه القصيدة تُقرأ على ثلاث مئة وستين وجهاً^(٧) .

وقد نظم الناس في هذا النوع قديماً وحديثاً ، وأكثروا ، وأحسنَ هذا النوع مالم تظهر الكلفةُ عليه ويكون عذباً منسجماً . وأقدم ما يوجد من هذا النوع قول

(١) (س) ، والوافي ، والدرر والنهل : « داء » .

(٢) (س) ، والوافي : « به ألم » .

(٣) في الأصل : « هذا » تحريف ، وأثبتنا ما في (س) الوافي .

(٤) في الأصل : « إذ » وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) في الوافي : « مهتد تحلو » .

(٦) (س) ، والوافي : « لعفتي » . وفي الأصل : « هو معتمدي » بلا واو ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

(٧) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .

أبي الحسين أحمد بن سعد الكاتب الأصبهاني ، وكان بعد العشرين والثلاث مئة ^(١) ، وهو :

وبلدة قطعها بضامر	خفيد عيرانة ركوب ^(٢)
وليلة سهرتها لزائر	ومسعود مواصل حبيب
وقينة وصلتها بظاهر	مسود ترب العلا نجيب ^(٣)
إذا غوت أرشدتها بخاطر	مسدد وهاجس مصيب
وقهوة باكرتها لتاجر	ذي عندي في دينه وحوب ^(٤)
سورثها كثرتها بطائر	مبرد من جمّة القلب ^(٥)
وحرب خضم هجتها مكائر	ذي عدد في قومه مهيب ^(٦)
معدّ إبل سقّتها بياتر	مهني يغري الطلار سوب ^(٧)
وكم حظوظ نلتها من قادر	ممجد بصنعة القريب
كافيت إذ شكرتها في سامر	ومشهد للملك الرقيب ^(٨)

والأبيات المشهورة ، وبعض الناس نسبها لأبي العلاء المعري ، وما أظنّ أنا ذلك ،

وهي :

جودي على المستنظر الصبّ الجوي وتعطّني بوصاله لا تظلمي

(١) (س) : « العشر والثلاثمئة » ، وما أثبتنا يوافق ما جاء في ترجمة أبي الحسين من الوافي : ٣٨٥/٦ ، والأبيات الآتية مثبتة فيه .

(٢) في الأصل : « خفيد » تصحيف ، والخفيد : السريع .

(٣) في الوافي : « بطاهر » .

(٤) في الأصل : « وجوب » تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) في الأصل : « جنة » وأثبتنا ما في الوافي ، وهي أشبه .

(٦) في الوافي : « بكائر » .

(٧) في الوافي : « مغرداً بل » ولا وجه لها .

(٨) في الأصل : « كانت إذا سكرتها » تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

ذَا الْمَبْتَلَى الْمُتَفَكِّرَ الْقَلْبَ الدَّوِي وَاسْتَكْشَفِي عَنْ حَالِهِ وَتَرْحَمِي
وَصِلِي وَلَا تَسْتَنْكِرِي ذَنْبِي الْبَرِي وَتَرَأْفِي بِالْوَالِهِ الْمُسْتَسْلِمِ
تُبْدِي الْقِلَا بِتَغْيِيرِي الْحَبَّ الْأَبْي الْمُتَلَفِي بِجِبَالِهِ الْمُتَحَكِّمِ^(١)

هذه الأبيات على كاملها^(٢) من الكامل المسدس على أتم أنواعه ، إلا أنه لحق الإضمار بعض أجزائها ، فإذا حذفت الجزء الآخر من كل بيت ، وجعلت القوافي عند قوله : « بوصاله » كانت الأبيات من شاذ الكامل الخمس . وأنشد العروضيون في مثله :

لَمَنْ الصَّبِي بِجَنَابِ الصَّحْرَاءِ مُلْقَى غَيْرِ ذِي مَهْدٍ

فإذا حذفت من آخر كل بيت جزءين وجعلت القافية عند قوله « وتعطفي » كانت الأبيات من مربع الكامل ، ومثله :

وَإِذَا افْتَقَرْتَ فَلَا تَكُنْ مُتَخَشَّعًا وَتَجَمَّلْ

فإذا اقتصرت على الشطر الأول من كل بيت ، وجعلت القافية عند قوله « الجوي » كان من الضرب الرابع من الرجز ، وصار البيت بيتين من مَصْرَعِ الكامل المسدس ، وإن حذفت من الشطر الأول^(٣) جزءاً ، وجعلت القافية عند قوله : « الصب » بقي معك بيتان مصرعان من أحد^(٤) الكامل المضمّر ، كقول زهير^(٥) :

لَمَنِ الدِّيارُ بِقَنَّةِ الْحِجْرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجْرٍ وَمِنْ دَهْرٍ

فإذا تقصت من الشطر الأول جزءين ، وجعلت القافية عند قوله : « المستنظر »

(١) في الأصل « الحب الألى » تحريف ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) (س) : « كلها » .

(٣) في الأصل : « من السطر الآخر » .

(٤) في الأصل : « أحد » تصحيف ، والأحد : ماسقط منه وتد مجموع من عجز (متفاعِلن) فينقل إلى فَعِلن .

(٥) ديوانه : ٨٦ .

بقي بيتان من مَرَبَع / الكامل المَعَرَّى ^(١) ، وإن شئت من الضرب الخامس من الرجز ،
وإن اقتصرت على الأجزاء الأول من الأبيات بقي مجموعها الأربعة الأجزاء بيتاً واحداً
من مَرَبَع الكامل ، وإن شئت من أقلّ أنواع الرجز المحدث ، مثل قوله :

طِيفَ أَلَمْ بِذِي سَلَمَ

وهذه الأبيات الأربعة تقرأ على عدّة وجوه .

٧٨٢ - صالح بن ثامر بن حامد *

الإمام القاضي الفَرَضِي تاج الدين أبو الفضل الجعبري الشافعي .

سمع من ابن خليل ، وعبد الحق المنبجي ، والضياء صقر ^(٢) ، والنظام البلخي ،
ومجد الدين بن تيمية ، وعبد الله بن الحَشُوعِي ، والعماد عبد الحميد بن عبد الهاد ^(٣) .

وخرّج له أمين الدين بن الواني ^(٤) مشيخة . وولي قضاء أماكن .

وروى عنه شيخنا علم الدين البرزالي ^(٥) ، والواني ^(٦) ، والطلبة .

كان حاكماً عاقلاً ، لا يقبل في الحق لائماً ولا عاذلاً ، خيراً عفيفاً ، سليم القلب من

(١) هو ما سلم من الترفيل والإذالة .

* الوافي : ٢٥٢/١٦ ، والدرر : ٢٠٠/٢ ، والدارس : ٣٥٦/١ ، والمنهل الصافي : ٣٢٦/٦ ، وفيه : « ثامر » ،
وعقد الجمان : ٤٣٧/٤ ، وفيات (٧٠٦ هـ) ، والبداية والنهاية : ٤٣/١٤ ، وفيه : « صالح بن أحمد بن
حامد بن علي الجعدي » . وتذكرة النبيه : ٢٧٥/١ .

(٢) هو ضياء الدين صقر بن يحيى بن سالم الكلبي الحلبي . (ت ٦٥٣ هـ) . العبر : ٢١٤/٥ .

(٣) في الأصل والمنهل والوافي : « وعبد الحميد » ولا وجه للواو ههنا وأثبتنا ما في (س) وقد توفي العماد
عبد الحميد سنة ٦٥٨ هـ ، انظر السير : ٣٣٩/٢٣ ، والشذرات : ١٩٢/٥ .

(٤) محمد بن إبراهيم بن محمد (ت ٧٢٥ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٥) علي بن عمر (ت ٧٢٧ هـ) وستأتي ترجمته .

(٦) في المنهل : « أمين الدين الهمداني » .

الشَّرْظِيْفَا . طَرِيقُهُ طَرِيقُ السَّلَفِ ، يَرَى وَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ الْكِبَرِ وَالتَّيْبَةِ وَالصَّلَفِ .
وَكُنْتُ يَدُهُ فِي الْفَرَائِضِ طَوْلَى ، وَذَهْنُهُ فِيهِ قَدْ بَلَغَ مَرَامًا وَنَالَ سُؤْلًا . وَكَانَ طَوِيلًا
مَلِيحَ الشَّكْلِ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ .

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ أَرَادَ اللَّهُ فَنَاءَهُ ، وَعَمَّرَ بِهِ رِبْعَ الْخَيْرِ وَفَنَاءَهُ .

وَتُوفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي صَفَرِ سَنَةِ سِتٍّ وَسَبْعِ مِائَةٍ .

وَمَوْلَدُهُ سَنَةِ بَضْعِ عَشْرِينَ ^(١) وَسِتِّ مِائَةٍ .

وَوَلِيَ قِضَاءَ بَعْلَبَكِ ، وَنَابَ فِي الْحُكْمِ بِدَمَشَقَ ، وَوَلِيَ الْخُطَابَةَ ، وَاسْتَسْقَى بِالنَّاسِ .
وَكَانَ جَيِّدًا ^(٢) الْأَحْكَامِ . وَلَهُ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ فِي الْفَرَائِضِ .

وَتَوَلَّى نِيَابَةَ الْحُكْمِ بَعْدَهُ الْقَاضِي نَجْمُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْمُحْسَنِ الدَّمَشَقِيِّ .

وَلَمَّا طَلَعَ لِيَسْتَسْقِيَ بِالنَّاسِ فِي خَامِسِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ
قَعَدَ الْأَمِيرُ عِلْمُ الدِّينِ الدَّوَادَارِيُّ أَمَامَ دَرَجِ الْمَنْبَرِ ، وَلَمَّا جَاءَ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ الْجَعْبَرِيُّ
لِيَصْعَدَ الْمَنْبَرَ ، وَيَخْطُبُ قَالَ لَهُ الدَّوَادَارِيُّ : مَا تَسْتَسْقِي بِنَا وَأَنْتَ حَاكِمٌ ! فَمَا رَأَى
الْقَاضِي فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْجَمْعِ أَنْ يَرْجِعَ وَيَصْعَدَ الْمَنْبَرَ غَيْرَهُ ، فَقَالَ : أَشْهَدُوا عَلَيَّ أَنِّي قَدْ
عَزَلْتُ نَفْسِي مِنَ الْحُكْمِ ، فَقَالَ لَهُ الدَّوَادَارِيُّ : اصْعَدِ الْآنَ .

٧٨٣ - صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْعَظِيمِ*

ابْنُ يُونُسَ بْنُ عَبْدِ الْقَوِيِّ بْنِ يَاسِينَ بْنِ سَوَّارِ الْمُسْنَدِ تَقِيِّ الدِّينِ الْعَسْقَلَانِيِّ .

(١) فِي التَّذَكُّرَةِ : « سَنَةُ ثَلَاثِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ » .

(٢) (س) : « حَمِيد » .

* الدَّرَرُ : ٢٠٠/٢ .

سمع من النجيب عبد اللطيف الحرّاني وغيره ، وأجاز لي سنة ثمان وعشرين بالقاهرة .

وتوفي رحمه الله تعالى ^(١) ...

٧٨٤ - صالح بن عبد الله *

شرف الدين أبو محمد الصّضريّ ابن بَوَّاب المدرسة القيريّة بدمشق .

سمع بدمشق ومصر وحلب ، وكتب وحَصَّل ، وتخرَّج ، وسمع من خَلَق بعد سنة ثلاثين وسبع مئة ، ثمّ إنّه فتر واشتغل بالإسكندرية على ابن النصفى ، وتلا بالسبع على أبي حيّان ^(٢) .

وكان في القاهرة في خدمة القاضي جمال الدين إبراهيم ابن العلامة شهاب الدين محمود ، يدور بأولاده ويستمعهم على الأشياخ ، فلما توجه جمال الدين إلى كتابة السّر في حلب استمر في خدمة القاضي علاء الدين بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء ، فأثرى وحسنت حاله ، وجاء إلى دمشق في قالب غير الأوّل ، وأقام قليلاً ، وخدمه الناس ، وتوجّه إلى القاهرة فأقام بها قليلاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع شوال سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ^(٣) .

٧٨٥ - صالح بن عبد الله بن جعفر **

ابن علي بن صالح بن الصّبّاغ ، الشيخ الإمام العالم الزاهد محيى الدين أبو عبد الله الأسدي الكوفي الحنفي .

(١) سنة ٧٣٤ هـ كما في الدرر .

* الوافي : ٢٦٤/١٦ ، ووفيات ابن رافع : ٢٧٨/١ ، والدرر : ٢٠٢/٢ .

(٢) ههنا تنتهي ترجمته في الوافي .

(٣) وفي وفيات ابن رافع أنه توفي (٧٤٩ هـ) .

** الدرر : ٢٠١/٢ ، وتذكرة النبيه : ١٧٦/٢ .

كان فقيہ بلدہ وإمامہا في أنواع العلوم والتصوّف والزهد والأدب . طُلب
لتدريس المستنصرية مراراً وامتنع . أجاز له الصغاني في سنة خمسين وست مئة .
وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عَشري صفر سنة سبع وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة تسع وثلاثين وست مئة بالكوفة .

مات هو يوم الجمعة ، ومات قبله ليلة الجمعة الإمام السيد الشريف جمال الدين
يوسف بن حمّاد الحسيني المُشهدّي^(١) ، وكان شيخ الشيعة ومفتيها . وله قصائد نبويّة ،
وشعره رقيق ، وكان مُعظماً بالمدينة النبويّة وبالعراق .

٧٨٦ - صالح بن عبد الوهاب*

ابن أحمد بن أبي الفتح بن سحنون الخطيب الفقيه العَدْل تقي الدين أبو البقاء
ابن الشيخ الإمام مجد الدين الحنفي .

كان خطيب الجامع بالنيرب بدمشق^(٢) .

سمع من ابن عبد الدايم .

وكان ذا هيئة مليحة وخطابة فصيحة ، وفيه تودُّدٌ للأنام ، وسماحة يدخل بها في
زُمرّة الكرام . وكان يجلس في حانوت الشهود تحت القلعة ، وينفق من رفاقه بحسن
خلقه كلّ سلعة .

ولم يزل إلى أن حلَّ الخطب بالخطيب ، وحنى الموتُ غُصنه الرّطيب .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني عَشري شهر رجب الفرد سنة ست عشرة وسبع مئة .

(١) في الأصل « المرشدي » سهو ، وستأتي ترجمته في موضعها .

* تالي وفيات الأعيان : ٩٢ ، والدرر : ٢٠٢/٢ .

(٢) جامع النيرب بالقرب من الربوة ، والنيرب من قرى غوطة دمشق . انظر الدارس : ٣٣٨/٢ .

ومولده يوم الأربعاء عاشر صفر سنة سبع وخمسين وست مئة .

وتولى الخطابة مكانه ولده مجد الدين إبراهيم على عادة والده وجدّه ، ونظم أبوه اسمه عند ولادته فقال :

تَيَّنَتْ فِيهِ غِبْطَةٌ بِاسْمِ صَالِحٍ فَسَمَّيْتُهُ مُسْتَهْدِيًا بِرِشَادِهِ
عَسَى اللَّهُ فِينَا أَنْ يَنْ بَفَضْلِهِ فَيُحْيِيهِ عَبْدًا صَالِحًا فِي عِبَادِهِ

٧٨٧ - صالح بن محمد بن قلاوون*

السلطان الملك الصالح ابن السلطان الملك الناصر من ابنة الأمير سيف الدين تنكز رحمهم الله أجمعين .

لَمَّا كَانَ فِي ^(١) يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَامِنِ عَشْرِي ^(٢) جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ اِثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ أَخَذَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ طَازُ وَالْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ مُغْلَطَايَ أَمِيرَ آخُورَ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ أَرْبَابِ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ ، وَخَلَعُوا الْمَلِكَ النَّاصِرَ حَسَنَ ، وَأَجْلَسُوا أَخَاهُ الْمَلِكَ الصَّالِحَ عَلَى كُرْسِيِّ الْمُلْكِ ^(٣) بِحُضُورِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَصِدِ أَبِي الْفَتْحِ أَبِي بَكْرٍ ^(٤) وَحُضُورِ الْقَضَاةِ ^(٥) ، وَحَلَفُوا لَهُ الْعَسَاكِرَ ، وَجَهَّزَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَزْلَارَ إِلَى دِمَشْقَ لِيَحْلِفَ الْعَسَاكِرَ الشَّامِيَّةَ .

وَلَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ آخِرِ النَّهَارِ رَكِبَ أَمِيرُ آخُورَ الْمَذْكُورَ وَمَنْكَلِي بَغَا الْفَخْرِي إِلَى

* الوافي : ٢٧٠/١٦ ، والدرر : ١٠٣/٢ ، والمنهل الصافي : ٢٣٠/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥٤/١٠ ، والبداية والنهاية : ٢٣٩/١٣ .

- (١) ليست في « س » .
- (٢) في المنهل : « السابع والعشرين » .
- (٣) انظر البداية والنهاية : ٢٣٩/١٤ وما بعدها .
- (٤) ابن سليمان بن أحمد ، سلفت ترجمته .
- (٥) الأربعة ، كما في الوافي .

قبة النصر، وهو^(١) رابع شهر رجب الفرد، فركب الأمير طاز والسلطان الملك الصالح، فكانت النصر للسلطان الملك الصالح عليهما، وعاد إلى القلعة منصوراً، ورسم بالإفراج عن الأمير شيخو وبيغاروس والوزير^(٢) منجك وغيرهم ممن كان معتقلاً. واستقرت الأحوال^(٣).

ولما خرج بيغاروس وأحمد الساقى وبكلمش بالشام^(٤)، على ما تقدم في ترجمة^(٥) المذكورين، خرج الملك الصالح إلى الشام وجرّد^(٦) العساكر إلى دمشق، وجهز نائب الشام الأمير سيف الدين أرغون الكاملي، والأمير شيخو، والأمير طاز إلى حلب خلف بيغاروس ومن معه، وأقام في دمشق إلى أن عاد شيخو وطاز، وصام شهر رمضان في دمشق، وصلى الجمعة في الجامع الأموي ثاني شوال، وخرج من الجامع وركب وتوجّه بالعساكر إلى الديار المصرية.

ولم يزل على حاله إلى أن قيل للأمير سيف الدين شيخو إن السلطان قد اتفق مع الأمير طاز وأخيه جرّد مر على أنهم يسكونك، فلما بلغه ذلك خلع الملك الصالح صالحاً، وأجلس السلطان الملك الناصر حسن في ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبع مئة على كرسي الملك^(٧)، فسبحان من لا يحول ولا يزول.

وحضر الأمير عز الدين أيدير الشمسي وحلف عساكر الشام للملك الناصر حسن، وأخرج الأمير طاز لنيابة حلب.

(١) عبارة الوافي: « وذلك في ».

(٢) (خ): « والأمير ».

(٣) انتهت ههنا ترجمته في الوافي.

(٤) (س): « إلى الشام ».

(٥) في (س)، (خ): « تراجم ».

(٦) في (س)، (خ): « وجرّد ».

(٧) انظر: البداية والنهاية: ٢٥١/١٤.

ولم يزل الملك الصالح على حاله عند والدته ابنة الأمير سيف الدين تنكز لا يركب ولا ينزل إلى أن ورد الخبر إلى الشام بوفاته رحمه الله تعالى في صفر سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

وكان مولده في سنة سبع^(١) وثلاثين وسبع مئة .

٧٨٨ - صالح بن مختار*

ابن صالح بن أبي الفوارس تقي الدين أبو التقي الشيخ الإمام ، إمام قبة الشافعي رضي الله عنه الأسنوي^(٢) .

سمع الكثير ، وأجاز لي في سنة ثمان وعشرين آذنا في ذلك لعمر بن علي بن شعيب القرشي .

مولده في شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وست مئة .
وتوفي رحمه الله تعالى ..^(٣)

(٤) اللقب والنسب

- ☆ الصالح بن المنصور : علي بن قلاوون .
- ☆ والصالح بن الناصر : إسماعيل بن محمد .
- ☆ والصالح أخوه : صالح بن محمد .

(١) في المنهل : « سنة ثمان » .

* الوافي : ٢٧١/١٦ ، وفيات ابن رافع : ٤٨/١ ، والدرر : ٢٠٤/٢ ، وفي الوافي : « أبو البقاء » تصحيف .

(٢) كذا في الأصول والوافي ، وفي وفيات ابن رافع : « الأشنهي » نسبة إلى أشنه قرية من قرى أذربيجان ، ويؤيد ذلك ما في الدرر : « الأشنهي العجمي الأصل » .

(٣) في يوم الثلاثاء النصف من جادى الأولى ، سنة (٧٢٨ هـ) ، كما في وفيات ابن رافع ، والدرر .

(٤) زيادة من (س) .

☆ ابن صغير الطبيب^(١) : ناصر الدين محمد بن محمد .

٧٨٩ - صالحة خاتون*

بنت الملك مجير الدين يعقوب ابن السلطان الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب .

لم يكن في وقتها أعلى نسباً منها .

توفيت رحمها الله تعالى في عشري شهر رجب الفرد سنة ست وعشرين وسبع

مئة .

ومولدها سنة خمسين وست مئة تقريباً .

الألقاب والأنساب^(٢)

☆ ابن صَبْرَة : الأمير عزّ الدين الحسين بن عمر .

☆ ابن الصباغ النحوي الكوفي : محيي الدين عبد الله بن جعفر .

☆ ابن صبح : الأمير علاء الدين علي بن حسن .

☆ الصائغ : شمس الدين محمد بن الحسن .

☆ ابن الصائغ : محب الدين محمد بن عبد الله .

☆ ابن الصائغ : أبو اليسر محمد بن محمد بن محمد . وأخوه : محمد بن محمد بن محمد .

وأخوه : ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد .

٧٩٠ - صدقة بن بيدمر**

الأمير بدر الدين ابن الأمير سيف الدين ، تقدّم ذِكْرُ^(٣) والده .

(١) (س) : « الطبيب المصري » .

* لم نقف على ترجمة لها .

(٢) زيادة من (س) .

** الوافي : ٢٠٥/١٦ ، والمنهل الصافي : ٣٣٧/٦ .

(٣) ليست في (خ) .

كان هذا الأمير صدقة لو قال : أنا شقيق البدر ، كل الناس صدّقه ، شاباً أجمع الناس على ظُرفه^(١) وحلاوة تلوين طُرفه ، أسمر يهزأ قدّه إذا اهتزّ بالأسمر ، وإذا افترّ ثغره الأبيض رأى مُحِبّه الموتَ الأحمر ، قد زانه الميل والهَيْف ، وودّ الحَمام لو غَنّى على قدّه أو هتف ، لطيف الأخلاق ، يفوقُ الناس بجماله على الإطلاق ، لم يبقل^(٢) خدّه ، ولا انكفّ من سيف ناظره حدّه .

لم يزل في ميدان شبابه الغضّ ، وعنفوان صباه الذي ما انفرط ولا انفضّ حتى صار القبر لجوهرة صدقة صدّقه ، ولقيه الموت في وسط شوطه وصدفه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - عبّطة^(٣) في أوائل شهر رجب سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون^(٤) دمشق .

وكان أمير عشرة في طرابلس ، وهو مضاف إلى دمشق .

اللقب والنسب

☆ بنو صَصْرَى ، جماعة^(٥) : قاضي القضاة نجم الدين أحمد بن محمّد . وأمين الدين سالم بن محمد . وشرف الدين محمد بن عبد الرحمن .

☆ الصفدي ، جماعة ، منهم : زين الدين عمر بن داود . وولده شهاب الدين أحمد . ونور الدين علي بن إسماعيل . وأمين الدين درويش محمد بن علي . والشيخ نجم الدين الصفدي حسن بن محمد . وولده الخطيب كال الدين محمّد بن حسن^(٦) .

(١) في الأصل : « طرفه » ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) بقل : ظهر ، وبقل وجه الغلام : خرج شعره .

(٣) (س) : « غبطة » تصحيف ، يقال مات عبطة : شاباً صحيحاً .

(٤) انظر خبر هذا الوباء في السلوك : ٧٧٢/٣/٢ .

(٥) ليست في (س) .

(٦) ألقاب الصفدي هذه ستكرر بعد قليل بتغير في عددها وترتيبها ولعله اضطراب من الناسخ ، ولم يقع

٧٩١ - صفنجي *

الأمير سيف الدين الركني ، مملوك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير .
كانت له مكانة عند أستاذه ، وتقل إلى دمشق . وكان ديناً مشكور السيرة .
توفي رحمه الله تعالى في رابع عشري صفر سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودُفن
بترتبه بجبل قاسيون بالقرب من زاوية السيوفي .

٧٩٢ - صفية **

بنت الشيخ الإمام العالم المحدث مجد الدين أحمد بن عبد الله بن المسلم بن حماد بن
ميسرة الأزدي ، أم محمد ، وتدعى ست الشام .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : رَوَتْ لنا عن أصحاب ابن عساكر ^(١) ، ويحيى
الثقفي ^(٢) وغيرهما .

وكانت امرأة صالحة مباركة . قصدت الحج فماتت بمدينة الرسول ﷺ ، وصُلِّي
عليها بالحرم الشريف ، ودُفنت بالبقيع ثاني عشري ذي القعدة سنة أربع وسبع مئة .

ومولدها سنة سبع وأربعين وست مئة.

٧٩٣ - صفية بنت الإمام شرف الدين ***

= مثل هنا في (س) ، وفيها مانصه : « الصفدي : جماعة منهم : نجم الدين الخطيب حسن بن محمد ،
وابنه كمال الدين محمد بن الحسن ، ونور الدين علي بن إسماعيل ، وزين الدين عمر بن داود ، وابنه
شهاب الدين أحمد ، وأمين الدين درويش محمد بن علي الكاتب ، وسراج الدين شيخ خاتقاه سعيد
السعداء اسمه عمر » .

* لم تقف على ترجمة له .

** الدرر : ٢٠٧/٢ .

(١) بهاء الدين أبو محمد القاسم بن علي (ت ٦٠٠ هـ) السير : ٤٠٥/٢١ .

(٢) يحيى بن محمود بن سعد الثقفي (ت ٥٨٤ هـ) السير : ١٣٤/٢١ .

*** الدرر : ٢٠٧/٢ ، وذبول العبر : ٢٢٣ .

أحمد بن أحمد العمرة ، أم أحمد المقدسية ، زوج الشيخ بهاء الدين بن الغز عمر^(١) .
في الحجّة يوم الأربعاء عشري الحجّة سنة أربعين وسبع مئة ، توفيت رحها الله
تعالى .

حدثت بـ (صحيح مسلم) عن ابن عبد الدايم .

٧٩٤ - صلفاي *

الأمير سيف الدين الناصري ، من أمراء الأربعين بدمشق .
كان يسكن^(٢) جوار المدرسة القيريّة ، وهو صهر الأمير زين الدين كتبغا
الحاجب^(٣) .
وكان أميراً ديناً خيراً ، يَسْلَمُ على مَنْ يَلْقَاهُ في الطريق . وكان الأمير سيف الدين
تنكرز يحبّه ولا يفارقه في صيوده .
وتوفي رحمه الله تعالى في عشري صفر سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودُفِنَ في
مقبرة القُيُيَّبات .

اللقب والنسب

- ☆ الصفي الهندي^(٤) : محمد بن عبد الرحيم .
- ☆ ابن صف عذاره : نجم الدين محمد بن يحيى .
- ☆ ابن الصيرفي المحدث : شرف الدين حسن بن علي . ومجد الدين محمد بن محمد .
- ☆ الصيّاح : إبراهيم بن مُنِير .

(١) عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض عز الدين المقدسي ، وستأتي ترجمته .

* لم نقف على ترجمته .

(٢) في الأصل : « يدرس » ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) في الأصل : « بن الهندي » ، وأثبتنا ما في (س) .

- ☆ الصفدي^(١) : الشيخ نجم الدين الخطيب حسن بن محمد . وزين الدين الموقع
عمر بن داود . ونور الدين علي بن إسماعيل .
☆ والصفدي : الطبيب .
☆ وشهاب الدين الطبيب : أحمد بن يوسف .
☆ والصفدي : سراج عمر شيخ سعيد السعداء .

٧٩٥ - صرغتمش *

الأمير سيف الدين الناصري رأس نوبة .

كان جميل الصورة ، وصفات الحسن فيه محسولة محصوره ، مَحْيَاه كالبدْر السافر
في الظلام ، أو الشمس إذا^(٢) برزت من خلف الغمام . كتب وقراً ، وأضاف أهل العلم
وقرى ، وعمر المدرسة المعروفة به بالقاهرة^(٣) ، وجعل نجوم محاسنها في الإبداع زاهره ،
وكان يتلو القرآن على المشايخ ، ويحب أن يكون في التجويد ذا قَدَمٍ راسخ ، إلا أن
أخلاقه كان فيها شراسه ، وتَفُسُّه فيها على احتمال الأذى نَفَاسَه ، فأقدم على عزل
القضاء ، وأتبع السلطان في ذلك رضاه ؛ لأنّه كان قد انفرد بالتدبير ، وثقلت وطأته
على الدولة حتّى خَفَّ عندها ثبير^(٤) ، وسالته الأيام ، وتيقظ سعده والناس عنه نيام ،
فكان مع جماله وبَطْشُه يَغْلُو عند مَنْ يعتبره بأرشه^(٥) :

كالبدر حسناً وقد يعاوده عبّوس ليثٍ العرين في عبّده^(٦)

(١) انظر ما سلف عن الألقاب والأنساب قبل قليل .

* الدرر : ٢٠٦/٢ ، والنجوم : ٣٠٨/١٠ ، ٣٢٨ ، وتذكرة النبيه : ٢١٢/٣ .

(٢) (س) ، (خ) : « إذا هي » .

(٣) حسن المحاضرة : ٤٦١/١ ، وهي المعروفة بالصليبة .

(٤) ثبير : جبل .

(٥) الأرض : الدية ، والرشوة .

(٦) في عبده : أي في غضبه .

كأنما مبرم القضاء به من رسله وألحام من رصده
ولم يزل عالي الكعب ، مائي القلوب بالرعب في حتى أخذ ﴿ أخذته راييه ﴾^(١) ،
ولم تكن أنياب النوب عنه ناييه ، فأمسكه الناصر حسن في العشرين من شهر رمضان
سنة تسع وخسين وسبع مئة^(٢) . وكان ذلك آخر العهد به .

أول ما ورد إلى القاهرة في^(٣) جلبة الخواجة المعروف بالصواف في سنة سبع وثلاثين
أو ثمان وثلاثين وسبع مئة ، فاشتراه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بثمانين ألف
درهم ، وخلع عليه تشريفاً كاملاً بجياصة ذهب ، وكتب له توقيعاً بمساحة كثيرة في
متاجره ، فقارب^(٤) الثمن عنه مئة ألف درهم وهذا ما بلغنا ولا سمعنا به في هذه الدولة
التركية ، وأكثر ما بلغنا عن السلطان الملك المنصور قلاوون أن الملك الصالح أيوب
اشتراه بألف دينار ، ولذلك كان يعرف بقلاوون الألفي ، وكان أقباش^(٥) مملوك الإمام
الناصر قد اشتراه الإمام الناصر بخمسة آلاف [دينار]^(٦) أظنها كانت رائجا ، وهو
الدينار بستة دراهم ، أو دينار الجيش : اثنا عشر درهما^(٧) ، ومع ذلك فلم تكن
لصرغتمش صورة عند أستاذه ولا مكانة ، ومات وهو في الطباق^(٨) من جملة آحاد
المجدارية .

(١) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَابِيَةً ﴾ الحاقة : ١٠/٦٩ .

(٢) البداية والنهاية : ٢٦٢/١٤ ، والذيل التام : ١٦١ وما بعدها .

(٣) ليست في (س) .

(٤) في الأصل : « يقارب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) وهي أشبه .

(٥) قتل سنة ٦١٧ هـ ، الوافي : ٣٠٢/٩ .

(٦) زيادة من (س) ، (خ) .

(٧) دينار الجيش مسمى لاحقيقة يستعمله أهل ديوان الجيش ، فهو للأجناد دينار ذهبي كامل ، ولقبائل
المربان الكنائية والعساقل نصف دينار ، وللعربان في الغالب ثمن دينار وهو ثلاثة عشر درهماً
وثلاث . القلقشندي : ٤٣٨/٣ .

(٨) جمع طبقة ، وهي ثكنات جيوش المماليك بالقلعة .

وقد كنت يوماً عند القاضي شرف الدين النشو ناظر الخاص وقد أنعم عليه السلطان بعشر طاقات أديم طائفي ، فجاء إلى النشو يَطْلُبُها ، وما احتفل به ، وتردّد مرّات حتى أخذها ، ثمّ إنّ بقي بعد ذلك خامل الذكر إلى أيام المظفر حاجي ، فخرج مع الأمير فخر الدين أياز السلاح دارلما جاء نائباً إلى حلب وهو معه مُسَفَّرٌ حتى يقرّه في النيابة وعاد^(١) ، ثمّ إنّ جعل بعد ذلك يتقدم رتبة بعد رتبة إلى أن ورد مع السلطان الملك الصالح صالح إلى دمشق في واقعة يبيغاروس ، وتوجّه الأمير سيف الدين شيخو والأمير سيف الدين طاز إلى حلب خلفَ يبيغاروس ، وبقي هو عند السلطان في دمشق يدبّر أمره ، إلى أن عاد السلطان إلى مصر ، ولما وصلوا إليها عمل على الوزير علم الدين بن زنبور^(٢) ، وقام في أمره قياماً عظيماً ، وبالع في أمره إلى أن أمسكه وصادره ، وأخذت منه أموال عظيمة ، وقوى نفسه في أمره ، وأعاره الأميران شيخو وطاز سكتة في أمره لأنّه توجّع^(٣) ، وصمّ عليها^(٤) ، ومنها عَظَمَ ، ولم يزل إلى أن أعيد الملك الناصر حسن إلى الملك وأخرج الأمير سيف الدين طاز إلى حلب ، وبقي هو والأمير شيخو .

ولما جرح شيخو تلك الجراحة ومات منها انفرد الأمير صرغتمش بتدبير الملك ، وعظم أمره وزاد مكانة ، وعزل القضاة بمصر والشام ، وغير النواب الكبار ، وخضع السلطان له وصبر عليه وأرخصى به طول الإمهال إلى أن أمسكه في التاريخ المذكور ومعه حاجب الحجاب الأمير سيف الدين طشتمر القاسمي وملكتمر المحمّدي وابن تنكز

(١) في الأصل : « ثم وعاد » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) عبد الله بن أحمد ، ستأتي ترجمته .

(٣) أي : ظهر أمره .

(٤) في الأصل : « عليها » وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والضير عائد على الأميرين .

وطرغاي^(١) وأولاد آراي ، وجَهَز^(٢) إلى ثغر الإسكندرية ، وقضى الله أمره فيه^(٣) دون الجماعة .

وعَمَرَتلك المدرسة ، وكان يتعصّب لمذهبه كثيراً ، وبالعَ في عمارتها وزخرفها^(٤) ، وكان يؤثّر الفضلاء ويقربهم ، ويسأل عن مسائل في اللغة والفقه ، ويعظم العجم ويؤثرهم .

وكان قد انفرد بالحديث في أمر الأوقاف ، وأمر البريد في مصر والشام . وضاق الناس منه ، فما كان يركب البريد بمصر أحد إلا بعلمه ، ومنع أحداً من البريديّة أن يحمل معه دراهم وذهباً^(٥) أو قماشاً على ظهر خيل البريد ، وأمر بأن يُعتبروا في قطيا ، وزاد في هذا وأمثاله . وبالع في أمر الأوقاف ، وعمرت الأوقاف في أيامه .
ووجدتُ بخطّه في حائط المدرسة السلطانيّة بحلب مكتوباً^(٦) :

أبدأ تستردّ مآتهب الدنيا فيأليت جودها كان بخلا

وكتب : صرغتمش الناصري . فلما رأيت^(٧) ذلك عجبت من هذا الاتفاق ، فكأنّه كشف نفسه بما وقع له ، واستردّت الدنيا ما وهبته ، وأخذ السلطان من أمواله وحواصله شيئاً يعجز الوصف عنه .

(١) سترجم له للصف في حرف الطاء ، وفي الأصل : « ابن طرغاي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) (س) ، (خ) : « جهزوا » .

(٣) (س) ، (خ) : « فيه وحده » .

(٤) (س) ، (خ) : « وزخرفتها » .

(٥) (س) ، (خ) : « أو ذهباً » .

(٦) الذيل التام ، والدرر .

(٧) (س) ، (خ) : « قرأت » .

وكنت أنا قد كتبت قصيدة أمدحه بها ، لكنني ما جهّزتها إليه ، وهي :

ياهمّ لاتدخل إلى خاطري فإن لي صرغتمش الناصري
 قد زين الله الليلي به لأنّنه كالقمر الزاهري
 وكمل الله المعالي به فأصبحت في رونق باهر
 والمُلك قد أضحى به في حمى لأنّنه كالأسد الحادر
 غلّ يد الظلم وعدوانه وكفّ كفّ الخائن الجائر
 مسدّد الآراء في فعله لأنّنه ذو باطن طاهر ^(١)
 ما أبصر الناس ولم يسمعوا بمثله في الزمن الغابر ^(٢)
 سيوفه إن سلّها في الوغى كبارق تحت الدجى طائر
 يغمرها في مَهْجات العدا فتكتسي قُرب الدم المائر
 يمينه للجود معتادة قد أخجلت صوب الحيا الماطر
 فعن عطاء جوده حدّثنا واللفظ يرويهِ لنا [عن] جابر ^(٣)
 كواكب السعد له قد غدت تخدمه في الفلك الدائر
 ومذهب النعمان زاد فضله فشاع في البادي وفي الحاضر
 وزاده حُسناً إلى جماله فراق في الباطن والظاهر
 أنشأ له مدرسة حُسْنها بين الورى كالمثل السائر
 فسيحة الأرجاء قد زخرت بكلّ لَوْنٍ راقٍ للنّاظر
 رخامها مختلف لَوْنه كمثل روض يانع زاهر
 وذهنُه مُتَقَدِّ بالذكا لأنّنه ذو خاطرٍ حاضر
 وعِلْمُه زَادَ على غَيْرِه كلجّ بحر طافح زاجر

(١) (خ) : « ظاهر » .

(٢) في الأصل : « ولا سمعوا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) يقتضيهما السياق .

يسبق برق الجوّ إدراكه
يقول من يسمع ألفاظه
فوصفه أعجز كلّ الورى
إنّ الثنا في وصفه قدّ غدا
تلهو به الركبان في سيرهم
يلقى الذي يسعى إلى بابه
فالله يرعاه ولم ينسّه
لأنّه فوّض ما في نفسه

لا كأمري في جهله عاثر
« كم ترك الأول للآخر »^(١)
من ناظم القول ومن ناثر
غنيّة الوارد والصادر
لأنّه أعجوبة السامر
بنائل من جوده الغامر
عند خطوب الزمن الغادر
منه إلى المقتدر القاهر

(١) عجز بيت لأبي تمام في مدح أبي سعيد الثغري .

حرف الضاد

☆ الضفدع الخياط : محمد بن يوسف ^(١) .

٧٩٦ - ضياء الدين المعبدي *

الشيخ المشهور بالديار المصرية .

كان حسن الشكل ، ظريفاً ، فيه عفة وديانه ، وتندية ظريف ، وتنديره حلو ، وكانت له مكارم ووجاهه .

قال يوماً - وقد رأى الشيخ محمد القصار وهو في سماع يرقص - فقال له : يا قصار ، أنجست ^(٢) الخرقه . فقال له القصار سريعاً : من دَقَّك الخارج ^(٣) .

وأضافهم يوماً إنسان ؛ وأحضر لهم توتاً ، فلما أكلوه ، فرغت الضيافة ، فقال الشيخ ضياء الدين : يا جماعة ، توته ، توته ، فرغت الحدوته .

قال لي شيخنا العلامة تقي الدين قاضي القضاة السبكي : هو الذي كان السبب في ولاية الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد قضاء الديار المصرية ، وحلّف عليه بالطلاق من زوجته ابنة ... ^(٤) وأخذَه ، وطلع به إلى السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين ؛ وقال له جئتكَ بسفيان بن عيينة ، أو الثوري ^(٥) ، كما قال .

(١) عبارة (س) : « الضفدع الشاعر ، اسمه محمد .. » .

* الدرر : ٢١٢/٢ .

(٢) في الأصل و (س) : « أنجست » ، وهي ضعيفة ، وأثبتنا ما في الدرر .

(٣) أي : الخارج عن الإيقاع .

(٤) كنا في الأصل و (س) .

(٥) يريد أن يشبهه بها ، وهما ثقات رواة الحديث ، انظر ترجمتها في سير أعلام النبلاء .

وتوفي الشيخ ضياء الدين - رحمه الله تعالى - في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين
وسبع مئة بالقاهرة بزاويته بالقرب من جامع السلطان .

☆ ضياء الدين بن خطيب بيت الآبار : محتسب القاهرة ، وناظر البيارستان
المنصوري ، اسمه يوسف بن أبي بكر .

حرف الطاء

٧٩٧ - طَابَطَا*

بالتاء المهملة وبعدها ألف وباء موحدّة وطاء ثانية مهملة وألف^(١) ، الأمير سيف الدين ، والد الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي ، أحد أمراء المئين مقدّمي الألوّف بحلب وبدمشق .

كان رجلاً أميناً ، غزاً غتياً ، لا يعرف ما الناس فيه ، ولا يدري الفرق بين الحليم والسفيه ، ذاق فقد مثل ذلك الولد ، وعدم الصبر عليه والجَلْد ، فالعجب كل العجب حياته بعده ، وكونه ماسكن فيه لحده .

لم يزل على حاله إلى أن غَصَّ بالموت ، ونصَّ عليه الفوت .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بحلب في صفر سنة خمسين وسبع مئة .

وفد على البلاد لما حظي ولده عند الملك الناصر محمد ، هو وولده ، الأمير سيف الدين أسندمر والأمير سيف الدين قراكرز .

ولم يزل إلى أن خرج ولده يلبغا إلى حماة نائباً ، فخرج هو وأولاده^(٢) ، ولما توجه يلبغا إلى حلب نائباً ، توجهوا معه ، وصار هو أمير مئة مقدّم ألف ، وأولاده أمراء . ولما جاء يلبغا نائباً إلى دمشق ، حضروا معه ، ولما جرى له ما جرى وهرب هربوا

* الوافي : ٣٧٧/١٦ ، والدرر : ٢١٣/٢ ، والمنهل الصافي : ٣٥٨/٦ .

(١) في (س) و (خ) : « وبعدها ألف » .

(٢) في (س) : « وأولاده أمراء » .

معه ، ولما أمسك بجماة أمسكوا ، وقيد هو وولده يلغا ، وجُهِزاً^(١) إلى مصر ، فلما وصلا إلى قاقون ، تلقاهما الأمير سيف الدين منجك ، وأطلعهما إلى قلعة قاقون ، وأفرد كلَّ منهما^(٢) عن الآخر ، ثم إنه أركب الأمير سيف الدين^(٣) على البريد ، وجُهِز إلى مصر ، وأما ولده يلغا فخنق ، وحزَّ رأسه ، وجُهِز بعده .

ثم إن طابطا جُهِز إلى الإسكندرية ، ولما تولَّى الملك الناصر حسن بعده^(٤) ؛ أفرج عنه ، وأطلقه ، وكان مدة مقامه في الحبس ثلاثة أشهر تقريباً ، وأفرج عنه في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة . ثم إنه جُهِز أميراً إلى حلب ، فأقام بها إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في التاريخ المتقدم .

٧٩٨ - طاجار *

بالطاء المهملة وبعد الألف جيم وألف بعدها راء ، الأمير سيف الدين الدوادار المارداني الناصري .

كان شكله مليحاً ، ووجهه صبيحاً ، مسترسل شعر الذقن في سواد ، خفيف الحركة ، لا يلحقه جواد^(٥) ، وكان يغلب عليه اللعب واللهو ، والانشراح والزهو ، لا يؤثر على الرقص شيئاً ، ولا يتخذ غير ظله فيئاً ، على أنه مكَّنه أستاذة تمكيناً كثيراً ، وأحلَّه من الدولة محلاً^(٦) أثيراً ، ركَّبه في البريد إلى الشام مرات ، وتلقاه الناس بالخدم والمبرات ، وحصل مالا جزيلاً في مدة قريبه ، واقتنى أشياء من كل صنف عجيبه .

(١) في الأصل : « جهز » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

(٢) في (س) ، (خ) : « منها » .

(٣) في (س) ، (خ) : « سيف الدين طابطا » .

(٤) في (س) ، (خ) : « بعد المظفر » .

* الوافي : ٣٧٨/١٦ ، والدرر : ٢١٣/٢ ، والنجوم : ٧٥/١٠ ، والمنهل الصافي : ٣٦٠/٦ .

(٥) في (س) ، (خ) : « الجواد » .

(٦) في (س) ، (خ) : « مكاناً » .

ولم يزل في لهوه ومجونه ، وعدم تثبته وسكونه ، إلى أن راح فين راح ، ونفضت من أمره الراح ، في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

وكان الأمير علاء الدين ألتنبغا المارداني الذي تقدم ذكره هو في خوشداه الذي نبّه عليه ، وأشار بإصبعه إليه ، فقربه السلطان ، وولاه الدوادارية بعد انفصال الأمير سيف الدين بغا الدودار ، على ما تقدم في ترجمة بغا ، بعناية القاضي شرف الدين النشو ناظر الخاص وعناية القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، لأنه كان صغيراً وكَرِهَها سيف الدين بغا ، وتوها أنه يكون طوعاً ما يختارانه ، ويحاولانه منه ، فإكان إلا أن تقدم ، وذاق طعم الوظيفة ، فعاملها بضد ما توهما فيه ، وأملاه منه ، وأمره السلطان طبلخاناه ، وقال له : واللك ياطاجار ، ما كان دودار أمير مئة قط ، وأنا أعطيك إمرة مئة ، فاجعل بالك مني ، واقض أشغالك في ضمن أشغالي ولا تقض أشغالي في ضمن أشغالك ، وإذا دفع إليك أحد شيئاً من الذهب برطيلاً ، احمله إلى كاتبني النشو .

وجَهَّزه السلطان مع الأمير سيف الدين طشتمر الساقى إلى صفد ، ليقرّه في النيابة ، فأعطاه ، على ما قيل ، مئة ألف درهم ، وجاء من صفد إلى عند الأمير سيف الدين تنكز ، فأعطاه جُملة ، وكان تنكز في مرج الغسولة ، فلما رأى خام الأمير سيف الدين تنكز ، قال : والله هذا الخام ما هو للسلطان . فبلغ ذلك تنكز ، وكان سبب الوحشة بينها .

وكان تنكز إذا طلع إلى المرج ، يأخذ حريمه معه ، وهن تسع جوارٍ موطوءات ، كلّ واحدة ببيتها وخدمها وجوارياها ، ويضرب عليهن شقة كبيرة يحشر خامهن فيها ، ثم إنه بعد ذلك حضر إلى الشام خمس ست^(١) مرات ، وقد ذكرت في ترجمة تنكز ما اتفق له ، عندما جاء إليه قبل إمساكه ، ومادار بينها ، ثم إنه جهّزه للسلطان صحبة الأمير سيف الدين بشتاك ، لما حضر للحوطة على موجود تنكز ، وعاد إلى مصر ، فلما توفي السلطان الملك الناصر ، تمكن من ولده الملك المنصور أبي بكر ،

(١) ليست في (خ) .

فيقال : إنه هو الذي حَسَّن له الفتك بقوصون ، ولما شعر قوصون بذلك ، خلع المنصور ، ورتب أخاه الأشرف كُجك ، وأمسك طاجار وجماعة ، وجهَّزهم إلى إسكندرية ، فقتل طاجار مع بشتاك .

وكان كثير اللعب يخرج من قدام السلطان ، وينزل إلى القاهرة ، ويعمل سماعاً ، ويرقص ، إلى أن يجيء وقت الخدمة ، فيطلع إلى القلعة .

وكان عليه في الرقص خفة وحركة وروح ، وما تقرب إليه عماد الدين بن الرومي ^(١) بشيء غير الرقص .

وكان إذا ساق في البريد في مهم السلطان ينام طول ليله ، ويقوم بكرةً ، فيركب خيل البريد الجياد ، ويسوق مشواراً واحداً من المركز إلى المركز ، فإذا وصل المركز ، ونزل ، قال للماليكه : صققوا . فيصققون له ، ويرقص إلى أن يشدوا له الخيل فيركب ، ويفعل ذلك ^(٢) من باب مصر إلى باب دمشق ، وكذا إذا عاد .

وكان بشتاك يحطّ عليه ، ويكرهه ، ويندب عليه قدام السلطان ، ولما أمسك حُمِل من بيته إلى القلعة ستة صناديق مملوءة ذهباً ، وكان السلطان قد زوجه ابنة الأمير علاء الدين مغلطاى الجمّالي الوزير ^(٣) ، وكانت أولاً زوج الأمير خضرا بن الأمير علاء الدين الطنبغا نائب حلب والشام .

وطاجار هو الذي عمّر الخان الذي في جينين الذي ليس على درب مصر مثله بشد نجم الدين بن الزبيق ، وعمّر الحوض ^(٤) السبيل الذي في طريق غزة .

(١) إبراهيم بن أحمد بن محمد المراغي (ت ٧٤٥ هـ) ، وفيات ابن رافع : ١٢١/١ .

(٢) في (خ) : « ذلك مراراً » .

(٣) (ت ٧٣٠ هـ) ، واسمه في الوافي : « علي الدين ! » .

(٤) في (خ) : « الخواص » ، تحريف .

٧٩٩ - طاز*

بعد الطاء المهملة والألف زاي ، ابن قُطْعَاج ، بضم القاف وسكون الطاء المهملة وبعدها غين معجمة وألف وجيم . الأمير سيف الدين أمير مجلس .
أول ما اشتهر ذكره في أيام الصالح إسماعيل .

وهو شكل تام طويل ، نبيه نبيل ، شجاع بَطْلٌ ، إذا أعمل فِكْرَهُ خَمَلَ معه الكيدُ من عدوّه وبطلٌ ، حَرَّ النفس والطباعُ ، ما لازم شَيْتِه التي هو عليها من الرضاغُ ، أَبِي الهَمّة ، قويّ العَزْمَة ، بريء من التهمة ، حمل عسكر مصر بعِدِّه وآلاته ، وخبوله التي تُرَبِّطُ في اصطبلاته .

ولم يزل أميراً إلى أن خَلَعَ الكامل شعبان ، وأقيم المظفر حاجي^(١) ، فكان هو أحد الأمراء الستة أرباب الحلّ والعقد .

ولما خَلَعَ المظفر ، وأقيم السلطان الملك الناصر حسن^(٢) زادت وجاهته وحرّمته .

وهو الذي أمسك الأمير سيف الدين يَبِغاروس في طريق الحجاز .

وهو الذي أمسك الملك المجاهد سيف الإسلام علي بن المؤيد هزبر الدين داود صاحب الين^(٣) ، وأحضره إلى مصر .

وهو الذي قام في نوبة الملك الناصر حسن لما خَلَعَ^(٤) وأجلس الملك الصالح صالح على كرسيّ الملك .

* الوافي : ٢٨٣/١٦ ، والدرر : ٢١٤/٢ ، والنجوم : ١٥/١١ ، والذيل التام : ١٩٤ ، والنهل الصافي : ٣٦٢/٦ ، وإعلام النبلاء : ٣٥٢/٢ وما بعدها .

(١) سنة (٧٤٧ هـ) ، انظر : البداية والنهاية : ٢١٩/١٤ وما بعدها .

(٢) في رمضان سنة (٧٤٨ هـ) .

(٣) (٧٦٤ هـ) ، والدرر : ٤٩/٣ .

(٤) سنة (٧٥٢ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٣٧/١٤ . وانظر النهل .

وهو الذي قام على الأمير علاء الدين مغلطاي أمير آخور^(١) ، والأمير سيف الدين منكلي بغا الفخري^(٢) ، لما ركبا إلى قبة النصر ، وخرجا على الملك الصالح بعد أربعة أيام ، وهرب الصالح ، ودخل إلى والدته ، فدخل الأمير طاز إليها ، والتزم به لها ، واخذها ، وركبته ، وتوجه به ، ورزقها الله تعالى النصر .

وهو الذي سعى في إخراج الأمراء المعتقلين الذين أسكوا في نوبة الوزير منجك ، وبدا منه كل خير ، ونصره الله في كل موطن .

وكان في درب الحجاز يلبس عباءة وزربولاً ، ويخفي نفسه ، ويدخل في طلب بيبغاروس ، ويتجسس على أخباره . ولما خرج بيبغا من الحبس ووصل إلى حلب نائباً ، وحدثته نفسه بالخروج على الدولة ، وفشا هذا الأمر وزاد ، ووصل بيبغاروس إلى دمشق ، جهز^(٣) قتلوبك الفارسي إلى الأمير سيف الدين أرغون الكاملي ، وهو على لده ، يقول له^(٤) : ما لي غريم دون المسلمين والسلطان إلا أنت وطاز ، ولما بلغ ذلك إلى الأمير سيف الدين طاز قال : قد رُضيتُ . وسير إليه يقول^(٥) : أنا أمسكتك في درب الحجاز ، وحججت بك ، وما مكنت أحداً من أذاك ، وأخرجتك من الحبس ، وأعطيتك نيابة حلب ، وأنت تعرفني جيداً ، وأنا واصل إليك ، إن أردت بارزتك وحدي ، وإن أردت أنا وطلبي وأنت وطلبك ، وما حاجة إلى قتال المسلمين وسفك دمائهم . ولما وصل الأمير سيف الدين طاز إلى غزة ، ثم اجتمع بالأمير سيف الدين أرغون الكاملي ، وتوجها إلى جهة بيبغاروس ، وبلغه الخبر ، هرب ، وتفرق شمل من كان معه من العساكر ، وساقا وراءه إلى حلب ، وهرب هو إلى الأبلستين . وقلت أنا في ذلك :

(١) ستأتي ترجمته .

(٢) البداية والنهاية : ٢٤٠/١٤ .

(٣) في الأصل : « وجهزا » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٤) ليست في : (س) ، (خ) .

(٥) في (س) ، (خ) ، والوافي : « يقول له » .

قلت إذا يبيغا أراد خروجاً وهو يدري غريمة في الحجاز
يبيغا يبيغا طُوِيَّرَ ضعيف . وعليه من طاز قد طاربازي^(١)

ثم إن الأمير طاز عاد هو والأمير سيف الدين شيخو [إلى دمشق]^(٢) ، وأخذ
السلطان الملك الصالح ، وتوجها به والعساكر المصرية إلى القاهرة ، واستقرّوا بها^(٣) ،
وجرى بعد ذلك لبيغا وأحمد الساقى وبكلمش ما جرى ، على ما تقدم في ترجمتهم .

ولم يزل الأمير سيف الدين طاز على حاله إلى ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبع
مئة ، فخلع الملك الصالح ، وأعيد الملك الناصر حسن إلى الملك ، ورسم للأمير سيف
الدين طاز بالخروج إلى حلب نائباً ، فخرج إليها ، وأقام بها^(٤) إلى أن ورد المرسوم عليه
على يد الأمير سيف الدين منكلي بغا الناصري بحضوره إلى الباب الشريف على البريد
في عشرة سروج ، وذلك في أول سنة تسع وخمسين^(٥) ، فأقام بحلب يومين ثلاثة ، ثم إنه
خاشن الأمراء ، وأمسكهم ، ورسم عليهم ، ثم^(٦) أفرج عنهم بعد ما حوَصِر من القلعة ،
وركب في جماعته وطُلبه ملبسين ، وحضر إلى القطيفة ، وعسكر طرابلس وحماة
وحلب وجماعة من دمشق يسرون خلفه منزلةً بمنزلة ، وخرج ملك الأمراء أمير علي^(٧)
بن بقي من عسكر دمشق لابني السلاح ، وقعد له على خان لاجين ، فترددت الرسل
بينهما ، وآخر الأمر حلف له أمير علي نائب الشام على تمكينه من التوجه في عشرة
سروج إلى باب السلطان ، وتوجّه إلى الكسوة ، وهناك قيّد ، وتوجّه^(٨) به منكلي بغا ،

(١) هنا تنتهي ترجمة (طاز) في الوافي .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) .

(٣) سنة (٧٥٣ هـ) ، والبداية والنهاية : ٢٧٦/١٤ ، وبدائع الزهور : ٥٤٣/١١ .

(٤) البداية والنهاية : ٢٥١/١٤ .

(٥) البداية والنهاية : ٢٥٨/١٤ - ٢٦٠ .

(٦) في (خ) : « ثم إنه » .

(٧) هو الأمير علاء الدين أمير علي المارداني (ت ٧٧٢ هـ) ، الدرر : ٧٧/٣ .

(٨) في الأصل : « وجّه به » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وأمسك إخوته ، واعتقلوا في قلعة دمشق وفي قلعة صفد ، وتوجهوا به إلى الكرك ، وتوجهت أمّه إليه وأمّ ولده موسى ، وولده ، ولم يضيّق عليه بالكرك .

ثمّ إنه بعد إمساك صرغتمش في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وسبع مئة رسم السلطان بنقله من الكرك إلى إسكندرية ، فاعتقل بها^(١) ، وكخله^(٢) وهو في حبس الإسكندرية ولم يزل على حاله معتقلاً إلى أن خلّع الملك الناصر حسن ، وجرى له ماجرى فأفرج عنه في أول دولة الملك المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجي^(٣) بتدبير الأمير سيف الدين يلغا الخاصكي ، يقال : إنه أنعم عليه بمئة ألف درهم وقماش كثير فاختر أن يكون مقيماً بالقدس ، فوصل إلى القدس فيما أظن في أوائل شهر رجب الفرد سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، ثمّ إنه جهز إلى دمشق ، وفي مستهل المحرم سنة ثلاث وستين وسبع مئة حضر له بُرْلُغ^(٤) مكتوب بالذهب مزمك بأن يكون طرخانا^(٥) على عادة الأمير منجك ، يقيم في أي مكان^(٦) اختاره من الشام .

وكان^(٧) قد ورد إلى دمشق في أواخر سنة اثنتين وستين ، ونزل بالقصر الأبلق ، وتوجه ملك الأمراء أمير علي لتلقيه ، وكان هو قد عرّج عن الطريق ، فلم يلقه ، وحضر طاز إلى دار السعادة ، فلم يلق ملك الأمراء ، فعاد إلى القصر ، وتوجه ملك الأمراء إليه . وسلم عليه ، ثمّ إنه سكن في الدار التي للأمير سيف الدين تنكز المعروفة بدار الذهب ، وأقام بها مدة إلى أن مرض ، وانتقل إلى القصر الأبلق ، وطوّل فيه ،

(١) زاد في (خ) : « وبقي مدة » .

(٢) في المنهل : « فلما قرب من غرة أمسك وأرسل إلى الكرك فحبس بها ، ثمّ سمل وعمي .. » .

(٣) سنة (٧٦٢ هـ) ، انظر : بدائع الزهور : ٥٨١/١/١ .

(٤) أي : مرسوم ، وفي الأصل و (خ) و (س) : « يرلغ » ، تصحيف .

(٥) هو المتقاعد أو المّحال على المعاش .

(٦) في (خ) : « موضع » .

(٧) في (س) ، (خ) : « وكان هو » .

فتوفي هناك - رحمه الله تعالى - في بكرة الاثنين عشري ذي الحجة^(١) سنة ثلاث وستين وسبع مئة ، ودُفن في مقابر الصوفية .

٨٠٠ - أبو طالب*

ابن حميد القاضي الرئيس الصدر شمس الدين بن حميد .

كان في ديوان الجيش بدمشق ، ولما طُلِبَ القاضي قطب الدين بن شيخ السلامية^(٢) إلى مصر ، حضر للقاضي شمس الدين توقيع بأن يكون ناظر الجيش عوضاً عن قطب الدين ، فباشره في يوم السبت ثاني عشري ربيع الآخر^(٤) ، فباشر ذلك مدة ، ثم حضر القاضي معين الدين بن حشيش^(٥) من الديار المصرية على الوظيفة المذكورة ، وباشر القاضي شمس الدين بن حميد عوضاً عن القاضي فخر الدين بن المنذر^(٦) في جيش دمشق ، وتوجه ابن المنذر إلى نظر جيش طرابلس .

٨٠١ - طالوت**

الصدر الرئيس تاج الدين أبو علي بن الصدر نصير الدين عبد الله بن الشيخ وجيه الدين محمد بن علي بن أبي طالب بن سويد التكريتي .

كان عاقلاً فيه خيرٌ ودين قوي^(٧) ، قُرئ في داره (صحيح) البخاري .

- (١) في بدائع الزهور : ٩٥٠/١/١ أنه توفي في ذي القعدة .
- * وفيات ابن رافع : ١٣٢/١ ، والدرر : ٢١٥/٢ .
- (٢) هو موسى بن أحمد بن الحسين ، (ت ٧٢٣ هـ) . السلوك : ٣٦٣/٢/٢ .
- (٣) عبارة (س) : « توقيع شريف من الديار المصرية بنظر الجيش » .
- (٤) في (س) : « شهر ربيع » . ولم يذكر السنة . ولعلها سنة (٧١٢ هـ) . انظر السلوك : ١١٦/١/٢ - ١١٧ .
- (٥) ١١٦/١/٢ - ١١٧ .
- (٦) هبة الله بن مسعود ، ستأتي ترجمته .
- (٧) محمد بن المنذر ، ستأتي ترجمته .
- ** الدرر : ٢١٥/٢ .
- (٧) ليست في : (س) .

وكان سمع من ناصر الدين عمر بن القواس ، وحدث عنه بدمشق وبطريق الحجاز .

وتوفي - رحمه الله تعالى - ثاني جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .
ومولده سنة ثلاث وثمانين وست مئة .

٨٠٣ - طامغار *

بعد الطاء والألف ميم وغين معجمة وألف وراء : الأمير شهاب الدين بن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، أحد أمراء المحسين بالقاهرة .

وكان يسكن على بركة الفيل بالحبيائية ، حسن الشكل ، صاحب صدقة ومعروف .

توفي - رحمه الله تعالى - في رابع عشري^(١) المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودُفن في تربتهم بالقاهرة .

وكان له أخ اسمه إبراهيم في بلاد التتار ، أعرفه ، وقد جاء مرة رسولاً من^(٢) القان بوسعيد إلى السلطان الملك الناصر قبل وفاة أخيه المذكور بقليل .

٨٠٤ - طان يَرَق **

بطاء مهملة وبعد الألف نون وياء آخر الحروف وراء بعدها قاف : الأمير سيف الدين نائب حماة .

* الدرر : ٢١٥/٢ ، والنجوم الزاهرة (و/٢٨٦ ، وفيه : « صفار » .

(١) في النجوم : « ثالث عشر المحرم » .

(٢) في (س) : « عن » .

** الوافي : ٣٨٨/١٦ ، والدرر : ٢١٥/٢ .

كان حظُّه عند المظفر قد توفّر ، ودَثْبُهُ وخطأه قد تكفّر ، لا يرى فعله إلا مليحاً ، ولا يجد وجه ودّه إلا صبيحاً ، أثيل المكانه ، أثير الاستكانه ، إذا شفع فلا يردّ ، وإذا منع فلا يصدّ ، لا يكاد يصبر عن رؤيته ، ولا يراه يُحاول أمراً إلا فداه بمُهجّته ، فلذلك أغدق سحائب^(١) إنعامه ، ورَوّق له شراب إكرامه .

ولم يزل حاله عنده مُستصحّباً ، إلى أن قال له اللحد : مَرَجِبا .

وجاء الناصر حسن بعده ، فأجراه على ما اعتاد ، وسلم منه رسن المحبة له واقتاد ، وارتاح إلى تعظيمه وارتاد ، ولم يزل في أوائل الدولة الناصرية معظم الجانب ، مقدّم الوجاهة إلى قوَدِ المقانب^(٢) ، إلى أن طلع الأمير علاء الدين مغلطي من الاصطبل ، وزحف على هلاك تلك الدولة ، وضرب الطبل ، فأمسك الوزير منجك وغيره ، فأطار بالشرّ في الآفاق طيره ، وكان الأمير سيف الدين طان يرق فين أخرجه ، ووغّر خاطر السلطان عليه ، وأخرجه ، فخرج إلى حماة نائباً ، وباشراًمرها ، فأحسن إلى أهلها ذاهباً وآيباً .

أول ما ظهر من أمره أنه كان معظماً عند الملك المظفر حاجي ، وحضر في أيامه إلى حلب في البريد ، وجاء على يده كتاب من المظفر إلى الأمير سيف الدين يلبغا^(٣) نائب الشام ، يقول فيه : إننا قد تراهنا - نحن والخاصكية الأمير سيف الدين الجبيغا وغيره - أنه إن حضر إليك الأمير سيف الدين طان يرق أنك^(٤) تضربه ، وقال المشار إليهم : إنك ما تضربه ، فلا تدعنا نُغلب معهم^(٥) ، وحضر على يده كتب المذكورين أنه إن ضربه يكن خفية ، فما أمكن يلبغا إلا أن ضربه في^(٦) خفية ضرباً يسيراً خفيفاً .

(١) في (س) ، (خ) : « سحاب » .

(٢) جمع مقنب ، وهي جماعة الخيل والفرسان .

(٣) في (س) : « يلبغا الحيوي » .

(٤) في الوافي : « أن » .

(٥) في الوافي : « معه » .

(٦) ليست في الوافي .

ولم يزل أميراً ، ثم كبر ، وزاد عظمةً في أيام الناصر وأيام الوزير منجك ، ولما جرى ما جرى من إمساكه ، طُلب الأمير سيف الدين أسندمر العمري من حماة ، وجهز إليها الأمير سيف الدين طان يرق ، فوصل إليها في يوم الاثنين سادس عشر ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، وأخرج إلى حماة في يومه ، ولم يهل ، وأقام بحماة إلى أن رُسِمَ للأمير سيف الدين أرغون الكاملي بنبابة دمشق ، فرسم للأمير سيف الدين طان يرق بالحضور إلى دمشق ، والإقامة بها بطالاً ، فوصل إليها في شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأقام بها بطالاً لازماً بيته .

ولما تحرك بيبغاروس ، وأراد الحضور إلى دمشق وتوجّه أرغون الكاملي بالعساكر إلى لُد أخذ^(١) الأمير سيف الدين طان يرق معه ، وكتب إلى السلطان في معناه ، فجاء الأمير عز الدين طَقْطَاي الدوادار إلى لُد ومعه تقليد للأمير سيف الدين طان يرق بنبابة حماة ، وتشريفه ، فلبسه هناك ، وأقام إلى أن حضر السلطان ، ودخل إلى دمشق مع الأمير سيف الدين طان يرق وأرغون الكاملي ، وتوجّه معهم إلى حلب . ولما عادوا من حلب ، قعد هو في حماة مباشراً نيابتها ، وذلك في أواخر شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة^(٢) . ولم يزل بها نائباً إلى أن خلع الملك الصالح صالح ، وأعيد الملك الناصر حسن إلى الملك ، فخرج الأمير سيف الدين طبجق لإحضار الأمير سيف الدين طان يرق من حماة ، والتوجه به إلى مصر ، ولما وصل إلى دمشق حضر المرسوم إلى الأمير علاء الدين أمير علي نائب الشام ، بأنه يؤخّر طان يرق بدمشق ، ويدعه مقيماً بها ، فأقام بها حسباً رَسِمَ به ، ثم إنه أعطي إقطاع الأمير سيف الدين قُردم^(٣) وتقدمته ، لما توفي بدمشق في التاريخ الذي يذكر في ترجمته .

(١) عبارة الوافي : « توجّه أرغون وأخذ » .

(٢) هنا تنتهي ترجمة طان يرق في الوافي .

(٣) ستأتي ترجمته .

وتوجه الأمير سيف الدين طان يرق إلى الحجاز في سنة ست وخمسين وسبع مئة ، وعاد إلى دمشق ، فأقام بها ، ثم ورد المرسوم بإمساكه في سنة تسع وخمسين وسبع مئة ، واعتقل بقلعة دمشق مدة من الأشهر ، ثم ورد المرسوم بالإفراج عنه ، وبقي بطالاً بدمشق . ثم ورد المرسوم بتجهيزه في صفد ، فتوجه إليها ، وأقام بها ، إلى أن أمسك في أواخر سنة تسع وخمسين أو أوائل سنة ستين ، وجّهز إلى الإسكندرية مع جملة من أمسك ، فأقام في الاعتقال إلى أن خلع الملك الناصر حسن بن محمد ، وجرى له ماجرى ، فأفرج عنه ، وأنعم عليه بمبلغ مئة ألف درهم - على ما قيل - وبخيل وبقاش ، وأعطى إمرة مئة وتقدمة ألف فارس^(١) بدمشق - ووصل إلى دمشق في بكرة الجمعة سادس شعبان سنة اثنتين وستين وسبع مئة . وجرى ليبيدمر نائب الشام ماجرى من الخروج على يلبغا^(٢) ، فلازمه ، وتوجه معه بالعسكر إلى غباغب ، وجاءهم الخبر بهروب منجك وكسرتة ، فعادوا إلى دمشق .

ولما بات ما أصبح له صباح في دمشق ، وتوجه هو وتومان تمر نائب طرابلس إلى نحو يلبغا ، وحضروا معه إلى دمشق ، ورسم له السلطان نيابة حماة ، فتوجه إليها ، وهذه النيابة الثالثة وذلك في شوال^(٣) سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، ولم يزل على حاله^(٤) في نيابة حماة إلى أن ورد الأمير ناصر الدين محمد العمري من مصر متوجهاً إليه ليأخذه من نيابة حماة ، ويتوجه به إلى طرابلس ، ليقم بها أميراً وذلك في أول المحرم سنة أربع وستين وسبع مئة .

(١) ليست في (خ) .

(٢) انظر البداية والنهاية : ٢٨٠/١٤ وما بعدها .

(٣) في (خ) : « أوائل شوال » .

(٤) قوله : « على حاله » ليست في (س) .

الألقاب والنسب

☆ الطباخي : نائب حلب الأمير سيف الدين بلبان .

☆ ابن الطبال الحنبلي : عماد الدين إسماعيل بن علي .

☆ ابن الطبيل : محمد بن أبي بكر .

☆ الطبري : صفى الدين أحمد بن محمد [و] ^(١) نجم الدين محمد بن محمد بن أحمد .

٨٠٥ - طُرْجِي *

بضم الطاء المهملة والراء وبعدها جيم وياء آخر الحروف : الأمير سيف الدين السلاح دار الناصري .

كان في زمن الملك الناصر محمد أمير سلاح ، كان في تلك الرّفعة الأرغونية مقدما ، وفي تلك الزمرة معظما ، له الوجاهة في الخاصكية المقربين ، والتقدم في الأمراء المدربين ، وخوشداشيته كلهم كتف ^(٢) واحده ، ويد أناملها في البطش متعاضده .

ولم يزل في جاهه المتنع ، وعزه الذي هو مُتَرَفَّة مُتَرَفَّع ، إلى أن طرح طُرْجِي في قبره ، وعز على ذي قرابته معالجة صبره .

وتوفي - رحمه الله تعالى - هو والأمير سيف الدين منكلي بغا السلاح دار في جمعة واحدة في شهر ربيع الأول أو الآخر سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

وفي هذه المدة القريبة ورد الخبر بوفاة الأمير سيف الدين أرغون الدوادار نائب

(١) زيادة من (س) يقتضيتها السياق .

* الوافي : ٤٢٣/١٦ ، والدرر : ٢١٦/٢ ، والنجوم : ٢٨٧/٩ ، والمنهل الصافي : ٢٧٨/٦ ، وتذكرة النبیه : ٢١٣/٢ وفيه « طرشي » .

(٢) في (س) : « كف » .

حلب ، وكان خواشداشهما ، فقال السلطان الملك الناصر : لا إله إلا الله ما هذه إلا آجالٌ متقاربة . وتوهم الناس شيئاً في هذا الأمر ، والله أعلم لحقيقته .

٨٠٦ - طُرْجِي *

الأمير سيف الدين أخو الأمير سيف الدين أرغون شاه .

لَمَّا توفي الأمير عز الدين أيدير الطوماري والي الولاية بالصفقة القبلية كتب أرغون شاه إلى السلطان^(١) ، وسأل أن تكون طبلخاناه المذكور لأخيه ، فأجيب إلى ذلك ، ثم توفي الأمير نور الدين علي بن حسن بن الأفضل^(٢) ، فأعطي طبلخانته ، وكان مقيماً في الديار المصرية ، فوصل على الإقطاع المذكور^(٣) إلى دمشق في إحدى الجماديين سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، وأقام بدمشق . فلَمَّا مات الأمير سيف الدين قرايغادادار أرغون شاه كان حوله يَمْرُضُه ، وأسند وَصِيَّتَه إليه ، فمات بعده بخمسة^(٤) أيام بَصَقَ دَمًا ومات^(٥) [في شوال]^(٦) سنة تسع وأربعين وسبع مئة [في طاعون دمشق ، رحمه الله تعالى]^(٧) .

☆ ابن طرخان : شمس الدين محمد بن أبي بكر .

* الوافي : ٤٢٣/١٦ ، والدرر : ٢١٦/٢ .

(١) قوله : « إلى السلطان » ، ليس في (خ) .

(٢) ستأتي ترجمته .

(٣) في الأصل « المذكورة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٤) في الأصل : « فمات بعد خمسة أيام » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

(٥) في الأصل و (س) و (خ) : « ومات بعد يومين » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٦) زيادة من (س) ، (خ) .

(٧) زيادة من (س) ، (خ) .

٨٠٧ - طرغاي*

الأمير سيف الدين الجاشنكير الناصري .

أصله من ممالك الطبّاخي^(١) ، وهو خوشدّاش الأمير علاء الدين أيذغمش .

كان ساكناً عاقلاً ، إلى المواعدة راكناً ، ليس في شيء من الشر وإن هان^(٢) ، ولا من يَدَقُّ^(٣) على جريح وإن ظهر له البرهان .

ولم يزل معظمها في بيت السلطان ، وسعادتته متواصلة الأسطمان ، إلى أن أخرجه السلطان لنياية حلب ، وأمسك بقرون حماة وحلب ، ودخل حلب في ربيع الأول أو أول ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، ولم يزل فيها^(٤) مقيماً على حاله إلى أن أمسك الأمير سيف الدين تنكز ، وصار في مصر ، فعزله السلطان من حلب ، وعزل نواب الشام أجمعين ، فتوجه إلى مصر ، وأقام بها إلى أن توفي الأمير سيف الدين آروم بغا نائب طرابلس ، فأخرجه الملك الصالح إسماعيل إلى طرابلس نائباً في شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، فأقام بها نائباً ، إلى أن داناه الحين فاجتاجه ، واستقى^(٥) رَوْحَهُ من بئر جَسَدِهِ ، وامتاحه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سادس شهر رمضان سنة أربع وأربعين^(٦) وسبع مئة .

* الوافي : ٤٢٥/١٦ ، والدرر : ١١٦/٢ ، وإعلام النبلاء : ٣٢٢/٤ وما بعدها ، والنجوم : ١٠٧/١٠ ، والمنهل الصافي : ٣٧٩/٦ ، وتذكرة النبيه : ٥٦/٣ . « وطرغاي : اسم طير باللغة التركية » . (المنهل) .

(١) سيف الدين بلبان ، ترجم له المصنّف في حرف الباء .

(٢) يشير إلى قول قريظ بن أنيف :

لكنّ قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

(٣) دَقَفَ على الجريح : أجهز عليه .

(٤) في (س) : « بها » .

(٥) في (س) : « واستقى » .

(٦) في المنهل : سنة ثلاث وأربعين .

وحضر بعده إلى طرابلس نائباً الأمير شمس الدين آقسنقر .

اللقب والنسب

☆ طرنا : نائب صفد ، الأمير سيف الدين بلبان .

☆ ابن الطراح : قوام الدين الحسن بن محمد .

☆ الطرقجي : الأمير علم الدين سنجر .

٨٠٨ - طرنطاي *

الأمير حسام الدين البشمقدار .

حضر إلى الشام [على ^(١)] البريد هو والأمير سيف الدين تنكز نائب الشام والأمير سيف الدين أرقطاي في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين عشرة وسبع مئة .

كان بدمشق حاجبا ، وحبّه على القلوب لإحسانه واجبا ، ولم يزل عند تنكز في غاية العظمة ، وأمور الدولة به منتظمة ، إلى أن وقع بينهما في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة فزال تلك الألفه ، والتحت بالوحشة تلك ^(٢) التحفه ، وعزله من الوظيفة ، وأنزله من تلك الرتبة المنيفه ، ولم يكن بدمشق في آخر وقت أحسن منه حالا ، ولا أوسع أملاكاً وأكثر ^(٣) أموالا ، إقطاع في الكثرة مطاع ، وحواصل لا يصل إليها الاقتطاف ^(٤) بالاقتطاع ، وممالك كأنهم الكواكب ، وجند إذا ركبوا زانوا المواكب .

- * الوافي : ٤٣٠/١٦ ، والدور : ٢١٧/٢ ، وإعلام الوري : ٣١ ، والنهل الصافي : ٣٨٨/٦ .
- (١) زيادة من (س) و (خ) ، والوافي .
- (٢) في الأصل : « بعد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهي أشبه .
- (٣) في (س) ، (خ) : « ولا أكثر » .
- (٤) في الأصل : « إلا فطلق » ، ولعلها تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ولم يزل ينتقل من مصر إلى الشام إلى غزة إلى حمص إلى أن حُسم حُسامه ، وأن اقتسار جَسده بالبلى واقتسامه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بكرة الجمعة خامس شعبان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وقد عدَّى السبعين .

وحدث عن عيسى المطعم وغيره^(١) .

وكان بدمشق أميراً بعد ما عَزَلَ من الحجويّة ، فلما ورد الأمير علاء الدين الطنبيغا إلى دمشق نائباً ، كان عنده مكين المنزلة ، خاصاً به ، ولما توجّه بالعسكر إلى حلب وراء طشتر حمص اخضر ، كان هو المشير المدبّر الحال العاقد ، وتنكّر^(٢) له الفخريّ كثيراً ، فلما هُزم الطنبيغا ولّاه الفخري نيابة حمص .

ثم إنّ السلطان الملك الصالح في أول مُلكه أعطاه نيابة غزة ، فتوجه إليها في خامس عشري شهر رجب الفرد سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، وأقام بها نائباً سنة أو^(٣) أزيد بقليل ، ثم طلبه إلى الديار المصرية ، فتوجّه إليها في شعبان سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وأقام بها حاجباً .

ولما أنّ توفي الأمير علم الدين الجادلي أُعطي إقطاعه وكان إقطاعاً كبيراً ، فأقام بمصر حاجباً كبيراً ، وكان منجمعاً ، لا يُدرى به ، ولا يَدْرأ شيئاً ، إلى أن توفي الصالح^(٤) ، فأخرج إلى حمص نائباً على البريد ، عوضاً عن الأمير سيف الدين إياز الساقى ، ووصل إلى دمشق ، وتوجه إلى حمص^(٥) على البريد ، فوصل المرسوم بأن يَرَدّ

(١) قوله : « وحدث » حتى ههنا ليس في (خ) .

(٢) في (س) : « وشكر » . وهي أشبه بالسياق .

(٣) في الأصل : « وأزيد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

(٤) في الوافي : « الصالح إسماعيل » .

(٥) في الأصل : « مصر » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

إلى دمشق ، ليقم بها^(١) ، ويتوجه الأمير سيف الدين قُطْلُقْتُمَر الخليلي الحاجب بدمشق^(٢) ، فَرَدَّ الأمير حسام الدين من منزلة القسطل ، أو يَرِيح العطش^(٣) ، فعاد ، وأقام بدمشق أميراً مدة يسيرة .

ثم لما أُمسك الأمير سيف الدين الملك النائب بصفد جَهَّز نائب غزة الأمير سيف الدين أراق إلى صفد نائباً ، ونقل الأمير سيف الدين أُولَاجَا من نيابة حصص إلى نيابة غزة [وجهز الأمير حسام الدين البشمقدار إلى نيابة حصص]^(٤) ، فأقام بها مدة يسيرة . ولما بَرَزَ الأمير سيف الدين يَلْبُغا اليحوي إلى ظاهر دمشق في أيام الكامل ، كان الأمير حسام الدين أول من جاء إليه ، وهو في مِحْفَةٍ ، ولما وُلِّيَ السلطان^(٥) الملك المظفر استمرَّ به في دمشق .

ولم يزل بها أميراً مقدّم ألف ، إلى أن توفي في التاريخ المذكور - رحمه الله تعالى - ولم يُخَلَفْ ولدًا غير ولده الأمير علاء الدين علي [أحد]^(٦) أمراء الطبلخانات .

٨٠٩ - طَرْنَطَاي *

أحد أمراء العشرات بدمشق ، الأمير حسام الدين الجوكنداري .

أول ما علمت من أمره أن الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - ولّاه مدينة غزة والبرَّ بها في خامس شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ثم إنه جاء من

(١) في الوافي : « بها نائباً » .

(٢) عبارة الوافي : « بدمشق نائباً إلى حصص » ، وستأتي ترجمة قطلقتر في موضعها .

(٣) وكلاهما قرب دمشق . وفي الوافي : « برج العطش » .

(٤) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .

(٥) في الوافي : « السلطنة » .

(٦) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .

* الدرر : ٢١٧/٢ ، ولم تذكر سنة وفاته .

غزة ، وولاه جَعْبَر ، فأقام بها إلى أن توفي الأمير شهاب الدين أحمد بن برق ، فطلبه من جعبر ، وولاه مدينة دمشق ، وخلع عليه خلعة أمير عشرة .

وكان شكلاً حَسَنًا ، طويلًا أبيض مُشْرَبًا حمرة ، كثير المكارم والخدمة للناس ، والتقرب إليهم .

وكنت قد كتبت له توقيعاً بولاية غزة ، وسُخِّتَه .

« رَسَمَ بالأمر العالي ، لا زال يَدَّخِر لكل مِهْمٍ حُسَامًا ، وَيُطْلِع في أفق الولاية كلَّ بدر إذا غاب شهابها أخذ كَالَهُ وَأَرَبِي^(١) عليه تمامًا ، أن يَرْتَب المجلس السامي الأميري الحسامي في كذا ، سالكَ في هاتين الولايتين ما يجب لهما من الطرق التي تحمد منها العواقب ، ويظهر فيها من لمعات الحسام ما يشخص له طَرَفُ الشهاب الثاقب ، ويبيدي فيها من حسن السياسة ما يتساوى في أمنه أهلُ المراقِد والمراقب ، لما عَلِم من عُلُو هِمَّتِهِ في الأوقاف المهمة ، وَعَهْدَ مِنْ نَهْضَتِهِ في الأمور التي حراسته في جِيْدِهَا تِمَّةً وسياسته لِحُسْنِهَا تَتِمَّةً ، فليَتَوَلَّ مَأْفُوضٌ إليه ولاية تكون من الشدَّة والرفق قوامًا ، وتجلو شَمْسُ مَعْدِلَتِهِ من ألق الظلم ظلامًا ، وتُعَلِي المَحِقَّ على المُبْطِل ، فَإِنَّ له مَقَالًا وَمَقَامًا ، وليجتنبْ أخذ البريء بصاحب الذَّنْب ، وليحذرْ الميل على الضعيف الذي لاجُنْبَ له ، ويترك صاحب الجُنْب وعمارة البلاد ، فهو المَقْدَم من هذا المهم ، والمقصود بكل لفظٍ تَمَّ له المعنى أولم^(٢) يتم ، فَلْيَتَوَخَّ العَدْلَ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ للبلاد ، من صَوْبِ العِهَادِ^(٣) والسحب الماطرة ، وألذُّ لأهل القرى من ولوج الكرى في الجفون الساهرة ، فَإِنَّهُ لا غِيثَ مع الغِيثِ^(٤) ، ولا حِلْمَ مع الظلم ، وليتعمد الإنصاف بين الخصوم فما كل نارٍ ضَرَمَ ، ولا كلَّ

(١) في الأصل : « أربي » ، وأثبتنا ما في (س) ، وهي أقرب .

(٢) في (س) : « لا » .

(٣) أي : المطر .

(٤) أي : الفساد .

شحم يراه في الورى وَرَمٌ^(١) ، وَلْيَصِلْ باع من لاله إلى الحق وصول ، وليتذكر قوله عليه الصلاة السلام « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّ رَاعٍ مَسْئُولٌ »^(٢) ، فليكن تقوى الله عز وجل ركنه السَّديد ، وذُخْرُه العتيد ، وكنزه الذي يَنْمِي على الإنفاق ، وكل كنز على طول المدى يبيد ، والله يحرس سَرَحَه ، ويرعاه ، ويوفق لكل خَيْرٍ مَسْعَاه ، والاعتماد في ذلك على الخط الكريم أعلاه ، والله الموفق بمنه وكرمه . إن شاء الله تعالى .

٨١٠ - طَشْبِنْغَا*

بفتح الطاء المهملة وسكون الشين المعجمة وباء موحدة وغين معجمة بعدها ألف :
الأمير سيف الدين الدوادار^(٣) الناصري .

كان شكلاً^(٤) حسناً إلى الغايه ، ووجهه في الجمال آيه ، يكتب خطأ كأنَّ سطره جداول قد ترقرت ، أو عقود جواهر قد^(٥) تنظمت وتنسقت .

وباشر الوظيفة في المرة الأولى بصَلَف زانه لما زاد ، وأمانة فاز بها^(٦) الجُنَيْد لما قاربها أو قد كاد ، إلى أن وقع بينه وبين القاضي علاء الدين بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء ، فأُخرج إلى دمشق بطّالا ، وجرى غامٌ دمه على ما فارق من مِصْر هطّالا ، وأقام بها .

(١) هذا من أمثالهم ، وعليه جرى المتنبي في قوله :

أعيدها نظراتٍ منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورمٌ

انظر : ديوانه : ٣٦٦/٣ .

(٢) انظر : الجامع الصغير للسيوطي : ٩٥/٢ .

* الوافي : ٤٣٥/١٦ ، والدرر : ٢١٨/٢ ، والذيل التام : ١٢٢ ، والمنهل الصافي : ٣٩١/٦ .

(٣) في (س) : « الدواداري » .

(٤) في (س) : « شكله » .

(٥) ليست في : (س) ، (خ) .

(٦) في الأصل : « قاربها » ، وهي ضعيفة ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ثم أعطي إمره ، وقُدّم في دمشق على زُمَره ، وتزوج ابنة الأمير سيف الدين أيتش نائب دمشق فتعلّى ، وجاء إليه إقبالاً كان عنه تولّى ، ثم أعيد إلى الدوادارية بمصر ، فأقام فيها مدة يسيره ، وأعيد إلى دمشق على تلك الوتيره ، فأقام بها قليلاً إلى أن مُحيت آيتّه ، وانتهت من الحياة غايته .

وتوفي - رحمه الله - بدمشق ثاني عيد رمضان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

كان هذا طشبقا أولاً عند أنوك ابن السلطان الملك الناصر^(١) جداراً صغيراً ، وكان صورة بديعة الحسن ، كان أنوك - على ما قيل - يحمل سر موزة طشبقا هذا على جسده تحت قميصه ، ويقول له : يا طشبقا أنا جمدارك ، ما أنت جمداري . ثم إنّه كان دواداراً صغيراً في أيام الملك الصالح . ولم يزل إلى أن أخرج الأمير سيف الدين جُرْجي^(٢) من الدوادارية في أول دولة الملك الناصر حسن في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، فعمل الدوادارية بصلف زائد ، وضبط موقعي الدست والقصص التي تدخل إلى دار العدل والتي تخرج ، والكتب التي تكتب والتواقيع قبل دخولها في العلامة وبعدها ، فإذا تأملها أولاً وآخرأ أعطاها من يده لأربابها ، ولم يُسمع عنه في تلك المدة^(٣) أنه قبل لأحد شيئاً .

ولم يزل على حاله إلى أن وقع بينه وبين القاضي علاء الدين كاتب السر بسبب شخص من الموقعين يُعرف بابن البقاعي^(٤) ، انتصر له طشبقا ، وحضر إلى الديوان في حَفْدَتِهِ^(٥) ، وسلّ عليه السيف ، وأساء أدبه عليه ، وضربه بيده ، فتشاكيا إلى الأمراء

(١) في (خ) : « الناصر محمد » .

(٢) ترجم له المصنف في الوافي : ٦٦/١١ ، وذكر آخر أخباره سنة (٧٤٨ هـ) ، لكنه لم ينصّ على سنة وفاته .

(٣) في الأصل ، و (خ) : « المُرّة » ، وأثبتنا ما في (س) ، وهي أشبه .

(٤) في بعض أصول الدرر : « الفقاعي » .

(٥) جمع « حافد » ، وهم الأعوان والخدم .

وإلى النائب ، فرسم بإخراج الدوادار إلى دمشق ، فوصلها على البريد في يوم عيد الأضحى سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، فأقام بها مَدْيَدَةً بطالاً ، ثم أعطي طبلخاناه بدمشق ، وزوجه نائب دمشق الأمير سيف الدين أيتمش^(١) بابنته بعدما شاور السلطان والأمراء في ذلك ، وأقام بدمشق إلى أن أمسك الوزير منجك ، فطلب إلى مصر لأن الأمير علاء الدين مغلطي كان زوج أخت امرأة طشبقا ، فتوجه إليها يوم السبت ثاني عشري القعدة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، ولما دخل على السلطان أقبل عليه إقبالاً كبيراً ، وولاه الدوادارية ، وقدم المصريون له شيئاً كثيراً .

ولما جرى للأمير سيف الدين أرغون الكاملي^(٢) ماجرى ، وحضر إلى دمشق من حلب^(٣) ، أرسل السلطان طشبقا الدوادار إليه بناءً على أنه في حلب ، فوجده في الرملة متوجهاً إلى باب السلطان ، فعاد به إلى مصر ، وحضر معه إلى نيابة حلب ، فوصلا إلى دمشق في يوم الأحد بعد العصر خامس صفر سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، فأعطاه نائب حلب شيئاً كثيراً إلى الغاية وفي يوم الاثنين سابع عشري صفر توجه من دمشق عائداً إلى مصر .

ثم إنه لما جرى ماجرى ، وخلع الملك الناصر وتولى الملك الصالح أقام على الدوادارية مَدْيَدَةً ، ثم إنه حضر إلى دمشق في حادي عشري شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأقام بها بطالاً .

ومرض مدة ، ثم توفي - رحمه الله تعالى - في التاريخ المذكور .

وكان يكتب كتابة حسنة منسوبة ، وكان فيه ميل إلى الفضلاء ، كان بدمشق يسير يستعير منّي التذكرة التي لي جزءاً بعد جزءٍ يطالعها .

(١) في (خ) : « أيتمش نائب دمشق » .

(٢) عبارة الوافي : « الكاملي نائب حلب » .

(٣) في الأصل : « من دمشق إلى حلب » ، وهو سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

٨١١ - طَشْتَمُر *

الأمير سيف الدين حمص أخضر الساقى الناصري .

كان شكلاً^(١) ضخماً ، ووجهه ممتلئ^(٢) لحماً ، قد طالت مدته في الإمرة ، وجمع من أزاهر الذهب والفضة كلَّ حَضَرَه ، فزادت أملاكه ، وفت أجورها ، وعظمت خزائنه ، ومِلئت بالأموال حجورها ، إلا أنه كان عطاؤه عطاء الملوك ، وإذا جاء وهب الجواهر التي في السلوك . وفيه بُرٌّ للفقراء وإيثارٌ ، وجودٌ لهم على طول المدى مدرار ، وأمسكه السلطان مرتين ، ولم يتمكن من أذاه كَرتين^(٣) . ثم إنَّه أخرجَه إلى صفد نائباً ، فترك قُودَه لذلك الهول شائباً ، لأنه كان يَسْتَقِلُّ نيابة دمشق استكباراً وعلواً ، واستهتاراً منه وعتواً ، فأقام بها إلى أن رسم له يامسك تنكز ، فحضر إليه ، وأمسكه ، وأخذ ثأره منه وأدركه .

ثم إنَّه توجَّه إلى حلب نائباً ، بل جاء هاماً^(٤) مالكاً صاحباً ، فأظهر فيها من العظمة ما أظهر ، وأبدى فيها من البذخ ما أرمَد عُيُونَ أَهْلِهَا وأسهر .

ثم إنَّه قام في ناصر أحمد الناصر ، ورام غاية ما كانت تبعد عليه إلا أنَّ جدَّه قاصر ، فتعكَّس وهربَ إلى البلاد الروميَّة في فَصْلٍ تفاقمَ بَرْدُهُ وبَرْدُهُ ، ولم يقاوم جليده جُلْدُهُ ، وقاسَ شَقَّةَ الطريق ، وقاسى أهوالاً ، ورأى أحوالاً صَعِبَتْ عليه أحوالاً .

ثم إنَّه عاد وجعل في مصر نائباً ، ولم يدرِ أنَّ سَهْمَ القدرِ إذا أُرسِلَ كان صائباً ،

* الوافي : ٤٣٧/١٦ ، والدرر : ٢١٩/٢ ، وبدائع الزهور : ٤٩٧/١/١ ، والمنهل الصافي : ٣٩٢/٦ ، والنجوم الزاهرة : ١٠١/١٠ ، وتذكرة النبيه : ٤٦/٣ .

(١) في (س) ، (خ) : « شكله » .

(٢) في (خ) : « ممتلئاً » .

(٣) في (س) : « مرتين » .

(٤) في (خ) : « جاءها مكرهاً » ، ولعلها محرفة عن : مكرما .

فَأَمْسَكَ بَعْدَ مُدَّةٍ قَصِيرَةٍ ، وَذَهَبَ بِهِ إِلَى الْكَرْكِ وَالْعِيُونِ لَفَقْدِهِ غَيْرَ بَصِيرَةٍ ، فَقَتَلَ هُوَ وَالْفَخْرِيُّ صَبْرًا بِالسَّيْفِ ، وَتَحْيَفُهُمَا الْحَيْنَ وَالْحَيْفَ .

وَكَانَتْ قَتْلَتُهُ فِي أَوَّلِ الْحَرَمِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ .

وَإِنَّمَا كَانَ يُسَمَّى حَمَصَ أَخْضَرَ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي الطَّبَاقِ كَانَ يَأْكُلُهُ كَثِيرًا ، فَسَمَّاهُ خَوْشِدَاشَوْهَ ^(١) بِذَلِكَ .

وَكَانَ فِي طَبَقَةِ أَرْغُونِ الدَّوَادَارِ وَتِلْكَ الرَّفْعَةُ ^(٢) ، وَأَرَادَ السُّلْطَانُ مَرَّةً إِمْسَاكَه وَإِمْسَاكَ أَخِيهِ قَطْلُوبَغَا الْفَخْرِيِّ ، وَكَانَ يَدْعُوهُ « أَخِي » ، وَأَنَا شَاكٌّ فِي إِمْسَاكَ الْفَخْرِيِّ فِي ^(٣) هَذِهِ الْمَرَّةِ ، فَوَقَفَ الْحَرَافِيشُ تَحْتَ الْقَلْعَةِ ، وَاسْتَغَاثُوا ، وَدَخَلَ خَوْشِدَاشَيْتَهُ عَلَى السُّلْطَانِ ، فَأَفْرَجَ عَنْهُمَا ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا قَبْلَ لَهُ بِهِمَا .

ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا أَمْسَكَ الْأَمِيرُ سَيْفَ الدِّينِ أَرْغُونِ الدَّوَادَارِ وَجَهَّزَهُ إِلَى حَلَبٍ نَائِبًا أَمْسَكَهُمَا ، وَكَانَ الْأَمِيرُ سَيْفَ الدِّينِ تَنْكَزُ تِلْكَ الْأَيَّامِ فِي الْقَاهِرَةِ ، فَشَفَعَ فِيهَا ، فَأَفْرَجَ عَنْهُمَا ، وَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ ، هَذَا الْمَجْنُونُ - يَعْنِي الْفَخْرِيُّ - خَذَهُ مَعَكَ إِلَى الشَّامِ ، وَهَذَا الْعَاقِلُ - يَعْنِي طُشْتَرُ - دَعَا عِنْدِي . فَخَرَجَ الْفَخْرِيُّ إِلَى الشَّامِ ، وَأَقَامَ طُشْتَرُ فِي الْقَاهِرَةِ وَهُوَ مُسْتَوْحَشٌ ^(٤) الْبَاطِنُ .

وَلَمَّا تَوَجَّهَ السُّلْطَانُ إِلَى الْحِجَازِ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ كَانَ طُشْتَرُ أَحَدَ الْأُمَرَاءِ الْأَرْبَعَةِ الَّذِينَ جَعَلَهُمْ مُقِيمِينَ فِي الْقَاهِرَةِ .

وَكَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مُلِحًا حَسَنَ الصُّورَةِ ، وَكَانَ الْقَاضِي كَرِيمُ الدِّينِ يَتَوَلَّى عَمَائِرَهُ

(١) فِي (خ) : « خَوْشِدَاشَيْتَهُ » .

(٢) فِي (س) : « الدَّفْعَةُ » ، تَحْرِيفٌ .

(٣) لَيْسَتْ فِي (خ) .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « مُتَوْحَشٌ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) ، (خ) ، وَالْوَافِي ، وَهِيَ أَشْبَهُ .

بنفسه ، وهو الذي عَمَّرَ له الدار التي عند حِذْرَةِ البقر والإصطبل ، ولها تلك البوابة العظمى والربع التي ^(١) إلى جانبها التي ليس في القاهرة مثلها .

ولما جهزه إلى صفد في سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة ، استعفى وتضرّع ، وطلب الإقالة فدخل قوصون إلى المرقد ، وخرج مرتين ، وفي الثالثة قال له : بُسِ الأرض ، ولا تتكلم كلمة واحدة ، فباسَ الأرض ، وتوجّه إلى بيته ، وجَهَّزَ إليه السلطان خيولاً بسرّوجها وأنعاماً . وفي يوم الخميس أجلسه بين يديه بعد الخدمة ، وقال له : ما أَجْهَزَكَ إلى الشام إلّا لتقضي لي فيه شغلاً . وأكبَّ على رأسه ، يقبله ، وودّعه .

قلت : وكان ذلك الشغل المشؤوم إمساك تنكز . وجَهَّزَ معه طاجار الدوادار ، وقال ^(٢) : بعدما تَوَصَّلْتُ إلى صفد ؛ توجّه إلى دمشق ، وقل للأمير نائب الشام : هذا خوشداشك الكبير ، وقد صار جارك ، فراعِه ، ولا تعاملِه معاملة مَنْ تُقدم .

ومرض في صفد مرضة عظيمة ، أشرف فيها على التلف ، وعَمَّرَ له قبراً في مغارة يعقوب بصفد ، وفرغ منه ، ثم إنه عُوْفِيَ بعد ذلك .

ثم إنَّ السلطان جهز إليه للقبض على تنكز مع بهادر حلاوة الأوشاقي ، فتوَهَّم ، وظنَّ أنَّ ذلك مكيدة لإمساكه نفسه ^(٣) ، وقام من صفد المؤذن قبل انفجار الصبح ^(٤) ، وساق منها في جماعته حتى وصل إلى المِزَّة قبل ^(٥) الظهر ، وهذا سَوْقٌ عظيم لا يفعله غيره ، لأنَّ دمشق عن صفد مسافة يومين وأكثر ، ثم إنَّ الطريق محجر ووعر ، لا يتمكن الفارس أن يسوق فيه . ولما أَمْسَكَه - على ما تقدم في ترجمة تنكز - وجَهَّزَه إلى باب السلطان مقبلاً دخل إلى دمشق ، ونزل في النجيبية وحدثته نفسه بنيابة الشام ، فورد

(١) في الأصل : « الذي » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في (س) : « وقال له » .

(٣) في (خ) : « لإمساكه هو » .

(٤) كذا في الأصول . وعبرة الوافي : « فقام من صفد الصبح لما أذن ساق .. » .

(٥) في (س) ، (خ) : « قبيل » .

إليه المرسوم بالتوجه إلى باب السلطان ، فسار إليه من صفد على البريد ، ولما وصل إليه ^(١) شكره وأمر له بنباية حلب ، فورد إليها ، وأقام بها نائباً ، إلى أن خلع الملك المنصور أبو بكر ، وولي الملك الأشرف كجك ، وطلب الناصر أحمد إلى القاهرة ، فامتنع ، وجّهز الفخري لمحاصرة الكرك ، فلما بلغ ذلك طشتر قام وقعد ، وقلق لذلك قلقاً زائداً واضطرب اضطراباً عظيماً ، وقال : هذا أمرٌ ما أوافق أنا عليه أبداً ، لأننا حلفنا لأستاذنا ولأولاده من بعده غير مرة ، ولما أمسكنا تنكر ، حلفنا له ولهم ، والسلطان ^(٢) قد مات ، وهذا سيدي أحمد في الكرك ووالده أعطاه إياها ، فكيف يليق بنا - معاشر ممالكه - أن نخلع ابنه الواحد من ملكه الذي نصّ عليه ، وقرره ، ونهَجَج أولاده وحرّيه إلى قوص ، ونحاصر ولده الأكبر ^(٣) في الكرك ، أيش يقول العدو عنا ؟! وسيّر كتبه بهذه المادة ، وما جرى مجراها إلى قوصون وإلى الأمراء الكبار وإلى ألطنبغا نائب دمشق ، وتواتر منه ذلك ، وتحامل عليه ألطنبغا ، واتفق مع قوصون أنه يتوجه إلى محاربته بعسكر دمشق وإمساكه أو طرده ^(٤) ، فجرى ما ذكرته في ترجمة ألطنبغا . ولما برز طشتر من حلب ، وعلم أن ما في يده من أمراء حلب شيئاً خرج من حلب ، وترك خزانته وحواصله ^(٥) بها ، وحمل ما يقدر عليه من الذهب الفضة والحوائص وما أشبه ذلك ، ولحقه بعض عساكر حلب ، وما أقدموا عليه وجعل كلما مرّ على قلعة من حصون حلب ناوشه عسكرها القتال ، وهو يخلص من الجميع ، ودخل إلى الروم في أمطار عظيمة وثلوج زائدة ، وبقي هناك إلى أن ملك الفخري دمشق ، وانهمز ألطنبغا ومن معه إلى مصر ، على ما تقدم . وكتب الفخري إلى الناصر أحمد يطلب حضوره إلى دمشق ، فشرع يدافعه من وقت إلى وقت ، حتى فهم عنه أنه ما يحضر إلا

(١) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « فقد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) في الوافي : « الكبير » .

(٤) في الأصل : « وطرده » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

(٥) في الأصل : « وخواصه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

بعد حضور طشتر ، فجهّز الفخري البريد إلى أرتنا^(١) حاكم الروم ، واجتهد في حضور طشتر كل الاجتهاد . فلمّا كان في شهر رمضان ، وصل طشتر إلى دمشق ، وكان قد خرج من حلب في أوائل جمادى الآخرة سنة اثنتين [وأربعين]^(٢) وسبع مئة ، وقاسى في الطرقات مشاقّ ومصاعب ، ونجا من الموت مرات . ثمّ إن الفخري وطشتر توجّهوا^(٣) بالعساكر الشامية ، ولما وصلوا إلى غزة بلغهم أنّ الناصر أحمد توجّه من الكرك إلى القاهرة ، فدخلوا إلى مصر بعده ، وأقبل عليهما وقرّرا له الملك تقريراً ما فرح به غيّره ، لاجتماع العساكر بمصر والشام والقضاة بمصر والشام والخليفة ، وكان يوماً عظيماً ، قلّ أن وقع في مصر مثله ، ثمّ إنه قرّر طشتر في نيابة مصر ، وبعث الفخري إلى دمشق نائباً . فأقام وطشتر في النيابة تقدير أربعين يوماً ، وعمل النيابة بعظمة زائدة إلى الغاية القصوى ، وتحجّر على السلطان زائداً ، ومنع الناس من الدخول إليه فصر السلطان عليه ، إلى أن خرج الفخري إلى الشام ، وتوسّط الرمل ، وطلب طشتر ، فدخل إليه فأمسكه في القصر عنده ، وجهّز ألطنغا المارداني في الحال وغيره لإمساك الفخريّ ، وخرج السلطان من القاهرة ، وتوجّه إلى الكرك ، وأخذ طشتر معه معتقلاً ، وجهّز إلى ألطنغا ليجهز الفخري إليه إلى الكرك ، فوصل إليه ، وجعل الاثنين في الاعتقال بقلعة الكرك ، فأقاما مدة يسيرة ، ف قيل : إنّ السلطان بات براً الكرك ليلة ، وأنّها كسرا باب محبسها ، وخرجا منه ، وجاء^(٤) الخبر ، فأمر بإحضارها إليه ، وضرب عنقها^(٥) بالسيف صبراً ، رحمها الله تعالى .

وقلت أنا فيه ؛ لما قُتِلَ - رحمه الله تعالى - :

طوى الردى طشترأ بعدمّا بالغَ في دفع الأذى واحترسُ

(١) في الوافي : « أردناى » .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) ، والوافي .

(٣) في (س) ، (خ) : « توجّها » .

(٤) في (س) ، (خ) : « فجاءه » .

(٥) في (س) ، (خ) : « عنقيها » .

عَهْدِي بِهِ كَانَ شَدِيدَ الْقَوَى أَشْجَعُ مِنْ يَرْكَبُ ظَهَرَ الْفَرَسِ
أَلَمْ تَقُولُوا حَصّاً أَخْضَرَا تَعْجَبُوا بِاللَّهِ كَيْفَ انْدَرَسُ^(١)

وقد بسطت ترجمته في تاريخي الكبير أكثر من هذا ، وهو الذي عمّر الحاميين
الملحيين اللّذين في الزريبة بالقاهرة ، وعمّر الربع العظيم الذي في الحريريين داخل
القاهرة ، وعمّر حمّاماً حسناً بصفد ، وقال بهاء الدّين الرّهاوي لما اجتمع بالفخري في
دمشق :

قَدْ أَقْبَلَ الْفَخْرِي فِي مَوْكَبٍ أَعَزَّ أَوَّلَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَيْنِ
وَالْحَصَّ الْأَخْضَرَ فِي فَرْخَةٍ لِأَجْلِهَا صَارَ بَقْلَيْنِ

٨١٢ - طَشْتَمِرْ *

طَلَّلِيهِ ، الأمير سيف الدين ، بالطاء المهملة وبعدها لامان متحركان بالفتح
وبعدهما ياء آخر الحروف ساكنة وهاء ، إنّما عرف بهذا لأنّه كان إذا تكلم بشيء قال في
آخره : طَلَّلِيهِ ، كأنّه يغني بها .

كان من المماليك النّاصرية ، وعُظِمَ أخيراً في أيام المظفر حاجي ، وجُعِلَ أمير
سلاح ، وهو من أمراء المشوّر ، والذين يكتبون إليهم نواب الشّام قرين مطالعات
السّلاطان^(٢) .

ولم يزل في هذه الرتبة إلى أن صار ربع الحياة من طَلَّلِيهِ طَللاً ، وحُمِلَ إلى قبره
وقد نشرت الرحمة عليه طَللاً .

لأنّه توفي - رحمه الله تعالى - في طاعون مصر في شوال سنة تسع وأربعين وسبع
مئة .

(١) في المنهل ، والنجوم : « فاعجب له يا صاح كيف اندرس » . والأبيات أيضاً في التذكرة .

* الوافي : ٤٤٢/١٦ ، والدرر : ٢٢٠/٢ ، والنجوم : ٢٣٧/١٠ .

(٢) عبارة الوافي : « وكان ممّن يكتب إليه نواب الشّام قرين مطالعات السّلاطان » ، وهي أظهر .

٨١٣ - طَطَّقَ **

الأمير سيف الدين الأحدي ، نسبةً إلى الأمير رُكن الدّين بيبرس الأحدي ؛ أمير جاندار ، وقد تقدّم ذكره في مكانه .

كان عارفاً خبيراً ، درباً بالأُمور لا مَن لا يعرف قبلاً ولا دبيراً ، يكتب فيكتب حُسَّادَه ، ويقرأ فيقرأ ويعلو أضداده ، استراح به أرغون الكامل مدة نيابته لما كان له دوداراً ، ورأى من العز والعظمة ما لم يره كِثْرَى ولا داراً ، وعمل النيابة بالرحبة جيّداً ، وكان من العربان منصوراً مؤيِّداً ، فابتسم به ذلك الثَّغر بعد قُطوبه ، ومعاونة كروبه ، ومدانة حروبه . إلى أن جاءه الأمر الذي لا تَمْنَع منه الحصون ، وأذاع من حَيْثُه السّر المَصُون .

وتوفي - رحمده الله تعالى - في رابع عشر ذي القعدة سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

كان المذكور من ممالك الأحدي^(٢) ، أمير جاندار ، ولما تأمّر الأمير سيف الدين أرغون الكامل ، أخذ جماعة من ممالك الأحدي ، فكان هذا طَطَّق المذكور دودارَه ، وكان عاقلاً خبيراً مهذباً مدرباً ، فاستراح به الكامل في نيابة حلب ودمشق ، وكان بدمشق أمير عشرة ، ولما عادوا إلى حلب ثانياً من دمشق أُعطي إمرة طبلخاناه ، ولما طلب الكامل إلى مصر ، توجّه^(٣) معه ، وأمسك الكامل على ما تقدم في ترجمته ، بقي بطالاً مدة ، ثم إنّه أُعطي طبلخاناه ، وجُهِز إلى دمشق ، فحضر إليها ، وعرض جُنْدَه بدار السّعادة في رابع عشر ربيع الأوّل سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، وأقام بدمشق

* الدرر : ٢٢٠/٢ .

(١) مخففة من يرقأ ، يقال : رقا يرقأ : أفسد وأصلح .

(٢) في (خ) : « الأمير سيف الدين الأحدي » .

(٣) في الأصل : « وتوجه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

قليلا ، ثم طلب إلى دمشق قليلا^(١) ، ثم طلب إلى مصر ، وعاد صحبة السلطان الملك المنصور صلاح الدين محمد بن حاجي ، لما وصل دمشق^(٢) في واقعة الأمير سيف الدين بيدمر ، ولما كان بعد عيد رمضان ألبس الأمير ططوق تشريفاً ، وأعطى مقدمة ألف ، وجُهِز إلى الرحبة في أوائل شوال سنة اثنتين وستين وسبع مئة . وكان بها نائباً ، فسدت ثَغْرُها ، وشدَّ أمرُها ، ومنعها من أذى العربان إلى أن توفي ، رحمه الله تعالى .

وكان يودني ، ويثني عليّ ثناء كثيراً ، ولم أجمع به ، وكتبت إليه ، وهو مجلب لما أظفرهم الله تعالى بأحد السَّاقِي وبكلمش ويبيغاروس وقراجا بن دُلغار قصيدةً وهي :

يا حُسْنَهُ لِمَا رَمَقْ	لَمْ يُبْقِ فِي جِسْمِي رَمَقْ
أَحْوَى اللَّوَاظِظِ نَاعَسْ	أَنْفَى جَفَوْنِي بِالْأَرْقِ
خَلَوْ الْمُقْبِلِ بَارِدْ	مَلَأَ الْجَوَانِحَ بِالْحَرْقِ
حَسَدَ الصَّبَاحِ جَيِّنْهُ	لُضِيَّائِهِ حَتَّى انْفَلَقْ
فَالْوَرْدُ مِثْلَ خُدُودِهِ	وَعَلَيْهِه كَالطَّلِّ الْعَرَقُ
وَالثَغْرُ لَيْلٌ صَبْحُهُ	فَرَقٌ وَفِي الْحَدِّ الشَّقُّ
شُكْرِي لِيَالِي وَصَلِهِ	شُكْرُ الْعَفَاةِ نَدَى طُطُوقِ ^(٣)
فَهُوَ الدَّوَادَارُ الَّذِي اصْ	طَبَحَ الْفَضَائِلَ وَاعْتَبَقْ
أَفْعَالِهِ مِنْ حِكْمَةٍ	تَجْرِي عَلَى نَسْقِ الْيَسْقِ
وَسُكُوتِهِ لِسُكُونِهِ	وَإِذَا تَكَلَّمَ قَالَ حَقُّ
كَمْ مَسْلَمٍ بِيَرَاعِهِ	بَيْنَ الْأَنَامِ قَدْ ارْتَزَقْ
وَإِذَا بَرَى أَقْلَامِهِ	أَبْدَى الْأَزَاهِرَ فِي الْوَرَقِ
تَغْنَى الْمُلُوكُ بِرَأْيِهِ	إِنْ حَانَ أَمْرٌ أَوْ طَرَقْ

(١) كذا .

(٢) في (س) ، (خ) : « إلى دمشق » .

(٣) هذا البيت خلا منه الأصل ، وهو ثابت في (س) ، (خ) .

أثني القَدوّ عليه حتّى
تشكو دمشق فِراقه
يعتّل عندِ هبويه
وكأنّ نشرَ رِيّاضها
طوبى لمن بجنابيه
من يَمَن طلعته وهى الـ
أرأيت أحمد إذ غدا
وأق كذالك يَبُغَا
حزّت رؤوسهم وذ
مرّقوا من الدين الحنيـ
وتسّام كلّ مسرّة
هذا قراجا الغادر الـ
وافى لمصرع حينه
كم هز رمح رزيّة
مات الملوك بَغَصّة
قد كان فرعون الوغى
بسعادة سيفيّة
لم تسرقط لغارة
وكأنّ ذكرك في الملا
فاسلم ودم في نعمة

سى قال حاسده صدّق
فَنَسِيْهَا بِأَدِي الْقَلْق
وله الغدير صفا ورقّ
منه استعار أو استرق
قد لاذّ يوماً واغْتَلَقْ
أعدا وصاروا في وَهَقْ^(١)
في نار بكلمش احترق
فتلاهما عطفُ النسق
لك من عجائب ما اتفق
ف لذاك راحوا في المرقّ
إمساكٌ من منهم أبق
بـاغى على كل الفرق
وبجل طفواه اختنق
وسهام بغى قد رشق
منه وعمهم الشرق
لكن تداركه الغرق
أعطاكها رب الفلق
إلا ونصرك قد سبق
مسك تـأرج وانفتق
ماهب ريح أو خفق

(١) الوهق : الحبل يرمى فتؤخذ به الدابة والإنسان .

٨١٤ - طغاي*

الأمير سيف الدين^(١) الكبير .

لم يكن في ممالك أستاذه من حَارَ جَمَالُهُ ، ولا بلغ القمرُ كَمَالَهُ ، ولا ملك الرمح قَدَهُ ، ولا رأى السيف مضاء جَفْنَهُ ولا حَدَّهُ ، وكان شاباً أبيض طويلاً ، لا تجد العيون لجماله ندّاً ولا مثيلاً ، قد فات الوصف ، وفاق ثغره عَقْدَ الجواهر في الرُّصْف .

وأما مكائته فما ملكها في وقته أحد ولا حازها ، ولا دانها فضلاً عن أن يكون جازها . كان السلطان يكون مع خواصه يَمْزَحُ ، ويحول في ميدان خلوته ويمرح ، حتى يُقال : جاء طغاي ، وكلّ منهم ينزوي ، ويميل إلى مكانه المعروف به وينضوي ، وكان يضع يده في حياصة أكبر الخواص^(٢) ، والسني لا يجد السلطان عنه مناص ، ويخرج به إلى برّا ، ويرميه إلى الأرض ، ويضربه مئتي دبوس ، وهلمّ جرّاً . هذا والسلطان يرى ويسمع ، وماله إلى خلاص ذلك نظر يطمح ، ولا أمل يطمع ، وحسبك أن تنكر ما كان يطير إلّا بجناحه ، ولا يتوصّل إلى نيل مقاصده إلّا بنجاحه .

ولم يزل على حاله إلى أن زالت سعادته ، وفرغت من الإقبال عليه مائدته ، فاستحال عليه وما استحيا ، وأعرض عنه ولم يسمع فيه لوماً ولا لحيًا ، وأخرجه إلى صفد ، وأحوجه بعد العطاء الجزيل والصفد ، وبعد قليل أخذه من صَفَدٍ في صفد ، وعمد إليه سيفاً ، فأغده في جفن حبسه ، وفقد الناس مثله في أبناء جنسه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في الإسكندرية .

* الوافي : ٤٤٤/٦ ، والدرر : ٢٢١/٢ ، ولتنهل الصافي : ٤٠٨/٦ ، وتذكرة النبیه : ٥٦/٢ . وفيه أن اعتقاله في صفد كان سنة (٧١٣ هـ) .

(١) في (س) ، والوافي : « سيف الدين الناصري » .

(٢) في الوافي : « حياصة الأمير » .

وكان سبب تغيّره عليه أمورٌ منها أنّه لما مرض السلطان احتاج إلى أن يخلّق رأسه ، فحلّقه ، وحلّق ممالك السلطان رؤوسهم ، ولم يخلّق طغاي ذؤابته ، وكانت سوداءً طويلة ، مليحة إلى الغاية ، ثمّ إنّهُ طلب كلّاً منهم على انفراد ، وقال له فيما بينه وبينه . يكون نظرك على أولادي وحريمي ومواليكي ؛ فأنت الذي يتم لك الأمر بعدي . فكلّ منهم تنصّل ، وبكى ، وقال : هذا أمرٌ لا يكون أبداً ، ولا أوفق عليه ، والله يجعلنا فداءً لمولانا السلطان ، ولم يرَ من أحدٍ من هؤلاء المقربين إقبالاً على ما قاله ، فلمّا قال مثل ذلك لطغاي ؛ رأى منه إقبالاً ، وشمّ من أنفاسه^(١) الميل إلى طلب الملك ، فكمّ ذلك في باطنه ، وأخرجه إلى صفد نائباً في ثالث عشري صفر سنة ثمان عشرة وسبع مئة ، فحضر إليها يوم الخميس ثاني شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، وأقام بها تقدير شهرين ، وحضر الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي على البريد ، وقال له : قد رُسم لك بناية الكرك ، فبات على ذلك ، وجّهز إليه له^(٢) ، وكان مع مغلطاي كتب السلطان إلى أمراء صفد بإمساكه ، فلمّا كان يوم الخميس ، ركب عسكر صفد ، ووقفوا في الميدان ، فلمّا علم ذلك قال : يا خوشدش ، عليك سمع وطاعة لمولانا السلطان . قال : نعم . وحلّ سيفه بيده ، فأحضر له القيد ، وقيد ، وتوجّه به إلى مصر ، وقد^(٣) رأيته وقد خرج من دار النياية بصفد ، ليركب البغل الذي أحضر له ، وكلّما هم بالركوب تعلّق فيه مماليكه ، ومنعوه من الركوب ، وبكى هو ، وبكوا ، وفعلوا ذلك مرات ، وهو من طول قامته ظاهر عنهم بيعض صدره ، وكان وجهه مبدعاً في الحسن ، بارعاً في الجمال .

وتوجّه به إلى إسكندرية ، وذلك في ثامن جمادى الأولى من السنة المذكورة ،

(١) في (س) : « نفسه » .

(٢) في (س) : « وجّهز أشغاله » .

(٣) في (س) : « ولقد » .

وكان آخر العهد به ، وقبره ظاهر في إسكندرية في تربة يزوره الناس كما يزورون قبور الصالحين . وهو الذي عمّر الخان الذي للسبيل بالقصر المعيني^(١) - رحمه الله تعالى - .

ولما وصل إلى صفد كان الأمير سيف الدين تنكز يجهّز إليه كل يوم والثاني جملي^(٢) فاكهة وحلوى وكذلك صاحب شمس الدين غبريال ، ما أخلا بذلك مدة مقامه بصفد ، وحضر إليه يوماً بريدي وعلى يده كتاب من الأمير سيف الدين تنكز على العادة ، فيما كان يكتب به إلى نواب الشام في مهمات الدولة ، فلما رأى الكتاب رمى البريديّ إلى الأرض ، وضربه مئتي عصاً ، وقال : والك ! أنا إلى الآن ما برّدت خدي^(٣) من ركبة السلطان وفخذه ، وصار تنكز يأمر عليّ ، وينهي .

وقال يوماً للأمير علم الدين سنجر الساقى مشد الديوان بصفد : والله ، أنا مالي عند السلطان ذنبٌ أخافه ، ولا أخشاه ، ولكن أخشى من يستشيره في أمري ، فإنّا كنّا إذا استشارنا في أمر أحدٍ قد غضب عليه تقول :

ياخوند ، اقتله . فإنّا أخشى من مثل هؤلاء محاضر السوء .

وقلت - وقد داخلني رقة عظيمة - وقد رأيته ومماليكه يودعونه :

تشقى مماليكُ المليكُ بمجادٍ ألم بمن عنه الثناء يطيب
وقالوا : طغى فينا طغاي وما طغى ومن أين للوجه اللئيم ذنوب^(٤)

٨١٥ - طغاي*

ابن سوتاي ، هو الحاج طغاي بن النّوين سوتاي .

(١) في بعض أصول الوافي : « القصر العيني » . وكذلك في المنهل .

(٢) في (س) : « حمل » ، وعبرة الوافي والمنهل : « ستة بغال » .

(٣) في المنهل : « فخدي من فخذ السلطان » .

(٤) البيتان في تذكرة النبيه .

* الوافي : ٤٤٦/١٦ ، والدرر : ٢٢٠/٢ ، والمنهل الصافي : ٤٠٧/٦ .

لما توفي سوتاي والده ، وثب على الحكم على التومان الذي بديار بكر علي باشاخال بوسعيد ، فحاربه الحاج طغاي غير مرّة ، وانكسر الحاج طغاي غير مرّة ، ويعود إلى حرب علي باشا ، وما يعود^(١) عنه إلى أن قال علي باشا : مارأيت أقوى من وجه هذا ، ولكن هذا حمارّ حرب .

ولم يزل بعد قتل علي باشا في محاربة قوم بعد قوم من التتار ، وهو ملاحظ المسلمين متحيز^(٢) إليهم ، إلى أن قتله إبراهيم شاه بن بارنباي أخيه^(٣) على ما تقدم في ترجمة إبراهيم شاه ، وجاء الخبر بقتله من نواب الثغور والأطراف في يوم عاشوراء سنة أربع وأربعين^(٤) وسبع مئة . وحزّ إبراهيم شاه رأسه بيده .

كان المذكور حمارّ حرب ، وحمال طعن وضرب ، لا يرجع عن القتال ولا ينثني ، ولا يطأطئ رأسه لرزية ولا ينحني ، إلى أن غدر به ابن أخيه ، وشده في أواخيه ، ولم تنفعه قرابه ، وما جرد سيفه إلا أن يكون عنق عمه قرابه ، فأصبح بين قومه مخذلاً ، وأمسى على التراب مجدلاً ، على أنّه كان رذءاً للمسلمين ، وبءءاً وعوداً في الذبّ عن المؤمنين ، فالله يرحمه قتيلاً ، ولا يحرمه من أجره نقيراً ولا فتيلاً .

٨١٦ - طغاي *

مملوك الأمير سيف الدين تنكز وأمير آخوره .

كان في آخر وقت قد تمكّن من أستاذه تمكناً زائداً ، وأصبح لولا الخوف من السلطان جعله للجيش قائداً ، وكان لا يخالفه في أمر ، ولا يرجع إلى غير رأيه بخلاف

(١) في (س) ، (خ) : « وما يرجع » .

(٢) في (خ) : « متحيز » .

(٣) في الدرر أن الذي قتله « إبراهيم شاه أخو علي » ، وهو سهو .

(٤) في الدرر : (سنة ٧٤٣ هـ) .

* الوافي : ٤٤٦/١٦ ، والدرر : ٢٢٠/٢ ، والمنهل الصافي : ٤٠٧/٦ .

زيد ولا عمرو^(١) ، فكان هو وسيف الدين جُنغاي المقدّم ذكرّه - قد استحوذا^(٢) على عقله ، ومن سواهما عنده أخبر بِنَقْلِهِ^(٣) ، على أن طَغاي وجُنغاي لم يَرِ الناس منها إلا ما أَحَبَّوه ، ولم يَحْرَكَا على أحد ساكناً ، وإن كان الناس قد أوقدوا جمر الفتن ، وشبّوه . وما زال عند مخدومه في مكانةٍ تَسْفُل زحل عن ترّبها ، وتَصْغُر الشمس عن أن تكون في رتبة^(٤) تَرِبها ، إلى أن أَمْسَكَ ، وقيل له : بعيدٌ بين يَوْمِكَ وأَمْسِكَ ، ففصل السيف جسده نصفين ، وكان أَلِفاً واحداً فأصبح أَلِفين .

وكان ذلك في المحرم سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

يقال عن هذا طَغاي : إنّه خَلَص من أستاذه من الإقطاعات في الحلقة الأويراتية والوافدية^(٥) ألف إقطاع ، والسلطان تَقَم عليه مانسب إلى أستاذه ، وكان أولاً إذا راح في البريد إلى مصر أكرمه ، وعظّمه ، وخلع عليه الخلع السنية ، وأنعم عليه الإنعامات الوافرة ، ولكن سبحان مَنْ لا يتغير ، ولا يحول ولا يزول .

وكان قد حَصَلَ أموالاً عظيمة ، فأخذت ونهبت ، ووسّطه الأمير سيف الدين بشتاك في سوق الخيل يوم الموكب ، ووسّط خوشداشة جُنغاي^(٦) على ما تقدم .

٨١٧ - طَغاي*

الخوندة الكبرى زَوْجُ السلطان الملك الناصر وأم ابنه آنوك المقدّم ذكرّه ، وكانت

(١) في (س) ، (خ) : « زيد وعمرو » .

(٢) في الأصل و (س) : « استحوذ » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) في الأصل و (خ) : « نقله » ، وجعل ما أثبتناه هو مراده .

(٤) في (س) : « تربة » .

(٥) لفظ يطلق غالباً على الترك والتتر الذين وفدوا إلى بلاد دولة المباليك بمصر والشام .

(٦) في (خ) : « طغاي » ، سهو .

* الوافي : ٤٤٧/١٦ ، والدرر : ٢٢١/٢ ، والنجوم : ٢٣٨/١٠ ، والذيل التام : ١٠٧ .

جاريته أولاً ، ثمَّ إِنَّهُ أعتقها ، وتزوجَهَا ، وقيل : إِنَّها أخت الأمير سيف الدين أقبغا عبد الواحد المُقَدَّم ذكره .

كانت بديعة الحسن ، باهرة الجمال الذي لا يطيق وصفه القالة اللسن .

رأت من السعادة ، ما لا يراه^(١) غيرها من زَوَجات ملوك مصرالذاهبات ، وتنعمت في مَلَذٍّ ماوصلت إليها يدُ الناهبات ، لم يَدُم على محبةٍ أحدٍ غيرها ، ولا نأى قَسُّه عن دَيرها ، ولا عَقِلَ مجنونه عن ليلاها ، ولا وقفت به جِمالُ غرامه إلا في عَقبة إيلها^(٢) ، لأنَّ نياق أشواقه ؛ كانت كثيرة الثرود ، سريعة الانتقال والافتال عن مراعي زُرود^(٣) ، وكانت فيما بعده معظمة في كل دوله ، مكرمة في كل زمان أحال الله حوله .

ولم تزل كذلك إلى أن كسفت شمسها وهانت في الثرى بعدما عزَّ على كَفِّ الثريا لَمُسُّها .

وتوفيت - رحمها الله تعالى - في شوال سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

كانت هي الخونده الكبرى بعد [بنت]^(٤) نوكاي^(٥) ، وهي أكبر الزوجات ، مقدمة حتى على ابنة الأمير سيف الدين تنكر .

حجَّ بها القاضي كريم الدين الكبير ، واحتفل بها^(٦) ، وحمل لها البقل في محائر طين على ظهور الجمال ، وأخذ لها البقر الحلابات ، تكونُ معها في الطريق ؛ ليؤخذ

(١) في (س) : « رآه » .

(٢) عقبة إيلة ، آخر الحجاز وأول الشام ، انظر : معجم البلدان ٢٩٢/١ .

(٣) موضع بطريق الحاج من الكوفة . انظر : معجم البلدان ١٣٩/٣ .

(٤) زيادة من (س) ، (خ) .

(٥) نوكاي المنصوري ، ستأني ترجمته .

(٦) في (س) ، (خ) : « بأمره » .

لبنها ويجبن ، ويصنع لها في الغداء والعشاء الجبن المقلو^(١) السخن ، وناهيك بمن وصل إلى هذين النوعين البقل والجبن ، وهما أحسن^(٢) ما يذكر ، فما عساه يكون بعد ذلك . ثم إنه حج بها الأمير سيف الدين بشتاك في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، إلا أن هذه الحجة دون تلك .

أخبرني من لفظه القاضي علم الدين بن قطب الدين ناظر الجيوش ، وكان أولاً مستوفي ديون تنكر ، قال : إذا جهز الأمير - يعني تنكر - إلى مصر تقادم^(٣) ما يكتب على أحد شيئاً ، إلا على السلطان وعلى قوصون وعلى الخونده طغاي . وبالجملية فقد رأت ما يراه^(٤) غيرها ، وعظمت بعد زوجها في أيام ملوك مصر أولاد زوجها كثيراً إلى الغاية ، إلى أن توفيت - رحها الله تعالى - .

٨١٨ - طغاي تمر*

الأمير سيف الدين الناصري الساقى .

لم يكن بعد طغاي الكبير أحسن منه ، ولا من يروي القمران الجمال البارح إلا عنه . وكان طغاي تمر هذا أظرف وأمشق^(٥) ، وماتدري إذا نظر إليك أسلبك فؤادك أم شق ، وطغاي كان أبيض^(٦) مشرباً حمرة ، وهذا مع حمرة تعلوه سمره ، مع لطف

(١) في الوافي : « مقلّي » . وفي اللسان عن الجوهري : « قلت السويق واللحم فهو مقلّي ، وقلوت فهو مقلو ، لغة » .

(٢) في (س) : « أخس » .

(٣) هو كتاب يتحدث عن أمور الماليك .

(٤) في (س) ، (خ) ، والوافي : « ما لآراه » .

* الوافي : ٤٤٨/١٦ ، والدرر : ٢٢٣/٢ ، والنجوم : ٣٠٣/٩ ، والمنهل الصافي : ٤١٣/٦ .

(٥) في الأصل : « وأرشق » ، وأثبتنا ما في (س) ، وهي أنسب للسجعة ، كما سيأتي .

(٦) في الأصل : « أبيضاً » .

الحركة إذا تَتَنَّى ، وخَفَّةِ الْهَيْفِ ، فلولاً^(١) جوارح طرفه غَرَدَ الحمام على غصن قده وتَغْنَى^(٢) .

زَوْجَه السلطان ابنتَه ، وكان في وقته مُنِيَّتَه ومِخْنَتَه ، فهو أحد الأربعة الذين يبيتون عند السلطان ، وتخرب بهم الدور وتعمر بهم^(٣) الأوطان . وكان ساكناً عاقلاً مهيباً ، وادعاً للشر لبيباً ، وما كان يلزم السلطان مثل غيره ، ولا يتطرح عليه ، ولا يرى الناس أنه ممن يُشار إليه .

ولم يزل راقياً في مطالع صعوده ، ومعارج صعوده ، إلى أن خُسِفَ قَمَرُهُ ، وذَوَى من غُصْنه ثَمَرُهُ .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في أوائل سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، أو أواخر سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ولما زَوْجَه السلطان ابنته ، لم يعمل له زَفَّة^(٤) ، لكنّه رسم للقاضي تاج الدين إسحاق ناظر الخاص أن يعمل ورقه بكارمة الأمراء لقوصون في عُرْسِه^(٥) ، فعمل بها ورقة وأحضرها إلى السلطان ، فقال : كم الجملة . قال : خمسون ألف دينار . فقال : أعطي نظيرها لطغاي تمر ، فإنّا إن عملنا له زَفَّة قال الأمراء : هؤلاء يصادروننا بحسن عبارة .

وكان أحد الأربعة الخواص المقربين هو وَبَكْتَر السّاقِي وقوصون وبهادر التمرتاشي .

(١) في الأصل : « لولا » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في الأصل : « تننى » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) ليست في (س) .

(٤) في الوافي : « رفّة عرس » .

(٥) عبارة الوافي : « رسم له السلطان بأن يُصرف عليه من الخزانة نظير مكارمة الأمراء لقوصون لما دخل على ابنة السلطان » . وكذلك في المنهل .

ولما توفي - رحمه الله تعالى - وَجَدَ السلطان عليه وَجْداً عظيماً ، وكتب إلى تنكرز يعرفه بموته في جُمْلَة كتاب ، فذهل هو وَكَاتِب السَّر عن الجواب عن هذا الفصل ، فجاء الجواب من السلطان إلى تنكرز بالإنكار عليه ، وقال : أكتبُ إليك أعرفك بموت صهري ، وما تجهز الجواب إليّ عن ذلك ، ولا تعزّيني فيه .

٨١٩ - طغاي تمر *

الأمير سيف الدين النجمي الدوادار .

كان دوادار الصالح إسماعيل والكمال شعبان والمظفر حَاجِّي . كان من أحسن الأشكال وأتمها ، وأبدع الوجوه وأجملها في بسطها وضمّها ، مديد القامة ، يكاد إذا خطا تسجّع عليه الحماة ، تقدّم في الدُّول ؛ وصارت له وجهة وعَظَمه ، ونضد السعد دَرّه على جيده ونظمه ، وخدمه الناس وقدموا ، وعكفوا^(١) المحول إلى بابه وقدموا .

ولم يزل على حاله إلى أن عبث به أغرلُو فِين عَبَث ، ولم يقدر على دفع حادث حدث منه ، ولا على^(٢) إزالة خبث ولا خَبَث ، فأخرجه إلى الشام ، وألحقه بمن أخذه في غزّة على غرّه ، وأجراه على عادة سفكه المستمره ، وفصل رأسه عن جسده ، وشفى منه غلّة^(٣) غيظه وحسده ، وذلك في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

وطغاي تمر هذا أول دوادار أخذ إمرة مئة ، وتقدمة ألف ، وذلك في أول دولة

* الوافي : ٤٤٩/١٦ ، والدرر : ٢٢٣/٢ ، والنجوم : ١٨٤/١٠ ، وفيه : « طغيت » والنهل الصافي : ٤١١/٦ .

(١) عكم المتاع : شدّه بثوب .

(٢) ليست في (س) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « علّه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٤) في (س) ، (خ) : « أوائل جمادى » .

المظفر ، وعمر في الأيام الصالحة الخاتناه التي أنشأها بربا باب المحروق ظاهر القاهرة ، وهي مليحة إلى الغاية ، وعمر الدار التي ...^(١) .

ولما كانت واقعة الحجازي وأقسنقر وأولئك الأمراء - على ماتقدم في ترجمة أقسنقر - رمى هو سيفه بنفسه ، وبقي بلا سيف بعض يوم في أيام المظفر ، ثم إنَّ السلطان أعطاه سيفه واستر به في الدوادارية على عادته ، ثم لما كان بعد شهر أخرج هو والأمير نجم الدين محمود بن شروين^(٢) الوزير والأمير سيف الدين بيذمر البذري على الهجن إلى الشام ، ثم إنه لحقهم الأمير سيف الدين منجك ، وقضى الله أمره فيهم هناك - رحمهم الله أجمعين - وذلك بتدبير أغرلو المقدّم ذكره .

٨٢٠ - طفجي *

بالطاء المهملة والغين المعجمة والحيم : الأمير سيف الدين الأشرفي مملوك الملك الأشرف خليل بن قلاوون .

كان خليل مولاه خليل ، وحبيب مخدمه الجليل ، أمره وقدمه ، وخرب به ربع غيره وهدمه وحوله إلى الإمرة^(٣) وخوله ، ومدّ يده في الخزانة فدّ باعه وطوله ، وأعطاه النفائس ، وكان به يفاخر القمرين ويقايس ، ولكنه زالت سعادته العظمى بعد مخدمه الأشرف ، وبالع في التوقي والحذر وأسرف^(٤) ، إلى أن اغتورته الصوارم

(١) كذا في الأصول والوافي . وفي حاشية الأخير عن خطط المقرئ : ٦٢/٢ ، وصف لهذا الدار ، نصّه : « هذه الدار فيما بين حارة زويلة وإصطبل الجميزة ، وهي اليوم خطط السبع قاعات » . وفي المنهل : « وعمر الدار العظيمة » .

(٢) محمود بن علي بن شروين ، وزير بغداد ثم القاهرة . توفي (٧٤٨ هـ) .

* الوافي : ٤٥٢/١٦ ، والعبر : ٣٨٧/٥ ، والشذرات : ٤٤٠/٥ ، والمنهل الصافي : ٤١٤/٦ ، والنجوم الزاهرة : ١٨٢/٨ .

(٣) في الأصل : « الأمر » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) في الأصل : « وأشرف » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) .

والذوايل ، وهبّرتَه وألّقي على المزابل ، وذلك في سنة ثمان وتسعين وست مئة في شهر ربيع الآخر .

كان قد استمرّ على إمرته بعد قتلة الأشرف في الدولة العادلية كَتَبغا ، وفي الدولة المنصورية لاجين ، فقام وقعد لحينه ، وكان لما قتل كرجي الملك المنصور حسام الدين لاجين توجّه طنجي إلى دار نائبه منكوتر ، ودقّ عليه الباب ، فأخرجوه ، فعلم أنهم قد قتلوا أستاذه ، فاستجار بطنجي فأجاره ، وحلف له ، ثمّ إنهم توجّهوا به إلى الجبّ ، فاعتنم كرجي غفلة طنجي ، وأطلع منكوتر من الجبّ وذبحه . واتفقوا على إحضار الملك الناصر محمد من الكرك للملك ، وأن يكون طنجي نائباً له ، وحلّفوا له على ذلك فبقي في النيابة أربعة أيام ، فلما قدم الأمير بدر الدين بكتاش من تجريدة حلب ومن معه من الأمراء طلع طنجي وكرجي وغيرهما للملتقى الأمراء برّا القاهرة ، فلما التقوا تبّالاه عليهم أمير سلاح^(١) وقال لطنجي : كان عادة السلطان يطلع إلينا ويتلقانا . فقال : وأين هو السلطان ؟ قد قتلناه . فعرّج بفرسه عنه ، وقال : إليك عني ، أكلمنا قام للمسلمين سلطان ، وثبّم عليه ، وقُتلته ! فاعتوره أعوان السلطان الذي قتل بالسيوف ، وقتلوه ظاهر القاهرة ، ورُميَ على مزبلةٍ هناك ، وحجّه الخلائق للفرجة والعبرة ، ثمّ إنّه دُفِنَ بتربته ، وقد نيف على الثلاثين .

ومن حلاوة شكله وظرفه ومحاسنه أطلع الناس تفاصيل قماش وسموها « طنجي » . ويقال : إنه كان^(٢) بخدمة الأشرف في البلاد الحلبية ، فرّ السلطان بقرية جيلان ، فقال له : ما اسم هذه القرية يا طنجي ؟ فقال له : جيلان . فقال له السلطان : اقعد . فنزل عن مركوبه ، وقعد على الأرض ، فقال له السلطان : قم ، واركب . فقال : السلطان رسم بالقعود وما أقوم . فقال : قم ، وخذها لك ، فباس الأرض ورجلّه ، وركب معه .

(١) هو الأمير بدر الدين بكتاش ، كما في الوافي .

(٢) في الأصل : « إنهم كلوا » ، وهي ضعيفة ، وأثبتنا ما في الوافي .

٨٢١ - طَقْتَمَرُ*

الأمير سيف الدين الصلاحي الناصري .

كان فيه عَشْفٌ وَجَوْرٌ ، وَلَهُ تَسْلُسٌ عَلَى أَمْوَالٍ ^(١) النَّاسِ وَدَوْرٌ ، لَا يَرْحَمُ مِنْ بَيْكِي ، وَلَا يَسْمَعُ مِنْ شَكْيٍ ، تَرَدَّدَ تَكَرَّارُهُ إِلَى الشَّامِ ، وَتَحَدَّدَ اسْتِكْبَارُهُ ، وَاسْتَكْثَارُهُ فِي كُلِّ عَامٍ ، إِلَى أَنْ أَرَّاحَ اللَّهُ مِنْ عَتْوِهِ ، وَأَزَّاحَ مَا يَكْبِدُهُ النَّاسُ مِنْ غُلُوِّهِ فِي الظُّلْمِ وَعُلُوِّهِ .
وَمَالَتِ النُّوَائِبُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي حِمَصٍ نَائِبٍ ، وَأَصَابَتْهُ الْمُنِيَّةُ بِسَهْمِ الْمَصَائِبِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِئَةٍ .

كَانَ أَمِيرًا فِي أَوَاخِرِ الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ مُحَمَّدٌ ، وَحَضَرَ فِي خِدْمَةِ ^(٢) بَشْتَاكٍ لَمَّا قَدِمَ لِلْحَوِطَةِ عَلَى مَوْجُودِ تَنْكُزٍ ، ثُمَّ تَوَجَّهَ مَعَهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَلَمَّا خَلَعَ الْمَصْرِيُّونَ النَّاصِرَ أَحْمَدَ ، وَأَقَامُوا الصَّالِحَ ، وَرَدَّ هُوَ فِي الْبَرِيدِ لِلْبَشَارَةِ ، وَخَلَّفَ الْعَسَاكِرَ . وَعَادَ وَتَقَدَّمَ فِي الْأَيَّامِ الصَّالِحِيَّةِ ، وَحَضَرَ إِلَى الشَّامِ لِتَحْصِيلِ الْمُحْجَنِّ وَالنِّيَاقِ وَالشَّعِيرِ بِرِسْمِ الْحِجَازِ ^(٣) مِنْ دِمَشْقَ وَحَلَبَ وَحِمَاةٍ ، فَثَقُلَتْ وَطْأَتُهُ عَلَى النَّاسِ ، وَبَطَلَ ذَلِكَ بِمَوْتِ الصَّالِحِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - ، فَعَادَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَتَقَدَّمَ عِنْدَ الْكَامِلِ شُعْبَانَ ، وَحَضَرَ إِلَى دِمَشْقَ ، وَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا ثَمَانِي مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ لِأَجْلِ حِجِّ الْكَامِلِ ، وَضَيَّقَ عَلَى النَّاسِ ، وَمَنَعَ أَنْ يَصْرِفَ لِأَحَدٍ شَيْئًا مِنَ الْأَمْوَالِ ، وَقَبَضَهَا وَتَوَجَّهَ بِهَا إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَاخْتَصَّ بِالْكَامِلِ كَثِيرًا ، فَلَمَّا خَلَعَ الْكَامِلَ وَمَلَكَ الْمُظْفَرَ حَاجِي أَخْرَجَهُ إِلَى حِمَصٍ نَائِبًا ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا ، وَأَقَامَ بِهَا قَرِيبًا مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَتَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ^(٤) .

* الوافي : ٤٦٣/١٦ ، والدرر : ٢٢٤/٢ ، والنجوم : ١٧٨/١٠ ، والنهل الصافي : ٤١٨/٦ .

(١) في (س) ، (خ) : « تسلسل على أخذ الأموال » .

(٢) في الأصل : « خدمته » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) كذا في الأصل و (س) ، وفي الوافي : « الحج » ولعلها أشبه .

(٤) في التاريخ المذكور .

٨٢٢ - طَقْتَمُر *

الأمير سيف الدين الأحدي ، يعرف في بيت السلطان بـ « طاسه » . لما أمسك
الأمير سيف الدين أقبغا عبد الواحد جعل هذا مكانه في الأستاذ دارية أيام المنصور
أبي بكر .

كان رجلاً عاقلاً ، ناقماً على من نبذ^(١) عهده ناقلاً ، ولي نيابات عديدة ، واستجلى
من كل ناحية وجه خريده ، ومافارق بلداً إلا وأهلها بالخير يذكرونه ، ويدعون له
ويشكرونه ، فما كان إلا طاسة بالخير تقلب ، وتفرغ الحسنة على الناس وتغلب .

ولم يزل إلى أن نقر الموت طاسة فطن ، وحقق العدم منه ما ظن .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في أواخر سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

وكان قد أخرج أولاً إلى نيابة صفد ، فأقام بها مدة ، وجُهِز بعدها إلى حماة نائباً
بعد الأمير علم الدين الجاولي ، وأقام بها إلى أن حضر الأمير سيف الدين يلغا اليحيوي
إلى دمشق نائباً ، فتوجه هو إلى حلب نائباً عوضه ، فأقام بها نائباً إلى أن برز اليحيوي
إلى ظاهر دمشق في أيام الكامل ، وجاء إليه جميع نواب الشام ، إلا^(٢) طقتمر طاسه ،
فإنه لم يحضر إليه ، وتقم ذلك عليه ، ولما انتصر يلغا ، وولى المظفر حاجي كتب
يلغا فيه ، فعزل من نيابة حلب ، وتوجه الأمير سيف الدين بيثمر البدري عوضه إلى
حلب ، وطلب الأحدي المذكور إلى القاهرة ، فأقام بها أميراً بقية السنة ، وجاء الخبر
بوفاته - رحمه الله تعالى - .

* الوافي : ٤٦٤/١٦ ، والدرر : ٢٢٢/٢ ، والذيل التام : ٨٧ ، والنهل الصافي : ٤١٧/٦ ، وإعلام النبلاء :
٣٢٨/٢ .

(١) في (س) : « بذل » .

(٢) في الأصل : « إلا أن » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

٨٢٣ - طَقْتَمُر *

الأمير سيف الدين الشريفي السلاح دار .

كان المذكور بدمشق أميرا ، ومَحَلُّه بها يراه الناس أثيرا ، أقام بها مدة وهو في عافيةٍ وصحةٍ كافيتها شافية إلى أن ضَعَفَ بَصَرُهُ ، ودخل تحت الشعاع قَمَرُهُ ، وكان يمشي وبين يديه مملوك له ^(١) يَعْرِفُهُ بالناس لأجل السلام ومشاغلهم بما عنده من الكلام ، إلى أن انكفَ ناظره ، ومُجِيَّ قمره ، فانقطع بعد ذلك في بيته تقدير أربع سنين ، وجاء ما نَسِيَ به عماه ، وودَّ أهلُه لو دام لهم أنسُه في حماه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في حادي عشر شوال سنة خمسين وسبع مئة . وكان يسكن جَوًّا باب الصغير عند بيت صاحب شمس الدين ^(٢) ، وخَلَفَ وَلَدُينِ ، يخالهما الناظر في سماء الحسن فَرَقَدَيْنِ .

٨٢٤ - طَقْتَمُر **

الأمير سيف الدين النائب بهسن ^(٣) .

كان من مماليك الأمير سيف الدين جركس نائب قلعة الروم ، أفردت له نيابة الرُّها ^(٤) ، وأقام فيها مدة ، إلى أن وَرَدَ الأميران سيف الدين شيخو وسيف الدين طاز

* الوافي : ٤٦٥/١٦ ، ونكت الهميان : ١٧٥ ، والدرر : ٢٢٢/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٨/١٠ .

(١) ليست في (خ) .

(٢) غبريال ، وستأتي ترجمته في موضعها .

** الدرر : ٢٢٥/٢ .

(٣) في الأصل : « بهنسا » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهي قلعة حصينة بقرب مرعش وسمساط . معجم البلدان : ٥١٦١ .

أما بهنسا فهي من مدن الصعيد ، وليست مرادة ههنا .

(٤) مدينة بين الموصل والشام . معجم البلدان : ١٠٦/٣ .

في واقعة يَبْغَاروس إلى حلب ، فرسم له بناية بهسنا ، فأقام بها نائباً إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - بهسنا ، وجاء البريد بموته إلى دمشق في شهر المحرم سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

وكان شجاعاً شهماً مقدماً ، وفيه تودّد وخدمة للناس .

٨٢٥ - طُقُصْبَا*

الأمير سيف الدين المؤيّد ، مملوك الملك المؤيّد صاحب حماة^(١) .

وكان المذكور من بعض أمراء حماة ، وصهر أستاذه الملك الأفضل ، لأنّ المؤيّد زَوْجَةُ ابنته في حياته ، لأنّه اشتراه صغيراً ، ورّياه ، وأحسن تربيته ، فأنشأ نشأة سعيدة^(٢) ، وسلك طريقة^(٣) حميدة ، وكان تامّ العقل ، صادق النقل ، جيّد السياسة ، كامل النفاسه ، له وجه يستحي البدر من رؤيته ، وتظهر على الفصن كَثْرَة من خَطَرَتِه ، بعيون لو رَقَرَقَها لنوء الثريا لاستهلّ ، أو رنا بها إلى الأسد لاستدلّ ، مَدِيدَة القامه ، ظريف الهامه ، من رآه أحبه بديها ، وعلم أنّه لا يجد له شبيها .

ولم يزل على حاله ، إلى أن هَضَرَت يد الموت ثمر غُصْنِه ، وأنزلته من منيع حصنه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

وكان محبوباً إلى أستاذه ، يعظّمه كثيراً ، ويُرْسِلُه في مهمّاته إلى السلطان ، ويجهز تقادّمه معه وأقواده ، فيقبل السلطان عليه ، وَيُنعم عليه ، ويؤثّره ، ويختاره ،

* الوافي : ٤٦٨/١٦ ، ووقعت ترجمته في (س) ، (خ) بعد (طقزقر) ، وهو الصحيح .

(١) إسماعيل بن علي .

(٢) في (خ) : « حسنة سعيدة » .

(٣) في (س) ، (خ) : « طريقاً » .

بخلاف باقي خوشداشيتيه ، ولما مات المؤيد استمر على إمرته في خدمة الأفضل ابن أستاذه ، وكان خوشداشه الأمير سيف الدين أرغون الأفضلي بطالاً بدمشق ، فأنعم عليه بإقطاع خوشداشه طُقْصَبَا ، فتوجّه من دمشق إلى حماة .

٨٢٦ - طُقْزُتْمَر *

بضم الطاء المهملة والقاف وسكون الزاي وفتح التاء ثالثة الحروف وضم الميم وبعدها راء : الأمير الكبير المقدّم سيف الدين الناصري .

كان أمير مئة مقدّم ألف ، قديم الهجرة في دولة الناصر ، معظماً فيها يُشار إليه بالأصابع ، وتُعقدّ عليه الخناصر ، كثير الأدب والحياء ، عديم المحاباة والرياء ، لم يكن يتحيز في أيام أستاذه إلى فئة قطّ ، ولم يمتد له لسان فضول فيحتاج لقطّ ، لا جرم أنّه تقدّم [من تقدّم]^(١) وتأخر^(٢) ، وسبق من سبق وعثر ، وهو في ميدانه إمام البرق المتألق في السحاب المسخر ، وحصل الأملاك العتيده ، وأصل الأموال العديده ، ولم يكن أحد يضاويه ، ولا يظاهره ولا يضافيه^(٣) . صاهر ملكين^(٤) ، وظاهر بعلو مجده فلكئين ، ونصّر السلطان على أنه يكون بعده بمصر نائباً ، ثقة منه أنّ الزمان يجيء إليه من الذنوب تائباً ، وناب بمصر وحماة وحلب ودمشق ، وأعمل أقلامه في العلام بالمدّ والمشق .

ولم يزل على حاله إلى أن لفّته الأرض في ملاءتها وصحنته المنية في صلااتها^(٥) .

* الوافي : ٤٦٥/١٦ ، والتحفة : ٢٦١/٢ ، والبداية والنهاية : ٢١٦/١٤ ، والدرر : ٢٢٥/٢ ، والنجوم : ١٤٢/١٠ ، وإعلام الوری : ١٨ ، والمنهل الصافي : ٤٢٠/٦ .

(١) زيادة من (س) يقتضيها السياق .

(٢) زاد في (خ) : « مَنْ تَأَخَّر » ، ولا وجه لها .

(٣) في (خ) : « يضافيه » ، تصحيف .

(٤) في الأصل : « الملكين » وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وسيأتي تفصيله .

(٥) الصحن : الضرب والدق ، والصلاة : الملق .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في تاسع جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وسبع مئة .

وكان الأمير سيف الدين طقزتمر أولاً مملوك المؤيد صاحب حماة ، وقدمه للسلطان ، وأقبل عليه ، وقدمه ، وأمره ، وما كان يعدّ نفسه في بيت السلطان إلاّ غريباً ، لأنّه لم يكن له خوشداش يعتضد به . ولم يزل كبيراً معظماً من طبقة أرغون ومن بعده إلى آخر وقت ، تقلّبت ^(١) عليه ثلاث أربع طبقات وراحت ، وهو على حاله ، لم يتغيّر عليه السلطان قط .

وهو الذي يُنسب إليه حكر طقزتمر ظاهرة القاهرة ، وفيه الحمام المليح ^(٢) ، وله الربع الذي برّا باب زويلة ، وكان أولاً يعرف بدار التفاح ، وله غير ذلك .

وزوّج السلطان ابنته بانيه الملك المنصور أبي بكر ، وتزوّج ابنته الأخرى الملك الصالح إسماعيل ، وجاء في خطبتها إلى دمشق الأمير سيف الدين ملكتمر الحجازي ، وأوصى السلطان بأن يكون بعده نائباً ، فلما أحضر له المنصور التشریف بالنيابة اقتنع ، فقال له : كنت امتنعت لما وصى السلطان بذلك ؟ ولم [يزل] ^(٣) بمصر نائباً ذينك الشهرين مدّة سلطنة أبي بكر إلى أن جرى ماجرى وخلع .

ولما تولّى الأشراف كجك طلب طقزتمر نيابة حماة ، فأمروا له بها ، وكان بها إذ ذاك الملك الأفضل محمد بن المؤيد ، فأخرج الأفضل من حماة إلى دمشق ، وحضر طقزتمر إلى حماة نائباً ، فهو أول من خرج إليها نائباً بعد صاحبها الأفضل . ولقد سمعت الأمير علاء الدين الطنبغا نائب دمشق يقول في دار عدّله ، وقد جاء الخبر بذلك : كل شيء تزرعه تحصده ، إلا ابن آدم إذا زرعته حصّده ، هذا طقزتمر مملوك بيت أصحاب حماة قدّموه لأستاذنا ، وزرعوه بذلك فحصدهم ، وأخرجهم منها .

(١) في الأصل : « قلب » ، وفي (خ) : « وتقلب » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) عبارة الوافي : « والحمام الذي عند قبو الكرمانى » . وانظر المنهل .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) .

ولم يزل بحماة مقيماً إلى أن تحرّك طَشْتَمَر في حلب ، وسأله أن ينضمّ إليه ، فتوجّه إليه إلى بعض الطريق ، ولما خرج الطنبغا من دمشق وعلم بذلك أرسل إليه ، فعاد من أثناء الطريق إلى حماة ولما بلغ طشتمر ذلك ضَعَفَتْ نَفْسُهُ ، وهرب إلى بلاد الروم - كما تقدّم - ولم يزل طقزتمر بحماة إلى أن بلغه وصول الفخري^(١) إلى دمشق ، ونزولّه على خان لاجين ، فأرسل إليه ، فحضر إلى عنده ، وقويّ جأش الفخري بذلك ، ولم يزالا على خان لاجين إلى أن حضر الطنبغا ، وهرب ، ودخل الفخري وطقزتمر إلى دمشق ، وتوجّه هو والأمير بهاء الدين أصلم وغيرها من الأمراء الكبار إلى الناصر أحمد بالكرك ، ليحضر إلى دمشق ، فامتنع من الحضور ، ثمّ إنّه توجّه مع العساكر الشامية إلى مصر ، وأقام بمصر إلى أن جرى للناصر أحمد ماجرى . وتسلمن الصالح إسماعيل ، ورسم للأمير سيف الدين طقزتمر نيابة حلب ، ونقل الأمير علاء الدين أَيْدَغْمَش منها إلى نيابة دمشق ، وتوجّه كلّ منهما لحلّ نيابته ، والتقى على القطيفة .

ولما توفي الأمير علاء الدين أيدغمش ، رسم لطقزتمر نيابة دمشق ، ونقل الأمير علاء الدين الطنبغا المارداني من نيابة حماة إلى حلب ، وحضر الأمير سيف الدين طقزتمر إلى دمشق ، ودخلها^(٢) في نصف شهر رجب سنة ثلاث^(٣) وأربعين وسبع مئة ، وأقام بها نائباً إلى أن توفي الملك الصالح إسماعيل وتولّى الملك الكامل شعبان ، وحضر الأمير سيف الدين بيغرا ، وحلّف عسكر الشام له ، وجاء معه^(٤) تشریف باستقراره في النيابة على حاله بدمشق . وبعد ثلاثة أيام أو أربعة أيام وَرَدَ الأمير بيبغاروس^(٥) ، ليحضر إلى مصر ، ويكون بها نائباً عوضاً عن الأمير سيف الدين أَلَمَلِك ، فلم تطب

(١) من الكرك ، كما في الوافي .

(٢) في (س) ، (خ) : « ودخلها نائباً » .

(٣) في الأصل : « سبع » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

(٤) في (س) ، (خ) : « معه له » .

(٥) في (س) ، (خ) : « سيف الدين بيبغاروس » ، وفي الوافي : « بيبغا القاسمي » ، وكذا في الموضع

الآتي .

نفسه للخروج من دمشق ، ومرض ، وحصل له فالج وَعَدَمَ نطق ، وَكَتَبَ مطالعةً ، واستعفى فيها من التوجّه إلى مصر ، وأن يكون مقيماً بدمشق ، وكتب إلى الأمراء ، ودخل عليهم ، وتشفّع إليهم بالنبي - ﷺ - وبالخليل - عليه السلام - ، ثُمَّ إِنَّ جماعته خَوَّفُوهُ عَقْبِي ذلك ^(١) ، فوجد من نفسه خَفّة ، وَجَهَزَ الأمير فخر الدين أياز الحاجب على البريد يسأل الحضورَ إن كان ولا بدّ في محفّة لعجزه عن ركوب الفرس ، ففرح السلطان بذلك ، وخلع على فخر الدين أياز ، وحضر بعده ثانياً ^(٢) الأمير سيف الدين بيبغاروس لطلبه ، فخرج في محفّة ، وهو متشاقل مرضاً يوم السبت خامس جمادى الأولى ^(٣) ، ووجد نشاطاً في الطريق .

ولما وصل إلى بُلْبُيْس سَيَّر ولده أمير حاج [و] ^(٤) أستاذ داره قشتمر ^(٥) يسألان له الإعفاء من النيابة ، فأجيب إلى ذلك ، ودخل إلى بيته ، ولم يطلع إلى القلعة ، وأقام في القاهرة ثلاثة أيام وقيل خمساً ، وتوفي - رحمه الله تعالى - في التاريخ المذكور .

٨٢٧ - طُقْطَاي *

الأمير عز الدين الناصري المجدار .

كان بدمشق أميراً من جملة أمرائها . وكبيراً في عداد كبرائها ، فيه خيرٌ وسكون ، وميلاً إلى أهل الفضل وركون ، وَجَهَزَ إلى نيابة الكرك والقيام بما فيها من الدرك ، فأقام بها مدّة ، ثُمَّ عاد ، وَنَسِيَ من دمشق ما هو أقدم من عهد عاد ، فجزى الله بَعُوْدِهِ قلبه ، وشدّ أزره وَصَلَبَتْهُ .

(١) في (خ) : « من ذلك » .

(٢) في (خ) : « بعدها نائباً » .

(٣) في (س) : « الآخرة » .

(٤) زيادة من (س) ، (خ) ، والوافي .

(٥) في (س) ، (خ) : « سيف الدين قشتمر » .

* الدرر : ٢٢٦/٢ .

ولم يزل على حاله إلى أن جمدت عين الجمدار ، ولم يعد له في مدى الحياة مدار .
وتوفي - رحمه الله تعالى - في رابع عشر شعبان ^(١) سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

٨٢٨ - طُقْطَاي *

السلطان صاحب القبجاق ، هو طقطاي بن منكوتر بن سايرخان ^(٢) بن الطاغية الأكبر جنكزخان المغلي ، ومنهم من يقول فيه : « توقتاي » ^(٣) بتائين ثالثي الحروف بدل الطائين وزيادة قاف بعد التاء الثانية .

وكان مع كفره فيه عدل ، وله جود على أهل الخير وبذل ، وميل إلى [من] ^(٤) تدين من [أهل] ^(٥) الملل ، ومن تظاهر بصلاح من أرباب النحل ، إلا أنه كان ^(٦) يرجح الإسلام ، ويحب الأئمة الأعلام ، وكان له ميل عظيم إلى السحر ، وله التفات إليهم ، يعطر من الجو سحره ، وكان يعظم الأطباء ، ويقدم منهم الألباء . ومما لكانه واسع ، وحدوده شاسعه ، وجيشه يربي على الرمل ، ويفوق من النبات عد الحمل ^(٧) . جهز مرة إلى بعض الجهات من ^(٨) كل عشرة واحداً ، فبلغ ذلك مئتي ألف فارس ، ممن يعاني الحروب ويمارس . وكان له ولد كان يحياه البدر في التام ، أو الشمس إذا انجاب عنها الغمام ، فأسلم ، وكان يحب سماع القرآن ، ولا يزال هو ومن يتلوه في قرآن ،

(١) وكذا قال في الدرر ، وفي (س) : « شوال » .

* الوافي : ٤٦٩/١٦ ، والدرر : ٢٢٦/٢ ، والشذرات : ٤٠/٦ ، والمنهل الصافي : ٤٢٥/٦ .

(٢) في الوافي : « سابر » ، وفي الدرر : « سابن » ، وفي بعض أصوله : « ساير » ، وفي الشذرات :

« منكوتر بن باطو بن الطاغية » . وفي المنهل : « منكوتر بن طغاي بن باطو » .

(٣) في الوافي : « توققاء » .

(٤) زيادة من (س) يقتضيها السياق .

(٥) زيادة من (س) يقتضيها السياق .

(٦) ليست في (س) .

(٧) الشجر الملتف .

(٨) في (س) : « في » .

ومات - رحمه الله تعالى - ، قبل أبيه فذاق كؤوس العَلَمَ لفراقه ، ولم تُطفئ دموعه غلّة احتراقه .

ولم يزل طُقطاي على حاله إلى أن أهلك الله نمروده ^(١) ، وكفّ كفّ الموت مُدَيْتِه المشحوده .

وكان هلاكه في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة . وكانت مدة ملكه ثلاثاً وعشرين سنة ، لأنّه جلس على التخت وعمره سبع سنين .

ولما مات طُقطاي تولّى أخوه أزيك - وقد تقدّم ذكره ^(٢) - ، وقيل إنّ جرد من عسكره ، من كلّ عشرة واحداً ، فبلغ ذلك مئتي ألف وخمسين ألف فارس وكان ابنه ذلك المليح قد نوى أنه [إن] ^(٣) ملك لا يترك في مملكته غير الإسلام ، فات ، وترك ابنه صغيراً ، ولما مات طقطاي ؛ أوصى لابن ابنه المذكور ، فلم يتم ^(٤) له الأمر ، وولي بعده ابن أخيه أزيك المذكور ، وجلس على التخت في أواخر رمضان سنة اثنتي عشرة وسبع مئة . وهذه المملكة هي المعروفة ببلاد بركة ابن عمّ هولوكو ^(٥) ، قال الفاضل علاء الدين النعمان ^(٦) : إنّ طول هذه المملكة ثمانية أشهر ، وعرضها ستة أشهر . والله أعلم .

٨٢٩ - طُقطاي *

الأمير عز الدين الدّوادار .

- (١) بالمعجمة والمهملة ، والمعجمة أشهر . انظر : التاج (نرد) .
 - (٢) تقدم على أنه ابنه لا أخوه ، وكذا في الدرر .
 - (٣) زيادة من (س) .
 - (٤) في (س) : « يقيم » .
 - (٥) هو بركة بن قولي بن جنكزخان (ت ٦٦٥ هـ) . الشذرات : ٣١٧/٥ .
 - (٦) هو النعمان بن دولت شاه ، ستأتي ترجمته في موضعها .
- * الوافي : ٤٧٠/١٦ ، والدرر : ٢٢٧/٢ ، والنجوم : ٣٣٤/١٠ ، والذيل التام : ١٦٩ ، وللنهل الصافي : ٤٢٣/٦ .

كان من ممالك السلطان الملك الناصر ، ولكنّه أعطاه للأمير سيف الدين يلبغا الحيوي في جملة ما أعطاه ، وقال له : هذا يكون دودارك ، فحضر معه إلى حماة ، وتوجّه معه إلى حلب ، وحضر معه إلى دمشق ، ولم يفارقه إلى أن جرى ليلبغا ما جرى .

هو لطيف النفس ، ثقیل الرأس ، سهل القياد ، صوفي الاعتقاد ، حسن الأخلاق ، متفعل للخير على الإطلاق ، يرعى أصحابه ، ويذكر أحبابه ، ليس فيه شر ^(١) ألبته ، ولو رأى منه جزءاً حَسَمَ أمره وبَتّه ، كأنما ربي في الخوانق ، ونشأ فيها ، فهو شيخ العقل على أنّه غُرانق ^(٢) ، كثير الرياضة والتأني ، بريء من التكلف والتعني .

ولم يزل على حاله إلى أن قُطِعَ عمره ، وحُطَّ إلى الحضيض بدُّره .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في أواخر المحرم سنة ستين وسبع مئة .

كان يلبغا يقول : هذا قرابتي وخوشداشي ، وكان قد سلّم قيادة إليه ، فهو النائب ، وحديث الناس معه في سائر الأمور ، ولم يكن يقرر شيئاً فيخالفه . أعطاه الملك الكامل شعبان . وهو بدمشق - إمرة عشرة ، فكتبت إليه ^(٣) :

يَاسِيداً رَبُّ الْعُلَى	لِكُلِّ خَيْرٍ يَسْرَهُ
وَمَنْ جَبَاهُ طُلْعَةً	بِالْيَشْرِ أُمْسَتْ مُقْمَرُهُ
وَمَنْ لَهُ مُحَاسَنٌ	تُرْضِي الْكَرَامَ الْبَرَرُهُ
تَهَنُّ أَمْرٍ إِمْرَةٍ	أَنْبَأُوهَا مُشْتَهَرُهُ
بِهَا الْوُجُوهُ قَدْ عَدَّتْ	ضَاكِكَةً مُسْتَبِشِرُهُ

(١) في الأصل : « شراً » .

(٢) الغرناق : الشاب .

(٣) زاد في الوافي : « ونحن على منزلة الكسوة متوجهون إلى الصيد بنواحي الأزرق » . وكذلك في المنهل عن الصفدي .

تأهلها كاملةً مَضْرُوبَةً في عشرة

وكان هذا القول مني تكهنًا في حقّه ، لأنّه صار فيا بعد أمير مئة مقدّم ألف .

ولما خلع الكامل وجلس المظفر على كرسيّ المُلك توجّه إليه من دمشق على البريد ، فرعى له حقّ خِدْمَتِهِ ، وأعطاه طبلخاناه ، ولم يزل حظيًا عند أستاذه إلى أن توجّه معه في وقت خروجه على المظفر ، وصارا في حماة ، فأمسكه الأمير سيف الدين قطليجا المحوي نائب حماة ، وجَهّز صحبة إخوة يلبغا^(١) إلى مصر ، فجَهّز إلى الإسكندرية . ثمّ إنّ الأمير سيف الدين شيخو والأمير سيف الدين صرغتمش شفعا فيه ، فأفرج عنه ، وذلك في سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، فأقام في مصر ، وأُعطي إمرة عشرة ، وتزوَّج بالقاهرة بزوجة الأمير سيف الدين طغاي تمر الدودار وهي أخت الأمير سيف الدين طاز ، ثمّ أُعطي طبلخاناه ، وصار خَصِيصاً بالأمير سيف الدين شيخو .

ولما توجّه الأمير سيف الدين طاز إلى الحجاز كان هو معه ، وأمساكًا بَيِّنْغَارُوس ، وتوجّها به إلى مكة ، ولما عاد الرّكب ، سَبَقَ هو وجاء إلى السلطان الملك الناصر حسن بخبره وبخبر إمساك المجاهد صاحب اليمن ، فخلع عليه ، ووَصَلَهُ . ثمّ إنّهُ حضر مع الأمير سيف الدين بَيِّنْغَارُوس ليقَرّه في نيابة حلب ، فأقرّه ، وعاد ، وقد شَمَّ من أنفاسه الخروج على السلطان الملك الصالح ، وذلك في شعبان سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، ولما عاد من حلب في هذه المرة ؛ ولآه السلطان الملك الصالح الدوادارية عوضاً عن طشبيغا^(٢) ، فكتبت أنا إليه :

هذا الدّوادارُ الَّذِي أَقْلَامُهُ تَذَرُ المَهاقِ مِثْلَ رُوضِ نَافِحِ^(٣)

(١) في الوافي : « وجَهّز معهم إلى مصر مع أخيه يلبغا » .

(٢) في (س) ، (خ) : « الأمير سيف الدين طشبيغا » .

(٣) في الوافي : « نَافِح » .

تجري بأرزاق الوري فِدَادُهَا وَبَلَّ، تَحْدَرُ مِنْ غَمَامٍ سَافِحٍ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، غَلِطْتُ، بَلْ نَهَرَ جَرَى مِنْ لُجٍّ بِحَرِّ طَافِحٍ
وَإِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً فَمَيْنُهُ تَسْطُو بِحَدِّ أَسْنَةٍ وَصَفَائِحِ
يَافَخُرُ دَهْرٌ قَدَحَوَاهُ ، فَإِنَّهُ عَزَّ لَوْلَانَا الْمَلِيكَ الصَّالِحَ^(١)

ولما أراد بيبغا الخروج ، وحلف الأمير سيف الدين العسكر للسلطان الملك الصالح حضر الأمير عز الدين إلى دمشق في شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وأقام قليلاً ، وتوجهه صحبة أرغون الكامل إلى لُد ، وفارق أرغون ، وتوجه إلى مصر ، ثم إنه عاد في شعبان ومعه تقاليدُ للأمير بدر الدين بن خطير بنيابة طرابلس ، والأمير سيف الدين طان يَرَقُ بنيابة حماة ، وبنيابة صفد للأمير شهاب الدين أحمد بن صبح^(٢) ، ثم إنه توجه عائداً إلى مصر ، وتوجه مع السلطان الملك الصالح إلى دمشق ، ثم توجه مع الأمراء شيخو وطارز وأرغون إلى حلب خلف بيبغا ، ولما عادوا عاد معهم ، وتوجهه صحبة السلطان إلى مصر .

ثم إنه حضر في ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة متوجّهاً إلى حلب ، ليجهز العسكر خلف بيبغاروس وأحمد وبكلمش ، فاتفق من سَعْدِهِ أَنَّهُ لَمَّا وَصَلَ إِلَى حَلَبِ جَاءَ أَحْمَدُ وَبَكْمَشُ مَسْوُكِينَ فِي ثَانِي عَشْرِي الْحِجَّةِ ، فَحَزَّ رَأْسِيهِمَا^(٣) ، وَجَهَّزَا إِلَى مِصْرَ ، وَأَقَامَ هُوَ بِحَلَبٍ إِلَى أَنْ وَصَلَ بَيْبَغَارُوسُ فِي ثَالِثِ عَشْرِي^(٤) الْحَرَمِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ^(٥) ، فَحَزَّ رَأْسَهُ ، وَجَهَّزَ صُحْبَتَهُ إِلَى مِصْرَ .

(١) الأبيات في النجوم الزاهرة ، أيضاً .

(٢) في الوافي : « صبح » ، وكذا هو « صبح » في البداية والنهاية ٢٥٨/١٤ .

(٣) في (خ) : « رأساهما » .

(٤) في (س) ، (خ) : « عشر » .

(٥) انظر : البداية والنهاية ٢٤٧/١٤ .

ثم إنه عاد إلى حلب ، وتوجّه بالعساكر صحبة أرغون الكاملي إلى البلاد الروميّة ، ووصلوا إلى قيصرية ، ولم يزلوا إلى أن أمسك ابن دغاغر ، وصار عند ناصر الدين محمد [باك] ^(١) بن أرتنا ، فعادت العساكر بعدما قاسوا شدائد ومشاقّ ومتاعب يعجز الواصف عنها ، وعاد الأمير عز الدين بالخبر ، فدخل إلى دمشق في خامس شهر رجب الفرد سنة أربع وخمسين وسبع مئة ^(٢) ، ولما وصل إلى الأبواب السلطانية أُعطي إمرة مئة وتقدمة ألف كانت بيد الأمير سيف الدين بلبان السناني ، وقيل : إنه زادوه ^(٣) على ذلك بلدين آخرين من قرى مصر .

ولم يزل في عظمة ورفعة ، إلى أن جرح ^(٤) الأمير سيف الدين شيخو في يوم الخميس ثامن شعبان سنة ثمان وخمسين وسبع مئة ، وكان هو في جملة من ركب إلى قبة النصر في السلاح ، وتظاهر بالتعصّب الزائد ، وتخيّز إلى تلك الفئة ، فلما توفي الأمير سيف الدين شيخو في سادس عشري ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وسبع مئة أمسك هو والأمير صلاح الدين خليل بن قوصون ، والأمير سيف الدين قطلوبغا الذهبي ، والأمير سيف الدين قجا أمير شكار ، وجّهزوا إلى الإسكندرية ، ليُعقلوا بها ، ورسم للأمير سيف الدين علم دار أن يكون عوضه في الدواديّة .

من العجيب ما حكاه لي ناصر الدين محمد العلائي البريدي المصري ؛ قال : كنا وقوفاً بين يدي الأمير عز الدين طقطاي الدوادر قبل إمساكه بسبعة ثمانية أيّام ، وقد سَير إليه علم دار رسالة يشفع عنده في بعض البريديّة أن يجهّزه في شغل عينه ، فتأذى الأمير سيف الدين طقطاي ، وقال : الأمير علم دار يجهّزه من ^(٥) عنده ، فما كان بعد

(١) زيادة من (س) ، (خ) .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٢٤٨/١٤ ، وهنا تنتهي الترجمة في الوافي .

(٣) في (س) : « إنهم زادوه » ، وفي (خ) : « إنه أزيد » .

(٤) في الأصل و (خ) : « خرج » ، تصحيف .

(٥) في (خ) : « هو من » .

ذلك إلا قدر يسير ، وَوُلِّيَ وظيفته ، وَجَهَّزَ ذلك البريدي في الشغل الذي كان عَيْنَهُ ، وأقام الأمير عز الدين والجماعة في ثغر الإسكندرية مدة يسيرة ، ثُمَّ إِنَّهُ أَفْرَجَ عَنْهُمْ ، وحضر الأمير عز الدين إلى دمشق ، ومعه علاء الدين الطنبغا^(١) الأبوبكري مقدّم البريدية متوجّهاً به إلى طرابلس ليكون بها مقيماً في جملة بحريّة القلعة بطرابلس ، وأن يُعَيِّنَ لَهُ إقطاع [يعمل]^(٢) خمسة سِتَّةَ آلاف درهم ، وكان وصوله إلى دمشق في يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الأول سنة تسع وخمسين وسبع مئة ، وتردّد إليه أهل دمشق من أرباب السيوف والأقلام وغيرهم ، ونزل في دار الأمير سيف الدين جوبان بالعقبة ، وتوجّه إلى طرابلس ، وأقام بها مدة تزيد على الشهرين ، ثُمَّ رَسِمَ لَهُ بالحضور إلى دمشق ، فحضر إليها ، وأقام بها كذلك [ثُمَّ رَسِمَ بعوده إلى طرابلس ، فتوجّه إليها وأقام بها كذلك]^(٣) ؛ إلى أن وَرَدَ الخبر بوفاته بطرابلس المحروسة في أواخر شهر الله المحرم سنة ستين وسبع مئة - رحمه الله تعالى - فسبحان من لا يحول ولا يزول .

٨٣٠ - طلحة *

الشيخ الإمام المقرئ النحوي الأصولي علم الدين الشافعي . كان في أصله مملوكاً ، يُدعى سنجر ، فغيّر اسمه بطلحة .

قرأ بالسبع على الشيخ موفق الدين بن أبي العلاء^(٤) بيبعلبك ، وتوجّه بعدما تميّز وتصدّر ، وقرأ الناس عليه علومه بعد العشرين وسبع مئة إلى الشيخ برهان الدين الجعبري ، وأخذ عنه وأجازه .

(١) في (س) ، (خ) : « طيبغا » .

(٢) زيادة من (خ) .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) .

* الوافي : ٤٩٠/١٦ ، والدرر : ٢٢٧/٢ ، وغاية النهاية : ٣٤١/١ ، وفيها : « طلحة بن عبد الله » .
والبغية : ٢٠/٢ ، والمنهل الصافي : ٤٣٢/٦ ، وإعلام النبلاء : ٥١١/٤ .

(٤) محمد بن محمد بن علي بن المبارك النصيبي (ت ٦٩٥ هـ) ، غاية النهاية : ٢٤٤/٢ .

كان يعرف الحاجبية معرفة من أتقن العربية ، وأصبح كما تمنى الشاعر عالماً بما في ضمير الحاجبية ، ويعرف (مختصر) ابن الحاجب ويشرح ، ويحلّ لفظه ويسرّحه ، وكان يقرئ القراءات السبع ، وَيَتَفَهِّمُ فِي التَّلَظُّظِ بِهَا كما يزار السبع ، ونغمه في [التلاوة] ^(١) طيب لذيد ، وصوته يكاد يحيا به الوقيد ^(٢) ، وكان يقرأ بالجوق في الختم فيطرب الناس بلحنه ، وإذا قرأ في الجامع تحقق الناس أن حلاوة السكر في صحنه .

ولم يزل على حاله إلى أن عدم أهل حلب فوائده وفقدوها ، وقال الناس :
رَحِمَ اللَّهُ أَعْظَمًا دَفَنُوهَا ^(٣) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة خمس ^(٤) وعشرين وسبع مئة بحلب وقد نيف على الستين .

قرأت عليه بحلب مدة مقامي قطعة جيدة من كتاب البيوع في (التعجيز) ^(٥) لأنه كان أخذه عن الجعبري . وكنت أسمع دروسه في الجاجبية وفي (مختصر) ابن الحاجب ، وكان يراعي الإعراب في كلامه حتى في وقت بحثه وجداله ، وكان شيخاً طوالاً ، أزرق العين بلحية سوداء .

(١) زيادة من (س) .

(٢) الوقيد : من أشرف على الموت .

(٣) صدر بيت لعبيد الله بن قيس الرقيات ، تمامه :

بسجستان طلحة الطلحات

انظر : اللسان (طلع) .

(٤) في المنهل : « سنة ست وعشرين » .

(٥) التعجيز في مختصر الوجيز ، في الفقه الشافعي ، لعبد الرحيم بن محمد بن منعة ، ابن يونس المتوفى سنة

(٦٧١ هـ) .

٨٣١ - طلحة بن الخضر*

ابن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن حسن بن علي ، الصدر شمس الدين القرشي
الدمشقي .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا عن ابن علان ، وسمع من الصدر البكري وجماعة .
وكان من أعيان الشهود ومن أرباب البيوت والثروة بدمشق .
توفي - رحمه الله تعالى - في شهر رجب ^(١) سنة تسع وتسعين وست مئة ^(٢) .

٨٣٢ - طلحة بن محمد**

ابن علي بن وهب ، الشيخ ولي ^(٣) الدين بن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد .
توفي بالقاهرة سنة ^(٤) ست وتسعين وست مئة ^(٥) ، وكان موته وموت ابن
الصاحب فخر الدين في يوم واحد .

٨٣٣ - طوغان***

الأمير سيف الدين طوغان .

ولي الشد بدمشق مرّات ، وتولّى نيابة البيرة ، فأمسكه أهل قلعتها وقيدوه ، لما

* الوافي : ٤٨٦/١٦ ، والمنهل : ٤٢١/٦ .

(١) في (س) : « رجب الفرد » .

(٢) ومولده بعد الأربعين وست مئة . (المنهل) .

** الوافي : ٤٨٥/١٦ ، والطالع السعيد : ٢٧٢ ، والمنهل الصافي : ٤٢١/٦ .

(٣) في الأصل : « تقي » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي ، والمنهل .

(٤) في (س) : « في صفر سنة » .

(٥) ومولده سنة ثمان وستين وست مئة . (الطالع السعيد) .

*** الدرر : ٢٢٨/٢ ، والسلوك : ٩٤/١/٢ ، ١٨٣ ، ٢٠٢ .

أَمْسَكَ أَسْنَدُ مَرْجُوهُ ، فَأَمَضَى ذَلِكَ وَهُوَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ عَشْرٍ وَسَبْعٍ مِئَةٍ ، وَلَكِنْ أَنْكَرَ السُّلْطَانُ عَلَيْهِمْ فِيمَا بَعْدَ ، وَتَوَجَّهُوا بِهِ إِلَى مِصْرَ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَفْرَجَ عَنْهُ ، وَأَعِيدَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَشَدَّ أَهْلُ الدَّوَاوِينِ فِي صَفَرِ سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةٍ وَسَبْعٍ مِئَةٍ . ثُمَّ أَمْسَكَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةٍ وَسَبْعٍ مِئَةٍ ، وَجَهَّزَ إِلَى مِصْرَ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْأَمْراءِ مِنْهُمْ بَيْبُرسُ المَجْنُونِ ، وَسَنْجَرُ الْبُرْوَاني ، وَبَيْبُرسُ التَّاجِي ، وَكُشْلِي^(١) ، ثُمَّ أَفْرَجَ عَنْهُ بَعْدَ مَدَّةٍ طَوِيلَةٍ ، وَجَهَّزَ نَائِبَ قَلْعَةِ صَفَدَ ، فَجَاءَ إِلَيْهَا ، وَعَمَّرَهَا ، وَرَمَّمَهَا ، وَلَمْ شَعْنَهَا ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ بَطَّالٌ ، وَفِيمَا بَعْدَ مَدَّةٍ أَظْنَهُ أُعْطِيَ إِمْرَةً عَشْرَةَ . وَكَانَ يَنْفِقُ فِي الصَّنَاعِ وَالْفِعُولِ مِنْ مَالِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ ظَالِمًا عَسُوفًا ، عَدِيمَ الرَّحْمَةِ عَبُوسًا ، لَا يَكَادُ يَنْتَسِمُ أَبَدًا .

وَكَانَ آيَةً فِي الْكِرَمِ ، وَغَايَةً فِي الْجُودِ ، يَخْجَلُ الْغَيْثُ إِذَا احْتَدَّ بَرْقُهُ وَاضْطَرَمَ ، لَا يَغْسِلُ قَبَاءَهُ أَبَدًا ، وَلَا يَرَى لَهُ فِي اقْتِنَائِهِ مَسْتَنَدًا ، بَلْ يَلِيسُهُ ، فَإِذَا اتَّسَخَ وَهَبَهُ ، وَنَزَعَهُ عَنْ جَسَدِهِ لَغِيرِهِ وَسَلَبَهُ . وَكَانَ فِي أَخْلَاقِهِ حِدَّةٌ وَشِرَاسُهُ ، وَشِدَّةٌ تَقْطَعُ مِنَ الْحَلْمِ أَمْرَاسَهُ .

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ فِي قَلْعَةِ صَفَدَ إِلَى أَنْ طُويَ خَبَرُ طُوغَانَ ، بَعْدَ مَا كَانَ سَائِرًا مِنْ مِصْرَ إِلَى مَوْغَانَ^(٢) .

وَتُوفِيَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - سَنَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ فِيمَا أَظَنَّ .

وَكَانَ يُحْكِي عَنْهُ عَجَائِبُ ، مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا فِي قَلْعَةِ الْبِيرَةِ جَالِسًا وَعِنْدَهُ الْمُبَاشِرُونَ يَعْمَلُونَ الْحِسَابَ ، فَنَعَسَ هُوَ لِحَظَةٍ وَغَفَا وَانْتَبَهَ ، فَقَالَ لِلنَّاضِرِ : اكْتُبْ عَلَيَّ طُوغَانَ جَنَائِيَةَ مَبْلَغِ مِئَتِي دَرَاهِمَ لِكُونِهِ يَكُونُ فِي شُغْلِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ وَيَنْعَسَ . فَمَا أَمَكَّنَ النَّاضِرُ وَالْمُبَاشِرِينَ^(٣) إِلَّا امْتِثَالَ أَمْرِهِ ، وَقَالَ لِحَزَنْدَارِهِ : هَاتِ مِئَتِي دَرَاهِمَ ،

(١) انظر السلوك : ١٨٣/١/٢ .

(٢) فِي (س) : « مَوْغَانَ » ، وَهِيَ بَلَدٌ بِأَذَرَبَيْجَانِ . مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ : ٢٢٥/٥ .

(٣) فِي الْأَصْلِ وَ (س) : « الْمُبَاشِرُونَ » .

فأحضرها ، ووضعها في صندوق الحاصل ، فلما كان بعد أيام نَعَسَ الناظر ، فجَنّاه خمس مئة درهم .

وكان يوماً في صفد جالساً على البرج والهواء يتخفق في أعلى القلعة ، فلعب الهواء بذيله ، فوضعه تحت فخذه ، فلعب الهواء [به]^(١) ثانياً ، فشال فخذه ووضعته تحته ، فلعب به ثالثاً فنزعه عنه وألقاه على الأرض ، وضربه بالعِصِيّ إلى أن قطعه .

وكان الأمير سيف الدين أرقطاي كثير البسط والانشراح ، فجاءه بعض أمراء العربان فانبسط عليه ، وقال : أطلعوه القلعة ، فجاءوا به وهو واقف في عمارة القلعة ، فلما رآه ، قال : هات قيئاً ، وقَيّده به ، وأداره في العمل تحت^(٢) الحجارة والكس ، فقالوا : يا خوند إِنّا ملك الأمراء يلعب معه . فقال : والك ، أنا عندي لعبٌ ؟! وتعب الناس في خلاصه منه ، إلى أن اجتمع به في الخدمة ، وشفع فيه حتّى أطلقه .

وكان يقف في عمارة القلعة من طلوع الشمس إلى مغيبها ، وإذا كان الليل نام على قفاه ، ورفع رجليه مع الحائط ، وقد عصبها بالفصاديات^(٣) ، وقَطَّها ، ويُعطى الصانع الدراهم من عنده ، وهو يضربه بالعصا التي في يده ، وقلّما ضرب أحداً إلا أجرى دمه ، لأنّه ما كان يكون في يده عصاً إلاّ ما تصلح أن تكون نصاب دبّوس ، رحمه الله .

وفيه يقول علاء الدين الوداعي - وقد كان عنده في البيرة كاتب درج - ، ومن خطّه نقلت :

يا جيرة قُرْبُهُمْ مَرَّادِي	وحظ قلبي ولحظ عيني
طوغان ، طوفان راحتيه	قد حال بينكم وبيني
فلا سبيل إلى لقاء	من بين لجين في لجين

(١) زيادة من (س) .

(٢) في (س) : « يحمل » .

(٣) لعلّها خرق تلفّ بها الساق على الفصد .

اللقب والنسب

☆ الطوسي : شارح (الحاوي) عبد العزيز بن محمد .

☆ الطوفي : نجم الدين الحنبلي سليمان بن عبد القوي . ونجم الدين الرافضي عبد القوي بن عبد الكريم .

☆ طَوِير الليل : تاج الدين محمد بن علي .

٨٣٤ - طبرس بن عبد الله*

الشيخ الإمام العالم الفقيه النحوي علاء الدين الحنفي^(١) المعروف بالجندي .

ذَكَرَ أَنَّهُ قَدِمَ مِنْ بِلَادِهِ إِلَى الْبِيرَةِ ، فَاشْتَرَاهُ بَعْضُ الْأُمَرَاءِ بِهَا ، وَعَلَّمَهُ الْخَطَّ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ . وَتَقَدَّمَ عِنْدَهُ وَأَعْطَاهُ إِقْطَاعاً وَأَعْتَقَهُ .

فَلَمَّا تَوَفَّى أَسَازَهُ قَدِمَ إِلَى دِمَشْقَ وَقَدْ جَاوَزَ الْعِشْرِينَ سَنَةً ، وَتَفَقَّهَ بِهَا عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَاشْتَغَلَ بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْعُرُوضِ وَالْأَدَبِ وَالْفَرَائِضِ وَالْأَصْلِينَ حَتَّى فَاقَ أَقْرَانَهُ ، وَسَمَّتْ هِمَّتُهُ ، فَصَنَّفَ فِي^(٢) النَّحْوِ وَغَيْرِهِ ، وَنَظَّمَ كِتَابَ (الطَّرْفَةِ) فِي النَّحْوِ^(٣) ، وَجَمَعَ فِيهِ بَيْنَ (أَلْفِيَةِ ابْنِ مَالِكٍ) وَ (مَقْدَمَةِ ابْنِ الْحَاجِبِ) ، وَزَادَ عَلَيْهِمَا ، وَهِيَ تَسَعُ مِائَةَ بَيْتٍ ، وَقَرَأَهَا عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمْ الشَّيْخُ صَلَاحُ الدِّينِ الْبَطَّانِيُّ ، وَشَرَحَهَا . وَكَانَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ بَنَ عَبْدِ الْهَادِي^(٤) يُثْنِي عَلَيْهِمَا . وَكَانَ مُغْرَىً بِالنَّظْمِ مِنْ صَغَرِهِ ، وَكَانَ حَسَنَ الْمَذَاكِرَةِ ، لَطِيفَ الْمَعَاشِرَةِ ، مَخْبِرُهُ أَحْسَنُ مِنْ مَنَظَرِهِ ، كَثِيرَ التَّلَاوَةِ ، يُصَلِّي بِاللَّيْلِ كَثِيراً .

* الدرر : ٢٢٨/٢ ، والبغية : ٢١/٢ ، والشذرات : ١٦١/٦ .

(١) في الأصل : « النحوي » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) كشف الظنون : ١١١/٢ .

(٤) محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، ستأتي ترجمته .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة بالصالحية في طاعون دمشق .

وكان مولده سنة ثمانين وست مئة تقريباً .

وأُنشدني من لفظه المولى الشيخ مُحْيِي الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يعقوب الرحبي الشافعي ^(١)، قال : أنشدني [من لفظه] ^(٢) لنفسه الشيخ علاء الدين المذكور قال : وهو أول شيء نظمته بالبيرة قال :

وَكَلَّمَا الْقَلْبُ نَاجَانِي بِهَجْرِكَ لِي وهل تعود فأقوالي : عَسَى وَبَلَى
قَدْ كَانَ قُرْبُكَ عَكْسَ اللَّفْظِ مَدَّتْهُ كما مقامي بعكس اللَّغْظِ هُرِّيَ بِلَا
وبه قال : أنشدني المذكور لنفسه ^(٣) :

بَكْفَرٍ بَطْنَا لَقَدْ طَبْنَا عَلَى نَزِهِ مِنْ مَشْيٍ كَنَجُومٍ غَشَّتِ الشَّجَرَا
أَحْلَى مِنَ الْوَصْلِ لَكِنْ فِي لَطَافِهِ أَرْقُ مِنْ نَسْمَةٍ هَبَّتْ لَنَا سَحَرَا
كَدَتْ تَذَوِّبُهُ الْأَحْظَاظُ مِنْ عَجَبٍ لَمَا رَأَتْ قَدْ بَدَتْ فِي لُطْفِهِ الصُّورَا ^(٤)

وبه قال : أنشدني من لفظه لنفسه في كيال مليح له رفيق اسمه الشمس يُلقَّب (الثور) لقبه ويُلقَّب أيضا (بالدقن) لطول لحيته :

نَفْسِي الْفِدَاءُ لَكِيَالٍ بَرَى جَسَدِي بِأَرْبَعٍ زَيَّنَتْهَا أَرْبَعٌ أُخْرُ
فِي رِذْفِهِ عِظَمٌ فِي خَضْرِهِ هَضَمٌ فِي رَيْقِهِ شَهْدٌ فِي طَرْفِهِ حَوْرُ
كَأَنَّ وَجْنَتَهُ فِي النَّعْجِ إِذْ غَرِقَتْ يَاقُوتَةٌ فَوْقَ تَبْرِ تَحْتَهَا دَرُّ ^(٥)

(١) (ت ٧٩٤ هـ) ، الدرر : ٤٣٠/٤ .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) .

(٣) البيتان في الدرر .

(٤) في الأصل : « يذوبها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهي أصح .

(٥) في (س) ، (خ) : « تحت تبر فوقه درر » .

مِنْ أَجَلِهِ الشَّمْسُ مِنْ أَنْوَارِهِ كُسِفَتْ
فَمَنْ رَأَى الشَّمْسَ غَشَى نُورَهَا الْقَمَرُ
رَفِيقَهُ الدَّقْنُ ثَوْرٌ إِنْ ذَا عَجَبٌ
خَشَفَ تَرَافِقُهُ الثِّيرَانُ وَالْبَقَرُ
وبه قال : أنشدني من لفظه لنفسه ^(١) :

قَدِ بَتُّ فِي قَصْرِ حَجَّاجٍ فَذَكَّرَنِي
بِقُ يُطِيرُ وَبِقُ فِي الْحَصِيرِ سَعَى
بِضْنِكَ عَيْشَةٍ مَنْ فِي النَّارِ يَشْتَعَلُ
كَأَنَّهُ ظَلَّلَ مِنْ فَوْقِهَا ظُلَّلُ ^(٢)
وبه قال : أنشدني من لفظه لنفسه :

قَارِبْتُ سَتِينَ عَاماً وَالشَّبَابُ ظَلَا
وَكَانَ شَاهِدَ زُورٍ لِلشَّبَابِ فَلَا
مُهُ عَلَى شَعْرِي مَاشِبٍ بِالنُّورِ
تَسْتَعْجِبُوا مِنْ سَوَادِ الشَّاهِدِ الزُّورِ
وبه قال : أنشدني من لفظه لنفسه في عَطَار :

اِحْتَجْتُ إِلَى قَطْرِ نِبَاتٍ وَسَنَا
مِنْ وَجْهِهِ وَمَنْطَقِهِ كَمْ سَلَبْتُ
فَابْتَعْتَهَا مِنْ ذِي اعْتِدَالٍ وَسَنَا
أَجْفَانٍ مَتِيْمِي هَوَاهُ وَسَنَا

٨٣٥ - طيب *

الأمير سيف الدين .

كان من جملة الأمراء بصفد ، ثم إنه نُقِلَ إلى دمشق وأقام بها قريباً من سَنَةٍ ، ثم إنه
توجّه صُحْبَةَ الْعَسَاكِرِ إِلَى صَفْدٍ لِحَصَارِ أَحْمَدَ السَّاقِي ، وَلَمَّا سَلَّمَ نَفْسَهُ أَحْمَدَ تَوَجَّهَ بِهِ الْأَمِيرُ
طَيْبٌ ^(٣) إِلَى بَابِ السُّلْطَانِ صُحْبَةَ ^(٤) مَنْ تَوَجَّهَ مَعَهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ فَرَسَمَ لَهُ السُّلْطَانُ فِي

(١) البيتان في البغية .

(٢) في البغية : « من فوقه » .

* الوافي : ٥١١/١٦ ، والدرر : ٢٣٢/٢ .

(٣) في الأصل : « الطيب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٤) في الأصل : « وصحبة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وعبارة الوافي : « مع جملة من توجّه » .

الديار المصرية بالإقامة فأقام بها ، وذلك من أوائل سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ولما خرج الأمير علاء الدين مغلطاي والأمير سيف الدين منكلي بغا الفخري على السلطان الملك الصالح أول دولته كان معها ، فرسم باعتقاله ، وذلك في شهر رجب سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة^(١) ، ثم إنه أفرج عنه وورد إلى صفد وأقام بها بطالاً .

ثم إنه توجه صُحبة الأمير علاء الدين ألتنبغا برفاق نائب صفد إلى دمشق لما راح إلى يبيغاروس ، وهرب معهم لما هربوا ، ودخلوا البلاد الروميّة ، ثم إن الأرض أضمرت ، ولم أسمع له خبراً إلى أن ورد مرسوم السلطان بتجهيزه من ثغر إسكندريّة إلى تلك البلاد ، أعني الشرقية من ولاية إلى ولاية وكان ذلك في شهر رمضان أو ما بعده^(٢) ، سنة ست وخمسين وسبع مئة^(٣) .

[اللقب والنسب]^(٤)

☆ ابن أبي الطيب : نجم الدين وكيل بيت المال عمر بن أبي القاسم . وولده نجم الدين محمد بن عمر .

☆ الطيبي : محمد بن بادي . وشمس الدين الطيبي موقع طرابلس : أحمد بن يوسف .

٨٣٦ - طيبرس *

الأمير علاء الدين الساقى أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .

(١) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .

(٢) في (س) ، (خ) : « بعد » ، وهي ضعيفة .

(٣) ومات في حدود الستين ، كما في الدرر .

(٤) زيادة يقتضيها منهج الصفي .

* الدرر : ٢٢٩/٢ .

توفي رحمه الله تعالى في العُشر الأول من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

٨٣٧ - طبيغا*

الأمير سيف الدين السلاح دار الناصري المعروف بقوين باشي ، بقاف وواو وياء آخر الحروف وبعدها نون وباء موحدة وألف وشين معجمة وياء آخر الحروف .

كان شكله تاماً طويلاً ، وخدّه أسيلاً ، ذقنه في حنكه سوداء ، وعِمتُه مليحةً وَجنتُه مَرْداء ، خيراً لاشترّ فيه ، يحبه تنكرز ويعظمه ويعرف له حقّه ويؤفّيه ، وولاه نيابة حمص فأقام فيها على حالٍ شديده ، وسيرة في العدل سديده ، ثم إنه نقله إلى نيابة غزه ، وأراد له بذلك التقدم والعِزّه ، فأقام فيها مدة يسيرة مريضاً ، ورأى من السُّقم مدئ طويلاً عريضاً ، إلى أن فارق وجوده ، وأطال البلى تحت الأرض هجوده .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عَشري ربيع الأول سنة اثنتين وسبع مئة .

وكان له ولد كأنه القمر إذا بدر في أفقه ، أو الغزال في ليّ عنقه ، فمات في حياته ، وجرّعه كأس وفاته ، وصبر هو والناس على فقده ، وودوا لو شركوه في سَكْنى لَحْده .

٨٣٨ - طبيغا**

الأمير علاء الدين طيبيغا حاجي .

أعرفه بالقاهرة ، وهو رأس نوبة الجمداريّة ، ثم إنه خرج إلى دمشق ، واختص بالأمير سيف الدين تنكرز ، وكان يقربه ويُدنيه ، ولما أُمسك تنكرز ، وحضر بعده بُشتاك ، أُمسك الأمير علاء الدين طيبيغا حاجي والأمير سيف الدين ألجبيغا

* الدرر : ٢٣١/٢ .

** الدرر : ٢٣٢/٢ .

العادي ، وأودعا قلعة دمشق في الاعتقال ، ولم يَزالا^(١) إلى أن مرض السلطان مرض موته ، وعوفي قليلاً فأفرج عنها وعن غيرها من الذين كانوا في الاعتقال بمصر والشام ، وجَهّزه الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري في أول دولة الناصر أحمد إلى حلب ليكون بها^(٢) نائبا فتوجه إليها ، وأقام بها نائبا بعد حمص أخضر إلى أن وصلها الأمير علاء الدين أيدغمش نائبا .

وكان قد جَهّز في سنة اثنتين وأربعين إلى حلب أميرا ، فتوجه إليها ، وبعد ذلك عمل النيابة بها ، ولما عُزل منها أقام بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة تقريبا ، وحضر تابوته إلى دمشق ودفن بها .

وكان عاقلا ساكنا^(٣) وإفرا الحشمة كثير الحياء .

٨٣٩ - طيغنا*

الأمير علاء الدين الإبراهيمي .

كان أميراً بصفاً من جملة الطبلخانات ، ورسم له بناية قلعة صفا عوضاً عن الأمير شهاب الدين بن لافي ، وباشر ذلك مدة قليلة دون الشهر ، وعُزل بالأمير صلاح الدين بن الحشاش .

وتوفي الإبراهيمي بعد عزله بقليل في شهر شوال سنة ست وخمسين وسبع مئة .

٨٤٠ - طينال**

بفتح الطاء المهملة وسكون الياء آخر الحروف وبعدها نون وألف ولام .

(١) في الأصل : « ولم ير إلا » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « لها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) في (خ) : « ساكناً وادعاً » .

* الدرر : ٢٢٩/٢ .

** الوافي : ٥١٦/١٦ ، والدرر : ٢٣٢/٢ ، والنجوم الزاهرة : ١٠٣/١٠ ، وتذكرة النبیه : ٤٢/٣ .

الأمير سيف الدين الأشرفي الحاجب بمصر الناصري نائب السلطنة بطرابلس وغزة وصفد .

كان أميراً كبيراً ، دَرِباً بالأمور خبيراً ، ما أقام ببلد إلا وأحبّه أهلها وانتفع العرفان بها وانتفى جهلها .

أول ما ورد إلى طرابلس نائباً^(١) بعد الأمير شهاب الدين قرطاي قوّى نفسه ، وصوّب رأيه وتحمينه وحدّسه ، وأخذ في معاكسة الأمير سيف الدين تنكز ومعاندته ، ومنافسته في الأمور ومنابذته ، فكتب به^(٢) إلى السلطان وعزله ، وأراه الذلّ في المنزل الذي نزله .

ورسّم له بنيابة غزة ، فتوجّه إليها وقد جعل إصبه فيها تحت رزّه ، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، فأقام بها قليلاً ، ثم طأوع أن يكون في الجنّة لا في النار ذليلاً ، فأعيد إلى طرابلس ثانياً^(٣) ، ورجع إليها شاكراً حامداً ثانياً ، ووطّن نفسه على الطاعة لمن قهره ، والخضوع لمن كان سائله فنهره ، فمشت حاله ، وارتفع خبره وانتصب حاله . ثم إنه عُزل من طرابلس ، ثم أُعيد إليها ثالثاً ، ثم عُزل وجّهز إلى صفد نائباً ، فأقام بها إلى أن تحتمّ الأجل ، وتحتّم بالوجلّ .

وتوفي بصفد رحمه الله تعالى في نهار الجمعة خامس شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

وكان في النيابة الثانية بطرابلس فلما أمسك تنكز عُزل منها لما عزل نواب الشام وحضر إلى دمشق وأقام بها أميراً ، ولما كان الفخري بدمشق جهّزه إلى طرابلس نايباً ،

(١) ليست في (خ) .

(٢) في (خ) : « فيه » .

(٣) في (خ) : « فدخل إليها » .

(٤) في (خ) : « نائباً » ، تصحيف .

فتوجّه إليها ثالث مرة نائباً ، ولم يزل بها إلى أن رَسَمَ له الصالح بالتوجّه إلى صفد ، فتوجّه من طرابلس إليها وأقام بها إلى أن توفي في التاريخ المذكور ، ودفن في مغارة يعقوب عليه السلام بصفد في قبر كان طشتر حمص أخضر قد أعدّه لنفسه .

ولما أتى في المرة الثانية إلى طرابلس في شهر ربيع الآخر في سنة خمس وثلاثين وسبع مئة كان مجهّز مطالعته إلى السلطان مفتوحة على يد البريدي الذي [هو] ^(١) من جهته ، ليقف عليها تنكز ويقراها ويختها [ويجهزها] ^(٢) .

وكان السلطان قد جهزه بمصر هو والأمير ركن الدين بيبرس الحاجب إلى الين نجدةً لصاحبها ، ومعهما ألف فارس في شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وسبع مئة . وكتب إليه مرّة كتاباً من طرابلس يهنئ فيه الأمير سيف الدين تنكز بقدمه من صيد الطير ، ويذكر فيه أنه هو كان أيضاً غائباً في الصيد ، فكتبتُ أنا الجواب إليه عنه ونسخته :

أعزّ الله أنصار المقرّ الكريم ^(٣) العالي المولوي الأميري السيفي ، وجمع شمل المسرات إليه ^(٤) جميعاً ، وجعل حرّمه على الخطوب محرماً وزمّنه كلّ ربيعا ، وأظفره من الصيد بما يُلْقَى لديه في الدوّ ^(٥) صريعا ، ويخرّله من الجوّ صريعا ، المملوك يقبل اليد الكريمة التي أصبح الجود لها مطيعاً ، ويخدم بالدعاء الذي يُظنّ لصدّقه في رفعه أنّ الله يكون له سميعاً ^(٦) ، ويصف الولاء الذي إذا دعا الإخلاص لبّاه سريعا ، ويبث الثناء الذي ملأ الأسماع جره جوهراً ، والصحف بديهاً بديعا ، وينهي وُروء المشرفة العالية ،

(١) في الأصل : « البريد الذي من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) ، والوافي .

(٣) ليست في (س) .

(٤) في (س) ، (خ) : « لديه » .

(٥) الدوّ : الأرض الواسعة .

(٦) في الأصل : « جميعاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

فوقف منها على أسطار البلاغة التي أخرج العي منها خائفا يترقب ، واستجلى منها كواعب البيان التي إذا لمحا هلال الأفق غطى نوره بكه الأزرق وتنقب ، ورعى منها العبارة التي إذا أثنى البليغ عليها فقد قابل دُرّها المنظم بالجزع^(١) الذي لم يُتَقَب ، فقابل ذلك بالشكر لله تعالى على عَوْدِ مولانا إلى وطنه ، وقرار قلبه وقرة عينه بما ناله من اجتماعه بمسكنه وسكنه ، بعد أن عُرِضت صيوده على مواقد النيران ، وضربت أطيّارها قِباب أشلائها على طريق الوحش تتقارع منها على قري الضيفان ، ونثر على سندس الربيع من ريشها الأزرق ياقوت ومن دمها الأحمر مرجان ، وغدّت وجنة الأرض وفيها^(٢) من الدماء مضرّج ومن الريش خيلان ، فالله يكمل لمولانا المسرة التامة ، ويهيج خاطره الكريم بأفراحه^(٣) العامة للخاصة والعامة ، ويجعل عداه في قبضة قنصه ، ويجرّع كلاً منهم كؤوس غصصه ، حتى يكونوا كصيوده بين يديه طرّحى معقرين في الثرى كأشلائها معقرين جرّحى ، وولدا مولانا الجنّابان العاليان : المظفري موسى والناصرى محمد مخصوصان بتحية تجاري لطفها ، وثناء يباري في الطيف وصفها^(٤) ، إن شاء الله تعالى .

٨٤١ - طي الحوراني*

كان قيماً بدار الحديث الظاهرية .

أمسك وضرب بدار الوالي ، فاعترف بقتل الشيخ زكي الدين السمرقندي الحنفي ، فشنقوه على باب الظاهرية بكرة الثلاثاء عاشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبع مئة .

☆ الطيوري الحاسب : علي بن عثمان .

(١) الجزع : الحرز فيه سواد وبياض .

(٢) في (س) ، (خ) : « وفيها » .

(٣) في (خ) : « يافراطه » ، تحريف .

(٤) زاد في (س) : « بنته وكرمه » .

* لم نقف على ترجمته .

حرف الظاء

٨٤٢ - ظافر بن أبي غانم*

ابن سيف بن طيّ بن محمد بن سالم فتح الدين أبو الفتح [الأرفادي الحلبي الطائي] ^(١) .

أخبرني العلامة أبو حيان قال : كان المذكور بالقاهرة ، وله نظم منه قوله :

ولقد ظننتُ بأننا ما نلتقي حتى رأيتك في المنام مُضاجعي
فوقعتُ في نومي لوجهك ساجداً ونثرتُ من فرحي عليك مدامعي ^(٢)

٨٤٣ - ظافر بن محمد**

ابن صالح بن ثابت زين الدين الأنصاري الجوزي المحتد ^(٣) ، العدوي ، نسبة إلى فقراء الشيخ عديّ ، يعرف بالطَّنَّاني ، بفتح الطاء المهملة وبعدها نون مخففة وبعدها ألف ونون ثانية ، وهي بلدة بالديار المصرية ^(٤) بها وُلد .

أخبرني العلامة أثير الدين قال : كان المذكور رجلاً فقيراً ، كثير الانبساط ، يُظهر

* الوافي : ٥٢٨/١٦ ، ولم يذكر سنة وفاته ، ثم ترجم ٥٢٢/١٦ لرجل له الاسم نفسه لكن لقبه « شهاب الدين » ، وفاته (٦٩٤) ، وعلّق بقوله : « والظاهر أنه الذي تقدّم آنفاً ، وما هو ببعيد ، وما اختلف عليّ إلا باللقب ؛ لأنّ ذاك فتح الدين ، وهذا شهاب الدين ، والله أعلم » .

(١) زيادة من (س) ، والوافي .

(٢) في (س) ، والوافي : « فرح » .

** الوافي : ٥٢٩/١٦ ، والدرر : ٢٣٣/٢ .

(٣) نسبة إلى جَوْجَرَ ، بليدة بمصر من جهة دميّاط . معجم البلدان : ١٧٨/٣ .

(٤) قريبة من القسّاط . معجم البلدان : ٤٢/٤ .

الخرق^(١) . ويذكر [عنه]^(٢) بعض مَنْ خالطه صلاحاً وديانةً ، وتُنسب له كرامه . ورأيتُه بدمياط ، وله نظم كثير ، من ذلك قوله :

تَمِيسُ فَتَخَجَلُ الْأَغْصَانُ مِنْهَا	وتزري في التلفت بالغزال
وَتُحْسَبُ بِالْإِزَارِ بَأْنُ تَغَطَّتْ	وقد أبَدَت به شكل الجمال
سَلَوَهَا لِمُ تَغِطِّي الْبَدْرَ عَمْدًا	وتَسْمَحُ لِلنَّوَاطِرِ بِالْهَلَالِ
وَلِمُ تُصَلِّي الْحَشَا بِالْعَتَبِ نَارًا	وفي ألفاظها بَرْدُ الزُّلَالِ ^(٣)
وَلِمُ فَضَحَتْ بِمَغْصَمِهَا اعْتَصَامِي	وأطبقت العقيق على اللَّيَالِي
وَيُيَدِي حَالَهَا أَمْرًا عَجِيبًا	ظهوراً في خفاءٍ مِثْلَ حَالِي
فَإِنْ حَاكَتْ بَوْفِرَ الرَّدْفِ وَجُدِي	فقد حاكى بها الْخَصْرُ انتحالي
حَلَالٌ فِي الْغَرَامِ بِهَا عَذَابِي	كَمَا عَذَّبُ اللَّمَّا مِنْهَا حَلَالِي

اللقب والنسب

☆ الظاهري : شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن . والحافظ جمال الدين أحمد بن محمد .

☆ وفخر الدين بن الظاهري : عثمان بن محمد .

٨٤٤ - ظهير بغا*

الأمير سيف الدين أحد مُقَدِّمِي الألوَف بالديار المصرية .

(١) في الوافي : « الحرف » ، وفي بعض أصوله : « الحرف » .

(٢) زيادة من (س) ، والوافي .

(٣) في الأصل : « بالعبث » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

* الدرر : ٢٣٤/٣ .

كان قريباً للسلطان الملك الناصر محمد..

حضر إلى الديار المصرية في سنة ست وعشرين وسبع مئة بعد خروج الأمير سيف الدين أرغون النايب إلى حلب ، وأظنه أخذ تقدمته ، وعظمه السلطان لما وصل وأعطاه إمرة مئة .

وكان الأمير سيف الدين يكتب بالْمَغْلِي ، وكان إذا حضر كتاباً من بوسعيد بالْمَغْلِي ، ولم يكن الأمير سيف الدين أيتش حاضراً يقرأه الأمير سيف الدين ظهير بغا ، ويكتب جوابه بالذهب أو بالمداد ، ولم أر أحداً أكثر من أقاربه بتلك البلاد ، كانوا يَفِدُون عليه في كل وقت طول السنة من مئتي نفس فما دونها إلى العشرة مئة مقامه في الديار المصرية ، فمنهم مَنْ يقيم بالديار المصرية ، ومنهم من يختار العود ويعود وقد برّه ووصله وحمله وحمله .

ولم يزل على حاله بالديار المصرية إلى أن توفي في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ^(١) .

٨٤٥ - ظهير بن أمير حاج بن عمر*

الشيخ ظهير الدين الأَرَزْجَانِي ^(٢) ، بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الزاي وبعدها نون وجيم وبعدها ألف ونون وياء النسبة .

ورد إلى دمشق صحبة الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى من مصر ، لأنه كان يصحبه وهو في مصر إلى أن حضر إلى دمشق ، وكان عنده عزيزاً مكرماً ، ولكنه لا يدخل في أمر ولاية ولا غزل ، وما أعرف أنه كان بيده شيء من الولايات غير نظر مسجد النارنج ^(٣) لا غير .

(١) في بعض أصول الدرر . (٧٣٣ هـ) .

* الدرر : ٢٣٤/٢ .

(٢) من بلاد أرمينية ، معجم البلدان : ١٥٠/١ .

(٣) قرب باب الصغير ، الدارس : ١٩٧/١ .

ولم يزل عنده معظماً إلى أن قال عنه ^(١) حمزة التركاني للأمير سيف الدين تنكز : إن القاضي جمال الدين ابن جملة رشا ناصر الدين الدوادار بألف دينار حتى سعى له في قضاء الشام ، فتنكر له تنكز ، فأنكر ذلك ، فسلمه تنكز إلى قاضي القضاة ابن جملة ^(٢) ، فبالغ في تعزيره وأركبه حماراً ، وطاف به في الأسواق ، وهو يُضْرَبُ بالدرة إلى أن رقّ له الناس وأحضر إلى تنكز في تلك الحال ، فرحمه ، وجرى على القاضي بسببه ما يأتي شرحه في ترجمته ، وعُزل ^(٣) من منصبه وحُكِمَ بفسقه وباعتقاله .

ولم يزل الشيخ ظهير الدين على حاله إلى أن توفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مئة بدمشق .

(١) أي : نقل عن لسان ظهير الدين .

(٢) يوسف بن إبراهيم ، ستأتي ترجمته .

(٣) في (س) : « عن » .

حرف العين

الألقاب والأنساب

☆ العابر الحنبلي : شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن .

☆ والعابر الحنبلي : زين الدين علي بن أحمد الأمدي .

٨٤٦ - عامر بن محمد*

ابن علي بن وهب : هو عز الدين ابن الشيخ الإمام العلامة أُوحد المجتهدين
تقي الدين بن دقيق العيد القُشيري المصري .

سمع من العزّ الحُرّاني ، وابن الأناطى ، وغيرهما .

جلس بحانوت العدول لما تعدّل ، وأورق غصن فضله وتهدّل ، وأقام على هذه القَدَم مده ، ورفض هذا الضابط الضابط لما قاساه فيه من الشده ، ثم إنه ^(١) خالط أهل المعاصي ، وتوقّل معهم هضبات تلك الصّياصي ، فأتّرت فيه تلك الخُلطة ، وأصبح في بيته الصحيح غَلَطَه ، وأخرجته عن طريق أهله تلك العِشره ، وأمسى كما يقوله الناس : إزليط العثره ، حتى إن أباه جفاه ، ولفظَه مِنْ حِسَابِه ونفاه ، ولما تولى ^(٢) والده قدّس الله روحه ، القضاء أقامَه وأنزله من حانوت العدول لعلمه أنه على غير الاستقامة ، فيا ضيعة اسمه ، ويا خيبة حدّس أبيه ووهه لأنه سماه باسم أبي عبيدة [عامر بن عبد الله] ^(٣) بن الجراح ، أمين هذه الأمة كما جاء في الأحاديث الصحاح .

* ٥٩٤/١٦ ، والطالع السعيد : ٢٧٥ ، والدرر : ٢٣٦/٢ .

(١) الكلام الآتي ملخص من كلام الأذفوي .

(٢) في الأصل: « توفي » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

قد يبعد الشيء من شيء يُشابهه إنَّ السماء نظيرُ الماء في الزرق^(١)

وكان الشيخ تقي الدين قدس الله روحه قد سَمَّى أولاده بأسماء الصحابة العشرة رضي الله عنهم .

ولم يزل عز الدين المذكور على حاله إلى أن هدم الموت ما عَمَّر من عامر ، وأضرَّ به الداء المُخامر .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة إحدى عشرة وسبع مئة في القاهرة .

☆ العاقولي : جمال الدين عبد الله بن محمد .

٨٤٧ - عائشة بنت محمد *

ابن المسلم بن سلام بن البهاء الحاراني الشیخة الصالحة أم محمد .

سمعت من إسماعيل بن أحمد العراقي^(٢) ، ومحمد بن أبي بكر المعروف بابن النور البلخي ، ومحمد بن عبد الهادي المقدسي ، وإبراهيم بن خليل ، وعبد الرحمن ابن أبي الفهم اليلداني .

أجازت لي بدمشق سنة تسع وعشرين وسبع مئة . وكتب عنها بإذنها عبد الله بن الحب .

وتوفيت رحمها الله تعالى في شوال سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

(١) في الأصل : « كما يبعد » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الوافي : ٦٠٨/١٦ ، وأعاد ترجمتها ٦٠٩ باختلاف يسير ، وظاهر كلامه أنها اثنتان ، وقد جمع ترجمتهما ههنا ، وكأنه جزم أنها واحد .

وانظر : الدرر : ٢٣٨/٢ ، والشنرات : ١١٢/٦ ، وذيول العبر : ١٩٢ .

(٢) في (ق) : « الغرافي » ، تصحيف .

وهي أخت المحدث محاسن ، ومولدها سنة سبع ^(١) وأربعين وست مئة .
 وكان قد سمَّعها أخوها في الخامسة ، وسمعت من فرج القرطبي ، والبلخي ، وابن
 عبد الدائم والعماد [و] ^(٢) عبد الحميد ، وتفردت ، وروت جملة صالحة ، وكانت خيرة
 قانعة فقيرة ، تعمل في الحياكة .
 سمع منها أبو هريرة ابن شيخنا الذهبي ^(٣) ، وأولاد الحب والطلبة ، وروت
 (فضائل الأوقات) للبيهقي ^(٤) عن ابن خليل ، وخرَّج لها ابن سعد .

٨٤٨ - عائشة أم محمد *

ابنة العدل زين الدين إبراهيم بن أحمد بن عثمان بن عبد الله بن غدير الطائي
 الدمشقي المعروف بابن القوَّاس .

حجَّت غير مرَّة ، وجاورت بمكة سنين ، وهي زوجة علاء الدين بن
 صدر الدين بن المنجَّأ ^(٥) .

أجازها ابن مَسْلَمَة ، ومكي بن علَّان ، والبهاء زهير القوسي ، وابن زيلاق ،
 وابن دفترخوان ، والسليمان ، والنور [و] ^(٦) علي بن سعيد ، والتلعفري ، وهؤلاء
 السبعة أعيان الشعراء .

توفيت رحها الله تعالى سادس ذي القعدة سنة ثمانى عشرة وسبع مئة .

ومولدها سنة خمس وأربعين وست مئة تقريباً .

(١) في (س) : « تسع » .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الأصول الأخرى .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٩٩ هـ) . الشذرات : ٦٣٠/٦ .

(٤) عبد الجبار بن محمد البيهقي (ت ٥٣٦ هـ) . كشف الظنون : ١٢٧٤/٢ . وانظر : السير : ٧١/٢٠ .

* الدرر : ٢٣٥/٢ .

(٥) علي بن منجا بن عثمان بن أسعد ، ستأني ترجمته .

(٦) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الدرر ، والمراد : النور الإسعدي .

٨٤٩ - عبادة بن عبد الغني *

الإمام المفقي زين الدين أبو سعد الحرّاني المؤذن الشروطي الحنبلي .

كان قد طلب الحديث في وقت ، ودار على الشيوخ قليلاً ، ونسخ جملة من الأجزاء سنة بضع وتسعين وست مئة ، ثم إنه تقدّم في الفقه وناظر ، وتميّز في الفروع وفاكر بها وحاضر ، فرأى أنه ارتفع عن هذه الدرجة ، وأعدم بذلك الناس ^(١) من حُسن صَرّجه ^(٢) ، وكان عنده (صحيح) مسلم ، عن القاسم الإربلي .

ولم يزل على حاله إلى أن حكّم الموت فسادةً في عباده ، وأباده الله تعالى فيمن أباده .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وسبعين وست مئة .

اللقب والنسب

☆ ابن عبادة الوكيل : شهاب الدين أحمد بن علي .

٨٥٠ - عبد الله بن أحمد بن تمام بن حسان **

الشيخ الإمام الفاضل الزاهد الورع تقي الدين بن تمام التليّ الصالح الحنبلي .

سمع من يحيى بن قُميرة ، وخطيب مردا ، والكفرطابي ، وإبراهيم بن خليل ،

* الدرر : ٢٢٨/٢ ، والشنرات : ١١٧/٦ ، وذبول العبر : ٢٠٧ .

(١) ليست في (ق) ، (س) .

(٢) في الأصل : « وضرجه » ، ولا وجه للواو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

** الوافي : ٥٢/١٧ ، والبداية والنهاية : ٩٠/١٤ ، والدرر : ٢٤١/٢ ، والفوات : ١٦١/٢ .

وجماعة ، والمرسي ، والبلداني^(١) ، وقرأ النحو على ابن مالك ، وعلى ولده^(٢) بدر الدين .

كان رجلاً صالحاً ، دائم البشر لا يرى كالحا ، ديناً خيراً ، صيناً يرى وجهه في الظلمات نيراً ، نزهاً محبوباً إلى القلوب ، صليفاً طول عمره في الزهد على أسلوب ، فقيراً لا يملك شيئاً ، ولا يجد له في الأرض شيئاً ، حسن العشرة والمناديه ، مليح الذاكرة برئياً في المصادقة من المصادمه ، ظريف البزة مع الزهد والقناعة ، نظيف الملبس في الجمعة والجماعة ، وله النظم الذي هو أسرى من النسيم وأسنى من العقد النظيم ، يكاد يرشفه السمع راحاً ، ويداوي من قلوب أهل الكآبة جراحاً ، قد انسجم لفظه فهو صوب غمامه ، ولذت تركيبه فهو صوت حمامه ، تمكنت القوى في قوافيه ، وطاب تلاف النفوس في تلافيه .

ولم يزل على حاله إلى أن كسف بذراين تمام في تمامه ، وغرد الحمام بل ناح على كأس حمامه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمانى عشرة وسبع مئة ليلة السبت ثلاث شهر ربيع الآخر .

ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة .

وسياًتي ذكر أخيه الشيخ محمد إن شاء الله تعالى في المحمدين .

أخبرني القاضي شرف الدين أبو بكر بن القاضي شمس الدين بن شيخنا أبي الشناء محمود ، قال : كان جدّي ، يعني القاضي شهاب الدين محموداً ، قد أذن لغلامه الذي

(١) في الوافي : « البلداني » ، تصحيف .

(٢) في الوافي : « والده » ، سهو .

نَفَقَتَهُ مَعَهُ أَنَّهُ مَهْمَا طَلَبَ مِنْهُ الشَّيْخُ تَقِي الدِّينِ مِنَ الدِّرَاهِمِ يَعْطِيهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ ، قَالَ : فَمَا كَانَ يَأْخُذُ مِنْهُ إِلَّا مَا هُوَ مَضْرُورٌ إِلَيْهِ أَنْتَهَى .

قلت : وكان قد صحبه أكثر من خمسين سنة ، وكان قد حجَّ وجاور واجتمع بالتقي الحوراني^(١) وبقطب الدين ابن سبعين^(٢) ، وسافر وطوّف البلاد ، وأقام بالديار المصرية مدة ، وصحب الفقراء والفضلاء ، وتفرد عن ابن قُمَيْرة بالجزء الرابع من (حديث الصّفا) ، وخرّج له فخر الدين بن البعلبكي (مشيخة) ، قال : شيخنا البرزالي : قرأتها^(٣) عليه ، وكان زاهداً متقللاً من الدنيا ، لم يكن [له]^(٤) أثاث ولا طاسة [ولا]^(٥) فراش ولا سراج ولا زبدية ، وبَيْتُهُ خَالٍ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ ، أَنَشَدَنِي شَيْخُنَا الْعَلَامَةُ شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ إِجَازَةً لِنَفْسِهِ مَا كَتَبَهُ مِنَ الدِّيارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى الشَّيْخِ تَقِي الدِّينِ ابْنِ تَمَامٍ :

هَلْ عِنْدَ مَنْ عِنْدَهُمْ بُرِّي وَأُسْقَامِي	عَلِمَ بَأَنَّ نَوَاهِمَهُمْ أَصْلُ الْأَمِي
وَأَنَّ جَفَنِي وَقَلْبِي بَعْدَ بَعْدِهِمْ	ذَا دَائِمٌ [وَجُدُّهُمْ] فِيهِمْ وَذَا دَامِي ^(٦)
بَانُوا فَبَانَ رَقَادِي يَوْمَ بَيْنِهِمْ	فَلَسْتُ أَطْمَعُ مِنْ طَيْفٍ بِإِلَامِ ^(٧)
كَمَتْتُ شَأْنَ الْهَوَى يَوْمَ التَّوَى فَنَى	بِسِرِّهِ مِنْ دَمَوْعِي أَيُّ نَمَامِ
كَانَتْ لِيَالِي بِيضاً فِي ذَنُومِهِمْ	فَلَا تَسَلُّ بَعْدَهُمْ مَا حَالَ أَيَّامِي
ضَنَيْتُ وَجُدَّاهُمْ وَالنَّاسُ تَحْسِبُ بِي	سَقَمًا فَأُثْبِتُهُمْ حَالِي عِنْدَ لُؤَامِي

(١) أحمد بن عبد الواحد بن مري بن عبد الواحد ، تقي الدين المقدسي (ت ٦٦٧ هـ) الإعلام للذهبي : ٢٧٨ ، وذيل مرآة الزمان : ٤١٢/٢ .

(٢) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر الصوفي (ت ٦٧٩ هـ) ، العبر : ٢٩١/٥ .

(٣) في الأصل : « قرأت » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٤) زيادة من (ق) ، (س) .

(٥) زيادة من (ق) ، (س) .

(٦) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي يقتضيها الوزن .

(٧) في الأصل : « يوم عيدهم » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

وليس أصلُ ضَنَى جِسمي النَحِيلِ سَوى
مولى متى أُخِلُّ مِنْ بُرءِ برؤيتِه
نأى ورؤيتِه عندي أحبُّ إلى
وصدّ عني فلن يَسْأَلُ لَجْفَوْتِه
ياليت شعري ألم يَبْلُغْهُ أَنَّ لَهُ
ما كان ظنِّي هذا في مودَّتِه
فكتب الجواب ابن تَمَّام عن ذلك :

يا ساكِنِي مَصرَ فيكم ساكِنُ الشَّامِ
الله في رَمَقِ أودى السَّقَامِ به
ما ظنَّكم ببيعيد الدار مُنْفَرِدِ
يانازحين متى تدنوا النوى بكم
كم أسأل الطَّرَفَ عن طيفِ يعاوده
استودعُ الله قلباً في رحالكم
وما قضى بكم في حُكم أربأ
مَنْ ذا يَلُومُ أَخا وَجِدٍ بِجَبِّكم
في ذِمَّةِ الله قَوْمٌ ما ذكَّرتهم
قوم أذابَ فَوَّادي فَرَطُ حَبِّهم
وما اتَّخَذْتُ سِوَاهُمْ عَنْهُمْ بَدَلًا
ولا عرفت سَوى حبي لهم أبدا
يا أوحداً أعربتُ عنه فضائلُه

فَرَطُ اشتياقي إلى لقيَا ابنِ تَمَّامِ
خَلَوْتُ فرداً بأشجاني وأسقامي
قَلْبِي من الماء عند الحائِمِ الظَّامِ
عن هائمِ دَمْعِه مِنْ بعده هَامِ
أخاً بمصر حليفَ الضَّعْفِ من عام^(١)
ولا الحديث كذا عن ساكِنِي الشَّامِ

يكابدُ الشَّوْقَ مِنْ عامٍ إلى عامٍ
كم ذا يعللُ فيكم نَضْوُ أسقامِ
حليفِ هَمٍّ وأحزانٍ وآلامِ
حالت لِبعْدِكُم حالي وأيامي
وما لَجَفْنِي مِنْ عهدٍ بأحلامِ
عهدته منذ أزمانٍ وأعوامِ
ولو قضى فهو من وَجِدٍ بكم ظامِ
فأبعد الله عَذَّالي ولوَّامي
إلا ونمَّ بوجدي مَدْمعي الدَّامي
وقد ألمَّ بقلبي أيَّ إلَّامِ
ولا تقضتُ لعهدي عقدَ إبرامِ^(٢)
حبا يعبرُ عنه جفني الهامي
وسارفي الكون سَيْرَ الكوكبِ السَّامي

(١) في الأصل : « لم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي ، وفيها : « مذ عام » .

(٢) في الوافي : « ولا اتَّخَذْتُ سِوَاهُمْ مِنْهُمْ » .

وَكُلُّ ظَامٍ سَقِيَ مِنْ بَحْرِكَ الطَّامِي ^(١)
 كَيْفَ مَنْ رَامَ أَنْ يَسْعَى بِأَقْدَامِ
 وَعَنْكَ مَا حَفَظُوا مِنْ رَقْمِ أَقْلَامِ
 وَفِيضُ فَضْلِكَ فِينَا فَيْضُ إِلْهَامِ ^(٢)
 وَأَضْرَمَ الشُّوقَ عِنْدِي أَيَّ إِضْرَامِ
 أَعَادَ عَهْدَ حَيَاتِي بَعْدَ أَعْوَامِ ^(٣)
 مَهْوٍ الْحَرِيرُ بِتَقْبِيلِ وَإِكْرَامِ
 وَقَدْ زَهِيَ زَهْرُهَا الزَّاهِي بِأَكَامِ ^(٤)
 عُذْرًا إِلَيْكَ وَلَوْ كُنْتُ ابْنَ بَسَامِ
 وَأَنْثَنِي خَجَلًا مِنْ بَعْدِ إِحْجَامِ ^(٥)
 مَحَلُّ شَخْصِكَ فِي سَرِّي وَأَوْهَامِي
 مَا حَالَ دُونَكَ إِنْجَادِي وَإِثَامِي
 وَفِي الْعِتَابِ حِسَابٌ بَيْنَ أَقْوَامِ
 لَكِنَّ عَبْدَكَ أَضْحَى حِلْفَ آلَامِ
 إِنَّ الثَّانِينَ تَسْتَبْطِي يَدَ الرَّامِي
 جِيرَانِ عَهْدٍ قَدِيمٍ بَيْنَ أَكَامِ
 أَخَفُوا وَمَا نَطَقُوا مِنْ تَحْتِ أَرْجَامِ ^(٦)
 وَأَبْعَدَ الْعَهْدَ عَنْهُمْ بَعْدَ أَيَّامِ

فِي نَعْتِ فَضْلِكَ حَارَ الْفِكْرُ مِنْ دَهْشِ
 لَا يَرْتَقِي نَحْوِكَ السَّارِي عَلَى فَلَكَ
 مِنْكَ اسْتِفَادَ بَنُو الْآدَابِ مَا نَظَمُوا
 أَنْتَ الشَّهَابُ الَّذِي سَامَى السَّمَاءَ غَلَا
 لَمَّا رَأَيْتَ كِتَابًا أَنْتَ كَاتِبُهُ
 أَنْشَدْتُ قَلْبِي هَذَا مُنْتَهَى أَرْبِي
 يَانَاظِرِي خُذَا مِنْ خَدِّهِ قَبْلًا
 ثُمَّ اسْرَحَا فِي رِيَاضٍ مِنْ حَدَائِقِهِ
 مَنْ ذَا يُوقِيهِ فِي رَدِّ الْجَوَابِ لَهُ
 فَمَنْ جَنَحْتُ وَلِي طَرْفَ يُخَالِسُهُ
 يَا سَاكِنًا بِفُؤَادِي وَهُوَ مَنَزَلُهُ
 حَقًّا أَرَاكَ بِلَا شَكٍّ مُشَاهِدُهُ
 وَلِذَا عَثْبُكَ لِي يَا مُنْتَهَى أَرْبِي
 حَوْشِيَتْ مِنْ عَرَضٍ يُشْكِي وَمِنْ أَلَمِ
 وَلَوْ شَاكَ سَمَّجَتْ مِنْهُ شَكَائِي
 وَحِيدَ دَارٍ فَرِيدٍ فِي الْأَنْبَامِ لَهُ
 طَالَتْ بِهِمْ شَقَّةُ الْأَسْفَارِ وَيَحْتَمُّ
 أَبْلَى مُحَاسِنَهُمْ مَرُّ الْجَدِيدِ

(١) في الأصل : « نعت وصفك » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) في الأصل و (ق) و (س) : « الذي ساوى » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهي أصح .

(٣) في الوافي : « إعدام » ، ولعلها أشبه .

(٤) في الوافي : « زها » .

(٥) في الأصول : « يجالسه » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٦) في الوافي : « اغفوا » ، ولعلها أعلى .

فلا عداهم من الرحمن رَحْمَتُهُ وفي الرجاء الذي قَدِّمْتُ قَدَامِي
وكم رجوتُ إلهي وهو أرحم لي وقلْ عند رجائي قُبْحُ آثَامِي
فطال عُمْرُكَ يا مولاي في دَعَا ودام سَعْدُكَ في عِزٍّ وإنعام
ولا خَلْتُ مِصرَ يوماً مِنْ سناك بها ولا نأى نُورُكَ الضَّاحِي عَنِ الشَّامِ

وأنشدني العلامة أبو حيان قال : أنشدنا لنفسه ابن تمام :

وقالوا : تقولَ الشَّعْرَ قُلْتُ أَجِيدُهُ وأنظِمُّهُ كالْبَدْرَ رَاقَتْ عَقْوَدُهُ
وأبتكرُ المعنى البديعَ بصنعةٍ يَحُلِّيْهَا عِطْفُ الْكَلَامِ وَجِيدُهُ
ويخلو إذا كَرَّرْتُ نَيْتَ قَصِيدَةٍ وفي كُلِّ نَيْتٍ مِنْهُ يَزْهَى قَصِيدُهُ
ولكنني ما شِئْتُ بَارِقَ دَيْمَةٍ ولا عَارِضٍ فِيهِ نَدَى أُسْتَفِيدُهُ ^(١)
فحسبي إلهٌ لا عَدِمْتُ نَوَالَهُ وَكُلُّ نَوَالٍ يَتَدَيَّنُهُ يَعِيدُهُ

وأنشدني أيضا قال : أنشدني لنفسه :

وقالوا صَبَاً بعد المشيب تَعْلُلاً وفي الشَّيْبِ ما يَنْهَى عَنِ اللُّهُوِّ وَالصَّبَا
نَعَمْ قَهْ صَبَاً مَا رَأَى الظَّيْفَى أَنْسَاً يَمِيلُ كَغَضَنِ الْبَانِ يَعْطِفُهُ الصَّبَا
أدار التفاتاً عاطِلَ الجيدِ حَالِياً وفي لحظه مَعْنَى بِهِ الصَّبُّ قَدْ صَبَا
ومَزَقَ أثوابَ الدُّجَا وهو طَالِعٌ وأطْلَعَ بَدْرًا بِالْجَمَالِ تَحْجَبَا
جَرَى حُبُّهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ كَأَنَّمَا تَصَوَّرَ مِنْ أَرْوَاحِنَا وَتَرْكَبَا

وأنشدني ، قال : أنشدنا لنفسه :

أَكَاثِبُكُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يَذُوبُ إِذَا ذَكَرْتُكُمْ حَرِيقَا
وَأَجْفَانِي تَسِحُّ الدَّمْعَ سَيْلاً بِهِ أَمْسَيْتُ فِي دَمْعِي غَرِيقَا
أَشَاهِدُ مِنْ مُحَاسِنِكُمْ مُحِيّاً يَكَادُ الْبَدْرُ يُشَبِّهُهُ شَقِيقَا

(١) كذا ، والأرجح « عارضاً » بالعطف على (بارق) .

وأصحبَ مِنْ جِبَالِكُمْ خِيَالاً
فَأَنى سِرْتُ يَرُشِدُنِي الطَّرِيقَا^(١)
وَمَنْ سَلَكَ السَّبِيلَ إِلَى حِيَاكُم
بِكُمْ بَلَغَ الْمُنَى وَقَضَى الْحَقُوقَا

ومن شعره :

طَرَقْتُكَ مِنْ أَعْلَى زَرُودَ وَدُونَهَا
عَنْقَا زَرُودَ وَمِنْ تَهَامَةِ نَفْنَفُ
تَتَعَسَّفُ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ لِقَصْدِهَا
يَا حَبِذَا الْمَرْمَى وَمَا تَتَعَسَّفُ

ومنه :

مَعَانٍ كُنْتُ أَشْهَدُهَا عَيَانَا
وَأَلْفَاظَ مَتَى فَكَّرْتُ فِيهَا
وَإِنْ لَمْ تَشْهَدِ الْمَعْنَى الْعَيُونَ^(٢)
فَفِيهَا مِنْ مُحَاسِنِهَا فُنُونُ

ومنه :

تَبَدَّى فَهُوَ أَحْسَنُ مَنْ رَأَيْنَا
وَأُسْفَرَ وَهُوَ فِي فَلَكِ الْمَعَانِي
لَهُ قَدْ يَمِيلُ إِذَا تَشَنَّى
وَخَدَّ وَرَدَهُ الْجَوْرِيُّ غَضَّ
وَحَالَ قَدْ طَفَا فِي مَاءِ حُسْنٍ
تَخَالَ الْخَدَّ مِنْ مَاءٍ وَجَمْرِ
وَكَمْ لَامَ الْعَذُولُ عَلَيْهِ جَهْلًا
وَالطَّفُ مَنْ تَهَمُّ بِهِ الْعُقُولُ
وَعَنهُ الطَّرْفُ نَاطِرُهُ كَلِيلُ
كَذَاكَ الْغَصْنُ مِنْ هَيْفٍ يَمِيلُ
وَطَرْفٌ لَحْظُهُ سَيْفٌ صَقِيلُ
فَرَّاقٌ بِحُسْنِهِ الْخَدُّ الْأَسِيلُ
وَفِيهِ الْخَالُ نَشْوَانٌ يَجُولُ
وَأَخِرُ مَا جَرَى عَشِقُ الْعَذُولُ

قلت : وهو مأخوذ من قول أبي الطيب^(٣) :

مَالَنَا كُلَّنَا جَوِي يَارَسُولُ أَنَا أَهْوَى وَقَلْبُكَ الْمَثْبُولُ

(١) في الأصل : « وأصبحت من » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٢) في (ق) ، (س) ، والوافي : « كدت » .

(٣) ديوانه : ١٤٨/٣ .

كَلَّمَا عَادَ مَنْ بَعَثَتْ إِلَيْهَا هَام فِيهَا وَخَانَ فِيمَا يَقُولُ^(١)
وإذا خامر الهوى قلبَ صَبٍّ فَعَلَيْهِ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيلُ
أَفْسَدْتُ بَيْنَنَا الْأَمَانَاتِ عَيْنَا هَا وَخَانَتْ قُلُوبُهُنَّ الْعُقُولُ
وقال ابن سناء الملك :

راح رسولاً وجاءني عاشقُ وعاقه عن رسالتي عائقُ
وعاد لابل الجواب بل بجوى أخرسه والهوى به ناطقُ

وذكرتُ أنا بقول ابن تمام رحمه الله ما قلته أنا ومن مادته أخذت ، وعلى منواله
نسجت :

أَلَحَّ عَذُولِي فِي هَوَاهُ وَزَادَ فِي مَلَامِي ، فَقُلْتُ : احْتَلَّ عَلَى غَيْرِ مَسْمُوعِي
فَلَمْ يَذَرِ مِنْ قَرَطِ الْوَلُوعِ بَذَكَرِهِ مُصَيَّبَتَهُ حَتَّى تَعَشَّقَهُ مَعِي
وقلت أنا أيضاً على^(٢) هذه المادة :

بِي غَزَالٍ لَمَّا أَطْعَمْتُ هَوَاهُ أَخَذَ الْقَلْبَ وَالتَّصَبَّرَ غَضَبَا
مَا أَفَاقَ الْعَذُولُ مِنْ سَكْرَةِ الْعَذُ لِي عَلَيْهِ حَتَّى غَدَا فِيهِ صَبَا

٨٥١ - عبد الله بن أحمد بن عبد الله *

ابن أحمد بن محمد ، الشيخ الإمام الصالح المحدث أبو محمد بن الشيخ المحدث
عبد الدين السعدي المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالح الحنبلي .

سمعه والده ، وحفظه القرآن ، وطلب بنفسه في سنة سبع وتسعين ، ولحق ابن

(١) في الديوان : « غَارَ مَنِي » .

(٢) في (ق) ، (س) ، والوافي : « في » .

* الوافي : ٦٠/١٧ ، والفوات : ١٥٨/٢ ، والدرر : ٢٤٤/٢ ، والشذرات : ١١٤/٦ ، وذيل العبر : ١٩٦ .

القَوَّاس ، وابن عساكر الشرف ، والغسُولي ، والناس بعدهم ، وكان ^(١) عنده عوَالٍ عن ابن البخاري وبنت مكي وعِدَّة ، وانتقى له شيخنا الذهبي جزءاً ، وانتقى هو لبعض مشايخه ونسخَ عدة أجزاء .

وخَلَفَ عدة أولاد ، وكان من أهل الخير والصَّيَّانه ، وأولي الصَّلاح والديَّانه ، حَسَنَ الشَّكل واللَّحية السوداء ، والوجه كأنَّه بدرٌ في الليلة الظلماء ، طيَّب الصوت لذيد النِّعمه ، إذا تلا كأنَّه ^(٢) صَبَّ على الأذان صَوْب نِعْمَه ، يقرأ سريعاً مع فصاحه ، ويخيِّط بإيراده ما في القلوب من جراحه .

نُفِعَ الناس بمواعيده العامه ، وأفاض عليهم فيها ملابس التقوى التامه ، وكان له مَحَبُّونَ وَزَبُونٌ يُدْفَعُ بهم الحربُ الزَّبُون ، وكان يقرأ في الحائِطِ الشَّمالِي ومجلسه حافل غاص ، وسمعتُه غير مرة .

ولم يزل على حاله إلى أن طالت منه الرِّقده ، وأذاق الله الناس فَقْدَه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وثمانين وست مئة .

٨٥٢ - عبد الله بن أحمد بن علي*

ابن أحمد الشيخ الإمام الفقيه النحوي جلال الدين بن الشيخ فخر الدين بن الفصيح العراقي الكوفي الحنفي ، قد تقدم ذكر والده في الأحْمَدِيْنَ .

(١) في (ق) ، (س) : « وكانت » .

(٢) في الأصل : « كلاماً » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الوافي : ٦١/١٧ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٥ ، ووفيات ابن رافع : ٢٠٥/١ ، والدرر : ٢٤٥/٢ ، والبغية : ٣٢/٢ .

وكان هذا جلال الدين همةً مباركة ، وعنده في العلوم مشاركته ، وقدم إلى دمشق ، وسمع بها وسمع أولاده . إلا أنه عجل عليه حتفه ، ورغم بالتراب أنفه .
وتوفي رحمه الله تعالى في سنة خمس وأربعين وسبع مئة .
ومولده سنة اثنتين وسبع مئة .

وكان قد سمع ببغداد من جماعة ، وسمع بدمشق من شيخنا الذهبي ، ومن الجَزْري^(١) .

٨٥٣ - عبد الله بن أحمد بن يوسف*

ابن الحسن الفقيه الفاضل جلال الدين أبو الين الزَرَنْدي ، بالزاي والراء المفتوحة وبعدها نون ساكنة ، الشافعي .

سمع بِالْحَرَمَيْنِ ، وبجَمَاة ، وَحَلَب ، والساحل ، وغير ذلك ، وقرأ كثيراً ، وله عدة محافِظ ، وكتب (الْمُشْتَبِه) ، وسمع أبا العباس الجزري^(٢) ، والمِزِّي ، والذهبي ، وغيرهم من الموجودين .

وكان شاباً فيه يَقْظَةٌ ، وَطَلَبٌ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ، لَا يَفْتَرُّ وَلَا يَتِي ، وَلَا يَعْدِلُ عَنِ الدَّأْبِ وَلَا يَنْثَنِي .

ولم يزل على حاله إلى أن قُصِفَ ، وَمُحَقَّ بَذْرُهُ بَعْدَمَا خُسِفَ .

(١) محمد بن يوسف ، ستأتي ترجمته .

* الوافي : ٦١/١٧ ، والدرر : ٢٤٧/٢ .

(٢) أحمد بن علي بن حسن بن داود الجزري (ت ٧٤٣ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٠٦/١٤ ، وفيات ابن رافع : ١٧٤/١ .

وتوفي رحمه الله تعالى في العُشر الأخير من شعبان سنة تسع وأربعين وسبع مئة .
 بالطاعون .

ومولده سنة عشرين وسبع مئة .

٨٥٤ - عبد الله بن أحمد بن محمد بن سليمان*

القاضي تاج الدين بن القاضي الشيخ شهاب الدين بن غانم . تقدّم ذكر والده
 رحمه الله تعالى .

كان شاباً غُضّاً ، طريئ البَشْرِه بَضّاً ، كتب في ديوان الإنشاء بدمشق فأُخجل
 الحدائق ، وتعثرت وراء أشرعته^(١) البوارق ، يكاد قلمه يفوت الطُرفَ تَسْرُعاً ، ويظن
 مَنْ يراه أنه لم يَعْمَلْ أَقْلَامَهُ تَبَرُّعاً ، وكان الناس يتعجبون من كتابته البديعة ، وَحَرَكَةِ
 يده السريعة .

ولم يزل على حاله إلى أن عثرت قوائِمُ جَوَادِهِ ، وأصاب سهمُ المنية حَبَّةَ فُؤَادِهِ .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء سادس المحرم سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وتسعين وست مئة .

ووجدت بخطه أبياتاً كتبها للقاضي علاء الدين بن الأثير :

وَمِثْلُكَ إِن أَبْدَى الْجَمِيلَ أَعَادَهُ	وَإِنْ جَادَ بِالْمَعْرُوفِ عَادَ كَمَلَا
وَمَا زِلْتَ تَغْنِي بِالنَّدَى كُلَّ مُقْتَرٍ	مَقْلٌ فَتُوْلِي الْعَالَمِينَ تَطْوُلَا
وَمَا جَاءَكَ الْمُسْكِينُ قَطُّ مُؤَمَّلًا	جَمِيلُكَ إِلَّا نَالَ مَا كَانَ أَمَّلًا
لَكَ اشْتَهَرَتْ يَا بَنَ الْأَثِيرِ مَآثِرُ	بِأَثَارِهَا الْحُسْنَى مَلَأَتْ بِهَا الْمَلَا

* الدرر : ٢٤٦/٢ .

(١) في (س) : « سرعتة » .

وَجُودُكَ قَدْ عَمَّ الوجودَ وأهْلَهُ
وَأَنْتَ فَلَمْ تَبْرَحْ تَغِيثُ وَلَمْ تَزَلْ
فَلَا زِلْتَ محروسَ المَقَرِّ مُبْلَغاً
فَمَا مَنَزَلٌ مِنْ قَيْضِ فَضْلِكَ قَدْ خَلَا
تُعِينُ ذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ تَفَضُّلاً
أَمَانِيكَ مَشْكُورَ النَّدَى دَائِمَ الْعَلَا^(١)

ورثاه والده بشعر كثير ، ومنه ما كتبه تحت خطّه بعد وفاته :

أَهْلَ لِكَاتِبِهَا وَمَا
نُوبُ النُّونِ الْعَارِضَا
أَفْرَطْتُ فِي تَفْرِيطِهِنَّ
تَجْتَاحُ أَرْوَاحَ الْوَرَى
لِتُعِيدَهُمْ كَرَامِدِ
أَجْجَنَ نِيرَانِ الْجَحِيمِ
وَأَطْلُنْ سَقْمًا مَالَهُ
فَعَلْتُ بِأَنْفِلِهَا الظَّرَافِ
تُ لِكَلِّ حَيٍّ بِالتَّلَافِ
بِمَا أَقْتَنَ مِنَ التَّلَاقِ
بِظَوَاهِرِ مِنْهَا خَوَافِ
بِالرَّيْحِ تَنْسِفُهَا السَّوَافِ
أُسَى بَقْلِي وَالتَّشْغَافِ
إِلَّا عِلَاجُ الْمَوْتِ شَافِ

٨٥٥ - عبد الله بن أحمد *

الوزير علم الدين بن القاضي تاج الدين بن زنبور .

كَانَ كَاتِبًا سَعِيدَ الْبَدَايَةِ ، مُتَصَرِّفًا لَهُ فِي التَّدْبِيرِ عَنَايَهُ ، جُمِعَ لَهُ مِنَ الْوُظَائِفِ الْجَلِيلَةِ مَا لَمْ يَجْمَعْ لغيره ، وَدَانَتْ لَهُ الْأَيَّامُ حَتَّى ذَلَّ الْأَسُودُ لغيره ، وَجُمِعَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا تَقَصَّرَ عَنْهُ أَمْوَاجُ الْأَمْوَاهِ ، وَتَكَلَّى عَنْ وَصْفِهِ أَفْوَاجُ الْكَلِمِ مِنَ الْأَفْوَاحِ ، وَاقْتَنَى مِنَ الْأَمْلَاقِ مَا يَحَارُ لَهُ الْأَمْلَاقُ ، وَحَازَ مِنَ الْإِنْعَامِ مَا يَقِفُ السَّابِغُ فِي ذِكْرِهِ إِنَّ عَامَ ، وَأَمَّا الْمَرَائِبُ وَالْمَرَائِبُ وَالْمَلَائِسُ الَّتِي تَفْخَرُ بِهَا الْكَوَائِبُ ، فَشَيْءٌ زَادَ عَلَى الْمَعْهُودِ مَقْدَارَهُ ، وَضَاقَتْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ أَقْطَارُهُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَمَا زِلْتَ » ، وَهِيَ ضَعِيفَةٌ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (س) .

* الْوَاقِي : ٦٢/١٧ ، وَالدرر : ٢٤٠/٢ ، وَالنَّجْمُ الزَّاهِرَةُ : ٢٩٩/١٠ ، وَتَذَكُّرَةُ النَّبِيِّ : ١٧٩/٣ .

وعائد أولاً وكاد يُدركه العَظَب ، ونهض من وَهْدَةِ الخُطْبِ إلى ذُرْوَةِ المُنْبَرِ من العِزِّ وَخُطْبِ ، ثم إنه استقلَّ مَنْ يُعَانِدُهُ ، واستندل مَنْ يُرَاوِدُهُ ، فوقع هو في هَوَّةٍ لا يصل من يتتاشه^(١) إلى قرارها ، وتاه في مَوَاطَا هلاكٍ لا ينجّيه الحذر من فرارها ، فأخذ مِنْ مَأْمَنِهِ ، وثار إليه الشرُّ من مَكْمَنِهِ ، فأصبح عَلمُهُ مُنْكَسَا ، وقلمه مُرْكَسَا ، ونزلت به من الزمان بليّة ، وأمست حِلْيَةُ^(٢) المنصب من ابن زنبور خَلِيَّةٍ ، يطلب مَنْ ينصره فلا يجده ، ويروم من يعضده فلا يَعِدُّهُ ولا يَعِدُّهُ ، وتنوّع له العذاب ، وتفرّع من الهوان ما أذلَّهُ وأذاب ، إلى أن تقطعت القلوبُ له رحمه ، وجاءه الفرج فلم يخلص إليه من الرّحمة ، عادة من الزمان أجرى الناس عليها ، وأجراهم بَعْدُ غاياتهم إليها .

ثم إنه جَهَّزَ إلى قوص ، مع حظّه المنقوص ، ففارق أربعة رَقَّ له فيها الحسدة : مناصبه ووطنه وماله^(٣) وولده ، فبات وزيراً سعيداً ، وأصبح فقيراً في البلاد طريداً ، فلا رغبة لعاقِلٍ في العُلَيَّا ، ومرحّباً بإقبال هذه الدنيا ، فقد :

تفانى الرجالُ على حبِّها وما يحصلون على طائل

ولم يزل بقوص ، والذلُّ^(٤) يَغُورُ به ويغوص ، إلى أن اندفع إلى القبر واندفن ، وخرج من دنياه وما مَعَهُ غير الكفن .

وتوفي بقوص رحمه الله تعالى في ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

أول ما علمته من أمره أن القاضي شرف الدين النشو ناظر الخاص استخدمه كاتب الإصطبلات بعد أولاد الجيعان في أواخر أيام الملك الناصر محمد ، وبقي القاضي

(١) أي : يتناولهُ .

(٢) في (ق) ، (س) : « خَلِيَّة » ، والخلية : ما يُعْشَلُ فيه النحل .

(٣) في (ق) ، (س) : « وأمواله » .

(٤) في (س) : « والذي به » .

علم الدين على هذه الوظيفة إلى أن خرج القاضي علم الدين بن القطب^(١) من مصر إلى دمشق ، فَخَلَّتْ عنه وظيفة استيفاء الصبغة ، وخرج إلى حلب وكشف القلاع ، وحصل أموالاً . وبقي على ذلك إلى أن أمسك جمال الكفاة في واقعته الأخيرة ، ومات تحت العقوبة ، فنقل القاضي موفق الدين إلى نظر الخاص ، فبقي قليلاً ، وطلب الإعفاء فأعفوه ، وتولّى علم الدين بن زنبور الخاص^(٢) ، وأضيف إليه الجيش بعد القاضي أمين الدين ، ولم يزل على ذلك إلى أن أمسك الأمير سيف الدين منجك الوزير ، فأضيفت الوزارة إلى ابن زنبور^(٣) ، وهذا أمر ما اتفق لغيره أبداً ، ولا سمعنا به وإنما كان الجيش والخاص مع جمال الكفاة ، وهذه الوظائف الثلاث ، هي عبارة عن الدولة إلا كتابة السر ، فعلم الدين بن زنبور ، أول من جُمع له هذه الوظائف .

وبقي على ذلك إلى أن خرج السلطان الملك الصالح صالح إلى الشام في واقعة بيبغاروس ، فحضر معه إلى دمشق وأظهر في دمشق عظمة زائدة ، ورؤع الكتاب ومباشرى الأوقاف ولكنه لم يضرب أحداً ، ولا كشف رأسه ، وتوجّه مع السلطان عائداً إلى مصر ، في أوائل ذي القعدة سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة . ولما وصل عميل السلطان سمّاطاً عظيماً ، وخلع فيه على الأمراء كبارهم وصغارهم ، وكان تشریف الأمير صُرْعَتْمَش^(٤) ناقصاً عن غيره ، وكان في قلبه من الوزير ، فدخل إلى الأمير سيف الدين طاز وأراه تشریفه ، وقال : هكذا يكون تشريفي ، واتفق معه على إمساك ابن زنبور . وخرج من عنده وطلبه وأهانته وضربه ورسم عليه وجدّ في ضربه ، ومصادرتة ، فأخذ منه من الذهب والفضة والقماش والأصناف والكراع^(٥) والأملاك ما يزيد على الحد ، ويتوهم الناقل لذلك أنه ما يصدّق في ذلك ، ويستحي العاقل من

(١) محمد بن أحمد بن مفضل ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) في (س) : « نظر الخاص » .

(٣) سنة ٧٥١ هـ . البداية والنهاية : ٢٣٦/١٤ .

(٤) في (ق) ، (س) : « سيف الدين صرغتمش » .

(٥) ذخيرة الحرب من الأطعمة والمؤن . انظر تذكرة النبیه : ١٧٩/٣ - ١٨٠ .

ذكره . وبقي في العقوبة زماناً ، وكان الأمير سيف الدين شيخو يعتني به في الباطن ، فشفع فيه وخلّصه وجّهزه إلى قوص فأقام بها إلى أن مات في التاريخ المذكور ، وقيل : إنه سَمَ ، وقيل : نَهْشَه ثعبان ، والله أعلم .

وتولى الوزارة بعده القاضي موفق الدين وتولى الخاصّ القاضي بدر الدين كاتب بلغا ، وتولى القاضي تاج الدين أحمد بن أمين الملك ^(١) نظر الجيش .

وبَلَّغنا أنه لما أُعيد الملك الناصر حسن إلى الملك أُعيدت المصادرة على من بقي من ذوي قرابة ابن زنبور ، وأنه أُخِذَ له ، ومنهم جُمْلَة من المال ^(٢) ، وأمّا ما أُخذ منه في المصادرة في حياته فنقلت من خط الشيخ بدر الدين الحمصي من ورقة بخطه ، على ما أملاه القاضي شمس الدين محمد البهنسي :

أواني ذهب وفضة ستون قنطاراً . جوهر ستون رطلاً . لولو أردبان . ذهب مصكوك مئتا ألف وأربعة آلاف دينار ، ضمن صندوق ، ستة آلاف حياصة ، ضمن صناديق زركش : ستة آلاف كلوته ، وذخائر عدّة ، قماش بدنه : ألفان وست مئة فرجية . بسط : ستة آلاف . صنجة دراهم : خمسون ألف درهم . شاشات : ثلاث مئة شاش . دواب عاملة : ستة آلاف . حلابة : ستة آلاف . معاصر سكر : خمس وعشرون مَعْصَرة . وخيل وبغال : ألف ، دراهم ثلاثة أرداب . إقطاعات سبع ^(٣) ، كل إقطاع : خمسة وعشرون ألف درهم . عبيد : مئة . خدم : ستون . جوارى : سبع مئة . أملاك القيمة عنها . ثلاث مئة ألف دينار . مراكب : سبع مئة . رخام القيمة عنه : مئتا ألف درهم . نحاس : قيمته أربعة آلاف دينار . سروج وبدلات خمس مئة . مَخَازن ومتاجر : أربع مئة ألف دينار . نطوع : سبعة آلاف . دواب : خمس مئة . بساتين : مئتان . سواقي : ألف وأربع مئة .

(١) أحمد بن عبد الله ، سلفت ترجمته .

(٢) هنا تنتهي الترجمة في الوافي .

(٣) في (ق) : « سبع مئة » .

٨٥٦ - عبد الله بن أحمد بن محمد*

ابن محمد بن نصر الله الشيخ فخر الدين بن الشيخ الإمام تاج الدين ابن المغيزل الحموي شيخ الشيوخ بحجة .

كان رجلاً مباركاً ، ولي المشيخة بعد والده وأقام فيها أكثر من أربعين سنة .
 ووليها بعده قاضي القضاة شرف الدين البارزي ^(١) .

سمع بقراءة شيخنا البرزالي بحجة على والده سنة خمس وثمانين وست مئة . وكان منقطعاً يصوم دائماً ويتعبد ، ولم يكن قد تأخر في بني المغيزل مثله .

وتوفي رحمه الله تعالى في تاسع عشري شهر رمضان ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

٨٥٧ - عبد الله بن أحمد بن عبد الحميد**

ابن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : روى لنا عن إبراهيم بن خليل وغيره ، وكان فقيهاً كتب الكثير وسمع وكتب الطباق : وصار تقيماً للقاضي الحنبلي قبل موته بشهر .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

وله حضور على خطيب مردا ، وهو في ثاني سنة من عمره ، وسمع من جده وعم والده الفقيه محمد بن عبد الهادي وابن عبد الدائم وغيرهم .

* الدرر : ٢٤٦/٢ ، وثمة سقط في (ق) من ههنا يقتصر بخمس أوراق ، ينتهي عند ترجمة عبد الله بن جعفر الأسدي .

(١) هبة الله بن عبد الرحيم ، ستأتي ترجمته .

** لم تقف على ترجمة له .

٨٥٨ - عبد الله بن أحمد بن علي *

ابن المظفر - وسيأتي تمام نسبه في ترجمة ولده القاضي فخر الدين محمد - القاضي الصدر الكبير الرئيس بهاء الدين ابن الحلي ناظر الجيوش بالديار المصرية .

كان من أعيان المصريين وصدورهم ونجوم مباشرهم وبدورهم ، قال شيخنا البرزالي : روى لنا عن النجيب عبد اللطيف الحراني .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الجمعة عاشر شوال سنة تسع وسبع مئة . ودُفن بالقرافة . وتولى الوظيفة بعده القاضي فخر الدين كاتب الممالك^(١) .

٨٥٩ - عبد الله بن أبي بكر بن عَرَام **

بفتح العين المهملة وتشديد الراء وبعدها ألف وميم : الأسواني الحنّدي ، الإسكندراني الدار والوفاء .

سمع الحديث ، وصحب الشيخ أبا العباس المرسي ، وأمه بنت الشيخ الشاذلي^(٢) .

كان يُقرئ النحو بإسكندريه ، ويألف به كل ذي نفس سنيّه ، وأفعال سريّه ، فأفادت^(٣) الجهل وأفاد العلم ، وساد الناس لما ساسهم بالحلم ، وكان يُذكر عنه كرامات ، ويشاهد له في الصّلاح مقامات .

ولم يزل على حاله إلى أن عرّى الموت ابن عَرَام حياته ، وقَدّر له بالسوء بياته .

* تالي وفيات الأعيان : ١٢٥ . والدرر : ٢٤٥/٢ .

(١) هو محمد بن فضل الله ، ستأتي ترجمته في موضعها .

** الوافي ، ٨٨/١٧ ، والطالع السعيد ، ٢٧٥ ، والدرر : ٢٥١/٢ ، والبعية : ٣٥/٢ .

(٢) أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار المغربي ، شيخ الطائفة الشاذلية (ت ٦٥٦ هـ) ، العبر : ٢٣٢/٥ .

(٣) في الأصل : « إمامات » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) . وأفاته : أذهبه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

ومولده بدمنهور سنة أربع وخمسين وست مئة .

٨٦٠ - عبد الله بن تاج الرئاسة*

الصاحب الرئيس الوزير الكبير أمين الملك وزير الديار المصرية والشامية .

لما استسلم الجاشنكير الأمير ركن الدين بيبرس النصارى اختبأ الصاحب أمين الدين هو والصاحب شمس الدين غبريال تقدیر شهر ، ولما طال الأمر عليهما ظهرا وأسلما . وهو ابن أخت السديد الأعز^(١) المذكور المشهور في الدولة الظاهرية النصرية ، وكان خاله مستوفياً ، وبه تخرج ، وعليه تدرب ، ولما مات رتب هو مكانه ونال في الاستيفاء ، السعادة الزائدة والدنيا العريضة ، وزر بعد ذلك ثلاث مرات ، وهو يتأسف على وظيفة الاستيفاء .

وكان رئيساً كبيراً ، كاتباً منفذاً وزيراً ، قد درب الأمور وباشرها ، ورأى المناصب الجليلة وعاش بها وعاشرها ، ولم أر من يكتب أسرع منه ولا أقوى ، ولا أعرف بالمصطلح في الدولة ولا أحوز^(٢) لمعرفة عوائدها ولا أحوى ، يكون مرتفقاً على مدوّره ، والورقة في يده اليسرى مهوّره^(٣) ، فيأخذ القلم ويكتب ما يريد ويلقيه أسرع من البرق ، وأعجل من الشمس التي يكون ضوءها في الغرب وهي في الشرق ، وكان إذا وضع القلم في أول السطر وكتبه لا يرفعه إلى آخره قدرة على الكتابة ، كأنها يمدّ بسبب .

* الوافي : ٨٨/١٧ ، والدرر : ٢٥١/٢ ، وتذكرة النبيه : ٣٢٣/٢ .

(١) في الأصل و (س) : « الماعز » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الأصل : « أحرز » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) لم يتضح مراده ، والتهور : السقوط والانهار .

وكان مع جلالة منصبه^(١) كثير الأدب ، زائد التواضع إذا أمر أو نهى أو طلب ، وكتب بخطه المليح ربعة مليحه ، واعتنى بأمرها فجاءت جيدة صحيحة ، وكان يتغالى في أمداح النبي ﷺ ، ويكتبها بخطه ممن أنشدها أو تكلم .

ولم يزل بدمشق على نظر الدواوين إلى أن طلب إلى مصر ليُعاد إلى الوزارة ، فتوجه إليها ، ولم يصل إلّا وأمره قد نقصه^(٢) من حسن العبارة ، فأقام في بيته بطّالاً إلى أن قبض عليه ، وأخذ روحه قبل مالهديه .

وتوفي رحمه الله تحت المصادرة والعقاب ، وطلب الأموال منه بلا حساب ، وذلك في سنة أربعين وسبع مئة .

وكان قد ولي الوزارة عوضاً عن الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب بالديار المصرية في شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، ثم عزل منها وتولّى الوزارة بعده الأمير بدر الدين بن التركاني في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ، وصودر وأفرج عنه ، ثم إنه ولي الوزارة ثانياً ، فعمل عليه القاضي كريم الدين الكبير وفخر الدين وأخرجاه إلى طرابلس ناظرًا بعلوم الوزارة في مصر ، فوصل إليها في شهر ربيع الأول سنة ثمانى عشرة وسبع مئة ، وأقام بها إلى أن حجّ فيما أظنّ واستغفى من المباشرة ، وسأل الإقامة في القدس يعبد الله تعالى هناك^(٣) . فأجيب إلى ذلك ، فتوجه إليها في المحرم سنة عشرين وسبع مئة ، وله راتب يكفيه ، في كل مرة يُعزل شاماً ومصرأ .

ولم يزل بالقدس مقيماً ، إلى أن أمسك القاضي كريم الدين الكبير في شهر ربيع

(١) في (س) : « مناصبه » .

(٢) في (س) : « نقصه » .

(٣) في الأصل : « هنا » ، وأثبتنا ما في (س) .

الآخر سنة اثنتين^(١) وعشرين وسبع مئة ، فطلب إلى مصر على البريد ، ولما وصل في خامس عشري ربيع الآخر ولآه السلطان الوزارة مرة ثالثة .

أخبرني صاحب أمين الدين رحمه الله تعالى قال : لو علمت أنه بقي في الدنيا وظيفة يقال لها نظر خاص ما خرجت من القدس ، قلت : لِمَ ذاك يا مولانا الصَّاحِب ؟ قال : لأن ناظر الخاص يدخل إلى السلطان بكرة النهار فيتحدث معه بكل^(٢) ما يريد أن يُطلقه ويُنعم به على خواصه وجواريه ومن يختاره ، ويدخل بعده ناظر الجيش فيتحدث معه في إقطاعات الأمراء والجند بالديار المصرية والشامية من الزيادات والنقصان والإفراجات ، ويدخل كاتبُ السرفيقرأ البريد عليه وفيه من الولايات والعزل جميع ما بالشام ، وأدخل أنا بعد ذلك ، فيقول : اخرج احمل لناظر الخاص كذا وكذا فأنا فلاح لذلك المولى ، وليس لي مع السلطان حديث إلا في فندق^(٣) الجبن ، دار التفاح ، صناعة التمر ، جهات القاهرة ومصر ، فعلمت [صحة]^(٤) ما قاله .

وأقام في الوزارة إلى أن كثر الطلب عليه ، فدُخل إلى السلطان وقال : يا خوند ما يصلح للوزارة إلا واحد من مماليك مولانا السلطان يكون أمير مئة مُقدّم ألف ، واتفقا على الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي ، فقال له السلطان . اخرج نفذ أشغالك إلى آخر النهار وانزل إلى بيتك واسترح ، وأعلم الناس أنّ الوزير فلان . فخرج ونفذ الأشغال ، وكتب على التواقيع ، وأطلق ورتب إلى آخر النهار ، ونزل آخر النهار إلى بيته بالمشاعل والفوانيس على عادة الوزير ، والنظائر والمستوفون والمنشدون قدامه ، ولمّا نزل على باب بيته قال : يا جماعة مَسَّكُم الله بالخير ، ووزيركم غداً علاء الدين

(١) في الوافي : « ثلاث » .

(٢) في (س) : « في كل » .

(٣) الفندق : لغة البندق ، ولعله أراد : الفندق ، وهي : أوراق يكتب فيها مساحات الأرض المزروعة وما تنتجه .

(٤) زيادة من (س) يقتضيها السياق .

مغلطاي^(١) الجمالي ، وكان ذلك عزلاً لم يُعزله وزير غيره في الدولة التركية ، وذلك يوم الخميس ثامن شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ثم لازم بيته يأكل مرتبه إلى أن عمل الاستيثار^(٢) في أيام الجمالي ، ووفر فيه جماعة ، فطلب هو من السلطان أن يتصدق عليه بوظيفة ، فقال السلطان تكون ناظر الدولة كبيراً مع الوزير ، فباشر النظر في شوال سنة ثمان وعشرين وسبع مئة هو والقاضي محمد الدين بن لفيتة أربعين يوماً فكان حملُه على الجميع ثقيلاً . فاجتمع الكتاب بأجمعهم عليه ، وقاموا كتفاً واحدة^(٣) ، فما كان إلا أن كان يوماً وهو قاعد في باب الوزير لخدمة العصر ، وإذا خادم صغير خرج من القصر وجاء إلى باب الوزير وأغلق دواته وقال : يا مولانا بسم الله الزم بيتك ، فلزم بيته .

ولما أمسك صاحب شمس الدين غبريال وجاء السلطان من الحجاز وطلب غبريال إلى مصر رسم السلطان للصاحب أمين الدين بمكانه ناظر النظار بدمشق ، وذلك في صفر سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، فأقام بها بعمل الوزارة إلى أن أمسك السلطان النشو ناظر الخاص في سنة أربعين وسبع مئة ، طلب الصاحب أمين الدين إلى مصر ليوليّه الوزارة ، فعمل الكتاب عليه وسعوا في أمره إلى أن انثنى عزمه عنه ، فأقام في بيته قليلاً ، ثم أمسك هو ووالده القاضي تاج الدين ناظر الدولة والقاضي كريم الدين مستوفي الصحة ، وصدروا ، وبُسط عليهم العذاب إلى أن توفي هو رحمه الله تعالى تحت العقاب في سنة أربعين وسبع مئة .

وكان الصاحب أمين الدين كثير التواضع والأدب مع جميع الناس كبارهم وصغارهم ، وكان قد أسنّ وكبر ، ولا يدخل عليه أحد إلا يقوم له ، ويحكي عقيب

(١) ليست في (س) .

(٢) هو مبنى يجتمع فيه أرباب الرواتب والرزق .

(٣) في الأصل : « وقالوا كتفاً واحد » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

ذلك أن خاله ^(١) كان إذا جاء إلى قوم يقول بالله لا تقوموا فإن هذا دينٌ يَشَقُّ علي وفاؤه .

ولما حضر إلى دمشق أحبه الأمير سيف الدين تنكز أخيراً محبة كبيرة ، وكان يثني على آدابه وحشمته .

ولما عمل نظر الدولة مع الجمالي كنت بالديار المصرية فطلبني وقال : أشتهي أن تكتب عني المكاتبات والأجوبة ، ورتب لي عليه شيئاً ، وكنت أبيت معه وأصبح وأنا في جامكيتته وجرايته وقاشه ، فيعاملني بآداب كثيرة وحشمة زائدة ، رحمه الله تعالى . إذا جاءت قصته أو كتاب قلب ذاك وكتب في ظهره : مولانا يتصدق ويكتب بكيث وكيت .

ولما رُسم له بنظر النظار بدمشق كنت إذ ذاك في ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، وكتبت له توقيعاً شريعاً [بذلك] ^(٢) ونُسختُه :

الحمد لله الذي جعل وليّ أيامنا الزاهرة أميناً وأحلّه ضامراً من ضامرنا الظاهرة مكلناً أينما توجه وجدّه مكيّناً ، وخصّه بالإخلاص لدولتنا القاهرة فهو يقيناً يقيناً ، وعصّد بتدبيره ممالكنا الشريفة فكان على نيل الأمل الذي لا يمين يميناً ، وفجر خلاله نهراً أصبح على نيل السعود معيناً معيناً ، وزين به آفاق المعالي فما دجا أمرٌ إلّا وكان فكره صبحاً مبيناً ، وجّل به الرتب الفاخرة ، فكم قلّد جيدها عقداً نفيساً ، ورصّع ^(٣) في تاجها دراً ثميناً ، وأعانه على ما يتولاه فهو الأسد الأسد الذي اتخذ الأقلام عريناً .

نعمده على نعمه التي خصّتنا بوليّ تتجمل به الدول ، وتغنّى الممالك بتدبيره عن الأنصار والحوّل ، وتحسد أيامنا الشريفة عليه أيام من مضى من الملوك الأول ، وتحلّ السعود حيث حلّ إذ لم يكن لها عنه حول .

(١) في الأصل و (س) : « حاله » ، وأثبتنا ما في الوافي ، ولعلها أشبه .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) ليست في الوافي .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نستطير بها صُوب الصواب ،
ونرفل منها في ثوب الثواب ، ونَدَخِرُ منها حَاصِلًا ليوم الحساب ، ونعتد بِرَّها واصلًا
ليوم الفصل والمآب .

ونشهد أن سيدنا محمدًا عبده الصادق الأمين ، ورسوله الذي لم يكن على الغيب
بضنين ، وحبيبه الذي فضل الملائكة المقربين ، ونحييه الذي أسرى به من المسجد الحرام
إلى المسجد الأقصى حُجَّة على المُلْحدين ، صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين صحبوا
ووزروا ، وأيدوا حزبه ونَصَرُوا ، وبذلوا في نصحه ما قَدَرُوا ، وعدلوا فيما نَهَوْا وأَمَرُوا ،
صلاة لهم تكون لهم هدىً ونوراً إذا حُشِرُوا ، ويضوع بها عَرْفُهُم في الغَرْف ويطيب
نَشْرُهُم إذا نَشِرُوا ، وسَلَم تسلياً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن أشرف الكواكب أبعدها دارًا ، وأجلها سرًّا وأقلها سرارًا ، وأدناها مَبَارًا^(١)
وأعلاها مَنَارًا ، وأطيب الجنات جناباً ما طاب أرجاء وثارًا ، وفجر خلاله كلَّ نهر
« تروع حصاة حالية العذارى »^(٢) ، ورَنَحَت معاطف غضونه سَلافة^(٣) النسيم فتراها
سَكَارَى ، وتمتد ظلال الغصون ، فتخال أنها على وجنات الأزهار تدبّ عِذارًا . وكانت
دمشق المحروسة لها هذه الصفات ، وعلى صفائها تهبّ نسمات هذه السَّمات ، لم يتصف
غيرها بهذه الصِّفة ، ولا اتفق أولو الألباب إلّا على محاسنها المختلفة ، فهي البقعة التي
يَطْرَبُ لأوصاف جمالها الجماد ، والبلد الذي ذهب المفسرون^(٤) إلى أنها إرَم ذات العماد ،

(١) كذا في الأصول والوافي ، ولم نَهْتِدِ إلى معناها ، ولعلّها : مدارًا .

(٢) تمامه :

فتلمس جانب العقد النظيم

وينسب إلى حمدة ، أو حمدونة بنت زياد المؤدب . نفع الطيب : ١١٤٢/٢ ، وإلى المغازي ، وفيات
الأعيان : ١٤٤/١ .

(٣) في الوافي : « سلاف » .

(٤) في (س) ، والوافي : « بعض المفسرين » .

وهي في الدنيا أغودج الجنة التي وَعِدَ بها المتقون ، ومثال النعيم للذين عند ربهم يُرْزَقُونَ ، وهي زهرة مُلْكنا ، ودَّرّة سلْكنا ، وقد خلت هذه المدة من يُراعي مصالح أحوالها ، ويرعى نجوم^(١) أموالها ، ويدبّر أمر مملكتها أجل تدبير ، ويحمي حوزتها ويحاشيها من التدمير ، فيسم منها غُفْلاً ، ويَحْلِي عطلاً ، ويعلاً خزائنها خيراً يُجَلَى ، إذا ملأنا ساحتها خيلاً وَرَجْلاً . تعيّن أن نتدب لها مَنْ خبرناه بُعداً وقرباً ، وهززنه مُثَقِّفاً لدناً وسللناه عَضْباً ، وخبأناه^(٢) في خزائن فكرنا فكان أشرف ما يُدْخَرُ وأَعَزَّ ما يُخْبَأُ ، كم نهى في الأيام وأمر ، وكم شدّ أزرّاً لما وَزَرَ ، وكم غنيت به أيامنا عن الشمس ، وليالينا عن القمر ، وكم رفعنا راية مجد فتلقاها عَرابة فضله بين الظفر^(٣) ، وكم علا ذرى رتب تعزّ على الكواكب الثابتة ، فضلاً عَنّ يتنقل في المباشرات من البشر ، وكما كانت الأموال جُهادى فأعادها ربيعاً غرّد به طائر الإقبال في الجهات وصَفَر .

وكان المجلس العالي القضائي الوزيري الصّاحبي الأميني^(٤) هو معنى هذه الإشارة ، وشمس هذه الهالة وبدر هذه الدّارة ، نَزَلَ من العلياء في الصّميم ، وفخر بأقلامه التي هي سُمْرُ الرّماح كما فَخَرَتْ بقوسها تميم ، وتحفظت الأموال في دفاتره التي يوشّيها فأوت إلى الكهف والرقيم ، وقال لسان قلمه ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾^(٥) ، و :

عقم الزمان بأن يجيء بمثله . إنّ الزمان بمثله لعقيم

(١) في الوافي : « مجزم » .

(٢) في الأصل : « وخبأنا » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

(٣) يشير إلى قول الشّاخ في عرابة الأوسي :

إذا ما راية رُفِعَتْ لمجدٍ تلقاها عرابة باليمن

انظر : ديوانه : ٣٢٣ .

(٤) زاد في الوافي : « أدام الله نعمته » .

(٥) يوسف : ٥٥/١٢ .

وَتَشَبَّهَ بِهِ أَقْوَامٌ فَبَانُوا وَبَادُوا ، وَقَامَ مِنْهُمْ عِبَادُ الْعِبَاد^(١) ، فَلَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا .

أردنا أن ينال الشامَ فضلَه ، كما نالته مصر فما يساهم فيه سواهما ولا يقول لسان الملك لغيره :

حَلَلْتُ بِهَذَا حَلَّةً بَعْدَ حَلَّةٍ بِهَذَا فَطَابَ الْوَادِيَانِ كِلَاهُمَا^(٢)

فلذلك رُسِمَ بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري أعلاه الله وشرفه ، أن يُفَوَّضَ إليه تدبير الممالك الشريفة بالشام المحروس ونظر الخواص الشريفة والأوقاف المبرورة على عادة من تقدّمه في ذلك وبمعلومه الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت^(٣) ، وهو في الشهر مبلغ أربعة آلاف وست مئة وثلاثة وسبعين^(٤) . تفصيله عن : نظر المملكة الشريفة بالشام المحروس : أربعة آلاف ومئة وثلاثة وثلاثين ، مبلغ ألفان وسبع مئة وثلاثة وثلاثين^(٥) : ثمن لحم وتوابل ، ألف وثلاث مئة وخمسون ، خارجاً عما باسم كتابة النظر ، وهو في الشهر قح [غرارة ونصف]^(٦) ، دراهم : مئة وخمسون . عن نظر الخااص الشريف ، غُلّات عن الوظيفتين : تسع وعشرون غرارة ، مبلغ وثمان لحم وتوابل : ثلاثة أرطال بالدمشقي : خمس مئة وأربعون درهماً ، تفصيله : قح تسع غرائر ، شعير عشرون غرارة ، أصناف المشاهرة : بالوزن الدمشقي ، سَكَّرَ بَيَاضُ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ رَطْلًا وَنِصْفٌ ، حَطَبٌ : تسعة قناطر . وفي اليوم بالدمشقي ، خبز : خمسة عشر رطلًا ، شمع : أوقية ونصف ، ماء وَرْدٌ : أوقية ونصف ، صابون :

(١) في الأصل : « العناد » ، وأثبتنا ما في (س) ، والواقي .

(٢) لجمل ، ديوانه : ١٩٧ .

(٣) قوله : « إلى آخر وقت » ، ليس في الواقي .

(٤) في الواقي : « وسبعين درهماً » .

(٥) في الواقي : « وثمانين » .

(٦) زيادة من الواقي ، والنص هنا فيه اختلاف عما في الواقي .

أوقية ونصف ، زيت طيّب : نصف رطل ، والكسوة والتوسعة والأضحية والأتبان على العادة لمن تقدّمه في ذلك .

فليتلق هذه الولاية بالعزم الذي نعهده ، والحزم الذي شاهدناه ونشهده ، والتدبير الذي يعترف له الصّواب ولا يجحده ، حتى تثمر الأموال في ورق^(١) الحُساب ، وتزيد نمّواً وسمّواً فتفوق الأمواج في البحار وتفتوت المطر في السّحاب . مع رفيق يكون في شدّته ، ولين يزيد^(٢) مضاء حِدّته ، وعدل يصون مهلة مدّته ، فالعدل يعمر ، والجور يدمر ولا يثّر ، بحيث إن الحقوق تصل إلى أربابها ، والمعالم تطلع بدورها^(٣) كاملة في كل هلال على أصحابها ، والرسوم لا تُزاد على الطاقة في بابها ، والرعايا يجنون ثمن العدل متشابها^(٤) ، وإذا أنعمنا على بعض أوليائنا بمجمل فلا تكدر بأن تؤخر ، وإذا استدعينا إلى أبوابنا بهمّ فليكن الإسراع إليه يُخجل البرق المتألق في السحاب المسخر فما أردناك إلا أنّك^(٥) سهم خرج من كنانة ، وشهم لا يثني إلى الباطل عيانه ولا عنانته ، فاشكر هذه النعم^(٦) على منائحها ، وشنف الأسماع بمدائحها ، متحققاً أن في النقل بلوغ العزّ والأمل ، وأنه :

لو كان في شرف المأوى بلوغ مَنى لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل^(٧)

فاستصحب الفرح والجذل بدل الفكر والجذل ، وسرّ على بركة آرائنا الشريفة

(١) في الوافي : « أوراق » .

(٢) في الوافي : « يزين » .

(٣) في الوافي : « بدور بدورها » .

(٤) في الوافي : « في أيامه يتشابه » .

(٥) في الوافي : « إلا لأنك » .

(٦) في الوافي : « النعمة » .

(٧) للطغرائي من لاميته المشهورة .

وقل : وفي بلاد من أختها بدل ، واختر ما اختارته لك سعادتنا ^(١) المؤبدة المؤيدة
فَطَرُفَها بالذكاء مكتحل :

إن السَّعادةَ فَيَا أنتَ فاعله وقَّفتَ مرتحِلاً أو غيرَ مرتحل

فما آثرنا بتوجهك ^(٢) إلى الشام إلا ليأتيك المجد من هنا وهناك ، ولأنَّكَ إذا كنت
معنا في المعنى فما غبت في الصورة عنا ، وبسط أملك ﴿ إنك اليوم لدينا مكينٌ
أمين ﴾ ^(٣) ، ونزّه نفسك فقد أويت ﴿ إلى ربوة ذات قرارٍ ومعين ﴾ ^(٤) ، والوصايا
كثيرة « وأنت ابن بجدتها علماً ومعرفة » ، وفارس نجدتها الذي ^(٥) لا يقدم على أمر حتى
يعرف مَصْرَفه ، فما نحتاج أن ^(٦) نرشدك منها إلى علم ، ولا أن نشير إليك فيها بأئمة
قلم ، وتقوى الله تعالى هي العروة الوثقى ، والكعبة التي من يطوف بها ﴿ فلا يضلَّ
ولا يشقى ﴾ ^(٧) ، فعضّ بالناجذ عليها وضمَّ يديك على معطفيها ، والله يتولّى
ولايتك ، ويعين دُرْبَتَكَ في الأمور وعنايتك ، والخط الشريف أعلاه الله تعالى وشرفه
أعلاه ، حجة بثبوته والعمل ^(٨) بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى ^(٩) .

وأنشدني لنفسه إجازة ما كتبه شيخنا العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود عندما
ولي الوزارة الأخيرة سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة :

تبلَّجتِ الدُّنيا وأشرقَ نُورُها وعادوها بَعْدَ النُّفُورِ سرورُها

(١) في الأصل : « سعادة » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الوافي : « بتوجهك » .

(٣) يوسف : ٥٤/١٢ .

(٤) المؤمنون : ٥٠/٢٣ .

(٥) في الأصل : « التي » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

(٦) في الوافي : « إلى أن » .

(٧) طه : ١٢٣/٢٠ .

(٨) في الوافي : « ثبوته العمل » .

(٩) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .

وماست بأعطاف الممالك نَفْحَةً
ورَدَّتْ على دَسْتِ الوزارة بَهْجَةً
فَأَرَبْتُ على ماضي الدهور لكونها
وصاحبها حكماً فكلُّ مُحَكَّمٍ
وما رُسِمَتْ مِنْ بعده باسم غيره
وهل يطرق الآمال أرجاء رَيْبَتِهِ
أَمِينُ الدُّنْيَا والدين والملِكِ والعلَى
فأشْرقت الأقطارُ بعد قطوبها
ولم لا تَرَى تلك الثغورَ بواسِماً
ولم يُدَرَّ إنْ أثرى ثرى المُلْكِ بالندى
وقد كانت الآمال ماتت فردّها
ولو نُذِرَتْ من قبلها رُتْبَةٌ علت
يلوح بأجساد التقاليد وَصُفِّه
وتبدو معاني نفسه في مدادها
إذا ماسطت أقلامه وضراغم
وإنْ أجزت الأرزاق فهي غمام
وإنْ دَبَّحت طرساً فأهْجَ روضه
وإنْ سَجَّعت في مهرقٍ فحمام
أتانا به لُطفُ الإله بخلقه
إذا أجدبت أرضٌ وغاضَ معينها
فأخصب وادِها وأمرع ربعها

مِنْ العِزِّ عَمَّ الخَلْقَ طيباً مرورها
إذا لم تكنها الشَّمْسُ فهي نظيرها
أُعِيدَتْ إلى المولى الوزيرُ أمورها
يُبَاشِرُها مِنْ عنده يَسْتَعِيرُها
فساوى الورودَ الآنَ منها صَدُورُها^(١)
على مَفْرَقِ الشَّعْرِى العُبورِ عبورها
ومُعْلَى سِنَا أرائها ومُشيرها
بمَرَّاهِ وافترت سروراً ثغورها
وأراؤه حول الممالك سُورها
أَمِنَاهُ أَحْيَتْ تُرْبَها أُمَ بحورها
به نَشْرُ بُشْرَى كانَ فيها نُشورها
لَحَقَّ عَلَيْها أَنْ توفى نذورها
فتشرق بالدرِّ الثمين سطورها
كما تتبدى في الليالي بدورها
لها الطُّرسُ غابَ والصَّريْرُ زئيرها
يسير إلى الآفاق منها مطيرها
يناطر زهر النيرات نضيرها
لها الكتب دَوْحٌ والقلوب طيورها
وكلُّ امرئٍ هادي العيون قريها^(٢)
فمن راحتيه رَوْضُها وغديرها
وأصلح غاويها وأثرى فقيرها

(١) في (س) : « وما سمت » .

(٢) في (س) : « الجفون » .

بجنته معنى الجلالة سافر
 ويُدينه مِنَّا فضله في علوه
 وقد لحظ الأعمال أول نظرة
 ووافقت حول المال من كل وجهة
 ولم يك عن عسف ولكن أثارها
 فأضحت يوت المال ملأى برأيه
 وقد أخصبت منه الخزائن فاغدت
 ولو لم تكن قد أصبحت وهي جنة
 أيا مالك النعمى الذي لنواله
 لقد كنت أخشى أن أموت وما أقي
 وقد كنت بالعقبى من الله واثقا
 وإنك ما استنصرت إلا بربك
 ومن يكن الرحمن حافظ نفسه
 فدونكها يضيف لك العز وژدها
 فقد يئست منها وقد آل أمرها
 فأكرم بملك أنت منه أمينه
 وعش وابق ما غنى الحمام بدوحه
 وأضفى ستور الكاملين سفورها
 كشس الضحى تعلو ويقرب نورها
 تساوى لديه نأيتها وحضورها
 ثقالا هوادها بطيما سيرها
 وقد خفيت من كل قطر خبيرها
 تغص ولا يخشى انتقاصا غريرها
 كروضة حُسن والدلال زهورها
 به ماعلا الأبرار منها حريرها
 مناهل لم يكدر لدي غيرها
 بما كنت أرجو من علاك بشيرها
 وإن أبطأت أيامها وشهورها
 العلي ولم ينس العباد نصيرها
 فكيد أعادي نفسه لا يضيرها
 ويضيف جبير السعد منك جبورها
 إليك نفوس زال عنها غرورها
 ودولة ملك أنت فيها وزيرها
 وبارى هديل الورق منها هديرها

يقبل الأرض التي يود لو فاز بلثم أعتابها ، أو كحل ناظره الذي قذي بالبعد عنها
 بلثم تراها ، ويتمنى لو قام لديها بفرض التهنة منشا ، أو مثل بها بين الأولياء منبها لهم
 على تكرار السجود لله تعالى ومرشدا^(١) . ويُنهي ورود البشرى التي كانت الآمال تترقب
 ورودها ، والتهاني التي كانت الأماني تتنجز من الدهر وعودها ، والنعم التي كانت

(١) في الأصل : « منشا » ، وأثبتنا ما في (س) .

الأولياء تخشى أن تجود بأنفسها قبل أن ترى وجودها ، فالحمد لله على هذه المنن التي أجابت مَنْ سأل ، وتركت المملوك وأمثاله من الأولياء يصحبون الدنيا بلا أمل ، وأعادت على النواظر نضارة نُورِها وإضاءة نُورها ، وردت إلى القلوب ما بَعُدَ من آمالها أو نفر من سرورها ، وَفَسَحَتْ للأولياء في أرجاء الرجاء مجالا ، وأجرت سوابق الإحسان في مضمار المعنى ^(١) فغدت لها المحامد غررا ، والأثنية المشرقة أحجالا ، ثم الحمد لله على هذه المنّة التي لا يقدر الشكر قَدْرَها ، ولا يدرك سرار الانتهاء بدرها ، ولا تزال الأقدار تعاضد نهيبها وأمرها ، والسعادة تُرْفِه ^(٢) بيمن خياطتها الممالك بيضُ جيوشها المرهفة وسمرها ، والمملوك فقد اجتنى ثمر دعائه الصّالح ، وأخذ من هذه التهنية حظّ المقيم الملازم بالأبواب العالية مع أنه النائي النازح ، والله يجعل هذه المنّة ^(٣) فاتحة ما يستقبل من أمثالها ، ويمتّع الأولياء كافة بما أنجزت لها الأيام من وعود آمالها بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

٨٦١ - عبد الله بن جعفر بن علي بن صالح*

محبي الدين الأسدي الكوفي النحوي الحنفي ، ابن الصّبَاغ .
أجاز له رضي الدين الصّاغاني ، والموفق الكواشي ، وبالعامّة من ابن الخير ، وألقى (الكشاف) مرات دروسا ، وجلا من آدابه ، على الطلبة عروسا ، وسقى من فضائل المتنوعة غرّوسا ، وكانت له جلالّة وأبوّة وأصالة ، عُرض عليه تدريس المستنصرية فأبى ، وصار له بهذا الإعراض ^(٤) حديثٌ ونبا ، وكانت فضائله موصوفه ، وهو في ذلك الزمان فاضل الكوفة .

(١) في (س) : « المنى » .

(٢) في (س) : « توفر » .

(٣) في (س) : « النعمة » .

* الوافي : ١٠٩/١٧ ، والدرر : ٢٥٢/٢ ، وتذكرة النبيه : ١٧٦/٢ ، وفيه : « صالح بن عبد الله بن جعفر ... » .

(٤) في (ق) ، (س) : « الإعراض من الأغراض » .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الموت بابن الصَّبَاغ صَبَا ، وصَبَّتْ الأحزان عليه
سحائب الدموع صَبَا .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وثلاثين وست مئة .

كان فيه عبادة وزهادة ، وكتب عنه عفيف الدين المَطْرِي^(١) ، وأجاز للشيخ
تقي الدين بن رافع ، ونظم الفرائض .

٨٦٢ - عبد الله بن جعفر *

عفيف الدين التهامي أحد كُتَّاب الإنشاء للملك المؤيد صاحب المين ، كان دينًا
حَسَنَ السَّيَرِ ، طاهر^(٢) السريره .

نقلت من خط الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليميني^(٣) ، قال : كان عفيف الدين
يُملي على أربعة قريضاً من فيه ، على غرض طالبه ومستفتيه^(٤) ، من غير لعنه ، ولا
فأفأة ولا تمته ، في أوزان مختلفه ، وقوافٍ غير مؤتلفه^(٥) ، وبلغ السبعين ، وهو مشتمل
برداء الدين .

وقال : توفي سنة أربع عشرة وسبع مئة ببلده من أعمال الجُمَّة .

قال يمدح المؤيد وقد سار إلى عدن من تعز ، وعيّد بها :

(١) عبد الله بن محمد بن أحمد المطري (ت ٧٦٥ هـ) ، وفیات ابن رافع : ٣٩٤/١ .

* الوافي : ١٠٩/١٧ ، والدرر : ٢٥٣/٢ .

(٢) في (س) : « ظاهر » .

(٣) عبد الباقي بن عبد الحميد بن عبد الله ، ستأتي ترجمته .

(٤) في (ق) ، (س) ، والوافي : « مستدعيه » .

(٥) في (ق) ، (س) ، والوافي : « متألّفة » .

أَعْلِمْتَ مَنْ قَادَ الْجِبَالِ خَيُْولًا
وَأَمَاجٍ بِحْرًا مِنْ دِلَاصٍ سَابِحٍ
وَمِنَ الْقَسَى أَهْلَةً مَا تَنْقُضِي
وَتَزَاحَمْتُ سُمْرُ الْقَنَا فِتْعَانَقْتُ
فَالْغَيْثُ لَا يَلْتَقِي الطَّرِيقَ إِلَى الثَّرَى
سُحْبٌ سَرَتْ فِيهَا السُّيُوفُ بَوَارِقًا
طَلَعَتْ أَسْنَتُهَا نَجُومًا فِي السَّمَاءِ
تَرَكْتُ دِيَارَ الْمَلْحَدِينَ طَلُولًا
وَالْأَرْضُ تَرْجَفُ تَحْتَهَا مِنْ أَفْكَلٍ
حَطَمَتْ جَحَافِلُهَا الْجَحَافِلَ حَطْمَةً
طَلَبُوا الْفِرَارَ قَدْ أَشْطَانِ الْقَنَا
عَرَفُوا الَّذِي جَهَلُوا فَكُلُّ غَضَنَفٍ
مَلِكٌ إِذَا هَاجَتْ هَوَائِجُ بَأْسِهِ
بَحْرٌ إِلَى بَحْرٍ يَسِيرُ بِمَثَلِهِ
وَأَفَاضَ مِنْ لَمَعِ السُّيُوفِ سَيُولًا
جَرَّتْ أَسْوَدُ الْغَابِ مِنْهُ ذَيُولًا^(١)
مِنْهَا الْخَضَابُ عَنِ النَّصُولِ نُصُولًا
قُرْبًا كَمَا يَلْقَى الْخَلِيلُ خَلِيلًا^(٢)
وَالرِّيحُ فِيهَا لَا تَطِيقُ دُخُولًا
وَتَجَاوَبَتْ فِيهَا الرُّعُودُ صَهِيلًا
فَتَبَادَرَتْ عَنْهَا النُّجُومُ أَفُولًا
مِمَّا تَبِيحُ بِهَا دَمًا مَطْلُولًا
وَالْجَوُّ يَحْسَبُ شِلْوَهُ مَأْكُولًا^(٣)
تَدْعُ الْحِمَامُ مَعَ الْقَتِيلِ قَتِيلًا
فَاعَادَ مَعْقَلَهُمْ بِهَا مَعْقُولًا
فِي النَّاسِ عَادَ نِعَامَةً إِجْفِيلًا^(٤)
جَعَلَ الْعَزِيزَ مِنَ الْمُلُوكِ ذَلِيلًا
وَالْمَلْحُ أَحْقَرُ أَنْ يَكُونَ مِثْلًا

وقال : وقد أمر المؤيد أن تطرح دراهم في بركة صافية ، وأن ينزل الخدام والحاضرون للغوص عليها :

أرى بركة قد طما ماؤها
فيا ملك الأرض هذي السما
وفي قعرها ورق منتثر^(٥)
وهذي النجوم وأنت القمّر

(١) في الأصل : « سابع » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

والدلاص : الدرع للمساء اللينة .

(٢) في الأصل : « الخليلا » ، ولا زجه لها ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٣) الأفكل : الرعدة ، وفي الواقي : « في أفكل » .

(٤) الإجفيل : الجبان .

(٥) في الأصل : « أي » ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

وقال : وقد أمر المؤيد أن يَقْطَعَ الندامى عناقيد عنب ، فقطع عفيف الدين
عنقوداً وحَمَلَهُ إلى السلطان وهو يقول :

جاء ابن جعفر حاملاً بيمنه عنقود كرم وهو من نَعْمَاكا^(١)
يقضي الزمان بأنَّ نَصْرَكَ عاجلٌ يأتي إليك برأس من عاداكا^(٢)

وقال : وقد حضر خروف^(٣) المغني من الشام سنة ثلاثين وسبع مئة ، وغنى بين
يدي السلطان :

إن أَيْسَامَكُمْ لَأَمْنٌ وَيَمْنٌ وأمانٌ في كل بدوٍ وحَضِرِ
هَيْبَةٌ مِنْكَ صَالِحَتْ بَيْنَ سِرْحَا نِ وَسَنَحْلٍ وَبَيْنَ صَقَرٍ وَكُذْرِي
ومِنَ الْمُعْجَزَاتِ أَنَّ خَرُوفاً يَرْفَعُ الصَّوْتَ وهو عند المَهْزَبِ

قلت : كذا نقلته من خط الشيخ تاج الدين اليني قوله : (أمن وامن وأمان) ،
والأمن والأمان واحد .

٨٦٣ - عبد الله بن أبي جمره*

خطيب غرناطة المالكي .

روى عن أبي الربيع بن سالم^(٤) وأقام مدة بسبته لا يخرج عنها جمعته ولا سبته .

ثم إنه ولي خطابة غرناظه ، وغدق به صاحبها ذاك وناطه ، وكان ذلك في آخر
عمره ونهاية أمره .

(١) في الوافي : « هو » ، من دون الواو .

(٢) في الأصل : « بنصر » ، سهو ، وأثبتنا ما في الأصول الأخرى .

(٣) في (ق) ، (س) ، والوافي : « الخروف » .

* الوافي : ١١٣/١٧ ، والشذرات : ٢٣/٦ ، وفي الأصل و (س) : « حمزة » تصحيف . وكذلك في ذبول
العبر : ٦٤ .

(٤) هو سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي البلسني (ت ٦٣٤ هـ) ، السير : ١٣٤/٢٣ ، والوافي : ٤٣٢/١٥ .

خطب يوم الجمعة وسقط ميتاً من أعلى المنبر ، وكان ذلك آية لمن عاق ومن بر ،
وذلك بعد سنة عشر^(١) وسبع مئة .

٨٦٤ - عبد الله بن حسن *

ابن عبد الله بن عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور ، الشيخ الفقيه الإمام المحدث
اللغوي المفتي قاضي القضاة شرف الدين أبو محمد^(٢) بن العلامة شرف الدين بن الحافظ
جمال الدين بن الحافظ تقي الدين الدمشقي الصالح الحنبلي .

سمع حضوراً سنة ثمان وأربعين ، وحدث عن مكي بن^(٣) علان ، والعراقي ،
والكفرطابي ، ومحمد بن سعد^(٤) ، سمع منه (صحيفة همام) والعماد بن عبد الهادي ،
والليداني ، وخطيب مردا ، وعلي بن يوسف الصوري^(٥) ، وإبراهيم بن خليل ،
وأبي المظفر سبط الجوزي^(٦) ، وطائفة . وحدث به (صحيح) مسلم عن ابن عبد
الهادي ، وطلب قليلاً بنفسه ، وقرأ على ابن عبد الدائم والشيخ شمس الدين ، روى
الكثير وتفرد ، وكان يمل ولا يحتمل تطويل المحدثين ، تفقه وبرع في مذهبه ، وأفتى
ودرس في حال تقلبه .

وكان خيراً وقوراً ، ساكناً صبوراً ، حسن السمّة ، لا يرى في حاله عوج ولا

(١) في ذيول العبر : في حدود سنة إحدى عشرة .

* الوافي : ١٣٤/١٧ ، والدرر : ٢٥٥/٢ ، والشذرات : ١٠٠/٦ ، والبداية والنهاية : ١٥٩/١٤ ، وذيول
العبر : ١٧٢ . ووقع في الأصل : « ابن عبد الحافظ بن سرور » ، سهو .

(٢) في الأصل : « أبو عبد الله » ، وهو سهو ، وأثبتنا ما في أصوله الأخرى ، ومصادر ترجمته .

(٣) في الأصل : « مكي وابن » ، سهو . وفي ذيول العبر : « ابن علاق » . وانظر العبر : ٣٣٢/٥ . ترجمة
ابن علان المتوفى (٦٨٠ هـ) .

(٤) الأنصاري المقدسي (ت ٦٥٠ هـ) ، السير : ٢٤٧/٢٣ .

(٥) (ت ٦٥٤ هـ) ، العبر : ٢١٨/٥ .

(٦) في الوافي : « سبط بن الجوزي » .

أمت^(١) ، لَيْنَ العريكة ، مَنْ جالَسَهُ صار في أمره وما هو فيه شريكه ، تقلد الحكم بعد عز الدين المقدسي^(٢) فما غَيَّرَ زِيَّه ، ولا حَوَّلَ نَدِيَّه ، ولا ركب بغلة ، ولا حضر المواكب ولا مشى في حفلة ، بل كان يركب حماره ، وجعل ذلك دليلاً وأماره .

وكان طويل القامة رقيقاً ، دقيق الصوت رقيقاً . مليح الذهن حسن المحاوره ، متع المُحاضره ، ولم يكن محذلقاً في أموره ، ولم يكن عنده^(٣) فطنة في غيبته ولا في حضوره .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه الأجل فبَغَتَهُ ، ولم يَخْطِبه الذي وصفه ونعته ، حَكَمَ بالبلد إلى العصر ، وطلع إلى الجبل ففاجأه الموت وهو يتوضأ للمغرب سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

وكانت ولايته سنة وشهرين .

ومولده سنة ست وأربعين وست مئة .

وأجاز لي رحمه الله تعالى في سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وكتب عنه ياذنه عبد الله بن أحمد بن الحَبَّ .

وكان وصول تقليده بالقضاء إلى دمشق يوم الثلاثاء سابع عشرين شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

٨٦٥ - عبد الله بن الحسين*

ابن أبي التائب بن أبي العيش ، الشيخ المُسند المعمر الشاهد ، بدر الدين أبو محمد الأنصاري^(٤) .

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ لا تَرى فيها عوجاً ولا أمْتاً ﴾ طه : ١٠٧/٢٠ ، والْأَمْتُ : العوج ، والضعف والوهن .

(٢) محمد بن سليمان ، ستأتي ترجمته .

(٣) في (ق) ، (س) : « ولا عنده » .

* الوافي : ١٤٧/١٧ ، والدرر : ٢٥٦/٢ ، والشذرات : ١١٠/٦ ، وذيل العبر : ١٨٥ .

(٤) زاد في الوافي : « الدمشقي أحد الضعفاء » .

سمع مع أخيه إسماعيل^(١) كثيراً من مكي بن علان ، والرشيد العراقي ، وابن النور البلخي ، وعثمان بن خطيب القرافة ، وإبراهيم بن خليل ، وعبد الله بن الخشوعي ، وعدة . وروى الكثير على ضعفه ، وتفرّد بالرواية ، ولو طلب الإعفاء من الطلبة لم تغف ، وعمردها ، وخاض من العمر المديد نهرًا ، وكان لا يصدق في مولده في آخر عمره ، ويزعم أنه تجاوز المئة ، فما أصبره على جمّره ، ثم إنه شرع في الطلب على الرواية ، وبان للناس منه الغوايه .

ولم يزل على حاله إلى أن نزل بابن أبي العيش الموت ، وحضره مع كثرة التسميع الفوت .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين أو ثلاث وأربعين وست مئة .

وألقى مرة بخطّه الوحش اسمه مع أخيه فيما لم يسمعه فما روى من ذلك كلمة^(٢) واحدة ، وأجاز لي بدمشق بخطه سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

٨٦٦ - عبد الله بن خطلبا*

ابن عبد الله جمال الدين الغساني أحد مقدّمي الحلقة بالقاهرة .

أخبرني العلامة أثير الدين من لفظه قال : مولده رابع عشر شعبان سنة سبع^(٣) وعشرين وست مئة ، وأنشدني : قال : أنشدني من لفظه لنفسه :

أستغفر الله من أشياء تخطر لي من ارتكاب ذنبيات من العمل

(١) (ت ٧٢١ هـ) ، الدرر : ٣٦٦/١ .

(٢) في الأصل : « فيما روى ... كله » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

* الوافي : ١٥٩/١٧ .

(٣) في (س) : « تسع » تصحيف .

وَمِنْ مُلَاحَظَتِي طَوْرًا مُسَارِقَةً وَتَارَةً جَهْرَةً لِلْفَاتِرِ الْمُقَلِّ
 مِنْ كُلِّ أَحْوَى حَوَى رَقِّي وَرَقِّ لَهُ قَلْبِي وَقَدْ رَاقَ لِي فِي وَصْفِهِ غَزَلِي^(١)
 مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَصِفَا قَدْ شَغِفْتُ بِهِ وَهُوَ الَّذِي حُسْنُهُ الْعَصِيَانِ حَسَنَ لِي^(٢)
 فَالْشَّمْسُ تَفْخِرُ إِنْ قِيسَتْ بِبَهْجَتِهِ وَالبَدْرُ مِنْهُ وَغُصْنُ الْبَانِ فِي خَجَلِ
 فَجَلَّ جَامِعٌ مَا فِي النَّاسِ مِنْ حَسَنٍ وَمَنْ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ الْجَمَالَ وَلِي

٨٦٧ - عبد الله بن ريجان*

ابن عبد الله ، الشيخ جمال الدين التقوى القليوبي .

سمع من ابن المقير ، والسَّائِي ، وابن الصابوني ، وابن رواج ، وابن الجمزي ،
 وسبَّط السِّلْفِي ، وغيرهم . وقرأ بنفسه على بعضهم ، وكان يسكن بالمدرسة الكامليّة
 بالقاهرة ، وينادي بقيساريّة التجار ، وكان عسراً في التحديث .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليه (جزء الصُّولي) عن ابن رواج بجامع
 الحاكم .

وتوفي في نصف صفر سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين أو ثلاث وثلاثين وست مئة بالقاهرة .

٨٦٨ - عبد الله بن سعيد الدولة**

الوزير موفق الدين .

(١) في الأصل : « في وصله » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) في (ق) ، (س) ، والوافي : « معنى قد » .

* الدرر : ٢٦٠/٢ ، وذيل العبر : ٥٢ ، والسلوك : ٩٦/١/٢ .

** الدرر : ٢٦١/٢ ، والبدائع : ٥٥٥/١/١ ، وذيل العبر : ٢٩٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٩/١٠ .

أول ما علمته من أمره أنه كان رحمه الله ناظر البيوت في آخر^(١) أيام الملك الناصر محمد ، ثم إنه بعد ذلك تولّى نظر الدولة ، وأمسك مع القاضي جمال الدين جمال الكفاة ، ونجّاه الله من تلك الفتنة وكانت واقعة عجيبة ، وصودر فيها جماعة ، ومات آخرون وهلك جماعة من العقوبة .

ثم إنه تولّى نظر الخاص بعد جمال الكفاة ، ولما تولّى نظر الخاص كتب اسمه : عبد الله ، وقبل ذلك إنما كان اسمه : هبة الله ، وكذا كان يكتبه ، فلما ولي الخاص كتب : عبد الله ، واستمرّ على ذلك إلى آخر وقت ، ثم إنه طلب الإغفاء من نظر الخاص ، وأعيد إلى نظر الدولة ، وتولّى علم الدين بن زنبور نظر الخاص ، ولم يزل موفق الدين على نظر الدولة إلى أن أمسك ابن زنبور الوزير ، فتولّى موفق الدين الوزارة^(٢) ، وأقيم معه الأمير ناصر الدين محمد بن المحسني مشيراً ، وكان يجلس معه إلى آخر وقت .

وكان القاضي موفق الدين خيراً ، باطنه لا يزال بمحبة الفقراء نيراً ، يميل إلى الصّالحاء ويبرّهم ، ويحسن إليهم بما يستروج إليه سرهم ، ولا يرّد فقيراً ، ولو كان ما يعطيه فقيراً ، ولا يزال على مصالحهم يثابر ، وليس كمن يأخذ من نهاوش ويضعه في نهابر^(٣) .

وكانت أخلاقه سهّله ، وغضبه مثلاً (ثم) تقتضي التراخي والمهله ، دائم البشر ، فائح النثر ، وكان يحب الفضلاء ويؤذنيهم ، ويودّ قُرْبهم ويعينهم ويغنيهم ، وخطّه

(١) في (ق) : « أواخر » .

(٢) سنة (٧٥٣ هـ) ، البداية والنهاية : ٢٤٦/١٤ .

(٣) في الأصول : « مهاش مهابر » ، وأغلب الظن أنه تحريف ، وفي الحديث : « من كسب مالاً من نهاوش أنفق في نهابر » ، وجاء في التفسير : نهاوش : من غير حلّه ، كما تنهش الحية من هنا وهناك ، ونهابر : حرام ، يقول : من اكتسب مالاً من غير حلّه أنفق في غير طريق الحق . اللسان : (نهبر) ، وغريب الحديث لابن الأثير : ١٩٦/٤ .

حَسَنٌ جَيْدٌ نَقِشَ ، حَلَوُ الْأَوْضَاعِ رَقِشَ . وكان من غريب الاتفاق ، أنه تزوج بـ (اتفاق) ، وهي جارية سوداء أظنها كانت من حظايا الصالح إسماعيل ، اتّصل بها بعده لأن صَبْرَهُ فيها عِيْل ، وَدَخَلَتْ إِلَيْهِ بِخَدَمٍ كَثِيرٍ ، وفرش وثير وجدّ منه عثير ، وكان يتكلف في النفقة عليها كل يوم جُمْلَهُ ، وينهض من ذلك بما لا يطيق غيره حَمْلَهُ ، ولعله لمح منها ما هالَهُ فحصل له الهَلَعُ ، وأراد الله أن يختار له من السعود سعد بَلَعَ ، وليس ذلك بدعاً فلولا الأغراضُ الفاسدة ما نَفَقَتِ السَّلَعُ ، وما الوزير موفق الدين فرداً^(١) في هذه المسألة ، ولا هُوَ بأول من نصر حُجَّةَ مُبْطِلِهِ ، فقد صنف ابن الجوزي كتاباً سَمَاهُ (تنوير الغبش في فضائل الحَبَش) وقصيدة ابن الرومي القافية التي يصف بها^(٢) السوداء تقارب المتي بيت ، وأحسنها^(٣) :

أَكْسَبَهَا الْحَبَّ أَنَهَا صُبُغَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدِيقِ
وقال الشريف الرّضي من أبيات^(٤) :

وما كان سهم الطّرف لولا سواده ليبلغ حَبّات القلوب إذا رمى
إذا كنتَ تهوى الظبي ألى فلا تَلَمَّ جُنُونِي عَلَى الظبي الذي كُلَّهُ لَمَى

ولم يزل الوزير موفق الدين في الوزارة ، إلى أن جاءه الأجل وزارَهُ ، وأبعد من (اتفاق) مزارَهُ .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني عشري ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، وتأسّف الناس عليه وعدمه الفقراء ، فإنه كان لهم ثِلاًلاً ، وَبِدَعَائِهِمْ لَهُ سَلَمٌ مِنْ آفَاتٍ أَصَابَتْ غَيْرَهُ .

(١) في الأصل : « بدعا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) في (ق) : « فيها » .

(٣) انظر : ديوان ابن الرومي :

(٤) انظر : ديوان الشريف الرضي :

٨٦٩ - عبد الله بن أبي السعادات *

ابن منصور بن أبي السعادات بن محمد ، الإمام الفاضل أبو بكر نجم الدين بن الأنباري البغدادي الباطني شيخ المستنصرية ، المقرئ ، خطيب جامع المنصور .

سمع ابن بهروز الطبيب ، والأنجب الحمّامي ، وأحمد المارستاني^(١) ، ولي مشيخة المستنصرية ، بعد العباد ابن الطّبال ، وتفرّد بأجزاء وحمل عنه أهل بغداد .

وتوفي سنة عشر وسبع مئة في ثاني عشر شهر رمضان وله اثنتان وثمانون سنة .

ومن مسموعاته (الإبانة الصغيرة) لابن بَطَّه^(٢) على أحمد المارستاني بسامعه من ابن اللحاس^(٣) ، و (موطأ) القعني^(٤) على ابن العليّ^(٥) عن شُهدَه^(٦) ، و (مسند عبد ابن حُميد) بِقَوْتٍ يسير من أوله ، والجزء الثالث من (ذم الكلام) للأنصاري^(٧) على ابن بهروز .

٨٧٠ - عبد الله بن سعد **

ابن مسعود بن عسكر الماسوحي الفقيه المحدث الشافعي .

* الوافي : ١٨٩/١٧ ، والدرر : ٢٦٠/٢ ، والشذرات : ٢٣/٦ ، وذيل العبر : ٥٥ .

(١) أحمد بن يعقوب بن عبد الله (ت ٦٢٩ هـ) السير : ٧٧/٢٣ .

(٢) عبيد الله بن محمد العكبري ، أبو عبد الله (ت ٢٨٧ هـ) ، واسم كتابه : الشرح والإبانة على أصول السُنّة والديانة . السير : ٥٢٩/١٦ ، وهديّة العارفين : ٦٤٧ ، والأعلام : ١٩٧/٢ .

(٣) في الأصل : النحاس ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، وهو : محمد بن محمد بن محمد الحريري العطار (ت ٥٦٢ هـ) . السير : ٤٦٥/٢٠ .

(٤) عبد الله بن مسلمة بن قعنب (ت ٢٢١ هـ) ، السير : ٢٥٧/١٠ .

(٥) أعز بن فضائل بن أبي نصر ، (ت ٦٤٩ هـ) السير : ٢٣٨/٢٣ .

(٦) المعروفة بالكتيبة بنت أبي نصر أحمد بن الفرج (ت ٥٧٤ هـ) ، السير : ٥٤٢/٢٠ .

(٧) عبد الله بن محمد ، أبو إسماعيل (ت ٤٨١ هـ) ، الكشف : ٨٢٨/١ .

** الوافي : ١٩٥/١٧ ، والدرر : ٢٦٧/٢ ، وفي (ق) ، والوافي : « ابن سعود ابن عسكر » .

وفي الدرر : « ماسوح ، بمهملتين : قرية من قرى حسان » .

كان عارفاً بالفروع ، جيّد المشاركة يروق ويروع ، كثير النقل ، صحيح العقل .
تفقه بالشيخ برهان الدين ^(١) ، وسمع على الحَجَّار ، والمِزِّي ، والشيخ برهان الدين
وغيرهم ، وكتب الأجزاء والطباق .
ومولده سنة اثنتي عشرة وسبع مئة تقريباً ^(٢) .

٨٧١ - عبد الله بن شرف *

ابن نَجْدَة المرزوقي ، علم الدين .
أخبرني الإمام العلامة أثير الدين قال : كان المرزوقي يحضر معنا عند قاضي القضاة
تقي الدين ابن رَزِين ، وكان معيداً بالمشهد الحُسَيْنِي . أَلَفَ شرحاً (للتنبيه) وأنفذه
إلى الشيخ بهاء الدين بن النحاس ، فكتب عليه نثراً يصفه ، وأعادته فأنفذ المرزوقي
أبياتاً يشكره على ذلك وهي :

يامالك الرق والقياد	ومن له الفضل والأيادي
ومن تحلى التقى لباساً	وأرشد الناس للسداد
ومن علا ذُرْوَةَ المعالي	وخلف الناس في وهاد
ومن غدا في العلوم بحرأ	أذيه الدهر في ازدياد ^(٣)
وصار مدح الأنام وقفأ	على علاه إلى التنادي
شرفت ماقد نظرت فيه	شرفك الله في المعاد
وهو كتاب غنيت فيه	ولم أنل مُنتهى مرادي
جمعت فيه غرّ المعاني	من كتب جمّة عداد

(١) ابن الفركاح ، كما في الدرر .

(٢) ووفاته سنة (٧٧١ هـ) ، كما في الدرر ، أي بعد وفاة المؤلف .

* الوافي : ٢٠٨/١٧ .

(٣) الأذني : الموج .

وعانَدَ الدهرُ فيه حظي
فمهَّدَ العذرَ فيه عني
لازِلْتَ للعرَفِ ذا اصطناع
فأجابهُ الشيخ بهاء الدين عن ذلك :

يزيدُ نظماً على زياد^(١) يافارساً في العلوم أضْحَى
يفوق فيه على المرادي^(٢) وراوياً للحديث أمسى
بلفظه الفائق المُفَادِ ومُنْسِياً سبويه نحواً
رواه قِدماً عن البوادي مَنْ دُونَهُ الأَضْعَى فيما
ونظمه جَلَّ عن سِنَادِ^(٣) فَ (مُسْنَد) الفضلِ عنه يُرَوَى
بنطقي دُونَهُ الإيادي^(٤) شَيَّدَتْ للشافعي ذِكْراً
فأنتَ للفضل خيرُ هَادِ فاسلم لتَهْدِي بك البرايا
وهل معادٌ سوى العيادِ^(٥) إِلَيْكَ في مُعْضِلٍ مَفَرٍّ
يعارض البحر بالثَّمَادِ^(٦) وَمَنْ يُجَارِيكَ في قَرِيضٍ

قلت : رزق المرزوقي السعادة^(٧) في شعره لما انتحس شعراين النحاس .

(١) هو النابغة الذبياني .

(٢) الربيع بن سليمان بن عبد الجبار ، صاحب الإمام الشافعي وراوي كتبه ، وأوَّل مَنْ أَملى الحديث بجامع ابن طولون . السير : ٥٨٧/١٢ ، والأعلام : ١٤/٣ .

(٣) الفضل بن الحباب مسند البصرة ، له جزء في الحديث (ت ٢٠٥) ، السير : ٧/١٤ ، والأعلام : ١٤٨/٥ .

(٤) في الوافي : الإيادي « ، ولا يستقيم ، والإيادي هو : قس بن ساعدة الإيادي ، خطيب الجاهلية وحكيمها .

(٥) في الأصل : « المعاد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٦) من الثمد ، وهو الماء القليل .

(٧) في (س) : رزق المرزوق سعادة .

٨٧٢ - عبد الله بن الصنينة المصري*

الصاحب شمس الدين غبريال^(١) ، بكسر الغين المعجمة وسكون الباء الموحدة وبعدها راء وياء آخر الحروف وبعد الألف لام ، المصري .

كان أولاً كاتب الخزانة في أيام المنصور حسام الدين لاجين ، وكان يصحب الأمير شمس الدين قراسنقر ، ثم إنه انتقل إلى الشام وولي نظر الجامع الأموي والأشرف والأوقاف في الحرم سنة عشر وسبع مئة عوضاً عن شرف الدين بن صُصْرَى . ولما حضر الأمير سيف الدين كراي لنيابة دمشق عزله عن نظر الجامع والأوقاف ، وولّى عوضه [القاضي]^(٢) شرف الدين محمد بن جلال الدين النهاوندي^(٣) قاضي صفد ، ولما أمسك كراي وحضر الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك عَزَلَ شرف الدين النهاوندي وولّى القاضي تقي الدين عمر بن السلعوس .

ثم إن الصاحب شمس الدين تولى نظر الدواوين بدمشق في نصف المَحَرَّم سنة ثلاث عشرة وسبع مئة . عوضاً عن الشريف أمين الدين^(٤) وبدر الدين بن أبي الفوارس^(٥) لما حضر السلطان إلى دمشق ، وتولى شدّ الدواوين معه الأمير فخر الدين أياس^(٦) مملوك الأعسر عوضاً عن القرماني ، وباشر نظر الدواوين على القالب الجائر ، وأمسى كلّ أحد وهو في أمره حائر ، دخل في ناصر الدين الدوادار ، وتسلسل سعده وما دار ، وخدم تنكز وبالع في الخدمه ، وثبت له على طول المدة ،

* الوافي : ٢١٥/١٧ ، والدرر : ٢٦٢/٢ ، وتذكرة النبیه : ٢١٩/٢ ، وذيول العبر : ١٨٢ .

(١) في الأصل : « بن غبريال » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) .

(٣) هو محمد بن عثمان ، ستأتي ترجمته .

(٤) هو أمين الملك ، عبد الله بن تاج الرئاسة . انظر ، البداية والنهاية : ٦٩/١٤ ، وقد سلفت ترجمته .

(٥) هو محمد بن مجاهد بن أبي الفوارس ، ستأتي ترجمته .

(٦) في (ق) ، (س) : أياس الشمسي .

قدمَ القدمَه ، وخَدَمَتُهُ الأيام والليالي ، وجرت ^(١) أنهار دمشق له ذهباً ، وأصبح حصاها لآلي ، ووجه الناس بمباشرته السعيدة أماناً من الحوادث ، وبقيت المناصب في أيدي مباشريها أوقافاً عليهم ، تنتقل من وارث إلى وارث ، وسدَّ بابَ المرافعات والمصادرات ، واغتمت أفعال الخير مع النَّاس بالمعاجلة والمبادرات ، فكأنما كانت أيامه مواسم ، وهبَّات هباته نواسم ، وتُغور الأيام قَرَحاً به في رحابه بواسم ، والأرزاق بأقلامه قد أثقلت الغوارب وأعيت المناسم ، وسعادات تدبيره لأدواء اللاواء حواسم ، وربوع الجُور والعدوان في مدة مباشرته طوامس ويقال : طوايسم ، وكأن أبا الطيب أرادَه بقوله ^(٢) :

لقد حَسُنْتَ بِكَ الأيام حتى . كأنك في فم الدنيا ابتسام ^(٣)

ورأى دمشق وتمتع بحاسنها ، وتنعم في ظلالها الوارفة من مساكنها ، واقتنى بها الأملاك النفيسة ، وحصل بها الأموال التي تكون البحار الزاخرة عليها مقيسه .

ولم يزل في سعادة بعد سعادته ، وزيادة بعد زيادته ، إلى أن نُقِصَ حبله ، ونُفِضَ وَيْلُه ، فتغيَّر له تنكز وتنكَّر ، وأكْمَنَ له وتفكر ، فاتفق مع السلطان على عزله ، وأن يُريَه جدَّه بعد هزله ، فقبض عليه في حادي عشر ^(٤) شوال سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وبقي في الاعتقال إلى أن حضر السلطان من الحجاز فطلبه إلى مصر ، فالتزم له بتكملة ألف ألف درهم .

ونزل إلى بيته وأقام بالقاهرة إلى أن أذنت شمسُه بالغروب ^(٥) ، وجرت الدموع عليه من الغروب .

(١) في (س) : « وأجزت » .

(٢) ديوانه : ٨٠/٤ .

(٣) في الديوان : « الأوقات حتى فم الدهر » ، وفي (ق) ، (س) : « فم الزمن » .

(٤) في (ق) ، (س) : « عشرين » .

(٥) في الأصل : « للغروب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة السبت ثامن عشر شوال سنة أربع وثلاثين^(١) وسبع مئة .

وكان الصّاحب شمس الدين سعيد الحركات خفيفاً ظريفاً ، حُلُو النادرة مليح التنديب ، كان في متعممي دمشق شخص يُعرَفُ بالقاق يَنْدَبُ الناسُ عليه ، ويمزحون معه بذلك ويُظهِرُ هو التّأدّي بعض الأوقات ، فاتفق أنه سَرَقَ مَرَّةً جُمْلَةً من الخشب من شيء كان يُبَاشِرُهُ ، وذَكَرَ أمره للصّاحب شمس الدين ، فبقيت ، فلما كان في بعض الأيام جاءه فقال له : يامشؤوم ، الناس يقولون عنك « قاق » ، طلعت أنت نَقَار الخشب .

وكان فيه ستر وحلم ، لم يقع لأحد من أكبر دمشق واقعة إلا وسدَّ خرقها وتدارك رَمَقها وتلافى عطبها على أحسن الوجوه ولم يكشف لأحد رأساً ولا ضرب أحداً بالمقارع ، ولا صادر أحداً ولا عزل أحداً . وكان كلما انتشأ أحد من الأمراء خواصَّ السلطان خدمه وباشر أموره بالشام وثَمَر له وأهدى ، وكان أولئك يعضدونه ويقيمونه ، وإذا جاء أحد من ممالिकهم أو من جهتهم أنزله عنده وأزاح أعذاره وخَدَمه ، وكان مرجع دواوينهم إليه وأموالهم تحت يده يتجر لهم [فيها]^(٢) ويتكسب مثل بكثر السّاقى وقوصون وبَشْتاك وغيرهم ، كل من له علاقة بالشام ولا يخرج الحديث عنه ، وكان هو والقاضي كريم الدين الكبير متعاضدين جداً ، ودامت أيامهما مدة .

وطلبه السلطان مرات إلى مصر ، فراح على البريد وعاد بزيادة إكرام وإنعام وزيادة معلوم ، ولما كان في سنة أربع وعشرين وسبع مئة طلبه السلطان إلى مصر وخلع عليه وباشر نظَر الدولة مع الأمير علاء الدين مغلطاى الجالى الوزير وذلك في شهر رمضان ، فأقام بالديار المصرية على كُرّه منه لأنه أَلَفَ دمشق واعتدال مزاجها ،

(١) انظر تذكرة النبيه ، ففيه ما يوحى أن وفاته قبل هذا الوقت .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

فسعى سعيًا جيداً وعاد إلى دمشق على عادته وقاعدته في نظر الدواوين ، ووصل إلى دمشق في يوم الاثنين ثامن عَشري صفر سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وفرح الناس به واستبشروا ، وعاد القاضي كريم الدين الصغير ناظرَ دمشق إلى مصر .

ولم يزل بدمشق على أكمل ما يكون من السعادة إلى أن قبض عليه تنكز بأمير السلطان في التاريخ المذكور ، وجعل في المدرسة النجيبية ورَّسم عليه الأمير علاء الدين المرتيني ، فكان يكون [قَدَامَهُ و ^(١)] إذا دخل إلى الطهارة وعاد منها يقوم الأمير يمسك له فرجتيته ويلبسها له . ووزن في الشام أربع مئة ألف [درهم ^(٢)] ثم إن المرسوم ورد بطلبه إلى مصر فتوجه إليها ولما وصل نزل في الطبقة التي على دار الوزارة بقلعة الجبل وجاء إليه القاضي شرف الدين النشؤ ، وقعد بين يديه ، ولم يعرف مَنْ هو لبعد عهده بمصر ، فقال : السلطان يُسَلِّم عليك ، فلَحَظْتُهُ أنا وغمرته ، فعلم أنه كبير ، فقام وقف له وأجلسه إلى جانبه فأشْرُرتُ أنا إليه أن هذا هو النشؤ ناظر الخاص ، فقام وقف وعامله بما يجب وحَلَفَ له أنه ما يعرفه ، فقبل اعتذاره ، ولما راح من عنده جاء إليه الأمير صلاح الدين الدوادار برسالة عن السلطان ، وكان الأمير علاء الدين بن هلال الدولة مشد الدواوين يروح إليه في الرسائل عن السلطان هذا وهو قاعد على مقاعد سنجاب ومقاعد سرسينا ، ولم أرَ أنا ولا غيري مصادراً مثله إلى أن قال له النشؤ : يامولانا وزنت في الشام أربع مئة ألف فكمَّلَ لنا ألف ألف ، فقال : السمع وألف طاعة ، وكتبَ خطَه بست مئة ألف درهم ^(٣) ، ونزل إلى بيته ، ولم يزل يحمل إلى أن بقي عليه مئتا ألف ، فاستطلقها له الأمير سيف الدين قوصون من السلطان ، ولو أن بكثر السَّاقِي يعيش له ما جرى عليه بعض ذلك ، وكان أعاده لأنه شفع فيه عن طريق الحجاز وسيَّرَ الإفراج عنه إلى الشام ، ومات بكثر بعد ذلك ثم إن أعداءه غَيَّرُوا

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٣) عبارة الوافي : « وأخذ خطَه بألف ألف درهم » .

السلطان عليه ، وقيل له : إن في دمشق ودائع فكتب السلطان إلى تنكر ، فاتبع ودائعه وظهر له شيء كثير ، فحمل ذلك إلى السلطان .

ولما مات رحمه الله تعالى وقع بين أولاده اختلاف في الميراث ، فطلع ابنه صلاح الدين يوسف ولم يكن له ولد ذكر غيره [ودخل إلى السلطان]^(١) ونم على أخواته ، فأخذ منهم شيء كثير من الجوهر ، ف يرى الناس أن الذي أخذ^(٢) من ماله أولاً وآخرأ ما يقارب الألفي ألف درهم ، وما أظنه نكب ظاهراً غير هذه المرة ، وسمعت ليلة يقول : من حين باشرت الكتابة ما أعلم أنني اشتريت لي مركوباً ولا قمشاً ألبسه أنا ولا أهلي ، وفي هذه المصادرة لم يشك أحدٌ عليه ولا رُفِع فيه قصة لافي الشام ولا في مصر ، ولما أفرج عنه خرج الناس له بالشمع وفرحوا به فرحاً عظيماً .

وعمل بعد موته في دمشق محضر^(٣) بأنه خان في مال السلطان واشترى به أملاكاً ، وشهد فيه كال الدين^(٤) مدرس الناصرية ، وابن أخيه القاضي عماد الدين^(٥) ، وعلاء الدين [بن] القلانسي ، وعز الدين بن المنجأ ، وغيرهم من الأكابر ، وامتنع عز الدين بن القلانسي ناظر الخزانة من ذلك ، ونفذ المحضر إلى مصر ، وأراد السلطان بيع أملاكه فوقف له قوصون واستطلقها منه لأولاده .

وكان يسمع (البخاري) في ليالي رمضان ، وليلة ختمه يحتفل بذلك ، ويعمل في كل سنة مولد النبي ﷺ ، ويحضره الأكابر والأمراء والقضاة^(٦) والعلماء ووجوه الكتاب ، ويظهر تَجَمُّلاً زائداً ويخلع على الذي يقرأ المولد ، ويعمل بعد ذلك سماعاً للأمراء المحتشمين .

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، ومثله في الوافي .

(٢) في (ق) ، (س) : « أخذ له » . وما في الأصل يشبه ما في الوافي .

(٣) انظر في تفصيل ذلك : البداية والنهاية ١٦٦/١٤ .

(٤) ابن الشيرازي ، كما في البداية والنهاية ، واسمه أحمد بن محمد ، سلفت ترجمته .

(٥) محمد بن أحمد ، ستأتي ترجمته .

(٦) في (س) : « والقضاة والفقهاء » .

وعمر جامعاً حسناً ، شرع فيه في شعبان سنة ثمانى عشرة وسبع مئة على باب شرقي عند دير القعاطلة ، ووقف عليه وقوفاً ، وعمر بالرحبة بيارستاناً ، وعمر بكرك نوح عليه السلام [بالبقاع]^(١) طهارة وأجرى إليها الماء في قناة هناك .

وكتبت أنا إليه من الرحبة :

ياسيد الوزراء ذكرك قد علا
لك جامع بدمشق أضحى جامعاً
وأمرت أن يبني برجة مالك
أنشأت ذاك وذا فجئت بأية
وكتبت إليه يوماً وأنا بدمشق^(٤)

وكتبت إليه عن الأمير سيف الدين تنكز من الديار المصرية يُعلمه بوصوله وتقيله الأرض بين يدي السلطان وبحضور الإقبال الشريف عليه وإفاضة^(٥) الإنعامات الشريفة عليه في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ونسخة الكتاب :

« أستغ الله ظل المقر الكريم العالي المولوي الصاحبى الشمسى ، وسرّ قلبه بأخبار أحبابه ، وسرّى همّه الذى توهّمه بسببهم لما تقمّص من الدجا أسود جلابه ، وسير أنباءهم التى هي أطرب وأطرى من زهر الروض تحت وقع ربّاه . المملوك يخدم بدعائه الذى يتمسك من القبول بأقوى أسبابه . وبثنائه الذى يجد النّمان منه نشوة لا يجدها في كلّسه المرصع بدرّ حبّابه ، ويقبل اليد الكريمة التى تُخجل البحر إذا طمى في عبابه ، وينهى

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) في تذكرة النبيه : « فكأنه » . وكيوان : اسم لكوكب زحل .

(٣) في الأصل : « أنشأت ذا وذاك » ، ولا يستقيم ، وهنا تنتهي الترجمة في الوافي .

(٤) كذا في الأصل .

(٥) في الأصل : « وإضافات » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

إلى العلم^(١) الكريم أنه سَطَرها من الأبواب الشريفة ، خلد الله سلطانها ، ونصر أعوانها ، بعدما وصل إليها في يوم كذا وقَبِل الأرض بالمواقف الشريفة ، وَودَّ لو استعار في الثريا لَلثَم تلك المواطئ التي هي على الكواكب مُنيفة ، وفاز برؤية وجه مولانا السلطان الذي أخرج البدر في سَعُوده ، وترقَّى على أوجه وهو في معارج صعوده ، وودَّ لو أن أعضائه جميعها عيون ، وكلَّ جراحة فيها تُطالب أشواقها بمآلها في ذِمَّة النوى مِنْ ديون^(٢) ، وشملت المملوك الصدقات الشريفة بشريف أثقل كاهله ، وجعل ربوع آماله بالمسرات أهله ، وتوالى الإنعام الشريف في كل يوم على الأنعام ، وأغرقت المواهب العمية بأيادها إلى أن غام ، وتزايد الجبرُّ الشريف في كل ساعة يكون فيها بالمواقف الشريفة ماثلاً ، وفتح على المملوك بصلاح أدعية ماترك منها سهماً في كنانة ضميره إلا إذا كان له ناثلاً^(٣) ، هذا إلى ما يُخَفَّ به في كل يوم من جُمَل التفاصيل التي^(٤) يحار العقل في نقوشها ، وتتأصل في المحاسن مباني عروشها ، ومن الخيل التي تُرى الشَّهب عند شهبها مُسْتَقَلَّه ، ويودُّ الأفق لو كانت تجعل مسيرها في مَجَرَّتِه لأنها تملأ الطرق بالأهله ، ولم يَصِف المملوك أنواع هذه الصدقات الشريفة التي عَمَّت ، وكملت بدور بدرها وُتِّت ، إلا إشعاراً لمولانا ، بسط الله ظِلَّه ، بأن نصيبه منها يحضر صحبة المملوك ، ويناله منها ما يخجل القمر في التمام والشمس في الدلوك ، وقد جهَّزها لمملوك على يد فلان ليطمئن خاطره الكريم ، ويتحقق ما للمملوك عليه من الأخبار التي تسره وتحلُّ من قلبه في الصميم ، وبعد قليل يأخذ المملوك دستوراً بالعود ، ويعلم أنها ساعة يَشِبُّ لها الفؤاد ناراً ويشيب الفؤود ، وإذا استخرج المراسيم الشريفة شرفها الله تعالى وعظَّمها بالرجوع ، ورُسِم بذلك ، وهو أمر يمنع الجفون من الهجوع ، عَجَّل المملوك

(١) في (س) : « علمه » .

(٢) في (ق) ، (س) : « الديون » .

(٣) نثل الكتابة : استخرج نيلها فنثرها .

(٤) في الأصل : « الذي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

إِعْلَامَ مولانا بذلك على العادة ، والله تعالى يجمع المملوك ومولانا دُنْيَا وأُخْرَى في دار السعادة بِنِّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

٨٧٣ - عبد الله بن أبي الطاهر*

ابن محمد الشيخ الصالح أبو عبد الرحيم المقدسي المَرْدَاوي .

أول سماعه بَمَرْدَا من خطيبها سنة ست وثلاثين ، وسمع من الحافظ الضياء^(١) ، واليلداني ، وتلقن بمدرسة أبي عمر ، ثم رجع وحدث في أيام ابن عبد الدائم .
روى عنه ابن الخباز^(٢) .

قال الشيخ شمس الدين الذهبي : وسمع منه الأصحاب ، وكان معمرًا من أبناء التسعين ، وهو آخر أصحاب الضياء بالسماع .

وتوفي رحمه الله تعالى بَمَرْدَا سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

٨٧٤ - عبد الله بن عبد الأحد**

ابن عبد الله بن سلامة بن خليفة ، الشيخ الصدر الكبير أمين الدين بن شُقَيْر الحَرَّافِي .

كان محموداً مشكوراً ، كل أحد يثني عليه ويعظمه ، وهو على قدم الصدق والعدالة محترمٌ مَعْظَمٌ من أرباب الأموال ، وله حقوق على الناس ووجاهة عند الدولة .

حدث عن يوسف بن خليل ، وعيسى بن الخياط .

* الوافي : ٢٢٤/١٧ ، والدرر : ٢٦٤/٢ ، وذيول العبر : ١١٨ .

(١) محمد بن عبد الله السعدي المقدسي الجماعلي (ت ٦٤٣ هـ) ، سلفت الإشارة إليه .

(٢) محمد بن عمر بن محمد ، ستأتي ترجمته .

** الوافي : ٢٣٦/١٧ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٤ ، والدرر : ٢٦٥/٢ ، ووقع في الأصل : « عبد الأوحى » ، وأثبتنا ما في النسخ الأخرى ومصادر ترجمته .

توفي رحمه الله بغزة^(١) ثالث عشري شهر رمضان سنة [ثمان وسبع مئة .

ومولده بجرّان في نصف شعبان سنة [ثلاث وثلاثين وست مئة .

كان قد توجه من دمشق في جماعة من أولاده وأقاربه يقصد القاهرة فأدركه الأجل بغزة .

٨٧٥ - عبد الله بن عبد الحق *

ابن عبد الأحد الخزومي المصري الدلاصي .

تلا لنافع على أبي محمد بن لبّ سنة خمس وثلاثين وست مئة ، ثم تلا بعده كتب عليّ بن فارس ، وسمع القصيدة^(٢) من قارئ مصحف الذهب^(٤) .

وأقرأ دهرأ بمكة ، وتلا عليه بالروايات عبد الله بن خليل ، والمجير مقرئ الشجر ، وأحمد بن الرضي^(٥) الطبري ، والوادي آشي^(٦) ، وخلق .

وكان من أصحاب الحال والسقم والانتحال ، له في ظلمات الليل^(٧) أورد ، وركعات تكون في صفح حسناته كالأطواد ، وفيه زيادة تأله ، وفيه خشية من الله

(١) في الأصل : « بغرة » ، بالراء .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) .

* الوافي : ٢٣٨/١٧ ، والبداية والنهاية : ١٠٠/١٤ ، والدرر : ٢٦٥/٢ ، وغاية النهاية : ٤٢٧/١ .

(٣) هي الشاطبية .

(٤) عبد الله بن محمد بن عبد الوارث ، ويعرف بابن الأزرق (ت ٦٦٤ هـ) ، غاية النهاية : ٤٥٣/١ ، والشذرات : ٣١٦/٥ .

(٥) الرضي هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، سلفه ترجمته ، ولم يقف على ترجمة ابنه .

(٦) محمد بن جابر (ت ٧٤٩ هـ) ، وستأتي ترجمته .

(٧) في (ق) ، (س) : « الدجي » .

العظيم تَحَلُّهُ ، وقد أحيأ الليل سنوات ، وقطع ظلامه في ذكرٍ وصلوات ، وتفقه لمالك ثم للشافعي ، فشرب من جَلَّاب^(١) الحلات^(٢) ، ونصب راية الرافعي^(٣) .

ولم يزل على حاله إلى أن ما حَمَّت الدَّلَاصي من الموت سابعةً دلَاص ، ولكم يكن له من قدومه عليه مناص .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاثين وست^(٤) مئة .

٨٧٦ - عبد الله بن عبد الحليم*

ابن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن تيمية الحراني ، الشيخ الإمام الفقيه المفي القدوة العابد شرف الدين أبو محمد الدمشقي أخو الشيخ العلامة تقي الدين .

سمع حضوراً من ابن أبي اليسر ، وسمع من الجَمال البغدادي^(٥) ، وابن أبي الخير ، وابن الصيرفي ، وابن أبي عمر وابن علان ، وابن الدرّجي^(٦) وخلق كثير ، وطلب الحديث في وقته ، وسمع (المسند) و (المعجم الكبير) والدواوين ، وسمع منه الطلبة .

قال شيخنا الذهبي : وما علمته صَنَف شيئاً .

كان لسنناً فصيحاً ، جزل العبارة مديد الباع فسيحاً ، غزير مادة العلم كثير

(١) الجلاب : ماء الورد ، فارسي معرّب .

(٢) كذا ، ولم يستبن مراده ، وفي (ق) : « الجلاب » .

(٣) في الأصل : « الشافعي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٤) في الأصل : « وسيع » ، سهو .

* الوافي : ٢٤٠/١٧ ، والدرر : ٢٦٦/٢ ، والشذرات : ٧٦/٦ ، وذيل العبر : ١٥٣ .

(٥) عبد الرحمن بن سليمان (ت ٦٧٠ هـ) ، العبر : ٢٩٣/٥ .

(٦) إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى القرشي (ت ٦٨١ هـ) ، العبر : ٢٣٥/٥ ، والشذرات : ٣٧٢/٥ .

الإغضاء والحياء والعلم ، بصيراً بالقواعد ، حاوياً لكثير من غرائب المسائل الأبعاد ، كثير الإنصاف إذا بحث ، إذا سكت خَصَّمَهُ حَصَّهُ على الكلام وَحَثَ ^(١) ، زائد التعفف قادراً على التشف مع الدين المتين ، والإخلاص المبين ، واسع قيص الزهد ، مقتبطاً بما عنده من الجهد ، منقبضاً عن الناس ، منجمعاً عن مخالطة الأذناس ، ينتقل في المساجد المهجورة ، ويقيم فيها كثيراً لالضروره ، يختفي فيها أياماً ، ويهجر بها ^(٢) ماعساه أن يهجر دواما ، مع ما أحكمه من الفقه والعرييه ، والنكت الأدبيه ، وبرع فيه من معرفة السيرة وكثير من التاريخ وأسماء الرجال ، وما يتسّع في ذلك من المجال ، ورأيت كثيراً من الفضلاء يقول : هو أقرب من أخيه إلى طريق العلماء ، وأقعد بمباحث الفضلاء ، وكان أخوه العلامة تقي الدين يحترمه ويتأدب معه ، ويحذر أن يخدعه .

ولم يزل على حاله المرضية إلى أن نزل به ما لا بد من نزوله ، وظفر من الله تعالى بمراميه وسؤله .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، قبل أخيه العلامة تقي الدين بسنة ، وكانت جنازته حافلة مشهودة ، حمله الناس على الرؤوس .

٨٧٧ - عبد الله بن عبد الكافي *

نور الدين بن ضياء بن الخطيب الكبير جمال الدين عبد ^(٣) الكافي بن عبد الملك بن عبد الكافي الربيعي الدمشقي الشروطي الأديب .

كان حسن الكتابه ، جيد المعرفة بالإصابه ، وكان فيه لعب وانطباع وعثرة واغلاخ .

(١) في الأصل : « وجب » ، تصحيف . وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) في الأصل : « ويهجرها » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الوافي : ٢٩٤/١٧ .

(٣) في (س) : « ابن عبد » .

ولم يزل على حاله إلى أن راح ليكون رمياً ، ويجد من فضل محبيه برّاً عمياً .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة .
ومولده سنة أربع وستين وست مئة .

٨٧٨ - عبد الله بن عبد الكافي *

ابن عبد الرحمن بن محمد الحميري الصنهاجي المصري المالكي ، زكي الدين أبو محمد المعروف بالمأمون .

سمع من الدواداري^(١) ، وقيل : إنه سمع من النجيب .
وكان حسن الشكل والهيئة ، لطيف الذات ، تولى نظر الكرك والشوبك ، وأقام هناك مدة وكان يعرف عروضاً وفقهاً ويشغل^(٢) الناس وله نظم .
توفي رحمه الله تعالى في سابع عشري جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبع مئة^(٣) ، ودفن في مقابر باب النصر ظاهر القاهرة .

٨٧٩ - عبد الله بن عبد الله **

أمين الدين الرهاوي الدمشقي تربية ابن الكريدي .
سمع وقتاً من ابن القواس ، وابن عساكر ، وطلب بنفسه وقتاً بعد السبع مئة ، ونسخ الأجزاء وارتزق بالكتابة في زرع^(٤) وغيرها .

* الدرر : ٢٧٠/٢ ، وتذكرة النبيه : ٢٥٢/١ .

(١) هو علم الدين سنجر التركي الصالح ، سلفت ترجمته .

(٢) في الأصل : « يشغل » من غير الواو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) في التذكرة : « عاش نحو تسعين سنة » .

** الوافي : ٢٩٩/١٧ ، والدرر : ٢٦٥/٢ .

(٤) وهي البلدة المعروفة اليوم بـ (إزرع) جنوب دمشق نحو سبعين كيلاً ، من أعمال درعا .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وأربعين وسبع مئة بين العيدين .
ومولده سنة أربع وثمانين وست مئة .

٨٨٠ - عبد الله بن عبد الولي*

ابن جُبارة بن عبد المولى الإمام تقي الدين الحنبلي ابن الفقيه المقدسي الصالح .
كان إماماً مفتياً مُدَرِّساً ، مُدْلِجاً في الفضائل مُعَرِّساً ، صالحاً ديناً خيراً صيناً
عارفاً بالفرائض والجبر والمقابلة ، فارساً في بحثه ، كم جَدَلٍ مَنْ جادله ، تبحر في
الفرائض ، وغرّق فيها ألف راض ، وكان قد طعن في سنه ، وقارب المئة على ما في
ظنه .

ولم يزل على حاله إلى أن كُسِرَ ابن جُبارة ، وسكنت منه تلك العبارة .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة في العشر الأوسط من شهر
ربيع الآخر .

وكان من أهل الفتوى والتدريس .

٨٨١ - عبد الله بن عبد الوهاب**

ابن حمزة بن محمد بن الحسين بن حمزة ، الشيخ العدل ناصر الدين أبو محمد بن
العدل كمال الدين النهراي الحموي .

وكان يجلس بين الشهود بحجة ، وله مسجد وقراءة ، حضر جزء لطيفاً وهو في أول
سنة من عمره على والده جدته صفية بنت عبد الوهاب القرشية^(١) ، وحدث بالجزء
مرات بحجة ودمشق .

* الوافي : ٣٠٢/١٧ ، والشذرات : ٤٤٩/٥ .

** الدرر : ٢٧٣/٢ .

(١) توفيت سنة (٦٤٦ هـ) . العبر : ١٨٨/٥ .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : سمعت منه بهما ، وهو من حديث أبي بكر بن زياد النيسابوري ^(١) ، وكان قد قَدِمَ دمشق سنة سبع وسبع مئة ، وسمع منه جماعة من الطلبة ، وكان جَدُّه قاضياً بحماة ، وهو من بيت مشهور .

وتوفي رحمه الله تعالى ثامن عشر صفر سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

٨٨٢ - عبد الله بن عبد الوهاب*

ابن فضل الله صلاح الدين ابن القاضي شرف الدين العمري .

كان شاباً عاقلاً له فهم ومعرفة ، وهو جنديّ ، وهو والد الأمير ناصر الدين محمد بن فضل الله .

وتوفي رحمه الله تعالى سابع عشر شهر رجب سنة تسع عشرة وسبع مئة ، ودفن بترية له جوار المدرسة العزّية التي عند الورّاقة ظاهر دمشق .

٨٨٣ - عبد الله بن علي**

ابن محمد بن سلمان القاضي الرئيس الكاتب المُنشئ جمال الدين بن الشيخ علاء الدين بن غانم .

كان شاباً ظريفاً ، مليح الوجه نظيفاً ، عليه رونق الشباب ولطف السّلافة إذا شَفَ عليها الحُبَاب ، شكله أنيق ، وصدغه في خدّه سَحَالَة ^(٢) لازورد في زُنْجُفَر ^(٣)

(١) عبد الله بن محمد بن زياد (ت ٣٢٤ هـ) ، السير : ٦٥/١٥ .

* الدرر : ٢٧٣/٢ .

** الوافي : ٣٥١/١٧ ، وفوات الوفيات : ٢٠٦/٢ ، والدرر : ٢٧٨/٢ ، وتذكرة النبيه : ٥٤/٣ .

(٢) السحالة : ماسقط من الذهب والفضّة إذا بَرَدَ .

(٣) أي ، صغ .

سحيق ، يكتب خطاً من أين للوُشي رُقُومُه ، أو للآفق الصاحي نجومه ، كأنه طرّة رِيحان ، أو روضٍ فيه الطلّ حيران ، خُصُوصاً إذا كتب الدرج وعلق ، وتأنى في تنيقه وتأنق ، يأتيك بالعَجَب ، ويُريك كما يقال سلاسل الذهب ، مع سرعة لا يلحقه فيها البرق إذا خفق ، ولا النور إذا سطع وولّد الشَّفَقُ ، يكتب الإنشاء من رأس قلمه ، ويؤلف الدرّ الثمين من كَلِمِه ، وله غَوْصٌ في نظم ونثر ، وتلعبُ بالعقول إذا نفت قلمه بسحره .

إلا أنه قُصف غُصْنُه ، ووقفت في أوائل حَلَبَة العمر حُصْنُه ، فأذواه الموت ريجانه ، وأراق منه بنت حانه .

وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر شوال سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

وكان قد مرض في عمره مرضاً حاداً مرات ، ونجاه الله منها وسلّمه إلى أن حَمَّ أجله فات غَبَطُه ، وكان به لذيوان الإنشاء أي غبطه .

كتب هو إليّ في بعض علته [هذه] ^(١) ولم أعده ، من أبيات :

مولاي كيف كَسَرْتَنِي فَهَجَرْتَنِي علماً بأنني كيف كنتم راض
أو قلت إني لأعود مُمْرِضاً ظناً بأنني لأحالة ماض

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

أرسلتها مثل السهام مواضي نَفَذْتُ من الأغراض في أغراض
فأتت وعَثْبُكَ قد تَخَلَّلَ لَفْظُهَا مثل الأنواعي بين زهر رياض
دَغْنِي من الجَبَروت أو من أهله لا تجعلنَّ سوادهم كبياضي
حاشاك أن تَمْضِي وسعدك قد غدا مستقبلا فينا وأمرك ماض

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

وقلت أنا أرثيه رحمه الله تعالى :

تبكي الطُروسُ عليك والأقلامُ
يا مَنْ حواه اللّحدُ غُضّاً يانعاً
يا وحشةَ الديوانِ منك إذا غَدَتْ
مَنْ ذا يوفيها مقاصدها على
هيهات كُنْتَ به جَمالاً باهراً
أسفي على الإنشاء وهو بجلّ
كم من كتابٍ سار عنك كأنه
إن كان في شرٍّ فقد رد الردى
لم لا يرد البأس ما أَلْفاته
أو كان في خير فكلُّ كلامه
وكنّا تلك السطور إذا بدتْ
يَهْتَزّ عطفُ أولي النهى لبيانه
كم فيه وجهٍ سافر مثل الضحى
ولكم كتبت مطالعاً خدّها
وكنّا ألفتها قُضِبَ اللوى
ما كنت إلا فارسَ الكتّاب في
صلّى وراءك كلُّ مَنْ عاصرتَه
وكانَ قبرك للعيون إذا بدا
يا محنةً نزلت بعترة غانم

وتنوح فيك على الغُصون حيامُ
وكذا كسوف البدر وهو تَمَامُ^(١)
فيه مَهَمّات البريد تُرامُ
ما يفتضيه النّقص والإبرام
فعليه بُعدك وحشة وظلامُ
نثاره قد مات والنظامُ
بُرْدُ أجساد طِرَازة الرّقام
وبه ترقّية ذليل وحسام
مثل القنا واللام منه لام
دَرّ يُؤلّفُ بينهنّ نظام
كأس ترشّف راحها الأقلامُ^(٢)
فكانَ هاتيك الحروف مدام
وعليه من ليل السطور لثام
قانٍ وثغر فُصُولها بسام
وكنّا همزاتهنّ حمامُ
يوم تفرّج ضيقه الأقلامُ
علماً بأنك في البيان إمام
قصر عليه تحية وسلام^(٣)
هانوا وهم في العالمين كرامُ

(١) في تذكرة النبيه : « غُضّاً يانعاً » .

(٢) في (ق) ، (س) ، والوافي : « الأنهام » .

(٣) في تذكرة النبيه : « فكَانَ » .

وَقَعَدُوا لَهْوٍ عَائِنُوهُ وَقَامُوا
 حَزْنِي وَدَمْعِي بَارِقٌ وَغَمَامٌ
 أَيَّامٌ أُنْسٍ وَالْخَطُوبُ نَيْامٌ^(١)
 لِقِيَادِ لَذَاتِ الزَّمَانِ زِمَامٌ^(٢)
 وَصَفْتُ بِقَرِيهِمْ لِي الْإِيَّامُ
 فَكَأَنَّهَا وَكَأَنَّهم أَحْلَامٌ^(٣)
 لِي بَعْدَهُ ضَرْثُوى وَضِرَامٌ
 لَا بَدَّ لِي مِنْهَا وَذَاكَ لِيَزَامُ
 عَكست قَضِيَّتَهُ مَعِيَ الْأَحْكَامُ
 بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي الْمَعَادِ زَحَامُ
 قَدْ قَيَّدتْ خَطَوَاتِهِ الْأَثَامُ^(٤)
 وَشَفِيعُهُ لِإِلَهِهِ الْإِسْلَامُ
 يَلْقَاكَ مِنْهُ الْبِرُّ وَالْإِكْرَامُ
 بِالْعَفْوِ صَيَّبَ وَذَقَهَا سَجَامُ
 وَالْحَرُّ مَنْ يُرعى لَدَيْهِ ذِمَامُ
 تَعْتَادُنِي الْأَحْزَانُ وَالْآلَامُ
 الدِّيَوَانُ أُنْسًا مَاعِدَاهُ مَرَامُ^(٥)
 فِيهِ تَزُولُ وَتَنْقُضِي الْأَوْهَامُ

لَا تَغَيَّبَ فِي التَّرَابِ جَاهُهم
 يَاقَبْرَهُ لَا تَتَنَظَّرُ سُقَيَا الْحَيَا
 لِي فِيكَ خِلَّ كَمْ قَطَعْتُ بِقُرْبِهِ
 لَذَتْ فَلَذْتُ بِظَلْمِهَا فَكَأَنَّهَا
 أَسْفِي عَلَى صَحْبِ مَضَى عَمْرِي بِهِم
 ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونُ وَأَهْلُهَا
 بِالرَّغْمِ مِنِّي أَنْ أَفَارِقَ صَاحِبًا
 يَأْمَنُ تَقْدَمُنِي وَسَارَ لَغَايَةِ
 قَدْ كُنْتُ أَحْسِبُهُ يُرَيِّئُنِي فَقَدْ
 أَنَا مَا أَرَاكَ عَلَى الصَّرَاطِ لِأَنَّهُ
 إِذْ قَدْ سَبَقَتْ خَفِيفَ ظَهْرِ لَا كُنْ
 فَإِذَا الْمُخَفِّ وَقَدْ تَقَدَّمَ سَابِقًا
 فَادْهَبْ فَأَنْتَ وَدِيعَةُ الرَّحْمَنِ لِي
 وَيَجُودُ قَبْرُكَ مِنْهُ غَيْثُ سَمَاحَةٍ
 وَلَقَدْ قَضَيْتُكَ حَقًّا وَذَكَ بِالرِّثَا
 خَلَفْتَنِي رَهْنَ التَّنَبُّدِ وَالْأَسَى
 لَكِنْ لِي بِأَخِيكَ نَجْمِ الدِّينِ فِي
 مَهْمَا تَوَجَّسَ أَوْ تَوَحَّشَ خَاطِرِي
 وَكَتَبَ إِلَيَّ مِنْ دَمَشَقٍ وَأَنَا بِالْقَاهِرَةِ :

ذَكَّرْتُ قَلْبِي حِينَ شَطَطَ مِزَارُهُم

(١) في الأصل : « فكَأَنَّما » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) البيت لأبي تمام ، ضمنه الصفي قصيدته .

(٣) في (س) : « الأيام » .

(٤) في الأصل : « ملام » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

وبكى فؤادي وهو منزل حُبهم
وتخلّق الجفنُ الهمولُ كأنما
وذكرتُ عيني عند عين فراقهم
نُذري الدموع عليهم وكأنهم
ويئنّ منة حالي العواذل رحمةً
ويحُ الحبين الذين بوّدهم
فقدوا خليلهم الحبيب فأذكيت
مَولىً تقلص ظلُّ أنسٍ منه عن
كم راقهم يوماً برؤية وجهه
ولكم بدت أسماعهم في حليّة
كانوا بصحبته اللذيذة رُتّعاً
يتنافسون على دنوّ مزاره
لا غيبَ الرحمن رؤيةً وجهه
وجلا ظلامَ بلادهم من بعده
ياسيداً لي لم تزل ثقتي به
أضمرت حبل مودتي ولصحتي
أم تلك عادات القلى أجريتها
فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

وأحقُّ من يبكي الأحبة دارهم
لمَحَّتْهُ عند غروبهم أنوارهم
لما أثارت لوعتي آثارهم
زهراً الربا وكأنها أمطارهم
لما بكيت وما الأئين شعارهم
قربَ المزار ولو نأت أعمارهم
بالشوق في حطب الأضالع نارهم
أصحابه فاستوحشت أفكارهم
مالا يروقهم به دينارهم^(١)
من لفظه وكذا غدت أبصارهم
بسرّة ملئت بها أعشارهم
فكأنما بلقاءه كان فخارهم
عن عاشقيه فإنها أوطارهم
فلقد تساوى ليلهم ونهارهم
إن خادعتني في الولا أشرارهم^(٢)
عرّف الطريقة في الوداد كبارهم
فكذا الأحبة هجرهم ونفارهم

أدنام من صبهم تذكّارهم
مصع بقلب الصب تضرّم نارهم
عن كأسهم وكفّتهم أخبارهم

أفدي الذين إذا تناءت دارهم
في جلق الفيحاء منزلهم وفي
قوم بذكرهم الندامى أعرضوا

(١) في الوافي : « كم راقها » .

(٢) في (ق) ، والوافي : « أسرارهم » .

طربوا له وتعطلت أوتارهم
لم تبق أنجمهم ولا أقمـارهم
وهم الشمس إذا استبان نهارهم
وترفعت من فوقها أقدارهم
ألواؤهم وتوقدت أنوارهم
منها تدار على الأنام عقارهم
سا زهرهم في الليل أو أزهارهم
لورامة الأصحاب طال عثارهم
حتى تقر لصفوه أكنـدارهم
صدق المودة والوفاء شعارهم
سبقوا إليه ولم يشق غبارهم
أسوارهم من كتبهم وسوارهم
عزت نظائرهم وهان نضارهم
إلا ما أثرهم به وفخارهم
وينوب عن زهر الربا أشعارهم
ه قطرة لما تمد بحارهم^(١)
من جور ما يخشى ويرعى جارهم
ظلاً تقيؤه علي ديارهم
ما غاب عني شخصهم ومزارهم
فتى يفك من البعاد إسارهم^(٢)

وإذا الثناء على محاسنهم أتى
وإذا هم نظروا لحسن وجوههم
فهم البدور إذا اذلهم ظلامهم
دنت النجوم تواضعاً لحلهم
وبكفهم وبوجههم كم قد همت
أهدى جالهم إلى تحية
أفق وروض في البلاغة فهي إمـ
لك يا جمال الدين سبق في الوفا
وتودد ما زال يصفو ورده
يابن الكرام الكاتبين فشأنهم
قوم إذا جاؤوا إلى شأو العلى
صانوا وزانوا باليراع ملوكهم
ما مثلهم في جودهم فلذاك قد
ما في الزمان خلّى على أعطافه
تتعلم النسمات من أخلاقهم
ولفضلهم ما ابن الفرات يعد في
وحماهم يحمي النزيل بربعه
بالرغم مني أن بعدت ولم أجد
لو كان يمكنني وما أحلى المني
ويح النوى شمل الأجنة فرقت

وكتب رحمه الله تعالى ، وقد دخلت الديوان بدمشق :

(١) آل الفرات من وزراء الدولة العباسية المشهورين .

(٢) في الأصل : « فما يفك » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

يقول جماعة الديوان فيه فساد لا يزال ولا يزاح
فقلت فسادة سيزول عما قليل إذ بدا فيه الصلاح^(١)
فكتبت أنا الجواب إليه :

هويت جماعة الديوان دهرًا فلما ضمنا بدمشق مغنى
نظرت إليهم نظر انتقاد فكنت جمالهم لفظًا ومعنى
وكتب إلي من دمشق ، وأنا بصدد ضعيف :

كتابك قد أتى عيني وفيها فساد نوى لشوقي وارتياحي^(٢)
فجسده فليس يزول إلا إذا عاد الصلاح إلى الصلاح
فكتبت أنا الجواب إليه :

كتابك جاءني فنفي همومي وأذن سقم جسمي بالزوال
وأذكر ناظري زمنًا حميدًا تمتع بالجمال من الجمال
وكتب هو يومًا إلي :

قد أصبح المملوك ياسيدي يختار أن يفتزع الرُبُوءَ
وقد أتى صحبتكم خاطبًا فأسعفوا واغتموا الخلوه
فكتبت أنا الجواب إليه [ارتجالاً]^(٣) :

مالي على الربوة من قدره لأنني أعجز عن خطوّه
وليس مركوبي هنا حاضرًا فمرّ نحو الخلوّة الحلوّه

(١) في الأصل : « فساد » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) في (س) : « وفيه » .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

وكتب هو إليّ وأنا بالقاهرة^(١) :

سار دمعني مني إليك رسولا
وفؤادي استقرّ إذ أنت فيه
ونسيم الصّبّا تحمّل من وص
ترك القلب في الأضالع يظمّا
فاستمع ما يئلي النسيم بعلم
وقيصّ الكرى مَزَقَ فَإِنْ زَا
حبّذا قُرْبُكَ الَّذِي كَانَ أَنْدَى
وليالٍ كم غازلَ الطرفُ من أُنْد
ومدام كأنّها لَوْنُ دمعني
كأسها في الدّجا تَبْدَى شهاباً
فتهدّيت للسرور برؤيا
كم ركبنا لها سوابق لهو
قرب الله عَهْدَنَا مِنْ لِيَالٍ
أَتَلَطَّى جَبَّوًى وفِرطَ حنين
وإذا ما احترقتُ شوقاً فقولِي :
يا صلاح الدين الذي فسد العي
قد أتني أبياتك الغرّ تحكي
أونبات الربا يصافحه القط

حين أخليت ربّك المأهولا
يتراأك بكرةً وأصيلا
ف اشتياقي فيه حديثاً طويلا
فيسقيّه الاشتياق غليلا
عن غرامي إذ كان مثلي عليلا
ر خيالٌ وصلّته توصيلا
في فؤادي من النسيم بليلا
سك في جنهنّ وجهاً جميلا
عندما أزمع الحبيب رحيلاً^(٢)
وكسّ المزج رأسها إكليلا
ه وإن كان للهديّ تضليلا
كان جرّسُ الغناء فيها صهيلاً^(٣)
لم أكن لاقتراهنّ ملولاً^(٤)
إن تذكّرتُ ظلهنّ الظليلا
ليت لم أتخذ فلاناً خليلاً^(٥)
ش لنا مُذْ نأى وساء مقيلا
نسمات الصّبّا تجرّ ذيولاً
ر فيغدوا رطب الحيا مصقولا

(١) هذه القصيدة خلا منها الوافي .

(٢) هذا البيت والثلاثة بعده في التذكرة .

(٣) في (س) : « نهر » بدل « هو » .

(٤) في (ق) ، (س) : « عهدا » .

(٥) فيه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ يا وليتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ﴾ . الفرقان : ٢٨/٢٥ .

فتذكرت منك جوداً عميماً
ورأيت السطور تحكي ليالي الـ
حبذا عهدهن والعيش فيه
كنت أجني ثمار أنسك فيه

ومحياً طلقاً وفضلاً فضيلاً
قرب حسناً ورقّة لا طلولاً
إذ أنا مالك إليه وصولاً^(١)
من فبدلت بالنوى تبديلاً^(٢)

وكتبت أنا إليه من دمشق ، وهو بغزة في الصيّد جواباً عن كتاب فيه عتب :

حيثُ الخيامُ برمل غزّه
وأننا كثيرُ حُبهم
سِما جالهمُ الذي
موليَّ بعطفٍ يرّاعه
أضحى يوشّي طرسه
يملي عليه بدائعاً
لو فاخرَ الروضَ البسيّ
ألفَ حكت غصنَ النقا
من ميمٍ مئلي عنقه لا
وظفرتُ منه بمعقلٍ
وبه تبين لي الهدى
وبه ملأتُ يدي غنىً
فالله يحرس مجده

لي سادةٌ عندي أعزّه
وهم كما اختارَ عزّه
في فضله طرّفي تنزّه
طرباً يرّنحه وهزّه
ويحوك بالأشجاع طرزه^(٣)
يكسو المهارقَ خيرَ بزّه^(٤)
حم بكتّبه لأبان عجزّه
صدحت عليه حمامُ همزّه
أدخلت قلبي تحت رزّه
لا تطرق الأحداثُ حِرزّه
وحللتُ من معناه رَمزّه
من فضله وفتحتُ كنزّه
ويديم للآداب عزّه

يقبل الأرض ، ويصف شوقه الذي شقّ الجوانح ، وجرح الجوارح ، وملأ الفؤاد

(١) في (ق) ، (س) : « الوصول » .

(٢) في الأصل : « ثمار الشك » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) في (س) : « بالأشجاع » ، تصحيف .

(٤) في (س) : « بديعاً » ، تحريف .

فوادح ، ويذكر حنينه الذي شغله عن ذاته ، وأذهله حتى عن تمنّي اللقاء ولذّاته ، ونفّص صفو عيشه بالبُعد ، وهذه أحسنُ حالاته . ويُنهى ورود المثال العالي فتلقّى منه أكرمَ وارد ، وحوى من ألفاظه الغرّ مصائد الشوارد ، وشافهه منها ألسنُ عتب لها في القلب وقّع السيوف ، وإن كانت فصاحتها^(١) مثل المبارد ، وأضمرت في الحشا نيراناً لها الزفرات دُخان ، والضلوع الحنيّة مواقد ، فقابلها بأعذاره الملفّقة ، فقالت حرارة تلك السطور : دعنا من عذرك البارد ، ونظر من تلك الحروف المنظّمة إلى نوناتٍ كأنها برائن الأسود ، وإلى ميّات كأنها عيون الأسود :

وَكأن ذاك الطرسَ أصبحَ سَلَّةَ الـ حاوي وهاتيك السطورَ أفاعيا

ثم إن المملوك كبر نفسه ، وقال : ربّما تصخّف عليه ما تصفّح ، وترجّى أن يكون هذا القدر هو الذي ترجّح ، وجانس بين آساته وعِطْفه ، فذاك ترنّم ، وهذا ترنّج :

وَيَسْدُلْ هَجْرُكُمْ عَلَى أَنِّي خَطَرْتُ بِيَسْالِكُمْ

وعلل نفسه بقول الآخر :

ويبقى الودّ ما بقي العتاب

وقال : هذا هو العتب المَحْمُودِ العواقب ، وهذا التأديب الذي يعقب الرضى ولا يعاقب . وقد عاد المملوك إلى صَوْبِ الصّواب ، وتضرّع من تلك السطور على عَتَبَاتِ^(٢) العتاب ، وظنّ أنما فُتِنَ ، فاستغفر ربّه ، وخرّ راکعاً وأُناب :

وهذا الذنب أوّل كلّ ذنب وأخره إلى يوم الحساب

فليغفر مولانا هذه الهَفْوة ، وليقلّله عثرة هذه الخطوه ، التي لم يلق فيها^(٣) حظوه ،

(١) في (س) : « في فصاحتها » .

(٢) في الأصل : « عتاب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) في الأصل : « لها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

والله يَتَعَ العيون والنفوس بجماله وجلاله ، ويزين الوجود بمحاسنه التي يخجل منها
البدر في كاله بمنه وكرمه ، إن شاء الله .

وحكى لي رحمه الله تعالى ، قال : رأيت البارحة في المنام ، كأنَّ في بيتي نهراً عظيماً
صافياً ، وأنت من ذلك الجانب ، وأنا من هذا الجانب ، وكأني أنشدك :

يا خليلي أبا الصفا لا تكدّر مَهْلاً من نَميرٍ ودك أروى
فجميع الذي جرى كان بَسْطاً ولعمري بسطُ المجالس يطوى
فقلت لي : لابل انظم في زهر اللوز شيئاً ، فأنشدتك :

أيا قادم الزهر أهلاً وسهلاً ملأت البرايا هدايا أرج
فوقتكَ فَضْ ختام السرو ر وعهدك فرجة باب الفرج
فكتبت أنا إليه عندما قصَّ عليَّ هذه الرؤيا :

حاشى لله أن أكدرَ عَهْداً لم يزل من وفائك المحض صفوا
وإذا ما حديثُ فضلك عندي ضاع مني في نشره كيف يطوى
وكنت وعدته بعاريّة رسالة لابن رشيق سَمّاها (ساجور الكلب)^(١) ، فتأخّرتُ ،
فكتب هو إليّ :

يا جواداً عِناهُ في يد الجوّ د تباخلت لي بساجور كلب
لا تُضع رُتْبَةً التفضّل والإيثار فالأمرُ دون بذل العُتب^(٢)
وإذا لم يكن من العتب بُدٌّ فرادي إن شئت غير الكتّب
فجهّزتها إليه ، وكتبت الجواب :

(١) الكشف : ٩٧٣/٢ .

(٢) في الأصل : « الفضل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

أيها الأروع الذي فاق مجدا لا تؤنب من لأتاك بذنب
 أنت تدري أن الوفاء الموفى لي طباع في الود من غير كسب
 أنا أخبال لو كان طوق عروس عنك حتى أصون ساجور كلب
 وبينه مكاتبات كثيرة نظم ونثر ، وقد أوردتها في كتابي (ألحان
 السواجع) .

٨٨٤ - عبد الله بن علي بن عمر*

ابن شبل بن رافع بن محمود ، الشيخ الصالح المحدث نجم الدين أبو بكر الصنهاجي
 الحميري الشافعي الصوفي .

اعتنى به والده ، وأسمعه (صحيح) البخاري من الشيوخ الثلاثة : ابن عزون ،
 وابن القاضي رزين^(١) ، وابن رشيقي^(٢) ، و (سنن) أبي داود من النجيب عبد
 اللطيف ، و (مسند) الإمام أحمد من النجيب أيضاً ، ورحل به إلى دمشق ومعها
 فخر الدين بن النويري^(٣) ، فسمع بها (صحيح) مسلم من ابن عبد الدائم ، ومن
 أصحاب الخشوعي وابن طبرزد ، وسمع بالإسكندرية أيضاً من أصحاب ابن موقا^(٤) .
 وكان مكثراً صبوراً على التسميع ، ذاكرة لمسموعاته ، وحدث بالكثير^(٥) ، ومن جملة
 ما حدث به الكتب الستة .

* الدرر : ٢٧٦/٢ .

(١) في (ق) ، (س) : « زين الدين » ، ولم تبين مراده .

(٢) هو عثمان بن عبد الله بن رشيقي ، ذكره ابن رافع غير مرة في وفياته . انظره : ٤٧/١ ، ٢٢٢ ، ولم تقف
 على ترجمة له .

(٣) في الأصل : « النوري » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، وهو عثمان بن يوسف ، ستأتي
 ترجمته .

(٤) عبد الرحمن بن مكي بن حمزة (ت ٥٩٩ هـ) ، السير : ٣٩٢/٢١ .

(٥) في الأصل : « كثير » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني عشري شعبان سنة أربع وعشرين وسبع مئة بقرافة مصر الصغرى ، ودفن بها .

ومولده في سادس عشر شهر رجب سنة ثمان وخسين وست مئة .

٨٨٥ - عبد الله بن علي بن سليمان *

الشيخ الإمام العالم كال الدين أبو محمد الغرناطي المالكي .

كان رجلاً صالحاً عارفاً بالنحو والقراءات ، وله مشاركة في الفقه ، وأقرأ الناس مجلب نحو عشر سنين ، وعاد إلى الغرب ، وجدّد عهده بأهله ، وبعض شيوخه . ثم إنه رجع ، وأقام بالقدس شيخ الإقراء ، ومدرساً وإماماً^(١) للمالكية .

قال شيخنا البرزالي : سمع بقراءتي (سنن) أبي داود على ابن البخاري ، وغير ذلك ، وحديث بالقدس .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

٨٨٦ - عبد الله بن علي **

ابن محمد بن عمر بن أبي عمر المسند الأصيل شهاب الدين أبو القاسم الأزدي الدمشقي .

حدث عن ابن أبي اليسر وغيره حضوراً ، وسمع من^(٢) ابن علان وطائفة .

وتوفي بدمشق رحمه الله تعالى في سنة أربع وأربعين وسبع مئة عن ثلاث وسبعين

سنة .

* الدرر : ٢٧٤/٢ ، وغاية النهاية : ٤٣٦/١ .

(١) في الأصل : « إماماً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

** الدرر : ٢٧٩/٢ ، وذيل العبر : ٢٤٠ .

(٢) ليست في (ق) ، (س) .

٨٨٧ - عبد الله بن أبي عمر*

ابن أبي الرضا الفارسي الفاروئي الشيخ الإمام العالم العلامة سيف النظر
نصير الدين أبو بكر الشافعي ، مدرّس المستنصرية ببغداد .

كان من كبار المذهب ، ورافعي لوائه المذهب ، لو ناظر السيف الأمدي قطعه ،
أو الرازي ألقاه في هوة رزية ودفعه .

قدم دمشق ، وتكلّم ، وجرح^(١) جماعة في بحثه وكلم ، وبانت فضائله ، وحكت
الرياض الأريضة شمائله ، وعاد إلى مدرّج عشّه ، وأقام بها إلى أن حمل على نَعشه .
وتوفي ببغداد رحمه الله تعالى سنة ست وسبع مئة .

٨٨٨ - عبد الله بن محمد**

ابن الصفيّ بن أبي المعالي أحمد المقدسي المعروف بابن الواعظ .
أخبرني العلامة أثير الدين أبو حيان ، قال : لقيته بدمياط سنة ثمان وثمانين وست
مئة ، وأنشدني لنفسه :

سَرَتْ نُسْمَةٌ مِسْكِيَّةُ العُرفِ معطار	هَلَا أَرْجُ فِي طَيِّ مَسْرَاهِ أسرار
فَلَمَّا بِهَا حَقِيَ الغُصُونُ كَأَنَّا	شَذَاهَا سُلَافُ الرّاحِ والنَّشْرُ خَمَار
أَلَاهَاتٍ عَنِ نَجْدِ أَحَادِيثِ غُرْبَةٍ	فِيَا طَيْبَ مَا خُبِرَ أَفْذَتْ وَأَخْبَار
أُهَيْلَ وَدَادِي هَلْ عَلَى أَيْمَنِ الحِمَى	أَرَامَ وَتَقَضَّى بالتَّوَاصِلِ أوطار

* الوافي : ٣٧٨/١٧ ، والدرر : ٢٨١/٢ ، والشذرات : ١٣/٦ ، وذيول العبر : ٣٦ . وفي الوافي والدرر :
« الفاروقي » ، وفاروث : قرية من أعمال شيراز ، كما نقل صاحب الشذرات عن البرزالي . وانظر :
معجم البلدان ٢٢٩/٤ .

(١) في الأصل : « جرع » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

** الوافي : ٥٥٥/١٧ ، والدرر : ٢٩٠/٢ .

وهل تسعف الأيام تسمح بالمني بقُرب مزارٍ أو يوافق مِقْدَار
خليليّ إن القلب والنفس والهوى لعينيه أعوانٌ عليّ وأنصار
قلت : شعر يقارب الجودة ، ولو كان لي فيه حكم لقلت :

..... فيا حبذا خبرٌ أفدت وأخبار

وكان يستريح من اللّحن ، ومن قلق هذا التركيب ؛ لأن (ما) ههنا زائدة ،
وتقديره : فياطيب خبر وأخبار أفدت ، والمعنى عليه ، وإن كانت نكرة موصوفة^(١)
وتقديره : فياطيب ما أفدته خبراً وأخباراً ، فيتعيّن النصب حينئذٍ على التمييز .

٨٨٩ - عبد الله بن محمد بن هارون*

ابن عبد العزيز بن إسماعيل الطائفي الأندلسي القرطبي المالكي ، نزيل تونس .

قرأ القراءات على جدّه لأمه محمد بن قادم المعافري ، ولازم^(٢) خال أمّه إمام جامع
قرطبة العلامة أبا محمد عصام بن أبي جعفر أحمد بن محمد بن خلّصة ، واستفاد عليه ،
وأخذ عن قرابته الحافظ أبي زكريا بن أبي عبد الله بن يحيى الحيري ، وقرأ عليه
(الفصيح)^(٣) و (الأشعار الستة)^(٤) ، وسمع منه (الروض الأنف)^(٥) ، وسمع قاضي
الجماعة أبا القاسم بن بقي^(٦) ، وأخذ عنه (الموطأ) سماعاً ، وقرأ عليه (كامل) المبرد ،
وسمع (صحيح مسلم) من عبد الله بن أحمد بن عطية ، وسمع من أبي بكر محمد بن سيد

(١) في الأصول والوافي : « موصولة » ، ولا تصحّ .

* الوافي : ٥٨٦/١٧ ، والدرر : ٣٠٢/٢ ، والبغية : ٢٠/٢ ، والشذرات : ٧/٦ ، وذيول العبر : ٢٢ .

(٢) في الأصل : « وخالف » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والوافي .

(٣) ثعلب ، في اللغة .

(٤) للأعم الشنترقي (ت ٤٧٦ هـ) .

(٥) للسهيلى (ت ٥٨١ هـ) .

(٦) أحمد بن يزيد (ت ٦٢٥ هـ) ، السير : ٢٧٤/٢٢ ، والشذرات : ١١٦/٥ .

الناس الخطيب^(١) (صحيح البخاري) ، ولازمه وسمع (الشائل)^(٢) من الحافظ محمد بن سعيد الطرار ، وسمع (التيسير) من النحوي أحمد بن علي الفحام المالقي^(٣) ، وأخذ (كتاب) سيبويه تفهماً عن أبي علي الشلوين^(٤) وأبي الحسن الدباج^(٥) ، وقرأ (مقامات) الحريري تفهماً على العلامة عامر بن هشام الأزدي ، وانتهى إليه علو الإسناد .

وروى عنه شيخنا أبو حيان وأبو عبد الله الوادي آشي ، وأبو مروان التونسي خازن المصحف وآخرون .

قال شيخنا الذهبي : وكتب إلينا بمروياته عام سبع مئة ، كان قد جمع بين الرواية والدراية ، وتحقيق عند الناس ماله بالعلم من العناية ، وأخذ عنه الكبار ، وأعاد جدّة ما قد خل من هذا الفن وبار ، إلا أنه كان يتشيع ظاهراً ، ويطعن في معاوية وابنه ناظماً وناثراً .

ثم إنه في آخر وقته اختلط وانحطم ، وسكن منه ذلك البحر الذي تموج والتطم ، وبان هرمة ، وخمد صرمة .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وست مئة .

أخبرني العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي ، قال : رأيت بخط ناصر الدين بن سلمة الغرناطي : شيخنا ابن هارون فيه تشيع وانحراف عن معاوية ، وابنه يطعن فيهما نظماً ونثراً ، اختلط بعد انفصالي عنه ، وبان اختلاطه .

(١) هو محمد بن أحمد الإشبيلي (ت ٦٥٩ هـ) ل العبر : ٢٥٥/٥ .

(٢) الشائل النبوية والخصائل المصطفوية للإمام الترمذي ، الكشف : ١٠٥٨/٢ .

(٣) (ت ٦٤٥ هـ) ، البغية : ٢٤٦/١ .

(٤) عمر بن محمد بن عمر (ت ٦٤٥ هـ) ، البغية : ٢٢٤/٢ .

(٥) علي بن جابر بن الدباج (ت ٦٤٦ هـ) . السير : ٢٠٩/٢٣ .

٨٩٠ - عبد الله بن محمد بن عبد الرزاق العراقي*

الإمام البارع عماد الدين الحَرْبُوي الطبيب الأديب الحَيْسُوب المتفلسف^(١) ، أحد الأعيان ببغداد .

نبح^(٢) في فنون من العلوم العقلية والنقلية ، وقرأ عليه جماعة في أنواع من المعارف الجَدِيَّة والمُزَلِّيَّة ، وجالس الملوك ، وحصل أموالاً تضيق بذَرِّها السلوك ، ودَّرَس مذهب الشافعي بدار الذهب ، وأغار على ما في كتب المذهب من الجواهر ونَهَب ، ومنح الطلبة ما عنده من ذلك وَوَهَب ، وولي رئاسة الطب ، ومشیخة الرباط ، وعمل أشياء بالاحتیال والاحتیاط .

ولم يزل على حاله إلى أن زال سلطانه ، وفارقت مع الحياة أوطانه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وأربعين وست مئة .

وهو الذي علّم شرف الدين هارون بن الوزير وأولادَ عمّه علاء الدين صاحب الديوان فنَّ الحساب ، وكثرت أمواله ، وكان قد أَخَذَ فنَّ المعقول عن النصير الطوسي وأنشأ داراً وقفها^(٣) على إمام ومؤدب وعشرة أيتام ، وله تصانيف وإنشاءات .

وأخذ عنه العز الإربلي^(٤) ، وله من التصانيف : (القواعد البهائية) في الحساب ، و (مقدمة في الطب) ، وغير ذلك .

* الوافي : ٥٩٠/١٧ ، والدرر : ٢٩٤/٢ .

(١) طمست في الأصل ، وهي ثابتة في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) في (ق) ، (س) ، والوافي : « برع » .

(٣) في (ق) ، (س) : « أوقفها » .

(٤) الطبيب كما في الوافي .

قال في (تفسير) رشيد الدولة ^(١) : هو إنسان ربّاني ، بل ربّ إنساني ، تكاد تجلّ عبارته بَعْدَ الله . فشهدوا عليه بعد موت الرشيد ، فدخل على قاضي القضاة قطب الدين ، فحقن دمه ، ومات ، ودفن في داره ببغداد .

٨٩١ - عبد الله بن محمد بن علي*

ابن حمّاد بن ثابت الواسطي الإمام المقتي بالعراق ، جمال الدين بن العاقولي البغدادي ، مدرّس المستنصرية .

كان يقول : إنه سمع من محيي الدين بن الجوزي ^(٢) ، وسمع [من] ^(٣) الكمال الكبير ، وروى عن ابن الساعاتي ^(٤) شيئاً في تأليفه .

وكان إماماً عالماً ، سالباً عَرَّةَ ^(٥) الكمال سالماً ، له مهابة وعنده شهامة ، وإذا رمى أمراً أنقذَ فيه سهامه ، حميد الطريقه ، مفتي العراق على الحقيقه ، أفقَى نحواً من سبعين ^(٦) سنه ، وأعاد عَيْنَه في العلم رمداً ، وَغَيَّرَه بالجهل عَيْنَه وسنّه .

ولم يزل على حاله إلى أن زاد في هجر موضعه ، وسار راكباً على شَرَجِهِ ^(٧) .

(١) يعرف بتفسير الرشدي ، لرشيد الدين فضل الله بن أبي الخير بن علي الهمداني المتوفي (٧١٨ هـ) ، وزير السلطان بوسعيد . الكشف : ٤٤٧/١ .

* الوافي : ٥٩١/١٧ ، والبداية والنهاية : ١٤٢/١٤ ، والدرر : ٢٩٩/٢ ، والشذرات : ٨٧/٦ ، وتذكرة النبيه : ١٨٨/٢ .

(٢) في الأصل : « الجزري » ، تحريف ، وابن الجوزي هذا هو : يوسف بن عبد الرحمن (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٣٧٢/٢٣ .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) والوافي .

(٤) أحمد بن علي (ت ٦٩٤ هـ) ، سلفت الإشارة إليه . ووقع في (ق) ، (س) : « الساعي » ، تحريف .

(٥) في الأصل : « غير » ، وفي (سن) : « غيره » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٦) في التذكرة : « أفقَى ودرس أكثر من خمسين سنة » .

(٧) أي : نعشه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة ثمان وثلاثين وست مئة ، وعُدل سنة سبع وخمسين وست مئة .
ورزق الحظَّ في فتاويه ، ودفن بداره التي وقفها على ملقن وعشرة أيتام ، وكانت جنازة عظيمة إلى الغاية ، مارؤي مثلها .
وخلف ولداً ذكياً ، اشتغل بالحكمة والنظر ، ودَّرس وعظم أيضاً بعد والده .

٨٩٢ - عبد الله بن محمد بن أبي بكر *

الإمام العلامة تقي الدين الزَّيرباني ، بزاي مفتوح ، وراء بعدها ، ياء آخر الحروف ، وراء ثانية ، وألف بعدها نون ^(١) ، العِراقِي الحنْبلِي مَدْرَسِ المستنْصِرية .
برع في مذهبه ، وسار منه في موكبه ، واشتغل واشتعل ، وحفي في طَلَب العلم وانتعل ، وصنف وناظر ، وذاكر بالعلوم وحاضر ، وناب في الحكم فحُمدت سيرته ، وطَهَّرت ^(٢) في القضاء سيرته ، وقرأ الناس عليه ، وحملوا المسائل والفتاوى إليه .
ولم يزل على حاله إلى أن التقى الموت بالتقي ، وفني جسده ، وذِكْرُه بقي وهو تقي .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وستين ^(٣) وست مئة .

وكان قد قدم دمشق في حدود سنة تسعين ، وتفقه بها على المَجْد ^(٤) وغيره ، وعاد إلى بغداد ، وهو والد شرف الدين عبد الرحيم ^(٥) .

* الوافي : ٥٩٢/١٧ ، والدرر : ٢٨٩٧/٢ ، والشذرات : ٨٩٧/٦ .

(١) نسبة إلى زَيربان ، قرية بينها وبين بغداد سبعة فراسخ . معجم البلدان : ١٤٠/٣ .

(٢) في الأصل و (س) : « ظهرت » .

(٣) في (س) : « وخمسين » .

(٤) هو المجد الحرائي ، كما في الدرر ، واسمه إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٥) توفي (٧٤١ هـ) ، كما في الدرر : ٢٥٧/٢ ، ولم يترجم له للصنف .

٨٩٣ - عبد الله بن محمد بن أبي بكر*

الفقيه شرف الدين أبو محمد بن الشيخ العلامة شمس الدين بن قيم الجوزية الحنبلي ، يأتي ذكره والده في مكانه .

كان شرف الدين هذا آيةً في الذكاء والحفظ . قرأ القرآن صغيراً وعمره تسع سنين ، وختمه ، وصلى به سنة إحدى وثلاثين بالجوزية ، كان يتلقن في أكثر الأيام نصف جزء ، وحفظ (الأعراف) في تلقينين ، وحفظ (الجرجانية)^(١) و (الكافية الشافية) لابن مالك ، وحفظ (المحرر) للشيخ مجد الدين بن تيمية ، وقرأ (مختصر الروضة) للشيخ مجد الدين الطوخي في أصول الفقه^(٢) ، وحفظ (المحرر في الحديث) لشمس الدين بن عبد الهادي^(٣) ، وسمع الحديث ، وأكثر منه في الشام ومصر على أصحاب ابن عبد الدائم وأصحاب ابن النجيب الحراني وطبقتهم ، وسمع على الحجار أكثر (صحيح) البخاري ، وسمع الكتب الستة والمسانيد المشهورة ، وشيئاً كثيراً من الأجزاء .

وأفتى ودرّس ، وأعاد ، وحجّ مع والده مرتين ، وأقام بينهما سنة بمكة ، ثم إنه حجّ بعد ذلك سبع حجات متواليات ، وتزوج اثنتين .
وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل شعبان سنة ست وخمسين وسبع مئة .
ومولده في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

* الدرر : ٢٩٠/٢ ، والشذرات : ١٨٠/٦ .

- (١) للإمام عبد القاهر الجرجاني ، واسمها المجل . الكشف : ٥٨١/١ .
- (٢) الروضة ، هي : روضة الطالبين ، وعمدة المتقين ، للإمام النووي (ت ٦٧٦ هـ) وقول الصفدي إن المختصر هو لمجد الدين لم نجد ما يؤيده ، والمشهور أنه نجم الدين سليمان بن عبد القوي (ت ٧١٠ هـ) . انظر : الكشف : ٩٢٩/١ . وقد سلفت ترجمة سليمان هذا .
- (٣) المحرر هو تلخيص لكتاب « الإمام في أحاديث الأحكام لابن دقيق العيد » ، لخصه . وشمس الدين هذا هو محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي (ت ٧٤٤ هـ) ، ويعرف بابن قدامة الحنبلي . الكشف : ١٥٨/١ .

٨٩٤ - عبد الله بن محمد بن عبد القادر بن ناصر*

قاضي القضاة زين الدين المعروف بابن قاضي الخليل الشافعي .

كان قاضي قضاة الشافعية بحلب ، وكان حسن الشكالة ، قادراً على نصب الحباله ، وقوراً ، له مهابة فاخر البزة ، قد أوقد التعاضم فيها^(١) شهابه ، عنده مشاركه ، وله منابذة ومطاركه ، عقله الميعشي^(٢) جيد ، وذكره بالقبول متأيّد ، محاضرتة خلّوه ، ومذاكرته من الإملال خلّوه^(٣) ، وله نظم قد صفا ، ورفّ^(٤) عليه ظلّ القبول وضى .

ولم يزل على حاله بحلب إلى أن كَمَلَ شَوْطُهُ وانقلب .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمسين وست مئة .

ولي بدمشق قضاء بعلبك في أول المحرم سنة سبع وتسعين وست مئة ، وقضاء حمص ، ثم إنه نُقِلَ إلى قضاء حلب ، فأقام به نيافاً وعشرين سنة ، وناب في الحكم بدمشق ، وحجّ مرات ، وتزوج بابنة الأمير علم الدين الزرقا^(٥) ، وجرّت له أمور مضحكة بسببها ، لأن سَمْعَهُ لحقه صمم ، وكان الشيخ كال الدين بن الزملكاني كثير الخطّ عليه ، حكى لي عنه حكايات عجيبه ، نسأل الله العفو والسلامة منها . وتوجه الشيخ كال الدين بعدة لقضاء حلب .

* الوافي : ٥٩٢/١٧ ، والدرر : ٢٩٥/٢ ، والشذرات : ٦٤/٦ ، وذيول العبر : ١٣٥ .

(١) في الأصل : « به » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) كذا ، ولم تستن مراده .

(٣) في الأصل : « حلوة » تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٤) في (س) : « رق » ، تصحيف .

(٥) في الأصل : « الشيخ علم الدين » ، سهو ، والزرقا هو : سنجر ، سلفت ترجمته .

ومن شعره :

أحبُّك حبًّا يمنع العينَ نَوْمَهَا ويمنعني عند الظَّما باردَ العذب
وما أنا راضٍ عن غرامي وإنِّي لأعتبُ في هذا الغرام على قلبي
قلت : هو مأخوذ من قول الأول ..^(١)

ومن شعره في سَنَةِ حَجَّه :

ولما أتى سيلٌ عظيمٌ عَرَمَرَمٌ بوادي القرى يعلو على السهل والوعر
علَّوْنَا ظهور اليعمَلات تحصُّنا وكانت لنا في البرِّ سَفْنًا وفي البحر^(٢)
ومن شعره قصيدةٌ يمدح بها سيدنا رسول الله ﷺ :

قد بدت طيبةً ولاحتُ رباها فابتدر قُرْبَه بلثم ثراها
واحمد الله ذا المواهب والفضل على النعمة التي أولَّاهَا
وافرش الخدَّ والدموعَ على الأر ض وهذا شأن الذي يَغْشاها
ثم لاحت لنا القبابُ العوالي فاستنارت رحالنا مِنْ سَنَاهَا
وأتينَا مَدِينَةَ الْعِلْمِ والوحي ومن تنفِ خبثها وأذاها
فرأينا جلالَةً وبهاءً ما رأيناه في مكانٍ سواها
وأتينَا سَعْيًا إلى الحَرَمِ الأشرف والحُجْرَةِ التي نهواها
حبذا ساعةً أتيناها فيها وصباحٌ وليلةٌ سرناها
ثم قلنا عليك يا أشرف الخلق صلاةً ورحمةً لاتضاهي
وعلى صاحبك صهريك جاريد ك سلامٍ يعطر الأفواها
يا رسول الإله يا أشرف الخلق ويا أعظم النبيين جاها
يا مغيث الأنام في موقف الحشر إذا أوثق النفوس رداها

(١) كذا ، يياض في الأصول .

(٢) العمليات : جمع يعملة ، وهي الناقة النجيبة .

حيث كلّ يقول: نفسيّ نفسيّ ليس يرجو نجاة شيء سواها
فتنادي أنا لها زادك الله ارتقاءً ورفعته ترّضاها
فهنالك الرسول يسجد لله لدى العرش مُخْبِتاً أوّاهها
ملهماً أشرف المحامد لله وما كان قبل ذاك ذراها
فينادي ارفع وإشفع تُشَفِّع ثم سلّ كلّ حاجة تُعْطَاهَا
ثم يؤثّق بأمة نظر الله إليها بأحمدٍ فهدها
ثم يعزيهم سريعاً إلى الجنة يافوزها ويا بشراها^(١)

قلت: نظم، مقبول، إلا أنّ فيه لحناً خفياً، ولحناً ظاهراً، فالظاهر في قوله: ومن تنفّ، فجزم بـ (من)، توهمها شرطية، وليس كذلك، والخفيّ قوله: وسلّ كل حاجة تعطاها، جواب الأمر في: سلّ تُعْطَاهَا، ولكنه يجوز، وهو أهون من الأول.

٨٩٥ - عبد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون *

الشيخ تقي الدين الهُرْغُي، بضم الهاء وسكون الراء، وبعدها غين معجمة، الزكندري، بالزاء والكاف والنون والبدال المهملة، والراء المراكشي، قاضي الركب المغربي.

اجتمعت به بجسر اللبّادين بدمشق في حادي عشر صفر، سنة سبع وأربعين وسبع مئة، وسألته عن مولده فقال: في تاسع عشر شهر ربيع الأول سنة خمس وسبع مئة. وأنشدني من لفظه لنفسه ملغزاً في البربر:

وما أمة سكتناهم نصفٌ وصفهم وعيشُ أعاليهم إذا ضمَّ أوّلُه

(١) في (ق)، (س): «سراعاً».

* الوافي: ٥٩٤/١٧، والدرر: ٢٩٦/٢.

ومقلوبة بالضم مشروبٌ جُلِّهم وبالفتح مَنْ كُلُّ عليه مَعْوَلُه
 وأنشدني من لفظه لنفسه أيضاً :
 اسم الذي قد سبى قلبي تجنيّه وعزُّ ملكٍ جميعُ الحسنِ يطغيه
 ما كل آخره عُشْرُ لَأَوَّلِه وعشر ثالثه شطرٌ لثانيه^(١)
 وأنشدني من لفظه لنفسه أيضاً :
 قسماً بورِدِ الوجنتين ونصرتِه ويقدرُك السامي الرفيع وعزَّتِه
 لولاح وجهك في الكرى لكثير ما اعتاده بُرْحُ الخيال بعزَّتِه
 أولو رأى الضليلُ بعضَ جمالكُم ماضلٌ عن سُبُل الهدى بعُنَيْزَتِه^(٢)

٨٩٦ - عبد الله بن محمد*

أبو محمد المرجاني القرشي التونسي الشيخ الإمام العالم المفتي .

كان مشهوراً في الآفاق ذِكْرُه ، مشهوداً في البواطن عِلْمُه وخُبْرُه ، وكان إماماً مفتياً في مذهب مالك ، عالماً بما فيه من المآخذ والمسالك ، حَلَوِ العبارة مُذَكِّراً ، خبيراً بعلوم القرآن مُفَسِّراً ، ما كان أحد يقدر على إعادة ما يَسْرُدُه ، ولا حِفْظِ ما يقوله ويُورده^(٣) ، لأنه كان ربما يتكلم على الآية الواحدة ثلاثة أشهر ، وتخيل الناس أن هذه المادّة من بحر زاخر ، فإنها تُستكثر على الأنهر ، وله يد طولى في الحديث ومعرفة ، وقَدَمٌ راسخ في العبادة والتَّصَوُّف^(٤) البديع الصفة ، ولم يصنّف شيئاً ، ولا ترك لشخصه شيئاً ، وترك مجلدات كثيرة إلى الغاية ، وعلى الجملة فكان آية .

(١) في الأصل : « آخر » و « سطر » . وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) الملك الضليل : لقب امرئ القيس الشاعر الجاهلي المشهور .

* الوافي : ٥٩٥/١٧ ، والعبر : ٤٠٨/٥ ، وعقد الجمان : ١٠٧/٤ ، وفيات سنة (٦٩٩ هـ) .

(٣) في (ق) : « وما يورده » .

(٤) كذا في الأصل والوافي ، وفي (ق) ، (س) : « التصرف » .

توفي بتونس رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة . وعاش اثنتين وستين سنة ، وصلى عليه المستنصر أبو عبد الله محمد بن الواثق صاحب تونس^(١) .
قدم الإسكندرية والقاهرة ، وذكر بها ، وتعجب الناس منه رحمه الله تعالى .

٨٩٧ - عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن خليل*

بهاء الدين العسقلاني ثم المكي المقرئ الشافعي المحدث .

عُني بالحديث ، وارتحل له^(٢) ، وأخذ عن يبرس العديمي^(٣) بحلب ، وعن ست الوزراء^(٤) ، والدشتي بدمشق ، وعن التّوزي ، ورضي الدين^(٥) بمكة ، وعن طائفة بمصر ، وقرأ المنطق ، وقرأ بالروايات وأتقن المذهب .

وكان حسنَ القراءة ، بديع المراجعة والبداءه ، جيّد المعرفة بعلومه ، يضاهاه الأفق في عداد نجومه ، مليح المذاكرة إذا انشرح ، بديع المحاضرة كأنه نسيم في السّحر سرح ، متين الديانة ، مُبين الصّيانه ، شديد الورع ، عديم التّسرّع ، يؤثر الانقطاع والخول ويودّ أن لا يكون له بالخلق شمول . حصّل المدارس والمعالم ، ثم ترك ذلك جميعه وانقطع ، وآثر الحق الذي لاح له وسطع ، ورابط بظاهر^(٦) الإسكندرية في زاوية هناك ، وخلص من الاشتراط والاشتراك .

(١) محمد بن يحيى (ت ٧٠٩ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٥٩٦/١٧ ، والدرر : ٢٩١/٢ ، والسلوك : ١٥٨/١/٣ .

(٢) في (س) : « عنه » ، تحريف .

(٣) توفي سنة (٧١٣ هـ) .

(٤) ست الوزراء بنت عمر بن أسعد التنوخية . (ت ٧١٦ هـ) . ذيل العبر : ٨٨ .

(٥) رضي الدين بن الحبّ ، سلفت الإشارة إليه .

(٦) في الأصل : « بظهر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، وفي (س) : « في ظاهر » .

وما زال على حاله إلى أن راح خفيف الحاد^(١) ، وترك الفاني وأخذ ما ليس له من نفاذ ، وتوفي رحمه الله تعالى ...^(٢) .

ومولده سنة أربع وتسعين وست مئة بمكة .

٨٩٨ - عبد الله بن محمد بن عسكر*

ابن مظفر بن نجم بن شاذي بن هلال ، شرف الدين أبو محمد القيراطي الشافعي .

سمع من الدمياطي ، والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، وسمع بالإسكندرية من الأشياخ الموجودين في سنة سبع مئة ، وقرأ الأصول على الباجي ، والخطيب الجزري ، والعريبة على شيخنا أبي حيّان .

كان فقيهاً أديباً ، عارفاً ليبياً ، محفوظه كثير ، ومَدَدَه في التفسير غزير ، ولي القضاء بنواحي عديده ، ووجد فيها أموراً مُفِيتة ومفيدة ، ثم استعفى ، وطُلب لقضاء حلب ، فاستخفى .

وحكى عنه العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي أشياء دارت بينهما حسنة ، دلّت على أنه كان مطبوعاً .

ولم يزل على حاله إلى أن خلت منه القاهرة ، وأوحش بفضله النجوم الزاهرة .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في بُلْبُيْس سنة اثنتين وسبعين وست مئة .

(١) كذا ، ولعلها (الجاذ) ، أي : الظهر ، وفي الحديث : (أغبط الناس المؤمن الخفيف الجاذ) ، أي : خفيف الظهر .

(٢) كذا في الأصول ، وفي الدرر أنه توفي سنة (٧٧٧ هـ) . وكذلك في السلوك .

* الدرر : ٢٩٨/٢ ، وتذكرة النبيه : ٣١٨/٢ ، وفيه وفاته (٧٤٠ هـ) . وقيراط : قرية من عمل بُلْبُيْس .

ولي القضاء بالمنوفية وبدمياط وبسيوط ، ودرّس بالسنجارية المجاورة لقبة الشافعي ، وبالمشهد النفيسي^(١) ، [وأعاد بالقطيبة^(٢)] وبقبة الشافعي ، وترك القضاء ، وطُلب لقضاء حلب^(٣) ، فبكى بين يدي السلطان واستعفى ، وسئل عن قضاء الغربية فلم يجب .

قال الفاضل كمال الدين الأدفوي^(٤) ، قال لي : ما بقيت أدخل في القضاء ، فياني ما وجدت فيه خيراً ، ومن شعره :

يَا ذَا رَهْمٍ بِاللَّوَى حَيَّيتُ مِنْ دَارٍ وَلَا تَعْدَاكَ صَوْبُ الْعَارِضِ السَّارِ
تُرَى تَعُودَ لِيَالِنَا بِقُرْهِمْ قَبْلَ الْمَاتِ وَتَقْضِي فِيكَ أَوْطَارِ
وَدَعْتَ طَيْبَ حَيَاتِي يَوْمَ فَرَقْتَهُم فَالْطَّرَفِ فِي لَجَّةٍ وَالْقَلْبِ فِي النَّارِ
لِلَّهِ عِيشَ مَضَتْ أَيَّامُهُ هَذَرًا لَمْ يَبْقَ فِيهَا سِوَى أَوْهَامِ تَذْكَارِ^(٥)

٨٩٩ - عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن محمد*

الشيخ الإمام الفقيه المحدث الفاضل شرف الدين أبو عبد الله الوافي الدمشقي حفيد الشيخ برهان الدين المؤذن المُقَدَّم ذكره .

سمَّعه والدّه الشيخ أمين الدين [من]^(٦) أبي بكر بن عبد الدائم ، والمطعم حضوراً ، ومن ابن سعد والبهاء بن عساكر ، وبالقُدس من بنت شكر^(٨) ، وبمصر

(١) في التذكرة : « بمشهد السيدة نفيسة » . وهي نفيسة بنت الحسن بن زيد المتوفاة (٢٠٨ هـ) .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) يقتضيهما السياق .

(٣) في الأصل : « بعلبك » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والدرر .

(٤) ليس للمترجم ترجمة في كتاب الأدفوي (الطالع السعيد) .

(٥) في (س) : « أيام تذكّر » .

* الوافي : ٥٩٧/١٧ ، والدرر : ٢٩٨/٢ ، وذيول العبر : ٢٧٧ .

(٦) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٧) عيسى بن عبد الرحمن (ت ٧١٩ هـ) ، ستأتي ترجمته .

(٨) زينب بنت أحمد بن عمر (ت ٧٢٢ هـ) ، سلفت ترجمتها .

وقوص والحرمين وحماة وحلب ، وطلب هو بنفسه ، وقرأ ، وكان قارئاً مطيقاً ، فصيح اللفظ منطيقاً ، حادّ الذهن ، سريع الإدراك ، بديع الاشتراك ، لو عاش لكان عجباً ، وأبقى له في الغابرين نبا ، ولكنه مات عبّطه ، وأضاع الموت جمعه وتحصيله وضبطه .

وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

وكان قد قرأ على شيخنا الذهبي [وغيره ^(١)] ، وكان فيه ورع ، وعمل أربعين بلدية وغير ذلك .

وكتبَ ورقة شهادة له باستحقاقه لما يتولاه من وظائف العلم ، ونُسختها ... ^(٢) .

٩٠٠ - عبد الله بن محمد بن محمد بن علي *

الإمام القدوة شيخ الحرم ، نجم الدين الأصبهاني المجاور ، صاحب أبا العباس المرسي تلميذ الشاذلي .

كان شيخاً مهيباً ، وقوراً عجيباً ، منقبضاً عن الأنام منجماً عن الناس في ذاته بالحطيم ، زاهداً في الحطام .

تفقّه في مذهب الشافعي فأتقنه ، وبرع في علم الأصول وأثار معدنه ، ودخل في طريق الحب ، ونزل منه في جب ، وصحبه الشيخ عماد الدين الحزامي ^(٣) .

ولم يزل على حاله إلى أن عدم الحرم أنسه ، وأتاه عدم الذي يعمّ نوعه وجنسه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

(١) زيادة من (ق) ، (س) ، والوافي .

(٢) كذا بياض في (ق) ، (س) .

* الوافي : ٥٩٩/١٧ ، والدرر : ٣٠٢/٢ ، والشذرات : ٥٥/٦ ، وذبول العبر : ١١٨ .

(٣) عبد الرحمن بن موسى بن خلف الحزامي (ت ٧٢٧ هـ) ، البداية والنهاية : ١٣١/١٤ .

ومولده في ثلاث وأربعين وست مئة .

جاور بضعاً وعشرين^(١) ، حج من مصر ، ولم يزر النبي ﷺ ، فعيب ذلك عليه مع جلالة قدره ، وكان لجماعة كثيرة فيه اعتقاد عظيم .

٩٠١ - عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن*

الصدر الفاضل جمال الدين بن قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، وسوف يأتي ذكر جماعة من إخوته ، وذكر والده وعمه كلٌّ منهم في مكانه .

كان قبل ما يتعلج^(٢) ، ويدخل في السّن ويتولج ، ذا صورة في الحسن بديعه ، وطلعة تترك قلوب من رآها صديعه ، تتم فيه جماعة وهاموا ، وغرقوا في دموعهم وعاموا ، ولما طلب السلطان والده ليوليّه قضاء الشام كتب فيه تنكراً أن هذا وَلَدَه يتعب الناس بسببه ، فقال السلطان : أنا أترك ولده عندي بالقاهرة ، فجهز والده ، وأقام عبد الله المذكور بالديار المصرية ، فخدمه الناس ، وتقربوا إليه بمجالس اللهو والإيناس ، وصحب الناس وعرفهم ، ورافقهم وألفهم .

ولما حضر والده قاضي قضاة الديار المصرية زاد وجاهه ، وارتفع عظمتُه ونباهه ، وحصل أموالاً جمّة ، وأملاكاً لا تُدَمّ لها ذمه ، واقتنى من الخيل ما كثر بعدته وعدته نجوم الليل ، وكانت له خبرة في معرفة جيادها ، ودربة تامّة في اقتنائها واقتيادها ، وذهنه في غاية الحُسْن ، وذكاؤه تعرفه القالة اللّسن .

وحفظ (التنبيه) في الفقه وغيره من كتب العلم ، ودرب الأحكام الشرعية كما يراه أولو الحلم .

(١) في (س) : « عشرين سنة » .

* الدرر : ٢٩٣/٢ .

(٢) كذا ، والأشبه : « أن يتعلج » ، يقال : تعلجت الإبل : إذا أكلت العلجان ، وهو ضرب من الشجر يتخذ علفاً .

ولما توجه والده مع السلطان إلى الحجاز ناب عنه في إلقاء الدروس ، وعجّب الناس منه ، وحركوا له الرؤوس ، ثم إنه خرج مع والده إلى الشام ، وترك وراءه ملكاً كم لمج بارقه^(١) ، وم شام .

ولما كان الفخري على خان لاجين بدمشق قرره في ديوان الإنشاء كاتباً ، وأجرى له معلوماً على ذلك وراتباً .

ولم يزل على ذلك إلى أن برك جملة فما قام ، وثوى بعد تنعمه في ذلّ التراب وأقام .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .
ومولده .. (٢) .

وكان قد حصل له فالج ووالده بدمشق خطيب ، فتعب عليه وعالجه أمين الدين سليمان إلّ بقايا منه .

وكان شكلاً ضخماً ، كبير البطن ، ثقيل الحركة ، يتعذّر عليه المشي إلّ بكلفة .

وحضر إلى دمشق بخيول عظيمة ، وجوار كثيرة مبدعات الحسن ، وكان يحتاج لجماعته ومن حوله في كل يوم خمسة أرطال لحم بالدمشقي ، وكان يبائع في اقتناء الخيل^(٣) المسومة ، ويسابق عليها أولاد الأمراء والأمراء ومماليك السلطان ، وأخرجه السلطان لذلك من مصر ، وأقام بدمشق مدة ، ثم سأل والده فيه السلطان ، وضمّنه ، فأذن له في العود ، ثم أخرجه ، ثم أعاده مرتين ، وأنا شاك في الثالثة ، وعمر بمصر على النيل بالقرب من جزيرة الفيل عمارة عظيمة أنفق عليها ما يزيد على ألف ألف درهم ،

(١) في الأصل : « باقة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) كذا بياض في الأصل .

(٣) في (ق) ، (س) : « الخيو » .

ولما خرجوا من مصر اشتراها الأمير سيف بشتاك بأربعين ألف درهم ، وأباع [له]^(١) النشومنها شبابيكها النحاس بأربعين ألف درهم ، وكانت له دار أخرى داخل القاهرة عند دكة المحتسب أباعها بدون العشرين ألف درهم ، أقل ما أنفق عليها ستون ألف درهم .

وأما الجواري فذكر لي من لفظه بالقاهرة : هن ما يبرحن عشرة ، أربع منهن أمهات أولاد ، وست^(٢) أبيعهن [وأشتري]^(٣) بدلهن دائماً .

وأما عدد خيله ومراكيبه وما يحتاج ذلك من السروج المرصعة واللجم والفكوك باليشم واليصم والأقواس والبرذنيات والكنافيش عمل الدار والمقصّبه والعبي ، وغير ذلك فشيء كثير جداً ، لكل فرس بذلتان وثلاث ، وقال لي في وقت : عندي تسع عشرة حجراً غير البغال والأكاديش والفحول الثمينة .

وأما الكتب المجلدة من الأدبيات والدواوين وغيرها من كل فن فكان عنده وحده خارجاً عن أبيه وإخوته فوق الثلاثة^(٤) آلاف مجلدة ، ولكن كل نسخة ما يقع مثلها في عمر مديد .

وأما الصيني من القطع النفيسة الجليلة الغربية فشيء عظيم ، إلى غير ذلك من سائر الأصناف النفيسة البديعة الثمينة^(٥) .

وبالمجمل فما كان إلا في عداد الملوك ، وكان يحفظ (ديوان ابن الفارض) بكماله ، ومن شعر الأرجاني وابن النبيه والحاجري والبهاء زهير وابن عربي والسراج الورّاق

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

(٢) في الأصول : « أربعة منهن .. وستة » م ولا تستقيم .

(٣) زيادة من (ق) ، (س) .

(٤) في الأصل : « الثلاث » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٥) في الأصل : « الغربية الثمينة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وأبي الحسين الجزار وابن دانيال وابن النقيب ، وفحول المتأخرين ما يقارب عشرين ألف بيت .

ولما مات كان قد ذهبت نعمته ، ولم يبق منها إلا بقايا ، وزالت بأجمعها ، ولم يطرح الله فيها بركة ، ووصل بعده أولاده إلى أن كانوا يستعطون من أصحاب أبيهم ، ومن أكابر الناس ، فسبحان العظيم .

٩٠٢ - عبد الله بن محمد بن عبد العظيم بن السقطي *

الشيخ الإمام العالم فخر الدين أبو محمد الشافعي .

كان فقيهاً ، وصنف مَسَكاً كبيراً ، وناب في الحكم على باب النصر بالقاهرة ، وأقام بمكة شاهداً على العبارة في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وكان شاهداً بالخزانة في قلعة الجبل ، وسمع من ابن خطيب المِزّة ، وحدث ، وقيل : إنه شرح (التنبيه) .

وتوفي رحمه الله تعالى في تاسع عشر شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

وهو ابن أخي القاضي جمال الدين [ابن] ^(١) السقطي ^(٢) .

٩٠٣ - عبد الله بن محمد بن عبد الله فخر الدين أبو محمد المراكشي **

كان فقيهاً مباركاً مشكوراً ، اشتغل كثيراً بالعلم ، ونسخ بخطّه ، وكان إمام المدرسة الرواحية ^(٣) ، وفقيهاً بالمدارس . وقرأ بالروايات على الزواوي ، وروى الحديث

* البداية والنهاية : ١٦٤/١٤ ، والدرر : ٢٩٥÷٢ .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

(٢) محمد بن عبد العظيم ، ستأتي ترجمته في موضعها .

** الدرر : ٢٩٧/٢ .

(٣) المدرسة الرواحية بدمشق أنشأها التاجر المعروف بابن رواحة المتوفى (٦٢٢ هـ) . وهي قرب الجامع الأموي داخل باب الفرديس .

عن الرشيد بن مسلمة ، وسمع من جماعة منهم شمس الدين محمد بن سعد المقدسي^(١) ،
وعبد الله بن الحُشوعي ، وابن طلحة ، وإسماعيل العراقي ، والعماد بن عبد الهادي ،
واليلداني ، والكفرطايي ، والسديد بن علّان ، والباذرائي ، وعثمان بن خطيب
القرّافة ، والنجم بن النور البلخي ، وابن عبد الدائم .

وتوفي رحمه الله في مستهل شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وقد
قارب الثمانين رحمه الله تعالى ، دخل حَمَام السَلَّارِي فوقع ومات هناك ، وغُسِّل
بالرواحيّة .

٩٠٤ - عبد الله بن محمد بن فضل الله*

القاضي شمس الدين بن القاضي فخر الدين ناظر الجيوش .
نشأ في حياة والده ، وتأهّل للمناصب .
وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة أربع عشرة وسبع مئة .
وفقده والدّه ، وكتب الأمير سيف الدين تنكز إلى والده وعزّاه فيه .

٩٠٥ - عبد الله بن محمد بن أحمد**

ابن خالد بن محمد بن نصر بن صغير ، صاحب الأثير الوزير فتح الدين القرشي
الخزومي الخالدي الحلبي بن القيسراني .
سمع أبا القاسم بن رواحة ، وابن الجُمَيْزِي^(٢) ، ويوسف السّاوي^(٣) ، وابن
خليل^(٤) ، وأحمد بن الحَبَّاب ، وجماعة .

(١) (ت ٦٥٠ هـ) ، الوافي : ٩١/٣ ، والسير : ٢٤٩/٢٣ .

* السلوك : ١٤٢/١/٢ .

** الوافي : ٥٨٨/١٧ ، والبيداية والنهاية : ٣١/٢٤ ، والدرر : ٢٨٤/٢ ، والشذرات : ٩/٦ ، وإعلام النبلاء :
٤٩٥/٤ ، وتذكرة النبيه : ٢٦١/١ .

(٢) هو بهاء الدين علي بن هبة الله بن سلامة اللخمي (ت ٦٤٩ هـ) . العبر : ٢٠٣/٥ .

(٣) يوسف بن محمود السّاوي . (ت ٦٤٧ هـ) . العبر : ١٩٥/٥ .

(٤) هو يوسف بن خليل أبو الحجاج الدمشقي ، نزيل حلب (ت ٦٤٨ هـ) . العبر : ٢٠١/٥ .

كان من أعيان الوزراء ، وأفاضل الكبراء ، شارك في الفضائل والآداب ، ودخل في عداد المحدثين والشعراء^(١) ، والكتاب ، روى وروى الناس عنه ، وأخذوا الفوائد منه .
 كان ممن يَزْهَى الزمان بوجوده ، وَيَفْخَرُ بعلوّه في علومه ، ورقّيه في جوّ جوده .
 وكتب الإنشاء في الديار المصرية ، وأطلع بدور المعاني في ليالي سطوره الجبريّة ،
 وكان كما قال ابن الساعاتي :

أشَمَّ عفيف العين واليــــد والمنى وغيب الحشا والسر والجهر والحلم
 له قلمٌ يُرْجى ويخشى شِراته فكم شدّ من أزيٍّ وكَم سَدّ من ثلم^(٢)
 وفاق يَدَ العَيْثِ الصّناع جلاله بما بثّ من وشي بديع ومن رقم

ولم يزل بين صناعة البلاغة والتدبير ، وتصريف الدول والتجوير ، إلى أن فتح القبر
 له فاه ، وقال كل من يعرفه : وَالهفاه !

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة خامس عشري شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبع
 مئة بالقاهرة .

ومولده سنة ثلاث وعشرين وست مئة .

كان له اشتغال بالحديث وتحصيله ، وصنّف في أسماء الصحابة المذكورين في
 (الصحيحين) ، وترجم لهم ، وروى شيئاً من أحاديثهم بأسانيده في مجلّدين ، وهما
 وقفُ المدرسة الناصرية بدمشق .

وكان يذاكر^(٣) بأشياء حسنة مفيدة اللفظ والمعنى ، وكتب الناسُ عنه قديماً ، ومن

(١) ليست في (س) .

(٢) شائد : حدّه .

(٣) في الأصل : « يذكر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

روى عنه في (معجمه) الشيخ شرف الدين الدمياطي من نظمه ، وأخذ عنه أשיاخنا : فتح الدين بن سيّد الناس ، وعلم الدين البرزالي ، والذهبي .

أنشدني من لفظه ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه صاحب فتح الدين بن القيسراني :

بوجهٍ معذبي آياتُ حُسْنٍ فقلّ ماشئت فيه ولا تحاشي
ونسخة حُسْنِهِ قرئت فصحت وها خطّ الكمال على الحواشي^(١)

وكان قد ولي الوزارة في دولة الملك السعيد بن الظاهر^(٢) في ذي الحجة سنة سبع وسبعين وست مئة بدمشق ، وقبض عيه في تاسع عشر شهر رجب سنة ثمان وسبعين وست مئة ، ووليها أيضاً في دولة الكامل كَتَبَها فها أظن ، وعمّه عزّ الدين أبو حامد محمد كان وزيراً بدمشق للملك الناصر ، وجدّه موفق الدين خالد وزير دمشق أيضاً للعادل نور الدين الشهيد ، وكان عنده مكيئاً ، وقد ذكرت ترجمة موفق الدين^(٣) مستوفاة في (التاريخ الكبير) .

وكان القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر^(٤) رحمه الله تعالى قد نظم مرثية في الملك الظاهر ، ومدح الملك السعيد ، وضَمَّن^(٥) البيتين المشهورين ، وهما :

خَلَفَ السعيدُ به الشهيد فأدمعَ منهلةً في أوجه تهلّل
مِلِكاً ذلك راحلٌ وثناؤه باقٍ وذا باق ثناء يرحلُ

فكتب صاحب فتح الدين إلى ابن عبد الظاهر لما وقف على المرثية :

(١) في الأصل : « وما خط » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، والوافي ، وتذكرة النبيه .

(٢) في الأصل : « ظاهر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، وفي (س) : « ابن الملك الظاهر » .

(٣) في (ق) ، (س) : « وزر بدمشق » .

(٤) في (ق) ، (س) : « محيي الدين عبد الله بن عبد .. » توفي (٦٩٢ هـ) .

(٥) في (ق) ، (س) : « وضَمَّن ذلك » .

ياذا الذي أخذ الكتاب بقوة فأقى به وهو الأخير الأول^(١)
 قد حاز فيه بدائع الحسن التي ماثلها فهو الرئيس الأمثل
 لا فاضل ساواه فيه ولا مشى في مثل منطقهِ البليغ الأفضل^(٢)
 مستشهد فيه بأحسن شاهد إذ قال بيتاً مثله لا يُنقل
 خلف السعيد به الشهيد فأدمع منهلةً في أدمع تهلل
 وكذلك أنت خلقت فيه الفاضل النـدب الجليل وأنت منه أفضل
 أرهبت فيه فقد أتيت بمُعجزٍ في كل سطر منه يبدو جَحْفَلُ

قلت : ادعى بعضهم أنّ هذا البيت لابن قلاّس الإسكندري ، يهنئ الأميرين
 محمداً وأبا السعود ولدي الداعي عمران بن سبأ^(٣) صاحب عدن .

قلت : الصحيح أنّ ابن قلاّس ضمّه ، فياني وقفت على مجموع لابن خلّكان قاضي
 القضاة رحمه الله تعالى بخطّه وقد أثبتّه لابن خفاجة الأندلسي ، ومما وقفت عليه في
 هذه المادة وهي « التعزية والتهنئة في بيت » قول ابن شرف القيرواني :

بكئينا عليه ضاحكين كأننا نهار عليه شمسهُ وهو مطر^(٤)
 غراءً ممن زار القبور وغبطة بأبلج لبّاه سريرٍ ومنبرٍ
 وقد سبق الناسَ كلّهم إلى هذا أبو دلامة زُند بن الجون^(٥) يعزي بالمنصور ويهنئ
 بالمهدي في كل بيت فقال :

عينان واحدة ترى مسرورةً بأمامها جذلاً وأخرى تذرف

(١) في أعلام النبلاء : « أوتي الكتاب » .

(٢) في أعلام النبلاء : « البديع » .

(٣) هو عمران بن محمد بن سبأ ، ويُعرف بالزريعي ، من دعاة الفاطميين (ت ٥٦٠ هـ) ، الأعلام : ٧١/٥ .

(٤) في الأصل : « كأننا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، وهو أشبه .

(٥) (ت ١٦١ هـ) ، ووقع في الأصل و (س) : « زيد » ، تصحيف .

تبكي وتضحك مرة فيسوءها ما أنكرت ويسرّها ما تعرف
ويسوءها موت الخليفة محرماً ويسرّها أن قام هذا الأراف
هَلَك الخليفة يال أمة أحمدٍ وأتاكم من بعده من يُخلفُ
أهدى لهذا الله فضلَ خلافةٍ ولذاك جنات النعيم تزخرُ

وكتبت أنا إلى القاضي ناصر الدين صاحب ديوان الإنشاء بدمشق أنهنّه بولد^(١)
ذكر جاءه ، وأعزّيه في ولد ذكومات ، كل بيت عزاء وهناء :

عزاًؤك فين غدا راحلا هناءً بهذا الذي قد حضّر
فأوحشنا ذاك لما مضى وأنسنا اليوم هذا وسرّ
وهذا به عيشنا قد صفا وجرّعنا ذاك كأس الكدر
إذا الشمس في جوّها أشرقت فما ضرتنا حين غاب القمر

٩٠٦ - عبد الله بن محمد بن بهادر آص *

جمال الدين بن الأمير سيف الدين .

كان شاباً حسناً ومليحاً ، يُخجل البدر سناء وسنا ، ذا وجه ناسب الأقرار ،
وجرى حديثه في الأسرار ، يخطّه بقدر من أين للرمح هزّته ، أو للغصن بزّته ، يكاد
ينعطف بالنسيم إذا سرى ، وينقص من لطف حركاته إذا انبرى :

رأى قصر الأغصان ثم رأى القنا طوالاً فأضحى بين ذاك قواما

وكان رحمه الله تعالى يعمل بيده أشياء مليحة من آلات الجندية ، قلّ من يعملها
من حذاق الصّناع ، وعمل أشياء من أعمال الحرّذ فوشيه^(٢) متقنة ، ودخل بها إلى
السلطان الملك الناصر حسن ، وقدمها فاستحسنها منه .

(١) في الأصل : « بولده » ، ولا تصح ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* لم نقف على ترجمة له .

(٢) هي الأشياء الدقيقة اللطيفة .

وكان سعيد الحركات ، له حظّ وافر في المتجر ، توجه مع والده الأمير ناصر الدين إلى الديار المصرية ، وله إقطاع بالشام ، فأقام بمصر عند والده ، ومرض ثلاثة أيام ، وكُسِفَ بدره .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع عشري الحجة سنة إحدى وستين وسبع مئة ، وترك شيئاً له صورة .

٩٠٧ - عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فيرو*

الشيخ الإمام المحدث المفتي شيخ الإسلام زين الدين الفارقي ، خطيب دمشق ومفتيها ، أبو محمد الشافعي .

سمع من كريمة القرشية ، وابن الصلاح ، والسّخاوي ، وابن خليل ، وطبقتهم ، ثم إنه تحوّل إلى مصر ، وقرأ على الشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره .

وروى الكثير ، وأبان عن فضل غزير ، وفاز بذكر شهرير .

وكانت فيه زعارة وحده ، وهيبة عظيمة وشده ، وكانت فيه قوة للحق ، وجلادة على^(١) مخاصمة الخلق ، وتسرع في الافتاء وقع معه في هوة الإثم إلى الخلق ، أراق دماء كثيرة ، وقطع أطرافاً أموراً في ذلك الزمان شهيره .

وكان فصيحاً في لفظه ، بديعاً في خطه ، متحريراً في ديوانته ، متجرباً إلى أمد صيانتة .

ولم يزل على حاله إلى أن فارقت الفارقي حياته ، وورد عليه بما أبكى الناس عليه مماته .

* الوافي : ٦٠٢/١٧ ، والبداية والنهاية : ٣٠/١٤ ، والدرر : ٣٠٤/٢ ، والشذرات : ٨/٦ ، وتذكرة النبيه : ٢٥٨/١ ، وعقد الجمان ، ٢٢٦/٤ ، وذبول العبر : ٢٥ .

وفي نسبه بعض الاختلاف ، كما اختلفت المصادر في « فيرو » .

(١) في الأصل و (ق) : « علم » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) .

وتوفي رحمه الله تعالى في حادي عشري صفر سنة ثلاث وسبع مئة .

ومولده في سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

وكان شيخ دار الحديث الأشرفية^(١) ، قدم من مصر بالمشيخة بعد الشيخ محي الدين النووي رحمه الله تعالى ، ودرس بالشامية البرانية ، والناصرية ، وتصدى للإشغال . وكان قد باشر الإمامة والخطابة بالجامع الأموي في العشرين من جمادى الأولى سنة اثنتين وسبع مئة ، وحضر الأفرم لسماع خطبته ، وصلى بالمقصورة ، وفي هذا اليوم قرئ تقليد قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى بالمقصورة^(٢) ، قرأه الشيخ شرف الدين الفزاري .

وتولّى مشيخة الحديث بالأشرفية سبعاً وعشرين سنة ، وهو الذي اهتم بعمارتها بعدما احترقت أيام التتار ، وعمرت أحسن ممّا كانت أولاً ، وكان مقصوداً بالفتوى .

٩٠٨ - عبد الله بن موسى بن أحمد*

الشيخ الصالح الجزري .

كان شيخاً مباركاً ، كثير الخير والعبادة ، وله^(٣) مطالعة وفهم ومعرفة ، وعليه هيبة ووقار ، وأقام بجامع دمشق سنين بمشهد أبي بكر مجاوراً متعبداً منقطعاً . وسمع الحديث من ابن البخاري ، وحديث عنه ، وكان يلازم الحضور عند الشيخ تقي الدين بن تيمية ، ويسأله ويضبط عنه أشياء من العلم . وحج غير مرة ، وجاور بمكة وتعبّد .

(١) في الأصل : « بالأشرفية » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٢١/١٤ ، وما بعدها .

* البداية والنهاية : ١١٩/١٤ ، والدرر : ٣٠٧/٢ ، والدارس : ٣٠٦/٢ .

(٣) في (ق) ، (س) : « له » . من دون واو .

وتوفي في يوم الاثنين السادس والعشرين من صفر سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، ودفن بمقبرة الباب الصغير عند أولاد شيخه الشيخ عمر الجزري شيخ أرض نبات^(١) .

٩٠٩ - عبد الله بن موسى بن عمر*

ابن يومن الزواوي ، الشيخ المقرئ المحدث الصالح الزاهد العفيف .

قدم الحجاز قبل التسعين وست مئة ، وأقام بمكة أكثر من المدينة ، وجاور^(٢) إلى أن توفي بها رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وصحب الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد بالقاهرة ، وسمع عليه وعلى التقي عبيد ، ومن مؤنسة بنت الملك العادل^(٣) (السباعيات) التي خرّجها لها ابن الظاهري^(٤) ، وحدث بها عنها . وسمع منه جماعة ، وكان يحفظ (الموطأ) ، وكان كثير الأمراض .

٩١٠ - عبد الله بن يوسف بن أبي بكر**

الشيخ جمال الدين الإسعدي الإصطربلي .

رأيتُه بدمشق في الحائط الشمالي بالجامع الأموي ، وجالسته غير مرّة ، فوجدت إنساناً منحرف المزاج ، محتاجاً إلى العلاج ، قد ساءت أخلاقه من ضيق رزقه ، وأدّته

(١) في الأصل : « ساب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الدرر : ٣٠٧/٢ ، وفيه : « يونس » .

(٢) قوله : « وجاور » ، ليس ن (ق) ، (س) .

(٣) توفيت (٦٩٣ هـ) ، والبداية والنهاية : ٢٢٧/١٣ ، وفيه : « مؤنس » .

(٤) في (ق) : « الطاهري » تصحيف ، وابن الظاهري هو : أحمد بن محمد بن عبد الله الحلبي

(ت ٦٩٦ هـ) ، سلفت ترجمته في موضعها .

** الدرر : ٣٠٨/٢ .

إلى نَوَكِهِ وَحُمُقِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا ثَابَ عَقْلُهُ ، وَأَنَابَ فَضْلُهُ وَجَدَ الطَّالِبَ مِنْهُ فِي قَوَاعِدِ هَذَا الْعِلْمِ غَرَائِبَ ، وَجَعَلَ لِلْبَّهِ عِنْدَهُ رَغَائِبَ ، وَلَوْ جَاءَهُ (بَطْلِيمُوسَ) كَتَبَهُ الْجَمَلَ الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ ، وَضَيَّعَ زَمَانَهُ فِي مَا يَعْرِفُهُ الْإِنْسَانُ فِي الْكِتَابِ ، حَتَّى يَسْتَطِيلَ أَوْ^(١) يَسْتَطِيرَ ، وَمَا أَظَنَّهُ انْتَفَعَ بِهِ أَحَدٌ ، وَلَا كَانَ عِنْدَهُ لَطَالِبٌ مُلْتَحِدٌ .

وَلَمْ يَزَلْ فِي جُنُونِهِ ، وَدُورَانِ مَتَجُنُونِهِ إِلَى أَنْ سَقَطَ مِنْ قِيسَارِيَّةٍ مُحَسِّي^(٢) فَدَخَلَ تَحْتَ الشَّعَاعِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَنِ الطَّرِيقَةِ الْمُحْتَرَقَةِ مِنْ دِفَاعٍ .

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ عَشِيَّةَ السَّبْتِ عَاشِرِ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعٍ مِائَةٍ .

وَكَانَ يَعْرِفُ الْإِسْطِرْلَابَ مَعْرِفَةً جَيِّدَةً ، وَلَهُ أَوْضَاعٌ جَيِّدَةٌ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مَنْحَرِفًا يَسِبُّ النَّاسَ وَيَغْتَابُهُمْ ، وَلَا يَذْكُرُ أَحَدًا بِخَيْرٍ لِفَقْرِهِ ، وَضِيقِ رِزْقِهِ ، وَضَعْفِ بَصَرِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ .

(١) فِي (ق) ، (س) : « وَ » .

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ .